



الشيخ محمد بن عبد الله بن بايهر

واشاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الادب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الاول

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

الشيخ محمد بن عبد الله بن بايهر واشاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
مطابع الإمامة - الرياض - تلفون ٦٦٣٢٣
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد . .

فهذا بحث حصلت به على الدكتوراة بمرتبة الشرف الاولى
من قسم الادب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة - الجامعة الازهرية
٢٣ / شوال / ١٣٩٨ هـ - ٢٥ / ٩ / ١٩٧٨ م .

وهو دراسة لحياة وآثار أحد رواد الفكر في بلادنا في عصرها
الحديث (الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد) رحمه الله ، اقدمه
للمقارئ كما هو من غير تبديل ولا تعديل ولا زيادة او نقصان .
وأملئ ان اكون اسهمت به في خدمة ادبنا العربي ، وبخاصة الادب
في بلادنا اذ هو منطلق هذا البحث وهدفه .

وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

المؤلف

الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الادب الحديث - بكلية اللغة العربية بالرياض
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
١١ / رمضان ١٣٩٩ هـ
٤ / أغسطس ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ٠٠٠٠ وبعد

فنحن أمة عربية اسلامية ، تشدنا الى جزيرة العرب أواصر متينة المتات ، روابط يلتقى فيها : الدين ، واللغة ، والتراث ، وقد يعززها الدم ، وقد يتخلف عنها ، لكنها به وبدونه قائمة ربطت مصيرنا بأوثق رباط .

ولما كانت جزيرة العرب هى المنطلق الاول لجميع تلكم الروابط ، والمنبت الأول لتلكم الصلات ، كان لزاما علينا - وفاء للآباء واعتدادا بالتاريخ والتراث أن نولى ذلك المنبت كثيرا من العناية والاهتمام - تماما كما كان فعل أسلافنا العلماء ، فى القرون الأولى من تاريخ الاسلام المجيد ، حيث كانوا يجوسون خلالها ، فيجمعون مادة لغتهم ، وتاريخهم وأدبهم من أفواه سكانها .

أما جغرافيتها فلم تحظ بالعناية الكافية ، كما لم يحظ سكانها بفضل اهتمام لدى الحكام بعد العصر العباسى الأول، فعميت فيها الآثار ومحيت من الديار، وتحت الأنقاض وفى بطون الرمال انطوت حقائق وانطمست

معالم ، وجاء المتأخرون يتلمسونها ، فما وجدوا سوى ، ما حوته كتب اللغة والمعاجم والأخبار من روايات — هي — على جلالها وغناها — غير كافية ولا شافية للباحث الذى يطمع فى أن يرى الأشياء على صورتها أو قريبا من ذلك — كما جاء المتأخرون من رجال الأدب ينشدون الحقيقة فى تفسير الأشعار ، وأرادوا الاستعانة بتحديد المنازل والديار ، فلم يجدوا سوى ما فى بطون الكتب والمعاجم من أخبار اختلط فيها الخطأ والصواب .

فعد الجبل ماء والماء واديا والوادى بلدا ، وما فى الجنوب فى الشمال وما فى الشرق فى الغرب ، وما كان فى نجد عد فى تهامة وآخر فى نجران عد فى الحجاز وهكذا .

ولا سبيل لزوال هذه الالتباسات، الا أن يتولى التعريف بتلك الأماكن والبقاع من يعرفها حق المعرفة ولن يكون ذلك الا من أبناء الجزيرة الناشئين بها المقيمين فى أحضانها ، فانهم أعرف الناس بها، والمثل يقول (أهل مكة أعلم بشعابها) .

ولم يسبق أن كتب عن جزيرة العرب — وصفا وتحديدًا لأماكنها — من أبنائها ، سوى «الهمدانى» الذى فصل الحديث عن أماكن الجنوب ، وتحدث عن قلب الجزيرة وشمالها وأفاد فيه بعض الفائدة الا أن الكثير قد فاته ذكره ، .

على أننا نحمد له صنيعة هذا لسببين :

أولهما : أنه من سكان الجنوب ، وأن وسائل التنقل والأسفار أيامه انما كانت ظهور الابل أو بطون الأقدام .

وثانيهما : أن أحدا لم يكتب عن وصف الجزيرة أصدق وأصح مما كتب «الهمدانى» وكان حسنا من مثقفى هذا العصر من أبناء الجزيرة

أن يتموا ما بدأه الهمداني وأن يصححوا ما وقع فيه أرباب المعاجم من أخطاء ، كان مصدرها الاعتماد على الرواه .

لقد كتب ياقوت معجمه وهو في «فارس» وكتب البكري معجم ما استعجم وهو في «الأندلس» ، وكتب لغدة الأصفهاني كتابه بلاد العرب وهو في «أصفهان» ، ومن الظلم والجور أن نطالبهم بأكثر مما أتوا به ، وأن نشتم في لومهم على ما وقعوا فيه من خطأ أو التباس ، ولقد تخلف أبناء الجزيرة المتأخرون عن أداء واجبهم في هذا ، ولا ينفي التقصير عنهم أن هذا اللون من البحث والتحقيق ، يحتاج الى صفات وقدرات خاصة ، كما أشار الى ذلك الشيخ عبدالله بن خميس (١) ، أذ يرد هذا أنهم حين تنبهوا لذلك ، وأخذوا بأسبابه وجدوا في العمل ، أخرجوا لنا من البحوث والتحقيقات ما يعد فريدا من نوعه (٢) ، ولعلمهم بعد أيام قليلة يلمون شمل هذه البحوث ويضعون بين أيدينا ، المعجم الجغرافي الكامل لجزيرة العرب .

من الذي نبه الأذهان وفتح الباب لمثل هذه البحوث ؟ :

في عام (١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م) . والسنوات التي تليها ، نشر الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد - أحد علماء جزيرة العرب - بحوثا في بعض صحفها الصادرة في «مكة المكرمة» وكانت تلك البحوث في

(١) حيث قال في تقديمه لكتاب ابن بليهد المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت امكنته وبقاعه) :

(والجزيرة ليست خلاء من الأدباء والباحثين ، الذين لهم اليد الطولى في كل فن من الفنون ، ولكن المسألة ليست مسألة بحث وكتابة ومقارنة وتحقيق فحسب ، ولكنها مع ذلك تحتاج الى عوامل وأسباب قل أن تتوفر في شخص من الأشخاص)

(٢) انظر مجلة العرب التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر ، فلقد عنيت منذ تأسيسها بهذا الميدان ، ونشرت فيها بحوث كثيرة لعدد من الكتاب ، تحت عنوان «المعجم الجغرافي للبلاد السعودية» ، وما زالت تواصل نشر هذه البحوث .

تحقيق الأماكن والبقاع الواردة فى المعلقات الجاهلية ، كما نشر فى السنة نفسها بحثا عن تحقيق موقع سوق عكاظ ، أكبر الأسواق العربية وأجمعها وأهمها فى الجاهلية وصدر الاسلام .

وفى عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) نشر كتابا سماه (صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار) فى خمسة أجزاء، اثنان منها عما ورد فى أشعار العرب من أماكن وبقاع ، والثلاثة الباقية منها تعقيبات واستدراكات على أرباب المعاجم وبخاصة معجمى : ياقوت والبكرى .

وفى عام (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م) نشر كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني) بعد أن قام بتحقيقه .

وفى عام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) أملى كتابة المخطوط (ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) الذى تدور مادته حول ما تشابهت أسماؤه من الأمكنة والبقاع ، ففتح بذلك الباب للباحثين .

ذلكم هو الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ، العالم الشاعر والرحالة المحقق الذى قال عنه الأستاذ عبد العزيز الرفاعى (١) .

(فى مستهل نهضة المملكة العربية السعودية ، والتفات العالم العربى وغير العربى الى بوادر التطور الاجتماعى والحضارى فى المملكة ... كان هناك تطلع ملح الى من يتولى تعريف تلك المنازل والديار والمعالم الى علماء الأدب ودارسيه .

(١) ولد عام (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م) بمكة المكرمة وبها نشأ وتعلم ، حتى تخرج فى المعهد السعودى بها ، ثم تقلب فى الوظائف الحكومية الى أن صار مستشارا بمجلس الوزراء ، وهو فى الطليعة من أدباء البلاد ومفكرها ، وله نشاط فكرى وعلاقات اجتماعية طيبة .

لقد تولى هذه المهمة الكبيرة رائد من أهل هذه البلاد . . خبير بها، ولكن . . لابد أن يكون هذا الخبير ذا حاسة أدبية ، فلو افتقد هذه الحاسة ، لما استطاع أن يساير هؤلاء الشعراء في أوصافهم ولا أن يستشف مقاصدهم .

ولابد أيضا أن يكون واسع الاطلاع على الشعر العربي بعامة والشعر الجاهلي بخاصة .

ولابد أيضا أن يكون ذا جلد وصبر ، وله دربة على أمتطاء ظهور النياق ، والانسياح في الصحارى، واحتمال جفاف الحياة بها، وانقطاع الماء والشجر ، وقلة الأنيس والرفيق ، وهجوم الحر والقر ، وأخطار الذئب والأفاعى وكان الشيخ محمد بن بليهد مهياً لكل ذلك ، لتوفر كل تلك المميزات فيه .

ولقد توفرت له ظروف وامكانات ساعدته على بلوغ هدفه . . . فاضطلع بمهمته اضطلاعاً جيداً ، سيظل يذكره له التاريخ بالاعجاب والتقدير (١)

سبب اختيار هذا الموضوع :

ولقد غفلت الأقاليم السعودية عن هذا العالم وآثاره ، فلم توله من الاهتمام ما هو به جدير ، كما لم يجد من الاخوة العرب أدنى اهتمام اللهم الا اشارات حظى باكثر منها من لا شأن له ، وتكاد تنحصر في سطور معدودة في مجلة «الأديب اللبنانية» (٢) حين توفي في لبنان ، ونقلها عنها عمر رضا كحالة (٣) .

(١) من مقال طويل بعث به الى .

(٢) السنة السابعة عشرة - العدد ٤ صفحة ٧٨ .

(٣) معجم المؤلفين ١٠ : ٢٠٥ - دار احياء التراث العربى - بيروت .

وكان لزاما على وقد اقتنعت بأهمية الدور الكبير ، الذى قام به هذا الرجل في مؤلفاته ، أن أعمل على كشف أستار الاهیال عن تلكم الأسفار ، وأن أنفض عنها غبار النسیان ، وأن أجلو محاسنها أمام أبصار الباحثین .

وشغلتنى عنه أمور ، ومرت أعوام ، فوجدتنى أفتش عن موضوع لأطروحتى ، فكان من بین الموضوعات التى كنت أفاضل بینها، فوجدته أولى بالتقديم وأحرى بالاهتمام لما أسلفت من أسباب ، ثم أن الباحث عن طریق دراسته للرجل وتراثه ، يستطيع أن يعطى صورة صحيحة لأدب «الحجاز ونجد» فى تلك الفترة التى عاشها ابن بليهد .

لكنى لم أكد أشرع فى الدراسة ، حتى فجأتنى صعوبات جمة كنت أنتقل فیها من واحدة لأخرى ، حتى ذل لى عصيها وانقاد نافرها ، وما تم لى ذلك الا بعد جهد ومشقة وصبر ومعاناة ، وتجشم أسفار ومرى أفكار ، كان بعضها شحيحا ، وقليل منها الدار .

فلقد تنقلت فى ذلك بین القاهرة والرياض ومدن الحجاز ، وطال مقامى فى المكتبات وكثر تردادى على مزامنيه من الخاصة والعامه ، بحثا عما طوى من آثاره ، أو نشر فى الصحف والمجلات ، وصورت جملة من صفحات صحيفة «أم القرى» ومجلة «المنهل» الى جانب تصوير كتاب (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) لابن بليهد ، ثم الكثير من الأوراق المخطوطة المتصلة بآثار صاحبنا عثرت عليها هنا وهناك ، وان كان جلها من لدن ابنه عبدالله ، والكثير تصيدته من الأفواه ومن خزائن اخرين ، كان لهم الفضل فى اكتمال مادة هذا البحث ، فشكرا لهم بعد الله .

على أنى لم أكتف من التصوير بما لم يكن عندى ، وانما صورت كل ما عثرت عليه منشورا أو مخطوطا من آثاره ، وقابلته بما تحت يدى مما هو مطبوع ، حتى أخرج من ذلك بصورة أوضح عن الرجل وأساليبه في الكتابة والنظم ، وفي ذلك عون للباحث ، وفتح نوافذ يطل من خلالها على الكثير من مستور أحوال الشخصية التى يدرسها •

ولقد طال تفتيشى عن أخبار الرجل وآثاره ، فقرئ لى المئات من الكتب ، وكثير من الصحف والمجلات ، دون أن يجد الكلال ولا الملل الى سبيلا ، حتى ظفرت بما لا مطمع وراءه - فى ظنى - لباحث •

ومن هنا اتجهت الى تصنيف ما وجدت ، ثم دراسته مسلوكا فى النظام التالى •

قسمت البحث الى خمسة أبواب :

الباب الأول : البيئة العامة والخاصة للرجل •

الباب الثانى : آثاره •

الباب الثالث : عرض عام لشعره وأغراضه •

الباب الرابع : قصائد موازنة ومحللة •

الباب الخامس : شعر ابن بليهد بين الاصاله والتقليد •

وهذا يعنى أنى خصصت شعره الفصيح ، بثلاثة أبواب من مجموع أبواب البحث الخمسة ، وذلك لانه يمثل الجانب الأغلب والأهم فى تراثه الأدبى

الباب الاول تحدثت فيه عن «البيئة السياسية والفكرية والاجتماعية وذلك فى فصول ثلاثة أوضحت فيها مدى ارتباط الرجل ببيئته ومجتمعه وتأثره بهما وتأثيره فيهما ، وهذا أمر يكاد أن يكون طبعيا

لدى كل أديب أصيل أتبعته بعد ذلك بالفصل الرابع فى هذا الباب ، وهو عن حياة ابن بليهد مشتملا على مولده ونشأته ودراسته ورحلاته وأعماله وأسرتة ومعيشته ، وذلك فى حديث جلا حياة الرجل تجلية ما أظن أن وراءها مطمع لباحث .

والباب الثانى «مؤلفات ابن بليهد وآثاره» وفيه سبعة فصول :

تحدثت فى الثلاثة الأولى منها عن مؤلفيه (صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار) و (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) ، وهو مخطوط ، ثم تحقيقه كتاب (صفة جزيرة العرب للهمدانى) .

وفى الفصل الرابع من هذا الباب وقفت عند الأماكن التى أطال ابن بليهد عندها الوقوف ، ففصلت الحديث نوع تفصيل عن سوق عكاظ واكتشافه ، وتنازع السبق فى ذلك بين حمد الجاسر وابن بليهد وعبد الوهاب عزام وذلك لكثرة ما دار حول هذا الأمر من جدل .

وفى الفصل الخامس أوردت فى ايجاز بعض ملاحظاتى على مؤلفات ابن بليهد وآراء معاصريه فيها .

وفى الفصل السادس تحدثت عن النشر العلمى والأدبى عنده ، فجلوت معارض فنه فى نشره العلمى والانشائى ، ثم ختمت هذا الباب بفصل سابع أفردته للحديث عن شعره العامى ، باعتبار أنه أثر من آثاره ، وأنه كان أحد مجالات فكره ، ومهدت لهذا الفصل بحديث مجمل عن الشعر العامى فى جزيرة العرب ، ثم جست خلال قصائده العامية ما نشر منها وما وجدته مما لم ينشر ، فى دراسة مفصلة عن أغراضه وأساليبه وأفكاره وعرضت من النماذج ما يعطى أوضح صورة عن فنه فى هذا الميدان ، وختمته بعرض عام لمختاراته العامية الملحقة بديوانه المطبوع .

والباب الثالث (عرض عام لشعره وأغراضه) وفيه فصلان :

أولهما : عرض عام للديوان وما عثرت عليه من شعره الذى لم يحوه الديوان .

وثانيهما : فيه تفصيل لأغراض شعره ، أوضحت فيه أنه كان فى مدحه وهجائه ، يسير وفق المنهج الذى اصطفاه الناقدون العرب من تقديم المعنويات على الحسيات كما أنه كان فى غزله عفيفا .

وفى هذا الفصل تفصيل لجميع الأغراض التى طرقها بشعره، وأهمها:

وأهمها : المدح ، والسياسة ، والهجاء والرتاء، والغزل والوصف .
الباب الرابع أفردته لعرض نماذج من قصائده ، وفيه فصلان :

الأول : موازنات وازنت فيها بينه وبين بعض الشعراء كما وازنت فيه بين قصيدتين غزليتين لابن بليهد نفسه نظم ، أحدهما على لسان عساف بن منصور .

والثانى : تحليل لبعض القصائد التى اخترتها لتمثل أطوار شعره وأغراضه .

والباب الخامس وهو الأخير عنونت له (شعر ابن بليهد بين الأصالة والتقليد) وفيه أربعة فصول :

الأول : تأثر ابن بليهد بغيره من الشعراء ، وفيه أوضحت مقدار تأثر ابن بليهد بالشعراء الأقدمين وما قد يعد أخذاً من أشعارهم، ورجحت أنه لم يكن يتعمد الأخذ وإنما نشأ ذلك مما علق لسانه من محفوظه ، فدخل فى شعره دون قصد .

والثانى : وقفة مع ابن بليهد وفيه عرضت لما يمكن أن يؤخذ به شعره فقابلت بين ما عثرت عليه من شعره منشورا فى غير الديوان بما فى الديوان فوجدت بعض الاختلاف الناشئ - حسب ظنى - من اعادته النظر فى شعره فحصرت أماكن الاختلاف فى نقاط أوضحت فيها رأى فيه ، وهل أصاب أم أخطأ ، ثم ألمعت الى شئ من الأخطاء العروضية واللغوية ، استكمالا للبحث واتماما لعقد نظامه .

والثالث : عرضت فيه للشكل والمضمون ، والصورة الأدبية، والطبع والصنعة عنده .

أما الفصل الرابع فهو عن الخصائص العامة لشعره ، معضدا فيه قولى بإيراد جملة من آراء معاصريه سبقت استخلاص الخصائص .

ثم أتبع ذلك بخاتمة ، أوضحت فيها جدوى بحثنا هذا ، وما سيضيفه من اضافة حسنة أن شاء الله الى المكتبة العربية .

ثم ارتأيت - اتماما للفائدة ، وجمعا لما لم يحوه الديوان من شعر ابن بليهد - أن أذيل هذا البحث بملحق ألم فيه شتات ذلك الشعر الذى لم يحوه الديوان ، فأثبت فى هذا الملحق كل ما عثرت عليه من شعره الفصيح ، الذى جمعته من صحيفة «أم القرى» ومن بعض أصدقائه ومحبيه شعره فى جزيرة العرب ومصر .

وأود أن أنبه هنا الى أن مقطوعتين مما حواه هذا الملحق ، لم تردا على ، الا فى أخريات أيام نسخ هذا البحث ، ولذا لم يشتمل عليهما العرض الذى كان فى الباب الثالث .

والمقطوعتان هما : (ألا ليت شعرى)، (يالائح البرق) .

ثم أتبع ذلك بفهارس أربعة : للموضوعات ، والأعلام ، والأماكن
والمراجع والمصادر .

وبهذا ختمت هذه الصحبة لابن بليهد فى هذا البحث .
وكانت بداية صحبتى لابن بليهد عام (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) ،
حين كنت أكتب فى مجلة «الجزيرة» تحت عنوان «شعراء مغمورون» فلقد
وجدت كتابه «صحيح الأخبار» خير عون لى على تحديد منازلهم
والأماكن الواردة فى أشعارهم ، وازدادت صلتى به أكثر عندما شرعت
فى تقديم سلسلة من المحاضرات عن الأدب الحديث فى نجد ، وخصصته
فى كتابى «الأدب الحديث فى نجد» باثنتى عشرة صفحة ، وتوجت تلك
الصحبة باتخاذها موضوعا لاطروحتى هذه ، التى أرجو من البارى -
تبارك وتعالى - أن يجعل عملى فيها خالصا لوجهه ، أذ أنى انما توخيت
به خدمة لغة القرآن الكريم ، ولسان العرب الذى به نزل من رب العالمين
على رسوله ونبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ولا يفوتنى وأنا أختم القول فى هذه المقدمة ، أن أرفع الى مقام
أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود - عميد كلية
اللغة العربية بالمنصورة - جزيل الشكر والثناء ، على ما قدم لى من
عون وارشاد وتوجيه ، كان نبراسى الوضاء فى طريق هذا البحث الشاق
الطويل ، وما بسط لى من أكناف مجلسه وأخلاقه ، وما عاناه من قراءة
ومتابعة لهذا البحث حتى ظهر - بحمد الله - فى هذه الصورة المشرقة
المرضية ، جزاء الله عنى وعن رواد البحث والمعرفة خير الجزاء وبالله
التوفيق .

على أنى أود أن أنبه هنا الى أن الأمراء الذين مدحهم ابن بليهد -
الى جانب مدحه للملك عبد العزيز (١) - هم أبناؤه الملوك الثلاثة .

سعود (٢) ، وفيصل (٣) ، وخالد (٤) وسنشير الى كل منهم
بلقبه (الأمير) الذى كان عليه عند نظم الشعر فيه ، وما توفيقى الا
بالله عليه توكلت واليه أنيب .

منيل الروضة بالقاهرة الدكتور

محمد بن سعد بن حسين
فى غرة رجب سنة ١٣٩٨ هـ
الموافق ٦ يونيو سنة ١٩٧٨ م .

-
- (١) الملك عبد العزيز ولد فى أواخر القرن الثالث عشر هجرى بالرياض ، وخرج منها
بصحبة أبيه سنة (١٣٠٨ - ١٨٩٠ م) .
قصد الرياض عاصمة ملك أبيائه فى رهط من أعوانه فاستنقذها سنة (٣١٩ -
١٩٠١ م) . من أمير آل رشيد عليها ، ثم بدأ يمد سلطانه على البلاد حتى تمكن
من توحيد أجزاء المملكة فى وضعها الحالى سنة (١٣٥١ هـ - ٣٢ وتوفى فى ٦
ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م - رحمه الله - بعد حكم امتد أربعة وخمسين
عاماً .
- (٢) الملك سعود من عام (١٣١٩ هـ ١٩٠١ م) الى (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .
تولى العهد (سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م) ، ثم تولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة
١٣٧٣ هـ - سنة ١٩٥٣ م) - الى أن نحي عنه (سنة ١٣٨٥ هـ - سنة ١٩٦٥ م) .
- (٣) الملك فيصل من (سنة ١٣٢٤ هـ - سنة ١٩٠٦ م) الى (سنة ١٣٩٥ هـ - سنة
١٩٧٥ م) .
- عين نائباً لأبيه على الحجاز (سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م) . ثم ولى العهد بعد
وفاة أبيه (سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م) . وتولى الملك (سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م)
- (٤) الملك خالد - من (سنة ١٣٣٢ هـ - سنة ١٩١٣ م) .
ولى العهد (سنة ١٣٨٥ هـ - سنة ١٩٦٥ م) ثم تولى الملك (سنة ١٣٩٥ هـ -
١٩٧٥ م) .

الباب الأول

● البيئة العامة ●

الفصل الأول : البيئة السياسية

الفصل الثاني : البيئة الثقافية والفكرية

الفصل الثالث : البيئة الاجتماعية

● البيئة الخاصة ●

الفصل الرابع : حياة ابن بليهد

توطئة :

كانت البيئة التى نشأ فيها محمد بن بليهد بيئة عربية ، صرفة ذات طابع قديم ، بل انها موعلة فى القدم ، حتى لا تكاد ترى فيها من ملامح العصور العربية الاسلامية ، الا ما يتصل بالدين من العبادات والمعاملات

أما العادات فهى بالجاهلية الصق ، ولو بحثنا عن أسباب ذلك لوجدناها كامنة فى العزلة التى عاشتها جزيرة العرب من أيام العباسيين الى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة تقريبا باستثناء (مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة) على أن الأتراك قد فرضوا على هذه المدن أيضا نوعا من العزلة بالحصار الذى ضربوه حولها بفرض : اللغة التركية ، والتعليم التركى على البلاد ، الأمر الذى ترك آثاره واضحة فى الأدب حتى الشعبى منه كقول بدوى شاعر الأشراف :

خدامكم ما عاد يملك ولا (بير) (فرانسه) فى الجيب أو فى المخابير
ياكود (أكى) قروش أو (انفركسير) حلفت مالى غيرها رأس مال (١)

ثم تقلص الحكم العثمانى ، وظلت جزيرة العرب يحكمها أمراؤها الذين لم يحاولوا الاتصال بالعالم الخارجى ، اللهم الا فى بعض الأحوال الدفاعية ، كما فعل حكام «الحجاز فى اتصالهم بالانجليز ، وآل رشيد فى اتصالهم بالأتراك ، والاستعانة بهم على ابن سعود .

أما جيوش محمد على فلم يكن لها من الأثر ما يستحق الذكر ، اذ كانت حملات عسكرية جاءت الى هذه البلاد ، لأهداف عسكرية وسياسية

(١) فرانسه : جمع فرانسى ، والمقصود به ، الريال الفرنسى .
أما باقى الكلمات التى فى الاقواس فأسماء عملات والفاظ حسبة فى اللغة التركية
وأما مخابير فهى الخزائن .

وانتهى أمرها بانتهاء مهمتها ، وهى القضاء على دولة آل سعود ، التى كانوا يسمونها (الوهابية) نسبة الى الامام محمد بن عبد الوهاب .

من هنا كان التقليد والمحاكاة أحلى سمات أدب هذه البلاد ، حتى بدأت تخرج من عزلتها ، وتطل على الحياة الجديدة المعاصرة — من نافذتين : الأولى الرجوع الى تراث الآباء والأجداد الذى بدأت تنشره وتحبيه المطابع فى مصر . والثانية : الاطلاع على ما دبجته أقلام المفكرين ورجال الثقافة فى مصر والشام . وانما تم لهم ذلك عندما أطمأنوا وأخذوا بأسباب الاستقرار بعد أن قامت فى البلاد دولة واحدة عام (١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م) .

وفى مجال علوم الدين واللغة ، والعلوم العامة ، فان العلماء من أهل عصر ابن بليهد قد قصرُوا اهتمامهم على كتب : التفسير ، والحديث ، والفقه والتوحيد وشيء من التاريخ ، ولا شيء بعد هذا يستحق الذكر . فالبيئة الفكرية لذلك العصر كانت لا يعنىها من علوم العربية الا ما يراه العلماء ضروريا لفهم مسائل الدين . وهذا الضرورى : هو علم النحو والتصريف .

أما ما عدا ذلك فعلم مكملة لا حاجة ماسة اليها ، ولذا ندر فيهم الناظر فى علم اللغة ، والبلاغة ، والأدب ، والعروض ، أما الفلسفة والمنطق فحرام ، ويجب الابتعاد عنهما ، وأما الحساب فيكفى منه ما يحقق الوصول الى معرفة الميراث وأحوال الزراعة ، وأما العلوم الأخرى كالهندسة والجغرافية ونحوها ، فانها علوم لا تدعو الحاجة اليها حسبما يرون .

ومن هنا نجد أن اتجاه ابن بليهد الى دراسة الأماكن الواردة فى أشعار العرب ، كان اتجاها غريبا على بيئته ومجتمعه ، فهو دال دلالة

قاطعة على أن لهذا الرجل عقلية خرجت عن محدود بيئته الفكرية الى ميدان لم تعهده هذه البيئة .

صحيح أن بعض الدراسات الأدبية الضيئلة قد صدرت أذ ذاك فى الحجاز ، لكنها من ناحية لا تتجاوز كتابين أو ثلاثة (١) ، ومن ناحية أخرى ما كانت الا تراجم ومختارات فهى ضيئلة فى كمها وكيفها .

(١) مثل «من وحى الصحراء» جمع الأدبيين محمد سعيد عبد المقصود، وعبدالله بالخير ط عيسى الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥ . (والمرضى) محمد سرور الصبان ط العربية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ ، أدب الحجاز . محمد سرور الصبان ط بمصر سنة ١٩٤٦ م .

الفصل الأول

البيئة السياسية

كانت جزيرة العرب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري - أول القرن الثامن عشر الميلادي - قد عادت الى جاهليتها الأولى ، حيث أصبحت خلاء من الاسلام ، الا من بعض مظاهره الشكلية ، التسي لا تسمن ولا تغنى من جوع .

ولم تكن البلاد المجاورة لجزيرة العرب بأحسن منها حالا ، بل أن أكثر بلدان العالم الاسلامي كانت أسوأ حالا ، فلقد أصبح المسلمون فى جميع أقطارهم يعيشون في اضطراب وقلق اجتماعى وسياسى ، فاشتدت الحاجة الى مصلح حكيم أمين ، ليجدد لهذه الأمة دينها ، وينظم أحوالها تنظيمًا محكمًا مبنيًا على أساس متين من الحكمة والحنكة والاخلاص .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هو ذلك المجدد المنتظر ، فلقد قام عام (١١٥٥ هـ - ١٧٤٢م) - فى بلدة «العينية» مسقط رأسه على المشهور - بأول ثورة اسلامية عربية فى تاريخ النهضة العربية الحديثة ، فكان بذلك أول زعيم اسلامى عربى ، قاد أول ثورة اسلامية عربية ، ضد الجهل والفساد بأنواعهما .

وكان الأمير عثمان بن معمر أول مناصر للدعوة ، وأول من باشر مع الامام ازالة معالم الوثنية من أشجار وقباب ، حتى كاد يفوز براية النصر والزعامة ، لولا أنه فضل العاجل على الآجل ! فأخرج الشيخ من

(العينية) مطرودا ، بل لقد حاول قتله الا أن الله أبطل كيده ، فوصل الامام الى (الدرعية) وكان ما كان من أمر اتفاقه مع الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية ، فنصبت راية الجهاد ، وأخذ المؤيدون يتوافدون من كل مكان فلما أحسوا من أنفسهم القوة ساروا يقودهم الأمير لقتال المعاندين .

وكان من الد الخصوم وأصلبهم أمير الرياض ، دهام بن دواس - الذى استمرت الحرب بينهم وبينه ثلاثين عاما، انتهت على يد الأمير عبد العزيز بن الامام محمد بن سعود ، الذى كان يتولى قيادة الجيوش - المجاهدة في حياة أبيه ، وعلى يده بدأ نشر الدعوة عمليا ، وقد بويع بالامامة بعد وفاة أبيه عام (١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م) ، فواصل الجهاد بهمة عالية وعزم أكيد ، حتى أقتطع كثيرا من البلدان وقضى على ذلك الخصم العنيد (دهام بن دواس) .

وفى آخر حياة الامام عبد العزيز صار أمر الجيش الى ابنه البطل سعود الذى أوغل بجيوشه فى أقاصى البلاد فى كل اتجاه ، حتى لقد دخل كربلاء فى العراق فى حياة أبيه عام (١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م) وهدم ما هنالك من «القباب» فكانت تلك الغزوة سببا فى قتل أبيه ، وهو يصلى العصر فى الجامع فى (الدرعية) عام (١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م) ، فبويع ابنه سعود الأول بالامامة فى السنة نفسها ،

أما الامام محمد بن عبد الوهاب ، فقد أقام فى الدرعية يعلم الناس ونفح الأمراء بنصائحه وتوجيهاته الى أن توفى - رحمه الله - فى أيام الامام عبد العزيز عام (١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م) ، فقدم الى ربة قرير العين بعد أن نبه العالم العربى والاسلامى من غفوته ، وأرشده الى طريق الحق والصراط السوى ، فجزاه الله خير ما يجزى به الصالحين والمصلحين .

وقد توفي الامام الكبير سعود بن عبد العزيز عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) وبانتهاء عهد ذلك البطل العظيم انتهت أزهى فترات الدعوة في عصورها الأولى ، وبدأت فترات سادت فيها الفوضى والاضطراب ، فعادت البلاد الى التمزق .

- (فنجد) وما حولها يتنافس على حكمها : ال سعود ، وال رشيد .
- والحجاز يحكمه : الأشراف ، والادارسة : يسيطرون في الجنوب ، .

وتركيا تفتصب السواحل واحدا بعد آخر ، وتحاول احكام قبضتها على بلاد العرب ، وبخاصة الديار المقدسة ، لأن آمالها في قيادة العالم الاسلامي انما تدعم بذلك .

وظلت البلاد تعيش حياة رهيبة ، كلها تمزق وانقسام ، وفوضى وانحلال ، وسلب ونهب ، وعدم للامن والاستقرار .

والواقع أن تلك الحروب ، التي قامت في جزيرة العرب ، وفي الكثير من بلاد العرب خارج الجزيرة ، انما يقع وزرها على الأتراك ، وذلك تاريخيا معروف .

وقد عاد «تركي بن عبدالله» ، الذي فرالى (الخرج) ليستنقذ البلاد من جديد ، ولكنه قتل بيد ابن عمه (مشاري) الذي قتله «فيصل بن تركي» انتقاما لأبيه ، فتولى حكم البلاد ، وبحكمه بدأت فترة جديدة لتاريخ البلاد وكان فيصل ذا حكمة ودهاء وكرم وعفة وتورع عن سفك الدم ولذلك كان محبوبا مطاعا في أمته ، فاجتمعوا تحت رئاسته وجمعتهم كلمته ، الا أن الجيوش التركية جددت حملتها على السعوديين ، وأتت «بغالد بن سعود» ليحكم البلاد وذهبت بفيصل أسيرا الا أنه عاد بعد ذلك فاسترجع البلاد وحكمها حكما مستقرا زهاء أربعة وعشرين عاما .

وبعد وفاته اضطرب زمام الأمن ، وتمزقت دولة آل سعود وصار بعضهم يقتل بعضا على الحكم ، ثم نازعهم آل رشيد على ذلك ، واستقل هؤلاء بالبلاد فترة طمست بعدها تلك الحقبة المظلمة بقيام الموحد الكبير لأجزاء المملكة العربية الحديثة - الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن .

ولم تكن البلاد العربية والاسلامية المجاورة بأحسن حالا من جزيرة العرب كان لكل منها نصيب من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وشيوع الجرائم والمفاسد .

فمصر كان الصراع بينها وبين الاستعمار الانجليزي على أشده وبلاد الشام كانت فى صراع مع الأتراك ، ثم الفرنسيين .
والعراق كان فى صراع أيضا مع الاتراك ، ثم الانجليز .

فالعصر الذى نشأ فيه الشاعر كان عصر فوضى واضطراب ، كما أن هذا العصر نفسه قد شهد الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية ، وهما من أمر وأفظع الحروب التى حلت بالبشرية ، وجرت عليها كثيرا من الخراب والدمار ، الذى ما زالت آثاره مشهودة فى كثير من الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، فلقد تمزقت الدول وتبددت الأسر والمجتمعات ، ثم تطورت الأوضاع الدفاعية ، التى أنجبت سباق التسلح والتفنن فى ابتكار وسائل الدمار .

عاش شاعرنا هذا العصر مره وحلوه . . ان كان فيه حلو . . ! فهل تركت أحداث عصره (بصماتها) على ما كتب من شعر ونثر ، وما مبلغ ذلك الأثر ان وجد ؟ .

ذلك ما سنعرفه فيما يأتى من بحثنا هذا ان شاء الله .

ثم عاش ابن بليهد عصرا كله أمن واستقرار ، اجتمع فيه شمل الأخوة واتحدت فيه أنحاء المملكة فى شكلها القائم الان .

أحداث المجتمع من خلال شعر ابن بليهد :

وفي تتبعنا لشعر ابن بليهد ، نجد أنه سائر بشعره أهم الأحداث في مجتمعه ، خاصة ما يتصل منها بالملك عبد العزيز وابنية سعود ، وفيصل)

وسنعرض أحداث المملكة العربية السعودية من خلال شعره متنكبين الايضاح ، وتفصيل الأحداث ، لكون ذلك التفصيل ليس مهمتنا الآن .

(١) ولكون ابن بليهد لم ينظم الشعر الفصيح الا في عام (١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م) فان أول حادثة سجلها في شعره كانت موقعة (تربة) التي وقعت بين جيش الشريف حسين ، وجيش الملك عبد العزيز في العام نفسه وانتصر فيها الجيش السعودي ، فنظم الشاعر في ذلك ثلاث قصائد :

أ - في مدح الملك عبد العزيز ومطلعها :

تغير رسم الدار أصبح خاليسا
فليس بها حى يجيب المناديا

ب - في مدح الملك عبد العزيز ومطلعها :

بسمر القنا والمرهفات القواضب
تنال العلا والعز أعلى المراتب

ج - في مدح ولي العهد سعود (الملك الأسبق) ومطلعها :

تمسك بتقوى الله أزكى الشعائر
تنال العلى والعز أعلى المفاخر (٣)

(١) ابتسامات الايام لابن بليهد . ص ١٥ . مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٠ هـ

١٩٥٠ م .

(٢) ابتسامات الايام ص : ١٨ .

(٣) ابتسامات الايام ص : ١٣٢ .

٢) وفى عام (١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م) عرض الشاعر لثلاثة أحداث
هـى :

أ - اتفاق الشريف حسين مع ابن رشيد ، وابن صباح على
حرب السعوديين ،

فقال مستنهضا الملك عبد العزيز على الثالث الجديد :
لك الحمد يا من للمحامد مأهل وشكر جزيل والرضا منك أجزل (١)
ب - وبعث الملك عبد العزيز جيشا من أهل (الفطط) - احدى
مستوطنات البادية الجديدة - الى بعض المنشقين من بادية
حرب بزعامة ابن دهيم ناحية (لينة) فقال الشاعر فى ذلك :

عفا رسم الديار فلا يرام
لكل النازلين بها مقام (٢)

ج - وبعث الملك عبد العزيز ابنه سعود ، لقتال بعض القبائل
الشمرية بالشعبية من نواحي الجبل ، فقال الشاعر فى
ذلك :

ألا ان جيران العشية راحل
دعتهم دواعى البين والبين طائل (٣)

٣) وفى عام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) عرض ابن بليهد لخمس
أحداث :

-
- (١) نفس المرجع السابق ص : ٢١ .
(٢) نفس المرجع السابق ص : ٢٥ .
(٣) نفس المرجع السابق ص : ١٣٦ .

أ - وقعة (الجهرى) التى كانت بين جيش الملك عبد العزيز بقيادة فيصل ابن سلطان الدويش ، وجيش ابن صباح أمير الكويت بقيادة سالم بن مبارك الصباح ، وفيها يقول ابن بليهد فى شهر محرم :

دع الركاب تجوب البيد والمدرا
منها القنود وقد نقضى بها الوطرا (١)

ب - ويبعث الملك عبد العزيز الجيوش الى «حائل» فبادر ابن بليهد الى تسجيل ذلك بقوله :

الدار قفر عفاها البين والغير
ريب المنون وشتت شملها القدر (٢)

ج - ويفزو جيش الملك عبد العزيز (الحائط) التابعة للشريف حسين ، ويصالح أهلها الجيش بوساطة ابن بليهد فيقول فى ذلك :

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب (٣)

د - ويهجم أمير حائل الجديد محمد بن طلال بلد «الروضة» التابعة للملك عبد العزيز ، فيقتل من بها من جند ويرجع بالغنائم الى حائل ، فيستثير ذلك الشاعر ، فينظم قصيدة يحرض فيها الملك على قتال ابن رشيد ، مطلعها :

(١) ابتسامات الأيام ص : ٢٨ .
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٣٢ .
(٣) المرجع السابق ص : ٣٩ .

الخيـل ما حبست سبتا ولا أحدا
والله ما عذرت عند الوغى أحدا (١)

هـ - وفي هذا العام توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد
الرحمن آل الشيخ ، فيتألم الشاعر وينظم فى ذلك قصيدتين
يرثى بهما ذلك العالم الجليل ومطلع الأولى :

هل فى اللوى من أناس بعد ما انقسموا
أأنت تعرف رسم الدار بعدهم ؟ (٢)

ومطلع الثانية :

سبحان من جعل الدنيا لأهلـيها
شهدا وقدرته فى الخلق يمضيها (٣)

٤ (وفى عام (١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م) وقعت ثلاثة أحداث أسهم
فيها الشاعر بأربع قصائد :

أ - فقد حاصر الملك عبد العزيز (حائل) وذهب ابن بليهد مع
من ذهب من أهل (الوشم) لمساعدته فى حصارها ، وفى
الطريق نظم ابن بليهد قصيدة مطلعها :

ما أنصفت دمنة فى ربعها قبب
من حين قوض منها الحى وانشعـبوا (٤)

-
- (١) المرجع السابق ص : ٤٤
(٢) المرجع السابق ص : ٢٤٣ .
(٣) المرجع السابق ص : ٢٤٧ .
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٤٨ .

ب - وفتح الملك عبد العزيز حائل وكان الشاعر فى مهمة بعثه ،
فيها الملك عبد العزيز ، وهى جباية الزكاة من قبائل هتيم
« بنخير » وحين بلغه الخبر نظم قصيدة قدمها بين يدي الملك
بعد أن لحق به فى الرياض ، ومطلعها :

لك الحمد ما هب النسيم وما ذرا
وما طلع النجم اليماني وأزهرا (١)

ثم ينظم قصيده ثانية فى الموضوع نفسه يهنئ بها عبدالله
بن جلوى ومطلعها :

قد كان للدهر فى أيامه دول
بها تزلزلت الأمصار والدول (٢)

ج - وفى أثناء الحصار هجم جيش الملك عبد العزيز من بالوقيد
من أتباع ابن رشيد وقضى عليهم ، فقال الشاعر فى ذلك :

لك الحمد ما غنى الحمام وغردا
وما طلع النجم المنير وما بدا (٣)

٥ (وفى عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) بعث الملك عبد العزيز
جيشا بقيادة ابنه فيصل ، لفتح (أبها) وبلاد (عسير) فنجح
الجيش فى مهمته ، فنظم الشاعر فى جمادى الأولى قصيدة مطلعها :
لا يدرك المجد من لا يبذل المالا
ولا ينال ذرا العلياء من قالا (٤)

-
- (١) ابتسامات الايام ص ٥٦ .
(٢) المرجع السابق ص : ٦١ .
(٣) المرجع السابق ص : ٥٢ .
(٤) المرجع السابق ص : ٢١١ .

(٦) وفي عام (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م) مرض الملك عبد العزيز مرضاً شديداً أضجر الناس في بلده ، فلما شفى هنأه الشاعر بقوله :

لك الحمد اللهم ما زجر الرعد
وما طلعت شمس فقد وجب الحمد (١)

(٧) وفي عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) بعد أن فتح جيش الملك عبد العزيز « الطائف » مكة المكرمة نظم الشاعر قصيدتين الأولى في تهنئة الملك عبد العزيز ومدحه ،
وقد نظمها في شهر ربيع ومطلعها :

للحرب عند ثغور الحرب أبطال
وصارم ذكر غضب وعسال (٢)

والثانية : في الرد على أحد الشعراء حين هجا الملك عبد العزيز وجيوشه ، في قصيدة نشرها في رجب في صحيفة بريد الحجاز الصادرة في (جدة) آنذاك ، ومطلع قصيدة ذلك الشاعر :

حدثهم عن بأسنا يا حراب
وأذقهم نكالنا يا عذاب (٣)
أما قصيدة ابن بليهد ، فكانت في الشهر نفسه ومطلعها :

ما أصبتم وما لديكم صواب
بعدهما نص في البريد كتاب (٤)

-
- (١) المرجع السابق ص : ٧٦ .
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٨٢ .
(٣) بريد الحجاز العدد ٢٤ السنة الأولى الأحد ٢١ رجب سنة ١٣٤٣ هـ - ١٥ فبراير سنة ١٩٢٥ م .
(٤) ابتسامات الأيام ص : ٨٦ .

٨) ويبعث الملك عبد العزيز جيشا بقيادة ابنه فيصل الى « جدة »
آخر معاقل الشريف حسين ، فيشدد الجيش السعودي حصاره
على (جدة ، والمدينة المنورة وينبع) ويضيق سكان هذه المدن
ذرعا بذلك الحصار ، فتبعث المدينة الى الملك عبد العزيز طالبة
الأمان ، عارضة التسليم ، ثم تفتح «جدة» ويبايع أهل الحجاز
الملك عبد العزيز في (الحرم المكي) فيسجل الشاعر ذلك كله
بأربع قصائد :

أ- الأولى في حصار : جدة، والمدينة ، وينبع ، في شهر ربيع ومطلعها
دعتك طيبة فانفض وانتبه وجب
سر واجنب الخيل خلف الأيتق النجب (١)

ب - والثانية في مدح قائد الجيش فيصل في شهر جمادى ومطلعها :
لنجلك السعد قبل اليوم مشهود
وفى لواه أطيذ العز معقود (٢)

ج - والثالثة في مدح الملك عبد العزيز وابنه محمد - أمير المدينة
المنورة ، بعد تسليمها ، وقد نظمها في شهر جمادى الثاني ومطلعها
الى طيبة الشهم النبيل تيمما
وحيته بالاقبال لما تقدما (٣)

د - والرابعة في فتح جدة ومبايعة أهل الحجاز للملك في «الحرم
المكي الشريف» في شهر جمادى الثاني ومطلعها :

(١) ابتسامات الايام ص : ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ص : ٢١٥ .
(٣) المرجع السابق ص : ٩٤ .

سر واسأل الרכب هل ینبیک ما سمعا
لما تمزق ضیق العیش وانقشعا (١)

(٩) أ - وفى ٢٠ / ١ / ١٣٤٥ هـ نشرت «أم القرى» قصيدة فى مدح
الملك عبد العزيز لم تذكر مناسبتها ، ولكن سياقها يدل على
أن حدثا وراءها ، وهى مما لم يحوه الديوان ومطلعها :

أنت الامام فما نیل العلا أمم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم (٢)

ب - ويقول فى سفر الأمير سعود الى مصر، وعودته منها فى ربيع
الثانى من هذه السنة :

لك الحمد اللهم ما طلع الفجر
وما بزغت شمس فقد وجب الشکر (٣)

ج - وفى سفر الملك عبد العزيز الى «المدينة المنورة» فى جمادى
الأولى فى هذه السنة قال قصيدة مطلعها :

على المدينة صوب العارض الهطل
أحيا جوانبها بالمدجن الهمل (٤)

د - وفى رجب من هذه السنة نفسها سافر الملك عبد العزيز من
الحجاز الى نجد ، فقال الشاعر قصيدة مطلعها :

-
- (١) ابتسامات الأيام ص : ١٠٠ .
(٢) صحيفة ام القرى العدد ٨٥ فى ٢٠ / ١ / ١٣٤٥ هـ .
(٣) ابتسامات الأيام ص : ١٤٢ .
(٤) المرجع السابق ص : ١٠٤ .

أهاجتك دار أم أهاجك منزل
كأنك بالبين المشت موكل (١)

هـ - ويصل خبر قدوم الملك عبد العزيز من «نجد» الى الحجاز
في شوال من هذه السنة ، فينظم الشاعر قصيدة مطلعها :

أيا عين دارى دمعك المتسكب
فرادى وطال البين للمترقب (٢)

و - ولكن الملك لم يصل الى الحجاز الا في ذى القعدة ، فيستقبله
الشاعر بقصيدة أخرى مطلعها :

أيا صاحبي هل أنت مثلى مولع
الى اللاحب النجدي قم نتطلع (٣)

ز - أما تعيين الأمير فيصل نائبا لابييه على «الحجاز» فإن
الشاعر يحتفل به بقصيدة يبدأ كل بيت فيها بحرف من أسم
فيصل بن عبد العزيز مطلعها :

فتى السعد باد والعيون تراقبه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبه (٤)

١٠) وفي عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م يرصد الشاعر لحدثين هامين :
أ - أحدهما تزعم عبدالله بن فاضل لجيش كبير من بوادى

-
- ١) ابتسامات الأيام ص : ١٠٧ .
 - ٢) المرجع السابق ص : ١١٠ .
 - ٣) ابتسامات الأيام ص : ١٠٢ .
 - ٤) ابتسامات الأيام ص : ٢١٨ .

«الحجاز وتهامة» يسير لمقاتلة جيش الملك عبد العزيز
فيهزم ابن فاضل وجيشه ، فينظم في ذلك الشاعر قصيدة
مطلعها :

ربع سقتك الغوادي في دجى الظلم
وكل أسحم هطال من الديم (١)

ب - وحين توفي الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود والد
الملك عبد العزيز رثاه ابن بليهد بقصيدة مطلعها :

أقلوا بالملامة أو أطيلوا
فما يغنى البكاء ولا العويل (٢)

ج - وتتجمع بعض بوادي نجد في جيش كبير يتزعمه سلطان بن
بجاد ، وفيصل الدويش ، وتلتقى الجموع بجيش الملك عبد
العزيز في «روضة السهلة» بنجد ، وينتصر جيش الملك ،
فيقول الشاعر في ذلك •

متى تسير بنا المهربة النجب
بهن يقضى لأهل الطية الأرب (٣)

(١) وفي عام (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) ينظم الشاعر اربع قصائد :

أ - أولاهها : فى قدوم الأمير سعود بن عبد العزيز الى مكة المكرمة
ومطلعها :

-
- (١) ابتسامات الأيام ص : ١١٢ •
(٢) صحيفة أم القرى • العدد ١٩٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ •
(٣) ابتسامات الأيام ص : ٢١٩ •

طلعت بنجم السعد يا خير وافد
نهنيك يا بن الأكرمين الأمجاد (١)

ب - والثانية ، في تأديب بعض الخارجين على الأمر بزعامة
مقعد بن سعود الدهينة ومطلعها :

أمر قضى حكمه من خالق البشر
اصبر فقد جاءت الأيام بالعبر (٢)

ج - وفي رمضان من العام نفسه نشرت «أم القرى» قصيدة لابن
بليهد في الملك عبد العزيز لم تذكر مناسبتها ، وان دل
سياقها على وجود حدث وراءها ومطلعها :

هناك عند بنى الأملاك مجتمع
به من الناس متبوع ومتبع (٣)

د - والرابعة : في ذكرى جلوس الملك عبد العزيز على عرش
المملكة ومطلعها :

هذا الجلوس به الأمجاد تحتفل
أصغت لهيبته الأسماع والمقل (٤)

(١٢) أ - كما يسجل في عام (١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م) ذكرى جلوس
الملك أيضا بقصيدة مطلعها :

-
- (١) ابتسامات الأيام ص : ١٤٧ .
 - (٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٢٣ .
 - (٣) صحيفة «أم القرى» العدد ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ .
 - (٤) ابتسامات الأيام ص : ٢٢٨ .

أصعد الى المجد لا تستصعب الطرقا
واسبق فان ذرا العليا لمن سبقا (١)

ب - وفي شوال من العام نفسه نشرت «أم القرى» قصيدة في مدح
الملك نحلها ابن بليهد ابن عمه عثمان (٢) ومطلعها :

يا ابن الألى وبنوك الفتية الصيد
تقابل السعد فى مرآك والعيد (٣)

(١٣) فى عام (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م) خطط العدو لحملتين ضد
الحكومة السعودية •

أحدهما : تزحف من الأردن فى الشمال ، والثانية من «صبياء»
فى الجنوب ، وقدر أن تقوم الحملتان فى آن واحد ، لكن قدر
الله أن تختلفا فى موعد الزحف ، فزحفت حملة الشمال بقيادة
حامد بن رفادة ، فى ربيع الثانى ، ولم تزحف حملة الجنوب
التي قادها الحسن الادريسي الا فى شعبان ، فسهل ذلك مهمة
القضاء عليهما ، وقد خص شاعرنا كل واحدة بقصيدة •

أ - فمطلع الأولى التى فى حملة ابن رفادة :

هل للوغى وحمام الموت من شارى

نعم هناك بسفح الواد من شار (٤)

-
- (١) ابتسامات الأيام ص : ٢٣٧ •
(٢) صحيفة أم القرى العدد ٣٢٤ شوال سنة ١٣٤٩ هـ •
(٣) وكان يصنع مثل ذلك كثيراً ومن تلك القصائد التى نحلها ابن بليهد ابن عمه
عثمان هذا ما ضمنه الديوان كالقصيدة السالفة قبل هذه •
(٤) ابتسامات الأيام ص : ١١٥

ب - وأما مطلع قصيدته فى حملة الادريسى فهو :

أقمت فما هذا المقام المحتم

ووخد المطايا فى فضا الأرض أحزم (١)

ج - كما سجل فى السنة نفسها سفر الأمير فيصل الى أوروبا

سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م . ورجوعه منها (سنة ١٣٥١ هـ

١٩٣٢ م بقصيدة مطلعها :

قفا ان هذا الربع مقو جنابه

نسائله عن أهله وجوابه (٢)

(١٤) وفى عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) نظم الشاعر ثلاث قصائد

فى ثلاثة أحداث .

أ - أخذ الملك عبد العزيز البيعة لأبنة سعود بولاية العهد ، فنظم

الشاعر قصيدة مطلعها :

أبسط يميننا نشت فى الجود والكرم

لبيعة عقدت فى الحل والحرم (٣)

ب - وقامت حرب ضارية بين السعودية واليمن انتصرت فيها

الجيش السعودى ، واحتلت «الحديدة» وكثيرا من بلاد

اليمن ، حتى وصلت مشارف «صنعاء» العاصمة ، ثم

انتهت بخضوع اليمن لشروط المصالحة ومطلع القصيدة :

(١) ابتسامات الأيام ص : ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ص : ٢٣٤ .

(٣) المرجع السابق ص : ١٥٠ .

ترقبوا لأسود الغاب والأجـم
سارت من الحل والأخرى من الحرم (١)

جـ - وقدم الأمير فيصل بعد ذلك ، الى الرياض ، فنظم الشاعر
قصيدة مطلعها :

أتعبت نفسك في حل ومرتحل
دعها وربك هذا منتهى الأمل (٢)

(١٥) وفي عام (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) - نظم ثلاث قصائد .

أ - اولاهها : في الصلح بين السعودية واليمن مطلعها :

حط الرحال فهذا سيد العرب
عبد العزيز فما فى النفس من أرب (٣)

ب - والثانية: في مقدم ولى العهد سعود الى مكة المكرمة ومطلعها

بمقدمك الميمون لاح لنا السعد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشد (٤)

جـ - والثالثة : في حادث الاعتداء على الملك عبد العزيز وهو
يطوف بالكعبة المشرفة وهو الاعتداء الذى دبره امام اليمن
يحيى وقام به ثلاثة من اليمنيين ، وفى هذه القصيدة أننى
الشاعر على ولى العهد ، الذى رمى نفسه دون أبيه فى وجه

-
- (١) المرجع السابق ص : ١٥٢ -
(٢) المرجع السابق ص : ٢٣٨ -
(٣) ابتسامات الأيام ص : ١٥٨ -
(٤) نفس المرجع ص : ١٦٢ -

خناجر اليمنيين ، وكاد يموت لولا عناية الله ، ومطلع هذه القصيدة

اليوم تفترق الركبان بالخبر
عن حادث الأمس بين الحجر والحجر (١)
(١٦) وفي عام (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م) .

أ - سافر ولى العهد سعود الى أوروبا ، وعند رجوعه أستقبله

الشاعر في جمادى الأولى بقصيدة مطلعها :
هذا سعود سعود لاح يطلع
على الحجاز فهل للقول مستمع (٢)

ب - كما نظم قصيدة فى آخر هذه السنة ، فى استقبال الملك عبد

العزیز وابنه سعود عند قدومهما الى مكة ومطلعها :
لك الطائر الميمون من متقدم
بيوم حرام فى بلاد محرم (٣)

(١٧) وفي عام (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) .

أ - فى شهر شوال من هذه السنة توفى عالمان هما : إبراهيم بن عبد اللطيف قاضى الوشم ، وعبدالله بن سليمان السيارى قاضى «العرض» فرثاهما بقصيدة مطلعها :

(١) المرجع السابق ص : ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ص : ١٦٥ .
(٣) المرجع السابق ص : ١٢٥ .

أرقت أراعى النجم وانبلج الفجر

أكابد أحزانا يضيق بها الصدر (١)

ب - وفى شهر ذى الحجة هنا الشاعر الأمير فيصل بشفائه
بقصيدة مطلعها :

هنيت بالعيد في البطحاء والحرم

وبالسلامة من سقم ومن ألم (٢)

(١٨) وفى عام (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) • سافر ولى العهد مندوبا
عن الملك ، في حضور تتويج ملك بريطانيا ، ولما عاد في جمادى
الأولى من هذه السنة استقبله الشاعر بقصيدة مطلعها :

المجد والعزة القعساء والنبل

ينالها الجد والتشمير والعمل (٣)

(١٩) وفى عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) • نظم الشاعر قصيدتين :

١ - احداهما : في رثاء الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن
آل فيصل ، الذى توفى في محرم حين انقلبت به سيارته ،
وكان صديقا للشاعر فرثاه بقصيدة مطلعها :

أيا عين جودى بالدموع الرواكد

على الخد منها مستهل وجامد (٤)

(١) ابتسامات الأيام ص : ٢٥١ •

(٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٤١ •

(٣) المرجع السابق ص : ١٦٨ •

(٤) المرجع السابق ص : ٢٥٩ •

ب - والثانية : في توديع الأمير فيصل حين سافر الى أوروبا
فى ذى القعدة من هذا العام ، وهى مما لم يحوه الديوان •
وقد حدثنى ابن عمه سعود بن عبد الرحمن آل بليهد أنها مما
كان يحرص على أن يتضمنه الديوان من شعره غير أنه لم
يعثر عليها حين جمع الديوان •

وفي تتبعى للصحف الصادرة في المملكة عثرت على هذه
القصيدة كاملة في صحيفة «أم القرى» وهى من مطولاته
وأجلى سماتها أنها تحوى حديثاً عن (فلسطين) حاول فيه
رد دعوى اليهود بأن فلسطين موطن أجدادهم ، كما عرض
في اقتضاب تاريخ العرب في البلاد ، أما مطلع هذه القصيدة

فهو :

ياراكب البحر في الروحات والبرك
فى حفظ رب البرايا خالق البشر (١)

ومن الملاحظ هنا أن نظم هذه القصيدة كان قبل قيام «دولة
اسرائيل» بعشر سنين •

(٢٠) وفي عام (١٣٥٩ هـ شهر جمادى الأول - ١٩٤٠ م) توفى ابن
عم الشاعر الشيخ عبدالله السليمان آل بليهد ، فرثاه بقصيدة
مطلعها :

ما بال عينك منها الدمع ينهمر
كأنه جدول أو مدجن مطر (٢)

(١) أم القرى ص ٣ العدد ٧٣٦ الجمعة ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٥٧ هـ - ٢٠ يناير
سنة ١٩٣٨ م •
(٢) ابتسامات الأيام ص : ٢٦١ •

(٢١) وفي عام (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م) أقيم سد في أعلى «مكة المكرمة» لحجز السيول التي باتت تهدد المدينة المقدسة ، وكانت قد جارت عليها أكثر من مرة ، حتى ارتفعت في الحرم المكي الشريف الى باب الكعبة الشريفة وأحدثت أضرارا ، فلما أقيم السد ألقى الشاعر بهذه المناسبة قصيدة مطلعها :

من المقيم بأمر الواحد الأحد
معالم العدل فى الأغوار والنجد (١)

(٢٢) وفي شهر ربيع من عام (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م) توفى الملك عبد العزيز ، فرثاه الشاعر بقصيدة مطلعها :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألفت الحرب والأحداث فى فيها

وهى مما لم يحوه الديوان .

هذه هى الأحداث التاريخية ، والمناسبات الوطنية ، التى أسهم فيها شاعرنا بأدبه الى جانب جهوده ومساهماته العلمية والعملية فى الكثير منها ، رتبناها حسب السنوات التى وقعت فيها .

ومما يلاحظ هنا :

١ - أن معظم شعره الذى ينيف على ثمانين قصيدة فى أحداث تاريخية ، ومناسبات وطنية خلال ثلاث وعشرين قصيدة جلها فى مناسبات خاصة ، وفيها المدح والثناء والشكر .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٣٨ .

٢ - أن شعر الرثاء الذى تبلغ قصائده ثمانى قصائد جلها فى رثاء العلماء ، مما يؤكد ارتباطه بهم ارتباطا روحيا ، بعيدا عن الحياة ومغرياتها

٣ - أن هناك من الأحداث الهامة والمناسبات الوطنية ما فات ابن بليهد تسجيلها ، وذلك ما سنخصه بالصفحات القليلة الآتية .

أحداث ومواقف لم يسهم فيها ابن بليهد

أن المتتبع لشعر ابن بليهد يجده الا قليلا منه يدور حول مناسبات وأحداث قامت في مجتمعه أذ ذاك ، وانه وقف شعره على رصد تلك الأحداث وتسجيلها ، حتى انه بلغ في حرصه على ذلك أن كان يكتب مقدمة يثبت فيها الحدث وتاريخه ، وتاريخ نظم القصيدة ، ولم يند عن ذلك سوى قصائد قلائل أهمل تاريخ نظمها ، ولكنه ذكر مناسباتها فأغنت عن التاريخ ، أو أرشدت اليه كالقصيدة التى نظمها حين أقيم السد بأعلى مكة لحجز السيول عنها وعن الكعبة المشرفة .

ومما يلفت النظر في شعره أنه لم يكن يتجاوز الأحداث المحلية .

فمن تلك الأحداث والمواقف الجليلة التى فاته الاسهام فيها وكان حريا ألا تفوته :

- ١ - المؤتمر الاسلامى الذى دعا اليه الملك عبد العزيز عام (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م) ، وكان الشيخ عبدالله بن سليمان ابن بليهد ابن عم صاحبنا - هو مندوب جلالة الملك عبد العزيز في ذلك المؤتمر ، وكان انعقاده حدثا هاما سجله الكثير من شعراء المملكة أمثال الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوى الشاعر الكبير .

٢ - العين العزيزيه :

كانت مدينة جدة - ثغر البلد الحرام - قبل عام (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م) - تعاني من الظمأ ، وكان سكانها يلجئون إلى الطرق البدائية لحفظ المياه ، كما كان حجاج بيت الله الحرام الوافدون عن طريقها يعانون من الظمأ ما يعانيه الأهالي .

وحين علم الملك عبد العزيز بهذا أمر بجلب الماء لها ، ولم يكن هناك من مورد أقرب من (وادي فاطمة) الذي يبعد عن مدينة جدة بستين كيلو مترا في الشمال الشرقي تقريبا .

وفي غرة محرم عام (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م) - تدفق الماء على مدينة جده من تلك العين ، فأقام سكانها احتفالا أقيمت فيه الخطب والقصائد الكثيرة ، فأين ابن بليهد من ذلك المهرجان ؟ اذ لم نسمع له صوتا على الرغم من متابعتة لأعمال الملك عبد العزيز .

٣ - وتتفجر الحربان العالميتان : الأولى ، ثم الثانية ، فتذوق الشعوب من الأهوال والويلات ما جعلها تعيش في كرب لا تفر منها الا اليها ، كانما كتب عليها أن تكون وقودا لنار أوقدتها شهوات الزعماء ونزواتهم وتجار الحروب ، لكن المملكة السعودية تبقى في معزل عن ذلك الصراع ، فسلمت من ويلاته وأهواله وكربه فحق لشعرائها أن يتغنوا بذلك ، وأن يشيدوا بمثل هذا وقد فعلوا ، فأين أخبار تلك الحربيين عن أذن صاحبنا

٤ - قضية فلسطين : أما قضية فلسطين ، قضية العرب والمسلمين أجمع ، فلم يبق من شعراء العرب من لم يسجلها في شعره ، ولا

أعرف شاعرا من شعراء المملكة كبير أو صغر الا وتشغل
فلسطين من شعره جانبا كبيرا .

وانى لأعجب كثيرا عندما أجد صاحبنا لا يذكرها الا فى
قصيدة واحدة ، هى تلك التى ودع بها الأمير فيصل عند سفره
الى أوروبا عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) .

٥ - وحين أنشئت «دار التوحيد» بالطائف ، ثم كلية الشريعة بمكة
المكرمة لم نجد لابن بليهد فيهما شعرا ، مع أن الشعراء أكثروا
من الاشادة بذلك العمل ، الذى من شأنه بناء العقول وتخريج
جيل جديد يسهم في بناء المجتمع ، على أساس من العلم والمعرفة
والفكر القويم .

٦ - وكشف النفط فى «المملكة السعودية» حدث له خطره وأثره
الكبير ، خاصة فى مثل بلادى ، وكان حريا بابن بليهد أن يشيد
بهذا الاكتشاف ، الذى در ويدر على البلاد الخيرات الكثيرة
ولكنه لم يفعل .

٧ - وبويع الملك سعود بعد وفاة والده عام (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م
كما بويع الأمير فيصل وليا للعهد ، وكان ابن بليهد قد كتب
في مدحهما الكثير ، ولكن لم أجد في تهنئتهما ومدحهما له شيئا
بهذه المناسبة ، ويخامرني شك كبير في أنه لم ينظم في هذه
المناسبة ، ذلك لمدحه لهما سابقا ، ولكون فيصل ولي نعمته بعد
الله ، وقد بعثه على حسابه الى مصر ، ثم الى لبنان للعلاج
ولم يكن ابن بليهد من عدم الوفاء الى حد أن يهمل هذه المناسبة
ثم ان ابن عمه سعود بن عبد الرحمن ذكر أن الكثير من شعره
قد ضاع . ومن جهة أخرى نجد أن قصائده التى سمعنا بها
كقصيدته حين سافر الى لبنان قد ضاعت ولم نعثر لها على أثر .

تلك أحداث فات ابن بليهد تسجيلها ، أوردناها لا على أنها
مأخذ تسمح بالطعن في الشاعر وشاعريته ، وإنما على أنها
أحداث غفل عنها في حينها ، أو أنه لم يفعل بها ، أو لغير ذلك
من الأسباب ، والشاعر ليس مؤرخا إذا فاته تسجيل حدث أخذ
عليه كمطعن ينقص من قدر ما يكتب ، وإنما هو شاعر يسير
خلف مشاعره وانفعالاته ليسجل ما تقوده اليه ، قد يقيم وزنا
لاهتمامات الآخرين بذلك ، وقد لا يفعل ذلك ، ولكنه على أى
حال أسير مشاعره وانفعالاته •

وهذا جوهر الفرق بين الشاعر والمؤرخ تجاه الأحداث ،
فالأول حر في أن يسجلها ، أما الثاني فملزم بتسجيلها جميعا ،
لأنه يكتب تاريخا لا شعرا ، وقد يلتقى الشاعر والمؤرخ إذا
كان الشعر ملحميا أو قصصيا ، لكنه التقاء من زاوية واحدة
هى أصل الحدث ومادته ؟ أما أسلوب معالجته فيختلف جدا
فلكل منهما أسلوبه ولغته وتصوراته وتفسيراته •

الفصل الثاني

البيئة الثقافية والفكرية في عصره

اولا : الشعر : قبل عصر النهضة :

ان من السهل جدا أن يتحدث المرء عن جزيرة العرب - شعرها ،
وشعرائها من أيام الجاهلية الى نهاية العصر الأول من أيام العباسيين -
اذ كانت في تلك العصور منبت الشعر ، ومستوحى الشعراء ومجلى
عرائس الشعر ، ومسرح الفصحى ، الذى نمت وتدرجت فيه ، ثم أوت
اليه حينما هجمتها جيوش اللحن ، فاحتضنتها وصانتها ، حتى تلتفت
منها أفواه الرواة والعلماء ما تلتفت ، ثم أودعت بطون رمال الصحارى
ما تبقى حينما صدف الخاطب الراغب ، وعزف الطالب ، وصار الناس
الى قول ملحون بلسان ملكون .

ومن ذلك التاريخ بدأ الباحثون والدارسون ، يتعاورون ما تركته
أعمال الرواة والجامعين السابقين من تراث لغتنا وأدبنا بالدراسات
والتشخيص والتحليل ، سواء من كان فى عصرنا الحديث من العرب
والمستشرقين ومن كان منهم فى العصور الماضية .

فما على الدارس فى أيامنا الا أن يرجع الى ما دبجته أقلام أولئك ،
فيفرف من معينه ما يشفى غلته ، ويروى ظمأه مما زخرت به كتب
الأدب وتاريخه .

غير أن هناك فترة من تاريخ (نجد) ليست بالقصيرة - أحاط بها الغموض ، واكتنفها الظلام ، من كل جانب ، حتى بدت منبت الفصحى وكأنها من المجاهل التي لم يعمرها الانسان .

وهذه الفترة هي الواقعة ما بين العصر العباسى ، وقيام المصلح الكبير الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشر» .

ومن الطبعى والحال هذه ألا يعرف عن الشعر فى هذه البلاد «نجد» شىء فى تلك الفترة ، ألا أن النفس أبت أن تسلم بموت الشعر فى بلاد هى التى أنجبته وأرضعته لما أمتازت به طبيعتها ، التى طالما صبغت أفصح الشعر فى كل صقع من الارض ، وفى أى زمان قرب أو بعد بابدع الألوان والصور .

وهل أدل على ذلك من أننا لو تتبعنا شعر فحول شعراء العربية فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، لوجدنا أنه لم يخل شعر واحد منهم من ذكر «نجد» كثر أم قل .

فأما من القديم فخذ قول الشاعر الأموى وهو غيضى من فيض :

أخا العريب أما تنفك بارقة
تسمو بطرفى الى ريان أو حضن (١)
أصبو الى أرض نجد وهى نازحة
والقلب مشتمل منى على الحزن
وأسأل الركب عنها والدموع دم
بناظر لم يخط جفنا على وسن
فهل سبيل الى نجد وساكنه
يهز من الف المصرين للظفـن

(١) العريب : تصغير العرب ، وريان وحضن جيلان بنجد .

وكان الشاعر أذ ذاك في «الشام»

أما من الحديث فهذا حافظ ابراهيم مثلاً يقول في مبايعته لتسوقى
بامارة الشعر :

فغن ربوع النيل وأعطف بنظرة
على مساكن النهرين واصدح وأبدع (١)
ولا تنس نجدا انها منبت الهوى
ومرعى المها من سارحات ورتع

فخص «نجدا» ببیت كامل بينما لم يعط غيرها الا شطرا واحدا .

أما في «الحجاز» فان الوضع لم يكن أحسن بكثير ، فقد انحسر ظل
الخلافة عنها ، كما انحسر من قبلها عن «نجد» وغيرها من أنحاء جزيرة
العرب ، وبذلك شاعت الفوضى والاضطراب ، ونزح الطامعون فى
العلم والمال والجاه والسلطان منها الى مركز الخلافة «بغداد» ثم مصر
فاقفرت مجالس الذكر ، وأظلمت زوايا الفكر ، ولم ينته القرن الرابع
للهجرة ، حتى صار الشعر فيها أشبه بالنظم ان لم يكن كذلك ، ونادر
فيها المثقفون ورواة الأدب .

ويرجع اهمال الخلافة فى «بغداد» لجزيرة العرب ، وعدم اهتمامها
بها لسببين رئيسيين :

أولهما : تحول الدول من استعمال أبناء الجزيرة العربية في الجيش
والجند ، الى استخدام الفرس والترك بدلا منهم ، انقيادا للاتجاهات
السياسية ، التى كانت تحكم الخلفاء في ذلك الوقت .

(١) النهران : دجلة والفرات يعنى وادى العراق

والثانى : أن جزيرة العرب لم تكن من الخصب والثراء بحيث يطمع فيها ، بخلاف البلاد الاسلامية المفتوحة «كمصر والشام والعراق» مثلا .
أضف الى ذلك : صعوبة المواصلات ، وبعد الشقة ، ثم سيطرة
الفرس والأتراك على الحكم في البلاد العربية .

وظلت الجزيرة العربية ردحا من الزمن مقفرة الفكر مجدبة الآداب
حتى بدأت تباشير العصر الحديث بقيام الامام محمد بن عبد الوهاب
كما أسلفنا .

«الشعر في عصر النهضة»

عندما نتبين (أهداف دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب ومقاصدها
يظهر لنا واضحا جليا أنها انما قامت من أجل تجديد ملة المصطفى عليه
الصلاة والسلام - وتنظيف الاسلام من رواسب العقول الفاسدة ، التي
تعاورته في عصوره المختلفة منذ بدء الخوض في مسائله في أواخر عهد
بنى أمية الى قيام المصلح الأول محمد بن عبد الوهاب ، فهي انما كانت
تعنى بالجوانب الدينية البحتة لكونها أساس ما قامت الدعوة من أجله ،
فلا ضير عليها اذن ان هى لم تؤثر في الشعر أول الأمر تأثيرا مباشرا .

أضف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثير من العلماء غير مرغوب فيه
بل وبما عده بعضهم من الأمور المزرية بالعالم ، ولعل نشء تلك
النظرة كان مصدره أمور أهمها :

١ - تعريض القرآن الكريم بالشعر في قوله تبارك وتعالى .
(والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون
مالا يفعلون) (١)

(١) الآية ٢٢٤ من سورة الشعراء .

٢- الأثر الوارد : لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلى شعرا . (١)

٣- ان كثيرا ممن طرّقوا سبيل الشعر وامتهنوا القول فيه كانوا من المتطرفين المتساهلين (٢)

لذا نجد كثيرا ما تمثل شعراؤهم بقول الامام الشافعى :
ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد

وتلك كانت نظرة رجال العلم والأخلاق في الشعر ، فلم يكن الشعر عندهم شعورا انسانيا ، ولا نغمات الروح البشرية حين تعرضها للانفعالات المختلفة عندما تتعاورها عوامل : الفرح أو السرور المنبعث من الخير أو الشر ، أو انسيابها وراء الاحساسات التى تتدافع أمام القبح أو الجمال ، عندما يعرض للانسان الشاعر أو يتعرض هو له ، ومن شأن ذلك كله أن يخلق من الشعر عالما رحبا ، بالغ الاتساع ، يعيش فيه شكول من : المعانى ، والأفكار والتخيلات ، والتصورات تجسمت في قوالب من الألفاظ ، نسميها شعرا ، تلتقى فيها الحقيقة بالخيال ، وقد يستقل أحدهما عن الآخر ، ولكنه عالم - على أى حال - فيه الخير والشر ، والقبح والجمال ، والفضيلة والرذيلة ، والسمو والاسفاف ولكنه بعد هذا وذاك صورة صادقة ، لما يعيش في أعماق النفس البشرية من مشاعر واحساسات ، تجيش عندما تهيجها الظروف والمناسبات ، ولا يصح أن نزن ما يتخلق منها في أرحام القوالب اللفظية بموازين أهل الفقه والوعظ والارشاد .

(١) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير
(٢) أى : فى جانب الخلق والدين ، كآبى نواس ، وبشار بن برد ، وحماد عجرد .

على اننا فى ذلك لا نسلب الشعر رسالته فى المجتمع ، ولا نحله من مسئولية الاصلاح ، غير أن الشاعر والواعظ شأنهما فى الاصلاح شأن أرباب الحرف ، الكل يخدم المجتمع ويسعى الى الصالح العام ، غير أن لكل أدواته وأسلوبه فمطرقة الصانع ليست كقدوم النجار ، كما أن خطبة الواعظ ليست كقصيدة الشاعر •

على أنه لم يمض العهد الأول من النهضة ، حتى ظهر من العلماء من استخدم الشعر فى رد شبهة المشبهين من الشعراء ، الذين استخدمتهم الدولة العثمانية وغيرها •

كما استخدموا الشعر فى التذمر والشكوى ، مما أصاب البلاد من المحن والاحن والرزايا الجسيمة ، التى جرها الأتراك والجوش التى جندوها للقضاء على الوهابية والوهابيين على حد تعبيرهم •

وحين شاع النظم وتوسع العلماء فى استعماله مدوا بساط شعرهم على بعض الأغراض التقليدية ، التى كانت شائعة عند العرب (١) فمن ذلك :

١ - المديح والتهانى ، ولما لم يكن الشعر لذاته ولا المادة من مقاصدهم ، فاننا نجد أن شعر المديح عندهم ينقسم الى قسمين :

• أحدهما مدح العلم وبيان شرفه ، وفضيلته والتعب فى تحصيله ومدح الدعوة ، وما قامت عليه من أساس متين ونهج قوي •

• وثانيهما مدح أئمة الدعوة وقادتها ، والثناء عليهم بما بذلوه من نفس ونفيس فى سبيل أن تكون كلمة الله هى العليا

(١) من هؤلاء أحمد بن مشرف : المتوفى عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م • وعبد العزيز بن طوق ، والشيخ عبد اللطيف عبد الرحمن الأزهرى ، والشاعر ابراهيم الأسكوبى •

وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتهنئتهم بما حقق الله على أيديهم من النصر والتمكين (١) .

٢ - وثانى الأغراض عندهم : الرثاء ، وهو أقل عندهم من سابقه الا أنهم رثوا فيه أعلامهم ، وديارهم المنكوبة ، ومرايع العلم الدوارس ومراتعه المهجورة .

٣ - وثالث الأغراض : الغزل ولقد كان شعراء الدعوة أمام هذا الغرض الشعرى الأصيل بين عاملين قويين متضادين هما :
أ - طبيعة الدعوة التى لا تحتمل التفرغ لمثل هذا الغرض الطروب .

ب - طبيعة الشعر والشعراء التى تميل الى كل ما يهز النفس ، ويضطرب القلب ، ويفسح مجال الخيال للتلاعب بشتى صور الجمال على لوحة الواقع الواله بريشة المجنح بالخيال .

ولقد وجد شعراء الدعوة لذلك مخلصا فيما سنه لهم كعب بن زهير - رضى الله عنه - فى صدر الاسلام فى افتتاحه مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - بالغزل .

لذلك جال العلماء الشعراء فى الغزل ، حتى بلغ من اكثارهم فيه أن الناظر فى شعرهم غير المتأمل لأحوالهم يخيل اليه أنه غرض مقصود عندهم لذاته ، على الرغم من أنه نسيب قصد به محاكاة الأقدمين .

(١) من هؤلاء : محمد بن عثيمين من عام (١٢٧٠ هـ - ١٣٦٣ هـ)
(١٨٥٣ م - ١٩٤٣ م)
: وأحمد إبراهيم الفزاوى ولد عام (١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م)

٤ - والهجاء فى شعرهم كثير ، ولكنك لا تكاد تخرج ببيت واحد فيه هجاء شخصى ، فقد ترفعوا عن ذلك وان كانوا أوغلوا فى هجاء المعارضين لهم ، وأكثروا من وسمهم بالجهل والفسق والفجور . (١)

٥ - أما الحكمة والفخر فكلاهما يأتى فى شعرهم عرضا .

غير أننا فى باب الحكمة نستثنى الحكايات ، التى نظمها ابن مشرف على السن الطيور والحيوان ، فانها حكم ومواعظ جمّة النفع والفائدة .

هذه صورة الشعر وخلاصة حياته فى قلب جزيرة العرب «نجد والحجاز» حتى قبيل منتصف هذا القرن الهجرى ، وذلك هو الجوّ الشعري ، الذى نشأ فيه صاحبنا ابن بليهد ، وتلك مناهج الشعراء الذين نهج هو نهجهم واحتذى سننهم ، فلم يخرج عن ذلك الا قليلا فيما نسب اليه ابان اقامته «بمصر» على ما سنبينه فى موضعه أن شاء الله .

واذا كانت هذه الصورة لا تعطينا أكثر من أن الشعر فى جزيرة العرب ، فى تلك الأيام كان شعر تقليد ومحاكاة ، فان ذلك راجع الى أسباب كان من أهمها :

عزوف العلماء عن الشعر واستخفافهم به وبقائلية أول الأمر كما أسلفنا .

ثم ان عدم النقد وخلو الميدان من الناقدين والدارسين وقلة المنافسين كل ذلك ساعد على بقاء الشعر فى اطار تقليدى محدود .

(١) من هؤلاء سليمان بن سحمان .

غير ان ما يحمد لكثير من شعراء ذلك العصر بعدهم عن الصنعة وعدم تورطهم فى المحسنات الا ما ندر ، على أن الميدان لم يخل من بعض المتكلفين كابن سحمان ، وبعض المغربيين مثل الشاعر الكبير «محمد بن عثيمين» .

ولقد ألفوا - رحمهم الله - ختام قصيدهم بالصلاة على المصطفى وآله وصحبه والتابعين ، حتى كان ذلك من الأمور التى يتحاشى الشاعر اهمالها ، كما هى الحال بالنسبة لشعراء العامية .

وتلك عادة ورثوها من شعراء عهود المماليك ، والأيام التى تليهم من قبل ومن بعد .

وتلك على أى حال ظاهرة محمودة لا يضيرها شئ ان هى جددت فى عصور التدهور والانحطاط (١) .

ومهما قلنا عن الشعر فى تلك الفترة من تاريخ النهضة فى هذا الربع من بلادنا ، وما بلغه أربابه من احكام وتجويد ، فانا لا نستطيع أن ننكر أنه كان شعر محاكاة وتقليد فى جملته .

الا أن أولئك - رحمهم الله - تباينوا تباينا ظاهرا فى ذلك التقليد فكان منهم من أشبه شعره شعر عهود التخلف . . كابن سحمان .

ومنهم من أشبه شعره شعر الفحول فى عصر الازدهار ، كالشاعر الكبير ابن عثيمين واحمد ابراهيم الغزاوى .

ومنهم من كان وسطا بين ذلك مثل ابن بليهد والشاعر ابراهيم الأسكوبى ، ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن أولئك السابقين كان لهم

(١) ندر فيما قبل ذلك ، ومنه قول حسان رضى الله عنه :

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

فى تقليدهم من الفضل على الشعر فى هذه البلاد ما قد لا يفوز به
مدعو التجديد فى تجديدهم .

فلقد فتحوا — رحمهم الله — للشعر المعاصر فى هذه الربوع أبوابا
كانت مستحكمة الحلقة والسواد ، وحددوا له من السبل الدوارس ،
والمعالم الروامى ، والسنن المعطلة ، والمراجع المهمة ، ما سما بهم الى
مصاف الباعثين المجددين أولئك هم السابقون الأولون ، وكفى بالسبق
مدحه ومنحه .

غير أن هناك حقيقة ثابتة تحسن الإشارة اليها لما بينها وبين شعر
أولئك الشعراء من متات ، وهى أن أولئك العلماء — الشعراء لم يقدر
لهم الاطلاع على تلك النهضة الحديثة ، ووسائلها الثقيفية المتنوعة :
كالمدارس ، والمطابع ، والصحف والمذيع وغيرهما ، مما له بعيد الأثر
فى تكوين العقليات المتجددة ذات النتاج الفكرى المتطبع بطابع العصر
الحديث ، الملائم للذوق الناشئ فى حضن المربية الجديدة (حضارة
القرن الرابع عشر) ، (القرن العشرين) .

صحيح : أن بعضا من أولئك أدرك كثيرا من تلك المظاهر فى أواخر
حياته مثل ابن بليهد ، غير أنها أدركتهم ولسان حالهم ينشد مع الشاعر
القديم :

وماذا يبتغى الشعراء منى

وقد جاوزت سن الأربعين

او مع ابن بليهد نفسه فى قوله :

وما أنا الا فى هواهم متيم

ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

الشعر بعد منتصف القرن الرابع عشر

وحين بدأت المملكة عصرها الحديث بتناول أسباب الحياة الحديثة وما فيها من أطوار الارتقاء وصلت بتوفيق الله ، ثم بجهود أبنائها التي لا تعرف الكلال ولا الملل ، الى رتبة من التقدم توشك بها أن تدرك من سبقها ، وتسبق من جاراها في جميع مناحي الحياة : الفكرية ، والاجتماعية ، والتجارية ، والصناعية ، والعمرانية ، وغير ذلك •

فما نصيب الشعر في معترك الحياة الجديدة ، التي ورفت أفيائها على أديم أرض أنجبت صناجة العرب «الأعشى» وزهير بن أبي سلمى وامراً القيس ، وجريرا ، وذا الرمة ، وكثيرين غيرهم •

أن أرضاً - كجزيرة العرب - عرفت في ميدان الشعر بوفرة عطائها وخصوبة نتاجها ، في فترة كانت فيها شبه معزولة ، لا يمكن إلا أن تكون أوفر عطاء وأخصب نتاجا في عصر انكشفت لها فيه جميع العوالم ، وربطتها بها شتى الروابط والصلات •

فهل يستطيع أبنائها أن يعيدوا لها زعامة الشعر بعدما أفلت من أيديهم زمامها ؟

حينما تريد أمة أن تبني لها كيانا جديدا ، فإن التقليد لابد من أن يكون بداية الطريق الى الترقى والتجديد ، وفي منتصف هذا القرن كانت الحركات الأدبية الجديدة في العالم العربي ، قد بلغت أشدها وآتت ثمارها يانعة في بعض الأقطار العربية ، «كمصر» والشام ، والمهجر مثلا ، حيث ظهرت المذاهب الجديدة التي أشتد أوار الصراع بينها على مسرح الأدب العربي الجديد ، متمثلة في مدارس التي عرفها تاريخ الأدب العربي فيما خلفه أرباب تلك المدارس •

وإذا كان التقليد هو الطريق الى التجديد فى كافة مجالات الحياة لدى كل أمة من الأمم ، فان ظهور ذلك يكون واضحا فى الفنون التصويرية ، لا فرق بين ما كان تميزه بالألوان والخطوط ، وما كان تصويره بالكلمة والنبرة أو النغم .

ومن هذا المنطلق سنار الشعر فى هذه البلاد فى مطلع النصف الأخير من هذا القرن ، فلقد أقبل الجيل الجديد - اذ ذاك - على قراءة الشعر قديمه وحديثه ، وحفظ ما يستجيدون منه ، ثم استظهاره معانيه وألفاظه وتراكيبه ، واستجلاء ما فيه من صور وأفكار وأخيلة واتجاهات فاستقامت بهم الطريق حيناً ، ثم غرتهم الاتجاهات الجديدة قبل أن تتحدد شخصية أدبهم ، فاختلط فيهم الحابل والنابل ، واغتر منهم من اغتر .

وما كان أغناهم عن ذلك وهم أبناء أم الشعر ، ومرضعته الأولى «جزيرة العرب» . على أن شعراءنا بعد عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) . طرّقوا بشعرهم كل مجال نظم فيه معاصروهم فى البلاد العربية الأخرى فنظموا فى القضايا : العربية والاسلامية ، وفى السياسة ، والغزل ، والاجتماع ، وغيرها .

كما ظهر فى شعرهم كثير من اتجاهات الشعر الحديث ، كالبرم بالحياة والناس والشك وشعر الطبيعة ونحوها ، وهى اتجاهات وجدت سبيلها الى أعمالهم وان لم تأخذ شكلا التزاميا عند أحدهم ، اللهم الا شعر الوطنية ، والغزل ، فالشيخ عبدالله بن خميس جل شعره وطنى ، والأمير عبدالله الفيصل جل شعره غزل .

وعلى الرغم من أن الاتجاهات والمذاهب الحديثة فى الأدب ، قد تفشت فى شعر لشعراء بعض البلاد العربية ، فان الشعر فى «نجد» قد بقى فى الفترة الواقعة قبل عام (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م) من هذا القرن غير متأثر فى جملته بتلك الاتجاهات والمذاهب .

ولعل مرد ذلك الى أنه ما يزال فى دور الصحو واليقظة ، ولذا
بقى ملفى الصبغ فى جميع مناحيه ، بل أن دائرة بعضه تبلغ أحيانا من
الصنعة حدا يكون الشعر فيها ترديدا سمجا لما خلفه السابقون •

غير أنى لا أرى فى ذلك أدنى غرابة ، فانها طبيعة الأشياء ، فالشعر
فى جميع الاقطار العربية قد مر بهذا الدور عند صحوته واستيقاظه •

ثانيا : ● الخطابة ●

ان من بدهيات المعلومات فى «الأدب» العلم بأن بلاد نجد والحجاز
فى أيام الجاهلية ، وأيام الاسلام حتى نهاية العصر العباسى الأول ،
كانت مستقى الفصاحة واللسن العربى ، لا فرق فى ذلك بين الشعر
والخطابة ، كما كان لسان «نجد آخر السن العرب تأثرا بالعجمة ، الأمر
الذى جعل علماء اللغة فى زمن تدوينها أيام العباسيين يؤمنونها ،
لالتقاط لغة العرب من أفواه سكانها ، تلك الأفواه التى لم يفح فيها
بعد نتن العجمة ، ولم تدنسها أدران اللحن وأوضار العجمة ، وتلك حقيقة
معلومة ومسلم بها ، بل هى فى الواقع فى تاريخ اللغة من أيسر
البدهيات ، فالقول فيها من معاد الحديث •

غير أن جزيرة العرب التى رزئت فى شعرها وفصاحة لسانها ،
رزئت كذلك فى خطابتها ، لكن متى ؟ وكيف كان ذلك ؟ لا أحد يعلم •

فلقد كانت تلك البلاد فى تاريخ عصور الاسلام الوسطى كبلاد
الأساطير ماض عامر ، وحاضر مجهول •

غير أنه لا بد أن يكون قد أصاب خطابتها ما أصاب خطابة الأقاليم
العربية الأخرى ، من جذب فى المعنى وامحال ، مع تكلف وتصنع فى
المقال ، وركون الى المدونات بعد العجز عن البديهة والارتجال •

ولقد بقيت تلك البلاد على هذه الحال ، حتى قيام المجدد الأول فى العصر الحديث لحياة العرب والمسلمين الامام محمد بن عبد الوهاب الذى نفخ فيها من روحه ، ونفحها باخلاصه ، فسارت الحياة فى هيكلها اللفظى ، حتى أشرق منها الجبين ، ولان الأديم بلا ضعف ولا ارتغاء فاستأنفت مسيرتها على درب الكفاح والنضال ، طليعة للفنون الأدبية وسلاحا ماضيا لأرباب الدعوة والاصلاح ، الذين اتخذوا منها سلاحا آخر لايضاح الهدف وتحديد الاتجاه .

وذلك سر عناية الامام بالخطابة ، ونفض ما علاها من غبار تراكم عليها عبر عصور الانحطاط ، حتى عادت الى الشباب بعد الشيخوخة والهرم ذلك ان التجديد قد تناول الخطابة من جميع جوانب اللفظ والتأليف والموضوع ، وخطب الامام مطبوعة وعددها ٧٦ خطبة ، وتقع فى ٩٢ صفحة - من القطع الكبير .

ولقد حلت خطب الامام محل المدونات القديمة ، فتناقلها أئمة المساجد وخطب بها منهم الخاصة والعامة ، فى المدن والقرى دون أن يخرجوا عليها ، أو يستبدلوا سواها بها .

وفى «الحجاز» عادوا الى المدونات القديمة من جديد ، حتى مطلع هذا القرن تقريبا ، وبعد منتصف هذا القرن ظهر أول مجدد فى الخطابة بعد الامام ، وهو الشيخ عبد الرحمن بن سعدى أحد مشاهير علماء هذا العصر ، وصاحب المؤلفات العديدة فى الاسلام ، التى منها تفسير للقرآن نهج فيه منهجا جديدا فى التفسير ، ومنها ديوان خطب عالج فيها مشكلات العصر .

ومن طلائع المجددين فى الخطابة : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن امام الحرم المكى واماام المسلمين يوم الحج ، وله ديوان خطب قيم .

ومنهم أيضا : أمام الحرم المدني الشيخ عبد العزيز بن صالح ،
والشيخ عبدالله الخياط أحد أئمة الحرم المكي الشريف .

ولقد كان لخطب هؤلاء المجددين أثر ظاهر فى أسلوب أبناء العصر
حتى غير الخطباء منهم .

فنجد : على سبيل المثال : ابن بليهد فى خطبه التى قدمها بين يدى
بعض قصائده المطبوعة ، ومقدمة (١) لمخطوط كتابه «صحيح الأخبار»
ينهج نهج الخطب المنبرية ، وذلك ما سنلمسه عند عرضنا لبعضها فى
مواضعها ان شاء الله .

ثالثا : ● الكتابة ●

كانت الأمة العربية فى جاهليتها ، أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وفى
الاسلام شغل المسلمون بالمغازى والفتوح ، زد على ذلك أن أنتشار
الكتابة دائما كان فى الحواضر : كمكة ، والمدينة ، والكوفة ، ودمشق .

وبعد ما مضى عهد الفتوح كان نسيان التاريخ ، لقلب جزيرة
العرب قد بدأ ، فمن التكلف اذا أن نحاول البحث عن أى نوع يستحق
الذكر من الكتابة ، فى ماضى جزيرة العرب ، المنتهى بقيام الامام المجدد
محمد بن عبد الوهاب .

وكانت حركة الاصلاح التى قادها محمد بن عبد الوهاب ، والأمير
محمد بن سعود قد استهدفت أول ما استهدفت «الاصلاح الدينى» اذ هو
الأهم ، وعن طريقه يتمنى اصلاح ما فسد من الاحوال، ومن هنا ينكشف
لنا سر تقدم الكتابة ذلك الذى سنجمله فيما يأتى : —

(١) يبدو أنه عدل عنها عند طبع الكتاب .

(١) • الكتابة الديوانية • :

ان المتتبع للكتابة الديوانية منذ ظهور الامام ، الى مطلع الثلث الأخير من هذا القرن ، يجد أنها تسير فى أسلوبها ولفظها على نهجين متباينين : فتارة تلمح فيها الأسلوب العلمى واللفظ الفصيح ، وأخرى تجدها ، تجنح الى العامية فى لفظها وأسلوبها •

وذلك راجع الى اختلاف ثقافة القائمين بها فهم : اما من العلماء الذين لم يألّفوا غير كتابه التأليف ، فتناولوا كتابة الديوان بذلك الأسلوب ، واما من العامة الذين تعلموا القراءة والكتابة وذلك شىء عظيم فى تلك الأيام •

وقد يعتمد بعض العلماء الى ركوب العامية ، فى محاولة ايصال الغرض المقصود الى ذهن المخاطب العامى •

ولقد استمر ذلك الأسلوب المتباين ، والمتباعد عما يجب أن تكون عليه الكتابة الديوانية من الوضوح والسهولة ، ومساواة اللفظ للمعنى مع فصاحة فى اللفظ والتركيب ، حتى منتصف هذا القرن الهجرى حين نشطت الكتابة الديوانية فى الحجاز أولا ، ثم فى سائر جزيرة العرب ، فأخذت الكتابة الديوانية تدنو من مجال أسلوبها شيئا فشيئا حتى وصلت الذروة فى أيامنا هذه •

ولقد أسهم ابن بليهد فى رقى هذه الكتابة ، وبخاصة ابان توليه بعض الأعمال ، كجباية الزكاة وادارة مالية «الطائف» •

ومن كتبه فى تلك الأيام ما بعثه للامير فيصل ، حين أحال اليه شخصا فى بعض العطاء يقول :

سيدي صاحب السمو النائب العام ، فيصل ابن عبد العزيز آل سعود
المبجل .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأزكى وأشرف تحياته على
الدوام ، أدام الله علينا وعليكم نعمة الاسلام .

سيدي وصلنا محمد الشريف ، وهو يحمل رسالتكم ، وصرفنا له
المأمور به من زاد وخلافه ، وانصرف مسرورا يدعو لكم بالتوفيق وطول
العمر .

ونحن ياسيدي خدامكم حفظكم الله ورعاكم .

والسلام عليكم ورحمه الله

خادمكم

محمد بن عبد الله بن بليهد

٢٠ ربيع سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) ● الكتابة العلمية ● :

لقد واكبت الكتابة العلمية النهضة الوهابية منذ بزوغ فجرها المبارك
في منتصف القرن الثاني عشر ، ولا أجد فيما قرأت دليلا ينفي أو
يثبت وجودها قبل ذلك التاريخ ، غير أني لا أستبعد وجود مؤلفات :
في مجالات التاريخ ، والفقه والتفسير ، ونحوها ، أضاعها الالهال
وصدوف الدارسين ، وطلاب العلم عن العناية بها واقتنائها .

ومهما يكن فإن الحكم يكون على الموجود، ونحن لانجد الا مؤلفات أئمة
الدعوة ومعاصريهم .

ولقد استمرت حركة التأليف المباركة في ازدهار متصل ، وجهد
متواصل، حتى أضاف بها أربابها الى مكتبة الاسلام كنوزالم ينقطع مددها

ولقد أنجب هذا العصر كثيرا من المؤلفين المكثرين مع قدرة وجدارة ونفاذ بصيره .

على أن من يدرس مؤلفاتهم لابد من أن يخرج بالنتيجة الآتية :

أ (أن أسلوب تلك المؤلفات يحدد بوضوح نوع ثقافة مولفها وذلك باتباعهم فى أساليبهم وأفكارهم لامامين جليلين : هما شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم .

غير أنهم استطاعوا التخلص من ذلك العمق الموغل المشبه للتعقيد والابهام ، الذى اتسم به غالبا أسلوب الامام ابن تيميه كما أن مسحة من لغة مؤلفات عصور المماليك تلوح على لغة مؤلفاتهم اجمالا .

ب (ركوب بعضهم للغات ضعيفة يزدريها النحاة ، كلغة «أكلونى البراغيث» على حد تعبير النحاة ومثال ذلك فى كتاب «تاريخ الحوادث فى نجد» للشيخ ابراهيم بن عيسى ونحوه من المؤلفين فى ذلك العصر .

ج (وفى الموضوع نجد أنهم لم يخرجوا عن الموضوعات الدينية الا فى القليل النادر فقط .

وأحظى الموضوعات الدينية عندهم ما يتصل بأصول الدين ، والدعوة الى الله . ثم اتسعت المدارك ، وتنوعت الثقافة واطلع العلماء على أساليب علمية حديثة ، لم يعهدوها فى قديم المؤلفات ، وذلك بعد شيوع الوسائل الثقيفية الخاصة والعامة ، فبدأت بواكير ذلك كله تظهر تدريجيا .

غير أن أحقها بالذكر وأولاها بالثناء ما كتبه صاحبنا ابن بليهد من مؤلفات وتحقيق ، وهو لم يبعد كثيرا فيها عن أساليب المتقدمين ، ولكنه جانب الأساليب التي شاعت في عصور الانحطاط ، فجاءت مؤلفاته في الجملة واضحة الأساليب سهلة التناول .

ثم أنه أول من فتح الباب للتأليف في العلوم ذات الصبغة الأدبية واللغوية ، إذ لم يتناول ذلك الميدان أحد قبله في هذه البلاد .

(٣) ● الكتابة الفنية ● :

تمتاز الكتابة الفنية عن سابقتها ، بأنها مجال رحب ، تظهر فيه شخوص المشاعر والاحساسات البشرية ، والعواطف الانسانية ، ويكون الفضل فيها لمن يتقن التلاعب بالألفاظ ، والأساليب البليغة .

وعلى هذا تتفاوت رتب الكاتبين ، حسب تفاوت حظوظهم وأنصبتهم في اللغة والبلاغة .

والفنون الأدبية ، بطبيعتها انطلاقية ، تأبى القيود والسدود . غير أنا نستطيع أن نقسمها باعتبار كلياتها الى ثلاثة أقسام : الرسالة ، المقالة ، القصة ، وتحت كل كلية من هذه الكليات الثلاث جزئيات كثيرة يطول عدها .

والكتابة الفنية — على هذا المفهوم — لم يكن لها وجود في هذا الجزء العزيز من بلادنا الا قبل منتصف هذا القرن بعشرة أعوام تقريبا ، حينما بدأت طلائع الشبيبة المثقفة ، تتناول موضوعاتها بأقلامهم المتفتحة

ولكى نكون أكثر تحريا للصواب في حديثنا هذا . نقول : ان بدور الرسائل الاخوانيه قد غرست قبل (خمسين ومائة عام) تقريبا ، بيد

العالم الجليل - الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملقب بالأزهري ،
لكونه درس بالأزهر وكان رحمه الله - كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً الى
جانب ما اتصف به من سعة في الرواية والدراية والفقه وله كتابات
كثيرة وبليغة وأشعار جيدة .

غير أنه قد مضى على غرس تلك البذور قرن ونصف تقريبا، فما الذي
أضيف الى عمل الشيخ عبد اللطيف ؟ لا شيء مطلقا ، فلقد بقيت هذه
البلاد قفرا من الكتابة الفنية ، خلاء من فنونها وبدائعها حتى قبيل
النصف الأول من هذا القرن ، حين بدأت طلائعها تطل في شحوب
وضمور ، شأن كل فن يبدأ من عدم مهين .

وكانت في صور مقالات وبحوث ، يكتبها الأدباء في الصحف المحلية
ويعالجون فيها قضايا المجتمع في الأدب والفكر ، والسياسة والاقتصاد
والاجتماع .

ولم يكن لهم من المؤلفات سوى نماذج يسيره جلها كتب تراجم ،
وقليل منها مختارات . (١)

ولقد كان اسهام ابن بليهد في هذه الميادين جليلا ، فلقد كان شاعرا
مجيدا كما أنه مؤلف قدير وكاتب محسن ، ثم أنه أول من فتح باب
التأليف في اللغة والأدب بين أبناء جزيرة العرب كما أسلفنا ، وذلك
بكتبه الثلاثة : «صحيح الأخبار»، «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته
وبقاعه» ، «تحقيق صفة جزيرة العرب للهمداني» . أما كتاباته الفنية
فانها تشهد له بالسبق في هذا الميدان ، كمقدمته لديوانه ، ونبد هنا
وهناك نجدها مبعثرة في ثنايا مؤلفاته .

وذلك لأنه لم يتجه الى ميدان الكتابة ، بل كان اتجاهه اتجاها علميا
لكن الكتابة الفنية كانت تغلب حيناً على قلمه على ما سنشير اليه ،
في حديثنا عن نشره أن شاء الله .

(١) منها على سبيل المثال (من وحى الصحراء جمع الاديبين: محمد سعيد عبد المقصود
وعبد الله بالخير . و (المعرض) للشيخ محمد سرور الصبان .

رابعاً : ● أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الأدب : ●

في مجتمع أشبع بالروح الدينية ، التي حرصت على ترسيخها دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله (١) - نشأ ابن بليهد ، وفيه

(١) محمد بن عبد الوهاب - امّام الدعوة في بلاد العرب ، ورائد الاصلاح في العصر الحديث ، وزعيم النهضة الدينية الحديثة ، أقر له بذلك المنصفون من المفكرين عرباً أو مستعربين ، وكتب عن سيرته ما يقرب من عشرة كتب ، وترجم له في كثير من الكتب .

ولم يخل كتاب عن العرب والاسلام في العصر الحديث من ذكره : تاريخاً كان أو فكراً ولد في «العينية» من أرض اليمامة «بنجد» سنة (١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م) وتوفي سنة (١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م) «بأندرية» عاصمة المملكة اذ ذاك ، وتعد الآن من ضواحي «الرياض» العاصمة الجديدة .

كان أبوه عبد الوهاب من فقهاء الحنابلة ، وقاضى «العينية» وما جاورها فعنى بتربية ابنه وتوجيهه ، فحفظ القرآن قبل العاشرة ، وأم الناس قبل الخامسة عشرة وبرز في فقه الحنابلة وهو صغير ، وأخذ الحديث والتفسير وعلومهما عن أبيه وعلماء «نجد» .

حج وأقام «بمكة المكرمة والمدينة المنورة» زمناً ، أخذ فيه العلم عن علماء الحرمين أمثال : محمد حياة السندی ، وعبدالله بن ابراهيم بن سيف ، ثم عاد الى «العينية» ليستأنف منها رحلته الثانية ، بعد ان أستولى عليه القلق مما يراه ، من مظاهر الفساد في بلاده «نجد» ، والحجاز فأراد أن يتسلح بالعلم لمحاربته ، فسافر الى «البصرة» وأقام بها زمناً ، أخذ فيه عن مشاهير علمائها مثل محمد المجموعى البصرى .

وفي «البصرة» بدء يظهر أفكاره وأخذ يجادل العلماء ، فثاروا عليه وأرادوا قتله ، ففر الى الزبير وكان يريد «الشام» فنجد زاده فعاد الى «العينية» ولكنه وجد أباه قد تركها الى «حريملاء» ، بعد أن عزله أمير العينية» فلمحق بأبيه .

ولم يبدأ نشر دعوته حتى مات والده سنة (١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م) ، فعاربه السفهاء وأرادوا قتله ، ففر الى «العينية» واتفق مع أميرها ابن معمر على نشر الدعوة فهدم القباب ، وقطع الاشجار ، وطبق الحدود .

لكن ابن معمر ضعف أمام تهديد ابن عريعر أمير «الاحساء» انذى كان يمنعه مساعدات مالية كبيرة ، فطرد الشيخ الذى لجأ الى «الدرعية» حيث تم بينه وبين محمد بن سعود الاتفاق على نشر الدعوة وفيها بقى الامام الى أن مات رحمه الله . من أشهر مؤلفاته : كتاب التوحيد ، الذى هو حق الله على العبيد ، وكتاب كشف الشبهات ، وكثير من الرسائل فى التوحيد ، ومختصر سيرة الرسول ، ومجموعة خطب ، وكتب أخرى فى الحديث والتفسير .

أمضى جميع أيام حياته وعليه وقف فنه نشرًا وشعرًا في سبيل خدمته
فأى صلة كانت بين الدعوة والأدب؟ وأى خدمة قدمتها له وقدمها لها في
قرنين ونصف مضت على قيام تلك الدعوة؟ *

يحسن بنا أن نقدم بين يدي حديثنا هذا ما قاله الدكتور طه حسين
في معرض حديثه عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب * حيث قال :

على أن الباحث عن الحياة : العقلية والأدبية في جزيرة العرب ،
لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة ، نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر ،
فلقت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب ، واضطرت أن يهتم
بأمرها ، وأحدثت فيها آثارًا خطيرة هامة ، هان شأنها بعض الشيء ،
ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام ، وأخذ يؤثر لافى الجزيرة وحدها ، بل
في علاقاتها بالأمم الأوروبية أيضا ، وهذه الحركة هى حركة الوهابيين
التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ « نجد » (١)

وهذا يدل على ما للدعوة من تأثير على المجتمعات العربية
والاسلامية ، والأديب لا يستطيع بحكم طبعه أن يكون بمعزل عن
التأثيرات التي تظهر في مجتمعه *

ومن هنا كان طبيعيا أن تؤثر الدعوة في أدب معاصريها ، فهى
ليست بدعا في محيطهم الفكرى والعقائدى السليم ، وانما كانت تجديدا
لما اندرس من تعاليم ديننا الحنيف ، بعد أن تعاورت أمتنا حقب من
الزمن شحنت بالفتن ، وسيطر فيها أناس جهلوا تعاليم الدين الحنيف ،
لأسباب تختلف باختلاف كل طائفة وما نبتت فيه من بيئة ، وما نشأت
عليه من تعاليم (٢) *

(١) الوان - طه حسين - طبعة دار المعارف المصرية - الطبعة الرابعة سنة ٧٠ م - ص ٤٣

(٢) اشارة الى طوائف الزنادقة الذين وفدوا على بلاد العرب والاسلام ، ثم الحملات
التي اجتاحت البلاد العربية كحملة هولاكو وتيمور وأضرأ بهما *

ولم يكد نور الدعوة ينبثق ويشع من «نجد» ، حتى تجاوزت
أصداؤها هنا وهناك بين مؤيد لها مستبشر بمولدها ومناوئء مبغض
لا فرق فى ذلك بين ما قرب أو بعد ، من أقاليم جزيرة العرب أو غيرها
من بلاد الاسلام •

اذ من المعلوم أن الدعوة بوصفها «نهضة دينية» قد تجاوزت الجزيرة
العربية ، الى الأقطار النائية كالهند مثلا •

ولقد كان من أولئك الفضلاء الأماجد ، الذين أيدوا الدعوة
واستبشروا بمولدها من تغنى بها فى شعره ، فأثنى عليها ومدح امامها
وتشوق اليهما ، كالأمير محمد الصنعانى ، الذى يقول : وكأنك تسمع
وتحس ضربات قلبه المشوق فى ثنايا أبياته الصادقة التعبير ، وتلمس
عاطفته الدينية فى قصيدته التى مطلعها :

سلامى على نجد ومن حل فى نجد

وان كان تسلمى على البعد لا يجدى (١)

والحديث عن أثر الدعوة فى الأدب الحديث فى البلاد الاسلامية ،
يتطلب مجهودا أكبر وبحثا أطول •

فحسبنا — اذن هنا — أن نتحدث بشيء من الايجاز عن أثر الدعوة
فى الأدب والحديث ، فى البلاد العربية السعودية •

● الدعوة عامل من عوامل النهضة الأدبية ●

من المسلم به أن الدعوة انما استهدفت فى قيامها تصحيح الأوضاع
الدينية ، وتصفية العقيدة الاسلامية مما اعترأها من شوائب ، وما
شوه صفاءها ونقاءها من خرافات ، وشعوذات وأباطيل تراكت عليها

(١) روضة الأفكار والأفهام للشيخ حسين بن غنام

منذ بدء الخوض فى مسائلها من أخريات القرن الأول الهجرى الى أن قام الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشر الهجرى» بدعوته المباركة ، التى غير بها وجه التاريخ فى العالم العربى والاسلامى .

وكان أثرها واضحا فى سيطرة الموضوعات ، والأغراض الدينية على الاداب ولا سيما (فى الفترة من قيامها فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى) الى مطلع (المنتصف الثانى من هذا القرن) حيث بدأ الاتصال بالعالم خارج الجزيرة العربية يأخذ شكلا أوسع وأعم ، الأمر الذى دفع أدباء الجزيرة الى أن ينهجوا نهج أدباء العرب فى مصر ، والشام ، والمهجر مثلا .

غير أن ذلك التأثير انما كان فى الموضوع والأسلوب دون بعض الألفاظ والفكر الممقوتة ، التى تصادفنا كثيرا عند قراءتنا لأدب الكثير من المعاصرين .

واذا كانت الموضوعات والأغراض يمكن أن توصف بالنزاهة والشرف ويمكن كذلك أن توصف بالسقوط والندالة والفساد ، وما مثل هذا أو ذاك من صفات ، فان الألفاظ والأساليب والأفكار والمعانى لا شك توصف بذلك كله ، بل أنه لا يمكن الوصول الى الغرض المقصود حسنا كان أو قبيحا ، الا عن طريق اللفظ والأسلوب المناسبين له .

ولقد شغلت قضية اللفظ والمعنى جانبا كبيرا من اهتمامات الأقدمين فلم تغل كتابات أحد منهم من حديث عن اللفظ والمعنى ، قل أو كثر، أخطأ أو أصاب ، ويكفيينا هنا أن نورد ما هو أقرب الى حديثنا وألصق به

يقول ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ شيخ الأدباء (وأحسن الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكأن الله -

عز وجل . قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليفاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً عن الاستكراه ، ومنزهاً من الاختلال ، ومصوناً عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة - أصحابها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من - تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة) ، (١)

ومثل ذلك ورد فى وصية بشر بن المعتمر ، التى ألقى بها الى فتیان ابراهيم بن جبلة ، وورد نحوه فى مقدمة ديوان الحماسة للمرزوقى . وفى وجوب مناسبة الالفاظ للمعانى يقول : أبو هلال العسكري « ان الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ ، لأن المدار بعد - على اصابة المعنى ، ولأن المعانى تحل من الكلام محل الأبدان والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة ومرتبة احدهما على الأخرى معروف - . (٢)

وكلامهم فى ذلك كثير ربما عرضنا شيئاً منه مستقبلاً ، حين يقتضى البحث ذلك .

واذا كان الأديب صافى العقيدة ، نزيه التفكير سليمه ، شريف المقاصد والأهداف ، ينزع فيما يذهب اليه عن مبدأ موغل فى الرسوخ معرق فى الثبوت ، منفرد بين المذاهب بقابلية الصلاح والاصلاح ، فى كل زمان ومكان ، بصدوره عمن لا يسأل عما يفعل لكونه الموجد لكل شيء والمتصرف فى كل شيء . وهو الله .

(١) البيان والتبيين ج ١ . ص ٨٣ . مطبعة لجنة التأليف والنشر .

(٢) الصنائع بتحقيق البجاوى وأبى الفضل ص ٦٩ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م . طبعة الاستانة تصحيح محمد أمين الخانجى سنة ١٣١٩ هـ . ص ٥١

إذا كان الأديب من هذا الطراز ، فانه أشد الادباء احتياجا الى نزيه اللفظ وشريف التعبير ، لأنه نبيل القصد شريف الموضوع .

ولقد كان أدباء هذه البلاد المباركة الطيبة ، من ذلك الطراز النفيس بل انهم كانوا فى ذلك قدوة ، ومذهبهم فيه أسوة ، يأتى بهم الصالحون ويستترشد بهم الراشدون ، وذلك لأنهم من غراس تلك الدعوة المباركة التى قامت على أساس من الوحي المقدس ، والسنة الفراء ، والائتمام بالسلف الصالح ، على أنك تلمح سمات التقليد لدى الأوائل ، ومحاولات التجديد لدى الأواخر .

فمن ذلك قول الشاعر على بن حسن العسيرى ، وهو ممن قرأ فى «الدرعية» على أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك حين هزم قومه جيوش الأتراك قال : (١)

وما السر أن أبدلت قصرا مشرفا
وعرشا وفرشا بالعرا والتلدد (٢)
قالت رويدا يا أبا سعد انما
أضاق بنا ذرعا شديد التوعد
عر مرم جيش سيق من مصر معنفا
يهتك أستار النساء ويعتدى
ويسبى ذرارى الأكرمين جهارة
وينظم سادات الرجال بمقلد (٣)
فقلت لها من دونكن ودونهم
ضروب حماة بالحديد المهند

(١) تنمة الشيخ سليمان بن سحمان لكتاب «تاريخ نجد» للالوسى ص ١٢٥ .
(٢) التلدد ٠٠ التلفت والحيرة .
(٣) المقلد - مكان القلد - ويعنى مكان جمع الأسرى .

ضروب تزيل الهام عما ربت به
وتظهر مكنونات أجواف أكبد

وطعنا يرى نفذ الأسنة لمعا
من القوم يعوى جرحها لم يسدد

قضى وانظري يا أم عبد معاركها
يشيب لها الوالدان من كل أمرد

وان كنت عنها فى البعاد فسائلى
ففيها أسود من «مغيد» بمرصد (١)

وفيهما ليوث «الأزد» من كل شيعة
يصلون هذى الحرب نارا لمفسد (٢)

وفيهما رئيس عائض حول وجهه
حياض المنايا أصدرت كل مورد (٣)

الى أن قال :

فيالك من يوم الحفير وما بدا
لريدة من طول الغمام المشيد (٤)

ويالك من يوم اللحوم سباعه
شباع وطير الجو تحظى لمشهد

ويالك من أيام نصر تتابع
بها من شواظ الحرب ذات التوقد

(١) مغيد - اسم قبيلة من قبائل عمير .

(٢) يصلون - يشغلون .

(٣) عائض - اسم رئيسهم .

(٤) الحفير - موضع .

الى ان قال :

بأيدي رجال من شنوءة جدهم
رقى بهم مجدا الى حذو فرقده
تدلى عليهم من صميم أصولها
ثبات وبحر كالمحيط المزبد
ففاخر بهم يا خاطبا فوق منبر
على الناس فاقوا بالحسام وسؤدد
ليهن بنى قحطان مجد فخارها
مدى الدهر فى ناد بواد وأبلد (١)

ولقد كان السلطان المبارك ، لهذه الدعوة نافذ التأثير ، على
السنة أبناء هذه البلاد ، اذ كان يحجزهم عن اللفظ النابى ، والقول
المقوت ، حتى فى المناسبات التى هى الى المبالغات أقرب ، اذ كان
يلزمهم فيها الاعتدال وصدق المقال .

واذا كانت الدعوة قد تركت أثرا ظاهرا فى : الألفاظ ،
والأغراض ، والاستعمالات ، والمقاصد ظاهرها وخفيها ، خاصها وعامها
واذا كان ذلك التأثير قد شمل أنواع الأدب : شعرا ، وكتابة ،
وخطابة ، فان هنالك معرضا يتجلى فيه أثر الدعوة التاريخى ، فى
حياة الأدب ، وذلك هو أثراء المكتبة الأدبية بما دفقته أقلام كل من
المؤيدين لها ، المنافحين عنها والمعاندين المعارضين لها ، اذ بلغت معارك
النقد والجدل والأخذ والرد . . . أقصى حد من الضراوة ، ووقف الباطل
يسجل ضلاله وتضليله ، أمام الحق والهدى محاولا القضاء عليه أو

(١) أبلد - جمع بلد .

تعويقه ، فدبج النظم والقصيد ، وسطرت المقالات والبحوث ، فكانت
الدواوين والمؤلفات الضخمة التى حفلت بها مؤلفات العصر الحديث .

لذا قامت حرب كلامية صال فيها وجال كل من الفريقين ، ما بين
ناثر وناظم استخدما ما أوتياه من فصاحة لسان وقوة بيان .

فمن ذلك قول الشيخ محمد بن عثيمين :

شموس من التحقيق فى طالع السعد
تجلت فأجلت ظلمة الهزل والجهد

قواطع من أى الكتاب كأنها
بأعناق أهل الزينج مرهفة الحد

إذا ما تلاها منصف ومحقق
يقول هى الحق المبين بلا جحد

ويصدف عنها مبطل متعسف
يقلد آراء الرجال بلا نقد

يجر أقاويل الرسول وفعلسه
الى رأيه الغاوى ومذهبه المردى

لعمرك ما التقوى بلبس عمامة
ولا تركها فاسلك سبيل أولى الرشد

ولكن بجوف المرء والله مضغة
عليها مدار الحل فى الدين والعقد

فكن واقفا عند المحارم زاجرا
عن البغى نفسا تستبيك لما يردى

«القصيدة» (١)

وبلغ من اعجاب بعض الشعراء بالدعوى وانقيادهم لها ، أن قاموا
بنظم بعض مؤلفات زعمائها أمثال شاعر المدينة المنورة محمد الطيب
الانصارى ، الذى نظم كتاب «كشف الشبهات» للامام محمد بن عبد
الوهاب وسمى ذلك النظم «البراهين الموضحات فى نظم كشف الشبهات»
ومن قوله فى تقديمه له : -

هذا وكشف الشبهات ألفه
امام وقته صحيح المعرفة
محمد بن عابد الوهاب
مجدد الدين بلا ارتياب (٢)

وفى مدح الامام ومؤلفاته ، التى كشف بها الشبهات التى غطت
بصائر الكثيرين من أهل العصر ، يقول ضياء الدين رجب (٣) من
«المدينة المنورة» ايضا :

ما ابن عبد الوهاب الا امام
حمل اليوم راية التجديد
قد أنار القلوب من شبهات
كان فى كشفها انتصار البنود
وكان شعراء «الحجاز» فى أيام حكم الأشراف ، يسرون ميولهم ،
الى الدعوة ورجالها ، خوفا من الأشراف ، يدل على ذلك بعض نصوصهم
الشعرية ، مثل قول الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الفزاوى (٤) :

(١) «العقد المئين» من شعر محمد بن عثيمين . دار المعارف بمصر . الطبعة الاولى

ص ٤٣٧ .

(٢) « البراهين الموضحات » نظم محمد الطيب الانصارى - المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ هـ

(٣) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٤) جريدة القبلة عدد ٧٨٦ شوال سنة ١٣٤٢ هـ .

محبة التوحيد هيا فانفضوا
ما أثارته دعاة المارقين
يمموا قصدكم «أم القسرى»
مظهر التقديس مثنوى المتقين
فلقد خط على أبوابها
ادخلوها بسلام آمين

وكانت نفثه جريئه ، سرت منه فى قصيدة أنشدها ، أمام الشريف
حسين بن على •

ومن معارض سيطرة الروح الاسلامية - التى قامت الدعوة من
أجلها - على نفوس شعراء هذا العصر ، ونزوعهم فى تفكيرهم عنها
ما تراه فى شعر الكثير أمثال محمد حسن الفقى (١) ، الذى يقول من
قصيدة طويلة :

قالوا عن الدين الحنيف بأنه
تزهى حضارتهم بغير لباسه (٢)
وتستروا خلف العروبة والهوى
بلد يميظ الستر عن أضراره
يا ويحكم ان العروبة قد زكت
بالدين وهى تعد من حراسه
هى من أقام صروحه فتطاولت
وهى التى نشرته من أرماسه

(١) ولد بمكة المكرمة (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) •
درس بمدرسة الفلاح ثم عمل بهامدرسا ، فرئيسا لتحرير جريدة صوت الحجاز ،
ثم عمل بوزارة المالية ، فسفيرا للمملكة فى اندونيسيا ثم نائبا لرئيس ديوان
المراقبة العامة لحسابات الدولة ثم طلب الاحالة للتقاعد ، •
وهو من الشعراء البارزين فى جزيرة العرب ، من مؤلفاته ديوانه «قدر ورجل» •
(٢) ديوان «قدر ورجل» ص ١٨٣ • ط الدار السعودية للنشر سنة ١٣٨٦ هـ •

واذا كان تأثير الدعوة على شعراء جزيرة العرب ، مؤيدين أو معارضين من الواضح ، بحيث لا يحتاج دليلا ، فان ذلك التأثير قد امتد الى خارج الجزيرة ، حيث أيدها ومدحها شعراء ، وعارضها وطمعن فيها آخرون .

فمن المؤيدين لها فى فارس الأديب الشاعر (١) عمران بن على بن رضوان الذى يقول فى ثنائه على الدعوة من قصيدة طويلة ، يعلن فيها انتماءه اليها :

ان كان تابع «أحمد» متوهبا
فأنا المقر بأننى وهابى

أنفى الشريك عن الاله فليس لى
رب سوى المتفرد الوهاب

لاعبة ترجى ولا وثن ولا
قبر له سبب من الأسباب

وأمر آيات الصفات كما أتت
بخلاف كل مؤول مرتاب

وقد أكثر هذا من ذكر الدعوة ، وله فيها وامامها شعر كثير ، كقوله

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
يدعون أصحاب القبور الهمد

يرجون منهم قربة وشفاعة
ويؤملون كذاك أخذا باليد

(١) الأسنة الحداد - سليمان بن سحمان ص ٥٨ ط ٠ الثانية - الرياض ٠

ورأى لعباد القبور تقرباً
بالنذر والذبح الشنيع المقسد
فدعا هموا لله ألا تعبدا
إلا المهيمن ذا الجلال السرمد

أما المعارضون ، فمنهم شاعر العراق جميل صدقي الزهاوى (١)
الذى نقض اتجاه الدعوة وامامها محمد بن عبد الوهاب ، فتصدى له
سليمان بن سمحان ، ورد عليه بأكثر من منظومة وقصيدة فى ديوانه ،
منها قوله على سبيل المثال :

ألا بلغا عنى جميلاً رسالاً
فقد جاءنا بالترهات الكواذب
وفاء بقول لاحقيقة تحته
وليس مقال القدم يوماً بصائب (٢)

وانما حمل ابن سحمان على الاكثار من الرد عليه حتى أفرد به بمؤلف
خاص هو ما اشتمل عليه شعره من كفر والحاد كقوله :

انى امرؤ الشك لا ايمان يربطنى

بالخير ان كان شيئاً غير ملموس (٣)

ومهما يكن من أمر فان الدعوة قد دفعت الشعراء - معارضين
ومؤيدين - الى معركة أنجبت لنا كثيراً من الشعر ، يتفاوت تفاوتاً

(١) جميل صدقي الزهاوى - شاعر عراقي عاش فى القرن الماضى ونصف القرن الحاضر
خدم الدول التى تعاقبت على حكم العراق ، فقد خدم الدولة العثمانية ، كما
خدم أيام الاستعمار الانجليزى ، وأخلص له ، ودعا الى حب الانجليز بمثل قوله : -
أحب الانجليز واصطفئهم
ولذا ولّى كثيراً من المناصب ، راجع شعراء بغداد ج ٢ لعلى خاقانى ص ٣٥٤ ،
٣٦٨ ط أسعد بغداد سنة ١٣٨٢ هـ

(٢) عقود الجواهر المنضدة الحسان لسليمان بن سحمان - مطبعة المصطفوية ص ٢٤١ .

(٣) شعراء بغداد لعلى خاقانى ص ٣٦٧ سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م) .

واضحاً في لفظه وأسلوبه ، ولكنه بلا شك إضافة جديدة غنية إلى المكتبة العربية ، إلى ما تجلّى فيه من أثر الدعوة ، ذلك الأثر الذي كان أوضح معارضه ما قوى سببه بمسائل التوحيد والعقيدة .

أما في النشر ، فكان الميدان أرحب ، فلقد حفلت «المكتبة العربية» بالعديد من مؤلفات رجال الدعوة المؤيدين وأعدادها المتناوئين ، من أبناء جزيرة العرب وغيرها من بلاد الإسلام ، كمصر ، والشام ، وفارس ، وغيرها .

غير أن الأسلوب الأدبي فيها قد أختلط بالأسلوب العلمي ، حيث أقتحمتها بشكل كبير مسائل التوحيد وقواعد الدين ، كمؤلفات الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ . (١) .

(١) هو آشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المعروف بالأزهري ، لكونه درس بالأزهر ، وصفه الألوسي بقوله :

علامة المعقول والمنقول حاوي علمي الفروع والأصول .

ولد عام (١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م) بمدينة «الدرعية» ، وتوفي عام (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) بمدينة الرياض .

وحين نقل جيش إبراهيم باشا أباء ، وبعض العلماء إلى مصر كان في صحبة أبيه وعمره اذ ذاك ثمانين سنين ، وبقي بها واحداً وثلاثين عاماً ، درس خلالها على مشاهير علماء الأزهر ، إلى جانب دراسته على أبيه وخاله .

وممن أخذ عنهم العلم بالأزهر محمد محمود الجزائري ، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر ، والشيخ مصطفى الأزهرى ، والشيخ أحمد الصعدي .

وتزوج بمصر ثم عاد منها إلى بلاده عام (١٢٦٤ هـ - ١٨٤٧ م) في عهد الإمام فيصل بن تركي ، وجلس لطلاب العلم في الرياض ، ثم أرسله الإمام فيصل إلى «الاحساء» ، وجلس للعلماء ويقرر لهم مذهب السلف لمدة سنتين عاد بعدهما إلى «الرياض» .

وكان الشيخ - رحمه الله - كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً ، الا أننا لم نعثر له من الشعر الا على القليل . غير أن هذا النثر - على قلته - كاف للدلالة على أن الشيخ قد تأثر برجال الطبقة الأولى من شعراء «مصر» الذين يحتمل أن يكون قد قرأ لهم .

ومن مؤلفاته : -

«مصباح الظلام» ، «التأسيس والتقدیس» وكتب أخرى .

وتشغل رسائله جانباً كبيراً من كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» لو افردت لزادت على مجلدين .

والشيخ سليمان بن سحمان (١) ، والشيخ محمد رشيد رضا (٢) من المؤيدين . ومن المعارضين أحمد زيني دحلان (٣) ، أحد علماء «الحجاز» المتأخرين له مؤلفات كثيرة فى التاريخ والنحو وغيرها منها « الدرر السنيه فى الرد على الوهابية » .

(١) هو سليمان بن سحمان (١٢٦٩ هـ - ١٣٤٩ هـ - ١٨٥٢ م - ١٩٣٠ م) ولد بأم سقا من بلاد عسير .

انتقل مع أبيه الى «الرياض» ، وبها درس فى المدرسة التى أسسها أبوه ، كما أخذ عن علماء الرياض أمثال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن وتأثر به .
وحين «أجت الفتنة بين أبناء الامام فيصل ، انتقل ابن سحمان مع أسرته الى «الأفلاج» بالجنوب ، وبها درس على ابن عتيق ، وبعد ستة عشر عاما عاد الى «الرياض» ، ثم ذهب الى «حائل» لاحقا بابن شيخه عبدالله بن عبد اللطيف ، الذى نقله ابن رشيد الى هناك ، ثم عاد معه الى «الرياض» حين عاد .
ولى بعض الأعمال كجباية الزكاة ورياسة الجند بالأفلاج ، غير أن جل عمله كان فى نسخ مؤلفات السلف ، والتأليف الرد على أعداء دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب شعرا ونثرا ، وفى آخر عمره كف بصره ، فسافر الى البحرين للعلاج ، ثم عاد الى «الرياض» دون جدوى ، وقد نال عناية الملك عبد العزيز الى أن مات رحمه الله .

من مؤلفاته : «ديوان عقود الجواهر» و «تبرئة الشيخين» وكتب أخرى .

(٢) هو الشيخ محمد رشيد رضا : ولد عام (١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م) بقرية «قلمون» بالشام ، أخذ عن جملة من العلماء بالشام أعجب بمقتولات جمال الدين الأفغانى فى مجلة العروة الوثقى وكتبه ، والتقى بالامام محمد عبده فى «طرابلس» فأعجب به ، وحمله ذلك الإعجاب على السفر الى مصر للحاق به عام (١٣١٥ - ١٨٩٧) .
وبالقاهرة التقى بمحمد عبده وتوثقت بينهما الصلات ، كما التقى بعلماء الأزهر ورجال الفكر «بمصر» ، ثم أصدر مجلة المنار عام (١٣١٥ - ١٨٩٨ م) ، وظل يجاهد ويناضل فى سبيل الاسلام ، واصلاح ما فسد من أوضاع المسلمين ، وتبنى رسالة شيخه الجليل الامام محمد عبده
وله الى جانب ما حوته «المنار» ومقالاته : فى الصحف ، والمجلات ، تفسير المنار ، وكتب أخرى .

(٣) من عام (١٢٣١ هـ - ١٨١٦ م) - (١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م) .

● أما الخطابة ●

فان تأثير الدعوة فيها كان تأثيرا مبكرا ومباشرا ، اذ تخلصت على يد الامام محمد بن عبد الوهاب زعيم الدعوة ، مما سيطر على أسلوبها ولفظها أيام عصور الانحطاط ، من تعقيد وايهام فى الأسلوب ، وتكلف واغراب فى الألفاظ ، ونبد الموضوع القائم على الوعد والوعيد ، وصارت تعنى بموضوعات الساعة، لكنها بدأت بالأهم : كمحاربة الشرك والزنا وشرب الخمر ، وأكل الربا وغير ذلك من مظاهر الفساد ، التى سيطرت على ذلك المجتمع ، وأكدت على الترغيب فى التمسك بالتوحيد وأداء فرائض الاسلام : كالشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ونحو ذلك • مما نراه جليا فى خطب الامام •

غير أن ذلك التأثير فتر بعد وفاة الامام ، لتثبت كثير من الخطباء بترديد خطب امامهم • ومر بالخطابة فترة جمدت فيها ، حتى فى البلاد التى خرجت عن سيطرة زعماء الدعوة ، واقتصرت خطباؤها على مخلفات عصور الانحطاط •

وفى أواخر النصف الأول من هذا القرن الهجرى ، أستأنفت الدعوة نشاطها فى التأثير فى الخطابة ، لا فى المساجد وحدها ، بل وفى الأندية والمحافل ، وذلك على يدى بعض المجددين أمثال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى صاحب المؤلفات العديدة فى الاسلام •

ولم يكن ابن بليهد فى معزل عن ذلك التأثير ، بل ان روح الدعوة تسرى فى جميع شعره ونثره ، على ما ستراه مفصلا فى أبواب بحثنا هذا أن شاء الله ، فلندع هذا الحديث لمواطنه من البحث •

الفصل الثالث

البيئة الاجتماعية

عندما ننظر الى الحياة الاجتماعية في عصر ابن بليهد ، نجد أنها حياة ضاربة بجذور عاداتها وتقاليدها ، في أصول استحكمت وتحكمت في المجتمع الجاهلي ، فلما جاء الاسلام نقل المجتمع من حياة كلها : فوضى وفساد وتفكك وانحلال في كافة مناحي الحياة ، الى مجتمع كله نظام واستقرار ومحبة ووفاء وصدق في الاخاء ، وحسن في المعاملة ، واستقامة في السلوك . مجتمع تحكمه دولة واحدة ، وتشريع واحد ونظام موحد ، في كافة المجالات : القوى والضعيف فيه سواء ، لأن العدالة الالهية هي التي تحكم الجميع .

غير أن رواسب العادات والتقاليد والأخلاق الجاهلية ظلت نائمة في الأعضاء الخاملة من ذلك المجتمع ، كلما أحست غفلة من السلطان استقيظت وتحركت استعدادا للوثوب ، لكنها ظلت خاملة ، حتى ضعف وتقلص عن جزيرة العرب سلطان دولة الاسلام .

من هنا أستأنفت عادات المجتمع الجاهلي وتقاليده حياتها من جديد . ونحن نعلم مما رواه لنا التاريخ أن جزيرة العرب لم تحظ من الخلافة التي كان مركزها «دمشق» ثم «بغداد» بالكافي من الاهتمام ، بل ان اهتمامات بني أمية ومن بعدهم بنو العباس ، كانت في جزيرة العرب مقصورة على «مكة والمدينة» وما جاورهما من بلاد الحجاز والطريق والمسالك المؤدية اليهما ، وذلك ماجر البلاد تدريجا الى العودة الى

أوضاعها الاجتماعية الفاسدة ، التى ألغىها المجتمع الجاهلى ، فتمزقت وحدتها لتمزق السلطان ، وعاد السلب والنهب ، وشاع الفقر والجهل ونشط الربا والزنا وغير ذلك من فاسد الأخلاق والعادات ، وبذا عادت جزيرة العرب الى جاهليتها الأولى ، حتى قيام دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن «الثانى عشر الهجرى» النصف الأول من «الثامن عشر الميلادى» •

وقد وصف ذلك الحال المؤرخان الجليلان عثمان بن بشر وحسين بن غنـام •

أ - (أما الشيخ ابن غنام ، فقد قال :
(وعدلوا الى عبادة الأولياء والصالحين ، وخلعوا ربقة التوحيد والدين فجدوا فى الاستعانة بهم فى :
النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهمـ والأموات ، وكثير يعتقد النفع والاضرار فى الجمادات كالأشجار والأحجار •

وفى بلدة «الفدا» ذكر النخل المعروف بـ - الفحال - يأتونه النساء والرجال ، ويفدون بالبكر والأصال ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج ولم يأتها لتكاحها الأزواج فتضمه بيديها بحضور رجاء الانفراج ، وتقول : يا فعل الفحول ، أريد بعلا قبل الحول) (١)

(١) روضة الأفكار والأنعام ص ٧ - حسين بن غنام - الطبعة الثانية •

وهذه أمور كما نراها لا تختلف كثيرا عما كان يفعله الجاهليون ، الذين قال فيهم القرآن الكريم : ● (ما نعبدكم الا ليقرّبونا الى الله زلفى) ● (١)

وتلك أمور كانت محور الحديث فى مؤلفات أئمة الدعوة ، وخطبهم ، ورسائلهم ، بل لقد غلب الحديث فى العقيدة على أقلامهم ، وقل ان تناولوا بها غير ذلك من مسائل الدين كالفقه والتفسير ، ونحوها .

هذا هو حديث الشيخ حسين بن غنام (٢) المعاصر للإمام .

(١) سورة الزمر - الآية ٣ .
(٢) ابن غنام : هو الشيخ حسين بن أبى بكر بن غنام ، الأحسائى مولنا ، المالكى مذهباً التميمى نسباً .

ولد ببلدة «المبرز» ودرس على علماء الأحساء ، ثم انتقل الى «الدرعية» فى حياة محمد بن عبد الوهاب : فأخذ عنه ، وكان موضع التقدير والاعزاز من الامام ، وقد جلس لطلاب العلم فى النحو والعروض .

من مؤلفاته : «العقد الثمين فى أصول الدين» ، «روضة الأفكار والأفهام» مؤلفة التاريخى الشهير ، وقد طبع ثلاث مرات غير أن الطبعة الأخيرة ، التى حققها ناصر الدين الأسد ، قد تصرف فيها وحذف منها ما لا يتصل بالتاريخ ، كقصائد المؤلف الخمس الطوال ، وقصيدتين اختارهما من قصائد الامام محمد بن اسماعيل الصنعائى ، «ورسالة الفؤاد» للعذاب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، وحديثين مسلسلين رواهما بالاجازة محمد بن عبد الوهاب ، كما جرد الكتاب من السجع وصاغه صياغة جديدة ، غير أنه وان أحسن صنعا فى تجريد الكتاب من السجمات ، ألا أنه قد أساء ، اذ لم يشر الى ما حذف ، كما أشار الى عملية التجريد .

ثم أن العمد الى صياغة المؤلفات القديمة صوغاً جديداً ، عمل يجب ألا يفسد مقاصد المؤلفين وأساليبهم ، ونحن نستطيع الاستفادة من هذه المراجع بوسائل أخرى ، ليس هذا مجال بحثها .

وابن غنام يعد من طلائع شعراء النهضة ، وان كانت مسائل الدين تقتحم شعره ، فتقلبه فى كثير من الأحيان الى نظم أما أسلوبه فسجع متكلف يشبه الى حد كبير أساليب الجبرتى وأمثاله ، الذين يؤثرون المحسنات ، ويركبون ضعيف اللغات ، بل ربما صاروا الى اللحن حيناً .

وقد توفى ابن غنام «بالدرعية» عام (١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م) .

ب) أما المؤرخ عثمان بن بشر ، فيقول فى معرض حديثه عن الامام محمد بن عبد الوهاب :

كان - رحمه الله - فى صغره كثير المطالعة ، فى كتب التفسير والحديث وكلام العلماء فى أصل الاسلام ، فشرح الله صدره فى معرفة التوحيد وتحقيقه ، ومعرفة نواقض المضلة عن طريقه . وكان الشرك اذ ذاك قد فشا فى «نجد» وغيرها ، وكثر الاعتقاد فى الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها واستعاذة بالجن والذبح لهم ، ووضع الطعام لهم ، وجعله لهم فى زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ، ونفعهم وضرهم ، والحلف بغير واستعاذة بالجن والذبح لهم ، ووضع الطعام لهم ، وجعله لهم فى زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ، ونفعهم وضرهم ، والحلف بغير الله وغير ذلك ، من الشرك الأكبر والأصغر . والسبب الذى أحدث ذلك فى نجد والله أعلم ، أن الاعراب اذا نزلوا فى البلدان وقت الثمار وصار معهم رجال ونساء يتطببون ويداؤون ، فاذا كان فى أحد من أهل البلد مرض أو فى بعض أعضائه أتى أهله الى متطبة ذلك القطين من البادية ، يسألونهم عن دواء علته ، فيقولون لهم : اذبحوا فى الموضع الفلانى كذا وكذا : اما خروفا مهما اسود ، واما تيسا أصمع ، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهله ، ثم يقولون لهم : لا تسموا الله على ذبحه ، واعطوا المريض منه كذا وكذا ، وكلوا منه كذا واكذا ، واتركوا كذا وكذا فربما يشفى الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا ، وربما يوافق وقت الشفاء ، حتى كثر ذلك فى الناس وطال عليهم الأمد ، فوقعوا بهذا السبب فى العظائم ، وليس للناس من ينهاهم عن ذلك ، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون الا ظلم الرعايا ، والجور والقتال لبعضهم بعضا .

فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ، ومعرفة نواقضه وما كان وقع فيه كثير الناس من هذه البدع المضلة ، صار يتكر هذه الأشياء واستحسن الناس ما يقول ، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون ، ولم يزيلوا ما أحدث المتبدعون الخ (١)

هذا ما قاله عمدة مؤرخي «نجد» في عصرها الحديث الشيخ عثمان بن بشر (٢) .

والدعوة التي قادها الامام محمد بن عبد الوهاب في عام (١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م) قد أحدثت انقلابا كبيرا وتغييرا شاملا في الأوضاع الاجتماعية ، كما أحدثت ذلك الانقلاب في الأوضاع الدينية والسياسية

فالدعوة قد نقلت مجتمع جزيرة العرب ، من مجتمع متخلف إلى مجتمع يلتزم التزاما كاملا بتشريع الاسلام وأحكامه في الدين والسياسة والاجتماع وغيرها ، ويتخذ علماءه من رجال السلف الصالح أمثال :

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ص ، ١٧ عثمان بن بشر - ط صادر بيروت سنة ١٣٨٧ هـ .

(٢) عثمان بن عبد الله بن عثمان بن حمد بن بشر النجدي الحنبلي ، مؤرخ نجد فسي عصرها الحديث ، شارك في الفلك والحساب .

ولد «بشقراء» عاصمة إقليم الوشم بنجد وبها قضى شطرا من حياته ، حج عام (١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م) ، والتقى بعلماء الحجاز ، ثم استقر به المقام «بجلاجل» من إقليم «سدير» ، وبها توفي عام (١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م) .

وهو أشهر المؤرخين لنجد ، كتب في ذلك كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» وله مؤلفات أخرى منها : «بغية المحاسب في الحساب» ، والارشاد بمعرفة السبعة السيارة ، فهرس طبقات الحنابلة لابن رجب وكتب أخرى ، كتب عنه الدكتور عبد العزيز الخويطر وزير المعارف حاليا كتابا سماه (عثمان بن بشر منهجه ومصادره) انظر معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - ص ٢٥٩ ج ٦ ط بيروت ، الاعلام - خير الدين الزركلي - ج ٢ : ٢٧١ ، وعثمان بن بشر للدكتور عبد العزيز الخويطر ط الرياض مؤسسة الجزيرة سنة ١٩٧٠ ، «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ط بيروت .

ابن حنبل ، وابن تيمية ، وابن القيم لهم مثلاً ، حتى أزيلت مظاهر
الشرك ومعالم الوثنية فقطعت الأشجار ، وهدمت القباب ، ونشرت
الأحجار الى غير رجعة .

ولقد استطاعت ثورة الامام محمد بن عبد الوهاب أن تقضى على
جميع مظاهر الفساد ، كالوثنية والتمزق السياسى ، والزنا والسرقة ،
والسلب والنهب ، والربا وغيرها ، وأن تشيع بدلاً من ذلك : التوحيد
والاتحاد ، والمحبة والأمانة والصدق والاخلاص وغير هذا من مكارم
الأخلاق ، ومحاسن العادات والتقاليد ، التى أقرها ودعا اليها الاسلام .

وساعد توحيد البلاد فى دولة واحدة ، تمتد حدودها من «الخليج
العربى» الى - البحر الأحمر - ومن بوايد الشام ، والعراق حتى
مشارف «صنعاء» ساعد ذلك على ضبط ذلك المجتمع ، والتحكم فى
ظواهر السلوك والأخلاق ، والعادات ، والعبادات ، والمعاملات فيه
حتى سارت أحوال ذلك المجتمع فى مجراها السوى ، الذى يريده لها
الاسلام .

غير أن تلك الحياة السوية القويمة لم تدم طويلاً ، فقد مزق اهابها
وقطعت أوصالها بأيدي الأتراك ، وأبناء محمد على عام (١٢٢٩ هـ -
١٨١٣ م) فلم يلتئم لها بعد ذلك شمل الا ليطارده الانشعاب ، ولم
يستقر حال الا ليقذف به من الشقاق زلزال ، وليس غريباً أن تسوء
الأوضاع الاجتماعية فى مثل هذه الأحوال ، فيفقد الامن والاستقرار
ويكثر السلب والنهب وقطع الطريق ، وتشيع الفاحشة ، ويستباح الربا
وتنتهك المحارم ، وتحترف السرقة والاختلاس ، مجتمع لا يطمئن إنسانه
الى ما هو عليه من حال يمسى غنيا فيصبح فقيراً ، ويصبح فقيراً فيمسى
غنيا ، لأن القوة والمكر والخديعة والاختيال هو كل سلطانه ، بعدما

تمزقت وحدته ، وصار لكل قبيلة صغرت أو كبرت زعيم ، تأتمر فى الغالب بأمره ما دام قويا ، فان غلبه على أمره آخر صار له السلطان .

وفى خضم هذه الحياة المضطربة المضطربة ، بشتى صنوف الفوضى والفساد ، قضى شاعرنا محمد بن بليهد شطرا من حياته ، بل أكثرها وأخصبها ، اذ أن توحيد هذه البلاد ، واستتباب الأمن والاستقرار ، والنزوع عن العادات والتقاليد البالية ، واستعادة سلطة الشريعة الاسلامية ، وعقيدة التوحيد على المجتمع والنفوس ، انما بدأت تقوى وترسخ فى أواخر النصف الأول من هذا «القرن الهجرى» وذلك على يد المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، الذى تم على يده توحيد أكثر أجزاء جزيرة العرب باسم «المملكة العربية السعودية» .

واذا كانت مظاهر الوثنية ، التى كانت قائمة قبل الامام محمد بن عبد الوهاب ، تلك التى أوردنا شواهد من وصف المؤرخين : ابن بشر وابن غنام لها - اذا كانت هذه المظاهر - قد أختفت ، فان كثيرا من العادات والتقاليد ، والأوضاع الفاسدة قد نشطت من جديد ، حين -ضعف سلطان الدعوة .

وفى كتب صاحبنا ابن بليهد «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الاثار» ، - وتحقيق صفة جزيرة العرب - للهمدانى ، وما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، أحاديث كثيرة عن الأوضاع الاجتماعية السائدة اذ ذاك .

فعلى سبيل المثال ذكر فى رحلته الى «المدينة المنورة» استصحاب المسافر الخائف على ماله ونفسه ، رفيقا يمنعه من القبائل ، التى تقطن فى طريقة على أن يكون هذا الرفيق من أبناء تلك القبائل ، كما ذكر

سلطة القبائل الحجازية فى أرضها ، وأن حكم الشريف فى «الحجاز»
انما كان صوريا (١) •

وفى خبر رحلته الى «حوطة بنى تميم» ذكر أن القادم على تلك
البلاد اذا أراد السلامة ، فلا بد أن يطعم من طعام أحد رجالها ، ليظل
فى حمايته مدة أقامته (٢) •

وفى مذكراته الثلاث الملحقه بالجزء الخامس من كتابه «صحيح الأخبار»
أحاديث عن اللصوص ، وقطاع الطرق ، وعن بعض العادات والتقاليد
الاجتماعية السائدة اذ ذاك (٣) ولها نظائر كثيرة فى كتبه الثلاثة كما
أسلفنا •

واذا كانت تلك العادات المرتبطة بالأمن والسلطان ، قد أنتهت
باستتباب الأمن بعد توحيد البلاد ، على يد الملك عبد العزيز عام
(١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م) فان ذلك المجتمع لم يستطع أن يتخلص بسرعة
من كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية البالية ، التى منبعها الجهل
ثم الحفاظ على ما توارثه الآباء والأجداد •

ومن ذلك ما يصح أن يسمى بالعصبية القبلية ، فقد كان فيهم ما
عرف : «بالقبلى» والخضيرى ، أو الشيوخ والعبيد ، ومقتضاهما أن
المجتمع طائفتان : قبليون أى شيوخ ، وهم السادة ولا يكون أولو الأمر
الا منهم وخضيريون أى عبيد ، وهم الأتباع وكل طائفة منهم معروفة
بولائها وتبعيتها لاحدى قبائل السادة ، وفيهم تكون : الحرف والمهن
كالحدادة ، والنجارة ، والحيافة ، والجزارة ، والدباغة ، ونحوها من

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ •

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

الحرف التى يراها القبليون شائنة لهم ، لا تتناسب مع مركزهم الاجتماعى ، وليس للخضيريين حق فى الزعامة اللهم ألا أن يبرز فيهم عالم فيحترم ويجل لعلمه .

واذا كانت هذه العادة قد انقرضت ، وصار الناس سواسيه ، لا يفضل أحد أحدا الا بخلقه ودينه وما يقدمه لمجتمعه من خدمات ، فان شيئا من رواسبها ، ما زال يعيش فى بعض النفوس ، فالقبليون والخضيريون لا يتزاوجون فى بعض البلاد حتى الآن ، على أنه قد برز فى الخضيريين فى أيام الملك عبد العزيز وبعده بعض الرجال ، الذين تولوا أعلى منصب فى الدولة بعد ولى العهد والنائب ، فقد كان حمد بن سليمان أول وزير للمالية فى عهد الملك عبد العزيز (١) .

أما الرقيق ، فقد نشط نشاطا فظيما بعد منتصف هذا القرن (الرابع عشر الهجرى) ، لكن حكومة الملك فيصل رحمه الله قد قضت على تجارة الرقيق قضاء مبرما بشراء الأرقاء ، ثم اعتاقهم على شىء من المال كما حظرت حظرا تاما مشددا تعاطى بيع الرقيق ، بقرار صدر من الحكومة منذ ما ينيف على خمسة عشر عاما .

أما موقف ذلك المجتمع من الأفكار الجديدة ، والمخترعات الحديثة فشأنهم فى ذلك شأن المجتمعات المتخلفة ، - والانسان عدو ما جهل - ، فقد كرهوا الراديو واللاسلكى وما شاكلها فى بداية ظهورها بينهم ، واعقب ذلك اقبال واعجاب بها .

غير أن ذلك المجتمع ، الذى عاش فيه شاعرنا ابن بليهد اكثر حياته قد تغير تغيرا كاملا شهد بواكيره - رحمه الله - قبل وفاته .

(١) من المعلوم أن هذه التفرقة خلاف ما تقتضيه العلاقات الانسانية والاسلامية ، وأنه لا فرق بين هؤلاء وأولئك فى القدرات وإنما هى العادات والتقاليد التى تحجب بعض القدرات وقد انتهت الآن .

وكان هذا المجتمع يتخلص من رواسب عاداته وتقاليده البالية بسرعة هائلة تشبه سرعته فى الثراء عندما كشف النفط ، وسرعة فى التعليم وال عمران وغير ذلك من مناحى الحياة ، التى ظل يقفز فيها قفزا عشوائيا تارة ومنظما أخرى ، حتى أستقرت له الحال فى حياة مطمئنة منظّمة •

وحين نبحت عن ابن بليهد الشاعر فى خضم الحياة الاجتماعية لا نجده الا من خلال قصيدة (١) نظمها فى السد الذى أقيم أعلى «مكة المكرمة» حتى شعره العامى لم يكن لشئون مجتمعه فيه نصيب •

وقد نجد البيت والبيتين (٢) فى القصيدة فى أثناء مدحه للملوك والأمراء ، أو فى قصائده الأخرى ، ولكنها نتف لا تكفى للتدليل على أنه أسهم فى قضايا مجتمعه •

على أنه قد ذكر الكثير من أحوال ذلك المجتمع ، فى أحاديث مسهبة استطرادا فى كتبه الثلاثة ، وقد يطفح شئ من ذلك على أديم شعره حيناً ، فى صورة تنم عن ازدراء لبعض الحرف والمهن ، وتعيير أصحابها بها كقوله يهجو الجيش اليمنى :

جاؤا بهم من قرى شتى مصادرها
من حاكاة البرد أو دباغه الأدم

ظنوا بأن لقا نجد وصدمته
عند الملاحم أكل العيش فى البرم (٣)

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٦٣ •

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧١ •

(٣) ابتسامات الأيام ١٥٤ •

الفصل الرابع البيئة الخاصة

حياة ابن بليهد : أسرته ، مولده ونشأته ، دراسته ، رحلاته ، زوجاته وأولاده ، ملامح من شخصيته ، معيشته ، رثاؤه

١ - أسرته :

لقد نشأ ابن بليهد فى بيت التقت فيه الرياسة والسيادة بالعلم ، كما التقت به حياة البدو بحياة الحضر ، والتقت فيه التجارة والفلاحة ، فأبوه وجده من الأمراء ، وعمه عبدالله بن سليمان وأحد أجداده من علماء الدين ورجال القضاء ، وعمه عبد العزيز تاجر ، وفى أسرته فلاحون وكثير من شعراء العامية ، فقبس صاحبنا من هذا وذا ، وتأثر بذلك وذاك ، فكأنه خلاصة وصفوة عشيرته ، فأهله ذلك لأن يكون أعز ندماء الملوك فى زمانه وأقربهم الى مجالسهم الخاصة والعامة .

أما أمه فلا ننتظر أن نخرج من السؤال عنها بشيء ، فالنساء فى عصره وما قبله كن كسائر المتاع - ان صح هذا التعبير - أو كالجوارى اللائى لا يملكن من أمرهن فضلا عن أمر غيرهن شيئا - وكان قصارى ما تصل اليه المتعلمة فيهن أن تحفظ شيئا من القرآن الكريم ، أو تستطيع تلاوة المصحف الشريف ، فلم تكن تعد المرأة فى تلك الأيام الا لأن تكون ربة بيت حسبما يتطلبه البيت اذ ذاك ، وحسبما تسمح به مفهومات ذلك العصر ، وليس من شأنها ان تشتغل بالتعليم ، أو العمل خارج البيت ، ويندر أن تشارك الرجل وتعاونه فى الفلاحة ، واذا كان

ذلك ففى الطبقات الأدنى فى المجتمع ، أما مثل بيت صاحبنا فحرام
عليهن ذلك .

٢ - مولده ونشأته :

فى سنة (١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م) (١) ولد محمد بن عبدالله بن
عثمان بن سعود بن محمد بن بليهد النجدى ببلدة «غسلة» المعروفة قديما
«بذات غسل» ذكرها - الشاعر الآموى ذو الرمة فى شعره فقال :

وقمنا فرحنا والدوامع تلتظى
على العيس من شمس بطى عزوالها
ولو عبرت أصلابها عند بيهس
على ذات غسل لم تشمس رحالها

وقال المزرد بن ضرار مخاطبا المصطفى - عليه الصلاة والسلام :

تعلم رسول الله أنا كأنا
أفانا بأنمار ثعالب ذى غسل

وقال سمرة بن زيد المستملى :

أيا ذات غسل يعلم الله أننى
لجذك من بين البلاد صديق
ويا ذات غسل ريح أرضك طيب
كمسك لقابين الصلاء سحيق

(وذات غسل) - ثانية قريتين متجاورتين باقليم «الوشم» تعرفان
بالقرائن احدهما «غسلة» ، ذات غسل ، والثانية «الوقف» فى الوشم
الذى هو أحد أقاليم «نجد» وهو الذى يقول فيه الشاعر :

(١) انظر صحيح الأخبار ٢ : ١٣٢ الطبعة الثانية .

متى أمر على الشقراء معتسفا
خل «النقا» بمروج لحمها زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها
من الشنايا التي لم أقلها ثرم

ويشتهر أهل «الوشم» بالعمل في النجارة أكثر من غيرها ، وإن كان للزراعة من مجهوداتهم نصيب وضربوا فيها بسهم وافر ، خاصة في العصر الحديث .

وكانت قريته فأقليمها المهد ، الذي تقلب فيه وقضى أجمل أيام العمر - أيام الطفولة والصبا - في كنيف أسرته ، التي تنتمي الى بنى خالد ، وتعرف برجالها الذين اشتهروا : بالعلم والرياسة والتجارة .

أما صاحبنا فقد التقت فيه : السيادة ، والتجارة ، والعلم والأدب فكان بهذه يمثل القمة بأسرته .

لقد نشأ ابن بليهد محوطا بمناية أسرته ، ولعل أباه كان يتوسم فيه ما يتوسم السادة في النجباء من أبنائهم ، فعنى به وأدناه من مجلسه ، ليسمع ما يدور في المجالس من حكايات وأحاديث ، عن الشجاعات والبطولات وما تستتبعه تلك الأحاديث من : طرف وملح ونوادر ورواية للاشعار . وتلك هي المدرسة ، التي كان يتشقف فيها أبناء «نجد» في ذلك الزمان .

٣ - ● دراسته ومصادر ثقافته ● :

وحين بلغ السادسة من العمر حققه أبوه بمدرسة القرية ، التي كان قصارى ما تطمع اليه تعليم : القراءة والكتابة وشيء من الحساب وقواعد الخط والاملاء ، أما غاية ما تصبو اليه - وهو عظيم - فقراءة

القرآن وحفظه ، أو شيء منه ، أما ضروريات العبادة والعقيدة ، فإن الصبى ينشأ عليها فى البيت بين والديه وأسرته ، وتطبق فى البيوت بلا هوادة ولا لين .

وكان الطفل محمد بن بليهد : متوقد الذهن ، حاد الذكاء ، قوى الذاكرة ، سريع الاستيعاب .

لذا أخذ كفايته فى سن مبكرة من تلك المدرسة ، ليركها الى مجالس الخاصة والعامة والأعراب ، حيث تتلى دروس الحياة وتعاليم الزمان ، وعن هذه المجالس يحدثنا ابن بليهد نفسه فى كتابة «صحيح الأخبار» فيقول : (كنت فى صغرى شغوفا بحب الأعراب والاختلاط بهم ، وسماع حديثهم ، وحضور نواديهم ، والتعرف برؤسائهم ، واستماع أشعارهم ومعرفتى لفرسانهم) (١)

ويتجلى أثر تلك المجالس فيما أورده فى مؤلفاته ، من حكايات وأحاديث رواها عن أبيه ورواد مجلسه وبخاصة الأعراب ، ومن ذلك ما أورده فى كتابه «صحيح الأخبار» حيث قال عن أحد رؤساء البادية :

لقيته ثلاث مرات : المرة الأولى فى السنة التى قتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧ هـ ، ولى من العمر سبع سنوات ولكنى كنت بحيث أفهم الحديث ، رأيته عند والدى وأعمامى فى بلدنا «ذات غسل» المجاورة لبلد - شقرا - ، فى مقاطعة «الوشم» منيخا ركائبه ضيفا عندنا ، وا تسع الحديث بينه وبين والدى رحمه الله ، وذكروا الحروب التى بينه وبين عتيبة ، فسمعتة يقول - يخاطب والدى - يا عبد الله ، والله لو يتبعنى عشر عتيبه لأخرجتهم من «نجد» ، ولكن الذين معى

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٢ طبعة ثانية (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .

شردمة قليلون من قبيلتي الصعران وسامه الهلال ، وقد جرى علينا نقص عظيم بقتل هذا الغلام الذى كنت أحارب به ، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد ، وذلك هو تريحيب ، فقد كان اذا سمع الصائح قال لى : أعطنى السيف والعبية (١) أو البندقية والكحيلة (٢) ، وطلب السيف والعبية لأنها فرس سابق ، تلحق ولا تلحق ، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وانيه ، فاذا أدركته الخيل رماهم (٣) . ومثل هذا الحديث كثير عنده .

وكان ابن بليهد مولعا بالقراءة منذ الصغر ، لا يقع فى يده كتاب الا أكب عليه قراءة واستظهارا ، فكانت عيناه تلتهمان كل ما وقعتا عليه ، بما فى ذلك : كتب الدين ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ . ومن هنا كانت مجالس العلماء أحب المجالس اليه ، واحاديثهم عنده أحلى الأحاديث يصفى اليها بانتباه ، ويتحمل بصدر محب للعلم والمعرفة ما قد يصادفه ، كالذى سمع - وهو بصحبة عمه عبد العزيز من الشيخ احمد ابن عيسى حين استخف به وهزأ بشاعريته ، حين سأل الشيخ عنه ، فأخبره بأنه ابن أخيه ، ومدحه بما عرف عنه من حب للعلم والقراءة ، وأنه يحاول نظم الشعر قال الشيخ أحمد : حسب ابن أخيك نظم الخرز (٤) .

ولقد اتصل ابن بليهد فى أول حياته بستة من العلماء ، أعجب بهم وجلس اليهم ، وسمع منهم وان لم يتمكن من الانتظام فى حلق الدرس لديهم ، لاشتغاله بالحياة وانهماكه فى الأسفار ، التى بات يجد فيها اللذة والراحة على ما بها من نصب ووصب .

(١) العبية : اسم فرسه .

(٢) الكحيلة : اسم ناقته .

(٣) صحيح الأخبار : ٢ : ١٢٣ .

(٤) انظر ابتسامات الأيام ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ص ٧ .

هؤلاء العلماء هم : عبد الرحمن بن عودان ، وأحمد بن عيسى ،
وابراهيم بن عيسى ، وهناك عالم رابع جلس ابن بليهد اليه كثيرا ،
وصحبه في بعض أسفاره ، وسجل بعض ذكرياته معه في حياته ، ثم
بكاه بعد مماته ورثاه بقصيدة سنذكرها في موضعها وهذا العالم هو :
عبدالله بن سليمان البليهد .

أما العالمان اللذان جلس اليهما وأخذ عنهما علم : النحو ، والصرف
والعروض فهما : الشيخ ناصر بن سعود الملقب شويمي من علماء
«شقراء» يقول عنه الشيخ حمد الجاسر أنه الذي كان يصحح القصائد
الأولى الفصيحة لابن بليهد (١) والثاني هو: الشيخ عبدالله بن عمار (٢)

وروايات ابن بليهد عن معاصريه من العلماء كثيرة (٣) كروايته
عن ابن عمه وعن الشيخ المحقق المؤرخ حمد الجاسر ، وكثير غيرهما
من العلماء ، والأمراء والرؤساء ، وخاصة الناس وعامتهم .

أما في «الحجاز» فانا لا نعرف عن أخذ عنهم وقرأ عليهم شيئا ولم
يذكرهم فيما كتب ولكنه كان اذا عاد من «الحجاز» عاد محملا بالكتب
والمخطوطات النفيسة ، التي كان يكب على قراءتها ، ويؤثر صحبتها
في حلة وترحاله ، وكان أقباله على كتب اللغة والأدب والتاريخ أكثر ،
واعجابه بها أكبر، وكان اذا مر باسم بلد أو واد أو جبل أو ماء أو
نحو ذلك طبقه على ما رآه وشاهده ، فخرج من ذلك بحصيله ضخمة
تجدها فيما كتب من مؤلفات .

(١) الشيخ حمد ، املأ منه على كاتبى بمنزله بالقاهرة ٣٠ جمادى لآخر سنة ١٣٩٧

هـ - ١٩٧٧/٦/١٧ م .

(٢) عن ابن عم الشاعر عثمان في حديث له معي .

(٣) صحيح الأخبار ٢ : ١٢٧ .

وخلاصة القول فى هذا أن ابن بليهد ، لم يجلس الى معلم أو شيخ جلوسا منتظما ، بعد أن خرج من مدرسة القرية التى تعلم بها القراءة والكتابة وشيئا من الحساب ، كما حفظ بها القرآن الكريم ، وشيئا من الحديث . وأصول الدين ، على يد عبد الرحمن العبيدى المعلم بتلك المدرسة (الكتاب) وانما كان أستاذه كتابه ومدرسته مكتبته ، وموطن مذكراته ظهر مطيته ، أو منزل رحله فى القرى والفلوات .

٤ - ● أعماله ● :

لم تكن الحياة فى «نجد» أيام صبا ابن بليهد وشبابه وحتى منتصف هذا القرن «الرابع الهجرى» رحبة الميادين واسعة المداخل ، وانما كانت فى الواقع ضيقة المداخل والمخارج ، ولا مجال للعمل فيها الا فى ميدانين اثنين :

أحدهما الزراعة وهى مصدر للرزق غير مضمون ، لأسباب أهمها : أن الزراعة ، فى نجد تعتمد على المياه الجوفية ، التى تستخرج بأسلوب بدائى من الآبار ، فاذا ما أخلفت السماء حصر الفلاح بين آفتين احدهما غور مياه الآبار ، وهذا معناه استحالة الزراعة ذلك العام ، وانعدام ثمر النخيل ، وقد تكون المصيبة أكبر، وذلك اذا ما غارت الآبار وقد قطع الزرع مرحلة من حياته فيموت ، وثانيتها عدم انبات المراعى التى تعتمد على المطر فى الانبات وهذا معناه موت الماشية .

أما الميدان الثانى للعمل ، فالاتجار وليست التجارة بأقل آفات من سابقتها - فلو لم يكن الا أنها عرضة للسلب والنهب لكفى ذلك صاحبها فلقد كان الناس فى تلك الأيام يعيشون حياة من الفوضى : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، الروابط فيها بقدر المنافع الغلبة للقوى .

ولقد اختار ابن بليهد من هذين الميدانين ميدان التجارة ، وهى أقرب الميدانين الى طبعه وأدناهما الى ميوله ، أضف الى ذلك أن عمه

عبد العزيز، قد اصطفاه من بين أبناء أسرته ، ليكون رفيقه في أسفاره ومرشده الى علامات الطريق ، لأن عمه كان كفيف البصر ، وله في ذلك قصص وحكايات ، كلها مفاجآت ، ومغامرات ، وأخطار وأهوال .

ومر ما يقرب من «ثمانية أعوام» كان فيها صاحبنا يرصد حركات عمه وسكناته ويصغى الى كل كلمة يفوه بها ، وكأنه كان يريد أن يؤهل نفسه لمثل عمل عمه ، حتى أقعد الكبر عمه وألقى عصا التسيار تلقفها منه تلميذه صاحبنا بمفرده ، وحمله نجاحه في السنوات الأولى على أن يوسع ميدان تجارته وأن ينوع فيها ، أيضا فلم تعد الأطعمة والماشية كافية لاستيعاب نشاطه .

وكان الصراع بين : ابن سعود ، وابن رشيد ، والشريف ، وبين القبائل بعضها البعض قد بلغ أشده، ومثل ذلك الوضع سوق مربحة للسلاح وتلك فرصة تجارية لا تفوت على مثل ابن بليهد .

لذا نجده يسافر الى «الحجاز» لهذا الغرض وينضم الى صفوف المقاتلين بجانب الملك عبد العزيز بن سعود ، ولكن عمله في الجيش كان وثيق الصلة بالتجارة ، وهو جبى المؤن والسلاح والذخيرة ، أى أنه كان بخبرته الجيدة في هذا الميدان يعمل في اعداد المحاربين .

وحين أستقر الأمر للدولة السعودية عرض عليه الملك عبد العزيز العمل ، فلم يقبل الا ما كان وثيق الصلة بما ألف من أعمال ، ولذا عين مديرا لمالية «الطائف» (١) عام (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) .

وحين ترك هذا العمل عام (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) - عاد الى «الشعراء» بلده الثانية ، وعاد الى نشاطه التجارى الذى كان قد ضعف أيام عمله ، في ادارة مالية «الطائف» واستمر في مزاوله التجارة حتى

(١) في تلك الأيام كان لكل اقليم من اقاليم المملكة مالية مستقلة ، تجبى اليها الزكاة ونحوها لتصرفها في مصارفها الشرعية .

أقعده المرض أخريات حياته ، التى كانت أقامته فيها مقسمة بين نجد حيث أسرته وذووه ، «والحجاز» حيث الأمير فيصل بن عبد العزيز ، الذى كان يحتل ابن بليهد فى مجالسة أقربها إليه .

٥ - ● رحلاته ● :

لقد كثرت رحلات ابن بليهد ، التى أورد بعضا منها فى كتبه فى ثنايا أحاديثه ، ولولا أنى لا أنزع للاطالة لبسطت الحديث فيها ، لأن حياته كانت رحلة متواصلة ، تقطعها الإقامة فى «نجد والحجاز» فترات قلما طالت ، ولذا سأكتفى منها بإيراد سبع عشرة رحلة ، كنماذج لرحلات جاب فيها القفار ، وجاس خلال الديار ، وتقلب فى السهول والوعور ، وصعد الجبال وعبر الوهاد ، واستظل بالأشجار والكهوف ، وأكل الضب واليربوع ، وتلمس الماء فى غياهب الأدغال ، بين فحيح الحيات وعواء الذئاب ، وانطماس معالم الطريق . رحلات كلها مغامرات ومخاطرات ، كأنها الأساطير وقصص المسامرات ، وصفها بنفسه ، فقال قضيت سنوات طويلة تتقاذفنى أنا وناقتى الفلوات ، اسمع عواء الذئاب وأطعم فى بعض رحلاتى الضباء والضباب ، وكثيرا ما فوجئت بحيات وذئاب ، وكثيرا ما نفذ زادى ومائى ، وأشرفت على الهلاك ، وكثيرا ما شعرت بالسموم كأنه فيح جهنم . (١)

(١) وكانت أولى تلك الرحلات ، التى عمرت بها حياة ابن بليهد ، تلك التى اصطحبه فيها عمه عبد العزيز ، ليخبره بعلامات الطريق فى تنقله بتجارته بين القرى ومضارب البادية عام (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م) .

(١) صحيح الأخبار ص ٤ : ص ٣ .

٢ (وفى عام (١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م) كان فى جماعة المقاتلين من أهل «الوشم» الذين كانوا فى جيش - الملك عبد العزيز .

٣ (وسفرته الثالثة كانت «للاحساء» عام (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) .
وهى رحلة تعد طويلة بالقياس الى سابقتها وكان فيها فى جيش الملك عبد العزيز ، الذى ذهب لفتح «الأحساء» .

٤ (وفى عام (١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) رحل متجرا الى «حوطه» بنى تميم ، وله حديث عن هذه الرحلة أورده فى كتابه «صحيح الأخبار» فيه تحدث عن عادات أهل تلك البلاد فى تلك الأيام ، وهى عادات فى أيامها لم تنفرد بها بلدة «حوطه» بنى تميم ، بل كانت شائعة فى القبائل العربية اذ ذاك .

وخلاصة تلك العادة التى أعجبت ابن بليهد ، فأطنب فى الحديث عنها هى أن العرب تقول : « من أكل من طعامك وجبت له حمايتك » ولذا كان الوافدون على أى حى يحرسون على أن يظفروا بالطعام او اللبن من أى بيت ليمسوا فى حمايته .

٥ (ورحلته الخامسة الى «الحائط» فى عام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) وخلاصة ما ذكره فى كتابه أنه كان فى تلك البلدة ، وكانت تابعة للشرىف ، لوقوعها بالقرب من «تربة والخرمة» فجاء جيش ابن سعود الى الحائط وابن بليهد بها فذعر أهلها وخافوا أن ينكل بهم جيش ابن سعود ، فطلبوا من ابن بليهد أن يكون واسطة بينهم وبين الجيش ، فى صلح يحفظ عليهم دماءهم وأموالهم ، على أن تكون السلطة فى البلاد لابن سعود ، فقبل ونجحت وساطته ودخل الجيش البلدة دون أن يوقع بأهلها أى ضرر ، وفى ذلك نظم قصيدة مطلعها :

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب

١ (وفى عام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) كان فى جيش الملك عبد العزيز الذى فتح «حائل» وفى الطريق نظم قصيدة مطلعها :

الدار قفر عفاها البين والغير
ريب المنون وشتت شملها القدر

٧ (وفى أثناء حصار «حائل» بعثه الملك عبد العزيز الى نواحي خيبر جابيا للزكاة (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) .

٨ (وبعد فتح «حائل» رحل مع الملك عبد العزيز الى الرياض ، سنة (١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م) .

٩ (وفى عام (١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م) كانت له رحلة الى قبائل «هتيم» وكان فيها جابيا للزكاة من قبل الملك عبد العزيز .

١٠ (وفى عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) قام برحلة الى «الحجاز» وانتهى به المطاف فيها الى «المدينة المنورة» وظنى أن هذه الرحلة كانت ذات وجهين : أى أن ظاهرها التجارة ، وباطنها السياسة وذلك لأمرين :

أحدهما : أن هذه الرحلة جاءت بعد اصطحاب الملك عبد العزيز له الى «الرياض» والثانى ما ذكره هو فى كتابه صحيح الأخبار حيث قال :

« حتى نزلنا العوالى فى المدينة على رجل من بنى على يقال له : دغيمان بن جعيدان ، وهو رجل شجاع كريم مهيب فى قومه ، فأقمنا فى المدينة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حبست بتهمة أن لى دخلا فى أمور السياسة ، وأمر الحبس صادر من الحسين شريف «مكة» ولكنه لم يثبت على شىء مما اتهمت به ،

وأقوى معين لى على الخروج من الحبس ، هو الرجل الذى كنت
عنده ضيفا ، لأن السلطة فى المدينة فى ذلك العهد لقبائل حرب
وليس للدولة .

وقد فصل ابن بليهد ذلك الحديث تفصيلا جيدا ، ونظم فيه
قصيدة هى من جميل ما حوى الديوان ومطلعها :

يا نفس عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل

(١١) وبعد رجوعه من «الحجاز» وجد جيوش الملك عبد العزيز تتجهز
لغزو الشريف ، فى عقر داره فأنضم اليها ، لكن كان جل عمله فى
الجيش كعمون له ، بالأقوات والسلاح والذخيرة ، الى ما كان ينظم
فى تلك المواقف من أشعار .

(١٢) وفى أثناء حصار «جدة» ارتحل بأمر من ابن سعود الى (عسير)
وغامد ، وزهران ، وتهامة ، وما يليها ، لجلب المؤن من هناك ، ولما
كانت تلك البلاد فى حكم الأدارسة - وهم أعداء لابن سعود - فقد
كتم ابن بليهد أمره وادعى أنه تاجر ، يبحث عن الربح ولا يعنيه
من أمر ابن سعود والشريف شىء ولما لم يكن خبيرا بمسالك تلك
البلاد ، فانه قد أصطحب رجلا من أهلها أوهمه أن سيكون شريكا له
فى الربح ، اذا باع ما يأتى به على جيش ابن سعود ، وقد ذكر
رحلته هذه فى كتابه «صحيح الأخبار» وكانت هذه الرحلة فى عامى
(١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) ، (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م) .

(١٣) وفى عام (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) . رحل الى «الطائف» ليقوم بها
ما يقرب من خمس سنوات مديرا للمالية .

(١٤) وبعد تركه الوظيفة عام (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) وعودته الى بلده الثانية «الشعراء» أستأنف التجارة •

(١٥) وفى عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) قام بأهم رحلة فى حياته الفكرية والعملية والثقافية ، وهى رحلته الى «مصر» ، وكان الهدف منها العلاج ، غير أن العلم أبى الا أن يأخذ منه نسبة ، وأبت الثقافة الا أن تفرض نفسها عليه ، فلقد طبع وهو تحت العلاج من الشلل النصفى ، الذى أصابه ثلاثة من آثاره : «ديوانه ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام» ، و«صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» و«تحقيقه صفة جزيرة العرب» للهمدانى ، وأهم من هذا كله ذلك التغيير الذى تجلى فيما كتبه من شعره بعد طبع الديوان وبعد أن أتصل بالمفكرين والمثقفين فى «مصر» ، وقرأ للمحدثين من كتاب وشعراء •

فهو اذن لم يقض أيامه فى مصر كما يصنع المرضى أو السائحون ولم تكن رحلته رحلة علاج واستجمام ، بل الى جانب ذلك كانت رحلة علم وعمل •

حدثنى أحد الثقات أنه كان يأتى الى مطبعة «السعادة» للإشراف على طبع كتبه ، وكان يجبر جسمه جراً لما به من مرض ، كما لم يمنعه المرض من الاطلاع على معالم القاهرة والتنقل فى أرجائها وقد أشار فى كتابه «صحيح الأخبار» (١) الى التطور ، الذى حدث فى القاهرة ، وأن الفرق شاسع بين ما ذكره ياقوت عنها وما هى عليه فى هذا العصر ، كما أشار ، الى «حلوان» (٢) وما فيها

(١) أنظر صحيح الأخبار : ٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ •

(٢) المرجع السابق - ٣ : ٢١٥ •

من حدائق وحمامات ومياه معدنية ، والى انقطاع الموصل اليها ،
وبه فى ذلك قصيدة لم يحوها الديوان ومطلعها :

بالأمس فوق ظهور القاطرات الى
حلوان سرنا وكان السعد حاديننا

(١٦) وفى عام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) بعد رجوعه من «مصر» بعام
تقريبا ، عاوده المرض فكان يذهب الى «عين نجم بالأحساء»
للاستحمام بمياهها ، وفيها نظم آخر ما عثرنا عليه من شعره ، وهى
القصيدة التى أثبتتها فى مؤلفه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته
وبقاعه» ومطلعها :

تحملت فى نجم وقد طلع النجم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم

(١٧) وفى عام (١٣٧٧ هـ - ١٥٩٧ م) كانت رحلته التى لم يعد رحمه
الله - منها ، فلقد اشتد به المرض وبصورة أشد ، فسافر الى لبنان
وتوفى رحمه الله بها فى العام نفسه تاركا وراءه آثارا لا يستهان بها
فى مجال العلم والأدب ، وجيلا ساهم قبل مماته فى فتح باب الشعر
الحديث له .

وله رحمه الله رحلات متعددة مع الأمير فيصل بن عبد العزيز
(الملك السابق) رحمه الله - ونحن لم نتتبع جميع رحلاته ولم
نتقص ما ذكر منها فى مؤلفاته (١) ، وانما أردنا تقديم نماذج
لتلك الرحلات ، التى ختمت برحلات العلاج الثلاث الأخيرة .

(١) أنظر صحيح الأخبار ١ : ٥١ - ٢ : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ١٥٤ ، ١٦١ - ٣ : ٩٣
١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٣ - ٤ : ٣٤ ، ٥٣ ، ١٤٨ ، ٢١٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
٢٧٤ ، ٢٧٥ - ٥ : ١٠ ، ١٤ .

ثم أنا فى حديثنا عن رحلاته اغفلنا كثيرا من الأحاديث ، التى أوردها عنها فى مؤلفاته اختصارا ، ولعلمنا أن من يريد أخذ الصورة كاملة ، كما أوردها لا يكفيه الا أن يرجع الى نصوصها فى كتبه وهى مطبوعة لا يصعب على الباحث الرجوع اليها ، خلا كتابه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» فهو ما زال مخطوطا .

وفى تتبعى لرحلات ابن بليهد والأماكن التى زارها ، لفت انتباهى ظاهرة فى الحديث عنده ، وهى أنه على الرغم من أسهابه فى الحديث فى مواضع كثيرة من مؤلفاته واستطراداته العديدة ، يغفل الحديث عما فى البلاد التى زارها من حياة فكرية ، ونشاط أدبى كان فى حينه موضع اعجاب العارفين من أبناء ذلك العصر .

لقد زار «الأحساء» لأول مرة فى عام (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) ، وكان فيها تلك الأيام من الأدباء والعلماء والشعراء الكثير ، كعبد العزيز بن عكاس وأمثاله ثم زار الرياض أكثر من مرة ، كانت أولها فيما علمنا سنة (١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م) ، وكان بها انشيخ الشاعر ابن سحمان وأمثاله من العلماء المتأدبين ، ثم زار (حوطة بنى تميم) ، (سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) وبها شاعر الجزيرة الكبير محمد بن عثيمين ، ثم زار مدن «الحجاز» الأربع سنة (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) وكانت جميعها تعج بالشعراء ، وهواة الأدب ورواده ، وكان قد حج الى «مكة المكرمة» عام (١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م) ، ثم استقر بالحجاز فى صحبة فيصل بن عبد العزيز بعد فتحه ، وسكن «الطائف» ما يزيد على خمس سنين ، واستقر بعض أسرته بجدة ، وبعد عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) . وزع وقته بين «الحجاز» ونجد ، وكان هناك من العلماء والأدباء أعداد كبيرة فى تلك المدن ، أمثال أحمد ابراهيم الغزاوى ،

ومحمد سرور الصبان ، ومحمد سعيد عبد المقصود ، ومحمد حسن عواد
وغيرهم كثير .

والأعجب من هذا أنه قد ضرب في أحاديثه صفحا عن شيوخه ،
الذين أخذ عنهم فلم يشر الا الى أحمد بن عيسى ، في مقدمة ديوانه ،
في معرض حديثه عن بدء نظمه بالفصيح ، حتى ابن عمه الشيخ عبدالله
سليمان ، الذي أشار الى مصاحبته له في كثير من أسفاره ، وفي أثناء
أقامته «بمكة المكرمة» رئيسا للقضاء بها ، لم يتحدث عن أخذه عنه
ودراسته عليه ، اللهم الا روايات عابرة مقتضبة تعد على الأصابع ،
مبعثرة هنا وهناك في كتبه ، فمنها قوله : «كنت في قرن المنازل يوما
مع فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد - رحمه الله - ونحن
جلوس على حجر في ضفة وادي قرن مما يلي الغرب ، فالتفت عن
يمينه ونحن متوجهون الى القبلة ، ثم قال : انظر هذا الجبل الأحمر ،
هذا هو قرن الذي سمي الوادي به » (١)

كما أنه في مطلع حياته شهد حربا كلامية اشتد أوارها ، بين أنصار
الدعوة بزعامة الشيخ سليمان بن سحمان ، وخصومها ، أمثال جميل
صدقى الزهاوى ، فلم يتكلم فيها ولم يشارك ، ولم يشر اليها مع أن
هؤلاء جميعا أحق من أولئك الذين ذكرهم وجلهم من سواد الناس وعامتهم

ولقد ألح على هذا السؤال كثيرا : لماذا أهمل ابن بليهد ذكر
شيوخه وعلماء عصره وأدبائه ؟ فالحفت في سؤال العارفين به ،
والمقربين اليه فذكر لى بعضهم : أنه كان ينوى اخراج كتاب حول
تاريخ البلاد يضمه تراجم رجال العلم ، وأهل الأدب ، فتوقعت العثور
على شيء من هذا لدى أسرته ، وفي لقاءاتى المتعددة بهم - خاصة ابنه

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٥٠ ومن ذلك ورد في ٣٠ : ٥٢٧٦ ، ١٨٥ المرجع السابق

عبدالله - أكدوا لى أن لا شىء من هذا موجود ، ولم أجد فيما أمدونى به من أوراق ومخطوطات ما يشير الى شىء من هذا ، الأمر الذى يؤكد ما وصلنا اليه فى بحثنا ، من أنه لم ينتظم بحلقة علم ، ولم يواصل الجلوس الى شيخ كما أسلفنا .

٦ - ● أزواجه وأولاده ● :

كان من العادات السائدة عند أهل «نجد» قبل ثلاثين سنة تقريبا ، أن يزوجوا أولادهم ذكورا وإناثا فى سن الخامسة عشرة ، والسادسة عشرة ، وقد يزوجون قبل ذلك - ويدفعهم الى الزواج المبكر ، أهداف دينية ، وأخلاق وعادات ، وتقاليد اجتماعية ، ومن تخلف عن ذلك يكون موضع تساؤلات وأحاديث ، واللسان كثير الفضول ، والعقبات المالية والسكنية التى هى مشكلة الزواج فى عصرنا هذا ، لم يكن لها وجود قبل ربع قرن تقريبا ، فلقد كانت المهور رمزية ، كما كان من العيب انفصال الرجل بعد زواجه من بيت أسرته الأولى قبل وفاة رب الأسرة وصاحبنا ابن بليهد لم يتزوج زواجه الأول الا وهو فى سن الثالثة والثلاثين ، فما الذى أخر زواجه الى هذه السن المتأخرة ، وسوغ خروجه على العادات والتقاليد فى هذا على الرغم من أنه كان ميسور الحال ، ومن أسرة لا يرد خاطبها . ؟

لقد شغل ابن بليهد بالأسفار والتجارة المتجولة وهو فى سن مبكرة ، كما اتجه الى الشعر والبحث العلمى فى تلك السن نفسها بجميع طاقاته الفكرية والجسمية فاستبدت به وسيطرت عليه .

ذكر أحد المعاصرين له عن قصة زواجه ، فقال : «لما عاد محمد بن بليهد من رحلته الى الحجاز» التى سجن فيها وكاد يقتل سمعته يقول فى أكثر من مناسبة : لو قتلنى الشريف لذهبت بلا خلف ، لقد زاد هذا

الخاطر - وأنا فى السجن بالمدينة المنورة - قلقى ، ولو كنت قد تزوجت
لكان لى من الولد من يخلفنى ، ويترحم على ويدعو لى ويستغفر .
ولم تمض أيام حتى تزوج ببنت سعد بن سالم من أهل بلدته «غسله
ثم تزوج بعد ذلك بسارة بنت عبد الرحمن خلف من أهل الشعرا ، التى
تعد البلد الثانى لابن بليهد ، ويقال : ان ذلك الزواج الثانى كان عن
حب الا أن القدر لم يمهل زوجته الجديدة ، فتوفيت فى السابع من ذى
القعدة (١٣٥٢ هـ - فبراير ١٩٣٣ م) فأشعل الفراق فى قلبه نار
الحرقة والالتىاع ، فحزن عليها حزنا شديدا وبكاها بكاء مرا ورثاها
نقصيدة منها :

تصرمت الأواصر والرمام
من الدنيا وهل يغنى الكلام (١)

وستأتى مستقبلا ان شاء الله .
ولكنه لم يكن صادقا حين القى السلام على «الشعرا» وساكنها فى
آخر القصيدة :

فألقيت الحقائق عن ركابى
على الشعرا وساكنها السلام (٢)

فلقد عاد اليها ليتزوج من أخت زوجته المتوفاة ، فلعله كان ينشد
فى أختها السلوة والعزاء ، وهو فى زواجه الثانى والثالث لم يفرط فى
زوجته الأولى بنت سعد بن سويلم بل ظل يقسم فراغه بين زوجتيه ،
الى أن قضى الله بالفراق فتوفى عام (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٥٤ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٥٦ .

وقد خلف الشيخ محمد بن بليهد ثمانية من الولد : ثلاث بنات ،
 وخمسة بنين ، عبد العزيز ، وعبدالله ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وسعود
 وبذلك كان له ما تمناه من ولد يخلفه ويذكره ، ويدعو له ويستغفر .

٧ - ● ملامح من شخصيته ● :

يروق لبعض الباحثين أن يورد الصفات الجسمية لمن يترجم له ،
 وقد يربط بعضهم بينها وبين ما للرجل الموصوف من نشاط فكري ،
 ونحن نسلم بما بين الصفات الجسمية والعمل اليدوي والرياضيات
 البدنية من سبب ، لكن لا نستطيع أن نسلم بأن للصفات الجسمية
 ارتباطا وثيقا بالأعمال الفكرية ، صحيح أن العقل السليم في الجسم
 السليم ، ولكن سلامة الجسم لا تعنى ما يوصف به من طول وعرض
 وسواد وبياض ونحوه .

على أنا قد أثبتنا في ذيل بحثنا احدى صور صاحبنا ، ليأخذ منها
 من لا يوافقنا ما يريد .

أما ما نراه مفيدا فذلك الذى يمس خلاله وسجاياه ، مما سمعته
 عن بعض معاصريه والمجالسين له ومن أبنائه وما قرأت له ، فقد حدث
 عنه أنه كان حليما رحيمًا كريما .

قال عنه الشيخ حمد الجاسر - وهو خير من يستشهد بقوله فى هذا :

(ابن بليهد الانسان)

لقد عرفت ابن بليهد - رحمه الله فعرفت رجلا من خيار أبناء
 بلادنا كرما وسماحة نفس وشهامة ومسارة الى فعل الخير ومجبة
 لمساعدة من احتاج الى مساعدة عرفته وكان مقيما فى «الحجاز» فكان
 بيته مقصدا لمن عرفه من الناس من تجار وفقراء ، من بدو وحضر ، من

ذوى الحاجة ومن ضيوف ، فكان يقابل كل أولئك ببشاشة ورحابة صدر
لا يمل ضيفه مهما أطال أقامته •

وكان يتفقد ذوى الحاجات ، وكثير منهم كانوا يتوسطون به الى
الأمير فيصل اذ ذاك ، وكان ذا منزلة عنده ، وكان يبلغه حوائجهم ، أو
يذهب بأحدهم ليقابله •

وأعرف كثيرا من كبار التجار ، وكبار البدو وغيرهم ، كانوا
يحتاجون اليه فى أمور استعصى حلها عليهم ، فكان لهم خير العون •

وبالاجمال فابن بليهد بقية جيل أوشك أن ينتهى ، ان لم يكن
انتهى : من حيث كرمه وسخاء نفسه ومحبته لفعل الخير ، وهذا جانب
من حياته جدير بالدراسة وما أجدرنا أن نسجل لرجالنا ، الذين بهذه
النصفة ، مناقبهم لتكون مثالا يحتذى (١)

ويقول ابنه عبد العزيز أكبر أبنائه فى احدى رسائله الى :

(كان سريع البديهة ، قوى الذاكرة ، يحب البحث التاريخى
والقراءة ، ويحب الخير والسعى فى العمل الصالح ، ومساعدة المحتاجين
بقدر المستطاع فى منزله ، وخارج منزله وكان يمتاز بقلب رحيم ،
ويعامل أفراد أسرته وخلافهم معاملة فاضلة بأخلاق حميدة ، له رحابة
فى الصدر كبيرة ، وقد استطاع القول بأننى لم أشاهده رحمه الله
غاضبا فى يوم من الأيام) •

واستخلاصا مما سمعت وقرأت (٢) أضيف أنه :

(١) املأ منه على كاتبى ، بعضورى بمنزله بالقاهرة ، ١٧-٦-١٩٧٧ - ٣٠
جمادى ثانى ١٣٩٧ هـ •

(٢) أما ما سمعت فمن أسرته ومعاصريه من أحاديث ، وأما ما قرأت فكتبه وما وصل
لدى من أوراق هنا وهناك •

كان رجلا وقورا مهيبا يجله المرء لأول نظرة ، فاذا تحدثت اليه ازداد في نفسك مهابة • يظل صامتا ، فاذا تكلم سكت المجلس كله وأصغى الجالسون جميعا اجلالا ومهابة ، ثم انهم يجدون عنده : الحكمة الصائبة ، والمثل الصادق ، والتجربة النافعة ، الى ما كان له من : علم وفضل ورياسة وسيادة ، ثم هو محط آمال أهل بلدته ، ووسيلتهم فى رد المظالم ، وتخليص الحقوق ، حتى من : اللصوص وقطاع الطريق من الأعراب والبدو ، الذين كانت تلك مهنتهم ووسيلة عيشهم فى صدر حياتهم •

وعندما تضمه مجالس العلماء والملوك والأمراء وسادة القوم ، فانه يكون فيها موضع العناية والتقديم والتقدير •

وكان نديما محببا لدى الملك فيصل ، اذ اجتمعت فيه صفات النديم فهو : حلو الحديث ، حاضر البديهة ، مليح النكتة ، راوية للاخبار والأشعار ، عالم بالأنساب ، خبير بالأماكن والبقاع ، ثم هو بعد ذلك كله شاعر ينظم بالفصحى والعامية ، وفوق هذا وذاك كان خبيرا بمدخل الأمور ومخارجها ، ماهرا فى معرفة ما يرتاح له محدثه ومالا يرتاح له ، يتفرس الوجوه ويستخبر النظرات ، ويستوحى الايماءات والاشارات •

ومن هنا كان له المركز المقدم فى تلك الندوات التى كان يعقدها الأمير فيصل للشعراء تلك الندوات التى وصفها أحد مرتاديه ، ابراهيم بن خميس ، فقال : (ومن ذلك أنه فى السنوات التى كان فيها نائبا لجلالة الملك المرحوم والده على «الحجاز» ما بين عامى (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م) (١) كان يقيم

(١) هكذا ورد فى الأصل ، فلعله يعنى زمن اقامة تلك الندوات فى «الطائف» ذلك أن الملك فيصل - رحمه الله - عين نائبا لأبيه على «الحجاز» عام (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م) ، وظل كذلك حتى تولى الملك (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) •

كل أسبوع من أسابيع الصيف ، التى يمضيها فى «الطائف» مبالاة
 للشعراء ، يحضرها ويشترك فيها بنفسه ، فيجمع بعض شعراء نجد
 وشعراء «الحجاز» وبخاصة شعراء البادية ، ويجعلهم يتبارون فى قول
 الشعر على البديهة ، وهو يشترك معهم الى أن يقول : (لقد حضرت
 بنفسى عددا كبيرا من هذه الاجتماعات والندوات الأدبية ، حيث
 كانت تنصب خيمة كبيرة فى أحد الأودية : اما فى وادى «ليه»
 بالطائف ، أو فى وادى «مسره» بالطائف ، ثم كانوا يجمعون من الحطب
 كمية كبيرة ، تكوم وسط الحلقة وتشعل النار ، ويقف الشعراء
 المتنافسون بجوارها ، كل يردد شعره ، كما كان الحضور يجلسون :
 يستمعون ، ويشاهدون ، والمحكمون : يقارنون ويحكمون وكان اذا كرر
 أحد الشعراء بيتا أو شطرا من بيت سبق أن قاله غيره ، اعترض الحكام
 على الفور ونبهوه ، واعتبروا ذلك سقطة لشعره ، تحسب عليه وتقلل
 من قيمته (١)

وعلى الرغم من أن جل شعر ابن بليهد كان فى المدح ، ألا أنه لم
 يصرح بالاستجداء فيه الا نادرا جدا كقوله :

فان أبت مسرورا بعز ورفعة

وقد عم كفى من أياديه أنعم (٢)

فذاك والا بالفؤاد محبة

ومعرفة تبقى أجل وأعظم

وقوله من قصيدة عامية :

سلطان يطلب شرهته هزمان

وبنا مخلصى شرهتى من زمانين (٣)

(١) أسود آل سعود ص ٧٩، ٧٨ لابراهيم بن خميس . دار ، النجاح - بيروت سنة
 (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .
 (٢) آبتسامات الأيام - مطبعة السنة
 المحمدية بالقاهرة (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) .
 (٣) المرجع السابق ص ٣٠١ .

وهو استجداء كما تراه غير صريح لم يزد فيه على الاخبار بأن صاحبه يطلب أعطيته السنوية ، بينما قد ترك هو ذلك منذ عامين كما أنه شديد الحرص على جمع الكلمة ، وتآلف القلوب ، تشهد بذلك كتاباته كقوله فى خاتمة شعره الفصيح بالديوان :

(انى أعتذر من أخواننا المجاورين لنا فى الحروب الماضية ، فان رأوا بيت شعر فيه شدة ، فان الوقت الذى قيل فيه ذلك البيت أشد منه ، فان القنابل كانت تختلف بيننا وبينهم والحمد لله ، الذى جعلنا اخوانا فى ظل مولانا صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود) (١) •

ويتجلى حب وتقدير الملك فيصل له ، فى مبادرة الملك عندما داهمه المرض ، فقد اقترح عليه أن يسافر الى «مصر» للعلاج •

يقول ابن بليهد : (مرضت أمراضا عديدة منها : فتور حدث فى جسمى فى الشق الأيمن بدون ألم ، ومنها ألم فى كتفى الأيسر ، فقال لى مولاي صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود : اننى أرى أن تذهب الى «مصر» وتعالج ، فربما تفوز بالصحة والعافية فقدمت «مصر» فى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ فشفانى الله من جميع ما كنت أشتكى) (٢)

كما عرف رحمه الله بصدق تدينه وابتعاده عن كل ما من شأنه أن يشين أو يعد اخلالا بالسلوك ، ولا أدل على ذلك من قربته من مجالس العلماء ، ورجال الدين وحرصه عليها ، كما لم يعرف عنه تهتك ولا تبذل فى الفعل أو القول •

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٣ •

أما أسلوبه فى تربية أولاده ، فقد وجهت سؤالا بهذا المعنى الى ابنه عبد الله فقال : (كان أبى حريصا كل الحرص على أن نبلغ فى التعليم أعلى مراحلہ ، ولم يكن يبخل علينا بشيء من جهد أو مال ، أو نصح وارشاد ، وكان اذا أخطأ الواحد منا استعمل معه أسلوب التأنيب ، بعد أن يوضح له خطأه ويرشده الى الصواب ، ولا أعرف أنه ضرب أحدا منا إطلاقا) .

٨ - ● معيشتہ ● :

قبل وفاة ابن بليهد بثلاثين عاما تقريبا ، كان قصارى ما يطمح اليه المترفون ، فى معيشتهم ، أن يتوفر لديهم ما تنبته الأرض آنذاك من تمر وبر ، وما تنتجه ثروة تلك البلاد الحيوانية من لحوم ولبن وسمن فكان قوتهم من تلك الأصناف أو ما يشكل منها ، أو بعضها من أطعمة يضاف اليها بعض النباتات والبقول ، وبعض الخضراوات والفاكهة .

ومن بعض تلك الأكالات المصنعة من هذه الأصناف مالا يوجد له مثيل فى بلد آخر ، الأمر الذى دفع ابن بليهد وهو على ضفاف وادى النيل الخصيب الى أن يقول :

مقيم - على كره - بدار طعامها
كريم ولكن ليس كالبر والتمر
وليس لأصناف الطعام تشوقى
ولكن شيئا يجلب الشيء للذكر (١)

أما مراكبهم فظهور الابل والخيول والحمير ، وملابسهم وفرشهم وأدوات معيشتهم كثير منها من جلود ما شيتهم وأصوافها وأوبارها ،

(١) القصيدة المنسوبة اليه (عيون المها) مخطوطة .

ونبت البلاد كسعف النخيل وأليافه ، وجذوع الشجر وأغصانها وثمارها
خلا الثياب التى ترد من خارج الجزيرة •

ولم تكن لمعيشتهم صلة بخارج الجزيرة الا فى بعض الكماليات ،
كالتوابل وأنواع من الأبخرة والعطور وبعض الملابس والأدوات ،
وبعض الآنية القليلة ، على أن صلاتهم بالبلاد العربية «كدول» الخليج
والعراق والشام ومصر كانت وثيقة ، اذ كان التجار منهم يمدون
أسباب تجارتهم الى تلك البلاد ، وكثيرا ما جاوزوها الى «الهند
وفارس فأى شىء فى تلك المعيشة يدعو الى الحديث ؟

غير أن الحياة قد امتدت بابن بليهد ، فشاهد البلاد وقد انفتحت
على العالم بلا حدود ، وأخذت بشتى أسباب العيش ووسائله الحديثة
فتغير فى المعيشة كل شىء : فكما كان الثراء طفرة كان الترف طفرة
أيضا ، فجلبت جميع مستحدثات العصر بلا استثناء الى البلاد •

وركب ابن بليهد الطائرة وأفخم السيارات ، بعد أن كانت تتقاذفه
وناقته القفار (١) ، وسكن القصور الفخمة المزودة بالأجهزة الحديثة
بعد أن كان يعيش فى بيته ببلدته ، وكان كبيرا الا أنه كان من الطين
والخشب ، وهو البيت الذى تبرع به للمدرسة أخريات حياته •

ولم يصل ابن بليهد الى الحياة المترفة أخريات أيامه ، الا بعد جهاد
طويل شاق ، كان يصارع فيه من أجل العيش ، وحكاياته عن أسفاره
للاتجار وما لقيه فيها من نصب وصعاب ، تشهد أنه كافح فى سبيل
العيش كفاحا مريرا •

(١) انظر الجزء الرابع من كتابه (صحيح الأخبار) ص ٣ •

صحيح أن هبات الملك وبعض الأمراء له كانت كثيرة ، لكن كثرتها كانت قياسا على زمنها ، فلم تبلغ الحكومة اذ ذاك حد الثراء ، ثم أن بعض تلك الأعطيات قد تصادف فى طريقها اليه بعض المعوقات -

واذا كان لابد لنا من أن نضع دليلا على ذلك ، فلن نجد أقوى من قول ابن بليهد نفسه ، فلقد أحيل فى احدى أعطياته الى مالية «مكة» فأحالته مالية مكة الى مالية - الظفير - ، اذ كان لكل إقليم مالية تجبى اليها زكاته ، ويصرف بعضها للفقراء ، وتتصرف الدولة فيما بقى -

لقد كتب فى هذه الأعطية قصيدة ساقها بشيء من الحكاية يقول فيها (وقد حولتنى مالية «مكة» على مالية بلد - الظفير - من بلاد - غامد - وأمين الصندوق العمومى لمالية «مكة» خليل عبد الجبار قد اختلف هو ومدير مالية - الظفير - فى ذلك التحويل ، ودار بينهما مكاتبات فى شأنه ، وكان مدير ادارة مالية «مكة» فى ذلك الوقت محمد سرور الصبان - وقد أوقف التحويل خليل أياما قليلة وعرض الموضوع على محمد سرور ، وكان رجلا دمث الأخلاق ، حسن السيرة ، فحلل الموضوع بأحسن أسلوب ، فقلت عند ذلك -

وأورد فى ذلك قصيدة طويلة منها :

أقلا ملامى فالحديث طويل

وشكواى بين العارفين شكول

فلو أنها سارت بنهج محمد (١)

لكان لها نحو النحاة سبيل

وأضحت كنور الشمس بيضا صحيحة

ولكن محاها بالقتام خليل

(١) محمد : هو المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان -

على غير قصد فى الكتاب يؤمه
له طرق مسلوكة وأصول

وقلت له حل الخلاف فقال لى
سأفعل ما يرضيكمو وأقول

وقلت السبيل المرتضى أنت أهله
لأنك فيها حاذق ونبيل

كذاك جباة المال يلقي اليهمو
أمور وفيها مبرم وسحيل (١)

دعوا كل وعرما أطيق ارتقاءه
لأن بلادى عثث وسهول (٢)

وكانت له أعطيات سنوية يسمونها «الشرهة» وفى ذلك يقول
مشيرا الى مطالبه صديقه سلطان الجبر الرشيد بأعطيته ، بينما أهمل
ذلك هو عامين ، ولعله يلفت نظر الأمير فيصل بن عبد العزيز الى ذلك
كما أسلفنا •

ثم ان سلطان الجبر قد كتب كتابا للامير فيصل قال فيه : أنه يغبط
ابن بليهد لطول مصاحبته للامير ، كما ذكر فى مقدمة القصيدة :

وسلطان يطلب شرهته هزمان
وانا مغللى شرهتى من زمانين
أما الفلوس وجمعها ما عنانى
لا شفت حماى الونيات بالعين

(١) المبرم : هى ثلاثة خيوط تجمع فترم والسحيل : خيط واحد •

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٦٧ •

يقبل على ربه عريب المجانى
 لاشاف عنهم جملة الناس مقفين
 يبو طلال عطيت خطك وجانى
 وانكنت غابطنى على المربع الزين
 لياك تجزع ربي الى عطانى
 ومما عطاك الله منا يجز عين (١)

وكان له نخل ، ومزارع موسمية ، فى بلدته الأولى «غسلة» (٢)
 ومثل هذه المزارع والآبار تدر على صاحبها خيرا كثيرا ورزقا وفيرا •

وفاته •

وفى عام ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م عاود المرض الشيخ محمد بن بليهد
 فسافر الى لبنان للعلاج حيث توفى بها ، فرثته الاقلام نثرا وشعرا (٣)

ولم نرد اثقال بحثنا بتلك المراثى الجمة ، فحسبنا من ذلك هذه
 الأبيات لصديقه الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوى - قال الغزاوى
 لك العتبى وللذكرى الأريج

وما يغنى العويل ولا الضجيج

فقدنا فيك شهما عبقرى

له الأدب المذهب والنضيج

سجلا كنت لا يطوى وسفرا

به الأزهار تعبق والمروج

(١) أبتسامات الأيام ص ٣٠١

(٢) أشار الى بعضها فى حديث عن الأماكن والبقاع منها الوادى الذى ذكره ص ٨٨ ج ٥ من صحيح الأخبار والبئر التى أشار اليها فى ص ٣٤ من كتابه (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) •

(٣) من ذلك جريدة البلاد السعودية العدد ٢٦٣٣ تاريخ الثالث من جمادى الثانية عام ١٣٧٧ هـ •

أرقت فؤادك الفانى بيانا
هو السلسال والروض البهيج
أحقا مانعى الناعى فأصمى
وانك بعد يومك لا تعوج
أجل ما عاش الا كل فـان
وكالطيف الكواكب والبروج
ولكن لن يموت أخو يـراع
له الأثار أسواق تـروج
ولن ينساه الا ذو جـود
والا اكمه شغب لجـوج
صحائفه المضيئة ناطقات
وان هو لا يهاج ولا يهيج
هى الاحقاف والدهناء طـولا
. وعرضا واليمامة والخليج
وأسمات السراة وما اليها
وما انتحت الجعافل والحجيج
قليل مثله فى الناس صب
بما احتوت المعاجم والدروج
وأحسب صمته خطبا جسيما
به الأحزان تسعر والأجيج
سقى الوسمى مضجعه وحيـت
قرائنه القرائح والهـزوج

الباب الثاني

● آثار ابن بليهد ●

الفصل الأول : كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار
الفصل الثاني : كتاب ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه
الفصل الثالث : كتاب تحقيق صفة جزيرة العرب للمهداني
الفصل الرابع : أماكن أطال المؤلف الحديث فيها
الفصل الخامس : ملاحظات عامه حول مؤلفات ابن بليهد الثلاثة
وآراء بعض معاصريه فيها

الفصل السادس : نشر ابن بليهد

الفصل السابع : الشعر العامي أو النبطي

الفصل الاول

كتاب صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار

الارتباط بالأرض :

يتغنى الشاعر بحب الوطن فيذيب في نجواه أعذب الأنعام .
وأصدق العواطف وأعمق المشاعر ، لا لأن الأرض حبيبة الشاعر وحده
وانما لأنه أوفى بنبيها ، وأقدرهم على تصوير عواطف هؤلاء الأبناء ،
الذين كان منها خلقهم وعليها كان مولدهم ومدرجهم ، ومنها كان قوتهم
ومتاعهم ، واليها يعودون ، ومنها يخرجون تارة أخرى .

واذا كانت الأواصر والروابط المختلفة ، قد شدت الانسان الى
الأرض وحببتها اليه ، فان تعلقه بالجزء الذي عاش فيه أكثر ، وحببه
له أكبر ، فلا بدع اذن أن يتغنى بحب الوطن في قصائد ، يسكب فيها
المشاعر والاحساسات حية صافية ، لا يكدرها الملق والرياء ، ولا
تشوبها المطامع والأغراض ، ولا تزيفها الشهوات والنزوات .

ولقد ارتبط العربي القديم بموطنه وأحبه حبا ملك عليه احساساته
ومشاعره ، على نحو لا نجده عند أى أمة ولا عند أحفاد ذلك العربي
بالرغم من شيوع الشعر الوطنى فى عصرنا الحديث ، فانه عند هؤلاء
المتأخرين يضعف فيه الارتباط بالأرض والمنازل والديار أو بعبارة
أخرى تندر فيه تلك الدلالة ، المتمثلة فى ذكر الأماكن والمنازل والديار
ولقد نجد شيئا من ذلك عند شوقي متناثرا هنا وهناك ، ولكنه نادر
على أى حال أو على الأقل قليل .

أما العربي القديم فيندر أن تجد له قصيدة ، أو مقطوعة خلت مما يدل على ارتباطه بالأرض ، سواء أكان ذلك : أسم جبل أم رملة أم واد أم ماء أم دار ، وقد يكثر ذلك بصورة عجيبة ، كالذى نراه فى هذا النموذج من قول زهير بن أبى سلمى :

لمن طلل كالوحي عاف منازلـه
عفا الرس منه فالرسيـس فعاقـله
فرقد فصارات فاكناف منعـج
فشرقى سلمى حوضه فأجاـوله
فوادى البدى فالطوى فثاـدق
فوادى القنان جزعه فأفاكـله

فهذه أبيات ثلاثة أحتوت على اثنى عشر اسما ، لأماكن ، فيها البلدة والوادى والجبل والماء (المورد) ، بعضها ما زال باسمه وبعضها استبدل اسمه ، وبعض منها ناله التحريف .

من هنا كانت المعرفة بتلك البقاع ضرورة ملحة ، لمن يريد أن يفسر الشعر العربى القديم ، بل ان فى معرفة المنازل والديار وتحديدتها ، ماقد يعيننا على تفسير بعض الجوانب المستورة من الحياة العربية ، وبالأخص ما يتصل منها باللغة والتاريخ والأنساب ، وذلك كله كان وما يزال مسرح جدال ونزاع بين كثير من الكاتبين .

ومن هنا ندرك قيمة الجهد الذى بذله الشيخ المرحوم محمد بن بليهد فى كتابه «صحيح الأخبار» ، ذلك العمل الذى لم يسبق عليه فى هذا العصر .

● عرض لمحتوى كتاب صحيح الأخبار ● :

طبع هذا الكتاب طبعتين : الأولى بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة من (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م الى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م) فى خمسة أجزاء والثانية عام (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) . خمسة أجزاء فى مجلدين

راجع الطبعة الأولى وضبطها وعلق عليها الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ولم تزد الطبعة الثانية على الأولى شيئاً سوى مقدمة قصيرة لابن المؤلف .

ويمكن تقسيم الكتاب الى أربعة أقسام :

المعلقات العشر ، شكول من المعارف الأدبية واللفوية والتاريخية على غير نظام ، استدركت على ياقوت والبكرى ، مذكراته على نحو ما سنفعله .

القسم الأول :

أخذ المؤلف بعد حمد الله والصلاة على النبى مباشرة فى بيان الأسباب التى دفعته الى تأليف هذا الكتاب وأهمها :

(١) تشجيع أدباء المهاجر الأمريكية له بعدما اطلعوا على البحوث ، التى كان ينشرها فى صحيفة البلاد السعودية ، فجعل من تلك البحوث نواة لجمع مادة الكتاب .

(٢) ادراك المؤلف حاجة الدارسين للادب العربى ، وبخاصة الجاهلى والاسلامى منه ، الى معرفة البيئة الطبيعية وتفصيلاتها ، ليتمكنهم فقه الأدب الذى يقرؤنه ، فضلاً عن الفوائد اللفوية والعلمية الأخرى ، التى يستتبعها مثل هذا البحث .

٣ (الاسهام فى تقديم المعلومات ، التى قد تفيد دارسى اللغات واللهجات المختلفة .

٤ (تصحيح كثير من الأخطاء ، التى وقع فيها بعض المؤرخين وأرباب المعاجم ، وهى كثيرة لدى بعضهم ، خاصة أولئك الذين كتبوا عن رواية ، ولم يكتبوا عن خبرة ومعينة ، وليس من سمع كمن رأى .

٥ (تشجيع الباحثين من العرب والمستشرقين له فيما نشر من بحوث فى الصحف (١) .

● المعلقات وأصحابها ●

فى ص ٦ بدأ الحديث عن أرباب المعلقات بعنوان هو (تصدير بذكر الأماكن ، التى طاف بها أصحاب المعلقات) وتحت هذا العنوان ذكر نبذاً عن كل واحد من أرباب المعلقات العشرة :

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| ١ (أمرؤ القيس . | ٢ (زهير بن أبى سلمى . |
| ٣ (طرفة بن العبد البكرى . | ٤ (لبيد بن ربيعة العامرى . |
| ٥ (عمرو بن كلثوم التغلبى . | ٦ (عنتره بن شداد العبسى . |
| ٧ (العارث بن حلزة اليشكرى . | ٨ (الأعشى ميمون بن قيس . |
| ٩ (النابغة الذبيانيسى . | ١٠ (عبيد بن الأبرص الأسدى . |

ألا أنه ضمن الجزء الأول الحديث عن الثمانية الأوائل ، أما النابغة وعبيد فقد افتتح بالحديث عنهما الجزء الثانى .

وقد تحدث عن كل واحد من هؤلاء على حدة ، فذكر : المولد والنشأة والمنشأ والبلاد التى طاف بها ، ثم الوفاة ، وبعض الخبر عن الشاعر – غير أنه لم

(١) أنظر صحيح الأخبار ١ : ١ - ٥

يسو بينهم فى الحديث، فقد أعطى أمراً القيس والنابعة وزهيرا ما لم يعطه الآخرين ، وذلك لأسباب أهمها : —

(أ) أن أمراً القيس قد جمع فى شعره من الأماكن المتباعدة الكثير ، منها ما كان فى الشمال من جزيرة العرب ، ومنها ما هو فى أقصى الجنوب وقرر أن الشعراء العرب كانوا يجمعون الأماكن المتباعدة فى القصيدة الواحدة وفى البيت الواحد ، ثم أنكر على كثير من الباحثين قولهم أن (مراد) كانت بلدة امرئ القيس ابن حجر الكندى ، وحقق ان أمراً القيس الذى نسب الى «مراه» هو امرؤ القيس بن زياد بن تميم ، وأيد هذا بالاشارة الى بعض القبائل ، وأماكنها القريبة من «مراه» .

(ب) ثم ان ورود الأماكن المتباعدة فى شعر زهير وتكررها فيه ، دليل على أنه أقام فيها .

وأرى أن هذا ليس بدليل قاطع ، فقد يكون لمكان ألم به الشاعر عرضا فى نفسه ، ما ليس لمنازل أطال فيها المقام .

ثم عقب على هذا باعتبار أرباب المعلقة كلهم ، من أهل «نجد» ما عدا أمراً القيس .

وأرى هذا استثناء لاوجه مطلقا له ، فان أمراً القيس وان كان يمنى النسب ، «نجدى» النشأة .

عاد بعد ذلك الى الحديث عن أشعار هؤلاء الشعراء العشرة ، وهدفه من الحديث عرض الأبيات ، التى تضمنت الأماكن والبقاع والأودية والجبال ونحوها ، مسهبا حينا ومقتضبا حينا ، حتى أوفى على نهاية معلقة عبيد بن الأبرص .

شيئا من أخباره تماما ، وانما عمد الى الأبيات التى فيها هدفه وطلبته
وهى الأماكن والجبال ونحوها .

وحين عرض لقصيدة زهير التى مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجر

أقوين من حجج ومن شهر (١)

حدد المواضع التى فى الأبيات الثلاثة الأولى ، على الرغم من أنها موضوعة
حسب ما روته كتب الأدب ، من أن حمادا الراوية هو الذى وضعها .

وكان يجمل به أن يشير الى ذلك ، كصنيعه عندما عرض للحديث
عن بيت امرئ القيس :

ولو صادفتهن على أسيس

وحاقه اذ وردن بنا ورودا

واستشهاد ياقوت فى معجم البلدان ، وأبو عبيد البكرى عند ذكرهما
(أسيس) يقول عدى بن الرقاع :

قد حبانى الوليد يوم أسيس

بمشار فيها غنى وبهاء (١)

وقد يرفع عنه مثل قولنا هذا ما ذكره فى ص ٥٦ ج ١ من كتابه حين
قال : (يعلم القارئ أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء
الجاهلية ، فان بينها وبين أشعار الجاهلية فرقا شاسعا فى المعنى ،
والعهدة فى ذلك على من رواها منسوبة الى هؤلاء الشعراء ولذلك
أمثلة كثيرة ليس هذا محل الافاضة فى ذكرها .

ولعل هذا ما قصده ، عندما شرع فى هذا القسم من كتابه ، وان
خروجه على ذلك فى شعر امرئ القيس ، وزهير والنابغة الذبياني
كان استطرادا .

(١) وهو لا يذكر من أشعار هؤلاء وغيرهم ممن استشهد بأشعارهم ،
الا ما تضمن أسماء أماكن أو بقاع ونحوها ، واذا راق له أن يورد شيئا
من الأبيات غير المحتوية على الأماكن والبقاع - وذلك نادر - فإنه
يبين الدافع الى ذلك كما فعل حين أورد أبياتا لامرئ القيس والتي
يقول فيها :

قد أشهد الفارة الشعواء تحملنى
جرداء معروقة اللحيين سرحوب
كأن صاحبها اذ قام يلجمها
مغد على بكرة زوراء منصوب

قال ابن بليهد (قال امرؤ القيس : وهى من أحسن قصائده لكنها خالية
من المطلوب الذى نحن فيه .

ثم أورد القصيدة وعقب عليها بقوله :

«والذى دعانا الى ايراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ، ووذمها ،
والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرئ القيس
الى يومنا هذا» (١)

(٢) وفى حديثه عن شاعر الحكمة والسلام فى العصر الجاهلى ، زهير
بن أبى سلمى ، لم يتحدث عن حكمته ولا دعوته الى السلام، ولم يذكر

(١) انظر صحيح الأخبار ١ : ٥٠ ، ٥١ .

(٣) وأول ما يطالعنا به فى حديثه عن لبيد تحديده (لمنى) الواردة فى معلقة الشاعر ، وهو تحديد لم يسبق عليه فيما أعلم ، وهذا أمر الفناء لدى ابن بليهد هذا الرجل الذى خدم الأدب العربى بعمله هذا خدمة لم يضارعه فيها أحد ، فلقد كنا نعتقد أن «منى» الواردة فى معلقة لبيد هو المكان الذى يجتمع فيه الحجاج قرب مكة .

غير أن ابن بليهد أرشدنا بتحديد هذه الى أن «منى» هذا هو الكائن فى عالية (نجد) (١) .

(٤) وفى حديثه عن اليمامة الواردة فى معلقة عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرت

كأسياف بأيدي مصلتينا (٢)

أطال فى ذكرها ولعل ما دفعه الى ذلك أن فيها عاصمة المملكة الرياض

(٥) اختلف الرواة على معلقة الأعشى ، فمن قائل أنها التى مطلعها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل

وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومن قائل انها التى مطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال

وسؤالى فهل ترد سـوالى

بل وهناك من ادعى أنها «الدالية» التى نظمها فى مدح الرسول ، والتى مطلعها :

(١) المرجع السابق ج ١ : ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق - ١ : ١٩٥ - ٢٠٩ .

ألم تفتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهدا

وكم كان جميلا من ابن بليهد أن يشير الى ذلك والى سبب تفضيله
(ودع هريرة) على أختيها ، ولو أنه لم يستطرد في حديثه عن الأعشى
لقلنا انه اختصار .

وأما عدم ذكره لدخول «منفوحة» في مدينة الرياض الحديثة فانه
لاوجه للومه على ذلك لأن المد الذي حصل في مدينة «الرياض» انما
كان بعد وفاته — رحمه الله — بسنين وانما الذي يلام عليه حقا
اعراضه عما عدا المعلقة من شعر الأعشى ، على الرغم من غناه بأسماء
الأماكن والبقاع ، ثم ان الأعشى من الشعراء الرحالين ، الذين ضربوا في
أفاق بلاد العرب وما جاورها عرضا وطولا ، حتى «بلاد فارس والروم
وبلاد الحبشة» .

٦ (وكما اختلفت الرواة على معلقة الأعشى ، اختلفوا كذلك على
معلقة النابغة ، فمن قائل انها هذه التي مطلعها :

يادارمية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد

ومن قائل انها التي مطلعها :

عوجوا ، فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نوى وأحجار

وابن بليهد هنا أيضا لم يذكر سببا ، لتفضيله لهذه على تلك .
على أن مثل هذا قد لا يعد مأخذا عليه ، إذ أن غرضه من كتابه هذا —
كما حدده — الأماكن والبقاع ونحوها .

أما القسم الثانى من كتابة هذا ، فتحدث فيه ، عن شكول من المعارف
اللفوية والأدبية ، دون نهج معين يسير عليه . ولذا سنعرضه مضطرين
عرضا مفصلا كما جاء .

على أنى أشير هنا الى أنه كان ينوى أن يختم كتابه هذا بنهاية
الجزء الثانى ، الذى سنعرضه الآن ، كما نبه على ذلك فى مقدمة الجزء
الثالث .

بدأ القسم الثانى يذكر أشعار وردت فى غير المعلقات ، لشعراء
مختلفين (١) وفى هذه الصفحات المائة ذكر تحت أربعة وأربعين رقما
أبياتا ، لجملة من الشعراء من أرباب المعلقات وغيرهم - يزيد عددهم
على مائة شاعر (٢) تخلل ذلك استطراد ، وصف فيه طريق المسافر من
«نجد» الى الخليج العربى ، مما يلى الكويت مارا بمدينة الرياض
ثم ختم صحبتة لأشعار هؤلاء الشعراء بقوله : (وقد انتهينا من ذكر
المواضع الوارد ذكرها فى أشعار العرب على الاختصار ، ولو أطلعنا
لضاقت المجلدات بذلك . انظر الى قصيدة جرير «الفائية» التى وفد
بها على الوليد بن عبد الملك ، وهى القصيدة التى مطلعها :

انظر خليلى بأعلى ثرمداء ضحى
والعيس جائلة أغراضها خنف

نجد أنه ذكر بها خمسة وعشرين موضعا وهى هذه (٣) .

ثم سرد الخمسة والعشرين موضعا سردا سريعا ، خلص منه الى
الاجابة على سؤال عن القبائل العربية ، ومنازلها قال : ان بعض

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٨٣ - ١٨٤ .

(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ - ١٧٩ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ١٨٤ .

الأدباء وجهه اليه (١) ، وهو تعريف مقتضب ومفضل الكثير من القبائل ، التي ما زالت تقطن أماكنها ، ومنها على سبيل المثال (الأزدي) من القحطانيين (وقریش) من العدنانيين .

وبعد هذا أورد ، فى احدى وعشرين صفحة (٢) من هذا الجزء اثنين وستين مثالا من الشعر العربى الفصيح ، ومثلها من الشعر العامى يأتى بواحد أو أكثر من هذا ، وآخر أو أكثر من ذاك ، ثم يعقب عليها بالاشارة الى أن المعنى واحد أو متشابه ، خذ مثلا هذا المثال مما أورد :
(قال عبدالله بن رواحة - رضى الله عنه - يخاطب راحلته فى غزوة مؤتة :

إذا بلغتنى وحملت رحلى
مسافة أربع بعد الحسا
فشأنك والخلا وخلاك ذم
فلا أرجع الى أهلى ورائى
وقال محمد بن لعبون وهو يخاطب راحلته وصاحبه :

إذا جيت فى وادى سدير قخلها
تذب العفى ما فوقها الا وسومها
قضت لازمى فى قطعها البید بالدجى
تبى البر والمرعى ونبنى لزومها

عبدالله بن رواحة يقول : اذا أنت بلغتنى مقصدى فشأنك والخلا ،
بمعنى أنه يتركها ترعى كما تريد ، وابن لعبون لا يزيد عن هذا ولا
يختلف عنه . (٣)

(١) المرجع السابق ٢ : ١٨٥ - ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٨٩ - ٢١٠ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ١٩٠ .

وقد يبين مزية ما لأحدهما عن الآخر ، اذا كان لأحدهما مزية ، ولكن ذلك يكون فى عجاله من الحكم السريع ، خذ من قوله هذا المثال :

قال أعشى قيس راعى «منفوحة» :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن فى الليل فى حافاتها زجل

ذلك قول محمد بن لعبون :

فى مهمة كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجنى على فقدته الذيب

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر زجل الجن ، والزجل : الصوت • وفى قول ابن لعبون ذكر المهمة ، وشبهه بالترس ، وذكر ان الجن طرب فى هذا المهمة على فقدته الذئب والذئب لا يقيم الا قريب ماء فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء فى المفازة التى قبلها (١) •

وهذا نوع من المقارنة طريف جدا ، لو اتجهت اليه أقلام المهتمين بالأدب العامى فانهم يجدون فيه ما يقوى دعواهم ويسوغ عملهم هذا الذى يريدون منه اثبات ، أصالة الأدب العامى ، وأنه جدير بالدرس والاهتمام •

غير أنك تحس ميله الى الشعر العامى ينضح به كلامه سواء فى المقدمة لتلك المثل من المقارنات ، تلك المقدمة التى اشار فيها الى نشأة الشعر النبطى ، واستشهد على مصدره بشيء من الأبيات العربية ،

(١) المرجع السابق ٢ : ١٩٤ •

للاعشى والمعري وابن القرية ، أو فى الخاتمة التى عقب بها على ما أورده من مثل ، وصرح فيها بالعتب على أولئك الذين يقولون : ان الشعر العامى لا يصلح للاستشهاد . ولعله يعنى بالاستشهاد هنا التمثيل (١) ، لا الاستشهاد المفهوم عند أهل اللغة ، بل لقد صرح بذلك حين قال : (ثم أن أهل العربية لا يلتزمون فى المعانى الاستشهاد بشعر طبقة أو طبقات معينة ، بل أنهم ربما استشهدوا بشعر العجم من الفرس وغيرهم .

فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر من قبل الدولة العباسية ، فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة ، وعلماء النحو والصرف . فأما التاريخ والبلدان وعلوم البلاغة ، فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينة (٢) .

وقد لا نلوم الشيخ ابن بليهد على عنايته بالشعر العامى وميله اليه ، اذا ما عرفنا ان ذلك النوع من الشعر قد صحبه من الصغر ، فقد كان ينازل فرسان ذلك الميدان وهو مرفوع على الأكتاف لصغر سنه .

أما لومه للباحثين على اهمالهم للشعر النبوى ، فقد صرح به فى مقدمة ديوانه حيث قال :-

«ومن المؤلم حقا أن بعض المثقفين، يترفعون عن النزول من أبراجهم العالية الى حيث تكون طبقات الشعب ، ليتلقوا عنهم شيئاً من انتاجهم ومصولهم الأدبى (٣) ثم تحدث فى عشر صفحات (٤) عن سبق

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٠

(٢) المرجع السابق ٢ : ٢١٠

(٣) ابتسامات الأيام ص ٦

(٤) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٠

عكاظ ، الذى سنفرده له مع بعض الأماكن التى أطال فى الحديث عنها
قصلا خاصا فى هذا الباب . وبانتهاء حديثه عن «عكاظ» ينتهى الجزء
الثانى (القسم الثانى) من كتابه صحيح الأخبار .

الأجزاء الثلاثة الأخيرة (القسمان : الثالث ، الرابع) :

فى هذه الأجزاء الثلاثة نهج منهاجا مغايرا للجزئين السابقين ، فهو
لم يقيد نفسه بما ورد فى أشعار العرب ، كما لم يلتزم نهجا معيناً ،
فالنهج الذى سار عليه : هو أنه يأتى بقول أحد أصحاب المعاجم
ولا يكون سوى ياقوت (١) والبكرى (٢) إلا نادرا ، وكثيرا ما يورد

(١) ياقوت :

هو ياقوت بن عبدالله الرومى . الحموى (ابو عبدالله شهاب الدين) مؤرخ
وأديب وشاعر ونثرى ولغوى ونحوى وعالم بتقويم البلدان . ولد ببلاد «الروم»
واعتقه مولاة عسكر الحموى ، فنسخ بالأجره ، ثم أن مولاة أعطاه شيئا من المال ،
وسفره الى «كيش» ولما عاد كان مولاة قد مات ، فحصل شيئا مما كان فى يده فأعطاه
أولاد مولاة وزوجته وأرضاهم به ، وبقي بيده بقية جعلها رأس مال وسافر به
وجعل بعض تجارته كتباً وتوجه الى «دمشق» ، ووصل الى «حلب» ، ثم الى
الموصل فالى «اربيل» وسلك منها الى «خرسان» وخوارزم ثم عاد الى «الموصل» -
وانتقل الى «سنجار» وارتحل الى «حلب» ، وأقام بظاهر مدينة «حلب» ،
من تصانيفه :-

إرشاد الأريب فى معجم الأديب «ومعجم البلدان» ، والمشارك وضما المختلف
صقما - وكتب أخرى .

انظر - (كتاب معجم المؤلفين لكحالة ١٣ : ١٧٨ ، ١٧٩) .

(١) البكرى :

هو أبو عبيد الله بن أبى مصعب بن عبد العزيز بن أبى زيد بن محسن بن أيوب
بن عمرو البكرى .
ولد سنة (٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م) وهو لغوى من الطراز الأول فى الأفق الاندلسى
امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية النادرة ، وكان من بيت رياسة وسيادة وعلم
ومن كتبه :

«معجم ما استعجم» وكتاب «اللآلى فى شرح أمالى القالى» وكتاب الاحصاء لطبقات
«الشعراء» و «كتاب التدرىب والتهدىب» وكتاب التنبيه على أغلاط أبى على
فى أماليه و «كتاب المسالك والممالك» وكتب أخرى .

- انظر كتاب «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة» للحافظ جلال الدين
السيوطى الطبعة الأولى - مطبعة عيسى البابى الحلبي ٢ : ٤٩ .

أكثر من قول ، يعقب على ذلك بقوله (قال المؤلف) يدلى بعد ذلك برأيه - وأهم غرض يجمع هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة ، أنها استدراقات على بعض أرباب المعاجم القديمة ، وخاصة ياقوت والبكري .

وكان قد وعد فى بحثه بالتزام سبيلين : أولهما المشاهدة ، وثانيهما الأخبار المتواترة عن الثقات وحين أخذت فى قراءة هذه الأجزاء ، لم أجد ما كنت أتوقعه من ترتيب لأسماء : الأماكن ، والبقاع ، بل لم أجد أى ترتيب يمكن أن يؤخذ به فمثلاً بدأ الحديث عن جالس وجلس ، ثم انتقل فى ص ١١ الى الحديث عن ضرية ، ثم عن حمى ضرية ص ١٥ الى ص ١٨ ، ذلك الحديث الذى عاد اليه فى ص ٢٤٤ الى ص ٢٥٩ ج ٣ ، وهذا يعكس عدم الترتيب لأسماء الأماكن عند الشيخ فى هذه الأجزاء .

القسم الرابع : ● مذكراته ● : (١)

ونمضى معه فى الجزء الخامس ، حتى اذا أوفينا ، على ص ٢٧١ ، وجدنا انه غير فى الموضوع والأسلوب معا ، حيث انتقل من الحديث عن أسماء الأماكن والبقاع ، الى رواية ذكرياته فى أسفاره ورحلاته ، ومهد لذلك بقوله :

(قد وعدت القراء فى مقدمة الجزء الرابع فى ص ٦ ، أن أضع لهم مذكرات فى آخر هذا الجزء ، عن تنقلاتى فى «نجد» ، وما تجشمت من المشقة وضيق العيش ونكد الأسفار ، وما هى أضعها بلغة أهل «نجد» الطبيعية) (٢)

(١) هى نوع من الحكايات سنفصل الحديث عنها نوع تفصيل فى الفصل السادس من هذا الباب .

(٢) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧١ .

ولنا على عبارة ابن بليهد السالفة ملاحظات :

(١) أنه ذكر أن مذكراته ستكون بلغة أهل «نجد» الطبيعية (أى العامية)
فهل التزم ابن بليهد اللغة العربية الفصحى ، التزاما كاملا فيما مر
من أجزاء كتابه الخمسة ، حتى يقول مثل هذا القول ؟ •

لقد سجلت بعض الكلمات التى لحن فيها ابن بليهد ، وهى قليل من
كثير ، اذ لو تقصيت لطال وقوفنا معه ، وتلك النماذج من لحنه
ستقرؤها فى فقرة مستقلة فى بحثنا هذا مستقبلا •

(٢) لقد عبر عن اللغة (العامية) بالطبيعية: وهذا خطأ اذ اللغة الطبيعية
لأهل «نجد» ، بل العرب أجمع هى اللغة العربية الفصحى ، لغة
القرآن الكريم ، أما العامية فطارئة •

(٣) واستعماله (الطبيعية) بدلا من (طبيعية) خطأ لغوى أيضا •
وتشغل هذه المذكرات الثلاث من ص ٢٧١ الى ص ٣٠٨ ، وهى
مذكرات فيها : طرافة وامتناع وتصوير ، لحياة مجتمع انتهى ، وهو
على الرغم من قربيه كأنه صورة لحياة العرب الأقدمين ، ولولا أن لنا
اليها عودة فى بحثنا هذا لطاب لنا معها الوقوف قليلا •

وبانتهاء هذه المذكرات الثلاث ينتهى كتاب «صحيح الأخبار عما فى
بلاد العرب من الآثار» وينتهى أيضا عرضنا لما احتواه هذا الكتاب •

غير أنا نود أن نذكر هنا أن عمله فى كتابه بأجزائه الخمسة ، كان
ثمرة تجوال طويل فى «جزيرة العرب» ينيف على أربعين عاما :

وحديثه فى هذا حديث طريف ، فانه حين يصف لنا ما لقيه من
نصب وتعب ، يعطينا صورة واضحة لابن الصحراء : فى حله وترحاله

وفى شربه وطعامه ، وفى جميع أحواله وان كان ذلك فيما قبل ثلاثين عاما أو يزيد .

أما الآن فقد غشى أفق «جزيرة العرب» كل ما أنتجته حضارة هذا العصر ، بشكل ليس له مثيل فى أى من البلاد النامية .

ويتخلل كتابه كثير من مشاهداته ومرئياته وما مر به من أهوال وما تعاوره من أحوال ، وقد يستعذب حديثا أو يستطرف خبرا فيذكره ، ولو لم يكن لذكره سبب معين بموضوع الكتاب .

غير أنه يجب الانسى أن الذين كتبوا عن البلدان جميعهم ، كانوا ينهجون هذا النهج ، بل قد يذكرون من الخرافات ما لم يذكر مثله ابن بليهد .

● نظرات عامة ●

ان القارى لكتاب «صحيح الأخبار» يقع على هذه النظرات :

(١) ان ابن بليهد حين يصف المكان ، أو الجبل أو الوادى أو نحوه يعطى وصفا جغرافيا محددا تحديدا دقيقا ، وهو مع خبرته العملية بهذه الأماكن ، لا يكتفى بذلك ، بل يعتمد الى ما ذكره السابقون فيقر ما كان صحيحا ، وينفى ما كان باطلا ، ويدلك على رأيه ، واذا خفى عليه اسم مكان ، فانه كان يحاول الاهتداء الى تحديد ، بما ذكر معه من أماكن ، غير أنه لا يجزم بذلك ، لأن شعراء العرب قد يوردون الأماكن المتباعدة فى البيت الواحد .

واذا لم يمكنه البت فى الأمر، فانه لا يستنكف من الاعتراف بجهله (١)

(١) صحيح الأخبار ١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٩٠ ، ٦٢ ، ٦٣ .

غير أنه لا يصير الى ذلك الا اذا أعيته السبل ، وقد بلغ من دقته فى البحث أن كان يتفحص حروف الكلمة وما عليها من شكل ونقط ، فاذا وجد فيها خللا أشار اليه والى صحته ، واستدل بما أوصله الى حكمه .

ومن ذلك الخطأ فى وضع نقطة الحرف الأول من (جو) الوارد فى بيت زهير .

لئن حللت بجو فى بنى أسد
فى دين عمرو وحالت بيننا فذك (١)

قد حكم بأن مكان النقطة فى أعلى الحرف ، فتكون الكلمة (خو) واستشهد على ذلك بثلاثة شواهد ، تثبت أن صحة الكلمة (خو) لا (جو)

(٢) واذا اشترك أكثر من موضع فى اسم ، فانه لا يهمل موضعاً من هذه المواضع ، بل يحدد كل موضع ويبين ما قصده الشاعر منها بالدليل الذى يطمئن اليه .

غير أنه فى الوصف أحيانا يضع من العلامات ما هو غير ثابت ، كالقصر والبستان ، مثلاً .

من ذلك قوله : (ونريد أن ننبه القارئ الى أن الشاهد ، الذى أوردناه للقتال الكلابى ، انما عنى به «أدمى» التى ذكرها زهير ، وذلك أنها حرة منيعة ، وأما التى ذكرها جرير فهي واقعة فى جبال اليمامة ولا تزال معروفة بهذا الاسم الى اليوم ، وأدمى التى ذكرها أبو خراش الهذلى : فهي من جبال الطائف ، ويقال لها اليوم «أدم» اذا خرجت من بلد - الطائف - ، وجزت قصر شبرا سالكا طريق الحرية ، العائدة

(١) المرجع السابق ١ : ١٢٩ .

لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وتركت بستان سمو الأمير عبدالله على شمالك ، فانها حينئذ على يمينك يحفها الطريق (١) فان ذلك البستان وما حوله صار بيوتا وشوارع .

(٣) ويخطيء الرواة في لفظ فيصححه ، ثم لا يستدل على ذلك كعادته كثيرا ، (٢) الا بذكر الأماكن والبقاع المجاورة لها وتحديدتها تحديدا قد يعتبر قرية ، من الخطأ الحكم بموجبها لأن شعراء العرب كثيرا ما أوردوا في أشعارهم الأماكن المتباعدة .

(٤) وأود أن أشير هنا الى أسلوب تكرر في كلام ابن بليهد ، وهو أنه يعترف بالجهل بالمكان حينئذ ، ثم يهتدى اليه بعد السؤال ، فيذكره مشيرا الى أنه قد اهتدى الى معرفته بعد أن كتب ما كتب (٣) ، وكان يجمل به أن يعيد صياغة معارفه ويضم بعضها الى بعض .

(٥) وحين يرد في ذكر المكان أقوال يبدو فيها التعارض والتناقض ، فانه يقف على هذه الأقوال ويناقشها حتى يجلو الأمر ، من ذلك على سبيل المثال (المحصب) فقد ورد في بيت لامرئ القيس .

فلله عينا من رأى من تفرق

أشت وأنأى من فراق المحصب (٤)

كما ورد في بيت عمر بن أبي ربيعة :

نظرت اليها في المحصب من منى

ولى نظر لولا التحرج عارم (٥)

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق ١ : ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق ١ : ١١٨ - ١١٩ .

(٤) المرجع السابق ١ : ٣٤ .

(٥) المرجع السابق ١ : ٣٥ .

فقد نفى المؤلف أن يكون «المحصب» فى منى كما ذكر ذلك بعضهم محتجا ببیت ابن ابى ربیعة ، وأثبت أن «المحصب» بین مكة ومنى ثم فسر كلمة (المحصب) فى بیت ابن أبى ربیعة تفسیرا مقبولا .

(٦) وإذا كان قد قید نفسه فى الجزأین : الأول والثانى ، بما ورد من الأمكنة فى أشعار الأقدمین فانه فى الأجزاء الثلاثة الاخيرة لم يلتزم ذلك ، بل قد یذكر من الأماكن مالا شاهد له فى الشعر ، ثم انه یستطرد فیما یورد من الأماكن ، فیخرج عما یدل علیه عنوان کتابه — ، وهو ما فى «جزيرة العرب» منها، فیورد أماكن فى مصر والشام والعراق والفرق بینہ وبين أرباب المعاجم الأخرى ، وبخاصة فى الجزأین الأولین ، أنه لا یذكر من الأماكن الا ماله ذکر فى الشعر .

(٧) وإذا كان شراح المعلقة والأشعار العربیة القديمة ، قد أخطأوا فى تحديد بعض الأمكنة (كعسیب) الواردة فى بیت امرئ القیس :

أجارتنا ان الخطوب تنوب

وانى مقيم ما أقام عسیب

«وکمنی» الواردة فى بیت لبید بن ربیعة العامرى :

عفت الديار محلها فقامها

بمنى تأبد غولها فرجامها

فان ابن بلیهد فى مثل هذا قد أوضح الصواب ، فمثلا قال عن «عسیب» : (وعسیب لیس فى بلاد الروم ، بل فى عالیة (نجد) فى ضفة وادى الجریب الجنوبیة وهو المنفرد فى الجهة الشمالیة من جبال العسیبات (١)) .

(١) صحیح الأخبار ٢ : ٢٠٧ .

وعن «منى» قال : (فأما منى التى ذكرها لبيد ، فهى هضبة حمراء واقعة بين «طخفة ونفى» فيها ماء عذب ، وهى تسمى اليوم عند عامة أهل (نجد) منيه ولا تزال تذكر بهذا الاسم ، وكثير من الناس قد ظن غالطا - أن «منى» فى هذا البيت الموضع الواقع قرب مكة (١) .

وقد يستشهد بما قاله شعراء العامية من المتأخرين (٢) ، وهذا يخالف ما عرفناه عنه من أنه ما كان يستشهد الا بشعر الجاهليين ، والاسلاميين ، والأمويين .

فلعله بذلك يريد الاستدلال على بقاء الموضع معروفا باسمه لهذا اليوم أو لعل ذلك كان انطلاقا من رأيه فى الشعر العامى ، ذلك الرأى الذى يدل على أعجابه به ، كما صرح بذلك فى هذا الكتاب (٣) ، ثم مقدمة ديوانه «ابتسامات الأيام» .

(٤) وقد يشير الى بعض الأحداث التاريخية القديمة والحديثة ، التى رقت فى تلك الأماكن بين قبائل العرب أو بين العرب وغيرهم (٥) ، وقد يقحم بعض ذكرياته مع الأمراء أو غيرهم فى الحديث (٥) .

● استدراكات ●

على الرغم مما عرفناه عن ابن بليهد من المآم بأسماء الأماكن والبقاع وعلى الرغم مما ألفناه من تحرى الدقة والصواب ، فانا فى قراءتنا فى كتابه هذا استدركنا عليه أموراً منها :

(١) اغفاله لبعض الأماكن . (٢) خطؤه فى اعتراضه على السابقين

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٧٠ .

(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٢٩ .

(٣) صحيح الأخبار ٢ : ١٨٩ .

(٤) المرجع السابق ١ : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ .

(٥) المرجع السابق ١ : ١٣٤ ، ١٣٦ .

(٣) الاستطراد القليل الجدوى أو الذى لا تدعو الحاجة اليه ، ونحو ذلك :

وفيما يلى تفصيل لهذا :

أولا :

أ (فى حديثه عن حجر الوارد فى بيت النابغة -

فلم يك قولكم أن يقدعونى
ودونى عازب وبلاد حجر

ذكر أنه حجر اليمامة الموجودة فى مدينة «الرياض» ، ولا يزال (١)
معروفا بهذا الاسم ، كما كان قد ذكر ذلك أيضا فى الحديث عن اليمامة
التي وردت فى بيت عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرت

كأسياف بأيدي مصلتيننا (١)

والواقع أن حجر «اليمامة» قد انمحى اسمه وأثره ، وأما مكانه فانه
انطوى فى مدينة (الرياض) ، وقد نقل عن بعض المعمرين فى مدينة
«الرياض» أنه كان يطلق على بستان غربى وادى الوتر (البطحاء) وقد
انمحى اسمه ورسمه ، ولا أعرف مكانا ولا بستانا بهذا الاسم ، على
الرغم من نشأتى فى مدينة «الرياض» .

والذى يفهم من الروايات التاريخية ، أن حجر عبید فى الجاهلية :
كان يحوى ثلاثين قصرا وثلاثين بستانا فيها البتل وهى ، القلاع العالية
التي يبلغ ارتفاع بعضها خمسمائة ذراع .

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٣٣ .

(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٩٥ .

ب) فى قراءتنا لكتاب «صحيح الأخبار» ألفنا ذكره للاماكن المشتركة فى لفظ واحد ، وان تباعدت أمكنتها ، ولكن نجده يفضل ذلك حيناً .

من ذلك أنه عند ذكره عوصاء الواردة فى بيت الحارث بن حلزة اذ

أحل العليا قبو ميسو

ن فادنى ديارها العوصاء (١)

فاته أن يذكر «عوصاء» الشعب ، الذى يصب سيله فى وادى (ذى أراط) الذى تسميه عامة أهل «نجد» «وراط» ، وهذا تحريف «لذى أراط» لم يذكره ابن بليهد عندما عرض للحديث عنه فى معلقة امرئ القيس ثم ذكر أن (عوصاء) (٢) جبل واستشهد عليه ببيت كان قد ذكره فى الجزء الأول ص ٢٤٠ ، ونفى علمه بمكان اسمه عوصاء كما لم يذكر «عوصاء» عند حديثه عما عرف بذلك من الأمكنة . (٣)

ج) وفى «واسط» الذى ورد فى كثير من الشواهد منها قول خدّاش بن زهير :

عفا واسط أكلأوه فمجاضره

الى حيث نهياً سيله فصدائره

قال ابن بليهد : «واسط» ، الذى أعرفه فى بلاد العرب ثلاثة مواضع (٤) يقال لها (واسط) ، منها الذى ذكره ابن حبيب حين قال :

«وواسط» أيضاً (بحمى ضرية) ، فانى لا أعلم الا جبلا يقال له «واسط» باق باسمه الى هذا العهد ، وأعرف أيضاً واديا يقال له واسط وهو الذى يقع عند (الدوادمي) ، مما يلى مطلع الشمس ،

(٣) المرجع السابق ٥ : ١٨٦ .

(٤) صحيح الأخبار ٣ : ٣٧ .

(١) صحيح الأخبار ١ : ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٤٨ .

ويبعد عنها ثلث ساعة سيرا على الاقدام ، وبه معدن بارود «والرأس والعلياء والبرك» ، فى عارض (اليمامة) قريبا من الموضع الذى يقال له : «واسط» .

والواقع أن هناك ماء فى أسفل «وادی سدير» مجاور لبلدة «العودة» يقال له (واسط) ، كما لم يشر الى مدينة «واسط» المشهورة بالعراق .
د) «العريجاء» ، وحين ذكر «العريجاء» (١) لم يشر الى قرية العريجاء الموجودة فى غرب مدينة «الرياض» الحديثة ، والتي ما زالت تعرف بالعريجاء الى هذا العهد .

هـ) شمس وعين شمس قال ابن بليهد (٣) .

(شمس الموجودة فى «بلاد العرب» ينطبق عليها هذا الاسم « عين شمس» قريب وادی فاطمة ، بها مزارع وهى معروفة عند أهل تلك الناحية ، ويوجد فى بلاد «الرياض» موضعان : الأول يقال له «الشميسى والثانى يقال له الشمسية ويوجد فى طرف صفراء الوشم موضعان الأول يقال له الشميسى والثانى يقال له «الشمسية» والمواضع الأربعة تحمل هذه الأسماء الى هذا العهد) .

ولنا على المؤلف هنا ملاحظتان : الأولى : ان «الشميسى» الذى هو حى كبير فى غرب مدينة «الرياض» كان يطلق على مزرعة فيها نخل ومزروعات أخرى ، وتسميته بالشميسى حديثه جاءت من نسبته الى صاحبه «شميسى» وكان له شهرة لدى الفلاحين والعمال ، فأطلق اسمه على المزرعة بعد نسبته الى صاحبها ثم اطلق على كثير من المزارع ، والأماكن ، التى أصبحت الان فى قلب المعمور من مدينة «الرياض» الحديثية .

على أنه قد أشار الى هذا فى الجزء الرابع (١) فى عبارة تحمل الشك فى قدمه أو حدثه ، وهو شك تشجعه الروايات التاريخية ، التى ذكرت ما فى حجر من بتل وآثار ، والثانية أنه أهمل بلدة «الشميسية» الواقعة فى الجنوب الشرقى من مدينة «بريدة» على مسافة «تسعة وعشرين كيلو مترا تقريبا» . أما «شماس» فيقع فى الشمال الغربى من مدينة بريده وقد احتوته مدينة «بريده» الحديثة ويقال انه أسبق فى الوجود من «الشماسية» ، وان الذين عمروا الشماسية ، هم فى الأصل من أهل «الشماس» .

(و) وحين عرض لقول البكرى فى القطار (٢) قال : «القطار» موضع فى جبل شعباء المشهورة قرب ضرية وفاته أن يذكر :
١ - القطار وهو موضع قرب بلدة «الحوطة» بسدير ، وفيه كهف كبير ينتابه الناس للنزهة ، يقطر فى ناحية منه الماء ولا ينقطع ، لكنه يقوى ويضعف .
٢ - كما لم يذكر القطاطير وهو موضع قرب بلدة «العودة» فيه ماء لا ينقطع الا فى سنى الجذب .

(ز) وفى ذكره لعبود وعبد وما مثلهما (٢) ، لم يذكر ، «العبادية» وهو شعب فى أعلى بلدة «العودة» ، وفيه صخور عليها كتابات ونقوش منها قصيدة عربية يرجع تاريخها الى القرن السابع الهجرى .
(ح) وعند حديثه عن «أريك» الوارد فى بيت النابغة : (٣)

عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع
فشطا أريك فالتلاع الروافع

(١) صحيح الأخبار ٣ : ١٩٤ .

(٢) صحيح الأخبار ٣ : ٢٠١ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ٣٧ .

لم يذكر «الوركاء» وهى موضع فى أسفل «وادی سدير» عن يمينه
فيها مزارع موسميّه •

(ط) وفى حديثه عن «القرنتين» الواردة فى بيت النابغة الذبياني (١)
انى أظن ابن هند غير تارككم
بالقرنتين ولما يفرع النعم

لم يذكر «القرنا» الواقعة فى أسفل وادی سدير ، التى تضم هضبتين
صغيرتين وفى «القرنا» هذه آثار ، وآبار وأسواق وقصور •

ثانياً :

الخطأ فى اعتراضه على بعض أقوال الأقدمين :

(أ) فى الحنبلى ، الوارد فى قول الشاعر :

قلت لصحبى والمطى رائح
بالحنبلى نسوة ملائح
بيض الوجوه خرد صحائح (٢)

قال ابن بليهد : (الحنبلى هو كثيب رمل معترض فى «الدهناء»
وليس بماء كما ذكره ياقوت ، وجميع أهل نجد يعرفونه بهذا الاسم اليوم
وموقعه فى شرق «الدهناء» ، وأيد هذا الشيخ حمد الجاسر حين
سأله عنه •

والواقع أن هناك ماء فى الغرب من حجر «اليمامة» ، يقوم على
مكانه حتى فى الغرب الشمالى من مدينة «الرياض» كان قبل ذلك مزرعة

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٦٣

(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٧

كبيرة ذات نخيل ، يعرف بالحنبلې ، وما زال كذلك ، حتى بعد تحوله الى مساكن داخل مدينة «الرياض» ، وذكر الهمداني موضعاً آخر قال أنه ماء يعرف بالحنبلې تنعطف عليه يمينا حين تجاوز وادي «الفي» «بسدیر» وبجانبه «منيخين» وهذا هو نص الهمداني (وتيامن كأنك تريد «البصرة» فتزد «منيخين» ثم (الحنبلې) وهما ماءان في منيخين نخل قليل ، ولا نخل على الحنبلې (١) .

فلعل ياقوت أراد أحد هذين حين قال انه ماء ، وهذا لا يمنع من اشتراك مكان ثالث معهما ، لكن كان الأولى التنبيه على ذلك .

(ب) قال ابن بليهد : (الغبراء انظر ايها القارئ هذه الشواهد ، التي ذكرها ياقوت ، فلا أعلم موضعاً يطلق عليه هذا الاسم «الغبراء» الا موضعاً واحداً بالتصغير يسمى «غبيراء» وهي في بلد «القرعة» قريب أشقير وهي بئر لا ينضب ماؤها ، وذكر ياقوت أنها لبني أمريء القيس من أرض «اليمامة» وقال ياقوت أيضاً : («الغبراء» من قرى (اليمامة) بها بنو الحارث بن مسلمة ، والذي أوجب ذكرها ياقوت في «اليمامة» وهي من ملحقات اليمامة) (٢) .

لكن الهمداني قال في حديثه عن «اليمامة» (٣) (وفوق ذلك قرية يقال لها «غبراء» بها بنو الحارث بن مسلمة بن عبيد) وهذا شاهد ما قاله ياقوت ، وشرق الوتر مكان يعرف «بغبيراء» احتوته مدينة الرياض (ج) وفي الكلام عن بلبول اعترض (٤) ابن بليهد على قول ياقوت : أن «بلبول» في بلاد «الوشم» بقوله :

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني . تحقيق محمد بن الأکوع ص ٢٨٦ . دار اليمامة .

(٢) صحيح الأخبار ٣ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٣٠٧ .

(٤) صحيح الأخبار ٤ : ٨٦ - ٨٧ .

(أنا من أهل (الوشم) الذى ذكر ياقوت أن «بلبول» به ، ولكنى لا أعلم موضعاً بهذا الاسم ، ويمكن أنه قد اضمحل واندرس اسمه ، والذى أعرفه بهذا الاسم ماء قريب «العقير» .

والواقع ، أن بلبول جبل مستدير يشبه الهرم الى حد ما ، وهو فى «اليمامة» كما ذكره أبو زياد والحفصى وياقوت ، الا أن ياقوت أخطأ فى تحديده فبعد عنه قليلاً . ذلك أن «بلبول» كما ذكرنا جبل فى روضة يصب فيها وادى — «سدير» وبعضهم يصغره فيسميه : «بليبل» .

وذكر الشيخ حمد الجاسر لى مشافهة : أن فى جزيرة العرب أكثر من موضع يطلق عليه هذا الاسم .

ثالثاً :

● الاستطراد القليل الجدوى ●

واستطرادات ابن بليهد كثيرة ، لكن الذى يعيننا هنا الاستطراد الذى لا طائل تحته ، أو المتضمن للخطأ ، أو قصور فى التعبير .

(١) تحديده لبلاد العرب (١) العرب لا أرى حاجة لايراداه ، لأن منازل العرب فى جزيرتهم ، وحدود جزيرة العرب معروفة ، فلو اكتفى بما أورد عن الخليل على نقصه لكفى .

(قال الخليل : سميت جزيرة العرب لأن بحر «فارس» وبحر «الحبش والفرات ودجلة» أحاطت بها ، وهى أرض العرب ومعدنها) (٢) .

(١) صحيح الأخبار ٣ : ١٨ .

(٢) المرجع السابق ٣ : ١٩ .

ب) وفى استطراد ، كماداته تحدث عن بعض اللهجات العربية ،
وابدال أصحابها حرفا مكان حرف فى بعض كلماتها .

١ - فمن ابدال (الجيم) (ياء) قال :

(لغتهم هذه باقية الى هذا العهد ، ويستعملها القاطنون ، فى وادى
« برك » ووادى « بريك » وجيرانهم ، وبلغنى أن هناك قوما فى (قطر)
وفى « الساحل » الذى يمتد من « قطر » الى اقصى (عمان) يستعملون هذا
الابدال ، وبنو تميم أخذوا هذه اللغة عن أسلافهم كابرا عن كابر ،
وبلغنى أن التميميين فى بلاد « الحوطة » هم عبدالله بن دارم ، وفى هذا
العهد لا أعلم أحدا يستعملها غيرهم فى بلاد العرب (١) .

وهذا صحيح الا أن الأشمل منه أن نقول : ان الكثير من سكان
الساحل الشرقى من « جزيرة العرب » « كالكويت والبحرين » كلها تنطق
(الجيم ياء) .

غير أن المثقفين من أبناء هذه البلاد يحرصون على التخلص من هذا
الابدال .

٢ - وعن ابدال « الكاف » شيئا قال : (وربيعه فى لغتهم يستبدلون
« الكاف » شيئا كقول الشاعر :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق

فاذا قرأته ربيعه قالوا : (٢)

(١) صحيح الأخبار ٣ : ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ٣ : ٥٨ .

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منش دقيق

وهذه اللغة باقية فى لسان ربيعة القاطنين فى «وادی القرى» .
والواقع أن هناك «أل مرة» فى شرق «المملكة العربية السعودية» ،
التي كانت تعرف قديما «بالبحرين» «أى الأحساء» وما يليها ينطقون
(الكاف شينا) .

رابعا :

ومما يلاحظه القارئ لكتاب «صحيح الأخبار» أنه يقع فى اللحن
كثيرا ، وإذا استبعدنا ما يرويه من القصص والحكايات العامية ،
لشيوع اللحن فيها نجد أنه يقع فى شىء من ذلك كقوله :
(أطمئن (١) حيث قال :

و (ان وادى «برك» أطمئن من وادى «الركاء» أكثر من مائة وخمسين
مترا ويعنى أكثر انخفاضا .

ب) وفى العبارة الآتية (٢) أخطأ مرتين حيث قال : (احداها والصواب
أحدها وذلك فى قوله : (وقد بلغنى أن بها كهوفا من العجائب اذا اشتد
الشتاء ودخلت فى احداها وجدته حارا كأن به نارا من شدة الحر ، وإذا
اشتد الحر ودخلت فى احداها وجدته باردا كأن به ثلجا .

ج) كرر كلمة «مسك» بمعنى «أمسك» ومن ذلك تكرارها مرتين فى
صفحة واحدة (٣) .

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ٤ : ١٦٤ .

(٣) المرجع السابق ٤ : ٢٠٣ .

(د) «شرى» بمعنى «اشترى» فى قوله : (واذا شرى أحد من أحد هنا) .

خامسا :

ومن الأمور التى تلفت نظر قارىء «صحيح الأخبار» أن صاحبه كثير التكرار الى أنه كثير الاحالات ، أما الاحالات فلا أرى فيها ما يتنافى ومقتضيات الحديث ، ومتطلباته ، وأما التكرار فمدعاة للملال ومضیعة للوقت ، وكان حريا بابن بليهد أن يتلافها ، من ذلك :

«عروة» (١) «المحرقة» (٢) وهط (٣) القرنية (٤) أمهار (٥)

فلقد قال على سبيل المثال : فى «أمهار» هضبة فى المستوى يقال لها «مهرة» تحمل هذا الاسم الى هذا العهد (٦) وفى «أم أمهار» قال (هضبة فى المستوى الواقع بين النبقية ، وبين كثيب الزلفى ، يقال لها «مهرة» وهى التى أورد ياقوت عليها بيت الراعى شاهدا ، وهى تعرف بهذا الاسم الى هذا العهد) . (٧)

سادسا :

وقال تعقيبا على ذكر ياقوت «للتوباد» الوارد فى قول الشاعر :

وأجهشت للتوباد حين رأيتـه

وسبح للرحمن حين رآنـى

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٤٠٨ ، ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ٣ : ١٨٩ ، ٤ : ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق ٣ : ١٠٦ ، ٤ : ٢٤٦ .

(٤) المرجع السابق ٣ : ٢٣ ، ٥ : ١٩ .

(٥) المرجع السابق ٣ : ٢٤٠ ، ٤ : ٤٩ .

(٦) المرجع السابق ٣ : ٢٤٠ .

(٧) المرجع السابق ٤ : ٤٩ .

(توباد جبل من جبال «نجد» ولكنى لا أعلم موقعه ، وهذا الجبل هو الذى تغنى به شعراء «مصر» مطربوها وعند كتابة هذه الأسطر ، عذمت على سؤال الموسيقار المشهور محمد عبد الوهاب ، عن موضع هذا الجبل الذى يتغنى به كل حين «جبل التوباد» ، فلما قررت هذه الفكرة ظننت أنه لا يعلمه وعدلت عن سؤاله) (١) •

فشعراء «مصر» لم يتغنوا بالتوباد ، وانما تغنى به المجنون (قيس) وردد ذلك أمير الشعراء شوقي فى مسرحيته «مجنون ليلى» وقال يرجع ذلك الصدى غناء عبد الوهاب •

وأى خبر عن جبل فى جزيرة العرب يملكه مغن فى «مصر» لم تطأ قدمه جزيرة العرب ؟ ، ثم أن المغنين عادة ليسوا بدوى ثقافة لغوية أو أدبية قديمة ، فيفترض عندهم علم بمثل هذا •

سابعاً :

ان ترتيب كتاب ابن بليهد ترتيباً حديثاً يسهل على الباحث طريق الاستفادة من هذا السفر الجليل ، الذى صحح كثيراً من المعارف عن الأماكن والبقاع فى بلاد العرب ، فقد يخطئ المتقدمون فى تحديد بعض الأماكن ، لانهم فعلوا ذلك رواية ونقلًا عن الآخرين ، لكن ابن بليهد حين يعرض لمثل ذلك يجلو وجه الصواب منه ، من ذلك مثلاً خطأ البكرى فى تحديده «للحجاز» ورد ابن بليهد لهذا الخطأ فلقده قال (٢)

(قال البكرى : عن محمد بن سهل) عن أبيه فحدود «الحجاز» ما بين جبلى طيء الى طريق العراق لمن يريد «مكة» •

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٠٦ •

(٢) المرجع السابق ٣ : ٢٠ •

قال المؤلف : ان جبلى طيء بعيدان عن «الحجاز» وليسا قريبين منها وأصوب العبارات قول سليمان بن عياش السعدي بأنه حاجز بين «تهامة ونجد» .

ثم أن المؤلف رحمه الله لم يثبت فهرس كاملة ، على الزغم من شيوع ذلك في هذا العصر ، والفهرس الوحيد الذى أثبتته كان للاماكن والبقاع وحتى في هذا فانه غير واف ، وكان جميلا من ابنه عبدالله أن يصنع ذلك عند اعادته لطبع الكتاب ، لكنه اعتذر عن هذا وغيره من أوجه النقص ، كالخرايط مثلا ، وان كان قد وعد بتحقيق ذلك في طبعة أخرى كما ذكر ذلك في مقدمة الطبعة الثانية .

وبعد فهذه ملاحظات واستدراكات سجلناها على صاحب كتاب «صحيح الأخبار» في أثناء قراءتنا له نضعها بين يدي قارىء بحثنا هذا انصافا للبحث وانقيادا للامانة العلمية .

« وبالله التوفيق »

الفصل الثاني

كتاب (ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه)

● التعريف بالكتاب ●

كتاب « ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، كتاب مخطوط للشيخ محمد بن بليهد أعده للطبع فى حياته ولم يطبع بعد .

وتدور مادة هذا الكتاب حول الأماكن والبقاع ، التى أشتركت أسماؤها فى مادة واحدة ، واختلفت أماكنها ، وقد ألف ابن بليهد هذا الكتاب فى عام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) .

وكان - رحمه الله عند تأليفه هذا الكتاب قد جاوز الرابعة والستين من العمر ، فمولد هذا الكتاب كان فى ظرف اشتد فيه الصراع بين ابن بليهد ، وبين المرضى والكبر .

يقول ابن بليهد فى مقدمة كتابه (١) :

(ونحن الآن فى زمان يجرى فيه العلم وراء الصواب ، ولا يستسيغ منه الا الحق واليقين ، وما خفف على هذا المجهود الجبار - وقد اشتعل الرأس شيبا ، وبلغت من الكبر عتيا ، ولازمنى المرض ، ناسيا كل هذا مضحيا براحتى - الا احقاقا للحق وخدمة للعلم) .

(١) ما تقارب سماعه ص ١ .

ولست أعنى أن الكبر قد أفقد ابن بليهد قوته فى التأليف وقدرته عليه ، فالعالم كلما تقدمت به السن زادت قدرته لازدياد حصيلته واتساع ميدان خبرته ، ولكن قد تكل العزيمة وتفتت الحماسة ، فيضعف النشاط ، ولا سيما اذا انضم الى ذلك المرض أعاذنا الله جميعا منه .

واذا كان مولد هذا الكتاب ، قد تم فى مثل تلك الظروف ، فليس عجيبا أن يأتى ضعيف اللغة ، هزيل الأسلوب ، قاصرا عن الاحاطة والشمول النسبى ، على الرغم من توفر الأسباب لدى صاحبه ، وهذا ما نضمه بين يدى القارئ ، فى حديثنا عن هذا الكتاب .

● سبب تأليف هذا الكتاب وأهميته ●

اشترك الأماكن والبقاع فى اسم واحد ، والتقاء الأسماء فى مادة واحدة كثير ، يعرفه الناس حتى العامة منهم ، واذا كانت الظروف والملابسات قد تعين على فهم شىء من هذا ، فان الباحث كثيرا ما يقع عنده اللبس ، ولا سيما اذا اتصل ذلك بمنازل الأقدمين .

والقارئ لكتب اللغة والمعاجم ، اذا كان على معرفة ببلاد العرب يجد الكثير من ذلك ، حتى عند أئمة هؤلاء أمثال : ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان ، والبكرى صاحب معجم ما استعجم ، والهمدانى صاحب صفة جزيرة العرب وغيرهم .

وذلك ما يضيف الى أعباء الباحثين عبئا جديدا ، عانى من مثله ابن بليهد عند تأليفه لكتاب «صحيح الأخبار» الأمر الذى أنشط عزيمته ليكتب هذا الكتاب ، الذى نحن بصدد الحديث عنه .

يقول ابن بليهد فى تقديم هذا الكتاب ، مبينا أهدافه من ورائه (محلات تشابهت أسماؤها ، أو تعددت أعلامها ، ودنت ديارها أو شط

مزارها ، وذكرت : وهادها ، ونجادها ، وعيونها ، وغدرانها ، وبيدها وسهولها وجاءت الفاظها فى شعر الشعراء ، أو خطب الخطباء ، أو مؤلفات الأدباء ، أو كتب المؤرخين • وقد لمست الحاجة الماسة الى أثبات ذلك فى كتاب خاص ، خشية اختلاط الأسماء على الباحثين ، وتشابهها على المثقفين ، من مبتدئين وضالعين ، ورواة ومحدثين ، فقد يجد أحدهم اسما واحدا يقابله فى فنه وعلمه ، وقد يطلق هذا الاسم نفسه على موضع آخر قد لا يمت الى ما يبحث فيه بصلة ، وفى ذلك ما فيه مما لا يخفى على كل مصلح أمين ، لا سيما وكثير من كتب المعاجم ، لم تحدد مواضع أكثر هذه الأسماء تماما ، ان لم تكن أهملتها اهمالا ، فضلا أنه لم يرد ذكر أكثرها فى كتابنا «صحيح الأخبار» •

ومن هنا نجد أن أهمية مثل هذا البحث ، تكمن فى الاحتياج المسيس لدى الباحثين ، فى أدب العرب وتاريخهم الى التحديد بالمسافات والعلامات الواضحة للامكنة ، والتفريق الصحيح فيها : بين الجبل ، والكثيب ، والوادي ، والماء والبلد والمرعى ، وبينما هو فى «نجد وتهامه أو الحجاز» أو غيرها ، وهو كثير وذلك غير متسن فى كتب الأقدمين وقد ذكرنا سلفا من ذلك طرفا •

وهذا الكتاب لا يخلو من خلل ، فى اللغة والأسلوب ، وقصور فى المادة واستطرادات قد تكون ضعيفة المتات بالمناسبة التى جرتها ، الا أن ذلك لا يحول بيننا وبين الاعتراف بأن هذا الكتاب ، غزير المادة جم الفوائد ، فيه منفعة للقارئ ، واسعاف للباحثين ، وبه وبأخيه (صحيح الأخبار) سد ابن بليهد ثغرة فى دولة المراجع ، ثم هو فى موضعه متمم لسابقة (صحيح الأخبار) •

وفيما يلى عرض وملاحظات واستدراكات ، أرجو أن يخرج منها القارئ بصورة واضحة عن هذا السفر الجليل •

● عرض عام للكتاب ●

مقدمة المؤلف :

يبدأ الكتاب بمقدمة للمؤلف ذكر فيها الأسباب ، التي دفعته إلى تأليفه كما أشار إلى ما لقيه من عناء في تأليف هذا الكتاب ، وان ذلك كان تضحية منه في سبيل العلم ، وذلك أنه ألفه وهو يدافع عدوين لدودين : المرض (١) والكبر ، كما أشار في المقدمة إلى أنه كان ينوى السفر إلى « مصر » ، لطبعه هو والجزء السادس من كتاب « صحيح الأخبار » (٢) . غير أن الأمير فيصل - رحمه الله - نصحه بعدم السفر ، كما وعده بطبع الكتاب في المملكة ، اشفاقا عليه من وعثاء السفر لأنه كان مريضا .

وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ عبدالله بن خميس بتقريض مقتضب عرض فيه ، لعرب الجاهلية واعتمادهم على الذاكرة ، ثم مرفى عجالة على تاريخ التدوين ، وبخاصة مادة اللغة ومعاجم البلدان ، كما أثنى على المؤلف وكتابه .

● طريقته في التأليف ●

وقبل أن نأخذ في عرض صلب الكتاب ، يحسن بنا أن نشير هنا إلى النهج الذي سار عليه في تأليفه : وهو أنه يجمع ما يندرج تحت اسم واحد ، وما ينطوي تحت مادة في ترجمة واحدة ، فيسرد هذه الأسماء تباعا فيما توافق في الحروف جميعها ، يضعه ثم يرمز إليه بالرقم الذي يبين عدد الأمكنة ، التي يجمعها هذا الاسم ، وما اختلفت حروفه مع

(١) راجع ما أوردناه في النبعة السابقة .

(٢) لم نجد لهذا الجزء أثرا .

[illegible]

وأما الشواهد والأشعار العربية ، فهل دليل على تقدم هذا الاسم في الوجود ، وبقائه على اسمه الى عهدنا هذا » .
على أن في هذه المقدمة ما يفيد أنه لم يتم الكتاب ، وذلك قوله (وأخرها ثلاثة مواضع) ، فالذي في أيدينا منه ينتهي بأربعة مواضع .
● صلب الكتاب ● (١)

بدأ الحديث فيه عن عشرين موضعاً ، تجمعها كلمة شعب ، وبعد عرض اسمائها ، أخذ في تفصيل الحديث عن هذه الأماكن العشرين ، على نحو من قوله ، قال المؤلف (الشعب) في طريق «الأحساء» مخالطة الغوار يؤمها : الذاهب «للاحساء» ، والآيب منه ، الشعبية موضعان : الأول منهما محلة قرب بلد «ثادق» في الجهة الجنوبية منها ، وقد دفنتها الرياح وقد رأيتها قبل أن تدفنها ، ورأيتها بعدما دفنتها ، بها قصور أمير «ثادق» الأسبق عبدالله بن سعد بن سويلم ونخيله ، فاندفنت جميع تلك القصور والنخيل ، فلا ترى الا شرفات القصور ورؤوس النخيل . وهذا الخبر قد انتشر عند أهل «نجد» .

ويستغرق الحديث عن هذه المواضع العشرين ثلاث صفحات ،
يخلص منها في صفحة ١٨ ، الى الحديث عن ستة عشر موضعا تجمعها

(١) مقدمة ما تقارب سماعه ص ٢ .

(٢) يشغل تسعا وسبعين ومائة صفحة من الحجم الكبير .

كلمة بيض ، ويستغرق الحديث عن هذه الأمكنة صفحتين ، يخلص منهما في صفحة ٢٠ ، وحتى منتصف ٢٣ الى الحديث عن ثلاثة عشر موضعا تجمعها كلمة ملح .

وبعد الحديث عن ملح روى خبر معركة كانت فيه بين جيش الامام عبدالله ابن فيصل ، وبين العجمان ورئيسهم ، راكان بن حثلين «وروى طرفا من خبرها عن أبيه ، ثم نقل خبرها عن تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، عطف بعده الى بقية حديث أبيه عنها ، وقد شغل هذا الاستطراد صفحتين الاسطورا ، أتم بعده الحديث عن الأمكنة الاثنى عشر الباقية ، في صفحة ونصف تقريبا ، عرض بعد ذلك لثلاثة عشر موضعا آخر ، تجمعها كلمة عقل ، وعلى هذا النسق يمضى حتى ينتهى الكتاب (١) دون أن يختم بأى كلمة .

(١) لكى أدنى تصور نهج هذا الكتاب المخطوط ومحتوياته للقارئ ، ارسم هذا الجدول لعدد المباحث التى احتواها ، والأماكن التى تضمنتها تلك المباحث ، ثم نذيله بجمع للمباحث ، ثم الأماكن .

مسلسل	عدد المواضع	عدد المباحث	ملاحظات
١	٢٠	١	
٢	١٦	١	
٣	١٣	٣	
٤	١١	١	
٥	١٠	٣	
٦	٩	٣	
٧	٨	٨	
٨	٧	٤	
٩	٦	١٣	
١٠	٥	٤٥	
١١	٤	٥٥	

١٢٧

مجموع المباحث «١٢٧» مبحثا ، ومجموع الأماكن «٧١٨» مكانا خلا ما يأتى عرضا فى ثنايا المباحث .

وقد سألت عبدالله ابن المؤلف عن هذا ، فأخبرنى أن أباه كان ينوى الإضافة اليه ، ومما يدل على ذلك أمران : أولهما خلو الكتاب مما اشترك فيه ثلاثة أمكنة ومكانان ، وهو فيما أعلم كثير جدا ، وثانيهما : ما أسلفت الإشارة اليه فى بيان نهجه ، من أنه ذكر أن آخر الكتاب ما يشترك فيه ثلاثة أمكنة •

غير أن ما فى أيدينا منه ينتهى بما يشترك فيه أربعة ، أضف الى ذلك أنه لم يضع فهرسا للكتاب •

● ملاحظات ●

١ - أن لغته وأسلوبه فى هذا الكتاب تدنو من لغته وأسلوبه فى كتابه «صحيح الأخبار» لغة سهلة ، تتجنىح الى العامية حيناً ، وأسلوب سهل يسير لا تكلف فيه ولا عناء ، وأسلوب ابن بليهد فى كتابه قسمان الأول : ما يمليه انشاء ، وهو فيه يشبه أسلوب الجبرتى من حيث اليسر والسهولة ، التى تدنو الى حد الابتذال أحيانا ، وجريان قليل من الألفاظ العامية فيه ، مع فارق البيئة واختلاف لهجة العامة والثانى : ما يرويه من قصص وحكايات ، وهذه تغلب عليها العامية فلعل ذلك أتى من كونه رواها عن العامة ، وإن كنت لا أعذره فى هذا ، ومن ذلك ما ورد فى قوله عن بعضهم : (أتينا ونحن أثنا عشر «حنشوليا» وكان الناس فى وقت الربيع فكمننا فى وادى القصير ، ومعنا رجل يحمل بندقية من «المقاميع» ونحن على طريق أهل المذنب ، الذين خرجوا ليأتوا بالعلف لسوانيهم ، وكلما وصل إلينا قسم مسكناهم فى بطن الوادى وكتفنا الرجال منهم (١) •

(١) ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ص ١١٦ ، ١١٧ •
الحنشولى : الذى يغزو على الأقدام - هكذا ذكر فى الهامش وصحته : قاطع طريق

٢ - يكثر استشهاده بالشعر الفصيح والعامى ، ولكنه على أى حال أقل مما كان يصنعه فى كتابه «صحيح الأخبار» .

٣ - حين يعرض لمكان كان له شأن من الشئون ، فانه يشير الى ذلك فمثلا «بوضان» يقول ابن بليهد : (بوضان : جبل عظيم من جبال «الحجاز» المشهورة ، وهى فى بلاد «دوس» التابعين لقبائل زهران وهم من قبائل «اليمن» المشهورة وفى بلاد «دوس» ذو الخلصة الصنم المشهور ، الذى هدمه جرير بن عبدالله البجلي ، حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهدمه . (١)

٤ - ومما يلاحظ فى هذا الكتاب ، أن صاحبه لا يشير الى المعاجم فى ذكره للاماكن والبقاع والبلدان الا نادرا جدا ، خلاف ما كان يصنعه فى كتابه «صحيح الأخبار» ولعل هذا راجع الى أنه كان يميله على ابنه عبدالله من الذاكرة .

٥ - يفوته أحيانا أن يذكر أماكن فى موضع ، ثم يوردها فى موضع آخر لمناسبة ولغير مناسبة .

من ذلك على سبيل المثال (رياض القطى) فقد فاتته ان يذكرها فيما - جمعته كلمة «روض» (٢) ، ثم ذكرها فيما جمعته كلمة «خرم» (٣) بمناسبة ذكر «خرم» ، على أنه قد بسط القول فيها كتابه «صحيح الأخبار» (٤) . ولعله انما يترك مثل ذلك سهوا ، أو اختصارا ، والأول عندى أرجح لكثرة الاستطراد عنده .

٦ - وقد يضمن كتابه شيئا من ذكرياته الدالة على طباع أهل عصره وأخلاقهم كقوله : (ضبعة هضبة قريب «السبلة» التى دارت فيها

(٢) المرجع السابق ص ٥٧، ٥٦ .

(٤) صحيح الأخبار ١ : ٢٢٩ ، ٢٥٠ .

(١) ما تقارب سماعه ص ١٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٨، ٨٧ .

المعركة بين جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وبين أعدائه وأذكر يوما ونحن جلوس عند الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل فيصل في بيته في «مكة» بعد صلاة المغرب ، فسمع الأمير حشر البواردي ، قد أقبل علينا ، فنزل من كرسيه على المخدة وقال : انزل واتكئ «على» مشلحك (١) ، وإذا وصل حشر لا تتحول من محللك ، فصادف أن رجلى جهة الشيخ ابن زاحم ، وبأدى بن دبيان ، فلما وصل حشر - رحمه الله - خذ يستدير في المجلس ، فوقف ولم يجلس فقال الشيخ ابن زاحم : لماذا لا تجلس ؟ قال : ما أنا بجالس أخاف أن يخسف الله بكم ، فقال له الشيخ : ما هو السبب ؟ فقال له : كيف أن رجلا من أهل غسله ماد رجله الى وجه رجل محول الخيل يوم السبلة من «خشم ضبعة» ، وهو لا يعلم أن

المسألة مدبرة (٢) .

٧ - وهو في ذكره للاماكن المتقاربة في الاسم وتحديد لها ، لا يفوته أن يذكر ما جرى على تلك الأماكن من تغير أو تبدل أو نسيان ، كما يشير الى قول أرباب المعاجم خاصة عندما يخطئ أحدهم في تسمية أو تحديد المكان ، الذي هو موضع الحديث .

ومن ذلك قوله : (معدن البرم) ، هو المسمى اليوم (أضاخ) وهذا اسمه في العهد الجاهلي ، قال فيه امرؤ القيس ، والحارث في مساجلتهم :

فلما أن دنا لقفا أضاخ
دنت أعجاز ريقه فحارا (٣)

(١) المشلح يعنى العباءة .

(٢) ما تقارب سماعه من ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) ما تقارب سماعه من ٢٣

وقال ياقوت فى معجمه : (معدن البرم) بين (ضرية والمدينة) ،
وهناك موضع «أضاخ» مشهور - وياقوت - رحمه الله - غلط فى
تحديده حيث قال : بين «ضرية والمدينة» ، والصحيح أنه - بين
«ضرية والسر» يعرف الآن بـ «وضاخ» .

على أن أستشهاده بأقوال أرباب المعاجم أقل مما عرفناه عنده
فى كتابه «صحيح الأخبار» وقد أسلفت الإشارة الى هذا

٨ - والى جانب احتواء الكتاب ، لكثير من الأماكن والبقاع وتحديدها
نجده يحتوى الكثير من طريف القصص والحكايات ، فيها : ما
يرويه المؤلف عن المعاصرين له من بدو وحضر ، وفيه ما يرويه عن
كتب التاريخ ، ومن المناسبات التى جمع فيها بين طريف القديم
والحديث ما رواه فى حديثه عن «مطوى» حيث قال :

«المطوى» ثلاثة مواضع مضافة : الأول منها «مطوى دلعة» منهل ماء
ترده الأعراب ، معروف فى غربى «دلعة» يمره واديها ، «ودلعة»
قد سكنتها قبيلة ذوى خيوط من الدعاجين . وقد حدثنى عرديل
الدعجاني قال : كنا قاطنين على ماء «المطوى» المذكور ، وكان لنا
جار مع الغزو الذين أصابتهم السخونة فى «تهامة» وفى ذات يوم
بعد صلاة العصر ، رأينا طيرا مربوطا فى مخالفه سيورا ، يحوم
فوق البيوت وقد فهمنا أنه - بلا شك - من طيور الصيد قد انطلق
من صاحبه ، وكان بجانبنا امرأة ، فقالت هذا طير فلان تقصد
جارنا الذى مع الغزو فى «تهامة» ، وكان معه طير لما سافر للغزو
فأخذنا لحمه ورميناها له ، وندبناه فجاء منقضا عليها كأنه لم يغب
عنا يوم ، فقلنا لمن حولنا : اعرفوا هذا اليوم ، الذى وصل فيه هذا

الطير ، فلما رجع صاحبه ، وأخبرناه باليوم الذى وصلنا فيه الطير وحسب الأيام التى ضاع فيها طيره ، وجد أنه فى اليوم الذى وصلنا فيه ، أطلقه على أرنب بالقرب من «ابها» بعد طلوع الشمس فانقض عليها ولم يعد .

وليست بغريبة قصة هذا الطير ، فقد ذكر المؤرخون أنه فى وقعة الجمل قد قطعت يد محمد بن طلحة بن عبيد الله فى تلك الوقعة ، وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم ، الذى حصلت فيه الوقعة ، سقطت من نسر فى «المدينة» يد رجل ، فلما أخذوها وجدوا خاتم محمد بن طلحة بن عبيد الله عليها ، فعلم أهل «المدينة» بالمعركة بسبب هذا الطير فى يومها ، الذى وقعت فيه (١) .

ومن طريف ما رواه من القصص والحكايات قصة رجلين (٢) وجد أحدهما شاة فى بئر ، وسقط على الآخر فضيل ناقة ، من فتحة كانت فى سقف بيته .

٩- وفى تحديده للاماكن والبقاع قلما يفوته مكان دون أن يعلق عليه بشيء مما عرف به ، قد يفصل وقد يجمع ، ولكنه على أى حال يدلى بما عنده . خذ مثلاً هذا النموذج لتعليقاته المختصرة :

«الزاهر» : يطلق هذا الاسم على وادى «الشهداء» والشهداء لها اسم قديم غير هذا الاسم ، يقال لواديهما : وادى «فخ» ، وهذا الموضع هو الذى يقول فيه بلال مؤذن الرسول - صلى الله عليه وسلم لما وعكته حمى «المدينة» :

(١) ما تقارب سماعه من ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بفخ وحولي أذخر وجليل (١)

وأشرب ماء من مياه مجنونة

وهل يبدوون لي شامة وطفيل

بلاد زهران : «هى بلاد واسعة مترامية الأطراف التى أولها» بيده
واسمها الجاهلى «بزيادة» همزه هكذا «أبيده» وآخرها بلاد دوس
بها فواكه جمه وحبوب كثيرة .

«الازهر» : هو الجامع المعروف بهذا الاسم فى «مصر» ، وهو
من أقدم الجامعات العلمية فى الشرق ، مشهور بدراسته الاسلامية
والدينية ، وأهله معروفون بعلمهم وهيئتهم ولبسهم ، وقد بناه
جوهر مولى لأحد ملوك «مصر» ، وكل عالم يتخرج من الأزهر يعد
من رجال الإصلاح .

١٠ - وحين تحدث عما جمعته كلمة «مغر» (٢) وهى ستة ، يبدو أنه
لم يكمل هذه المادة ، اذ لم تشغل من ص ٦٢ سوى ستة أسطر وباقى
الصفحة فراغ ، ثم فى ص ١٦٨ ذكر أربعة أمكنة تجمعها كلمة
«صلب» ، لكن لم يتحدث عنها بكلمة وترك باقى الصفحة ، والصفحة
التى تليها من بعد فراغ ، فلعله كان ينوى - رحمه الله - الحديث
عنها مستقبلا . وذلك ما أكدته لى ابنه عبدالله الذى أملى عليه
والده هذا الكتاب قبل وفاته .

(١) ما تقارب سماعه ص ١٨١ .

(٢) ما تقارب سماعه ص ١٦١، ١٦٢ .

● استدراقات : ●

لقد توفر لابن بليهد من الأسباب التي تؤهله لمثل هذا العمل ما لم يتوفر لغيره ، فلقد كان كثير التجوال في جزيرة العرب في أيام كانت الابل فيها وسيلة التنقل ، فاعطاه ذلك حصيلة ضخمة من معرفة الأماكن والبقاع ، الى ما لديه من الخبرة العلمية والاطلاع الواسع على ما كتب الأقدمون في هذا الميدان .

ثم أنه كان كثير الاتصال بالبادية الى كونه نديما للامير فيصل بن عبد العزيز ، ثم أنه ذو جلد وصبر على القراءة والكتابة .

ومع توافر هذه الأسباب مجتمعة لديه ، فقد فاتته ذكر بعض الأماكن كما وقع في بعض الهفوات ، التي لا يسلم من مثلها من يتصدى لمثل عمله هذا .

وانقيادا لما التزمناه من دقة في البحث ، وأمانة علمية ، نقدم هذه الاستدراقات التي سجلتها عند قرائي لهذا الكتاب ، وهي استدراقات يمكن ادراجها تحت عناوين أربعة :

- أولا : اللحن في الأسماء والأساليب (١)
 - ثانيا : الخطأ في تخطئة الأقدمين .
 - ثالثا : خطأ في التحديد والتسمية والتعبير .
 - رابعا : أمكنة ومواضع فاتته تسجيلها .
- أولا :

اللحن في الأسماء والأساليب :

(١) حين عرض لذكر «جازان» أثبتته «جيزان» ، وهذا خطأ شائع على السنة العامة وأشباههم ، كان أولى بابن بليهد أن ينبه عليه لا أن

(١) ما تقارب سماعه ص ١٥ ، ١٦

يقع فيه ، وخاصة أنه ورد في «صفة جزيرة العرب» للهمداني (١)
والذي حققه ابن بليهد «جازان» هكذا ، وأورده بالآلف ياقوت (٢) .
على أنى أكاد أجزم بأنها سهوة من المؤلف أو خطأ من الكاتب ، لشيوعه
على الألسن كما أسلفنا .

(٢) ومن الأساليب العامية التي كان يجمل به النزوع عنها قوله : (فلا
نعلم من الصواب معه) (٣) ، وقوله (ان الذي لا يذهب الى بطحان
لشراء الحب ما كأنه أمتار) (٤) .

وقوله : (الدربيل أى المنظار) (٥) ، قوله : (غرتينا ياغرور) (٦)
بمعنى غررتنا ، وقوله : (أخبر أهلى وأخوتى تراى مع هذه القافلة) (٧)
ومعنى تراى : انى .

ثانيا :

الخطأ فى تخطئة الأقدمين :

فى حديثه عن «البحيرة» قال : البحيرة ثلاثة مواضع : الأول منها
فى «مصر» معروفة عند أهلها ولم يذكرها ياقوت مع البحيرات ، والواقع
أنها ليست بحيرة بالمفهوم ، والا لذكرها ياقوت ، ولذا لاوجه
للاستدراك عليه فى هذا .

-
- (١) انظر الكتاب ص ٧٣،٥٤،٥٢ .
 - (٢) معجم البلدان ٣ : ٢٦ .
 - (٣) ما تقارب سماعه ص ٣١ .
 - (٤) ما تقارب سماعه ص ٥٤ .
 - (٥) المرجع السابق ص ٦٤ .
 - (٦) المرجع السابق ص ٩١ .
 - (٧) المرجع السابق ص ١٠٩ .

ثالثا :

خطؤه فى التحديد والتسمية والتعبير :

(١) عند ذكر «روضة معقلا» (١) ، ذكر روضة أخرى هى «خسيفا» وبجانبها الا أنه قال «فتجمع بالنطق بها ، فيقال : «خسيفا ومعقلا» ، ولا يقال معقلا وخسيفا» . وهذا نفى لا أرى له وجها ، ولم يذكر عليه دليلا ، فأى مانع يمنع من أن نقول : معقلا وخسيفا ، كما نقول خسيفا ومعقلا ، كما قال مثل ذلك عند ذكره «الرقباء والرحيمية» (٢) .

(٢) فى حديثه عن «حجر» قال : (وحجر هذا معروف بهذا الاسم الى هذا العهد غربى الرياض) (٣) . والذى أعرفه أن «حجرا» هذا هو «حجر اليمامة» يقع فى الشرق الشمالى من مدينة «الرياض» القديمة ، على ضفة وادى «الوتر» المعروف «بالبطحاء» ، ووادى «الوتر ، الحجر» كلاهما صارا وسط مدينة «الرياض» الحديثة وممن تعرف على «حجر» الشيخ حمد الجاسر فى كتابه «مدينة الرياض» .

(٣) وفى قوله «السبع» قرية من قرى «فلسطين» ، تحمل هذا الاسم من العهد الجاهلى الى هذا العهد (٤) والذى أعرفه انها تعرف ببئر السبع (٤) عند ذكر البحر قال : (وذكر ياقوت فى معجمه ثمانية مضافة (٥) ولم يذكرها هو ، فلو أنه فعل لكان أجمل -

(٥) ذكر فى ما جمعته كلمة «سحل» ساحلى المملكة الشرقى والغربى ، وكان الأولى أن يقول : كلمة ساحل ، تطلق على كل ما جاور البحر .

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) ما تقارب سماعه ص ٦٣ .

(٣) ما تقارب سماعه ص ٣٥ .

(٤) ما تقارب سماعه ص ٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٨ .

رابعاً :

أمكنة ومواضع فاته تسجيلها :

(١) ذكر ان «الشعبة» - موضعان ففاته موضع ثالث ، وهو واد ينحدر من جبل «طويق» ويسقى الكثير من نخيل «العودة» بوادى سدير» (١)

(٢) ذكر أن : الشعبية (٢) ماء وفاته أن يذكر أن الشعبية أيضا نخيل فى الجنوب الشرقى من بلدة «العودة بسدير» .

(٣) هناك أماكن كثيرة فات ابن بليهد ذكرها ، وكان قد ذكر بعضا منها فى كتابه «صحيح الأخبار» مثل : «الأخشبين» (٣) فقد فاته ذكرها فى هذا الكتاب ، بينما نجده تحدث عنها كثيرا فى «صحيح الأخبار» .

(٤) وفى الموضعين اللذين ذكر منهما ما تجمعه كلمة «قرن» لم يذكر أماكن أخرى ، ومما فاته ذكره :

أ - «قرن المنازل» (٤) وهو المكان الذى يحرم منه الحجاج الوافدون الى «مكة المكرمة» من شرقيها قبل اصلاح الطريق الذى يأتى من الطائف وهو «الهدى» نسبة الى المنطقة ، التى تلى « الطائف » ويمر فيها الطريق ، وبعضهم يسميه «كرى» نسبة الى الجبل الذى شق فيه .

ب - «القرناء» وهى موضع فيه هضبتان صغيرتان مقرونتا القاعدة ، وفى القرناء هذه آثار واضحة لمنازل واسواق قديمة ، وتحيط بها

(١) المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

(٣) صحيح الأخبار ٣ : ١٣٩ .

(٤) ما تقارب سماعه ص ٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

- آبار مطمورة ، وهى قريبة من المكان المعروف بمدينة «غيلان» تدل
أسس بنائه العريض ، وبئر المنحوتة فى الصخر ، على الفن والقوة
وتقع القرناء ، وقصر «غيلان» فى أسفل وادى سدير ، وقد
أهملها فى هذا الكتاب ، كما أهملها فى كتاب «صحيح الأخبار» .
- (٥) وفى حديثه عما جمعته كلمة «عين» (١) مضافة أو غير مضافة ،
فاته أن يذكر عين زبيده ، وهى التى تسقى «مكة المكرمة» أجرتها زبيدة
زوجة هارون الرشيد - الخليفة العباسى - فنسبت اليها .
- (٦) وفى ذكره «لسديرة» (٢) فاته أن يذكر مكانين : أحدهما قرية
بين «الطائف» «وتربة» فى منتصف الطريق ، والثانى مزرعة فيها
نخل فى العودة من أقليم «سدير» .
- (٧) وحين ذكر «الوسطا» (٣) قال : انها بئر فى بلد القراين ، وهناك
بئران أيضا فيهما مزارع ونخيل : الأولى فى بلد «العودة» ، والثانية
فى بلد «الحوطة» وكلتاهما «بسدير» .
- (٨) وحين ذكر «واسط» (٤) قال أنهما واديان ، وحددهما فى «نجد»
وقد فاته أن يذكر موضعين أيضا يطلق عليهما هذا الاسم : أولهما
واسط الذى فى «العراق» ، وهو أشهر من أن يعرف ، والثانى بئر
زراعية كبيرة تابعة لبلده «العودة» .
- (٩) وفى ذكره لما جمعته كلمة «حم» (٥) ذكر حمام وما شاكلها ، ولم
يذكر أم الحمام التى تقع شمال مدينة «الرياض» ، وهى حى حوله
مزارع ونخيل .

(١) ما تقارب سماعه من ٣١ .
(٢) المرجع السابق من ٣٨ .
(٣) المرجع السابق من ٤٣ .
(٤) المرجع السابق من ٤٤ .
(٥) المرجع السابق من ٤٧ .

١٠ () عندما ذكر المرقب لم يذكر المرقب (١) الذى فى الجنوب الغربى من بلد «العودة» ، وهو جبل صغير فى أعلاه برج قديم البناء .

١١ () فى حديثه عما جمعته كلمة «وشم وشام» (٢) لم يذكر الشامية وهى حى كبير فى «مكة المكرمة» بجانب الحرم الشريف .

١٢ () وتكلم عما جمعته كلمة «كلب» (٣) من أودية وغيرها ، وفاته ان يذكر وادى الكلب ، وهو أحد أودية «ذى أراط» .

١٣ () وفى حديثه عما جمعته كلمة «بكر» (٤) لم يذكر البكيرية ، وهى بلدة كبيرة باقليم «القصيم من نجد» .

١٤ () وعند حديثه عما جمعته كلمة «قور» (٥) لم يذكر أبا القور وهو «بذى أراط» .

١٥ () وعند ذكره لما جمعته كلمة «بقر» (٦) ، لم يذكر البواقر ، وهى روضة قريب من مدينة الرياض الى الغرب .

١٦ () وفى حديثه عما جمعته كلمة «خنق» (٧) لم يذكر الخنقة وهى مكان معروف بين العودة والعطار بسدير .

١٧ () وفى حديثه عما جمعته كلمة «جبر» (٨) .

-
- (١) المرجع السابق ص ٥٠ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٦٨ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٨٠ .
 - (٥) المرجع السابق ص ٨٢ .
 - (٦) المرجع السابق ص ٨٣ .
 - (٧) المرجع السابق ص ٨٩ ، ٩٠ .
 - (٨) المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١١٠ .

أ - ذكر أن البستان الذى فى «الطائف» اسمه «جبرة» ، والذى أعرفه أن اسمه «شبره» ، على أن الجيم والشين يتعاوران فى اللفظة .

ب - لم يذكر موضعين كلاهما يعرف بجبرة الأول حى من الأحياء الجنوبية «بالرياض» ، والثانى قرية صغيرة تقع بين «الخرج والرياض» .

(١٨) وحين ذكر ما تجمعته كلمة «قرى» (١) ، فاته أن يذكر كثيرا من الأماكن المعروفة بهذا منها : القرى حى من أحياء وسط «الرياض» ، ومنها القرى فى أسفل وادى «سدير» ، وهى مزرعة موسمية لآل حسين ، وبئر فيه نخيل ومزروعات فى أعلى بلدة العودة لهم أيضا، ومنها القرى بالتصغير وهى حى فى غرب الرياض (١٩) فى ذكره لما جمعته كلمة «شمس» (٢)

أ - لم يذكر الشماسية وهى بلدة ذات مزارع ونخيل كثيرة تبعد عن «بريدة» عاصمة «القصيم» بستة وعشرين كيلو مترا ، وكذا «شماس» التى تقع فى الشمال الغربى من مدينة بريدة ب - ذكر أن الشمسية وهى بئر ذات نخيل شمالى شرق «الرياض» والواقع أنها قد تحولت الى حى سكنى فى وسط مدينة «الرياض» بعد امتدادها .

(٢٠) وفى ذكره لما جمعته كلمة «رمة» (٣) ، لم يذكر الرميى ، وهو مكان شمال أسفل وادى سدير به مزارع موسمية .

(١) المرجع السابق ص ١١٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٢١) وفى ذكر ما جمعته كلمة «سودة» (١) ، لم يذكر السويدي وهو
ثلاثة :

الأول : فى عمان قرب الخليج العربى ، والثانى : حى فى شمال
«الرياض» ، والثالث : مكان فيه مساكن ومزرعة ونخيل غرب
مدينة «الرياض» وصله مدها العمرانى .

(٢٢) وفاته أن يذكر «سمحان» (٢) وهى بلدة بالخرج .

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٨٨ ، ١٩٠ .

● كلمة أخيرة ●

لقد انتهيت من صحبة ابن بليهد فى كتابه (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) وأنا أكثر اعجابا بهذا العمل ، وأشد شعورا بالحاجة الى اتمام ما بدأه ابن بليهد بعمله هذا الذى فتح به مدخلا جديدا ، الى خدمة اللغة وعلومها .

ومع اعجابنا بهذا العمل وتقديرنا له لا نملك الا أن نقول : أنه بداية طيبة غير أن ابن بليهد غنى فى عمله هذا «ينجد والحجاز» وما يليها من الأماكن فى حدود معرفته ، وقد يجاوز ذلك الى بعض الأماكن فى البلاد العربية الأخرى كمصر والشام والعراق ، الا أن ذلك قليل .

من هنا لم أستحسن أخذه بما فاته من مشتبه الأماكن خارج جزيرة العرب .

واذا أردنا أن نضرب مثالا على ذلك فمنه مثلا «عين» ، فقد فاته حين تكلم عن هذه المادة (١) أن يذكر ما كان فى « مصر والشام » «كعين شمس» ، وعين الصيرة ، «وعين حلوان وعين جالوت» وعين موسى «والعوينات بليبيا» و «عين زغرته» بلبنان .

ونحن فى ثنائنا ونقدنا لا ننسى أن الرجل كان يعانى من الكبر والمرض ما شكاه فى قوله : (وما خفف على هذا المجهود الجبار ، وقد اشتعل الرأس شيبا ، وبلغت من الكبر عتيا ، ولازمنى المرض) (٢)

ثم أن هذا العمل بداية منهج جديد فى التأليف اللغوى شأنه فيه كشأنه فى كتابه «صحيح الأخبار» نهج مبتكر ومدخل الى ميدان فى

(١) ما تقارب سماعه ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ١ .

اللغة جديد ، يلقي على علماء اللغة والأدب المسؤولية في أن يتموا ما بدأه ابن بليهد في هذين الكتابين لخدمة اللغة العربية وعلومها

وما قدمته من استدراقات على المؤلف ليس هو كل ما يقال اذ أنى
لم أتتبع المعاجم ، ولم أتقص الخبر والسؤال فى هذا ، وانما ذكرت ما
ورد على ذهنى ساعة القراءة مما أطمئن الى صحته .

وقد سبقت بدايات في هذا النهج من التأليف منها : المشترك وضعاً والمختلف صقعا ، لياقوت الحموى ، وما اتفق لغة واختلف معنى ، أو كتاب «الأماكن» للحازمي ، وما اختلف صورة واختلف معنى «لنصر بن عبد الرحمن الاسكندري ، والأول مطبوع - غير أنها لم ترق الى تحقيق الهدف المنشود ، ولم تصل الى ما وصل اليه صاحبنا في مؤلفه هذا ، من اتساع المادة ودقة التحديد للأماكن ————— .

الفصل الثالث

تحقيق

صفة جزيرة العرب للهمداني^(١)

عرض الكتاب :

كان الشيخ ابن بليهد ينوي اخراج جزء سادس لكتاب « صحيح الأخبار » يقصر الحديث فيه على « نجد » كما ذكر ذلك في مقدمة الجزء الخامس ، فلما عثر بعد بحث طويل على كتاب « صفة جزيرة العرب للهمداني » ، عدل عن نيته تلك واستبدل منها تحقيقه لهذا الكتاب ،

(١) أخرجت دار اليمامة بالرياض أخيراً ، كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني بتحقيق جديد ، لأحد علماء اليمن المعاصرين هو الشيخ محمد بن علي الأكوع الحوالي ، وقدم له وأخرجه المحقق الشيخ حمد الجاسر ، وقد اقتضت هذه الأسطر من ترجمة الجاسر للهمداني .

الهمداني - من (٢٨٠ - ٣٤٤ أو ٣٦٠ هـ) - (٨٩٣ - ٩٥٥ أو ٩٧٠ م) علي خلاف في ذلك بين الشيخين : الجاسر والأكوع هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ويعرف بأبن يعقوب والنسابة ، وبأبن الحائك ، وتكرر في « معجم البلدان » ابن المدينة وصوابها ذى الدمنة ، ويدعونفسه « لسان اليمن » ويعبر عن نفسه قائلاً « أبو محمد » أو « الهمداني » ، وأبن حائك قصد به التتقيص ، وليس صحيحاً ما جاء في « طبقات الزيدية » أنه حائك من حاكة « ريد » ذكر هو نسبه موصولاً « بهمدان » بالجزء العاشر من كتابه « الاكليل » .

كان شاعراً مدح بعض أهل عصره ، أقام بمكة زمناً ، وكان بينه وبين الكثير من شعراء عصره معارك كلامية كان مصدرها تمصب بعضهم على القحطانيين ، الذين قام الهمداني للدفع عنهم بشعره ، حتى أفضى به ذلك الى السجن . وهو مقدم في كثير من الفنون كعلم البلدان (الجغرافيا الوصفية) والأنساب والآثار .

وبالاجمال فهو دائرة معارف في : التاريخ واللغة والأدب والجغرافيا والطب والحساب وغيرها من العلوم . =

فأسدى للادب والتاريخ واللغة والجغرافيا بعمله هذا يدا بيضاء ، وبخاصة أنه المصدر الأول لفحول هذا الميدان أمثال : ياقوت ، والبكري ثم ان مؤلفه كما قال ابن بليهد كان دقيقا فى الوصف والتحديد لأنه انما كان يكتب بعد خبرة عملية ، فكتابه هذا نتيجة تطواف طويل فى جزيرة العرب وقف فيه على المنازل والديار ، وتفحص الأطلال والآثار ، فجاء أقرب الى الصواب من أولئك الذين أخذوا عن الرواة ، واستنطقوا الأخبار والأشعار .

من هنا كان ابن بليهد كثير الحرص على الحصول على كتاب «صفة جزيرة العرب» حتى جاءت نسخة من «اليمن» فأقبل عليها بكل ما أوتى من قوة ، وأنسته فرحته به مرضه ، أو لعله كان يرى فيه نوعا من العلاج .

(١) كتب ابن بليهد مقدمة للكتاب ، أشار فيها الى كتابه «صحيح الأخبار» ونيته فى تحقيق كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمدانى ، ثم وجد أن نشره أجدى فعزم على ذلك ، كما أشار الى ما قابله من عناء فى الحصول على هذا الكتاب ثم أخذ يثنى على الهمدانى بعد ملامه لوما خفيفا ، على اختصاره فى الأماكن الخارجية من «اليمن» كما لامه على عدم الترتيب ، وان كان قد أثنى على دقته وثبته ، وضرب لذلك مثلا بأمانته عندما أراد أن يسجل فى كتابه «أرجوزة الحج» لآحمد بن عيسى الردامى ، عاد بعد ذلك الى الحديث عن صنيعه هو فى هذا الكتاب ، وذكر المنهج الذى اختاره لتحقيقه ، وأنه أثر أن يجعل التحقيق مستقلا ، وذلك بعد تفكير طويل فى طريقة التحقيق أثر بعده هذه الطريقة — كما قال — لأسباب ثلاثة حملته على أن يجعل منه قسما

= عد الشيخ حمد الجاسر من مؤلفاته ثلاثة وعشرين مؤلفا شملت شتى المعارف منها «الأكليل» ، صفة جزيرة العرب ، وله ديوان شعر (انظر كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى ، تحقيق الشيخ محمد بن على الأكوخ ، تقديم الشيخ حمد الجاسر من صفة ٦ — ٣١ طبعة دياراليمامة بالرياض) .

مستقلاً يذيل به الكتاب وأول هذه الأسباب الثلاثة : الفرار من الاطالة
التي قد تتطلبها بعض المواضع ، وثانيها : أن ذلك شبيه بعمله فيما
أخذه على البكرى وياقوت ، فى الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه
« صحيح الأخبار » وثالثها : التوفر أولاً على اخراج كتاب الهمداني ،
ثم اخراج ما أخذه عليه بعد ذلك فى جزء ملحق بالكتاب ، يطلق فيه
كما يقول - للقلم العنان .

وهذا عمل من شأنه - كما ذكر - أن يضع فى يدى القارئ
كتابين بدلاً من كتاب .

(٢) وبدأ صلب كتاب الهمداني بعد المقدمة وتقرير للشيخ محمد محي
الدين عبد الحميد ، وأول موضوع فيه حديث عن : المعمور ، وأفضله
وحدوده وأقسامه ، وطبيعته وطباع سكانه والمفضل منه ، وخطوط
طول وعرض المدن المشهورة .

وهو فيه ينقل عن الأقدمين من يونانيين وغيرهم ، وممن أكثر النقل
عنه بطليموس وتنتهى هذه المقدمة فى صفحة ٤٥ ثم يبدأ الحديث الخاص
بالأمكنة والبقاع فى جزيرة العرب عند الهمداني ، وقد سار الهمداني
فى كتابه على تقسيم جزيرة العرب الى مناطق وأقسام ، تحدث عن كل
واحد منها تحت عنوان يخصه ، حتى ختم الكتاب بأرجوزة الحج ، لأحمد
بن عيسى الرداعي ، وهى نهاية كتاب الهمداني (١) .

(٣) تحقيق صفة جزيرة العرب لمحمد بن عبد الله البليهد (٢) . بدأه
بمقدمة مجتزأة ذكر فيها نهجه فقال : (وقد سهلنا تناوله للقارئ
فأشرنا عند الكلام على كل موضع الى الصفحة والسطر ، اللذين
يحددانه بحرف (ص) الى الصفحة ، و (س) الى السطر ، وأثبتنا ذلك

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٣٦ - ٢٨٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٣ - ٤٣١ .

فى فهرس خاص غير فهرس الكتاب ، الذى أثبتناه برمته عن نسخة
بريـل المعروفة) (١)

أخذ بعد هذا فى تتبع ما ورد فى كتاب الهمدانى من أسماء الأماكن
والبقاع ، يـجمل تارة ويفصل أخرى ، حتى اذا وصل الى أرجوزة الحج
« لأحمد بن عيسى الرداعى توقف مكثفيا - كما قال - فى الخاتمة بما
قال الهمدانى ومما قاله فى خاتمة تحقيقه ، : (قد انتهينا بحمد الله
ومعونته وحسن توفيقه من تحقيق البقاع الواردة فى «صفة جزيرة
العرب» لانقلا عن الكتب ولا سماعا من الأفواه ، ولكن رأى العين وشد
الرحال وحث القدم) (٢) .

● ملاحظات واستدراكات ●

فى قراءتى لهذا الكتاب سجلت الملاحظات والاستدراكات الآتية :

أولا : الملاحظات :

(أ) تحدث الهمدانى فى كتابه عن جزيرة العرب بعد أن قسمها ، وتحدث
عن كل قسم على حده ، وكان من السهل المفيد أن يضع ابن بليهد
فهرسا لموضوعاته ولكنه لم يفعل .

(ب) جرت العادة لدى المحققين على أن يترجموا للإعلام الواردة فى
النص المحقق، لكن ابن بليهد - رحمه الله - ضرب صفحا عن ذلك .

(ج) قد يروى ابن بليهد عن محدثه طرفة فكاهية ، فلا يقوم بتفسيرها
ولا يشير الى أنها طرفة ، بل قد تفهم منه أنه يأخذها على ظاهرها
من ذلك ما ذكره فى تحقيقه لصفة جزيرة العرب حيث قال : (وبلد

(١) المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق السابق ص ٤٣١ .

هذا الرئيس يقال لها : « الزهرة » وحدثني رجل من أهل ذلك -
الوادي عن أعمال رجالهم ونسائهم ، فقال : أغلب الأعمال في البلاد
قائمة بها النساء الا عمل واحد ، وهو حلب البقر ، قلت له : ما هو
السبب ؟ قال من حبهن للجماع اذا وضعت الاناء بين ركبتيها ،
ثم امسكت خلف البقره ، فاذا عطفت وانتفخ الخلف في يدها ذكرت
الجماع ، فاستلقت على ظهرها وانتثر الحليب منها) (١) .

(د) أطال ابن بليهد في حديثه عن «مأرب» وسدها ، وما روى عنها
وعن أهلها من أخبار (٢) ولو أنه ذكر في هذا الاستطراد طرفا
من خبرها الآن لكان حسنا .

(هـ) وهو كثير الاحالات على كتابه «صحيح الأخبار» أو ما سبق ذكره
في هذا الكتاب (٣) ، وقد يحيل الى موضوع دون ذكر الكتاب
المحال عليه ، وان كان القارئ لكتبه يعرف أنه في «صحيح
الأخبار» ج ١ ص ٩٦ . من ذلك قوله ص ٤٣٠ من تحقيقه
صفة جزيرة العرب .

(و) وهضب «ذى أقدام» هو الهضب المشهور الواقع في القطعة
الجنوبية من «نجد» وقد تقدم الكلام في أول أشعار امرئ القيس
وقد ذكرنا مياهه ووضعنا موقعه ، وكان اسمه في الجاهلية
«هضب ذى أقدام» .

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩٧ - ٤٠٣ .

(٣) من ذلك احالاته عند ايراده للامكنة الآتية : -

أثال ص ٢٩٦ - صنعاء ص ٣٩٧ - ترج ص ٤٠٤ - رنية ص ٤٠٤ - القراء ص
٤٠٥ - الحجاز ص ٤١٠ - عكاظ ص ٤٠٥ - السى ص ٤٠٥ - حضن ص ٤٠٧
الزيمه ص ٤١٠ - النخلة ص ٤١٠ - يللم ص ٤١٣ - المفيشيه ص ٤٢٥
الروحاء ص ٤٢٥ - العيص ص ٤٢٦ - وادي العقيق ص ٤٢٨ - والاماكن
الواردة في قول الشاعر :

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمه فبرقه العيبرات
فغول فحللت فنفي فمنعج الى عاقل فالجب ذى الأمرات

و (وحين انتهى فى تحقيقه الى «أرجوزة الحج» (١) لأحمد بن عيسى الرداعى وهى نهاية كتاب الهمدانى ، توقف مشعرا أنه اكتفى فيها بما أورده الهمدانى يقول :

(بقيت قصيدة الرداعى التى ذكرها الهمدانى فى آخر كتابه وهى خير ما قيل فى وصف طريق الحج ، وقد كفانا الهمدانى التعليق بما عقله وهو الخبير ببلاده) (٢)

وهذا اكتفاء يثير تساؤلا قد لا أجد الآن جوابا عليه ، ولكنه تساؤل قائم على أى حال ، فأى فرق بين ما ذكره الهمدانى على «أرجوزة الحج» - للرداعى ، وبين ما ذكره فى غيرها ، ولماذا تحدث ابن بليهد عن كثير من الأماكن «باليمن» ، التى ذكرها الهمدانى ، وأطنب فى الحديث عن بعضها «كمأرب» التى شغلت عنده أربع صفحات وضرب صفحا عن جميع ما ورد فى «أرجوزة الحج» للرداعى ؟ اللهم ألا أن يكون ذلك سأمًا وملا لا أو اختصارا .

ز (لم يورد ابن بليهد ثبوتا للمراجع والمصادر التى أخذ عنها ، ونحن وإن كنا على يقين من أن مصادره الأولى كانت رحلاته ومشاهداته الشخصية ، كما أشار الى ذلك فى آخر الكتاب (١) ، إلا أن ذلك لا يعفيه من ذكر ثبت لبعض الكتب ، التى مر ذكرها فى الكتاب مثل «معجم البلدان» لياقوت ، «ومعجم ما استعجم» للبكرى ، وصحيح الأخبار» للمؤلف وغيرها .

(١) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٢٣٦ - ٢٨٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣١ .

هـ) وان الطريقة التى سلكها ابن بليهد ، فى فصله التحقيق عن الكتاب المحقق والحاقه به كذيل له . طريقة لم يسلكها أحد من قبله فيما أعلم ثم أن التعليق الذى أورده لذلك وخلاصته :

١ - أن التعليق قد يطول فيمتد من الصفحة المعلق عليها الى ما بعدها وقد يزيد .

٢ - أن القارئ بطريقته يظهر بكتابين المحق والتحقيق .

٣ - التفرغ لاجراج كتاب الهمدانى أولاً ، ثم التحقيق ثانياً ، ان هذا التعليق فى رأى لا يكفى وبخاصة أنه يفضى بكثير من الوقت الى الضياع ، لأن القارئ لابد أن يضع يدا فى التحقيق وأخرى فى الكتاب المحقق .

ثانياً : ● الاستدراكات ● :

أ) لام ابن بليهد الهمدانى على عدم ترتيبه لكتابه حسب ترتيب المعاجم (١) ، ونسى - رحمه الله - أنه صنع صنيع الهمدانى فى كتابه «صحيح الأخبار» وأنه أولى باللوم ، الذى وجهه الى الهمدانى ب) وهو فى تحقيقه هذا لم يترك ما ألفناه منه فى كتابيه : «صحيح الأخبار» «ما تقارب سماعه» من ايراد الألفاظ العامية اذا عرضت له فيما يرويه من قصص وحكايات ، من ذلك قوله : (والعيسر واد عظيم فيه مياه ونخيل وهو ملك لجهينة ، وفى أيام ثورة الشريف حسين على الترك ، نزل ابنه عبدالله ابن الحسين فأبطاً ، فى ذلك المنزل ، وتنتابه التجار ببضائعها حتى أنه عرف ذلك العام) بسنة العيسر) ، وحدثنى رجل من الشيايين قال : أتينا عبدالله ابن

الحسين وهو في وادى «العيص» - ونحن عشرة رجال - وقال لنا «المضايقى» الذى يوكل بمن قدم : كم أنتم فقلنا له : عشرون رجلا فكتبنا بأسمائنا ، واختلقنا له عشرة أسماء ، وكان منزلنا فى أصل شجرة مظلمة ، وعندنا ماء عذب ، فجاءتنا امرأة من جهينة ، على حمار أسود عليه أربعة «صملان» (١) فلما ملأت صملانها من الماء نبهتني لأساعدها على حمل الصملان على حمارها ، فقلت لها : من أى القبائل أنت ؟ ، فقالت : أنا من جهينة . ثم قالت : من أى القبائل أنت ؟ قلت لها : من عتيبه ولنا مكتب عند عبدالله الشريف فقالت : كم كتبتم قلت لها : عشرين رجلا ، ثم ضربت حمارها بعصا فى يدها ، ثم قالت لى : ترى هذا الحمار الأسود والله أن «حنا» (١) كاتبينه عند الشريف سويد أبا الصملان ، ومعه ثلاثون تقرا وان والدى يستلم ما خصص له ولأصحابه (٣) .

ومما ورد على لسانه من الملحون كلمة «جيزان» التى وردت فى اكثر من مكان ، وهو لحن أخذناه به فى حديثنا عن كتابيه : « ما تقارب سماعه » و « صحيح الأخبار » .

(ج) وفى حديثه عن «جماز» (٤) الذى قال عنه الهمداني (٥) : (ثم تقفز من «المتك» فى بطن «ذى أراط» ثم تسند فى عارض «الفقى» فأول قراه جماز ، وهى ربابية ملكانية عدوية) . قال ابن بليهد : (ثم ذكر الهمداني الفقى ، فأول قراه «جماز» فهو قد

(١) الصنيل فى العامية : وعاء للماء . وهو من جلود الغنم ويستخدم للبن أيضا وهو

اصفر من القربة وقد يكون فى حجمها وجمعه (صملان) .

(٢) حنا : نحن .

(٣) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٤) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٣١

(٥) المرجع السابق ص ١٤١ .

انقرض اسمه ، وظنى انه احد بلدين : اما بلد «العودة» واما بلد
« العطار » .

لقد أخطأ ابن بليهد هنا ، «فجماز» ما هو ببلد «العودة» ولا (العطار)
وانما هو مكان فى مرتفع بعد «العودة» فى أسفل وادى «سدير» ويقرن
اسمه بغيلان ، فيقال : (مدينة جماز وغيلان) ، وتقول الأساطير أنهما
أخوان بنيا قصرين عظيمين متجاورين ، واثار القصرين ما زالت
شاخصة ، وفى كل من القصرين بئر نحتت فى الصخر حتى الماء ،
وحدثت أنهم كانوا قبل ربع قرن يجدون فيها بعض الآنية من الخزف
والفخار ، وفيها ما كان مملوءا بمسحوق ورق السدر ، الذى كانت
النساء يستخدمونه فى تمشيط شعورهن .

فألهمدانى صادق فى أن «جماز» أول ما يلى المسند من قرى «سدير»
إذا أتاه من أسفل .

نموذج للتحقيق :

تتلخص طريقة ابن بليهد فى تحقيقه أنه : -

- أ (يحدد المكان تحديدا واضحا ان لم يكن حدد من قبل .
- ب (يزيد تحديده وضوحا ان كان قد ورد له تحديد ناقص أو غير واضح
- ج (يصوب الخطأ الذى قد يقع فيه المؤلف .
- د (وإذا كان المكان باقيا على اسمه ذكر ذلك ، وان كان قد تغير او
نسى فانه لا يغفل عن الاشارة الى هذا .
- هـ (ويستدل على صحة ما يورد بأمرين : الأول : مشاهداته ، والثانى
النقل عن أرباب المعاجم .

وهو ينقل عن ثلاثة ، وقلما ينقل عن غيرهم وهم : ياقوت الحموى
والبكرى ، والأصمعى ، وهذا نموذج للأسلوب الذى سار عليه •

(ص ٨٤ سطر ١٠ - ١٦ : قال الهمدانى : (وهى فلاة تتفرق من
الدهناء» من ناحية «اليمامة والفليج» ويسرع عليها «جزر اليمن
من (مصامة) بنى عامر بناحية «ترج» «فتثليث» فيما بين تثليث
(ودثينة) وتفرق هذه الفلاة بين «جزر اليمن» من أسفل هذه الأودية
وبين «حضر موت» من أربع مراحل وخمس فيما بين «نجران وبيحان»
وأما ما خلف (نجران) الى الشمال فأكثر ، لأن «صيهده» يقبل عن فرقين
من «الدهناء» أحدهما من شرقى «اليمامة» ويبرين ، والثانى من غربى
(اليمامة) وما بينهما وبين جبل الحزن) •

قال الناشر : (قد أخطأ الهمدانى حين قال فى ذكره «للدناء» لأن
« صيهده» يقبل عن فرقين من (الدهناء) أحدهما من شرقى «اليمامة»
«ويبرين» والثانى من غربى «اليمامة» وليس للدناء ذكر فى غربى
اليمامة فان الدهناء جميعها شرقى اليمامة وما اتصل منها (يبرين
والربع الخالى» هذه المواضع شرقى «اليمامة»

وأما الكتب الذى غربى «اليمامة» فهو يقال له فى هذا العهد
« الدحى» واسمه القديم يقال له : «الدبيل» وليس له علاقة فى الدهناء
وذكر الهمدانى (تثليث) ولم يحدده وهو واد عظيم من أودية «اليمن»
وقد ذكرته العرب فى أشعارها • وسكان هذا الوادى «عبيدة» وهم بطن
من قحطان ، وهذى رواية ياقوت فى ج ٢ ص ٣٦٦ حين قال «تثليث»
بكسر اللام وياء ساكنه وثاء أخرى مثلثة موضع «بالحجاز» «قرب مكة»
ويوم «تثليث» من أيام العرب بين بنى سليم ومراد •• قال محمد بن
صالح العلوى :

نظرت ودونى ماء دجلة موهنا
بمطروقة الانسان محسورة جدا
لتونس لى نارا بتثليث أوقدت
وتالله ما كلفتها منظرا قصدا

وقال غيره . . . بتثليث ما ؟ بعدى الأحام .

وقال الأعشى :

وجاشت النفس لما جاء فلهم
وراكب جاء من تثليث معتمر

وقال ياقوت : انه واد قريب مكه وهو ليس قريبا منها يبعد عنها
مسافة ثمانية أيام لحاملات الأثقال ، وذكر الهمداني «نجران» فى
مواضع كثيرة ولم يذكر سكانه ، فسكانه فى هذا العهد بطون يام ، وقد
مضى الكلام عليه مختصرا وتثليث موضعه بين وادى «الدواسر وبیشه»
وفيه سنة قريب منتصف القرن الرابع عشر يقولون سنة يفرق سـيـل
« تثليث وادى الدواسر » وهو يحمل اسمه الى هذا العهد تثليث (١) .

(١) صفة جزيرة العرب ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

الفصل الرابع

أماكن أطلال المواقف الحديث فيها

فى قراءتى لكتب ابن بليهد لاحظت أنه يولى بعض الأماكن اهتماما أكثر من غيرها ، بل لقد أطلال فى بعضها اطالة تستدعى الانتباه دون أن يذكر سببا أو أكثر للاهتمام الذى أولاه تلك الأماكن ، ونحن نجتهد فى تلمس هذه الأسباب .

● سوق «عكاظ» وتنازع الباحثين السبق فى اكتشافه

نحن نعرف مكان «سوق عكاظ» فى الأدب العربى ، ونعرف أن أهميتها فى الأدب العربى انما جاءت من أهميتها التجارية أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، الى أن نهبتها الخوارج الحرورية ، فى أخريات العهد الأموى عام (١٢٩ من الهجرة - ٧٤٦ م) : فقد كانت أكبر الأسواق العربية ، كما كان الناس يقضون فيها من الزمن أضعاف ما يقضونه فى سائر الأسواق ولذا كانت متجرا للتجار، ومنتدى الخطباء والشعراء، ومكان الدعوة والاعلام - كما نسمى ذلك الآن . وكان ذلك كافيا لأن يعنى به ابن بليهد وغيره من المحققين والباحثين ، ثم أن (١) جدلا قام على صحف الحجاز حول تحديد مكان هذه السوق ، ومن أشهر الكاتبيين فيه الشيخان : محمد بن بليهد ، وحمد الجاسر .

وكانت عامة الناس يعتقدون أنه «السيلى الكبير أو السيل الصغير» وقد نفى هذا بحجة أن هذه الأمكنة ليس فيها ما يتسع للجماهير العربية

(١) موقع سوق «عكاظ» للدكتور عبدالوهاب عزام - دار المعارف المصرية سنة ١٩٥٠ م .

التي كانت تفد على السوق من كل مكان ، ثم أن كتب الأقدمين ليس فيها ما يدل على أنه في تلك الأماكــــن .

ومن هنا جد ابن بليهد في البحث واستيحاء الأخبار والأشعار واقتناص الدلائل ، وضم بعضها الى بعض ، ليخرج منها بالتحديد الشافى الكافى الذى طبق فيه على الأمكنة ما ورد فى كتب الأقدمين مستعينا على ذلك بالمشاهدة ، أى أنه أجرى مسحا ميدانيا للامكنة على ضوء ما ورد، فخرج بهذا التحديد، وهو تحديد قال: انه بناء على خمسة أدلة كما ذكرها – أولها : ما ذكره احمد الرداعى اليمانى فى «أرجوزته التى رسم فيها طريق «مكة» من «صنعاء» الى مكة قاصدا الحج ، ولست أذكر من هذه الأرجوزة الا ما دعت الحاجة اليه ، وقد ذكرها الهمدانى فى اخر كتابه «صفة جزيرة العرب» (١) وثانيها : ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى فى كتابه المسمى : «جبال تهامة والحجاز ومحالها» ، ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان على ذكر «عكاظ» ، ورابعها : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى «بأسواق العرب» حين عرض لذكر (عكاظ) وذكر أيام الفجار ، وهى الحرب التى وقعت بين قريش ومن ساعدها من بطون كنانة وبين بنى قيس عيلان وبطونها وذكر مواضع المعارك ، كلها ، أما فى «عكاظ» نفسها ، وأما فى الأمكنة المحيطة به – خامسها : ما ذكره الكميت بن زيد الأسدى وهو بيت واحد فى قصيدة من قصائده ثم ختم البحث بخريطة لسوق «عكاظ» ولقد أصدر الدكتور عبد الوهاب عزام (٢) – رحمه الله – كتابا ضمنه ثلاثة مباحث . الأول بحث له عن محاضراته التى ألقاها فى المؤتمر الثقافى الثانى بالاسكندرية (سنة ١٣٧٠ هـ – سنة ١٩٥٠ م) والثانى للشيخ حمد الجاسر ، والثالث لابن بليهد .

(١) انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٢٣٦ – ٢٨٣ تحقيق ابن بليهد ومن ص

٤٠١ – ٤٥٨ تحقيق محمد بن الأكو

(٢) عبد الوهاب عزام من (سنة ١٣٠١ هـ – الى سنة ١٣٧٩ هـ) ، (سنة ١٨٨٣ هـ

= (١٩٥٩)

فأما رأى الدكتور عبد الوهاب عزام فهو فيما يبدو مستمد من رأى ابن بليهد ومشاهداته معه فى الرحلة أما الشيخ حمد الجاسر (١) ،

= كان علما من اعلام الاسلام ، وعالما ضليعا فى اللغات الشرقية والاسلامية ، ولد (بالشوبك الغربى) بمحافظة الجيزة ، حفظ القرآن ، ثم التحق بالأزهر ثم الى مدرسة القضاء الشرعى ، وتخرج بها (سنة ١٣٣٩ هـ سنة ١٩٢٠ م) فعين مدرسا بها فى السنة نفسها .

وكان الى جانب التدريس يدرس بالجامعة المصرية ، حتى حصل فيها على الليسانس سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م ، وفى ذلك العام اختير اماما فى السفارة المصرية «بلندن» ، فالتحق بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة القاهرة ، لى يدرس الفارسية ونال فيها درجة الماجستير برسالة عن التصوف عند فريد الدين العطار سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م ، اشتغل بعدها مدرسا بالجامعة المصرية وبها أخذ الدكتوراة فى الأدب الفارسي (سنة ١٣٥١ هـ - سنة ١٩٣٢ م) ، ثم عين أستاذا ورئيسا لقسم اللغات الشرقية واللغة العربية ، ثم عميدا لكلية الآداب (سنة ١٣٦٥ هـ - سنة ١٩٤٥) ، ثم شغل عدة مناصب سياسية منها : السفارة فى «باكستان» ، «المملكة العربية السعودية» مما اتاح له الاتصال بالثقافتين ورجال الفكر فى جميع البلاد وأخر عمل ولىه كان ادارة جامعة «الرياض» «بالرياض» من سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) الى أن توفى - رحمه الله - سنة ١٣٧٩ هـ - سنة ١٩٥٩ م .

له بحوث كثيرة فى اللغات الشرقية ، وآدابها ومؤلفات متنوعة ، وتحقيقات مختلفة ومترجمات منها : «مدخل الشاهنامه» ، «مهد العرب» ، «رحلاته» فى مجلدين ، و «تحقيق الشاهنامه» نقل البندارى ، وله بحوث ومؤلفات وتحقيقات أخرى كثيرة .

واختير عضوا مراسلا بالمجمعين : العلمى العربى «بدمشق» والعلمى بالعراق وعضوا عاما بمجمع اللغة العربية «بالقاهرة» (سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م) . (انظر مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما - دكتور محمد مهدى علام (سنة ١٣٥٦ هـ - سنة ١٩٦٦ م) المطابع الاميرية .

(١) هو الشيخ حمد بن محمد بن جاسر من عشيرة «الشيول» من بنى سليم ولد ببلدة «البرود» من قرى «السرينجد» وبهانشأ وحفظ القرآن ثم سافر مع أبيه الى «الرياض» ، وبها درس على جملة من العلماء ، فى فنون مختلفة فى الدين والعربية ، منهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، ثم عاد الى قريته بعد وفاة والده واشتغل فى تدريس القرآن وتحفيظه ، ثم سافر الى «مكة» المكرمة ، وبها درس بالحرم المكي ، والتحق بالمعهد السعودى بها .

وكان أثناء دراسته بالمعهد ، اماما للمسجد «أبى قبيس» ، ولما تخرج بالمعهد عين مدرسا بمدرسة «ينبع» ثم مديرا لها ثم عين قاضيا بمحكمة «ضبا» ، وبعد عام انتقل الى «جدة» حيث عين معاون مدير التعليم بها ، ثم التحق =

فيقول مدلا على سبقه للدكتور عبد الوهاب عزام ، وابن بليهد فى تحديد السوق : (حضرت المؤتمر الثقافى الثانى الذى عقد فى « الاسكندرية » سنة ١٩٥٠ م فعلمت أن الدكتور عبد الوهاب عزام سيلقى محاضرة عن تحديد موقع « عكاظ » ، فقابلته قبل القائها فى غرفة الأستاذ أحمد أمين « مدير الادارة الثقافية » فى الجامعة العربية فى ذلك العهد ، وبحضور الأساتذة احمد حسن الزيات ، ومحمد خلف الله احمد ، ومختار الوكيل ، فأخبرت عزاما : أننى قد حددت الموضوع بمقال نشرت ملخصه ، وبعثت به كاملا الى مجلتى : « الرسالة » و « الكتاب » وحددت له الموضوع .

لقى الدكتور عزام المحاضرة واستهلها بثناء على - لا أستحقه - وذكر اننى حددت الموضوع .

وطلب الدكتور عزام من الأستاذ الزيات بحثى ، فنشره مع محاضراته ومع مقال الشيخ محمد بن بليهد ، فى كتيب صغير طبع فى مطبعة « دار المعارف بمصر » (١)

بالبعثات السعودية « بمصر » وبها التحق بكلية الآداب بجامعة « القاهرة » . فلما قامت الحرب « العالمية الثانية » رجع الى المملكة حيث اشتغل بالتعليم والاحصاء ، واعداد البعثات ثم عين بمدرسة « الهفوف » ثم بمدرسة « الخرج » ثم عين رئيسا لمراقبة التعليم « بالظهران » ، (وفى عام ١٣٦٩ هـ ، ١٩٤٩ م عين مديرا للتعليم بالرياض ، ثم مساعدا لمدير المعهد العلمى) وفى عام (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م) عين عميدا لكليتى : الشريعة ، واللغة ، ثم ترك الخدمة الحكومية حيث اشتغل بالتأليف والنشر ، له مساهمات جليلة فى خدمة مجتمعه منها : اصداره أول صحيفة بالرياض هى - صحيفة اليمامة - وانشاؤه أول مؤسسة مطبعية فى « الرياض » وهى - مطابع الرياض ، ثم أنشأ مجلة العرب - المتخصصة - فى خدمة التراث وتحقيقه .

من مؤلفاته : « مدينة الرياض » ، « مدينة ينبع » ، « معجم البلاد العربية » ، « امراء نجد » ، « معادن نجد » ، وكتب أخرى . (انظر مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما . دكتور محمد مهدى علام سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٦٦ م - المطابع الأميرية .

(١) مجلة العرب - دار اليمامة - ص ٦٩٩ - ج ٩ ، ١٠ ص ١١ (الربيعان سنة ١٣٩٧ هـ) (اذار - نيسان - مارس - أبريل سنة ١٩٧٧ م) .

والشيخ حمد الجاسر - مد الله في عمره - من المعاصرين لابن بليهد ومن شركائه في الصناعة ، بل يعد الشيخ حمد الرجل الأول ، في ميدان التحقيقات التاريخية ، وبخاصة ما كان منها ذا صلة بجزيرة العرب قديما وحديثا .

ولقد جرى بين الشيخين : الجاسر ، وابن بليهد خصومات علمية ، على صفحات الصحف ، كان الشيخ حمد فيها ينقد عمل ابن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» ، وابن بليهد يرد عليه ، وكأن أسلوبهما في النقد والرد - الى جانب نقض احدهما ما يبرم الآخر - يحوى محاولات للانتقاص من قيمة العمل ، الى ما يتبعه من تسنيه الرأى واتهام بالتعامل ونحو ذلك ، مما قد تلفظه أقلام بعض الناقدين ، كما أن كلا منهما يدعى سبق الآخر على تحديد سوق «عكاظ» . ولقد ذهب الشيخ حمد الى أبعد من هذا ، فزعم أن ابن بليهد بنى بحثه على معلومات أمدته هو بها .

يقول في «مجلة العرب» :

(كنت نشرت بحثا في جريدة «أم القرى» في شهر شوال سنة ١٣٦٣ . عن تحديد موقع «عكاظ» فأتى الى الشيخ محمد بن بليهد - رحمه الله - وكان مما حدثني به أن فيصلا - رحمه الله - أثنى على ذلك البحث ، وأنه قال : لم يحدد أحد الموضوع مثل فلان : يعنينى .

ثم جاء الى الشيخ ابن بليهد مرة أخرى ، وقال : انهم في الاذاعة طلبوا منه حديثا ، وأنه يريد ان يكون حديثه عن «عكاظ» ، وطلب منى ان أرشده الى بعض المصادر فكان ذلك ، وقد نشر حديثه في مجلة «المنهل» بعد أن أدخل عليه ما أدخل لأسباب لا داعى لذكرها) (١) .

وكان حديث الجاسر هذا ، رداً على نسبة اكتشاف سوق «عكاظ» ،
الى الملك فيصل وعبد الوهاب عزام ، فى كتاب «مقدمة عن آثار المملكة
العربية السعودية» الذى نشرته وزارة المعارف سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

ولذا قال : (أعمال الملك فيصل - رحمه الله - وآثاره الخالده ،
مما لا تجهل ، ولا يضيره - قدس الله روحه - ألا يكون له فى تحديد
موقع «عكاظ» أى أثر ، والمسألة أصبحت الآن تاريخية ، وما أسوا
التاريخ اذا لم يتم على أسس من الحقيقة .

أما ابن بليهد فقد أشار الى عمله ، فى تحديد السوق مرتين فى
كتابه « صحيح الأخبار » .

الأولى : عند الحديث عن سوق «عكاظ» ، فى البحث الذى أورده
فى الجزء الثانى من كتابه ، حيث قال : (فما زلت أتبع كتب الأدب
والمعاجم ، التى أظن أنى أجده فيها ، فإذا وجدت عبارة قريبة من
الصواب ، عرفت موضعها من الكتاب ، وصفتها فى حافظتى ، حتى اذا
اكتملت لدى الدلائل الواضحة - ولله الحمد والمنة - عزمتم على
تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق «عكاظ» (١)

والثانية : فى مقدمة الجزء الرابع حيث قال : (أحضرت الكتب
التي ذكرت «عكاظ» ، والشعر الذى احتفل به ، والرحالة الذين مروا
به ، ودرست أوصاف الأرض ، وطبيعتها ، والجبال والربوع ،
والأشجار وغيرها ، ثم طبقت على ما أرى من أرض وجبل وشجر ،
وبحثت العلامات الفارقة بين موضع وموضع ، حتى انتهى الى ما أراه
صحيحاً وحقاً واطمئنن اليه فى بحثى وتحقيقى ورأى (٢)

(١) صحيح الأخبار ج ٢ : ٢١١ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ : ٦٠ .

وفى تدليله على سبقه فى تحديد السوق ، لكل من الجاسر وعرام
قال : (وليعلم قارئ هذه الأحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى
الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته ، عن «عكاظ»
وتحديد موقعه ورأى بعينه «الحرة» التى تطلع عليها الشمس والعبيلات
البيض ، والأرض المستوية ، التى تسع العرب عند اجتماعهم ، ووادى
« شرب » ووادى «قران والعبلاء» وحلات (جلدان) ، وثبت لديه هذا
التحديد الواضح ، بحث مع الكاتب الأديب الباحثة عن بلاد العرب ، وما
بها من آثار عبد الوهاب عزام بك - وزير مصر المفوض فى جده سابقا
وقال له : أنى أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المتدثرة
وكان الوزير متأهبا للسفر الى «الرياض» ، فأتعدا أن يذهب جميعا الى
سوق « عكاظ » اذا رجع الوزير من الرياض فصادفه عند رجوعه أن
كان صاحب السمو الملكى الأمير فيصل فى «جده» فأمر وزيره عبد
المحسن العنقرى أن ينصب الخيام هناك ، ويرسل الخدم الى ذلك الموضع
لتحضير ما تدعو اليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام الى جانب
العبيلات البيض فى نفس «عكاظ» وأمرنى صاحب السمو الملكى
الأمير فيصل : أن أقابل الوزير فى المطار أنا ووزيره عبد المحسن
العنقرى ، ونذهب مع الوزير الى سوق «عكاظ» فأخذت معى جميع
الدلائل التى أشرت اليها فلما وصلنا الى «عكاظ» قرأت على الوزير
ما عندى من الدلائل ، وكلما مررت على ذكر موضع «كالحريرة وشرب
العبلاء والعبيلات البيض وجلدان وقران» يقول : أين هى ؟ فأريته
أيها رؤية عين .

«الحريرة» أخذ عكسها (١) ونحن على ظهرها «والعبيلات البيض»
التي ذكرها أبو الأصبغ السلمى صورها ونحن الى جنبها ، والعبلاء

(١) يعنى رسمها وصورتها .

كذلك ، وتجولنا فيه بالسيارة ورأى الآثار القديمة والأرض المتسعة التى تسع العرب جميعها وقد اعترف أنه « وأبدى موافقته التامة ، وأخذ منى نسخة تحتوى على جميع الدلائل التى أشرت اليها ، والفضل فى ذلك يرجع الى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ، لانه هو الذى أمر بهذا الاكتشاف ، وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصوره »

وانى قد بدأت البحث عن سوق «عكاظ» وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ هـ وانتهيت منه فى شهر شوال سنة ١٣٦٩ هـ (١) .

أما الدكتور عبد الوهاب عزام ، فقد ذكر صراحة فى بحثه «موقع عكاظ» ان الفضل فى تحديده لمكان السوق راجع الى ابن بليهد ، وان الذى هيا له جميع الأسباب فى هذا هو الأمير فيصل ، يقول عبد الوهاب عزام :

(هذه مقالات فيها القول الفصل فى مكان سوق « عكاظ » ، جمعت ما جاء فى أمهات الكتب عن موقع عكاظ وشأنه حين عزمتم على الذهاب الى الموضع ، الذى غلب على الظن أنه «عكاظ» ، ثم كتبت المقال بعد أن شهدت المكان وأيقنت بالأدلة الكثيرة أنه هو .

وكان الشيخ محمد بن بليهد النجدى معى فى هذه السفرة ، وله الفضل فى تعريفى بالمكان واعانتى على تطبيق الروايات ، عليه ولما عدنا الى « الطائف » عرض على مقاله فى الموضوع ، فوعده أن أنشره حين أنشـر مقالـى (٢) .

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٢) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام دار المعارف المصرية .

أما عن بحث الشيخ حمد الجاسر وتحقيقه للمكان ، فإن عبد الوهاب عزام يقول : (ولما شهدت افتتاح المؤتمر الثقافى العربى فى الاسكندرية فى شهر آب (أغسطس) من هذه السنة (١) ، حدثت الأستاذ أحمد الزيات حديث «عكاظ» ، فأشار على أن أحاضر المؤتمرين فيه ، فكانت أول محاضرة من محاضرات المؤتمر العامة محاضرتى عن سوق «عكاظ» .

ولقد لقيت قبل المحاضرة الأديب المحقق الشيخ حمد الجاسر النجدى ، فقال : أن له بحثا فى «عكاظ» . قلت : سمعت ان لك بحثا لكن لم أطلع عليه . فقال : نشرت خلاصته فى جريدة أم القرى ، وأرسلته كله الى احدى المجلات المصرية فلم تنشره ، فوعده بنشر مقاله أيضا حين أنشر بحثى فى «عكاظ» .

وقد وفيت بوعدى فنشرت مقال الشيخ ابن بليهد ، ونشرت مقال الشيخ الجاسر ، على طوله واشتماله على أمور ليست من بحثنا فى الصميم ، اذ رأيت كل ما جاء فى المقال مفيدا مجددا على الباحثين ، جامعا لهم ما تشتت فى كثير من الكتب .

وقد أخذت على الخريطة التى ألحقها بالمقال ، أنه وضع «حرة الخالص» جنوبى «عكاظ» ، وهى فيما رأينا وفيما قال عزام السلمى شرقى «عكاظ» (٢)

وذكر الدكتور عبد الوهاب عزام صراحة ، فى أكثر من موضع أن أول من حدد هذا المكان التاريخى تحديدا صحيحا فى هذا العصر هو ابن

(١) يعنى عام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .
(٢) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام ٤،٣ (أنظر الخريطتين : خريطة الجاسر ، وخريطة ابن بليهد فى آخر الحديث عن عكاظ) .

بليهد » ، كما روى عن أحمد الغزاوى : أن الملك فيصل رآه رأى العين ولم يذكر أنه حدده كما ورد فى «مقدمة عن آثار المملكة» (١) الذى رده الشيخ حمد الجاسر فى مجلة العرب (٢)

يقول الدكتور عبد الوهاب : (وقد أخبرنى منذ أشهر الصديق الأديب الشيخ أحمد الغزاوى - شاعر جلالة الملك عبد العزيز - بأن سمو الأمير فيصل آل سعود أخبره أنه ذهب الى موضع «عكاظ» ، وليس هو بالسيل الكبير ولا بالسيل الصغير ، وأنه اجتمعت أدلة كثيرة ، على أن فى هذا الموضع لا غيره كانت سوق «عكاظ» ، وكان ذهاب سمو الأمير اليه فى رجوعه من الصيد الى «الطائف» وكان معه الشيخ محمد ابن بليهد ، وهو عالم نجدى واسع المعرفة بأخبار العرب ما ضيها وحاضرها ، راوية لأشعارهم القديمة والحديثة ، عارف بكثير من الأمكنة التى ذكرت فى الأشعار والأخبار ، ذهب اليها ورأها رأى العين وقد اجتمع لهذا الشيخ البحاث نقول وأدلة لا تدع شكاً فى أن هذا الموضع كان هو مجتمع العرب فى السوق التى ذاع ذكرها وطار صيتها سوق «عكاظ») (٣)

ومما يؤكد ذلك أن الدكتور عبد الوهاب عزام فى وصفه وتحديدده لسوق «عكاظ» يروى ما يقوله له ابن بليهد معزاً له بما يرويه هو من أقوال الأقدمين ، اذا لم يكن رواها له ابن بليهد ، ويصفه بالشيخ ويضيف حيناً العلامة أو البحاث .
والخلاف بين البحوث الثلاثة قليل ، بل ان حصره فى نقاط معدودة ممكن ، وهذا ما سنفعل شيئاً منه مستقبلاً .

(١) أنظر ص ١٥٦ .

(٢) أنظر مجلة العرب - ص ٦٩٩ (ج ٩ ، س ١٠ «الربيعان» سنة ١٣٩٧ هـ)
(آذار نيسان «مارس ابريل» سنة ١٩٧٧ م) - دار اليمامة للبحث والترجمة .
(٣) موقع عكاظ عبد الوهاب عزام ص ١٧ ، ١٨ دار المعارف بمصر .

غير أن لكل بحث فيها ميزته وخاصيته ، وفى كل واحد منها من الفوائد المتصلة بالبحث ما ليس فى الآخر ، لكنها فوائد جانبية اذا ما اتجه القول الى تحديد موقع السوق .

أما الخلاف الذى يبدو جوهرياً فمنه :

أولاً : أورد كل من ابن بليهد ، وحمد الجاسر رواية ، لقول عرام بن الأصبغ السلمى فى تحديد سوق «عكاظ» مختلفة احدهما عن الأخرى .

أ - قال ابن بليهد (ما ذكره عرام بن الأصبغ فى كتابه المسمى جبال تهامة والحجاز ومحالها) قال :

لما مر على ذكر «عكاظ» : وهو فى أرض مستوية ليس بها جبال اذا كنت فى «عكاظ» طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبه عبيلات بيض تطيف بها العرب فى جاهليتهم ينحسرون عندها (١)

ب - وأوردها الشيخ حمد هكذا (وعكاظ صحراء مستوية ، ليس فيها جبل ولا علم ، الا ما كان من الأنصاب التى كانت فى الجاهلية ، وبها دماء من دوناء الابل كالأرجام العظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمريين ، وخليص هذا رجل ، وهو ببلاد تسمى «ركبة» (٢)

وفى الهامش قال الشيخ حمد تهميشاً على قول عرام : (أسماء جبال تهامة وما فيها من القرى ، وما نبت عليها من

(١) موقع عكاظ للدكتور عبد الوهاب عزام ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ ، ٤٨ .

الاشجار ، وما فيها من المياه «نسخة خطية تقع فى ١٨ صفحة
وهى قطعة من الكتاب - فى مكتبة الشيخ محمد نصيف فى
«جده» (١) .

ج - وفى «رسالة عرام» التى حققها الدكتور عبد السلام هارون
جاء النص كما أورده الجاسر مع اختلاف فى كلمتين هما :
«الابل» «والأرجام» حيث وردت فى تحقيق عبد السلام (البدن
و (الارحاء) .

وفى الهامش قال الدكتور عبد السلام عند اشارته الى تحقيق ابن
بليهد للسوق :
(ولكنه نقل عن عرام نصا غريبا لست ادرى من أين نقله ؟) (٢) .

فلعل النسخة التى كانت فى يد ابن بليهد غير ما كان فى يد
الجاسر وعبد السلام .

ثانيا :

فى الاستشهاد بأبيات الرداعى :

(١) روى عبد الوهاب عزام أبيات الرداعى عن ابن بليهد ، كما هى
فى صفة جزيرة العرب (٣) وهى :

(١) موقع عكاظ ص ٤٧ .

(٢) نواذر المخطوطات : «رسالة عرام بن الأصبغ» ح ٢ : ٤٤٠ ط ٢ - تحقيق الدكتور
عبد السلام هارون طبعة الحلبي بمصر .

(٣) أنظر صفة جزيرة العرب . تحقيق ابن بليهد ص ٢٦٤ - صفة جزيرة العرب
تحقيق الأكوخ ص ٤٣٦ .

قلت لها فى مطلقم طـاخ
لدى مناخ أيما مناخ
لا أوقح ذى المنهل الوضـاخ
يا ناق هم الشهر بانسلاخ
فازمعى بالجد لا التراخى
فانتفضت بمشرف شـماخ
كالجدع جذع النخلة الشـمراخ
كام أفراخ الى أفـراخ
عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ
قاربه للورد من كـلاخ

ب (أما ابن بليهد فقد أوردها فى كل من : موقع «عكاظ» (١) ،
وصحيح الاخبار (٢) على النحو التالى :

قلت لها فى مطلقم طـاخ
لدى مناخ أيما مناخ
ياناق هم الشهر بانسلاخ
فازمعى بالجد لا التراخى
كام أفراخ الى أفـراخ
عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ
وأوقح ذى المنهل الوضـاخ
قاربه للورد من كـلاخ

(١) موقع عكاظ ص ٣٣ .
(٢) صحيح الاخبار ٢ : ١١٢ .

ج) والتقى الشيخ حمد الجاسر مع ابن بليهد فى رواية البيت الثانى (ياناق هم الشهر) (١) وصحته فى صفة جزيرة العرب ، كما أورده عبد الوهاب عزام •

ولهذا نظائر فى بحثى الشيخين : ابن بليهد وابن جاسر ، فلعلهما اعتمدا على نسخ مخطوطة لم نرها ، أو لعلهما اعتمدا على الذاكرة ، وقد تخون الحافظ حيناً وذلك أنى قابلت النسخ المطبوعة من صفة جزيرة العرب ، بما أورده من أبيات ، فوجدتها تتفق على خلاف ما أورده •

ثالثا :

أما بيت الكميت بن زيد الأسدى ، الذى ورد فى احدى قصائده «الهاشميات» والذى عده ابن بليهد أحد أسانيده الخمسة ، فى تحديد موقع «عكاظ» ، فقد أورده ابن بليهد هكذا :

أهل الحنيفة فاسأل عن منازلهم

بالمسجدين وملقى الرحل من شرب (٢)

وفى «صحيح الأخبار» (٣) أبدل كلمة منازل بمكارم •
وأورده حمد الجاسر هكذا :

وفى الحنيفة فاسأل عن مكانهم

بالموقفين وملقى الرحل من شرب (٤)

وصحته فى «معجم ما استعجم» (٥) كما أورده الشيخ حمد الجاسر

(١) موقع عكاظ ص ٢٧ •

(٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٥

(٣) موقع عكاظ ص ٦٤ •

(٤) انظر ٣ : ٧٨٩ - عبدالله البكرى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر •

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م •

رابعاً :

وفى ذكر حرة الخلص التى هى أحد المعالم المحددة لموقع السوق، روى عبد الوهاب عزام قول عرام عن ابن بليهد .

(قال الشيخ : ان عرام ابن الأصبغ السلمى يقول فى «عكاظ» وهو فى أرض مستوية ليس بها جبال ، واذا كنت فى «عكاظ» طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبه عبيلات بيض تطيف بها العرب فى جاهليتهم وينحرون عندها . (ثم أضاف قائلاً) :

قلت : فلننظر تصديق هذا ، هذه أرض مستوية ، وهذه الحرة تطلع الشمس عليها . أعنى انها شرقى المكان . قال هو وبدوى معنا : وهذه الحرة تسمى الخلص) (١)

وهكذا جاءت شرقاً فى الخارطة التى رسمها ابن بليهد فى كتابه « صحيح الأخبار » (٢) ، كما اعتبر قول عرام أحد الأدلة الخمسة ، التى اعتمدها فى تحديده للسوق .

أما الشيخ حمد الجاسر فقد اعتبر حرة الخلص جنوب عكاظ ، وليست شرقاً كما ذكر عرام وكما رسمت فى خارطة ابن بليهد، ووضعها فى الخارطة التى رسمها هو جنوباً يقول الشيخ : (وجنوباً : أشرق العبيلاء ضلع الخلص) (٣) .

وقد قال الدكتور عبد الوهاب عزام تهميشاً على ذلك : (حرة الخلص فى الشرق لافى الجنوب كما رأيتها) (٤) .

(١) موقع عكاظ ص ٢١ .
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٨ .
(٣) موقع عكاظ ص : ٦٢
(٤) موقع عكاظ ص : ٦٢ تعليق

وفى رسالة عرام قال فى وصف عكاظ والأماكن المحيطة به :
(وحذاءها عين يقال لها «خليص» للعمريين ، وخليص هذا رجل وهو
ببلاد تسمى «ركبة») (١) وركبة فى الشرق من سوق «عكاظ» .

وجمله القول ان هؤلاء الثلاثة الأعلام الباحثين قد اتفقوا : على
موضع السوق ، وتحديد المكان الكائن فيه ، واستطاعوا أن يطبقوا
بالمشاهدة عليه ، ما ورد من الأخبار فى كتب الأقدمين ، واذا كانوا قد
اختلفوا على شىء ، فانما هى أمور جانبية تتمثل اما فى موقع مكان ،
او هضبة او نحو ذلك مما جاور السوق ، واما فى رواية أبيات أو عبارة
وهذه وان كانت قد تعد مأخذا على البحث من حيث هو بحث الا أنها لا
تنال من الحكم بصدق ما توصلوا اليه ، واتفقوا عليه من
تحديد موقع السوق ، ولم يبق الا أن نشير بإيماء سريعة ،
الى البحوث الثلاثة وأسلوب العرض فيها ، ثم الى شبهة قد تثور فى
نفس من يقارن بين مقالى ابن بليهد : عن موقع عكاظ ، فى كل من
« صحيح الأخبار » وكتاب موقع عكاظ وسنورد الحديث عنها حسب
ترتيبها فى كتاب «موقع عكاظ» .

أولا :

١ - مقال الدكتور «عبد الوهاب عزام» :

قدم للبحث بمقدمة ذكر فيها أنه جمع أقوال الأقدمين ، ثم اطلع
على كتاب الأفغانى الذى يحيل - عزام - القراء اليه فى أخبار عكاظ
لا تحديده ، ثم قسم بحثه الى فصلين : (الفصل الأول : فى أخبار
السوق وشأنه سياسيا واجتماعيا وأدبيا وتجاريا) .

(١) نواذر المخطوطات ج ٢ رسالة عرام بن الأصم ص ٤٤٠ طبعة مصطفى البابى
العلبي .

أما الفصل الثانى : فقد أفردته لتحديد السوق ، وفيه وصف الاستعداد للرحلة الى السوق ، ثم وصف لتلك الرحلة ، التى حدد فيها السوق مشاهدة ورواية ، عن ابن بليهد ومرافقيه . (١)

ب) مقال الشيخ ابن بليهد :

أما ابن بليهد : فقد بدأ بتحديد السوق ، ثم أورد الأدلة الخمسة التى بنى عليها تحديده وهى : ما ذكر احمد الرداعى فى أرجوزته - ما ذكره عرام بن الأصبغ السلمى - مارواه ياقوت عن كتاب الأصمعى فى معجمه . . . الأخبار التى نقلها سعيد الأفغانى فى كتابه اسواق العرب - بيت الكميت بن زيد الأسدى .

ثم ذكر أنه أطلع على مصادر كتاب الأفغانى ، فاطمأن الى صحة ما ذكر من أخبار (٢) .

ج - مقال الشيخ «حمد الجاسر» :

عرض أقوال السابقين فأورد خمسة عشر قولاً ، ثم قدم خلاصة لأقوال السابقين فى موقع سوق «عكاظ وما يجاوره من أماكن، والقبائل التى كانت تسكنه ، حدد بعدها سوق عكاظ على ضوء ما أسلف ، وأتبع ذلك التحديد ذكراً للأماكن القريبة من سوق «عكاظ» ، المعروف فيها والمجهول ، ثم ذكر القبائل الأربع التى قطنت تلك الديار ، ثم ختم البحث بإيراد أقوال المتأخرين ولم يعلق عليها بشيء سوى أن قال : (هذه آراء بعض مشاهير متأخرى الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمى

(١) موقع عكاظ ص ٧ - ٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠ - ٤٢ .

المؤرخين ، من القرن الثاني الهجرى الى القرن الثامن ، وللباحث أن يدرسها وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أى الآراء أصوب وأى الأقوال أكثر انطباقا وأوضح دلالة فى تحديد ذلك الموضع التاريخى « عكاظ » (١) .

وقد قال عبد الوهاب عزام تهميشا على ذلك : (الأقوال التى نقلها الأستاذ الجاسر فى صفحة ٧١ وما بعدها لا يدعمها تحقيق ولا أرى - بعد الذى قدمنا - مجالا للريب فى تحديد «عكاظ» (٢)

وقد أخطأ عبد الوهاب عزام فى تحديد الصفحات، فأقوال المتأخرين التى نقلها الجاسر تبدأ من صفحة ٦٩ - ٧٢ .

ثانيا :

ان من يقارن بين مقالى ابن بليهد عن موقع «سوق عكاظ» فى كل من كتاب «صحيح الأخبار» ، وكتاب «موقع عكاظ» يجد أخطاء قد ارتكبت فى المقال ، الذى حواه «صحيح الأخبار» منها :

١ - أورد ابن بليهد نقله لقول الأصمعى فى موقع عكاظ هكذا : (قال الأصمعى : عكاظ نخل فى واد بينه وبين الطائف ليله ، وبينه وبين مكة» ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه « يقال له الأثيذاء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها) (٣) .

ثم جاء فى «صحيح الأخبار» على نحو ما يلى : (وقال الأصمعى :

(١) موقع عكاظ ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) موقع عكاظ ص ٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .

عكاظ واد به نخل ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال
وبه كانت أيام الفجار، وكان هناك صخور يطوفون بها، ويعججون اليها (١)
ب - ووردت في «صحيح الأخبار» هذه العبارة : (جعل المعركة في نفس
عكاظ ، وصحيح انها في نفس عكاظ) (٢) وصحتها : ذكرها في نفس
عكاظ والصحيح ان عكاظا فيضة شرب) (٣) .

ج - ثم وضع كلمة «مكارم» بدلا من « منازل» في بيت الكميت بن زيد
الأسدي ، الذي يقول فيه :

أهل الحنيفة فاسأل عن منازلهم
بالمسجدين وملقى الرجل من شرب (٤)

د - ومن ذلك ما أورده عن عرام بن الأصبغ السلمى ، حيث وردت في
« صحيح الأخبار» هكذا (وبها عبيلات بيض كان العرب يطوفون
بها في جاهليتهم) (٥) .

وكان قد أوردها في موقع عكاظ هكذا : (وبه عبيلات بيض
تطوف بها العرب في جاهليتهم) (٦) .

ولقد مررت بتجارب في اعدادى لهذه الرسالة ، فيها ما جعلنى
أجزم بأن ابن بليهد أسند نقلها الى مثل بعض من عمل معى ، فأخل
بالنقل على نحو صادفته من بعض هؤلاء الناقلين .

-
- (١) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٣ .
 - (٢) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٤ .
 - (٣) موقع عكاظ ص : ٢٧ .
 - (٤) موقع عكاظ ص ٣٧ .
 - (٥) صحيح الأخبار ٢ : ٢١٣ .
 - (٦) موقع عكاظ ص ٢١ .

من الذى اكتشف موقع سوق عكاظ اذا ؟ .

لقد ذكر ابن بليهد أنه بدأ البحث ، عام (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م)
وانتهى منه فى عام (١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م) ، والجاسر نشر بحثه فى
عام (١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م) ، وعزام ألقى محاضراته فى عام
(١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) . ونشر كتابه فى العام نفسه ، ومن
هذا نخرج بالنتيجة الآتية :

١ - أن أول من نشر معلومات حديثه عن السوق وتحقيق موضعه ، هو
الشيخ حمد الجاسر ببحثه سالف الذكر .

ب - أن كون ابن بليهد لم ينشر بحثه الا بعد عام (١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م)
بعد أن أمضى فيه أربعة عشر عاما ، نشر أثناءها بحث الجاسر ، إن
هذا لا يمنع من الاستفادة ببحث الجاسر والاستعانة ، بل أن البحث
الأمين يوجب ذلك .

على أنه - رحمه الله - لم يشر الى هذا فيما نشر .

ج - ان الدكتور عبد الوهاب عزام ، لم يلق محاضراته ولم ينشر بحثه
الا بعد اطلاعه على بحثى : ابن بليهد ، والجاسر . وقد سبق أن
أوضحنا أن تحديده للسوق ، كان مبنيا على المشاهدة المصحوبة
برواية ابن بليهد للأخبار ، وتحديده (بالإشارة) الى الأماكن
والبقاع ووصفه لها ، كما ذكر عبد الوهاب عزام نفسه رحمه الله

ومن هنا نستطيع القول بأن الفضل الأول فى نشر تحديد موقع
سوق عكاظ ، راجع الى الشيخ الجاسر ، وان الشيخ ابن بليهد ، زاد
ذلك توضيحا وتبيينا لما وقع فيه اللبس ، وأن الدكتور عبد الوهاب عزام
قد شارك فى تطبيق الأخبار على المشاهدة ، ولم شمل البحوث ونشرها

فى كتابه (موقع عكاظ) ، فالفضل فى ذلك مشترك بين الجميع وان
اختص الجاسر بالسبق .

بقيت لنا اذن هذه الايماءة الى ما ورد فى كتاب «مقدمة عن آثار
المملكة العربية السعودية» .

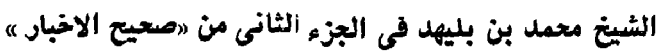
نشرت وزارة المعارف بالمملكة هذا الكتاب ، وحين أدلف بهم الحديث
الى « عكاظ» ، لم يشيروا الى صاحبه الفضل فى اكتشاف السوق وهما
(الشيخان : محمد بن بليهد ، وحمد الجاسر ، وزادوا خطأهم هذا أن
حكموا بأن عبد الوهاب عزام ، هو الذى اكتشفه وحدده بأمر من
المغفور له الملك فيصل .

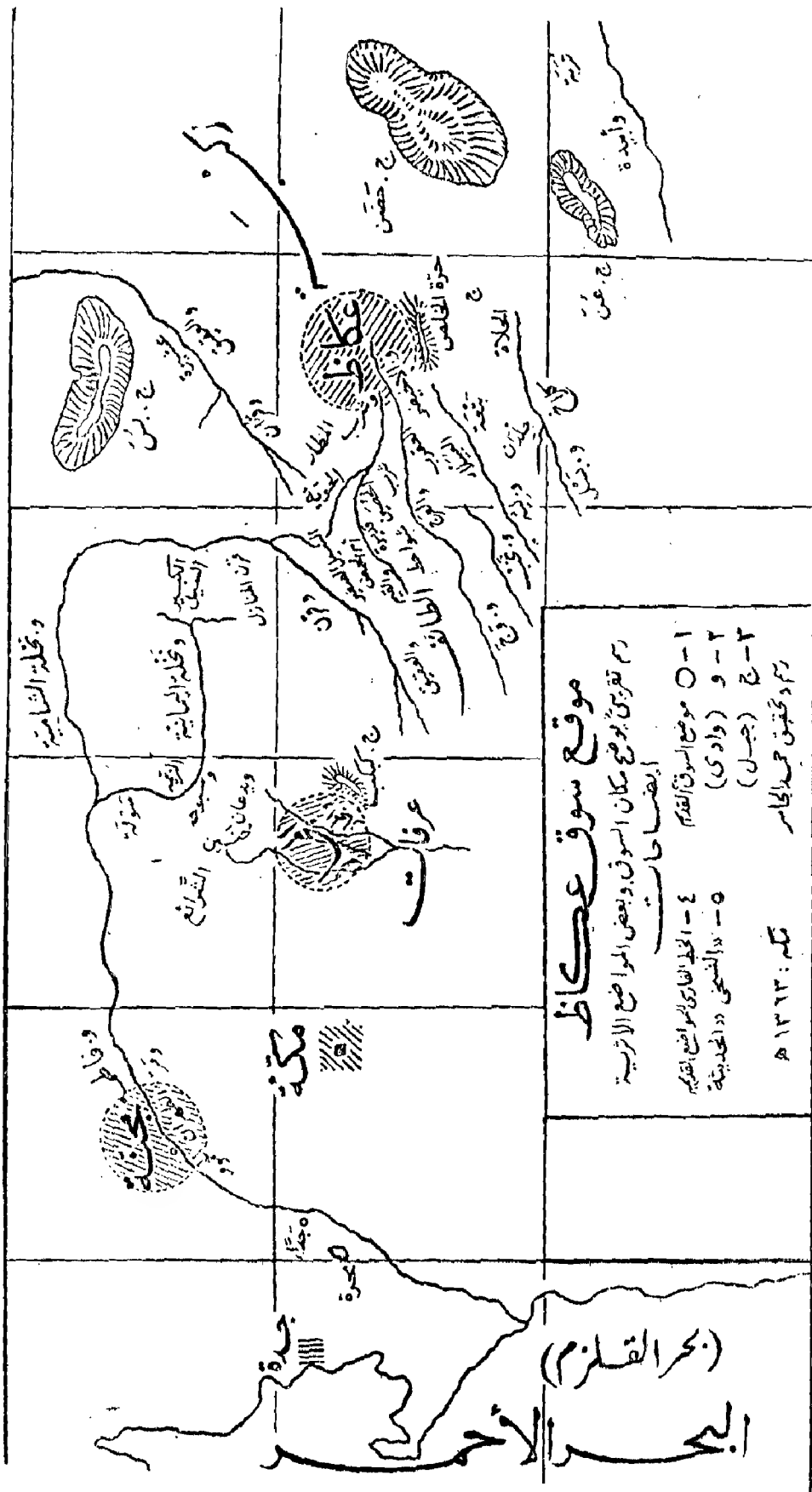
(وكان جلالة المغفور له الملك فيصل - رحمه الله - أول من أهتم
بتعيين مكان سوق عكاظ ، عندما كلف الدكتور عبد الوهاب عزام
باشا - رحمه الله - بزيارة المنطقة والتحقيق فى موقع السوق وتاريخه
فكتب كتابه المعروف بعنوان « عكاظ») (١) .

فاذا كان الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - قد اعترف فى
كتابه «موقع عكاظ» ، الذى أسلفنا الحديث عنه ، والذى نشر عام
(١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) - بالفضل والسبق فى ذلك لهذين الرجلين
فكيف يأتى رجال وزارة المعارف فى عام (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ،
ويقولون : أن عبد الوهاب عزام ، هو الذى اكتشف السوق وحدده ؟ .

والأغرب من هذا أنهم يستشهدون بكتاب عزام نفسه ، وكانت
الأمانة العلمية تقتضى ذكر جهود هذين الرجلين ، وارفاق الخريطين
اللتين رسماهما وتصحيحهما وتوضيحهما .

(١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية - وزارة المعارف السعودية (١٣٩٥ هـ
١٩٧٥ م) - ص ١٥٦ .





● طريق المسافر من «جده» الى «الخليج» (١) ● :

وهذه الطريق تشق جزيرة العرب من الغرب الى الشرق الشمالى مارة بصحار وبلدان وجبال ووديان وأكثبة رمال ، شغل عنده الحديث عنها اثنتين وأربعين صفحة من كتابه «صحيح الأخبار» .

ولم أجد سببا دفع ابن بليهد : ، الى أن يخص هذه الطريق بالحديث الذى بدأه بقوله : (جدة : مدينة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم الى هذا العهد وشهرتها تغنى عن تحديدها) (٢) . ولم يزد على هذا وكان حريا به أن يذكر نبذة عنها وعن تاريخها ، وأن يشير الى الخلاف الذى جرى حول «ج» جدة ، أمضمومة أم مكسورة ؟ ، فقلقد كانت هذه ال (ج) مسرحا لجدل طال واشتد بين الأدبيين : حمد الجاسر وعبد القدوس الانصارى ، فالشيخ حمد يرى أن « جيمها » مكسورة ، والشيخ عبد القدوس يرى أنها مضمومة .

وختم ابن بليهد حديثه عن هذا الطريق بقوله : (وجميع ما ثبت لدينا باق على اسمه الجاهلى على هذا الطريق الذى سلكناه من «جده» الى الكويت) قد أثبتنا ذكره وأوردنا شاهده ، والاختلاف فى الأسماء قليل ، اما بنقص حرف واحد ، أو ابدال حرف مكان حرف (٣) .

ولقد سار ابن بليهد ، فى حديثه عن هذا الطريق بما عهدناه منه من الوصف الدقيق ، والاستشهاد بأشعار الأقدمين والمحدثين ، حتى انك لو سرت حسب ما وصف لما ضللت الطريق .

(١) أنظر صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧-١٧٩

(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ١٧٩ .

● اليمامة ● (١)

وفى اليمامة تتربع مدينة « الرياض » عاصمة المملكة ، التى قامت على أنقاض حجر وخضرائها التى عرفت من أيام طسم وجديس من العرب البائدة ، وذكرها وبساتينها وبتلها ، التى بقيت الى أيام العباسيين معروفة فى كتب الأدب والتاريخ والبلدان (٢)

وقد شغل حديث ابن بليهد عن اليمامة أربع عشرة صفحة من كتابه « صحيح الأخبار » ولعل اهتمامه بها ناشئ عن أحد أمرين ، أولهما : أنها فى قلب (نجد) التى ملا الشعر سمع الدنيا بأسمها ، وتشغل اليمامة حيزا كبيرا منها ، والثانى : أن فيها عاصمة المملكة « الرياض » (٣) .

● ضريه وحماها ●

لم أجد سببا يمكن أن يفسر عناية الشيخ ابن بليهد « بضرية » وحمى ضرية فلقد بدأ الحديث عنهما فى سبع صفحات (٤) ، ثم أستأنف الحديث مجددا فى خمس عشرة صفحة (٥) أيضا ، دون أى يبدى سببا لهذه الاطالة ، ولعل اتساع مساحتهما وخصوبة تربتهما كانتا السبب فى هذه الاطالة .

وحديثه عنهما ، كحديثه عن أى مكان آخر ، ليس فيه ما يستدعى الملاحظة سوى أنه فى حديثه عن « حمى ضرية » (٦) ذكر فى آخر الحديث

(١) المرجع السابق ١ : ١٩٥ - ٢٠٩ .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للمهدانى تحقيق ابن بليهد ص ١٤١ ط مكتبة السعادة تحقيق محمد الأكوخ منشورات داراليمامة ص ٢٨٤ مطبعة النهضة .

(٣) عن مدينة الرياض كتب الشيخ حمد الجاسر كتابا أسماه « مدينة الرياض » تحدث فيه عن ماضيها وحاضرها من أيام طسم وجديس الى ما قبل خمسة عشر عاما والتطور والازدهار الذى حصل فى المدينة انما تم بعد صدور هذا الكتاب .

(٤) صحيح الأخبار ٣ : ١١ - ١٨ .

(٥) صحيح الأخبار ٣ : ٢٤٤ - ٢٥٩ .

(٦) المرجع السابق ٣ : ١٥ - ١٨ .

ما كان بحمى من الأحمية فى القديم والحديث ، مثل : حمى «الربذة» ،
وحمى بريدة ، وحمى سامودة وسجـا» .

● مارب ●

وفى تحقيقه لصفة جزيرة العرب للهمدانى ، أطال الحديث عن
مارب ، وقد أشرنا الى ذلك فى ملاحظتنا السابقة على تحقيق هذا ،
ويشغل ذلك الحديث عن مارب ست (١) صفحات ، وكله منقول عن
المؤلفين الأقدمين من أرباب المعاجم والمفسرين وكان حريا بابن بليهد
أن يعطى صورة للمارب فى العصور المتأخرة ، خاصة أن المستشرقين
والرحالين قد كتبوا عنها كثيرا من المؤلفات .

(١) تحقيق صفة جزيرة العرب ص ٣٩٧ - ٤٠٣ .

الفصل الخامس

(ملاحظات عامة)

● حول مؤلفات ابن بليهد الثلاثة وآراء بعض معاصريه فيها ●

لقد فرغنا من صحبة ابن بليهد في مؤلفاته الثلاثة «صحيح الأخبار»
«وما تقارب سماعه» ، و «تحقيق صفة جزيرة العرب» نتمم الفائدة
بحديث عمالي : -

تعقيب مقتضب على كتبه الثلاثة • نبذة عن أحد مصادره ، التي
تضاربت الأقوال في نسبته ، وهو كتاب «جزيرة العرب للاصمعي» •
شواهد من آراء الباحثين في مؤلفاته •

أولا :

ان القارئ لهذه الكتب الثلاثة لابد أن يخرج منها بنتيجة ، لها
وزنها الكبير في الحكم على هذا الرجل ، وبيان مقدار ثقافته ، وأنه
كان قوى الصلة بالكتاب العربي قديمه وحديثه ، في عصر كان العلماء
فيه في «نجد والحجاز» ، يقصرون اهتمامهم على كتب الدين وما يتصل
به : كالسير ، والمغازي ، والطبقات ، وكتب رجال الحديث ، وتلك
نتيجة يؤكد ما ورد في هذه الكتب من بحوث •

أما أن الرجل كان في أحاديثه رحالة خبيرا فذلك صحيح ، بل انه كان
في وصفه لرحلاته يصف وصفا جغرافيا دقيقا ، فيستخدم فيه الألوان
الى جانب المسافات والعلامات ، فيصف الجبل مثلا : بأنه أسود ، او

أحمر ، أو أبيض ، كما يشير الى الخواص الطبيعية كثيرا من : خصب
أو جدد ، وموارد وينابيع .

ثم أن كتبه هذه تكون خليطا من اللغة والأدب والتاريخ الى ما
أحتوته من سجل حافل بتقاليد مجتمعه وعاداته . زد على ذلك أن هذه
الكتب قد ضمت الكثير من أخبار رحلاته وذاكراته .

وهذه الكتب الثلاثة يمكن أن تقسم فى نهجها الى قسمين :

الأول : ما ألفه ابتداء وهو كتاب «ما تقارب سماعه وثباينت أمكنته
وبقاعه» ، والجزء الأول والثانى من كتاب «صحيح الأخبار» ومذكراته (١)
فحديثه على هذا غير مبنى على مثال سابق .

أما الثانى : فهو تحقيقه «لصفة جزيرة العرب» ، والأجزاء الثلاثة
الأخيرة من كتاب «صحيح الأخبار» وهى تحقیقات واستدراكات على
هؤلاء المؤلفين فيما أخطأوا فىه .

واذا كنا قد أشرنا فى حديثنا الى أعماله هذه بشيء من الملاحظات
والاستدراكات التى تضىء للباحث، فى هذه الكتب الطريق ، فإن هذه
الاشارات لن تنال من قدر الكاتب وكتبه ، ولا تنقص من منزلته ، أو
تنقص من شأن مؤلفاته ، بل على العكس من ذلك ، فليس من السهل
على كثيرين أن يجاروه .

غير أن الكمال لله وحده ، وكل عمل لغيره — سبحانه — مهما أحكم
بناؤه ، فإن عين الناقد تجد فيه منقذا .

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٢ — ٣٠٨ .

ثانيا :

كتاب «مياه جزيرة العرب للاصمعى» .

ذكر ابن بليهد أن من مصادر كتبه (مياه جزيرة العرب للاصمعى)
وأثنى عليه ووثق .

ثم صدر فى عام (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) ، عن دار اليمامة كتاب
«بلاد العرب» للحسن بن عبدالله الأصفهاني ، المعروف بـ «لغة
الأصفهاني» ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، والدكتور صالح العلى ،
وصدر الكتاب بكلمتين للمحققين عن نسبة هذا الكتاب .

فأما الدكتور صالح العلى ، فانه يرى صحة نسبته الى الأصمعى ،
استنادا الى أن معظم نصوصه واردة ، فيما نسب الى الأصمعى مما
حواه «معجم البلدان» وغيره ، وفى ذلك يقول :

(جزيرة العرب « للاصمعى واحد من الكتب الكثيرة القيمة المحسوبة
فى عداد المفقود من التراث الفكرى العربى الضخم ، لم يبق منه الا
مقتطفات نقلتها بعض المؤلفات المتأخرة ، وخاصة «معجم البلدان» لياقوت
حتى قادتني الصدف خلال تتبعى لأحوال «الجزيرة والشرق الأوسط»
فى صدر الاسلام ، الى الاطلاع على مخطوط عن (جزيرة العرب)
وضع على غلافه اسم مؤلفه : «لغة الاصبهاني» ، فذكرتنى مادته بما
نقله الأقدمون من نصوص عن جزيرة العرب ، ووجدت أغلب ما نقلوه
واردا عرضا فى هذا المخطوط ، مما حملنى على الاعتقاد بأنه هو كل
او معظم كتاب الأصمعى ، فنسخت الكتاب ودونت فى هامش نسختى
أرقام صفحات الكتب ، التى نقلت ما ورد فى متنه ، وسجلت ما بدا لى
من ملاحظات على المخطوطة وماداتها) (١) .

(١) بلاد العرب ، تأليف الحسن بن عبدالله الأصفهاني ، تحقيق حمد الجاسر والدكتور
العالى ، منشورات دار اليمامة ، الأولى (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م . ص ١٠) .

أما الشيخ حمد فانه يرفض نسبته الى الأصمعي مستندا الى أدلة ثمانية

١ - أن من الرواة الذين ورد ذكرهم في الكتاب ابن الاعرابي ، وهو من المعاصرين للأصمعي وجرى بينهما من الخلاف ما قد يجرى بين المتعاصرين ثم أنه أقل شأنا من الأصمعي ، فمن المستبعد لهديين الأمرين أن يروى عنه .

٢ - وفي الكتاب نقول عن عمارة بن عقيل ص ٥ ، وهو متأخر عن الأصمعي ، اذ أدرك أيام الواثق فيما بين سنتي (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ ٨٤١ - ٨٤٦ م) .

٣ - وفي الكتاب ورد شعر لناهض بن ثوم الكلابي ص ١٥١ ، وهو معاصر لعمارة بن عقيل .

٤ - ورد في الكتاب ص ٩٦ هجاء «لباهلة» ، والأصمعي منسوب الى «باهلة» وليس من المعقول أن يورد في كتابه هجاء لقبيلته .

٥ - وفي الكتاب كثير من الأماكن ، التي لا نجد لها ذكرا فيما أورده ياقوت ، مما نقل عن الأصمعي

٦ - أن نسبة هذا الكتاب للأصمعي قائمة على أساس ، هو نسبة كثير من النصوص الواردة فيه الى الأصمعي في «معجم البلدان» ، واذا كان كتاب الأصمعي قد ورد الى ياقوت رواية : عن ابن دريد ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه الأصمعي ، واذا كان الكتاب الذي في أيدينا ، يحوى من الألفاظ والأسماء ، ما فات ابن دريد ذكره ، مع دخوله في اختصاص كتابيه : «الجمهرة» و «الاشتقاق» ، فكيف تصح نسبته مع ذلك الى الأصمعي ؟

٧ - أن أبا الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه المخطوط ، الذى توجد منه نسخة وحيدة في «المتحف البريطاني» قد نسب الى الأصمعى نصوصا لانجدها في كتابنا هذا ، كما أورد نصوصا من هذا الكتاب لم ينسبها الى الأصمعى ، واسم كتاب أبى الفتح « كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها » المذكورة فى الأخبار والاشعار

٨ - وفى كتاب «الجبال والأمكنة والمياه» للزمخشري نجده يورد نصوصا من هذا الكتاب ، ثم لا ينسبها الى الأصمعى ، مع نسبته نصوصا أخرى غيرها اليه .

لذا فان الشيخ حمد (١) يستبعد نسبة الكتاب الى الأصمعى ، وان حوى كثيرا من النصوص المنسوبة اليه ، اذ من الجائز عنده كما حدثنى مشافهة أن يكون «لفدة الأصفهاني» بنى على نصوص كتاب الأصمعى أو أدخلها فى كتابه هذا وذلك ما يحصل كثيرا لدى المتقدمين .

ثالثا :

● شواهد من آراء الباحثين ●

حين صدر كتاب «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» لابن بليهد وتحقيق صفة جزيرة العرب للهمداني «له أيضا» كانت مادة هذين الكتابين نهجها محل أخذ ورد ، على صفحات الصحف والمجلات ، ثم تضمنت مؤلفات المعاصرين من ذلك ما تضمنت .

ونحن لن نعمد هنا الى نقد ما كتب فى ذلك ، خاصة أن الكثير منه لم يكن بالنقد الهادف ولا المصيب ، حسبنا اذن أن نورد هاهنا شيئا من

(١) انظر بلاد العرب للحسن الأصفهاني من ص ٣٧ - ٤١ .

آراء أشهر الباحثين والكاتبين ، ليكون فيه صورة لما يراه أولئك
فى مؤلفات الرجل .

(أ) رأى الشيخ حمد الجاسر :

فى اجتماعى بالشيخ حمد الجاسر بمنزله بالقاهرة ، أمتعنى ببحث
أملاه على كاتبى ، جاء فيه عن كتاب «صحيح الأخبار» : (أنه يمكن
تقسيم ما فى الكتاب الى ثلاثة أقسام : ، الأول : الكلام على مواضع
لا تزال معروفة والمؤلف مصيب فى تحديدها ، والثانى : الكلام على
مواضع مجهولة ، وللمؤلف رأيه وقد يكون مصيبا أو غير مصيب ،
والأمر الثالث : مواضع زل فيها قلم المؤلف ، ولا يضره هذا فالعاقل من
عدت هفواته ، وحسنات الرجل أكثر من سيئاته) وذكر مثالا على ذلك
الكلام بيت يحيى بن طالب الحنفى .

هل اجعلن يدى للخذ مرفقه

على شععب بين الحوض والعطن

والشيخ هنا يرمى الى قول ابن بليهد فى حديثه عن «شععب» الواردة

فى بيت أمـرىء القيس :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن

سؤالك نقبا بين حزمى شععب

يقول ابن بليهد : (شععب : موضع «باليمامة» بين وادى نساح
ووادى «الحائر» لبنى قشير ، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم
منه شىء ، وقد قال الصمة بن عبدالله القشيرى يذكر «شععب» وهو
بالسند (١) ، ثم أورد الأبيات شارحا ما ورد فيها من أماكن بقوله

(١) صحيح الأخبار ١ : ٣٣ .

ر «وتبراك» الذى ذكره فى هذه الأبيات : تقع من المواضع التى ذكرنا أن «شعيب» يقع عندها فى شماليتها الغربى ، بينها وبين «كثيب» (جو) اليمامة) على مسافة يوم ونصف للابل التى تحمل الأثقال ، وهناك موضع بين وادى «نساح» و وادى «الحاشر» يقال له (الحويض) اليوم، ويمكن أن يكون هو الحوض الذى قرنه الصمة بن عبدالله «بشعيب» ويكون «شعيب» قد تغير اسمه ، ولكنه فى تلك الناحية التى فيها «تبراك والحويض» ، بدليل أنهما أقرنا به (١) .

ثم ذكر فى الهامش ما يلى : (قد عثرنا على بئر فى تلك الناحية قرب «العقبة» التى يقال لها «أبو القد» يقال لتلك البئر (العطين) ولا شك أنها هى التى يقول فيها الشاعر : بين الحوض والعطن ، لأنها مجاورة لتلك المواضع) (٢) .

ويرى الشيخ حمد أن هذا تمحل لاداعى له ، فالحوض هو الذى تشرب فيه الأبل ، والعطن عطنها ، وهذا الاعرابى عندما قال هذا البيت كان مضجعا بين حوض أبله وعطنها . (٣)

وفى الحديث عن نقده لكتاب ابن بليهد ، الذى نشر عند صدور الكتاب ورد عليه ابن بليهد ، قال الشيخ : (ولم أرد فى كتابتى عن

(١) صحيح الأخبار ١ : ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ١ : ٣٤ .

(٣) قال البكرى فى معجم ما استمع ٣ : ٨٠٠ .

قال عويج الطائى :

هل اجعلن يدي للخذ مرفعة على شعيب بين الجد والعطن
ويروى «بين الحوض والعطن» ، وانشده ابن الانبارى للصمة بن عبدالله القشيري .

وأوردها ياقوت فى معجمه ٣ : ٣٤٨ منسوبة إلى الصمة بن عبدالله القشيري بالرواية الثانية «الحوض والعطن» وهذا هو الصحيح خلاف ما قاله الشيخ حمد الجاسر .

الكتاب الا مجرد الوصول الى الحقيقة ، وقد يكون الحق مع ابن بليهد رحمه - الله - ولكن ينبغي أن يلاحظ :

أولا : ان ابن بليهد - رحمه الله - ألف هذا الكتاب في حالة ضعف صحته ، وما كان له جلد على البحث ومراجعة المصادر .

ثانيا : أنه كان - رحمه الله - يعتمد على ذاكرته أكثر مما يعتمد على النصوص ، ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الكميت وعرام في تحديد «عكاظ» ، وكذا أبيات الرداعي في الموضوع ، فهو - رحمه الله - كان قوى الحافظة سريعة البديهة (١) .

ثالثا : ان النصوص التي أعتمد عليها في كتاب «صحيح الأخبار» تكاد تكون محصورة في كتابين أو ثلاثة ، ولهذا وقع خلل كثير في تحديد بعض المواضع .

رابعا : هناك بعض النصوص في الكتاب ، لم أهتم الى مصادرهما وكما قيل : من علم حجة على من لم يعلم . ومع كل ذلك فان الشيخ محمد بن بليهد - رحمه الله - قد أسدى الى العلم يدا بكتابه هذا ولا يضيره أن وقعت فيه هفوات يسيرة بالنسبة لما فيه من جديد الفوائد

وجل القائل : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا) (٢) .

(١) سبق أن أوضحنا هذا في حديثنا عن سوق «عكاظ» وما وقع فيه الشيطان كلاهما من خطأ .

(٢) ١ - سورة النساء الآية ٨٢ .

ب - أملاء الشيخ حمد الجاسر على كاتبه بمنزله بالقاهرة في جمادى الثانى (١٣٩٧ - ١٧ - ٦ - ١٩٧٧ م) .

ب- رأى ابن خميس : (١)

والشيخ عبدالله بن خميس من الذين عاصروا ابن بليهد ، فى أخريات حياته والتقى به ، وكانت بينهما صلات ، وثقة متبادلة دفعت ابن بليهد الى أن يطلب من ابن خميس أن يقدم لكتابه «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وقد فعل .

وفى تلك المقدمة التى بلغت ثمانى صفحات ، أثبت خلاصة رأيه فى ابن بليهد ومؤلفاته ، على نحو مما يأتى :

فبعد أن ألمع الى جهود السابقين من الباحثين فى الأمكنة والبقاع فى جزيرة العرب ، وأشار الى ما اعتارها من نقص مصدره : عدم الخبرة الذاتية فى الأماكن والبقاع ، والاعتماد على الرواة ، ثم الى الحاح هذا العصر وأهله فى معرفة الأماكن والبقاع معرفة محققة ، وأن مسئولية ذلك ملقاه على أبناء الجزيرة أنفسهم ، وأن أبناء الجزيرة لم يكن فيهم قصور عن البحث والتحقيق .

بعد هذا وذاك قال مثنيا على ابن بليهد وأعماله ، واصفا إياه بأنه الرجل الذى توفرت فيه صفات الباحث القادر ، على أن يقدم فى ذلك ما يوثق به ويركن اليه ، مستدلا بعمله فى كتابه «صحيح الأخبار عما

(١) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس- ولد «بالمقى» ، وانتقلت أسرته الى «الدرعية» وهو صغير ، وبها تلقى دراسته الأولى ، وفى عام (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م) التحق بدار التوحيد «بالطائف» وكان رئيس النادى بها أيام دراسته ، ثم التحق بكلية الشريعة «بمكة المكرمة» وتخرج فيها عام (١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م) ، فعين مديرا للمعهد العلمى بالاحساء فى عام . ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) ، فعميدا لكليتى : الشريعة واللغة « بالرياض » فى عام (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) ثم مديرا عامالرئاسة القضاء بالملكة فى عام ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) ، وفى عام (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) عين وكيلالوزارة المواصلات ثم رئيسا لمصلحة المياه ، ونائبالرئيس اللجنة الشعبية ، ثم تفرغ لخدمة الأدب والتراث .

أصدر مجلة الجزيرة الأدبية ، التى تحولت الى مؤسسة صحفية . له مؤلفات منها : «المجاز بين اليمامة والحجاز» ، «الأدب الشعبى فى جزيرة العرب» ، «على ربا اليمامة» ، وديوان شعر ، وهو فى شعره شديد المحافظة ، على أصالة اللفظ والبناءالموروث للقصيدةالعربية .

فى بلاد العرب من الآثار» ثم كتابه المخطوط «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» يقول ابن خميس : (ولكن المسألة ليست مسألة بحث وكتابة ومقارنة وتحقيق فحسب ، ولكنها مع ذلك تحتاج الى عوامل وأسباب ، قل أن تتوفر فى شخص من الأشخاص لهذا أخذت الفيرة علما من أعلام الجزيرة - فى الأدب والتاريخ والرواية ، والبحث - هو العلامة (محمد بن عبدالله) الخالدى النجدى ، فتصدى لهذه المهمة بهمة وثابة وعزم لا يعرف الكلل والملل ، فألف كتابه «صحيح الأخبار» عما فى بلاد العرب من الآثار «فكان أول كتاب من نوعه يركن الى الباحث ويطمئن الى المحقق ، وهو وان نحا فيه غير منحى أهل المعاجم فى الترتيب والتبويب ، ولم يقصد به استقصاء جميع الأمكنة ، وأبراز كل ما ورد فى كتب الأوائل من معاهد ، وآثار للعرب فى شعرهم ونثرهم ، بل عمد الى بعض ما فى شعر مشاهير شعراء الجاهلية من ذكر الأمكنة ، وتحدث عن الأطلال والدمن ، فهو وان نحا هذا المنحى واقتصر على هذا المقدار فلقد أبدع أيما أبدع ، وسد ثغرة كانت هواء بالأمس ، ووضع أسامتنا لمن أراد البناء والاشادة) .

وعن كتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» قال مثنيا ، ومبيننا أهميته لدى الباحثين ، وأن بمثابة يجلى اللبس فى أسماء الأماكن والبقاع ، ذلك اللبس الذى كثيرا ما وقع فيه الباحثون ، المتقدمون منهم والمتأخرون :

فبعد أن أنتهى المؤلف من كتابه «صحيح الأخبار» وجد أنه لا يزال هناك مكان شاغر وفتق واسع يحتاج الى رتق ، فهبك أدركت أن جبلا من الجبال يقع فى مكان ما من جزيرة العرب ، وهناك جبل آخر يحمل هذا الاسم ، ولكنه يبعد عن الأول مسافات طوالا ، وربما يوجد ثالث أو رابع الخ . . . ، وربما يكون هذا الاسم يطلق على ماء ، والآخر يطلق على واد ، والثالث يطلق على روض . . الخ ، وأنت كباحث

تريد أن تقف على حقيقته وتشخصه بعينه ، فكيف تمثر عليه وتعلم أن الشاعر قصد هذا الجبل نفسه أو هذا الماء عينه ، أو ذلك الكتيب ذاته أو هبك لا تعلم أن هناك اسما فى جزيرة العرب يطلق على غير هذا المحل ، بعد أن وقع عليه نظرك لأول وهلة فى «صحيح الأخبار» أو غيره ثم عدت تحكم أن الشاعر أو الخطيب أو ٠٠٠ الخ ، قصد هذا المكان بعينه بينما هو يقصد المكان الآخر ، الذى دون فى نفس مرجعك الذى رجعت اليه ، ولكنك لم تهتد اليه ، فكيف تكون النتيجة حينذاك انها أيضا مشكلة .

ولكن لم يفتأ خريت الجزيرة (ابن بليهد) يبحث وينقب، حتى حلها بكتابه الجديد «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وهذا الكتاب يعتبر فتحا جديدا فى عالم التأليف ، ومفتاحا لأبواب طالما استغلقت على الباحثين زمنا طويلا (١) .

ونود أن نقول هنا : أن من قرأ مؤلفات ابن بليهد ، واطلع على مجهودات السابقين ف هذا الميدان ، لا يملك الا أن يسلم لابن خميس بما ذكر ، بل وأكثر من ذلك .

وعن كتاب «صحيح الأخبار» أيضا قال ابن خميس فى رسالة منه الى : (وعلى وجه العموم فخير مؤلفاته وأقربها الى الجودة ، وأكثرها نفعا ، هو الكتاب الأول - «صحيح الأخبار» ، فلولما فيه من هنات هينات ، لا يسلم منها مؤلف لكان «درة الغواص» ، ولكن جل من لاعيب فيه

(١) مقدمة كتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» ص ١٠ - ١٢ .

ج - رأى عبد القدوس الأنصارى : (١)

وفى حديث للشيخ عبد القدوس الأنصارى عن ابن بليهد ، واهمال الباحثين لترجمته ، قال معقبا على كتاب «الحركة الأدبية» لبكرى شيخ أمين (كما ورد اسم ابن بليهد ضمن أدباء المملكة السعودية المعاصرين فى كتاب «الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية» لبكرى شيخ أمين فى عشرة مواضع ، ولكنه ورد عابرا غير مشبع للباحث المستطلع للترجمة الكاملة لهذا الشاعر ، الناثر المؤرخ الجوال فى أفاق بلاد الجزيرة ، ليحقق بالمشاهدة مواقعها ، وليطبق أماكنها المشاهدة على ما ورد فى الشعر العربى القديم ، وهو فى الحقيقة فتح علمى كان ابن بليهد من السابقين فى ميــــــــــــــــــــدانه) (٢) .

د - رأى الدكتور بكرى شيخ أمين :

فى حديث الدكتور بكرى شيخ أمين عن ابن بليهد ومؤلفاته عرض كتابه «صحيح الأخبار» عرضا سريعا ، ليخلص منه الى أخذه بعدم التفريق بين المعنى اللغوى للكلم واسم المواضع ، وارتجاله بعض المعلومات دون مصادر، وأنه كان يأخذ الاسم مصحفا ، ثم يحاول أيضا الموضع على أساس التصحيف ، وأنه أوضح الأماكن الموجودة فى شعر

(١) عبد القدوس الأنصارى : ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤ هـ ، وبها درس وأخذ عن الشيخ محمد الطيب الأنصارى ، كما التحق بمدرسة العلوم الشرعية بها .

وحين تخرج فيها عين موظفا بامارة المدينة ، وبها تقلب فى عدد من الوظائف ، ثم مدرسا للادب بمدرسة العلوم الشرعية بها ، ثم رأس تحرير جريدة «ام القرى» ثم نقل موظفا بديوان النائب العام بمكة المكرمة ، وبه تقلب فى عدد من الوظائف ، حتى تفرغ لأعماله الخاصة ، فأنشأ مجلة المنهل سنة ١٣٥٥ هـ .

من مؤلفاته : آثار المدينة ، وتاريخ مدينة جده وكتب أخرى . منها «الانصاريات» ديوان شعر .

(٢) الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر . عبد القدوس الأنصارى ص ٩٠ .

أمرىء القيس وزهير والنابغة ، واكتفى بما جاء في معلقات الشعراء الآخرين ، وأنه فى حديثه ذلك اكتفى بدراسة أسماء الأماكن دون شرح المعانى ، وأنه يعرض للأحاديث المنحولة ، والأخبار الملفقة فيكتفى بإيرادها دون تمحيصها ، وأنه فى تحقيقه «صفة جزيرة العرب» للهمداني لم يصنع كصنيع الجاسر فى التحقيق ويعنى بذلك أنه لم يتقص نسخ الكتاب ومقابلتها ، كما صنع الجاسر فى كتاب «بلاد العرب» للحسن بن عبدالله الأصفهاني ، ثم اعترضه على منهجه فى تقسيم الكتاب حيث فصل التحقيق عن صلب الكتاب ، وأنه لم يترجم للأعلام الواردة أسماؤهم ، كما لم يشر الى المصادر التى اعتمد عليها وأنه اكتفى كسائر المحققين فى جزيرة العرب بالتاريخ الهجرى ، ثم إرادته لبعض الخرافات • (١)

ونحن وان كنا قد أعطينا هذا الأمر حقه ، فى حديثنا فى الفصول الأربعة السابقة ، الا أنا نود أن نضيف هنا :

أ - أنه من المعلوم فى كتب اللغة أن اللفظ قد يكون وصفا ، ثم يتحول الى علم بالاستعمال - الا ترى الى كلمة «رياض» جمع (روضة) ، وهى المكان المعشب المخصب، كيف تحولت الى علم على مدينة «الرياض» مثلا؟ •

ب - وأن حديثه عن نسبة أمرىء القيس الى اليمن لم يكن ارتجالا ، فالذين تحدثوا عن قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، ناقشوا هذه المسألة فيما ناقشوا من أمور ، وليس حديث طه حسين - عن الشعر الجاهلى ، والذين ردوا عليه مثل : الخضر حسين ، وحسين الخضرى ومحمد عرفه ، وعبد الحميد المسلوت ، وغيرهم - عنا ببعيد •

ج - وحين ذكر أنه يأخذ الاسم مصحفاً ، فيوضحه على تصحيفه دون تصحيح ، فقد قرأت كتاب «صحيح الأخبار» أكثر من مرة ، فلم ألاحظ ما ذكره ، ثم أنه لم يذكر هو مثالا على ذلك • والله أعلم •

د - وفي وقوفه عند معلقات بعض الشعراء دون بقية أشعارهم ، المَع هو في مقدمة كتابه «صحيح الأخبار» (١) أن هدفه هو المعلقات وما ورد فيها ، فما تحدث عنه من أشعار بعض أرباب المعلقات ، إنما هو في حكم الاستطراد ، ومثل ذلك يقال في اغفاله لشرح المعاني ، وتحقيق الأخبار والروايات التاريخية المختلفة •

هـ - أما أنه لم يورد تراجم للأعلام الواردة أسماؤهم ، وأنه لم يضع شيئاً للمصادر والمراجع ، وأنه اعتمد على التاريخ الهجرى دون الميلادى فأمور يأخذ بها حقيقة ، وقد أخذناه بها وبغيرها فى الفصول الأربعة السالفة فى هذا الكتاب غير أن الأخذ بالتاريخ الهجرى دون الميلادى أقل خطأ عندى من الأخذ بالميلادى دون الهجرى ، وهذا كثير عند المتأخرين ، ومنهم بكرى الشيخ أمين •

على أن الدكتور بكرى يتراجع قليلا ، فيثنى على ابن بليهد بما يستحقه فى قوله : (الخلاصة ، نعد عمل ابن بليهد علميا من حيث تأليفه فى مواطن الجزيرة ولا جدال فى أن التحقيق العملى ، ودراسة الأماكن على الطبيعة أقوم وأجدى للبحث العلمى من الدراسة النظرية وقد وضع لبنة فى صرح الدراسات ، رغم بعض الهنات التى وقع فيها ويبقى كتابه «صحيح الأخبار» مصدرا لمن يريد الوقوف على حقيقة الديارات العربية ، ولا سيما فى الجاهلية وصدر الاسلام) (٢) •

(١) صحيح الأخبار ١ : ٥٥

(٢) أنظر الحركة الأدبية ص ٥٩٥

هـ - رأى خالد الفرج :

وخالد الفرج - رحمه الله - من الشعراء المجيدين ، والباحثين المعاصرين لابن بليهد ، كتب نقدا لبعض ما ورد فى الجزأين الأولين من كتاب «صحيح الأخبار» فى مجلة «الحج» جاء فيه :

لم يكتب عن جزيرة العرب أحد من ابنائها الا الهمدانى ، صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» وقد انقضت على وفاته ألف سنة كتب فيها الكثيرون عن «جزيرة العرب» ومواقعها ومياها وجبالها ، ولكن هذا الكثير لا يشفى غله ، ولا يهدى الباحث الى سبيل قويم لأن مؤلفى تلك الكتب ليسوا من أبناء الجزيرة ، ولا يعرفون عنها الا تلك الروايات المعتادة المتناقضة ، اللهم الا ما تخطه أقلام بعض السائحين ، الذين يمرون بالبلاد على عجل فهم كحاطب ليل ، بله كونهم غرباء عن البلاد فلا تخلو كتاباتهم من الخلط والخبط .

والآن أمامنا سفر نفيس ناطق بالجهود العظيمة والدأب والتنقيب التى بذلها مؤلف عاش فى قلب الجزيرة وجاس خلالها سنين طويلة ، فخيرها خبرة الدليل الخريت ، ووعى أخبارها وعى المنقب ، الذى يسمع القول فيمحسه ويثبته بعد أن يقتله درسا وفحسا ، وهذا الكتاب هو «صحيح الأخبار» عما فى بلاد العرب من الآثار (١) .

ثم أورد نقدا لشيء مما ورد فى الكتاب ، يدور كله حول تخطئة المؤلف فى تحديد بعض الأماكن ، فرد عليه ابن بليهد فى الصحف المحلية ثم أثبت رده فى آخر الجزء الثالث من «صحيح الأخبار» .

(١) مجلة الحج : جمادى الثانية سنة ١٣٧١ هـ ص ٤٦ .

تلك نبذة عن بعض آراء الباحثين ، فى مؤلفات هذا الرجل الذى أعطى الأماكن والبقاع فى جزيرة العرب ، من جهده ووقته الكثير بسخاء ، ثم قدم تلك الجهود ثمرة ناضجة ، فى مؤلفاته الثلاثة ، وإذا كان بعض هؤلاء الباحثين ، قد أجحف حيناً لأسباب قائمة فى نفسه ، فإن عمل ابن بليهد هو الذى يدفع عن نفسه بنفسه .

وما أرخص البحث العلمى حين يقوده الهوى ، وتمتطيه ميول النفس ونزعاتها ، وما أشقى الناقد حين يعيب الآخرين بمثل ما يصنع هو .

يا ايها الرجل المعلم غيـره
هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟

الفصل السادس نثر ابن بليهد

يعد ابن بليهد أول من فتح باب التأليف في العلوم العربية في جزيرة العرب في عصرنا الحديث ، وأول من درس الأماكن والبقاع الواردة في الشعر العربي القديم ، وهذا ميدان لم يسبقه فيه أحد كما أسلفنا في حديثنا عن كتابيه «صحيح الأخبار» و «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» .

ثم هو في الطليعة من أدبائنا الذين تناولوا بأقلامهم ميدان الأدب وكان أبناء هذه البلاد - أعني جزيرة العرب - من قبل ذلك يقصرون مؤلفاتهم على الميادين الدينية ، وشيء من التاريخ أو النحو والصرف على قلة في هذا الأخير حتى جاء صاحبنا وطبقته ، ففتحوا للادب والتأليف أبوابا كانت من قبل موصدة ، وكان اسهام ابن بليهد في هذا اسهاما جيدا في الكم والكيف معا .

صحيح أن العناية بالمضمون كانت عنده أكثر من العناية بالشكل غير أن كلا من الميدانين كان له من جهده نصيب ، ويمكننا أن نقسم النثر عند ابن بليهد الى قسمين : علمي ، وأدبي .

والنثر الأدبي قسمان : مقالات وخطب ورسائل ، حكايات .
وسنتحدث عن كل قسم على حدة ملتزمين - ما وسعنا الأمر -
الايجاز معتمدين في ذلك على مؤلفاته الأربعة ، مستخلصين منها ما يساعدهنا في بحثنا .

اولا : ● النشر العلمى ● :

أمامنا من مؤلفات ابن بليهد فى هذا الميدان ثلاثة ، كلها ذات موضوع واحد وأسلوب واحد ، وهى «صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار» و «تحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى» و «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه» وهو مخطوط .

فموضوع الكتب الثلاثة هو : الأماكن والبقاع فى جزيرة العرب ، وأسلوبها : سهل يسير ، لا يجد فيه القارئ أى عناء ، بل أن ذلك الأسلوب يدنو من السهولة أحيانا الى حد الابتذال .

وقد وصف ذلك الأسلوب عبدالله بن خميس فى تقديمه لكتاب صاحبنا المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) - فقال على أنك ستجد وأنت تقرأ هذا الكتاب فى أسلوب المؤلف هبوطا كبيرا عن مستوى الأساليب العصرية ، وسهولة ربما تكون مجاوزة للحد المقبول ، وهنات ربما تخدش الفصحى ، ولكن ذلك لا يحط من قيمة أثر جبار ، وعمل عظيم (١)

على أن هذه الهنات التى أشار ابن خميس إليها، إنما كانت فيما رواه ابن بليهد عن العامة ، من قصص وطرف وأخبار ، وهذا مذهب مال إليه بعض الأدباء وبخاصة فى الطرف والملح ، كما هو رأى شيخ الأدباء الجاحظ ، فى أن رواية الطرفة والنادرة يجب ألا نغير أسلوبها ولغتها وإن كانت ملحونة لأن التصرف فى لغتها وأسلوبها كثيرا ما يفقدها خاصيتها ، ولكى نتبين أسلوب الرجل ولغته فى مؤلفاته نعرض لنماذج منها :

(١) مقدمة ما تقارب سماعه ص ١٤ .

فى كتابه « ما تقارب سماعه » قال : -

«القراره» قرية على طريق حائل من «القصيم» ، وهى بين القرى التابعة «للقصيم» والقرى التابعة لحائل ، وهذه هى التى يقول فيها صويلح بن سرحان من الشعر النبطى :

يلوهق وش بعد أهلك من القراره
والجمل يضلح برجله من يميننا
وان بدالى قاره فى سد قاره
والخفى بيدين سلسات القرينا

« القاره » هى الواقعة بين بلد (شقراء) ، وبلد (القرائن) ، وهى التى يقول فيها ابن حمل العدوى صاحب «أشى» :

متى أمر على الشقراء معتسفا
خل النقا بمروح لحمها زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها
من الشنايا التى لم أقلها ثرم

« والشقراء » المذكورة فى هذا الشعر هى «القارة» المذكورة سابقا (وشقراء) بدون ألف ولام هى المدينة المشهورة عاصمة «الوشم» .

«القويرة» : تقع فى (وادی المسمى) الواقع بين بلد القرائن ، وبلدة «أثينة» وتضاف هذه «القويرة» الى (المسمى) ، فيقال : (قويرة المسمى ويوجد قويره قريب بلد «مراه» تضاف اليها ، فيقال : «قويره مراه» وفى الناس من يسميها (المعيزيله) ومنه قول شاعر من شعراء النبط :

يا فاطرى لا تعددين المعيزيله
الين تاطين دار الصاحب الغالى
يفرح له القلب مثل اليوم واللييلة
كيسودنى ادله كما أنه ضايق بالى

وفى بعض أسفارنا تغنينا بهذه القصيدة ومعنا بعض الأعراب ، فقالوا
لنا : أين المعيزيلة ؟ قلنا لهم : هى قويرة مراه ، قالوا : أنتم ضايعين
يا حضر ، المعيزيلة الكثيب المنعزل من فينقذة ، فقلنا لهم : قويرة مراه
ما هو اسمها ؟ فقالوا : هو هذا الأسم : فقلنا لهم : أما البقاع وما يتعلق
بها فأنتم أعرف منا بها .

«القور» هى قور أثيشية وهى التى سميت أثيشية بها ، لأنهم وصفوها
على أثا فى القدر فقالوا كأنها أثافى قدر ، فحذفوا الفاء فقلل لها :
أثيشية ولا تعرف فى أشعار العرب واخبارها ومعاجمها الا بالفاء«انظر
معجم ياقوت ١ : ١١١» .

«قيران» منهل ماء من مناهل الجنوب تشترك بمائه قبائل الدواسر
وقحطان ، والمسافة الواقعة بين القوارة ، «وقيران» لا تقل عن
عشرين مرحلة (١)

هذا هو الأسلوب الذى كتب به ابن بليهد آخر مؤلفاته ، وتلك هى
اللغة التى استخدمها فى آخر كتبه وهو يدافع المرض والكبر ، أى أنه
فى وضع نفسى وجسمانى لايساعدانه على التألق فى الألفاظ
والأساليب ، ومع هذا فانا لانرى فيه ذلك الضعف والابتذال والوهن
الذى ذكره ابن خميس ، الا على نحو ما أشرنا اليه سلفا .

(١) ما تقارب سماعه ص ٨١ ، ٨٢ .

أما أسلوبه فى كتابيه «صحيح الأخبار» ، «وتحقيق صفة جزيرة العرب للهمدانى» فهو أرقى لغة وأسلوباً من أسلوبه فى كتابه «ما تقارب سماعه» الا أنه يروى حيناً عن العامة بلسانهم .

على انه قد كتب «صحيح الأخبار» فى فترتين متباينتين ، فلقد كتب الجزأين : الأول والثانى قبل مرضه ، أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب «صحيح الأخبار» وكتاب «تحقيق صفة جزيرة العرب» ، فقد كتبها فى مصر وهو فى فترة النقاهة والاستجمام بعد شفائه من مرضه وسنورد نموذجاً مما ورد فى الجزء الأول من كتاب «صحيح الأخبار» .

قال فى معرض حديثه عن الأماكن الواردة فى معلقة طرفة عند قوله :

كان حدوج المالكية غـدوة
خلا يا سفين بالنواصف من دد

النواصف ودد : كلها واقعة فى البحر الشرقى ، لأن طرفه حين قال :
خلايا سفين بالنواصف من دد أتبعه بقوله :

عدولية أو من سفين ابن يامن
وامرو القيس لما وصف الظعائن وقال :

فشبتهم فى الآل كما تكمشوا
حدائق دوم أو سفينا مقيـرا

من المكرعات من سفين ابن يامن
دوين الصفا اللائى يلين المشقرا

والصفا والمشقر فى هجر بغير خلاف ، وطرفة ذكر سفين ابن يامن ،
ودد : اسم لواد يصب فى البحر الشرقى والنواصف : هى نواصف هذا

الوادي ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وأما صاحب «معجم البلدان» فانه قال على ذكره: هو موضع واستدل بقول طرفة في معلقته ومنهم من قال : أنه واد من أودية عمان يصب في البحر ، والنواصف التي ذكرها طرفة هي نواصف دد ، وقد ورد لها ذكر في أشعار كثيرة . قال ود بن منظور الأسدي :

ألا حي ربعا بالنواصف أو رسما
خلا دمية الأرواح تطمسه طسما (١)

وقد درس ذكر الناس للنواصف ولدد ، وظنى أن أحدا لا يعرفهما اليوم بهذين الاسمين ، وقد أطلت البحث عن دد وموضعه ، فقال لي بعض أهل الأدب : أنا أظن أن «ددا» هي المدينة الواقعة في عمان التي يقال لها اليوم «دبي» وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باء فرجعت الى كتب المعاجم للاستقصاء عن «دد» وعن (دبي) فوجدت دبي هذا الاسم من عهد الجاهلية ، فقد كان يقال له في الزمن القديم «دبا» واتل أيها القارئ هذه العبارة التي أوردها ياقوت ، في معجمه عن الأصمعي ، حتى يزول عنك الشك وتعلم أن «ددا» اسم قديم جاهلي ودبي أيضا اسم قديم جاهلي (٢) ثم أورد عبارة ياقوت .

هذا هو أسلوبه : وضوح ويسر ودقة ، في تحرى الصدق ، وحرص على ايصال المعنى الى ذهن القارئ خالصا من الشوائب واللبس .

ثم أنه لم يتبع أسلوب السجع والمحسنات البديعية ، الذي توحى به عناوين كتبه ، وهو الأسلوب الذي سلكه علماء عصره ، أمثال الشيخ

(١) وقع في معجم البلدان «نطمسه طسما» بتقديم الميم على السين وهو تحريف ، وتقول «طمس الطريق» «وطسم» بمعنى واحد ، معناهما درس ، وانظر شواهد ذلك ، اللسان (ط - س - م)
(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٦٣ ، ١٦٤ .

سليمان بن سحمان ، فى جميع كتبه التى منها : الضياء الشارق والأسنة الحداد وغيرها ، والشيخ ابراهيم ابن عيسى فى كتابه «تاريخ بعض الحوادث فى نجد» .

ومن ناحية أخرى لم يرق أسلوب ابن بليهد الى أسلوب بعض المعاصرين الآخرين له أمثال : الشيخ حمد الجاسر فى كتبه ، التى منها «مدينة الرياض» ، والشيخ احمد عبد الغفور عطار فى كتبه التى منها «الصباح ومدارس المعجمات العربية» .

وانما سلك ابن بليهد طريقا وسطا ، فلفته واضحة مفهومة ، وأسلوبه سهل يسير : لا تعسف فيه ، ولا تكلف ، ولا تعقيد ، ولا التواء كل غرضه أن يدنى لقارئه ما يقدمه من معلومات ، وقد يستخدم فى ايضاحها التشبيه ، وهو نوع من التعريف بالرسم كقوله :

(ثم تلتفت على شمالك ، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها خضرة كروم ، أصولها شارعة فى الماء) (١) .

وفى وصفه للجبال والهضاب ونحوها يذكر لونها وطولها ومتدادها وكثيرا ما شبهها بما يشبهها من الأشياء كوصفه رأسى جبل بالرمحين المنصوبين والهضبتين الصغيرتين بالشهدين ، وليس يخفى ما لتلك الأساليب من فضل فى التقريب للقارئ بل أنه أحيانا يعطى بوصفه ما تعطيه الصورة فى يدى المصور الماهر ، وإذا وصف الطريق فكأنه يرسم خريطة جغرافية ، ترى فيها ما تمر به من : أودية وجبال ، وحزون ورمال ، وسهول وتلال ، مما تطؤه الطريق ، أو تتركه يمينا أو شمالا (٢)

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ١ : ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢ : ٨٦ ، ١٥١ ، من

١٣٧ الى ١٧٩ ، ٣ : ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٥ : ١٢٩ .

ثانيا : ● النشر الأدبي ● :

والنثر الأدبي عند ابن بليهد ينقسم - كما قلنا منذ قليل - الى قسمين :

مقالات وخطب ورسائل ، حكايات .

أ - المقالات والخطب والرسائل :

ولكى نتبين جهد الرجل فى هذا علينا أن نعلم : أن جزيرة العرب ظلت ردحا من الزمن ، تعيش على ما خلفته عصور الانحطاط من : أساليب أجلى سماتها الركافة فى العبارة ، والضعف فى اللغة ، والهزال فى الخيال ، واختفاء الصورة الأدبية ، وتخلخل التركيب الى أن جاء مطلع هذا القرن ، فصدرت فى الحجاز الصحف والمجلات كالقبلة والاصلاح ، وشمس الحقيقة ، والحجاز .

غير أن أثر تلك الصحف فى الميادين الأدبية كان ضئيلا جدا ، لأن اهتماماتها انصبّت على الخبر ، وشئون السياسة ، وبخاصة ما يخدم اتجاهات منشئها .

ثم ان نجدا - وهى منشأ ابن بليهد كما عرفنا - قد ظلت محرومة من الصحف والمجلات والمطابع والمكتبات العامة ، حتى سنة (١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م) .

ثم تتابعت الصحف والمجلات بالحجاز ، كما تتابع انشاء المدارس فيها ، وذلك لأن صلات الحجاز بالعالم الخارجى كانت أقوى ، لوجود الأماكن المقدسة التى يؤمها المسلمون من كل بقاع الارض .

ومن : مكة ، والمدينة ، وجده ، انطلق نور الثقافة الجديدة الى سائر أنحاء جزيرة العرب ، وصار الناس يؤمون هذه المدن والبقاع

للدراصة والتثقيف كما يؤمونها للحج ، وكان فيمن أمها من نجد
صاحبنا ابن بليهد ، وأول زيارة له كانت حين حج سنة (١٣٣٢ هـ
١٩١٣ م) ، غير أنه لم يستطع أن يتأثر تأثرا كبيرا بما عمرت به
المكتبات ، من مؤلفات المعاصرين من العرب ، تلك التي تأتي الى
الحجاز من مصر والشام ، ثم ما كانت تدفقه أقلام الحجازيين ، الا
بقدر يتجلى في تلك المقدمات ، التي كتبها لمؤلفاته ، وبخاصة تلك
التي كتبها لديوانه « ابتسامات الأيام » (١)

ان هذا الأسلوب الرائع ، الذي كتب به المقدمة لدليل قاطع
على أن ابن بليهد لو اتجه لهذا النوع من الكتابة لأجاد فيه ، وهذا
ما نعنيه في نفينا عنه التأثير بالمعاصرين من الأدباء ، فان موضوعات
الأدب الحديث التي شاعت في نتاج المعاصرين له منهم لم تجد طريقها
الى قلم ابن بليهد فلم يكتب في : السياسة والاجتماع ، والنقد
الأدبي وما الى ذلك من موضوعات .

لكنه في دراسته للاماكن الواردة في أشعار العرب ، قدم لنا أسلوبا
لا يقل عن أسلوب معاصريه ، ممن تشبه موضوعاتهم موضوعه الى ما
صدر به مؤلفات من مقدمات يتجلى فيها أسلوب العالم الأديب ، ذلك
الأسلوب الذي يسميه بعضهم : العلمي المتأدب ، أى أنه أسلوب التقى
فيه العلم بالأدب ، وأى العلوم أقرب الى الأدب وأقوى وشيجة به من
موضوع صاحبنا ؟ .

واذا كانت الدعوى انما تقوى بالبرهان والبينة ، فانا نورد هنا
حديثه عن : « الدخول وحومل » الواردتين في قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(١) أنظر هذا في الصفحة التالية .

قال فى حديثه عن هذين المكانين : ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأماكن ، فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع فى اليمامة قال ياقوت فى معجمه - توضح ، والمقراة قرىتان من قرى اليمامة ، وتبعهم حسن السندوبى فى شرحه لهذه القصيدة ، وذكر أن جميع هذه المواضع فى «اليمامة» .

ولم أر أحدا من أهل الأخبار ذكرها فى موضعها اليوم ، الا عبارة واحدة وردت فى «معجم البلدان» أثناء ذكر الدخول . قال: ان الدخول بئر ، ثم عزز هذا القول بقوله : حكى نصر أن الدخول موضع فى ديار بنى بكر بن كلاب .

سقط اللوى : السقط لغة : يطلق على طرف كل كثيب ، أما الذى عناه أمرؤ القيس فى قصيدته ، فهو سناف يقال له اليوم شرف ، واسمه فى الجاهلية شراف ، كأنه كثيب من الابارق والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حومل ، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول ، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم الى يومنا هذا - أما الدخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالى الهضب ، المعروف بـين وادى الدواسر ، ووادى رنيه ، وذلك الماء تحت يد ابن نوير الشيبانى اليوم وفى شعر حذيفة بن أنس الهذلى :

فلو اسمع القوم الصراخ لقوربت
مصارعهم بين الدخول وعرعر

وعرعر : ماء ببطن الهضب بينه وبين الدخول مرحلتان للابل ، يسمى اليوم «عرعر» .

أما حومل : فهو جبل قريب من الدخول فى جهته الغربية الجنوبية ، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول والمقراة : واد ينصب الى جهة الجنوب

بين الهضب والسوادة ، وقد حرف اليوم الى «القمر» فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم «القمر» فى السن جميع أهل (نجد) ، وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة (١) ، فأنت تراه يبدأ الحديث بالإشارة الى أقوال السابقين ويروى أطرافاً منها ، لينتقل بعد ذلك الى تحديد الأمكنة فى نظام وترتيب ، ووصف فيه دقة ووضوح واحاطة ، لا يدع فى ذهن القارئ أدنى لبس .

ثم هو يسوق ذلك فى عبارات : متماسكة التأليف ، واضحة المقاصد لا يتعثر الفكر بها بتقديم أو تأخير ، أو تعقيد أو غموض وإبهام .

ويؤدى ذلك كله بالفاظ مألوفة معروفة ، لا غرابه فيها ولا تكلف ولا سقوط أو ابتدال . وان كان الأسلوب فيه قائماً على الحقيقة لا الخيال

ان اعجابنا بأسلوب ابن بليهد الأدبى ، الذى تتجلى فيه الرزانة ، وتفوح منه البلاغة اذا قصد هذا وقيد به قلمه — ان اعجابنا به وتقديرنا له يزيد اذا عرفنا أن ذلك النوع من الكتابة ، كان فى «نجد» والكثير من أنحاء جزيرة العرب ما عدا «الحجاز» كان بدعاً .

ولنقرأ معه قوله فى مقدمة الديوان : (فقد كنت ممن أحالتهم عوامل التكوين وخصائص البيئة ، الى ما خلفته النوادى الشعبية من نتاج ، فقد كانت البلاد اذ ذاك فى معزل عن العلم والعالم ، ولكن البيئة العربية السخية التى أنجبت عباقرة الشعراء فى القرون الغابرة ، ابت الا أن تظل كما كانت منتجة على اختلاف فى طابع ذلك الانتاج «فقد كانت مجالس السمر تكتظ بالمتساجلين» فخلفت لنا انتاجاً لا يستهان به ، وكنت فى مستهل الحياة اختلف الى تلك النوادى ،

واستوحى ما يطيب لى فيها من جيد الشعر ، وأتعمق فى دراسته ، حتى
اجدت صناعة الشعر الشعبى ، واصبحت أحد المتساجلين (١) •

لقد أبدع الكاتب هنا حين أرشدنا بهذا الأسلوب اللبق البليغ ، الى
ما يشعر به داخل نفسه من مراره شديدة ، حيث ان الأقدار لم تمكنه
فى شبابه من أن ينهل من الثقافة العربية الأصيلة ، ولم تتح له المرشد
الذى يهديه الى ذلك السبيل ، الذى يقوم لسانه ، وينتف بياحه وينمى
ملكته ، وانما أرشده قضاؤه الى ما خلفته الأندية الشعبية •

وعلى هذا النحو من الأسلوب يمضى صاحبنا فى كثير مما كتب ،
وأقول الكثير لأن فى بعض كتابته تلتقى الفصحى والعامية ، على نحو
لو كان فيه ابن بليهد من كتاب هذه الأيام لما عابه ذلك ، اذ اللحن فى
كتابات أبناء العصر بات مألوفاً ، لا يحول دونهم ومؤلفاتهم ودون قوائم
الأدب والأدباء ، حتى ولو ضمت مؤلفاتهم الى فساد اللغة فساد
الهدف والموضوع •

على أن نصيب العامية منه ضئيل جدا - يجيىء فى صورة حكاية
لطرفة أو نادرة أو رواية نصية لما سمع •

ولشيخ الأدباء أبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ فى رواية الطرف
والملاح والنوادر رأى يسوغ الكثير مما وقع فيه ابن بليهد ، وقد
اسلفنا الإشارة اليه فى الحديث عن الأسلوب العلمى •

ثم أن أسلوب ابن بليهد فى نشره يجرى مجرىين مختلفين تمام الاختلاف
فبينما نجده فى «مقدمة الديوان» وفيما ورد فى كتبه الثلاثة ،
يستعمل أسلوبا سهلا يسيرا ، خاليا من تكلف المحسنات البديعية

واعتساف الألفاظ ، نراه فيما يقدم به لبعض قصائده من رسائل وخطب ومقدمات طويلة ، يسلك سبيلا مغايرا جدا للسبيل الذى يسلكه فى «مقدمة ديوانه» وما ورد فى كتبه الثلاثة •

فالصنعة والتعمل وحشد السجعات والمحسنات البديعية واعتساف الألفاظ اللغوية ، كل ذلك تراه واضحا جليا فى تلك الرسائل والخطب والمقدمات •

ونظرة تاريخية الى ما خلفه هذا الرجل كفيلة بابعاد الحيرة واطالة التفكير فى ذلك التغاير •

لقد ذكر فى آخر مقدمته لديوانه أنه لن يغير شيئا مما دون ، وأنه سيقدمه كما هو ايماننا بما قال عماد الدين الأصفهاني : (انه لا يكتب انسان كتابا فى يوم الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل) (١) •

وقصائده ذوات المقدمات كان آخرها قبل طبع الديوان بما ينيف على خمسة عشر عاما ، ومادة كتاب «صحيح الأخبار» دون بعضها قبل طبع الديوان بقليل وبعض دون بعده بقليل •

وفى الزمن نفسه دون تحقيقه لصفة جزيرة العرب ، وبعد ذلك بعامين أملى كتابه (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه) • أما مقدمة الديوان ، فكتبها حين طبعه عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م) • وهذا يدلنا فى الواقع على ثلاثة أمور •

الأمر الأول : أن ملكات هذا الرجل كانت ذات قابلية سريعة للتطور والارتقاء •

(١) الديوان ص ٨ •

الأمر الثانى : أنه يقوم دليلا على صحة ما نسب اليه من شعر نظمه
بعد طبع الديوان .

الأمر الثالث : أنه قد عدل عن أسلوب السجع واصطناع المحسنات
حين قرأ لأدباء مصر واطلع على ما يفيد نبذهم لأدب التكلف والصنعة
والمحسنات .

ويؤيد ذلك ويقويه ما وصلنى من أوراق بخط يده ، فلقد أمدنى
أبنة عبدالله فيما أمدنى به بنص لمقدمة كتبها ابن بليهد ، لكتابـه
«صحيح الأخبار» ، ثم عدل عن بعضها وهو الجزء الأول ، أى التمهيد
واستعاض عنه بسواه ما هو فى الكتاب المطبوع .

والجزء المحذوف فى المقدمة ، مشحون بالسجعات الى حد يجعلك
ترى فى لغتها وأسلوبها نموذجا صادقا لتلك الخطب ، التى دونت فى
عصور : التكلف ، والضعف ، والانحطاط ، مثل خطب : الخضرى ،
وابن بناته ، والنحاس وأمثالهم ، ولكى ترى ذلك عيانا وتحكم عليه
مشاهدة نقدم قطعة من صدر تلك الخطبة :

(الحمد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وأودع فيه — من
عجائب حكمته وبدائع صنعتته ، ما تقصر عن ادراكه العقول ، وتكل
عنه الافهام والأذهان ، وجعل بنى آدم على احوال شتى باختلاف طبائعها
والوجدان ، وقدر المقادير ، وعلم ما يكون وما قد كان ، وجعل لكل
شئ سببا ، ولكل واقع آنا ، وأنزل القرآن العظيم على نبيـه —
بأفصح لسان وأوضح بيان . أحمدـه على ما منحه من لطيف المعرفة
والاحسان واشكره على ما أولاه من جزيل الفضل والأمتنان ، وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها النجاة والأمان
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من عدنان — صلى الله عليه
وعلى آله ومن تبعهم باحسان ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فانه لا يخفى على كل أديب ، ولا تتوارى فهم المعانى عن الأريب ، أن اللغة العربية هى أشرف اللغات ، وأقربها للحق والثبات ، وأجمعها لما تشئت من الكلمات ، وأسلسها فى اللفظ عند ذوى العنايات وأبعدها عن التكلف وأقربها لوصول الغايات ، ألا وهى اللسان العربى المبين ، ولا غروى أن أهلها هم العرب ، الذين جرت الأقلام باذكارهم ، وحدت الركبان بأخبارهم ، وكانت لهم السوابق فى الأوائل واللواحق فى الأواخر ، نطقت بذلك الأشعار ، وتواترت به الأخبار ، ونقله الصغار والكبار ، حديثا وقديما ، فاذا قال السائل : من العرب : وأين مساكنهم وما جرى لهم وعليهم ؟ ، فقل : نعم ، هم العرب من عدنان وقحطان ، اختار الله منهم أشرف بنى ، أنزل عليه أشرف كتاب ، من أشرف قبيله ، أشرف الناس نسبا ، وأفضلهم حسبا ، وأكرمهم سببا ، وأوضحهم بيانا • أنزل عليه قوله : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) (١) •

أما قوم الرسول — صلى الله عليه وسلم — فهم أهل جزيرة العرب الذين بها يسكنون ، ولها يستوطنون — وبها يتجولون ولها يألفون — وبها يفخرون — ولماها وجبالها ومآثرها وشعابها فى أشعارهم يذكرون على ما فيها من ضيق العيش وقشفه وضنك المعيشة والخشونة ، وفيها أسواقهم التى بها يجتمعون ، وفيها يتعارفون — ويتذاكرون — «كمعاظ و «مجنة» وذى المجاز» (٢) •

فهو : كما ترى : جزأها الى فقر مسجوعة ، بدأها بحمدالله الذى خلق الانسان وأودع فيه من أسرار قدرته وبديع حكمته ما يقصر عن فهمه العقل ، ومن ذلك أنه علمه البيان وهداه بارأيه وقضائه الى ما

(١) سورة ابراهيم آية ٤ •
(٢) أوراق مخطوطة •

هو مقدر له فاختلفت بذلك طباع الناس وعاداتهم وأحوالهم ، لأنه تبارك وتعالى قد قدر كل شيء بحكمته وسيره بإرادته ، وجعل لكل شيء سببا ولكل عمل زمنا ، أو ليس هو المنزل للكتاب العزيز على رسوله الكريم ؟ •

ثم حمد الله على نعمه وشكره على فضله ، ليخلص من ذلك الى الشهادتين ، شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فالصلاة عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له باحسان ، وهذا أسلوب ما زال شائعا لدى خطباء المساجد ، قد يرفع عنه الاقتداء الاستهجان •

ثم استأنف الكلام بعد «أما بعد» مذكرا بأن اللغة العربية أشرف اللغات وأصلبها ، أمام زعازع التغير وأقدرها على البقاء ، وأنها جامعة سلسلة بعيدة عن التكلف مقربة للغاية ، فهي اللسان العربى المبين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز (١) ، وأهلها هم العرب الذين سجل التاريخ أمجادهم ، وكان لهم السبق فى الأولين والآخرين ، وذلك أمر مسلم به لدى الصغير والكبير وسجله التاريخ ، كما تضمنه الشعر ولا أدل على ذلك من بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيهم ، واختيارهم لنشر رسالته وحمل لوائها فى العالمين •

ومضى يثنى على العرب وما اتصفوا به من خلال ، وعلى جزيرتهم وحبهم لها وتعلقهم بها وترديدهم لبقاعها وأمكنتها فى أشعارهم ، وظل ينسج على هذا المنوال حتى أفضى الى رسم صنيعة فى مؤلفه ، وهى مقدمة ليس فيها جديد على ما هو موجود فى مقدمة المطبوع ، اللهم الا ذلك الأسلوب المتكلف المسجوع ، الذى أحسه هو قبل طبع الكتاب فعدل عنه •

(١) سورة النحل آية ١٠٣ • وسورة الشعراء آية ١٩٥ •

على أن تلك الخطب والرسائل تدل على أنه كان ذا ثقافة لغوية واسعة ، لناخذ الأمثلة الآتية من مقدماته :

(١) فى عام ١٣٤٨ هـ كتب هذه الرسالة مقدمة لاحدى قصائده ، التى بعث بها الى الأمير فيصل بن عبد العزيز :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فأنتم سيوف العرب الحداد والغطارفة الأمجاد أمنتكم الحاضر والباد ، بكم الحق استقام ، بتأمين البلد الحرام ، ونالت بكم العرب الفخار ، بالوفاء بالذمة وحماية الجار ، كما سلف لكم بذى قار ، وقد يفتخر بذلك مرار ، قال أبو تمام فى خالد بن يزيد الشيبانى •

أولادك بنو الأفضال لولا فعالهم
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد
وحيد من الأيام ليس له صحب

به علمت صهب الأعاجم أنه
به أعربت عن ذات أنفسها العرب

هو المشهد الفرد الذى ما نجابه
لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب

فنحن وأنت لله الحمد والمنة كما قال لقيط الايادى :

قوموا جميعا على أمشاط أرجلكم
واستشعروا الصبر لاستشعروا الجزعا

وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع لأمر الحرب مضطلعا

فذاك أنت بعثت الجنود الى الجنود ، حتى تخالفت الحدود ، فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (١)

فهو يثنى على آل سعود بالشجاعة والمجد ، وبما حققوه من أمن
واستقرار فى شتى أنحاء البلاد ، وخص البيت الحرام لمنزلته الكبرى
فى النفوس ، ثم أن الممدوح كان نائب أبيه على الحجاز اذ ذاك ، كما
يمدحهم بالوفاء وحماية الجار ، وأنهم فى ذلك انما يتبعون سيرة آبائهم
الأوليين .

ويؤكد الولاء للامير فيصل ، لمنزلته ولحكمته وشجاعته وحسن
تدبيره فى تنظيمه للجيش ، ويستشهد فى كل مناسبة بما هو أصلح
لها من الشعر .

٢) وهذه خطبة ألقاها سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م فى مناسبة عيد
جلوس الملك عبد العزيز قال فيها :

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فانى بالأصالة عن
نفسى وبالنيابة عن أخوانى : أهل الطائف ، وأهل نجد ، والحجاز
المقرين لكم بالبسالة ، والمجد والحزم والجد ، أقدم عظيم التهانى بين
يديكم ، رافعا لسموكم مزيد الحفاوة والتبريك بهذا اليوم السعيد ،
بجلوس صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، المتمسوره
بمطلعكم الكريم ، أعاده الله عليكم وعلى كافة الناطقين بالضاد بالمسرة
وأبقاه فى جبهة الدهر غرة آمين) (٢) .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢٣، ٢٢٤ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٢٨ .

وفى هذا النص يعيد بعضا مما أورده من صفات أثبتتها لمدوحه فى النص السالف ، فهو يمدحه بالبسالة والحزم ، والجد والمجد ، وكلها صفات مرت بلفظها ، أو معناها بالنص السالف ، ويقدم التهئة بعد ذلك بأسلوب ليس فيه ما يستوجب الوقوف عنده .

٣) وكتب لاحدى قصائده هذه المقدمة : (وقلت أيضا فى هذه السنة اعنى سنة ١٣٣٩ هـ فى الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل وقد بعث البعوث الى «حائل» ، وعقد اللوى حلو الشمائل ، وتكلم فى نصر الاسلام كل قائل) (١) .

هذه نصوص أربعة أجلى سماتها : السجع ، والجناس ، والتضمين ، والأقتباس وذلك كان أسلوب ابن بليهد فيما بين عامى (١٣٣٩ هـ - ١٣٦٠ هـ : ١٩٢٠ - ١٩٤١) تقريبا

أما ما كتبه قبيل وحين طبعه لمؤلفاته ، فيختلف عن ذلك كثيرا ، وانك لتعجب كل العجب حين تقرأ له مقدمة الديوان ، ومقدمات أجزاء «صحيح الأخبار» وما أشبهها من استطرادات كثيرة فى مؤلفاته الثلاثة فتجدها خالية من تلك العيوب ، التى تلمسها فيما قدم به لبعض قصائده من خطب ورسائل ومقدمات ، ثم تلك الخطبة التى كتبها لكتابه «صحيح الأخبار» ثم عدل عنها ، وذلك ما أوضحناه سلفا .

ولنقرأ له على سبيل المثال قوله فى مقدمة الجزء الرابع من «صحيح الأخبار» لنجد شاهد ما قلناه واضحا جليا قال : (وأنا كثير التجول فى بلاد العرب من مدة طويلة لا تقل عن أربعين سنة أصعد فى الجبال ، وأنحدر فى الوهاد ، وأتسلل الى الكهوف أحتمى بهامن حمارة

القيظ وضبارة الشتاء ، أو أهبط على المياه ، أو أنزل بالمواضع التي نزلها قبلى شعراء وملوك وأمراء ، وطالت صحبتى لهذه الأماكن التي حفل بذكرها الشعر الجاهلى وشعر صدر الاسلام ، كما طالت صحبتى للصحراء وكثر ترداى على المدن والقرى ، والأماكن التي عفا رسمها وزال أثرها وكنت أرى غروب الشمس فى الصحراء ، التي لا ترى فيها جبلا أو شجرا أو أثرا للحياة ، كما كنت أشهد فيها تنفس الصبح وأملا رئتى بالصبا ، كما أن هذه الصحراء تنكرت لى كثيرا وعبست فى وجهى ، وكادت تلتهمنى زمالها كما التهمت كثيرين غيرى ، ولكن (الله سلم) (١) .

أسلوب هادىء رزين فى طواعية وانقياد ، لا تصم الآذان جلبلة التصنع فى ألفاظه ، ولا يعكر صفاءه ضجيج المحسنات ، ولا يشوبه الاسفاف أو الابتذال ، الألفاظ فيه على قدر المعانى ، لم يلجأ فيه حتى الى التشبيه والاستعارات الا قليلا (كتنفس الصبح) و (تلتهمنى الصحراء) ، وما خلا ذلك تصوير لواقع الحياة ، التي كان يحياها أبناء الصحراء منذ ما ينيف على أربعين عاما .

ومع هذا البعد عن أساليب وعبارات التأنق والتنميق فى الكلام ، جاءت أساليبه على هذا النحو المشرق الوضىء الموصل الى المقصود بلا عنت وعناء ، تلوح فى أعطافه ملامح الفطرة ، ويجمله جلال الصحراء وجمالها فى بساطة لا تنحط الى درك السذاجة ، ولكنها منزهة عن العمل والتكلف والاصطناع .

وقد يقول قائل : ان هذه مقدمات واستطرادات ، وليست مقالات ادبية ، وبمثل هذا أقول : لكنها ليست عملا علميا ولو انفصلت من موضعها ، لعدت مقالات أو شيئا من هذا القبيل، فهى فى باب الأدب أدخل

وأكثر ما يتجلى فيه الأسلوب الأدبي ، وتبين فيه قدرة الأديب ،
وتتضح من خلاله الملكات ، ميدان الوصف حيث يطيب للاديب المتمكن
أن يتلاعب بالأساليب والألفاظ .

وكل كتابات صاحبنا فى كتبه وصف ، ألا أنه فى جملة وصف
علمى ، اما الوصف الأدبى فنصيبه أقل ، غير أنه يعطينا صورة حسنة
لأسلوب ابن بليهد فى هذا الميدان .

ولنأخذ على سبيل المثال وصفه لبلاد «نجد» وهو من المقدمة
المخطوطة :

(ان «نجد» هى أحسن البقاع وأطيبها ماء ، وأشرحها فضاء ، لها
مزية فوق كل البقاع ، وأجزم أنه لا منازع لقولى فى ذلك ، فهى أشرف
الأراضى وأهلها أشرف الناس ، منها تستخرج المعادن ، وفيها يطمئن كل
ساكن ، فما أحسنها اذا كثرت فيها الأمطار ، وتخالفت فى أوديتها
وسهولها ، الأزهار ، واخضرت فى جوانب جبالها وهضابها الأشجار ،
تقر فيها عين كل ناظر ، ويطرب فيها كل باد وحاضر ، المشى فيها
رياضة ، والتجول فيها فكرة ، وهواؤها طرى ، وشرابها مرءى فهى
فوق ما يصف واصفوها) (١) .

انه فى وصفه هذا يثنى على ماء «نجد» وهوائها ، وطبيعتها وأهلها
وينفى جازما المثل لها ، وأن احدا لا يمكن أن يخالفه فى ذلك ، اذ أن
«نجد» هى أشرف البلاد ، وأهلها أشرف الناس ، ثم يعزز ذلك باستخراج
المعادن منها وانتشار الأمن فيها ، الى ما يكسوها من جمال وجلال حين
تغسل أديمها السيول ، فتلبسها حلل الربيع الضافية تجر ذيولها الجبال

(١) أنظر أوراق مخطوطة .

والهضاب ، وتلتحف بوافرها السهول والوديان فيرتاح لها كل مرتاد متفكرا أو مستروحا .

ب - ● الحكايات ● :

عندما يعتمد الاديب الى تصوير حالة من حالات : التاريخ أو الادب أو الاخلاق أو الاجتماع أو نحو هذا تصويرا ، ينزع فيه عن ميوله واتجاهاته ومرئياته ، وبأسلوب أدبي فنى ، فانه لابد أن يفرغ ذلك فى أحد القوالب الأدبية : قد يكون مقالا ، وقد يكون قصيدة ، وقد يكون قصة فهو على أى حال عمل أدبي تضمن تجربة أدبية ، لا أن يكون صاحبها قد استهدف فيها غرضا من الأغراض ، وهذا بدوره يختلف باختلاف اتجاهات الكاتبين وميولهم .

وعندما يقوم العمل الأدبي على أسس من الحديث ، واعطاء الاشخاص دورا فى تكوينه ، والأسلوب السردى ورعاية الظرف الزمانى والمكانى بطريقه خاصة ، فذلك هو القصة فى هذا العصر .

وطبعى أن تجمل الطابع الفكرى الخاص لكاتبها ، وأسلوبه فى معالجة الأحداث وتفسيرها واستنطاقها ، والاتجاه الى مواطن الشعور فى الانسان وأخلاقه وطباعه ، وتحليلهما تحليلا يغمس الشخصية فى العمل أو يولده منها ، وهذا الأخير هو أساس الفروق بين القصة ، فى عصرنا والقصة فى القرون الماضية (١) .

لكن متى نشأت القصص ، والحكايات ، ولماذا ؟

(١) انظر ص ١٥ من تاريخ القصة والنقد فى الأدب العربى السباعى بيومى - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٦ م

(نشأ الانسان ميالا بطبعه الى حكاية ما يقع له ، وما حكايات الجذبات والأمهات والعجائز ببعيده عن مداركنا ، فقد كن يحكين لنا ونحن أطفال صغار للتسلية أو للتنويم أو للالهاء أو للتربية ، وكانت الواحدة منهم ينقد معينها ، ولكن أزاء الحاح الصغار تبدأ تنزيـد وتخترع ، وتلوك لسانها بما حلا لها أن تقوله) (١) •

فالحكايات اذن وجدت مذ وجد الانسان ، فسارت معه فى تاريخه الطويل ، وكأنما هى جزء من حياته ، أو هى كذلك حقيقة، ثم تراكمت الحكايات ، أصولا واضافات، حتى أصبحت تكون جزءا هاما من التراث الفكرى ، وكان للعرب كسائر الأمم: حكاياتهم وأساطيرهم ، عاشت معهم أزمنة وأزمنة ، حتى تلقفها الرواة والمدونون فى صدر الاسلام أيام بنى أمية وما بعدها •

(وعلى هذا نتصور أن العرب كانت لهم حكايات ومجالس قص ، وأخبار كان الاخباريون يتناقلونها حتى تجمعت فى عدة كتب) (٢) •
وحينما نتحدث عن الحكايات عند ابن بليهد ، لا نطمع فى أن نجد لديه فنا قصصيا بالمفهوم الفنى للقصة فى هذا العصر ، لأسباب أهمها: أ - أن القصة بمفاهيمها وأصولها الحديثة طارئة ، على الأدب العربى وان كنا نرى ان لها جذورا فى الأدب العربى القديم متمثلة فى تغريبة بنى هلال ، وقصة عنتره وما شابهها ، والأصول التى بنيت عليها •
ب - ثم أن البيئة التى نشأ فيها ابن بليهد لم تعرف هذا الفن الأدبى ، وقليل جدا من المثقفين فى زمانه من كان يميل الى قراءة القصة الحديثة فضلا عن كتابتها •

(١) قضايا النقد الأدبى الحديث • دكتور محمد السعدى فرهود ص ١٥٢
مطبعة زهران بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨ م •
(٢) المرجع السابق ص ١٥٢ - ١٥٣ •

ج - أضف الى ذلك أن اتجاه صاحبنا ونوع ثقافته لم يكن يسمح بمثل هذا ، من هنا جاءت الحكايات فى مؤلفاته على نمط ما نراه فى بعض من قصص العرب القديمة .

صحيح أن تلك الحكايات ذات بداية ، ونهاية ، وقد تتوافر فيها العقدة كما يعقبها الحل ، لكنها على نحو لا يسمح فنيا بالحاقها بالقصة الحديثة .

ويمكننا أن نقسم الحكايات عنده الى قسمين : حكاية ، ورواية تاريخية ، وكلها منتزعة من البيئة وأحداثها، ومصورة للاوضاع القائمة فى مجتمعها ، ومتضمنة لكثير من العادات والتقاليد والعبر .

(١) فاما الرواية التاريخية :

فأنها كثيرا ما تتناول أحداثا تاريخية قامت على أديم بلاده ، فيها القديم ، وفيها ما عاصره الكاتب .

ثم أنها ليست رواية تاريخية بالمفهوم الأدبى ، وانما هى سرد للأحداث على نحو فيه نوع من التماسك ودقة الملاحظة والتتبع لجزئيات الأحداث ودقائقها، الأمر الذى يجعلك تقرأه وكأنك تتابع عملاقصصيا

ولما كانت مثل هذه الأحاديث ألصق بالتاريخ ، فانا نكتفى هنا بالاحالة الى بعضها فى صفحات كتاب «صحيح الأخبار» (١) ، وهى فى جملتها سرد أو اقتضاب لأحداث تاريخية ، جاءت عنده فى صورة استطرادات فى حديثه عن الأماكن والبقاع الذى هو موضوع الكتاب .

(١) انظر صحيح الأخبار - الطبعة الثانية (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) = ١ : ٤٤ ، ٤٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ و ٢ : ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ و ٣ : ٢٣٤ - ٢٣٦ و ٤ : ٩٤ - ٩٦ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ و ٥ : ٢١٢ - ٢١٣ .

٢) الحكايات :

وتشغل الحكايات جزءا هاما من مؤلفات ابن بليهد ، وتكون الخرافات والأساطير جانبا ضئيلا منها .

وقبل أن نأخذ بأطراف الحديث عن الحكايات ، يحسن بنا أن نفرق بين الحكاية والخرافة والأسطورة ليزيد ذلك هدفنا وضوحا وتبيناً .

الخرافة والأسطورة بمعنى واحد ، وهى مالا أصل له فى التاريخ خلا ما قام فى أذهان الحكماء او الكهنة والعرافين وأمثالهم ممن قاموا بنسج مثل هذه الخرافات ، فالخرافات والأساطير هى الأباطيل أو الأحاديث التى لانظام لها ، أو أحاديث تشبه الباطل أولا أصل لها .

واذا كانت الخرافة والأسطورة بمعنى واحد ، وهى أنها الحكايات التى ليس لها أصل فى العادة ، وان جاز عقلا أن تكون ذات أصل ألا أنها لم تقم على أساس من الحدث الواقع ، أو الممكن الوقوع عادة لكنها تنسج من الخيال لأغراض اجتماعية ، واصلاحية يستهدفها الحكماء والمصلحون بمثل هذه الأساليب ، ومثل ذلك معهود فى جميع أجناس البشر خاصة القديم ، اذ هو لجهله وعدم تقدمه الحضارى ، المرتفع الخصب لمثل هذا النوع من الكلام (١) .

فمن الطبعى أن يكون للعرب وبخاصة فى جاهليتهم من ذلك نصيب

(١) انظر الكتب الآتية - لسان العرب طبعه مصوره عن طبعه بولاق - الدار المصرية للتأليف والترجمة .

النقد الأدبى الحديث : محمد غنيمى هلال - مطبعة الشعب ١٩٦٤ م .
الحكاية والخرافة : فريد ريش فون - ترجمة دكتور نبيلا ابراهيم - دار الهنا للطباعة .

مصر الأساطير : توماس بلفيتش - ترجمة رشدى السيسى - مطابع البلاغ شارع منظور القاهرة سنة ١٩٦٦ م - محمود تيمور .

ومن شواهد ذلك عندهم حكاية الأرنب والثعلب والضب ، وذلك حين اختصمت الأرنب والثعلب على تمرة وجدتها فتفقا على أن يحكما الضب بينهما لكن الضب يخشى أن هو خرج للحكم أن يأكله الثعلب ، فأصدر الحكم وهو فى حجره الذى دعاها الى الدخول فيه ، لعلمه أنهما لن يستطيعا ذلك لضيقه .

وهدف هذه الحكاية أمور منها :

أولا : أن الحكم يجب أن يقصد فى بيته ليكون أكثر حرية وأبعد عن نفوذ الآخرين ، وذلك ما يجعل الحكم أقرب الى الصواب .
ثانيا : أن الانسان يجب ألا ينخدع بكلمات الشناء فقد تكون فخا منصوبا للاضرار به أو القضاء عليه (١) :

أما الحكاية : فانها أعم من الخرافة والأسطورة ، لدالتها على ماله أصل من حدث أو عادة أو تقليد وما لا أصل له من ذلك ، فالحكاية اذن أشمل من الخرافة والأسطورة أو قل ان بينهما عموما وخصوصا ، وذلك لأن كل أسطورة وخرافة حكاية ، وليست كل حكاية خرافة وأسطورة .

اسلوب الحكايات عند ابن بليهد :

واسلوب ابن بليهد فى حكاياته أسلوب عربى أصيل ، ونهج مألوف عند العرب ، وهو يبالغ فى نسبة حكاياته هذه الى الحقيقة ، فيضع بعضها تحت عنوان مذكرات ، ويورد بعضها الآخر فى صورة استطرادات تاريخية عند ذكر الأماكن والبقاع .

(١) «خلاصتها» أن الأرنب وجدت تمرة فاخترطها منها الثعلب ، وجرت بينهما خصومة انتهت بالاتفاق على تحكيم الضب ، فذهبا اليه ووقفا بباب حجره ثم نادياه ، يا أبا الحسل ، قال سميعا دعوتما ، قالأ أخرج فاحكم بيننا ، قال : فى بيته يؤتى الحكم ، قالت الأرنب وجدت تمره ، قال الضب حلوة فكليها ، قالت فاخترطها منى الثعلب ، قال : لنفسه بنى الخير ، قالت : فلطمته ، قال بحقك أخذت ، قالت : فلطمنى ، قال حر انتصر ، قالت : فاقض بيننا قال : قد قضيت .

ثم انه يرويها تارة على لسان غيره ، وأخرى يكون هو الشخصية الأولى بالنظر فى الأسلوب ، وترتيب الأحداث ، وطريقة الربط بينها ثم كيف بدأت وانتهت ، .

ولتبين ذلك واضحا لابد من أن نتناول بعضها بالدراسة والتحليل وسنختار حكاية واحدة مما ورد فى آخر الجزء الخامس من كتابه «صحيح الأخبار» باسم مذكرات .

نص الحكاية : (١)

يقول ابن بليهد : (حدثنى برجس بن عيده فى حديث بينه وبين رجل أخر قال : خرجت يوما من الأيام فبت فى شرقه (٢) ، فلما أصبحت وخرجت قاصدا أهلى وهم قاطنون على منهل مكينة ، وجميع مياه السر نازلتها بنو عبدالله بن غطفان ، وأقسام من عتيبه وكلهم جيران لبعض فما شعرت الا برجل قادم من بلد البرود ، وعلى ذراعى قطعة قماش ، وعلى رأسه جراب ملان من القهوة ، فكلما خرجت من طريق خرج أمامى اليه ، وقد رأيت علامات الشرف فيه ، فقلت له : أيها الرجل ما تريد منى ؟ قال : أريد أن أخذك الا أن وضعت القماش الذى معك وتفسخ ثوبك وتضع عصاك وتترك الجميع ، فقلت له : من حين ولدتنى أمى لم يطمع فى أحد ، وهو معه شعاب وقديمى محتزم بها ، وقلت له : أنا من عتيبه قال : واللعة عليكم ، فوضع جراب القهوة الذى على رأسه وقصدنى ومشعابه (٣) بيده ، وليس معى سوى غصن من

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٢٧٦ - ٢٧٩ .

(٢) شرقة : قصر يملكه رجل يقال له : مشوح ، وهى من قرى السر المشهورة .

(٣) مشعاب : تستعمله الأعراب يقال له : محجان ، وقد ذكره الشاعر محمد بن

عشيمين فى قصيدته المشهورة حين قال :

تركته وحده يمشى وفى يده : بعد المهند مكاز ومحجان .

الخيزران ، فضربت به فانكسر ، وتماسكنا بالأيدى وأنا أكبر منه قامة ، وهو رجل قصير القامة ، فاذا رفعته عن الأرض قصدى أحدفه فى الأرض ، فاذا وردت رجلاه ثبتت ، فلما أعتنى الحيلة ذكرت قديميته (١) وقد نسيها ونسيتها ، فذكرنى بها نصابها لما لمس بطنى ، فأدخلت يدى وجذبتها وطعنته بها فى تربيته على حد الكتف ، فحسست بدمه على يدى ، ثم أرتخت يداه ، وسقط على الأرض وأخذت جراب القهوة واحتزمت بقديمية ، فقصدت منهل عسيلة ، وبها قبيلة الثبتان ، وقصدت منزل رؤسائهم الرباعين ، واذا أمامى بيت كبير وبه ناس جلوس ، فسألت عن هذا البيت لمن هو ، فقالوا هذا بيت مصلط بن ربيعان ، فقصدت ناديتهم فرأيت شيخا وقد أسن ، فسلمت عليه وأومأ بيده الى جهة من المجلس أن أجلس بها ، فجلست وأمر صاحب القهوة أن يديرها على الرجال ، فخلصت الدلة قبل أن يصلنى منها فنجال واحد ، فقلت لخادمة الذى موكل بالقهوة وتصليحها : ارم المبرد (٢) فرماه فملاته من القهوة التى معى فى الجراب ، الذى يملكه قبل ساعة رجل غيرى ، فما شعرت الا برجل من قومنا الدعاجين ، يقول : سلام عليك يا برجس ، فعزمنى واستأذن صاحب البيت الذى أنا به ، فذهبت معه وأثر الدم فى يدى وعلى حزامى وفى جراب القهوة ، فذهبت مع الذى عزمنى وهو الجووير الدعجاني ، فتفديت عنده ومضيت الى أهلى ، وأقمت عندهم شهرا ونصف وأنا لا أشك أن صاحبى قد مات .

وكانت قبيلة الحمزان الذين يرأسهم ابن جاسر قد فقدوا رجلا منهم ، خرج فى سفر فى اليوم الذى واجهت فيه صاحب الجراب ، فبعد مضى شهر ونصف بحثت قبيلته عنه ، فذكر لهم أن رجلا جاء فى بيت

(١) قديمى : سلاح يشبه السكين ولكنه معقوف وله حدان .

(٢) المبرد : هو الذى توضع فيه القهوة قبل حمسها . ويكون من خشب أو خوص .

مصلط بن ربيعان ، فما زال الثبتان يسألون عن الرجل الذى رأوه فى بيت مصلط بن ربيعان ، حتى اهتمدوا الى الطريقة التى يعرفوننى بها فقليل لهم : ان جاركم الجوير عزمه وذهب به الى بيته ، فسأل الجوير : من الدعجاني الذى عزمته ؟ فقال هو برجس بن عيده ، فقال الحمران قبيلة المفقود - ان صاحبنا لا نشك أن الذى قتله هو ابن عيده فعزموا على أخذ الثأر به ، وكان ابن عدل الحنتوش خالا لابن عيده ، فدبت فى جسده حمية المصاهرة ، وركب من حينه حصانا أسود ، وقصدنا ونحن قاطنون على منهل مكينة ، فما شعرنا الا بصياحه وهو على ظهر جواده ، وهو ينادى ويقول : ادخلوا على يا آل عيده أقرع عنكم الحمران ، حتى يثبت الخبر اما تقرون لهم برجلهم او تنفونهم ، فدخلوا عليه خمستنا وهم بنو عمنا ، فلما ركب على جواده قال لهم : لا تعملون أى عمل حتى يأتیکم منى خبر ، فلما رجع الى قبيلة الحمران جاءهم وقد ذهب من الليل ثلثه وهو على ظهر جواده ، فنادى بأعلى صوته فقال : ترانى (١) أقرعکم يال حمران عن قبيلة ال عيده ، حتى يثبت رجالکم المفقود الذى اتهمتوا برجس بن عيده أنه قاتله ، فقبلوا ورضوا بما يحکم به مصلط بن ربيعان ، فأخذ ابن عدل منهم وعدا فى يوم معلوم ، وجاء ابن عدل راجعا علينا ليخبرنا عن قبولهم بما يحکم به مصلط بن ربيعان ، فلما قرب اليوم الذى فيه وعد حضورهم وحضورنا ، قال لى بنو عمى : لا تذهب معنا لانك متهم بقتل صاحبهم ، فقلت لهم : لا بد من حضورى لأدافع عن نفسى ، فركبنا من منهل مكينة وقصدنا عسيلة ورئيسنا غازى بن عيده ، فلما انخنا ركبانا عند مصلط بن ربيعان وجدنا قبيلة الرجل المفقود ، وقد أحضروا الشهود الذين رأوا أثر الدم فى يدي وعلى قميصي والجراب الذى كان معى ، فقال لهم مصلط : لا يتكلم أحد منكم ، حتى نضيفکم فما شعرنا قبل أن نشرب القهوة الا

(١) ترانى : انى ، اقرعکم : امنکم .

بثلاث ركائب عليها خمسة رجال ، فأناخوا ركائبهم عند بيت الرئيس
 مصلط بن ربيعان ، وعلى ركائبهم الهلال وهذا هو وسم بنى عبدالله
 بن غطفان ، فجلس بجوارى رجل منهم وكنت مغرماً بشرب الدخان وأنا
 ملتثم بعمامتى ، فلما عزمت على الشرب وولعت العظم قال
 الرجل الذى جنبى : لا تخلىنى بلا دخان فلما أبعدت لثامى عن وجهى
 قال الرجل الذى جنبى لما عرفنى : أنت الذى بغيت قتلى نهار وافقتك
 عند شرقه ، قلت له : أخبرنى بما حصل بينى وبينك فى ذلك الحين
 فأخبرنى بجميع ما حصل قلت له : وهل باقى للطعنة أثر فقال : الى
 الآن لم تبرأ ، فقلت له : أن قبيلة من عتيبه اتهمونى برجل مفقود منهم
 فأخذته بيده وتقدمت به الى مصلط بن ربيعان ، الذى رضيت القبيلتان
 بحكمه ، فقلت له : أيها الأمير قد أظهر الله النور بقضيتى وهذا
 الرجل يقص عليك ما حصل بينى وبينه ، فالتفت مصلط بن ربيعان الى
 العبيدلى الذى طعنته وأخذت جرابه ، فقال له بعد ما سرد عليه الخبر
 هل باقى من طعنته أثر ؟ قال : نعم ، فخلع قميصه وأرى مصلطاً مضرب
 الطعنة ، واذا باقى منها أثر فندب احد رجاله وقال : اصعد على هذا
 المرتفع وقال : ارفع صوتك بالبياض (١) على برجس بن عيده ، وازهم (٢)
 الحمران قبيلة الرجل المفقود وآتنى بكبارهم ، فلما حضروا قال
 لهم : هذا الرجل الذى جاءنا برجس بن عيده ودمه عليه وخذوا الكلام
 من رأسه ، فلما أخبرهم بما حصل بينه وبين ابن عيده قنعوا ، وقال
 لهم مصلط :

انظروا الطعنة فى ظهره لم تبرأ ، فلما رأوها قال ابن جاسر وهو
 رئيسهم : أنت فى وجهى ، وأمان الله لن يأتيك ما تكرهه .

(١) البياض : البرأمة .

(٢) ازهم : ادع .

فالحكاية كما تراها تروى قصة صراع كان بين برجس وأحد رجال
البادية ، وكان هذا الأعرابي قد طمع فى أن يسلب برجسا ثوبه وما
معه ، فلما دار الصراع بينهما تغلب برجس بعد لاي عليه ، فسلبه
بضاعته وسلاحه وخلاه فى مكانه جريحا ، وعند مرور برجس باحدى
القبائل ، لمحو الدم على ثوبه وسلاحه .

ومر شهر ونصف شهر ، واتهم برجس بقتل رجل من احدى القبائل
كان فقد فى ذلك اليوم الذى رؤى فيه أثر الدم على ثياب برجس وسلاحه
ويعقد مجلس شيوخ القبيلة لمقاضاة برجس والحكم له أو عليه ،
ويكاد يصدر الحكم عليه بالقتل، لولا حدوث المفاجأة مصادفة بحضور ذلك
الرجل الذى طعنه برجس وجلوسه بجانبه ، دون أن يعرف كل منهما
صاحبه ، وكان برجس ملثما ، وحين اراد اشعال سيجارته نزع اللثام
فالتفت اليه جاره يطلبه بعضا من التبغ وعندها تعارفا ، فأخذ برجس
بيد الرجل وقدمه الى شيخ القبيلة كشاهد على براءته من دم القتل
فلما استخبره شيخ القبيلة الخبر قص عليه ما جرى بينه وبين برجس
طلب منه الدليل وهو الجرح الذى تركه سلاح برجس ، فكشف عن كتفه
وأراه الجرح الذى لم يلتئم، بعد فحكم الشيخ ببراءة برجس من دم القتل

فهذه الحكاية كما تراها تدور حول حدثين هما :

أ - ما جرى بين برجس وصاحبه العبدلى .

ب - اتهام برجس بدم الحمرانى وقد التحما على نحو بديع جعل
الثانى كأنما هو نتيجة للاول أو ملابسة اقتضاها .

ثم ان الحكاية ذات بدايه هى الصراع الذى جرى بين برجس
والعبدلى ، وعقدة تتمثل فى اتهام برجس بدم الحمرانى، وحل أونهاية
تتمثل فى حضور العبدلى وشهادته .

ثم أن الشخصية الأولى فيها ظلت حيه لم يطغ عليها حتى النهاية ،
ثم هى مرتبطة بالزمان والمكان ، وتتخللها شخصيات كثيرة ، ثم أن
لفتها قريبة مفهومة الى حد ما •

ومع ذلك لا نستطيع أن ندعى أنها قصه حديثة ، تنطبق عليها
ضوابط وشروط القصة كما يفهمها النقاد المحدثون ، وذلك لفقدانها
جوانب فنية تتعلق بطريقة الحبكة وأسلوب سياق الكلام •

ثم أن ايراد بعض الألفاظ المستعملة فى بعض المواقف ، من الأمور
غير المقبولة لدى النقد الحديث ، ولكنها بعد هذا وذاك شاهدة بما
للرجل من قدرة فنية وملكة قصصية ، لو اتيحت لها ثقافة قصصية
ومرانة وموالاة جادة لأنجبت كثيرا من الأعمال الناجحة •

ثم انها - وهى على ما هى عليه - تعطى كثيرا من سمات المجتمع
وتقاليده وأخلاقه وطباعه ، ونوع النظم والمعاملات المتبعة فيه فهى
منتزعة منه ، تصوره وتمثله •

ومما يلحظه القارئ أيضا اختفاء دور المرأة فى تلك الحكايات ،
اللم فى بعض الزوايا الجانبية القليلة ، التى قد تخلو منها بعض
الحكايات خلوا كاملا كالحكاية التى قدمنا •

وهذه من الأمور التى أقتضاها مجتمعه وفرضتها بيئته الدينية
المحافظة ، التى تحرم الاختلاط وترى المرأة عورة ، يحفظ الرجال
سيرتها ، وكرامتها ، الى حد جعلهم يعتبرون التصريح بأسمها عيبا •

ثم أن طابع التأليف فيها قائم على السرد وتتابع الأحداث والخواطر
دون عناية بالربط الفنى بين جزئياتها ، ومن ذلك أيضا عدم التحليل
والتأمل ، لدى المواقف المثيرة وعدم افساح المجال لتصارع العواطف

والمشاعر فى النفس ، خاصة فى مثل موقف برجس بن عيده عندما أتهم بالقتل وقدم للمحاكمة، فظهر فجأة من بيده دليل نجاته، ثم موقف العبدلى حين وجد خصمه ، الذى طعنه وسلبه ما معه ، وهما موقفان جديران بالوقوف أمامها . وإطلاق العنان لصراع المشاعر المضطربة والمضطربة فى آن واحد .

وجميع ما أورده من القصص والحكايات معدود فى أدب الفروسية والبطولات ، وتشبه فى أسلوبها وطريقة سردها الى حد كبير حكايات تغريبة بنى هلال ، فكلها تدور حول أحداث بطولية ، جلها فردية ، ثم أنها تطعم بالأشعار النبطية ، والكلمات المتداولة فى بيتها فى مثل تلك المواقف .

على أن تلك القصص لا يربط بعضها ببعض إلا رواية الراوى ، أو دوران بعضها على أيدي أبطال من قبيلة واحدة ، وقد تدور أحداث القصة حول أفعال مجموعتين من قبيلتين متصارعتين ، كما قد تدور بعضها حول أحداث يكون بطلها شخص أو شخصان .

والمؤلف تارة يروى هذه القصص عن راو ، كصنيعه فى المذكرة الأولى حيث روى القصة فيها عن برجس بن عيده ، وقد يقوم هو بدور الراوى كصنيعه فى المذكرة الثانية والثالثة . (١)

ونود أن نشير هنا الى أمرين :

أولهما : أننا نميل الى أن لأحداث هذه الحكايات أصولاً ، في الحقيقة والواقع ، لقربها مما كان يحدث في تلك البيئة التي كانت الى البداوة أقرب ، ثم أن الحياة القبلية هي التي تحكم الأوضاع في ذلك الزمان الذي ما كان يختلف عن حياة العرب الأولى الا بقليل من السمات - (١)

ثانياً : ان المؤلف يقوم بتفسير ما يغلب على ذهن خفاؤه ، وذلك في هامش الكتاب ،

(١) انظر حديثنا عن الحياة الاجتماعية - الفصل الثالث من الباب الأول .

الفصل السابع

الشعر العامي أو النبطي

لماذا نتحدث عن الشعر النبطي ؟

تقدم لنا أن ابن بليهد كان من شعراء العامية البارزين من قبل أن ينظم الفصيح واستمر اصطحابه للعامي الى جانب الفصيح ، فنظم في كليهما حسب المناسبات والمقام .

وحين طبع ديوانه وضع له ملحقا ، هو مختارات من الشعر العامي أولها : من شعره (١) ، والثاني مختارات من شعر سته من مشاهير شعراء العامية بنجد (٢) .

وفي مؤلفاته الثلاثة «صحيح الأخبار» و«تحقيق صفة جزيرة العرب و «ما تقارب سماعه» - نلمس اهتمامه بالشعر العامي ، واستشهاده به في ثنايا أحاديثه .

ومن هنا بات لزاما علينا أن نتحدث عن هذا الفن ، لا لاجبابنا به ولا لتأييدنا له ، فاني قد أبنت في أكثر من مناسبة في بلادى ، أنه يجب الحد من غلو المغالين في تأييد ودراسة الشعر العامي وأن عنايتنا يجب الا تتجاوز النظر فيه ، على أنه أثر من آثار فترة من تاريخ أمتنا، ضعف فيها لسانها الفصيح وسيطر اللحن على أدبه وفنونه .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٩ - ٣١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣٥٣ .

ان العناية يجب أن تنصب على استنقاذ لساننا وأدبنا من تلك الهوة ، التي تردى فيها أيام عصور الظلام التي ذهبت •

وفى اعتنائنا بالشعر العامى ودراسته ، ايجاد عامل مضاد لما نسعى اليه من اعادة سلطان الفصحى على اللسان العربى ، لا لكونه لسان تراث الآباء والأجداد وحسب ، بل لكونه لسان الكتاب العزيز والسنة المطهرة

وعلى الرغم من وجود هذه الأسباب لا نستطيع اغفال الحديث عن هذا الفن ، لأسباب أخرى مقنعة وان لم تكن أقوى ، كقبول بعض الباحثين لهذا الفن واقبالهم على بحثه ، ثم تضمين صاحبنا ديوانه ومؤلفاته شيئاً منه على أنى سأختزل الحديث الا فيما تدعو الحاجة الى وقفة عنده ، من أمر الشعر النبطى : العامى فى جزء عزيز من بلاد العرب هو : قلب جزيرتهم —•

● تسميته بالنبطى ●

جرى الناس فى جزيرة العرب ، وبوادي الشام والعراق ، على اطلاق كلمة «الشعر النبطى» على الشعر العامى ، فأما كلمة عامى فواضحة الدلالة ، اذ هى نسبة الى العامة أى سواد الناس ، والشعر العامى يقابل الفصيح من الكلام •

وأما كلمة نبطى فان فى نسبتها شيئاً من الخلاف ، ولذا سنورد هنا ما يوضح أصلها ويكشف الأمر فى نسبتها •

قال تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم(١))

(١) سورة النساء • آية ٨٣ •

وجاء فى الحديث : «من غدا من بيته ينبط علما فرشت له الملائكة
أجنتها» وجاء فى حديث آخر «ورجل ارتبط فرسا ليستنبطها أى يطلب
نسلها» .

وقال كعب بن سعد الغنوى :

قريب ثراه ما ينال عدوه
له نبط عند الهوان قطوب

وقال ذو الرمة

وقد لاح للسارى الذى كمل السرى
على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الأنبط البطن قائما
تمايل عنه الجل فاللون أشقر

أستشهد بذلك وبغيره ابن منظور فى لسان العرب (١)، وأوضح أن
معنى : نبط واستنبط خرج واستخرج ، ومنه نبط الماء اذا خرج من
الأرض ، واستنبطه : واستخرجه ، واستنبط الفقيه المسألة : استخرج
مفهومها .

والنبط والأنباط : قوم كانوا يقطنون شمالى الجزيرة فى بادية
العراق والشام، وقيل أنهم سموا بذلك لعملهم فى الزراعة واستخراجهم
الماء من الأرض ، وذكر صاحب اللسان أن النبط والنبطة بياض تحت
أبط الفرس (٢) .

(١) لسان العرب ٩ : ٢٨٧ - ٢٨٩ . طبعة مصورة عن طبعة بولاق - المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .
(٢) المرجع السابق .

وانما الذى يعيننا هنا نسبة الشعر العامى فى جزيرة العرب اليهم
كما هو أحد الزأيين فى تسمية هذا الشعر (بالنبطى) ، قال الشيخ
عبدالله بن خميس : واليهم ينسب الشعر النبطى (١) .

وقال ابن بليهد حين عرض لذلك (وهؤلاء أعنى أهل الأشعر
النبطية - عرب على فطرتهم ، حذوا فى كلامهم حذو قوم من أهل
البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب فى بواديهم ، وأصل مساكنهم
الأباطح التى بين «العراقين» «العراق» العربى و (العراق العجمى)
وقد كانوا معروفين باسم النبط ، منذ العصر الجاهلى الى اليوم) .

ثم أردف قائلا : (ثم أختلط هؤلاء بالعرب فى بواديهم بحكم الفرار
من الحرب ، وزارهم فى بلادهم عرب من خلص العرب ، فانتقل الى
هؤلاء شىء عن لسانهم وطريقتهم ، فى التحدث عما فى أنفسهم من
خوالج ، فكان من أثر ذلك أن انتقل الى كثير من العرب فى نجد وغير
نجد من بلاد العرب أسلوبهم فى الشعر فقالوا على مثاله) (٢) .

ويرى بعض الباحثين أنه سمي النبطى ، لأنه كان ينظم ابتداء
وارتجالا ، لعدم تقيده بالفصحى أى أنه يخرج من صاحبه ، كما ينبط
الماء من الأرض «أى يخرج» ويحلو للكثيرين فى عصرنا أن يسموا
الفنون العامية «بالشعبية» ، فيقولون : القصص الشعبى ، والشعر
الشعبى ، والأدب الشعبى ، نسبة الى الشعب ويعنون بالشعبى هنا :
العامى ، ومقتضى هذا اخراج الأدب الفصيح من ميدان الدلالة هنا ،
وكان كتاب الفصيح وقراءه ليسوا من الشعب .

(١) الأدب الشعبى فى جزيرة العرب . للشيخ عبدالله بن خميس ص ٢٧ مطابع
الرياض . سنة ١٣٧٨ .
(٢) صحيح الأخبار ٢ : ١٨٩ .

ورأى أن يسمى هذا النوع من الكلام بالعامى ، فنقول : الشعر العامى ، والأدب العامى ، والقصص العامى وهكذا ، ولابن خنيس حديث آخر عن هذا الشعر قال فيه :

(ان هذا الشعر هو ما يسمى بالشعر النبطى ، وبعضهم يسميه الشعر الشعبى ، وبعضهم يسميه الملحون سمي شعرا نبطيا ، لأنه ربما تأثر بلغة الأنباط ، واللغة المدخولة والمزيج من اللغة العربية وغيرها لأن الأنباط ليسوا عربا ولهم ألوان شعبية ، وألحان ، وأصوات موسيقية يطربون بها الناس ، ويستجلبون نوالهم على نحو ما يفعل «النور» و «الصلب» و «الفجر» الآن .

وقيل : انه من النبطية وهى السمة والعلامة ، فكان صورته التى جاء عليها بمنزلة السمة ، التى تميزه من غيره وسمى شعبيا ، لأن أكثر من يعنى به سواد الشعب وعامتهم ، والناس ينسبون الى الشعب كل ما كان كذلك ، فيقال : حى شعبى ، ومقهى شعبى هكذا ، ويسمى ملحونا لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى) (١) .

● نشأة الشعر العامى ●

لم أقرأ عن علماء اللغة ورواتها ، منذ شاعت الرواية فيهم ، أن أحدا منهم روى شعرا يشبه هذا الشعر العامى .

فالشعر العامى : لم يكن له وجود على الأقل فى القرن الثانى والأول الهجرى وما قبلها ، ولا يستدل فى هذا بما ورد فى تغريبة بنى هلال وما

(١) الشعر النبطى امتداد للشعر الفصحى . بقلم عبدالله بن محمد بن خميس بحث مقدم للمؤتمر الأول للادباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز بتاريخ ١-٣-١٣٩٤ هـ ص ٤ .

شاكلها من القصص ، اذ من المعلوم أنها وضعت أو أضيفت ومددت في
عصور متأخرة من أيام العباسيين •

وعندما ننظر فيما سمي بالفنون السبعة أيام العباسيين ، وهي :
«الدوبيت - القوما - كان وكان - والموالي والسلسلة - والزجل -
والموشح» نجد منها ما هو عامي ، وما هو خليط من العامي والفصيح ،
وما ينظم تاره بهذا وأخرى بذاك ، وهذا لا يحدد لنا أيضا بداية الشعر
العامي ، ولكن يدل على أنه أو شيء يشبهه كان موجودا منذ أخريات
القرن الثالث •

ولقد وجد الشعر العامي في كل اقليم من الأقاليم العربية وان
اختلفت التسمية ، فهو في المغرب مثلا يسمى : الحوراني ، وفي جزيرة
العرب يسمى : بالنبطي ، ويسمى في مصر : بالزجل وهكذا •

وأظن أنه وجد تدريجا بحسب الظروف والأحوال : الفكرية ،
والثقافية في كل اقليم ، ولذا فُمن الصعب جدا تحديد مولده ، ففي
بعض البلاد العربية كالجزيرة مثلا ، نشأ في عصور استحكمت فيها
الظلمات ، واكتنف الجهل تاريخ البلاد ، وأقدم ما يروى منه منسوباً
الى قائله لا يتجاوز القرن العاشر الهجري ، يقول خالد الفرج :

(أما أقدم ما وصل إلينا من الشعر النبطي ، لغير بني هلال فهو
يرجع الى القرنين العاشر والحادي عشر كشعر راشد الخلاوي ، وأبي
حمزة العامر من أهل الأحساء ، وقطن بن قطن من أهل عمان ،
ورميزان ، وجير بن سيار من أهل نجد) (١) •

(١) مقدمة ديوان النبط -
خالد الفرج ص (ي) •

ولقد تكاثر شعراء هذا الفن في قلب الجزيرة العربية ، وكان ازدهاره في القرون الأخيرة ، حتى كانت تعقد له ندوات كل أسبوع ، وتمتلىء به مجالس السمر والمؤانسة ، لكنه أخذ في الانطواء والانزواء في الأيام الأخيرة وأن عني به بعض الدارسين وأذاعه بعض الناشرين وتجار الكتب .

أسلوبه وخصائصه :

ان أسلوب الشعر العامي، يشبه الى حد كبير جدا ، أسلوب القصيدة العربية قديما ، فهو يبدأ بالنسيب ولا يستحسنونه الا في الأغراض ، التي استحسنه فيها شعراء العرب : كالمديح والاعتذار والاستنجد والحماسة ونحوها ، ومن النسيب ينتقل الشاعر الى غرضه مستخدما حسن التخلص ، كما كان العربي يصنع وتتخلل الحكم والأمثال القصائد ، كما أن لكل بيت استقلاله غالبا ، وقد يخالف هذا بعضهم فيطرح النسيب شأن بعض الشعراء أيام العباسيين .

وللشعر العامي أوزانه وقوافيه ، بل انه يغالى في القافية فيأتى بالشعر مصرعا ، ويلتزم الشاعر كلتا القافيتين في جميع القصيدة ، لكن لابد من اختلاف قافية الشطر الأول عن قافية الشطر الثانى بالحروف أو الحركات أو بهما معا .

أما أوزانه فيقول ابن خميس : (انه قد عد منها في ديوان ابراهيم بن جعيثن : وهو من فحولهم : عشرين وزنا ، ويجزم أنها تتجاوز هذا العدد بكثير ، وأنه يشبه الزجل الذى قيل فيه من لم يعرف منه سوى ألف وزن فليس بزجال) (١) .
ثم أنه لا يتقيد بالاعراب .

(١) الأدب الشعبي في جزيرة العرب ص ٦٠ - ٦٣

والكثير من المثقفين فى هذا العصر ، لا يحسنون قراءة هذا الشعر العامى ولا يتذوقونه ، وقد لا يتذوقه الا من كان فى بيئته لارتباطه ارتباطا وثيقا باللغة العامية ، وعامية أهل «الشام» تختلف عن عامية أهل «العراق» وعامية (الجزيرة) تختلف عن عامية «مصر» وهكذا •

والعجيب فى ذلك الشعر أنك تقرأ الكثير منه وعلى الأخص شعر الفحول ، فيذهلك ما ترى فيه من : بديع الاستعارة ، وجميل التشبيه وصادق المثل ، وبلغ الحكمة ، والموعظة •

وكثيرا ما تلتقى معانيه ، ومعانى الشعر العربى القديم ، ولا بدع فى ذلك فان البيئة ، التى نشأ فيها نفس البيئة التى نشأ فيها الشعر العربى القديم •

وابن بليهد يتحدث عن هذا فى كتابه «صحيح الأخبار» فيقول : (واذا قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هى طريقة الحياة عند العرب ، فلا عجب أن تجد توافقا عظيما فى المعانى ، التى يذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ولا عجب أن تجد هؤلاء النبط يلتزمون الأوزان فى حدائهم وأشعارهم ، كما يلتزمها العرب وان اختلفت الأوزان بعض الاختلاف فليس فى ذلك عجب ، وكما اختلفت ألفاظهم ، وعباراتهم ولهجاتهم فان أوزانهم تختلف ، وقد تتفق الفاظهم بعض الاتفاق ، وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق) (١) •

واذا كان الميل الى كل ما هو جديد ، والحرص على مخالفة الأصول الثابتة المتعارف عليها ، قد جذب بعض المثقفين الى التجديد فى أوزان الشعر العربى الفصيح وقوافيه ، حتى اعتبروا ما هو أبعد شئ عن مفهوم الشعر شعرا ، فجاءوا بالشعر الحر والمنثور •

فأن شعراء العامية ظلوا محافظين على أصول شعرهم وضوابطه ، وقد فسر هذا عبدالله بن خميس بأنهم كانوا بعيدين عن الميادين الفكرية المعاصرة فقال : (ان ناظمي الشعر النبطي هم ليسوا من الطبقة المثقفة المستنيرة حتى يتأثروا عن طريق القراءة والسماع — بكل جديد ويبرز ذلك فيما ينظمونه ، بل هم طائفة من سواد الناس امتازت بدقة الاحساس وشيء من الذكاء والتجربة الاجتماعية) (١) •

وعندى أن هذا غير صحيح ، فأنا أعرف كثيرا منهم أطلع على الحركات التجديدية في الشعر العربي ، لكن اعتزازهم بأصالة شعرهم منعهم من مخالفة أصوله وضوابطه •

بين العامي والفصيح :

ربما بدا هذا العنوان غريبا في أول وهله ، ولكننا عندما نتأمل الشعر العامي نجد ان فيه الكثير مما يلتقى بالفصيح ، ولكنه التقاء من احدى زاويتين : الأولى الوزن واللغة ، والثانية المعنى •

الوزن واللغة : فأما الوزن واللغة ، فمن ذلك قول محسن الهزاني من قصيدة تبلغ ثمانين بيتا ، يخاطب بها خيله منها مما يصلح شأها لنا أكثر من بيت ، نورد منها أبياتا غير متوالية تقرأها بالفصيح فيستقيم لك اللفظ والوزن (٢) والمعنى وتقرأها بالعامية فلا يتغير منها سوى الحركات ، التي لا تستبين الا عند قراءتها بالعامية ، وهذه هي

غنى النفس معروف بترك المطامع
وليس لمن لا يجمع الله جامع

(١) الأدب الشعبي في جزيرة العرب ص ٨٤ •

(٢) هو بحر الطويل •

ولا عز الا فى لقا كل متعب
بسمر القناء المرهفات القواطع
* * *

فهل تدفع البلوى وهل تمنع القضا ؟
فما للذى يأتى من الله دافع
* * *

عشية مالى حيله غير أننى
على شاطيء الجرعى أمام الخراوع
* * *

بها هام قلبى واستمالت صبايتى
وغصن الرجا منى له اليأس هازع
* * *

خليلى قم لى فى دجى الليل بعدما
جفا النوم عينى والبرايا هواجع (١)

والهزاني من الفحول المعدودين فى الشعر العامى بنجد •
ومن ذلك أيضا قول بركات الشريف وهو من فحول الشعر النبطى
بالحجاز من قصيدة مطلعها العامى :
عفا الله عن عين للاغضا محاربـه
وجسم دنيف وزايد الهم شاعبه

اما ما يقرأ منها فصيحاً وعامياً فمنه قوله :
إذا نبحتنا عن قريب كلابـه
ودبت من البغضا علينا عقاربـه
نحنيناه بكوار المطايا ويممت
بنا صوت حزم صارخات ثعالبه

(١) ابتسامات الأيام - ابن بليهد - قسم المختارات من ٣٢٢ - ٣٢٤ •

بيوم من الجوزاء يستوقد الحصا تلوذ باعضاد المطايا جخادبه (١)

وأمثلة ذلك كثيرة ذكر نماذج منها الشيخ عبدالله بن خميس (٢) ولو أننا حاولنا تقريب صورة الشكل العامى للمقارء ، لما استطعنا أن نؤدى ذلك على الوجه الأكمل ، لاختلاف الحركات فى العامية اختلافا كبيرا عما عرفناه فى الفصحى ، ثم أنهم — لا يستخدمون شكلا فنقبس منه لكون حركاتها مسموعة لا مكتوبة .

المعنى :

وأما المعنى فأكثر من سابقه : الوزن واللفظ بكثير ، فقلما نجد قصيدة عامية ، لا تشتمل على معنى طرقة الشعراء العرب قديما ، بل وربما يذهب بك الظن ببعضهم ، أنه سرق هذا المعنى أو ذاك من قدماء الشعراء ، لكن يحجزك عن ذلك أن الرجل عامى ، ولعل أصلح تفسير لذلك هو أن هؤلاء الشعراء العاميين قبسوا معانيهم من البيئة التى قبس منها أولئك ، فهو من قبيل توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر « على حد تعبيرهم » .

واذا كان هذا قد حصل لمن يفترض فيهم الاطلاع ، على قول السابقين وسلم به لهم كثير من الناقدين ، فان هؤلاء العوام أولى بأن يسلم لهم به اذن ، لانهم أناس على فطرتهم ينظمون الشعر على سجيبتهم .

ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه أن معانيهم بدوية كالفاظهم ، وأن صورة البيئة واضحة فيما ينظمون . ولقد تحدث عن هذا الموضوع ابن

(١) الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ص ١٧٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ - ١٨٠ .

بليهد فى كتابه «صحيح الأخبار» (١) ، بحدیث قابل فى بین المعانى عند أرباب الفصیح وأرباب العامى ، وكان یقارن بین قولى كل شاعرین وقد یفاضل بینهما ، ولكن ذلك كله فى كلمات عابرة یتختمها بتعقیب مقتضب مثل قوله :

(فتجد فى هذه الشواهد بیتا نبطیا وبیتا عربیا ومعناهما واحد ، وصاحب البیت النبطی لا یعرف الأشعار العربیة ولا یسمعها ، وأبتکر المعنى من قریحته ، كما أن الشاعر الأول ابتکر معناه من قریحته) ، وهذه مثل مما التقى فى شاعر النبط وشاعر الفصیح فى المعنى •

(١) قال أعشى قیس صاحب «منفوحة» :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن فى اللیل فى حافاتھا زجل

وشبیه ذلك قول محمد بن لعبون :

فى صحصح كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجنى على فقده الذیب

(٢) وقال عمر بن أذينة :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف یأتینى
أسعى الیه فیعیینى تطلبه
ولو جلست أتانى لا یعنینى

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

إذا نواك الرزق جا من تواليك
لو ما لقيته يافتى الجود يلقاك

(٣) وقالت ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان رضى
الله عنه :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب الى من قصر منيف

وشبيه ذلك قول شلشا البقمية وهى من بلد الدوادمى :

لو أهنيك بالهنى يبو مرداس
ما ولعوك مدرهمين المطيه

القلب كنه يشعرونه بالمسواس
من طين حضر حجر وبه عليه

فهذه مثل ثلاثة لما التقى فيه شاعر عامى متأخر بشاعر فصيح متقدم
ترى فيها المعانى وقد تطابقت وتماثلت ، حتى ليخيل لقارئ المتأخر
أنه نسج احتذاء بالتقدم ، وقد أسلفنا استبعادنا لذلك ، لأسباب
ذكرناها سلفا ، ولكى نزيد الأمر جلاء نعود الى هذه المثل لنلم بمعانيها
أولا :

حين نعيد قراءة بيت الأعشى ، نجد أنه يشبه المكان فى أقفاره
وخلوه من الساكن بظهر الترس ، ويزيد فيقول : ان الجن فى تلك
الأرض ، حينما يجن الليل ، تكثر حركتهم وأصواتهم .

ونقرأ بيت بن لعبون فنجد يأتى بهذا المعنى ويزيد عليه ، فهو
يشبه القفر بظهر الترس ، كما شبهها الأعشى ، ويذكر أن الجن

يظهرون بها وتسمع أصواتهم لكنه يزيد عن الأعشى بأن جعل ظهر الترس مقلوبا ، وهذا فيه زيادة ايضاح للصورة ، ويأن جعل الجنى يغنى طربا واستبشارا لأنه فقد الذئب ، فالفرق بين الصورتين واضح أذ الأعشى انما يقول لك : ان للجن أصواتا . أما ابن لعبون فيبعد أكثر ويقول : ان الجنى يغنى ، وهذا يعنى أن الأرض أكثر ايحاشا وبعدا عن الأنيس ، فى بيت ابن لعبون أكثر منها فى بيت الاعشى ، لأن الذئب لا يبعد عن مناطق الماء كثيرا .

ومما هو متوارث عند العامة : أن الجنى إذا رآه الذئب لم يستطع الهرب أو التحول ، الأمر الذى يجعله لقمة سائغة فى فم الذئب .
ثانيا :

أما عمر بن أذينة ، فانه يقول فى بيتيه : ان الرزق الذى كتبه الله للانسان آتية لا محاله ، سعى اليه أم لم يسع ، أما غير المكتوب من الرزق ، فان تطلبه يعيى .

أما بركات الشريف فيقول : ان الرزق أت لا محاله ، ما دام أنه مكتوب لك ، نفس المعنى الذى أراده ابن أذينة مع اختصار فى اللفظ .
ثالثا :

وتنفر ميسون من القصور وسكناها ، ويشتد بها الحنين الى بيوت الشعر فى البادية فتأتى بهذا البيت ، الذى تؤثر فيه بيت الشعر الذى تخفق الأرواح فيه من كل ناحية على القصر المنيف ، على ما فيه من وسائل الراحة والنعيم ، أما شلشا فانها وان لم تذكر بيت الشعر ، الا أنها عبرت عن نفس المعنى ، فى عمق ودقة احساس ، وقدرة على اظهار الألم ، والحسرة ، من احتواء جدران الطين لها ، ولوعة واشتياق والى حيث كان أهلها وذووها فى أحضان الصحراء ومضارب البادية .

شعر ابن بليهد العامى :

نشأ ابن بليهد فى بيئة — على عاميتها فى اللسان والأدب — عريقة فى سماتها الاجتماعية تمت بأسباب قوية الى عادات وتقاليد ، ضربت جذورها فى القدم الى أيام الجاهلية ، لذا لم يكن غريبا أن تقام فيها الندوات الشعرية المشبهة لما كان يحدث فى أسواق العرب كعكاظ فى الجاهلية ، والمربد فى الاسلام ، فكان شعراء العامية المعاصرون لابن بليهد ، يقيمون الليالى الطوال حول النار فى الشتاء ، وتحت أضواء القمر فى الصيف يتطارحون الشعر على طريقة النقائض أو على طريقة الألفاظ .

شهد ابن بليهد تلك الأندية صغيرا فتشبع روحها ، ولم يلبث أن نازل فحول ذلك الميدان وهو فى الثانية عشرة من العمر ، وكان يرفع على الأكتاف ليدلى بدلوه ويلقى ما عنده .

يقول فى مقدمة ديوانه : (وكنت فى مستهل الحياة اختلف الى تلك النوادي ، وأستوحى ما يطيب لى فيها من جيد الشعر ، وأتعمق فى دراسته ، حتى أجدت صناعة الشعر الشعبى ، وأصبحت أحداً المتساجلين وقد بلغ بى الأمر أن أساجل الشاعر المرحوم (السكران) وكان شاعرا فحلا . أذكر أن رجلا يقال له : عبدالله بن سالم كان يحملنى على كتفه حتى ألقى ما عندى فى ذلك المحفل ثم يضعنى ، وهكذا) (١) . ولم يكن الحاضرون ليرفعوه على اكتافهم لو لم يجدوا فيه الاستعداد ويلمسوا فى شعره الفحولة ، وخاصة أن ذلك المجتمع كان أفراده لا يقبلون المجاملات ولا يرحمون فى أحكامهم الشعرية صغيرا أو كبيرا .

واستمر ابن بليهد فى طريق الشعر العامى نظما وحفظا لعيون شعر الفحول أمثال : محمد بن لعبون ، ومحسن الهزانى وعبدالله بن سبيل ، ومحمد القاضى وأمثالهم ، ولم ينظم فى الفصحى حسب ما وصلنا الا فى عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) أن حين بلغ السابعة والعشرين من العمر ، ثم استمر فى نظم الشعر العامى الى جانب الشعر الفصحى ، حتى أخريات حياته . غير أنه لم يقدم للمطبعة حين طبع الديوان الا قليلا جدا من الشعر العامى ، مما يدل على أنه كان يعتز بالفصحى أكثر .

واشتمل ديوانه مما نظم فى العامية على خمس عشرة قصيدة ، فى موضوعات وأغراض شتى فيها : المدح ، والوصف والغزل ، والاستنجاد والعتب ، والوداع والتذكر والتهنئة وأقدم (١) قصيدة فيها نظمت فى عام (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م) . أى أنه نظمها وهو فى السابعة عشرة من عمره يقول فى مطلعها :

ياركب تدرون عن ذيبان ومناحى
هم دون كبشان ولا من وراجاله
معهم وليف لبيب صافى صاحى
أقفيت واقفا وكلن راح فى حاله (٢)

ولنا اليها عوده لما فيها من عاطفة مشبوبة وروح - على الرغم من -
الصفرة - شاعرة .

أما ما لم ينشر من شعره العامى ، فلم أعثر منه الا على قصيدتين وثلاث مقطوعات احدى القصيدتين فى العتب على الأمير فيصل بن عبد

(١) ابتسامات الأيام ص ٣١٢ .
(٢) (ذيبان ، مناحى) . علما على شخصين - يسأل الركب عن منزل ذيبان ومناحى أهم ساكنون دون كبشان أم من ورائه (الجال) الجانب وهو يسأل عن منزلهم ، لأن معهم الفه اللبيب الصافى الصاحى ، فهو يريد أن يعرف مكانه بعد أن أدبر كل منهما عن الآخر ، ليذهب كل واحد فى حاله .

العزیز - الملك السابق - حين لم يعر اهتماما تهديد خادمه لابن بليهد وقال الأمير موجه الخطاب لابن بليهد: لا يهملك ، فلما سافر فيصل وقع ما كان يحذره ابن بليهد ، فكتب تلك القصيدة التي مطلعها :

أشوف الأيام تقدح مثل قدحات المشاهيب
وقت تغير ولا درى ويش حده وانقلابه

ولنا حديث عنها فى موضع آخر ان شاء الله • والذي رواها لى مانع أبو العـلا •

أما الثانية فقد أمدنى بها ابنه عبدالله ، وتبلغ ثلاثة عشر بيتا وهى غزلية ، أما المقطوعات الثلاث فاحداها من ثمانية ، والثانية ستة ، والثالثة خمسة ، فاثنتان غزليتان أيضا ، والثالثة أخوانية ، وليس بها جميعا ما يدل على زمن نظمها سوى الأخيرة الاخوانية ، فان نصها يدل على أن ابن بليهد نظمها بعد عودته من «مصر» ، كما اكد لى ذلك أيضا ابن أخيه عثمان ، الذى أعطانى نص المقطوعة بخط الشاعر (١) •

خصائص شعره العامى :

كنا أسلفنا القول بأن شعر ابن بليهد العامى ، أجود فى ميدانه من شعره الفصيح ، ولم نوضح الأمر بالدلائل والبراهين ، ولذا أثرنا أن نأتى بشيء من الايضاح هنا ، متجنبين الاطالة والتفصيل لما قدمناه فى صدر هذا الحديث من أسباب :

أن الشعر العامى كالفصيح فيه الجيد والردىء ، فيه ما يسمو فى أسلوبه ولغته الى أعلى المراتب ، ومنه ما يسف حتى يبلغ حد السماجه •

(١) اثبتنا لها صورة فوتوغرافية فى صدرالبحث كنموذج لخطه رحمه الله •

ونحن اذا قرأنا شعر صاحبنا العامى ، وجدناه يسمو فيه حتى يوشك أن يبذ الفحول ، لأنه يأتى فيه بأسلوب سهل قريب ، ولكنه بعيد المنال فهو السهل الممتنع - كما يقولون - يسير فيه هادئاً مطمئناً ، لا تلمس فيه اعتسافاً ولا تحس ابتذالاً ، ينتقى ألفاظه بلا اغراب ، ويختار أسلوبه ويهذبه ، ويعطيك المعنى فى أجلى صورهِ المشرقة ، يستوى فى ذلك ما قاله فى أول حياته وآخرها ، وذلك خلاف شعره الفصيح .

ولم يضع ابن بليهد تاريخاً ، لنظم القصائد العامية سوى قصيدتين غزليتين ، وذلك خلاف صنيعه فى شعره الفصيح ، ألا أننى حاولت الاهتداء الى تاريخ عدد من القصائد، من خلال الأحداث التى نظمت فيها

وهذان نموذجان أحدهما نظم فى عام (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م) ، أى وهو فى السابعة عشرة من عمره ، والثانى نظم قبل وفاته بما ينيف على عشر سنين .

على أن هناك - كما اسلفنا - خمسة أبيات نظمها بعد عودته من «مصر» لكننا آثرنا تقديم النص السابق له لأمر منها :

اشتماله على الوصف والتهنئة والمديح .

ومنها : طوله وانبساطه، ثم اشتماله على شىء من العادات والتقاليد فى عصره ، وكل ذلك لا تحققه لنا الأبيات الخمسة المشار إليها .

(١) النموذج الأول : قصيده غزلية هى أقدم ما وصل لنا من شعره العامى المطبوع وغير المطبوع (١) .

يا عدوين الجمال المواضيح
الى ينوصون الحياكل ماطاح

شدو على الى يبعدن المصاييح
واخلو فنجنابك قبل فلاج الاصبح

يا عد لارنت عليك المـراويح
ولا سفاك من الحيا بارق لاح

ياعد ياما فيك من سكنة الريح
يوم اندرج مظهر شيخه ومصباح

ياتل قلبى تل خطو الشرashiح
المال ذار وحس راعى الدبش صاح

شعو شمشيله على الكنس الفيح
خذت من الصالح بها حيل ولقاح

على رسوم دقيقات المذابيح
تدل أثارها بغدوه ومـرواح

ومصححه ما عاد تحتاج تصحيح
رسم جديد ما تعفيه الأرباح

قل للحمام يطوح الصوت تطويح
يحيى القلوب المستमितه الى ناح

وبين الذى يصرف بزين التمازيح
حيثك عليم عن سجاياه يا صاح

لقض لجدولة وتل المطاويح
على نهود كنها حمل تفاح

ودى أنى أخذ من هو طيب الريح
مزة ثمانية قبل قطاف الارواح
دار خلت عقب الوجيه المفاليح
اجعنك ما فيها تجلاد ومـراح
الأفكار والمعاني والصور والأخيله والألفاظ والاساليب :

(أ) (العد) البئر الغزير الماء الثابت - (الجمال المواضيح) البيض -
(ينوصون) يزورون • (شدوا) تحملوا - (الى يعدن) الابل التى تبعد
الظاعنين - (مصابيح) : اما أن تكون جمع المصباح أى صبيح الوجه
ومليحه والمقصود هنا حبيبه ، أو جمع مصباح ويكون المقصود هنا
مصابيح البلدة التى تختفى شيئاً فشيئاً عن راكبي الابل النازحة ،
وجعل الابعاد هنا للمصابيح كرها لذكر بعاد الأحبة ، ويورد هذا
الأخير أن الرحيل كان فى الليل ، بدليل ما ورد فى الشطر الثانى من
البيت الذى يفيد رحيلهم عن الناحية قبل انبثاق الفجر •

(الارنت عليك المراويح) أى نضب مأوك • (لارنت) لا على صوت
ساقيتها ، او هو نفى لانسكاب المطر اذ أن من مدلولات (المراويح) عندهم
السحاب الذى ينشأ فى المساء وكثيراً ما يكون فى الصيف ، أما (شيخه)
فاسم حبيبه ، وأما (مصباح) فلعله أبوها - (تل القلب) جذبه -
(الشراشيح) نوع من السير السريع (الدبش) لماشية من ابل وخيل
وبقر وحمير (شعو شمشيل) ساروا مسرعين متفرقين (الكنس) الابل
المشبهة للظباء - (الفيح) الجميلية النشطة - (دقيقة الذابيح) أى أعلى
الرقبة وهى صفة محمودة فى الابل عندهم - (التمازيح) المزاح - (لقض)
إذا قض - أى نقضى (المجدول) ضفائر الشعر (ودى) أود (مزه ثمانية)
أى تقبيل ثغره - (الثمان) الأسنان الأمامية ويعبر بها عن الفم -
(الوجيه المفاليح) الوجوه المفلحة أى الكريمة سماحة وجمالاً (اجعنك)
أقول لك فى لوعه - (تجلاد) حركة •

(ب) يخاطب الشاعر العد ، الذى رحل عنه الحبيب حين ارتحل الحى طالبا المرعى ، فى مساقط المطر ومنابت الشجر والعشب ، ولا بد أن حبيبة الشاعر هنا بدوية ، لأن البدو هم الذين يحلون ويرتحلون ، وكثيرا ما تخطفت البدويات قلوب شباب الحضر ، ولعل السبب فى ذلك حسنهن الطبيعى غير المموه ، والذى وصفه أبو الطيب المتنبى بقوله :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفى البداوة حسن غير مجلوب

ويوجه الخطاب لنفسه متحدثا عن رحيلهم ، الذى تركه ملوعا بعد ذهاب الحبيب ، فيخبر أنهم رحلوا قبل الفجر على الأبل ، التى تبعد براكبها أى تسرع به الى حيث يقصد ، ولذا فهو يدعو على العد بنضوب مائه اذ لم تعد فيه حلاوة بعد رحيلهم فهو ليس جديرا بأن يسقيه المطر ، بل أن العد أمسى خاويا حتى كأنما الريح لا تسير فيه .

لقد ألمه فراقهم ، حتى كأنما جذب قلبه جذبا حين اندفعت الماشية فى المسير انقيادا لصوت راعيها، ويعود ليصف رحيلهم الذى خلفه وحيدا فيقضى فى وصفه ووصف الرواحل ثلاثة أبيات يخلص منها الى مخاطبة صاحبه أو نفسه ، طالبا من الحمام أن يساعده على النواح .

ثم يتساءل عن حبيبه الذى يصفه بطول الضفائر وبروز النهدين ، ذلك الحبيب الذى يود أن ينال منه ولو قبلة قبل الموت .

ويشده مسكنهم القديم (العد) فيعود ليتحدث عنه فى آخر بيت ، وأنه خلا من جمال وجوهم فلم يعد فيه حركه وحياة .

(ج) وفى التعبير عن جمال الوجوه (المفاليح) شمول لمعان كثيرة عندهم اذ يقصدون بها التعبير عن الجمال وعن حسن الطالع وعن السماحة

ونحوها ، فهي عندهم من الكلمات ذات الدلالات العميقة الشاملة لكثير من جميل الصفات وجليلها •

وفى توجيه الخطاب الى العد ما فيه من ابداء اللوعة والحسرة ، لكأنما لم يجد من يخاطبه سوى العد ، أو أنه لاقامة الحبيب به أمسى بمثابة الحبيب ، لولا أنه عاد ليدعو عليه بعد ذلك •

ويقع البيت الثانى موقع الجواب على التساؤل الوارد فى البيت السابق ، حيث أفاد ارتحالهم على الابل التى شدوا عليها رحالهم، والتي وصفها بأنها تبعد المصاييح وتشتد به اللوعة ، فيكره العد الذى يذكره بهم ، فيدعو عليه بنضوب الماء ، حتى لا تجد فيه الابل ما تشرب ، كرها أن ينزله غيرهم ويطمث آثارهم ، وفى الدعاء بعدم السقيا خلاف للمعهود فى الأدب العربى ، من دعاء الشاعر بالسقيا لأطلال دار الأحبة ومنازلهم ، لا الدعاء عليها •

وفى التعبير عن خلو معاهد الأحباب ومنازلهم بسكنة الريح ، جمال يجلوه نفى الحياة عنه بسكون الريح فيه •

أما التعبير عن شدة الوجد والالتىاع (بتل القلب) أى جذبه، ثم اتباع ذلك التعبير بوصف ارتحال الأصحاب ، فان فى ذلك صورة باكية أليمة توحى بما اشتمل على قلب الشاعر من حزن ، وألم ، والتىاع •

وفى الاطالة فى وصف رواحلهم ما يوحى بحب استصحابهم، ولوعن طريق وصف تلك الرواحل وسيرها وآثار اخفافها ونحو ذلك •

ثم فى الاستعانة بنوع الحمام ما يوحى بأن الشاعر قد بلغ به الحزن وبلغه ، حتى لم يعد قادرا على القيام بذلك وحده •

أما حذف المفعول للفعل «يصرف» فإن فيه دلالة على شمول صرفه
إياه عن كل احد بل عن كل شيء .

أما البيت الحادى عشر ، فإنه يرسم لك صورة محبوبته فيه ، انها
طويلة الضفائر ترخيها على صدرها ، فتستر نهديها المشبهين للفتاحتين
وفى البيت الثانى عشر يخبر بأمنيته ، وهى أن يحظى من محبوبته
بقبلة قبل أن يموت .

٢ - النموذج الثانى : (١)

تهنئة ووصف :

يا شيخ جامع ناقلين المكاتيب
علمن يباريه السعد يوم جانى

يبشر بنجلك يا حصان الأطاليب
الله يفكه من تعوس الزمانى

متباشرين به جميع الأصاحيب
وتباشروا به كل قاص ودانى

من ماكر من نايغات الشواذيب
فى دمخ ولا فى طويل حلبانى

حرار تذيب صيدها بالمخاليب
والكل منها نادر صيرمانى

عساه مثلك عارفن المواجيب
خير ونطاح لكل المعانى

أو مثل أخوه الى مرده على الطيب
حيثه عريب من عراب المجانى
يا شيخ لو نشرف منيف المراقيب
الى يورينا الغبا والبيانى
الخيلى لزت مار ما نعلم الغيب
لعل عشرى ما تعود بثمانى
زمل من اللى كنهن اليعاسيب
قب البطون مقلما الاذانى
خيل تقص شعير ليه الى يا جيب
طفت من الصنعة وزين المكانى
والقت والراحة وعذب المشاريب
مهى بمثل الضائع الهيملاى
على تمام يابس فى الاداعيب
من بين غول وليم وعر يفجانى
ياهل السبايا حضروها بترتيب
كلن يمس المعركة بالبلطانى
والطيب الى سابقه تدرك الطيب
قله يحضر حبلها والعنانى
ويسبق الى جن السبايا جناديب
لو سبقتين مثل سبقه حصانى
الى يكف الخيل منها ولا ليب
ذكره وهو فى الميد ثالث وثانى

مبروك يا غوج بعيد عن العيب
أنا على الى قد لفظ به لسانى
ان كان جا سابق فهو للمعازيب
وان كان جا قاصر فلا ينبوانى
بيعه على اللى ينقلون الرواكب
أهل الحصن وأهل البغول البدانى

المعانى والصور والألفاظ :

(أ) لم تكن كلمة (الشيخ) تطلق عندنا سابقا الا على أحد رجلين العالم،
والرجل العظيم صاحب الأمر والنهى فى قومه أو بلاده . والشاعر هنا
يخاطب بها الأمير فيصل أيام أن كان نائبا لأبيه عبد العزيز على
الحجاز - (حصان الأتاليب) الذى يحقق المطلوب - (تعوس) الأحداث
المؤلة - (صيرمان) قتال - (عساه) لعله - (عريب) أصيل - نايفات
السر لقوب) ما علا من رؤس الجبال أو الأبراج العالية ، التى تبنى فى
المرتفعات للاستطلاع - (لزيت) أى دخلت السباق - (مار) لكن - (زمل
خائف - (قب البطون) ممتلئة (مقلمة الاذان) قصيرة الاذان - (الى
يا جيب) اذا جىء به - (القت) البرسيم - (الهيملانى) السائم
(جناديب) جنادب وهو جمع جندب الطائر المعروف - (غوج) الصعب
الذى لا ينقاد الا للماهر - (المعاذيب) الذين - يؤون الأضياف
ويقربونهم - (الرواكب) الركاب .

(ب) ذكر ابن بليهد أن لهذه القصيدة مناسبتين :
الأولى : مولد الأمير محمد بن فيصل بن عبد العزيز (الملك السابق
- رحمه الله -

والثانى : ارسال الخيل الى المرعى فى حين أن حصانه قد أرسل مع بعض الخيول الى ميدان السبق •

فيقول مخاطبا الأمير فيصل : يا شيخ أتانى مع الذين ينقلون الرسائل خبر حين وصلنى كان السعد يباريه ، لان فيه البشارة ينجلك ، الذى أدعو له أن يحفظه الله ، من صروف الزمان ، لأنه فرحة للجميع ولذا فهو يدعو له أيضا ، بأن يكون مثله فى الشجاعة والكرم ومعرفة الأصلح ، او مثل أخيه الذى مآله الطيب لأنه من سلالة الأخيار •

ثم ينتقل الى الحديث عن الخيل ، فيقول لمدوحه متمنيا ومستخدما - لو - فى التمنى - ليت أنا نعلو رؤوس الجبال التى ترى المخفى ، والظاهر ، فلقد دخلت الخيل السباق ولا أدرى ما مصير حصانى لعله لم يخسر ، فأنا خائف من جياذ الخيل القوية ، التى تأكل شعير وادى ليه اذا أحضر حتى طغت من صحتها ونظافة وخصب مكانها ، فأكلها البرسيم وشرابها عذب ثم هى فى راحة ، فليست كالهمل الضائع التى تعيش بنبت الثمام اليابس فى المرتفعات الواقعة بين غول وليم •

ثم ينادى أهل الخيل الأصيلة ، ليحضروها فى نظام ويشدوا وقاية سروجها بالبطان الملفوف على بطنها والفاضل منهم من تسبق فرسه ، وعليه أن يحضر عنانها وحبالها ، ويسبق اذا جاءت الخيل مسرعة ولو سبقتين مثلما سبق حصان الشاعر ، وكأنه يتحدى أهل الخيل بأن يسبقوا بخيلهم حصانه الذى تفاعل له بالبعد عن الهزيمة ، وأنه ثابت على ما لفظ به لسانه وما يعيد قوله فى البيتين الأخيرين ، وهو أنه يقدم حصانه الى الأمير فيصل بن عبد العزيز ان جاء سابقا ، وأما اذا تأخر فى السباق فلن يتوانى فى بينه على أولئك الذين يستعملون الخيل والحمير فى حمل الركاب وجر العربات •

ج) أما الصور فيها فعربية قديمة ، خذ مثلاً استعارته الصقور الحرة لممدوحه فى البيت الخامس ، أو تشبيهه الخيل المضمرة باليعاسيب وهى ذكور النحل ، على أن روائع الصور وجميلها أقل هنا من النص السابق ولكنها هنا وهناك صور عربية أصيلة تصور بيئته التى نشأ فيها وما فيها من مآلوفات .

مجتلى خصائص شعره العامى :

تتجلى هذه الخصائص فى روعة التشبيه وجماله، وحسن الاستعارة وجلالها ، وانتزاع صورة مباشرة من البيئة ، حتى يريك من خلال قصائده صور مجتمعة ، ذلك المجتمع الذى التقت فيه حياة الحضر ، وحياة البدو ، وسار فيه الجمل بجانب السيارة ، وجرى الجواد فى ظلال الطائر .

ثم كتاباته البديعة التى تذكرنا بكتابات العرب فى شعرهم القديم فأدواته فى صوره البيانية كلها من أدواتهم التى هى : السيل ، المطر والسحاب ، والجبل ، والوادي ، والصقر ، والسيف ، والحصان ، والصيد ، والجمل ونحوها ، فهو يشبه ممدوحه بالصقر الجيد الحر تارة كقوله :

حنا ظهرنا مع ولد طير حوران
على الشرايع ليلة السبت ممسين (١)

وبالجبل آخرى فيقول :

كنه زين عيسان عالى الشخانيب
لا صرت له ظل عن الشر حجاب (٢)

(١) . ابتسامات الأيام ص ٢٩١ .

(٢) . ابتسامات الأيام ص ٢٨٢ .

ويشبه فضله بالسحاب الهتان بقوله :

لولا أن فضلك مثل هتان المزان

ماراح أبو عزوز راضى وممنون (١)

ويشبه السيارات فى سرعة سيرها بالصقور الأصيلة فيقول :

قفوا على مطراق ذر بين اليمان

على فروت كنهن الشياهيـن (٢)

ويشبه دم الصيد فى مخالـب الصقور بالحناء فيقول :

ينزل ويذبح صدته قبل ناتيـه

تشوف مخلايه من الدم حناـه (٣)

ويستعير لمدوحه الصقر الأصيل فيقول :

يا ما ركبت بصف عطب المضاريـب

أشبع ونا مالى جناح ومخـلاب (٤)

كما يستعير له الحصان السباق فيقول :

أمانت بالحلبه بعيد من العيبـ

سابق ولك بالحرب حظ ومضـراب (٥)

«أما الاستعارات التمثيلية» فانه يأتى فيها بما يحسده عليه أرباب هذا الفن ، كقوله مشبها حال العافين ، وقد رحل عنهم الأمير فيصل

(١) المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

ففقّدوا المنح والأعطيات، بحال قوم مقيمين على ماءفغار فيبست البرك
ومساريها ، وحين أرادوا طلب الماء من البئر وجدوه مظلماً فهابوه •

باكر تروح وييبسن المغاريب
والبئر مظلم والغراريف هباب

يا كيف ننحنا عن جميع المشاريب
وحنا منول ملتوين بالأسباب (١)

ويثنى على ممدوحه بأنه يمنح نجائب الابل ، لكن يكنى عن الابل
بطول العنق تارة ، وأخرى بطول الرسن أى المقود ، فيقول :

لو أهنى «داورد» «وم» المشاعيب
ان مرها معطى طويلات الأقارب (٢)
يا شيخ يا معطى طويلات الأرسان
مع مثلها والناس ما عاد يعطون (٣)

ويكنى عن كرم ممدوحه تارة بأتعاب الخيل والابل ، وأخرى بجفاف
قرب الماء كبيرها وصغيرها ، فيقول :

الله يسلم متعب الخيل والعيس
أغناك من ضرب الدواهم والكياس (٤)

أخاف يزمنى كشب بينك وبينى
وييبس لنا عقبك روايا وصملان (٥)

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢٨١
 - (٢) ابتسامات الأيام ص ٢٨٠
 - (٣) المرجع السابق ص ٢٨٦
 - (٤) المرجع السابق ص ٢٨٩
 - (٥) المرجع السابق ص ٣٠٠

ومن خصائص شعره هذا أنه وصف فيه الى جانب الحصان والناقة - السيارة - لكن نرى وصفه لها منتزعا من البيئة نفسها ، شأنه في التشبيهات والاستعارات والكنائيات السالفة ، فيشبهها بالصقر النقص على فريسته ، ويشبه انقضاضه بالشهاب الهاوى من السماء رجمت به الشياطين وتلك صور أملتھا بيئة مجتمعه ، فهو دائما في مرافقة الأمير فيصل ، وفيصل كثير الخروج الى القنص ، وأهم أدواته الصقر ، وهو يعيش في الصحراء ، ويرى في الليل الشهب تتساقط من السماء ، ثم هو مسلم يقرأ قول الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) (١) .

ومن هنا نجد وصفه للسيارة يأتي على نحو ما في هذه الأبيات :

في ساعتين خلف العرف وقطان
وبالزيت ما نفد ولا نصف جالون
يوم انصرم كنه على حزم هكران
حرن فوز له الرزق مضمون
طلع وهو في رأس مذروب كبشان
تكفكت منه الجناحين ومتون
دواء كما نجم رمى به على جان
وعادات ضربة مخلبه تعطب الكون (٢)

ثم هو كما تراه في الصورة الأخيرة من هذا الوصف ، دقيق الملاحظة ، يتقصى جوانب الصورة ، لكي تبدو أكثر وضوحا وأتم في أداء المقصود .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٨٧ .

(١) سورة الملك آية : ٥ .

وهناك ظاهرة خص بها شعره العامى دون الفصيح ، وهى مداعبة بعض الأخوان بما يشبه الهجاء ، وأخص أصحابه بهذا سلطان الجبر الرشيد ، المنافس له على منادمة الأمير فيصل ، فمن قوله بعدما ودع الأمير فيصل فى أحد أسفاره :

صار العوض عن ترثه الجود سلطان
ما من قصور مار بغى السلاطين (١)

ويتندر بصاحبه سلطان ، وأنه اكثر منه طمعا فى الهبات مع أنه أغنى منه ، فيقول من قصيدة فى توديع الأمير فيصل ، وقد عزم على السفر من الحجاز الى الرياض :

أنا بكيت بدمع مثل الغشين
ثم بكأ حامى الونيات سلطان
يبكى بكاذيب كلى الفرقتين
بجلودها ثم أصبح الذيب جيعان
أى الذى يستعمل الموترين
وأى الذى يقسه بداورد حرقان (٢)

أغراض شعره العامى :

أعلا :

مدحه العامى :

أما مدحه العامى ، فقد جاء فى مدح ثلاثة : الملكين فيصل ، وخالد والأمير عبدالله الفيصل ، وفى قصائد سبع فيها من التشبيه والاستعارات

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٩١ .

وسائر الصور البيانية ، ما يفتقر الى مثلها الكثير من شعره الفصيح ذلك لأنه ينظم على سجيته ، وطبعه لا يتكلف ولا يتصنع ولا يسير خلف التقليد والمحاكاة ، وإنما يصدر فيه عن ذوق شاعري وطبيعته بدوية ، ثم أنك تلمس فيه صدق العاطفة والشعور الوفي للاحباب والاعتراف بالجميل ، كل ذلك تفيض به روح هاج ، وأزكى من احساساتها فراق الاخوان ، أو تذكرهم أو المرور على ديارهم بعد ارتحالهم عنها ، وكانت نعمائهم ابان اقامتهم عليه ، وارفة الأفياء مخضرة الجنب ، فها هو ذا يمر على بيت الأمير خالد فى مكة وقد رحل عنه الى الرياض ، فتتهاجه ذكرى أولى الفضل ، ولكن لا يحس شيئاً مما شعر به يبدو عند صاحبه سلطان الجبر ، فتسيل مشاعره بمثل قوله :

سلطان لا يشغلك درهم ودينار
مثل اشتغال مجمعين الدنانير
أشوفها صدتك عن ذكر الأخبار
أحرص على ذكر الأميرين بالخير
مثل أمس يوم الربع مرو على دار
(١) خالد وقالوا جعلها له مسافير
ما قلت شى كن باذنك مسمار
ساكت وفى قلبك حوادث وتدبير
حواسك كشرت وكثرن الأفكار
طاريك ما تبقيش فى جمه البير
لياك تزمّل جمها سيح وانهار
كبر دلاك وشف طريق المصادير

(١) هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .

ومنها :

إذا خلصت اذكر هل الجود ولكار
فيصل وابو بندر (١) صبي الخاسير

لطامه العايل وحشامه الجار
عيال الملوك مكرمين الخطاطير

قفوا ومرو كشب والخال وابقار
ومثلته واجله وكبشان والنير

لعل يسقى در بهم عذب الأمطار
تنثر عزاليه المزون المزابير (٢)

ويطلب العون من الأمير فيصل لابن عمه ، الذى حبسه الافلاس بالكويت
فيجود فيصل بما يفك أزمة ابن عمه ، فينظم - شاعرنا قصيدة على
لسان المنعم عليه يمدح فيها فيصلا ، لكنه لا ينسى مدح نفسه فيها بمثل
ما يفتخر به المفتخرون من كرم وصفات حميدة ، فلعله بذلك يريد
الافتخار أو المبالغة فى نسبتها - حين نظمها لابن عمه ، وسواء أراد هذا
أو ذاك فلا جناح عليه ، وهى قصيدة طويلة وسنورد صدرها آخر هذا
الفصل حين نوازن بينه وبين صدر قصيدة ابن لعبون .

ثانيا :

غزله العامى :

فى آخر الشعر العامى بالديوان نجد قصيدتين عاميتين .
أولاهما : نظمها وهو فى السابعة عشرة من العمر ، والأخرى : وهو

(١) هو الملك خالد بن عبد العزيز .

(٢) ابتسامات الأيام ٢٩٣، ٢٩٤ .

فى العشرين من عمره ، وتبلغ أبيات الأولى ثلاثة عشر بيتا ، وتبلغ
الأخرى ستة أبيات ، ولناخذ هنا القصيدة الثانية :

يا ركب تدر ون عن ذيبان ومناحى
هم دون كبشان ولا من وراجاله
معهم وليف لبيب صافى صاحى
أقفيت واقفا وكلن راح فى حاله
عليه جسمى مريض ناحل ماحى
ولا تماريت رسم الولف فى حاله
والله فلا سبح عقب غزيل الضاحى
خص الى شفت مرباعه ومد هاله
أبيت ساهر الى فلاج الأصباحى
حمل الهوا يحتمل للجرح من شاله
قالو لى الناس راح وقلت ما راحى
هذا ابن فاضل يعلمنى بمنزاله (١)

اننا نحس العاطفة الصادقة ، التى الهبها الوجد وأضرم نيرانها نزوح
الأحباب وتعبيرا صادقا موفقا عن تلك المشاعر والاحساسات ، وألفاظا
ومعانى انتزعت من بيئة بدوية صرفة ، أوليس الحبيب بدويا ، اذن
ليس بالغريب أن نجد الارتحال والمرباع والركب وما شابه ذلك من
الألفاظ تسيطر على جو القصيدة •

(١) ابتسامات الأيام ص ٣١٢ •

ثم نجد ما هو اجمل من ذلك وأبدع ، فى القصيدة التى اسلفنا
ايرادها ، فى حديثنا عن أسلوب شعره العامى ، وألفاظه وخصائصه ،
تلك القصيدة التى بدأها بقوله :

يا عدوين هل الجمال المواضيح
الى ينوصون الحيا كل ما طاح

وقد ذكرنا عنها هناك ما يحسن الرجوع اليه ، عند ارادة أخذ صورة
أجلى وأوضح عن الغزل العامى عند ابن بليهد ، والقصيدتان : من
الحيوية والقوة ، والأصالة فى الأداء والتعبير وصدق العاطفة
والتصوير ، معدودتان فى أجود الشعر العامى .

أغراض أخرى :

واذا كان المدح قد سيطر على أكثر شعره العامى ، كما سيطر على
أكثر شعره الفصيح ، وإذا كان قد خص الغزل العامى بقصيدتين ، فإن
أغراضا أخرى تتخلل شعره ، كالوصف ، والتهنئة ، والعتب ، والوداع
ونحو ذلك .

فأما الوصف والتهنئة فقد خصهما بقصيدة كاملة هنا فيها الأمير
فيصل ، ووصف فيها حصانه وقد سبقت فى الحديث عن خصائص شعره
وأما باقى الأغراض فإنها مبثوثة فى ثنايا قصائده ، مثل قوله
مخاطبا صديقه سلطان الجبر ، حين رآه مترددا فى مخاطبة فيصل بن
عبد العزيز فى حاجة له :

سلطان لا تكثر عليك الهواجيس
ان كان لك لازم افحكه من الراسى

خل العلوم النفسه والبسايسى

تراحلات العلم يبنى على ساسى (١)

أما العتب فله فيه قصيدة جيدة جدا ، رواها لى الأمير مانع أبو
العلا مع خبرها •

يقول الأمير مانع (كان للفيصل بن عبد العزيز نائب الملك على
الحجاز خادم اسمه عبدالله السميرى ، وكان ينفس على ابن بليهد
وينخاف منه ، وفى يوم اشتد الجدل بين الاثنين ، فقال السميرى : لا
لاضربنك بمسماريخرج قيحه قبل دمه ، فخاف ابن بليهد من هذا التهديد
وشكاه الى الأمير فيصل فقال له : دعه ولا يهملك) •

وحين سافر الأمير فيصل الى الخارج ، أناب أخاه منصور بن عبد
العزيز منابه ، فاغتنم «السميرى» الفرصة ووشى بابن بليهد وجماعة
آخرين ظلما لدى الأمير منصور فأبعدهم عن «مكة» فبعث ابن بليهد الى
الأمير فيصل بهذه القصيدة فلما عاد انتصف لابن بليهد ورده الى مكانه
وزجر «السميرى» زجرا شديدا •

وهذه هى القصيدة :

أشوف الأيام تقدح مثل قدحات المشاهيب

رقت تغير ولا درى ويش حده وانقلابه

السيل ما ينطح ما دام وديانه محانيب

يأخذ أسبوعين نوه ما بعد فتق سحابه

أمسيت أحاسب عزيز الروح وضحت

ما بها عيب من كان له مطلب عندى يجى يأخذ حسابه :

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٨٩ •

أنا معلمك من قدام تبعيد وتقريب
وصياح الأعلى يصيح من الخطر والانقلابه

.....

لو تنشده عن جميع الى مضاويش التسايب
أعطاك مثل التغفيل عنه ما كنه درابه
الناس تعمر مراكزها وهو يسعى بتخريب
لو هو يهمه عمار الكون ما دور خرايه
أبيك تعصب عضودي لين يبرن الأصايب
صواب ما هيب تبريه النشيه والكتابة
مالى بمسلوته ما تزين الأرنب عن الذيب
أزبن طوال الركون التى تزينى هضابه
لونى بربعه (وبار العيش) ردوا لى المغاليب
فكو قصير البيوت الى تلوذبها الحرابه

وهذه القصيدة كما تراها فى الذروة من الشعر العامى : لفظا ،
وأسلوبا ومعنى .

(أشوف) أرى - (المشاهيب) جذوات الحطب المشتعلة بالنار
(محانيب)شديده الانحدار يندفع فيها السيل بقوة - (النو) نجمه أو
زمنه - (فتق) أى تخللته الفتوق التى تسمح للشمس بالتسرب من
خلالها (وضحت) اتضحت وبانت (تنشده) تسأله (والتسايب)
الأسباب - (التغفيل) التغافل - (تعصب) تشد - .

(الأصايب) جمع أصابه (والصواب) الاصابة أى الجرح -
(النشيه) عجينه من مواد كثيرة تغلى على النار ، ثم توضع على الجرح
لمعالجته (الكتابة) الرقيه التى تكتب حول الجرح للاستشفاء بها

(مسلوثة) الهضبة الطويلة الملساء (تزين) تأوى - (أزبن) آوى
(ربه) ركن أو ناحية (وبار العيش) هو رجل من احدى القبائل
العربية المتأخرة ، قتل أحد أبناء عمومته جارتة فقتل - فيها من أبناء
قبيلة القاتل - اثني عشر رجلا (المغاليب) ما أغتصب من مال
وممتلكات (اللى) الذى •

يعجب الشاعر مما يشاهده من الأيام ، من قسوة وتقلبات ، تترك
المرء متحيرا لا يدرى الى أين ستنتهى ، ثم يضرب المثل لارادة القوى
بالسيل المنحدر من مرتفع فى واد كبير ، لا يقوى أحد على رده •

ويعود الى نفسه ويحاسبها ، ثم يصدر عن ذلك بحكم هو أن ليس
لأحد عنده حق ، فمن كان له حق فليأت ويطالبه به •

ثم يوجه الخطاب الى فيصل بن عبد العزيز ويقول له : انى قد
اخبرتكم بالأمر قبل حلوله خوفا من وقوعه ، وها هو قد وقع ، ويمدح
فيصل بعراقة نسبه ، وأنه هو الحاكم فكيف يسكت عن صنيع خادمه ؟
وهو لم يقصد هنا أنه سكت فعلا ، وانما هو أسلوب من أساليب الاستشارة
والاستنهاض ، على هذا الشخص الذى لم يقدر العواقب فيما صنع ،
حتى لو أنه سأل عن أسباب ذلك لتجاهل - اى اصطنع الغفلة - اذ لا
سبب معقول عنده ، ولكنه جاهل لا يعرف مصلحته ولا مصلحة مركزه ،
الذى وضع فى خدمته •

ثم يعود لاستنهاض الأمير وطلب انصافه من الظلم ، الذى حل به من
الخادم ثم يمدح الأمير فيصل فيقول : أنى لم ألجأ الى غيرك ، فأنت
أولى من يلجأ اليه (بعد الله) لأنك كالجبل الشامخ ، وغيرك كالهضاب
الملساء ، التى لا تجد الأرنب بها ملجأ عندما يهجمها الذئب • ثم يزيد
اغراء الأمير فيصل بالانتقام له فيقول :

انى لو كنت فى حى (وبار العيش) لردوا لى حقى ، وهذا اسلوب من الاستنهاض ، يشبه أسلوب الشاعر القديم الذى قال :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى
بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا

والقصيدة مملوءة بالصور والأخيلة ، لا تكاد تجد بيتا الا وهو مشرق بنصيبه منها ، ألا ترى الى تشبيه الأيام فيما تنذر به بقدرح المشاهيب أى جدوات الحطب الكبيرة المشتعلة ، ثم استعارة القلب لتغير الأيام ثم استعارته السيل المندفع بقوة لارادة القوى ، ثم تشبيه نفسه فى أخبار فيصل بن عبد العزيز بالامر قبل حلوله ، بالأعلى من المتغالبين يصيح خوفا من أن ينقلب عليه المغلوب ، فيصير الأسفل أعلى ، ثم يكنى عن رد الحق والوقوف الى جانب المظلوم «بشد العضود» كما يكنى عن اهانتته بالجروح العميقة، التى لا ينفع فيها الدواء والرقية، وكنايته عن الممدوح فيصل بن عبد العزيز بالجبل القوى الشامخ ، كما يكنى عن غيره بالهضاب الملساء ، التى لا تجد الأرنب بها ملجأ •

وكل ألفاظ القصيدة قوية متينة ، عميقة فى دلالاتها ، جاءت كل كلمة فيها بحيث لا يغنى سواها عنها فى مكانها ، وكلها موحية بالهول والقوة كالألفاظ البيتين الأولين (تقدح - المشاهيب - السيل - الوديان المحانيب) ونحوها •

واما بالعظمة والجلال كالألفاظ البيت الخامس والتاسع (حاكم - رؤس الأعاريب طوال الركون) ونحوها • واما بعزة النفس وابائها واندفاعها فى طلب حقها ، كالبيت : الثالث، والرابع ، والسادس ، والثامن ، والعاشر وهكذا •

فالقصيدة هنا من أروع الشعر النبطي وأجله ، أستوى في ذلك لفظها وأسلوبها وصورها وأخيلتها ، ولابن بليهد بعض الأشعار العامية الجيدة التي لم تنشر (١) .

مختاراته :

لم أجد لابن بليهد مختارات في الشعر الفصيح ، اللهم الا أن يكون شرحه للاماكن الموجودة في المعلقات دليلا على اختياره لها ، وان لم يدونها أو يشر إليها بما يفيد ذلك .

أما ما دونه من المختارات ، فهي نماذج من الشعر العامي ختم بها ديوانه (٢) ممهدا لها بمقدمة أشار فيها الى حديثه عن الشعر العامي في مقدمة ديوانه وفي كتابه «صحيح الأخبار» ثم أوما الى أن مختاراته ستكون لفحول شعراء العامية في «نجد» لأنها - أى نجد - منبع الشعر ، ومنها كان أرباب المعلقات واستثنى منهم أمراً القيس لانه يمانى وأنا لا أرى داعيا لهذا الاستثناء ، فامرؤ القيس وآباؤه الأدنون نشئوا في نجد فهم نجديون .

-
- (١) منها القصيدة التي يخاطب بها قوماراحلين الى الكويت ومطلعها :
لو هنيك جيف خير القبيله
وقصيدتان غزليتان مطلع الأولى :
قال من هيضة مبداه في راسي قنه
وقال مطلع الثانية :
يانسيم الزوارى خبرى عن منيره خبرى عن منيره يا نسيم الزوارى
وفي مؤلفاته أبيات مبعثرة هنا وهناك منها في «صحيح الأخبار» ١ : ١٧٩ ، ٣ :
٢١١ ، ٥ : ١٤ ، ٦٥ ، ٣٠٢ . وفي (ما تقارب سماعه) ص ٨٢ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٣١٣ - ٣٥٣ .

وحين ذكر أسماء من اختار لهم عدهم خمسة : حميدان الشويمر ،
ومحسن الهزاني ، ومحمد بن لعبون ، ومحمد القاضي ، وعبدالله بن
سبيل ، ولكنه اتى فى آخر المختارات بسادس اختار له قصيدة ، وهو
تركى بن حميد -

حميدان الشويمر (٢) :

أورد كثيرا من حكمه ثم قرنه بشاعرين الأول : شاعر الحكمة
الجاهلية زهير بن أبى سلمى ، وقد شبهه به فى الاكثار من الحكم ،
والثانى أحمد بن على بن مقرب ، وقد شبهه به فى التحميس والاستثارة ،
وأن كلا منهما (يحمل الستة على قتال الستين) ثم خلص من ذلك الى ايراد
القصيدة المختارة ، وهى الاعتذارية التى نظمها فى عبدالله بن معمر
أمير « العينية » اذ ذاك ، وكان حميدان الشويمر قد هجا ابن معمر
فأهدر دمه .

وكان حميدان هذا من الهجائيين الذين تعمل أبياتهم عمل السيوف
لكن ابن بليهد لم يشر الى هذا ، بل اكتفى بذكر محاسنه وأنه صاحب
حكمة ، ولم يكن من الذين ينزعون فى شعرهم الى الغزل والمجون ،
ومطلع اعتذاريته التى أوردها :

بنى دهرن كثرة وشاه مناجسه

تصاوير مالا صار بالزور طامسه

محسن عثمان الهزاني (١) :

محسن الهزاني - ابن ربعة زمانه وأحوسه - حين ذكره ابن بليهد
قال : أن شعره من (المربوعات) أى الرباعيات ، كما ذكر أنه غزل
وشبهه بالفرزدق وأورد بيته :
هما دلتاني من ثمانين قامّة
كما انقض باز أكتم الريش كاسره

والواقع :

أ - أن للهزاني الكثير من الشعر ذى البيت الواحد ، وليس جميع شعره
رباعيات ومنه ألفيته التى مطلعهم - :
ألف وليف الروح قبل أمس زرناء
غرو يسلى عن جميع المعانى
ومن ذلك القصيدة التى بناها على القاف ومنها :
مبسم هiale فى الظلام اشتعال
بين البروق وبين مبسم هيا فرق
وفىها الأبيات التى أوردها ابن بليهد فيما اختار :
ب - ثم أنه - كما أسلفت - أشبه بعمر بن أبى ربعة منه بالفرزدق .

أما القصيدة التى اختارها ابن بليهد من شعر الهزاني ، فهى
العينية المشتملة على أبيات صالحة لأن تقرأ بالفصح والعامى فلا
يتغير فيها شيء ، وقد أوردنا منها مثلاً فى صدر حديثنا عن الشعر
العامى ، وهى قصيدة فيها : النسب ، والحكمة ، والفخر ، والتضرع ،
والوصف ، وأغراض أخرى اشتبك بعضها فى بعض .

محمد بن لعبون : (١) :

وقد وصفه ابن بليهد : بالاجادة ، والاحكام ، وحسن الأسلوب ،
ورقة الألفاظ ، واشراق الديباجة ، وأن ديباجة شعره أشبه بديباجة
شعر عمر بن أبي ربيعة كما وصفه بأنه مبتكر واستدل بمثل قوله :

ياركب ما جيتو بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينضاح والليل غريب
مقدار ما يفرغ من الكأس مشروب
تريضو ياركب منتو بأجانيب

كما وصفه بالسبق في كثير من الصور البيانية ، واستدل على ذلك
بمثل قوله :

كن طية ثوبها فوق الرداف
الهوا والمأى من فوق الغريف

وذكر أنه مكثر وأن له من الشعر ما ملا مجلدات ، وان فرائد أمثاله
وخرائد حكمه قد ملأت أسماع الناس ، وما زالوا يرددونها ويتمثلون
بها ، ثم أورد قصيدته :

هل الدار ياعواد الا منـازل
سباريت ياعواد خفيت رسومها

والواقع أن هذا الشاعر ، يذكرك حين تقرأ له بفحول شعراء
العرب السابقين أمثال جرير ، وعمر بن أبي ربيعة ، وطرفة بن العبد
وأمثالهم ، فأينما يمت في شعره وجدت اللفظ الجزل، والمعنى الفخم

والتركيب المحكم ، والأسلوب الرائع الواضح ، والديباجة المشرقة ،
والبحر المنتقى ، والقافية الممتازة الطيعة ، ثم أن صورته كلها تجعلك
تعيش في البيئة نفسها، تلك البيئة التي لم تختلف عن الجاهلية الا فيما
فرض الاسلام في محيط العقيدة ، والعبادة ، والعادات ، والتقاليد ،
والمعاملات ، ولا أعلم شاعرا عاميا ارتقى الى المرتبة التي تربع
عليها ابن لعبون .

محمد بن عبدالله القاضى (١) :

أما حديثه عن القاضى ، فلم يزد أن وصفه بأنه صاحب حكم وأمثال
وأورد له فى ذلك نماذج ، كما ذكر أنه شاعر غزل .
والواقع أن القاضى من شعراء الوصف المجيدين يأتىك أحيانا
بالقصيدة ، كأنها حكاية متماسكة الأجزاء ، خذ مثلا : وصفة للقهوة
وصانعتها وأنيبتها ، وما يخلط بها ثم لونها وهى تسكب من (الدلة)
وعاء القهوة فى فنجانها :

قم يا رفيقى سو خمس على ساق
بالك تصوير بحمسة البن مطفوق

اليا انقلب لونه وبشت بالعراق
ريحه على جمر الغضى يفضح السوق

حطة بنجر يسمعه كل مشتاق
راعى الهوا يطرب الى طق بخفوق

كبه بدله مولع كنها ساق
شاميه مربوبة تقل عزنوق

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣٣ - ٣٣٨ .

فنجال كيف خالطه خمسة ارناق
هيل ومسمار بالأسباب مسحوق
الى انطلق من ثعبته تقل شبـراق
أو دم قلب لنصرم منه معلوق

ووصف القهوة ميدان تسابق فيه كثير من شعراء العامية ، أما حكم
فكثيرة شأنه شأن فحول شعراء عصره الذين شاعت في شعرهم الحكم ومنها

حاذر وخلان الرخي عدهم قوم
خلان من دامت نعيمه ودامى
لا يفتخر من جاد جده وخاله
هى بالهم لا بالرّم مثل ما قال

عبدالله بن سبيل (١) :

أما حديثه عن ابن سبيل ، فينم عن اعجاب بلغ به حد تفضيله على
جميع فحول شعراء العامية ، كما روى حكاية ضرب خادم بن رشيد له
ومن مظاهر اعجابه به اختياره لخمس من قصائده ، ولم يكن يختار
لسابقيه الا قصيدة واحدة ، والحق أنه شاعر مجيد ، ولكن لا يرقى الى
مرتبة ابن لعبون ، وان كان له من الحكم الجيدة مثلما للفحول الآخرين
لكنه يمتاز بالركة فى ألفاظه وأساليبه والاستقصاء فى معانيه كقوله:

هاب الرفيق اللى عرض لى جنابه
بالطيب وحسبته من الطيب منتوب
يوم انتبعت الى الزمان متشابه
صارت مواعيده مواعيد عرقوب

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣٩ - ٣٤٩ .

أما ما يشدك اليه اكثر فدقة التصوير لعواطفه ومشاعره ، وأنه أصبح
منها فى حال تشبه راكب خشبه فى عباب البحر ، تتقاذفه الأمواج
وتلعب به الرياح :

كنى بغبات البحر راكب لوح
تصفق بى أمواج زعوج هواها

تركى بن حميد (١) :

وقد مهد للحديث عنه بقوله : (لما انتهينا من ذكر الشعراء الخمسة
وكلهم من سكان القرى من أهل «نجد» ، عزمنا على ايراد قصيدة لشاعر
من سكان أخبئة الشعر فى البادية) .

وابن حميد من أمراء البادية وفرسانها المشهورين ، ذكر ابن بليهد
أن له شعرا كثيرا ، والقارىء لشعره يستطيع أن يعرف الكثير من
صفاته ، وأول ما يدل ذلك شعره عليه من صفاته ، الشجاعة ، والرياسة
وأنه رجل حرب وكرم ، خذ مثلا هذه الأبيات المتفرقة من القصيدة ،
التي اختارها ابن بليهد :

والى ركبت معالجات المضاريس
يبرد على كبدى لهيب السمومى
بالليل اصالى حاميات المحاميس
والصبح أصالى كل قبا قحومى
من لا يدوس الرأى من قبل ماديس
عليه داسوه العيال القرومى

ومن لا يقلط شذره السيف والكيس
يصبح عليه من الليالى ثلومى

وابن بليهد فى حديثه عن هؤلاء ، لا يتجاوز ذكر البلد والعصر اللذين عاش فيهما الشاعر ، وقد يذكر الوفاة وشيئا من أخبار تنقلات الشاعر ولكنه قليل كصنيعه مع ابن لعبون ، ثم يذكر نماذج من البيت والبيتين وأكثر ، ولكنه لا يطيل ليخلص الى القصيدة المختارة .

واختياره فيما أرى جيد موفق ، يدل على ميل الى الحكم والصفات النبيلة : كالشجاعة ، والكرم ونحو ذلك .

أما أعجابه بالشعر العامى وخلاصة رأيه فيه ، فقد كفانا أمر تلمسه بما ذكره فى مقدمة ديوانه حيث قال :

(الواقع أن الشعر النبلى له خصائص فنية ، لا يليق بأهل الفكر أن يجهلوا ، فانهم باهماله يهملون مصدرا خصباً من مصادر الثقافة ، ومن المؤلم حقاً أن بعض المثقفين يترفعون عن النزول من أبراجهم العالية الى حيث تكون طبقات الشعب ، ليتلقوا عنهم شيئاً من انتاجهم ومحصلاتهم الأدبية ، ولو ترك الحكم فى قيمتها الى معايير الشعر الصحيحة ، لما وصمت : بالقحولة ، والجفاف ، والسطحية ولما كان نصيبها الاهمال ، لأنها جديرة بأن تبرز فى معارض الأدب الحديث كأمتع لون من ألوانه ، تتضافر فيه عناصر الجودة : من معنى مخترع ، وخيال مجنح وعاطفة ملتهبة ، ونظرات بعيدة فى الحياة .

فما لا شك فيه أن فى ذلك اللون من الانتاج الشعبى ، نبعا أدبيا صافيا ، لو اتخذ منه مادة للدراسة لظهر : أنه أدب بعيد الغور ، صادق كل الصدق فى تصويره للحياة ، جديرة بأن يطعم الأدب بلون طريف

فيه جدة وانطلاق ، وتحرر ، وفيه توهج واشعاع • أقول ذلك لأنى
فحصته فحصاديقا، وتمرست فيه، بل وتخرجت من تلك المدرسة الشعبية

نظرة أخرى الى مختارات ابن بليهد :

وحين نعود لمختارات ابن بليهد من جديد ، نجد أنها تمثل الذروة
فى شعر شعراء العامية ، ولذا أعدنا النظر فيها ، لنتبين من خلالها ذوق
ابن بليهد وميوله وجوانب اهتماماته ، ولماذا صادفت هذه القصائد هوى
فى نفسه ، أهو اختيار مبنى على أصول وضعها الشاعر لما يختار ، أم
أنه جاء هكذا مصادفة أو اعتباطا ، ثم هل تركت لها فى شعره أثرا ؟ ،
وسنولى وجهتنا فى هذه النظرة الى النصوص الطويلة ، التى عمد الى
اختيارها •

أما ما ورد من نتف أبيات فى المقدمات التى قدم بها شعراء المختارات
فانها شواهد من شعرهم ليست مختارات ، ومما يدل على ذلك قوله وهو
يقدم قصيدة الهزاني :

(وله قصائد كثيرة تحتوى على معان مختلفة ، وقد أخذنا منها قصيدته
العينية ، وهى من الشعر على البحر الطويل) (١) •

وقوله عند تقديمه قصيدة ابن لعبون : (وهذى قصيدته المشهورة التى
على البحر الطويل من العربى وهى نبطية ، وتوفى هذا الشاعر فى ربيع
الآخر فى بلد الكويت من الطاعون ، الذى حل بأهل العراق يقال له :
الجارف حل به فى سنة ١٢٤٧ هـ • وهذا الشاعر توفى وهو شاب قبل
والده حمد بن لعبون ، وما أحببنا الاطالة أذ أن قصائده تملأ المجلدات
لو المنا بذكرها) (٢)

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢٢ •

(٢) المرجع السابق ص ٣٣١ •

وقوله عند تقديم قصيدة ابن حميد : (وله قصائد آخر جميلة ، وقد اخترنا منها هذه القصيدة) (١) ، ثم ما قاله فى تقديمه لقصائد ابن سبيل : (وقد عزمنا على ايراد قسم من أشعاره وهى هذه) (٢) •

أولا : إن مختارات ابن بليهد تدور حول الأغراض الآتية :

(أ) الاعتذار : وفيه اختار قصيدة واحدة ، هى اعتذارية حميدان الشويعر التى اعتذر فيها لعبد الله بن معمر ، الذى أهدر دمه حين بلغه هجاء الشاعر له ، فلما سمع منه هذه القصيدة بعد أن أحتال الشاعر حتى مثل بين يدى الأمير فألقاها عفا عنه •

(ب) الشوق الى الديار والحنين اليها ، وفيه اختار قصيدة محمد بن لعبون ، التى نظمها وهو فى الكويت ، فضمنها : وصف الديار ، والمنازل والأطلال ، الى وصف الناقة والقفار ، والطريق الموصلة الى بلده « بسدير » وهى « حرمة » •

(ج) الغزل : وفيه اختار أربع قصائد لابن سبيل •

(د) الدعاء والتضرع : وفيه اختار قصيدة لابن سبيل أيضا •

(هـ) الفخر والحساسة : وفيه اختار قصيدة واحدة لأحد أمراء البادية وهو تركى بن حميد •

(و) وفى الحكمة والمثل والوصف اختار قصيدة القاضى •

(ز) أما قصيدة الهزاني فانها شكول من الأغراض فيها : الحكمة ، والبكاء على الديار ، ووصف السحاب والمطر ، والتضرع ، والفخر

على أن الحكمة تمثل الجزء الأكبر فى جميع هذه المختارات ، حتى أنك لو انتزعتها منها لما بقى منها الا القليل •

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٥ •

(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٤٢ •

ثانيا :

وجميع هذه المختارات لفحول مشهورين من شعراء العامية ، جل أبياتها تدور على ألسنة العامة والخاصة تمثلا وتغنيا ، ثم هي فى الذروة من شعر هؤلاء الفحول ، ولا أستبعد أن تكون من محفوظات ابن بليهد ، الذى أكب منذ الصغر على أشعار هؤلاء حفظا ودراسة ومحاكاة .

ثالثا :

ثم اننا نجد ما يقرب أن يكون أثرا لبعض تلك المختارات ، فى شعر ابن بليهد ، فان قصيدته التى نظمها على لسان ابن عمه ، حين حبسه الافلاس فى الكويت ، بدأت بمقدمة تشبه فى أسلوب نظمها مقدمة قصيدة ابن لعبون .

بين ابن بليهد وابن لعبون : (١)

لكى ندنى صورة تأثر ابن بليهد بمختاراته هذه نعقد مقارنة سريعة بينة وبين ابن لعبون : فى مقدمتى قصيدتيهما .

يقول ابن لعبون :

١ - هل الدار ياعواد الا منـازل

سباريت ياعواد خفيت رسومها

(١) هو محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجى الوائلى - ولد «بجرمه» من اقليم «سدير» وبها نشأ ، ثم نزح الى «الكويت والمراق» وكان يتردد بين المدن الثلاث - «الكويت والذبير والبصرة» الى أن مات سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م من الطاعون ، الذى حل بتلك النواحي فى ذلك العام ، وقد مات شابا ، وله اشعار كثيرة فى غاية الجودة والمتانة والرصانة ، لا تقرا له الا وتحس روح الشعر الجاهلى وشعر صدر الاسلام ماثلا امامك ، اسلوبا ، ووزنا ولغة وقالبا ، ولا أدل على هذا من هذا الجزء من احدى قصائده التى اورد شطرا منها ابن بليهد فى مختاراته لشعراء العامية .

- ٢ - يلوح السنا فيها كما لاح زرقه
على خدمي من بقاي وشومها
- ٣ - مرابيع من قبل هذا وزينب
وهند وليلى فى مجارى رسومها
- ٤ - عفتها البوادي والغوادي وعلمها
هبوب رياح طال فيها لمومها
- ٥ - وغنت بها عقب البلابيل بالضحى
روم وعبيد والصرانيج بومها
- ٦ - وناقول ياعواد عنها تقللـو
خلو رزايا الدار للى يسومها
- ٧ - تروم البقاء منها وترجو لمثلها
وهذا غراب البين فيها يرومها
- ٨ - تبصر خليلي هل ترى من ظفائن
تقازت على حد الشفا من حزومها
- ٩ - تنحت على الحزم اليماني وقوضت
على شاطيء الجرعى تقوت عزومها
- ١٠ - كما السفن ياعواد فى لجة النيا
ضحى قوضت هبت عليها يمومها
- ١١ - لابد من فى مقاديم حيهم
على مثل بيت الحرب ولبه يزومها
- ١٢ - تنحرو مطلع سهيل وعارضو
مهامه قد طالت عليهم حزومها

- ١٣ - الايانديبي فوق منبوذة القرا
تشوف المرو مثل البرد من نسومها
- ١٤ - جزى مادعانا الشوق بالسير والسرا
خضر مناسمها وبيض لغومها
- ١٥ - أول موارى دارهم لك جلاله
حشى لله وتالى الدار زومها
- ١٦ - اذا جيت فى وادى سدير فخلها
تذب العفا ما فوقها الا وسومها
- ١٧ - قضت لازمى فى قطعها البید بالدجى
وتبى البر والمرعى ونبغى لزومها
- ١٨ - فى روضة فى مقدم الوسم صايبها
سيل وعله بالعقارب غيومها
- ١٩ - لين اشتبك من نبتها كل ناعم
تلقى الجوازى رتع فى هشومها (١)

ويقول ابن بليهد :

- ١ - يراكب من فوق خمس مسطر
بنات من يسبق على كل غاره
- ٢ - مهن بغضات ولهن بفطـر
حمر خذن من لون أبوهن صفارة
- ٣ - مشتاهن الدهنى الى استفحل القر
من عرقها الادنى الى أقصى زبارة

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

- ٤ - ومرباعها الصمان الى طاب واخضر
لزان ضمrane وزهر مـرارـه
- ٥ - وتصيف بالنشاش ودعو بالنصر
ومال من كبشان الى اقصى سماره
- ٦ - ترعى فياض كل يومن تمطر
وتتية فى وادى تباهل عشاره
- ٧ - هذى هى اللى للوازم تحضر
لشافها الطراش يقطع خيـارـه
- ٨ - سيروا عليهن بينة الفجر الأحمر
ومع طلعتة البيضا تمدن وارـه
- ٩ - باكر وعقبه ثم فى ناس ودير
اهل سدير أهل النخل والحضاره
- ١٠ - لشك خلوها مع الدرب الايسر
المك والعارض وضلعه يسـارـه
- ١١ - ومرو ولد عمى تراها تيسر
تلقون فنجال كثيرن بهـارـه
- ١٢ - قصره يناديكم على الطعسى الاحمر
بادى لريعان القرابين جـدارـه
- ١٣ - تلقون عنده عقب فنجال أشقر
حيل يقلطها صبي الخسـارـه
- ١٤ - والصبح من هاك البساتين تنشر
مع السهل ويجنبون الوعـارـه

١٥ - عطن مساس البید بر ورا بر
الى اختفى قاره بدار أس قاره

١٦ - ذبن غروب الشمس مع خشم الاصفر
اصفر عفيف وحنين الخضاره

١٧ - يشدن لريم بالدعيكة مذير
من كف تفاق قعد له وذاره

١٨ - يمشو من حادية خفان وعشر
قد ركده فوق العضيده مراره

١٩ - ويردن عد يارده كل من مر
مران جعل المزن يسقى حراره

٢٠ - صبحيه اربع عند النسوم الاسمر
وخذن مع هكا المسيل انحداره

٢١ - والساعة أربع وصلن القصر الاعفر
قصر الأمير الى تجينا خباره (١)

أ - نظم ابن لعبون قصيدته هو في «الكويت» يتشوق الى بلدته
«حرمة» ونظم ابن بليهد قصيدته في مدح فيصل بن عبد العزيز ،
على لسان ابن عمه الذي حبسه الافلاس في «الكويت» .

ب - وأنت ترى أن كلا الشاعرين وصف في مقدمة قصيدته الابل ،
غير أن ابن لعبون وصفها في خمسة أبيات هي من ١٣ الى ١٧ - أما
ابن بليهد فوصفها في ثمانية أبيات هي من ١ الى ٧ ، والبيت ١٧

ج - ثم أن كلا منهما وصف طريقه الى مقصده ، غير أن ابن بليهد وصف وصفا محددا واضحا فى الأبيات : ٨ ، ٩ ، ١٠ ثم ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ثم ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

أما ابن لعبون فقد وصف الطريق وصفا مجملا ، جاء متداخلا مع وصف الظعائن ووصف الناقصة .

د - وكلاهما وصف الروض ، فوصفه ابن لعبون فى بيتين هما ١٨ ، ١٩ كما وصفه ابن بليهد فى بيتين هما ٤ ، ٦ .

هـ - وانفرد ابن لعبون بوصف الديار الدوارس ، والربوع الروامس ، وتشبيهها والبكاء عليها ، كما انفرد بوصف الأظعان ، واكرام ناقته التى حملته - أو يتمنى أن تحمله - الى دار الأحباب ، كما انفرد بجميل الصور البيانية البديعة ، فهو يشبه بقايا السواد فى منازل الأحبة بالزرقة ، التى خلفها الوشم فى خد الحسناء .

يلوح السنا فيها كما لاح زرقنة
على خد مى من بقاى وشومها

والعامة تطلق السنا على السواد وللناقوس من لهب النار ، سواء أكان فى ظهر القدر ، أو فى القوة من لهب المصباح أو غيرهما .

كما يشبه الأظعان وهى تسير فى الصحراء ، والسراب يلفها من كل ناحية بالسفن وقد احتواها البحر فى الضحى ، وأخذت الرياح تدفعها الى هدفها ، وهو تشبيه تمثيلى رائع كما تراه فى قوله :

تنحت على الحزم اليمانى وقوضت
على شاطئ الجرعى تقوت عزومها

كما السفن ياعواد فى لجة النيا
ضحى قوضت هبت عليها يمومها

ويشبه المرو - وهو نوع من الحصى - عند انتشاره من تحت أخفاف
ناقته المسرعة فى السير ، بالبرد النازل من السحاب فتشره الرياح •

ألا يا نديبى فوق منبوزة القرا
تشوف المرو مثل البرد من نسومها

ويستعير ميتة الجمال والخيـل «الرزايا» ، لبقايا الدار التى يبكيها بعد
أن رحل أهلها منها •

وناقول ياعواد عنها تقللـو
خلو رزايا الدار للى يسومها

كما يكنى عن مواصلة ناقته للسير واسراعها فيه بتناثر الزبد حول
فمها «لغومها» كقوله :

جزى ما دعانا الشوق بالسير والسرا
خضر مناسمها وبيض لغومها

كما يمتاز : بإشراق الديباجة ، وحلاوة العبارة ، وكثرة الماء ، وجودة
التعبير ، ودقة التصوير ، وانتقاء الألفاظ ، وحسن التأليف وجودته
وشواهد ذلك كله فى هذا الجزء ، الذى أوردناه من قصيدته •

وإذا شئت مثالا على ذلك من غير ما أوردنا ، فخذ قوله مكنيا عن
نفسه بيعقوب ، وعن حبيبه بيوسف :

ياركب ماجيتو بيوسف ليعقوب
قبل الفجر ينضاح والليل غريب

مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب
تريضو ياركب منتو باجانيب

أو اقرأ قوله فى دار مى ، التى كثر ذكر اسمها فى شعره ، وفى البيت
الثانى تشبيهه لبقايا آثار الأحبة فى البیداء ، بالخبز الذى طفا على
وجه الادم ، وهو تشبيه يشبه فى بساطته وسذاجته ، تصوير ابن
الرومى للخبر فى كف الخباز ، من حيث الملاحظة وجمال التصوير :

يا منازل من فى هاك الحزوم
يمه الفيحا وشرق عن سنام
يستبين بها الخبير بها رسوم
طافحات مثل خبز فى يدام

ثم ان فى تصويره للروض ، وقد اختلفت أشجاره ، وتشابكت أعشابه
وتنوعت أزهاره ، فصار مرتعا للظباء ، صورة لا ترى مثلها عند ابن
بليهد حين وصف الروض ، فهو يقول فى ذلك :

فى روضة فى مقدم الوسم صابها
سيل وعله بالعقارب غيومها
لين اشتبك من نبتها كل ناعم
تلقى الجوازى رتع فى هشومها

أما ابن بليهد ، فقد انفرد بأن فخر بنفسه فى الأبيات ١١ ، ١٢ ، ١٣
وبأن فصل فى الطريق الذى سلك فيه مطيته ، التى سارت من الكويت
لتضع رحلها فى قصر فيصل بن عبد العزيز «بمكة المكرمة» *

أما الصور البيانية عنده ، فانها لا ترقى الى صور ابن لعبون ، لامن
حيث الكم ولا الكيف ، فانه ، لم يأت من ذلك الا بصورتين *

احداهما - كناية عن الكرم «بصبى الخسارة» أى الخادم الذى ينحر الذبائح للضيوف ، ويقدمها لهم بأمر من سيده .

وثانيتها : تشبيهه فى البيت ١٧ لناقته بالغزالة ، التى ذعرت من الصياد ومطاردته لها ببندقية ، ومن باب أولى القول : بأنه فى مرتبة أدنى من ابن لعبون ، من حيث التصوير ، وانتقاء الألفاظ ، وطريقة نظمها ونحو ذلك ، مما امتاز به ابن لعبون .

ولو تتبعنا أثر رجال مختارات ابن بليهد ، فى شعره العامى لوجدناه ظاهرا ، تنضح به جميع قصائده ، تكن أثرنا الاكتفاء بما أوردناه من أثر ابن لعبون ، فى احدى مطولات ابن بليهد .

رابعا :

وتدل هذه المختارات على أن ابن بليهد كان ذا ذوق رفيع ، اذ لا تكاد تعثر فى تلك المختارات على قصيدة لاتحظى بالمركز الأول فى نظم أصحابها وأمثالهم من شعراء العامية .

ثم ان تلك المقطعات من الأبيات ، التى أوردتها فى أحاديثه عن رجال المختارات ، ليس فيها الا ما هو منتظم فى جيد الشعر العامى وحسنه .

ثم انها تدل على أن ابن بليهد كان يجنح فى الشعر الى ما يتسم بالجودة ، وتكثر فيه الحكمة والموعظة حتى ما كان منه غزليا ، وما هو دليل على صاحبه وأخلاقه وميوله .

فتتبع هذه المختارات يوحى بأن أسس الاختيار عنده قائمة على : الجودة ، الاشتمال على الحكمة ، الصدق فى المشاعر والتصوير ، وذلك كله متوفر فى هذه المختارات .

الباب الثالث

● عرض عام لشعره وأغراضه ●

الفصل الأول : عرض عام لشعره

الفصل الثاني : أغراض شعره

الفصل الأول

• عرض عام لشعره •

وقع لى من شعر ابن بليهد : قصائد عثرت عليها فى «مصر»
قصيدتان أمدنى بهما الشاعر الكبير احمد ابراهيم الغزاوى • قصائد
نشرها فى صحيفة أم القرى ، ولم يتضمنها الديوان • قصيدته فى عين
نجم •

الديوان «ابتسامات الأيام» • قصائد عامية أمدتنى بها أسرته
والأمير مانع أبو العلا • (١)

(١) قضى ابن بليهد فى مصر ما ينيف على ثلاث سنين قضاها فى
العلاج والاستجمام وطبع بعض مؤلفاته التى كان أول ما طبع
منها الديوان فى عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م) ، وقد تضمن مما
نظمه فى مصر أثناء علاجه أربع قصائد •

من هنا قام فى ذهنى شك فى أن تلك القصائد لم تكن هى كل
ما نظم فى مصر • أولا : لأن هذه القصائد نظمت وهو تحت
العلاج أو بعده بقليل وثانيا : أنه ظل فى مصر بعد طبع الديوان
ما يربو على سنتين ونصف •

وليس من المرتاح اليه ، ألا ينظم شاعر مثل ابن بليهد فى
هذه الفترة الطويلة شيئا •

(١) سبق الحديث عنها فى الفصل السابع من الباب الثانى •

من هنا عازمت على البحث عن كل من له صلة به ، الى أن
قادنى السؤال الى رجل (١)أتحبنى بجملة من قصائد ابن بليهد ،
بلغ مجموعها سبع قصائد ، فيها ثلاث طويلة ، وثلثان مقطوعتان

وأغراض هذه القصائد متنوعة :

فمنها فى الوصف قصيدته الحلوانية ، التى وصف فيها
حدائق حلوان ومياهها والقطار الموصل اليها •

ومنها مقطوعة فى الهجاء •

وقصيدة ومقطوعة فى التذكر والحنين •

وقصيدة مطولة عارض فيها عليا بن الجهم فى رصافيته •

وأخرى طويلة فى ذكرى المولد النبوى الشريف •

وقصيدة نونية اشتملت على حديث عن مصر ونجد (٢) •

(٢) وفى لقائى بالشاعر الكبير احمد ابراهيم الغزاوى أمدنى
بقصيدتين من أجمل ما نظم ابن بليهد •

احدهما : فى وصف الذئب وليلة قضاها معه ابن بليهد فى
الصحراء •

والثانية : فى رثاء الملك عبد العزيز صدرت بيتين بدأ ينظم

عليهما ، ثم لم تعجبه قافيتهما : كما ذكر : فعدل عنهما (٣) •

(١) هو الشيخ عبد العزيز حسين أحمد سرى •

(٢) سيرد الحديث عن هذه القصائد فى مواضعها من البحث مستقبلا •

(٣) سترد شواهد منها فى البحث مستقبلا

(٣) وكان ابن بليهد ينشر شعره الذى ينظمه فى المناسبات فى صحيفة أم القرى وحين عزم على جمع الديوان فاته كثير مما نشر ، كما حدثنى بذلك ابن أخيه سعود بن عبد الرحمن آل بليهد ، ومنه قصيدته فى توديع الأمير فيصل بن عبد العزيز ، حين سافر الى اوربا عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) .

وفى تتبعى لصحف المملكة عثرت على خمس قصائد ، لم يضمها ابن بليهد الديوان ، ومنها قصيدته فى توديع الأمير فيصل ، أما الاربع الباقية فاحداها فى رثاء الإمام عبد الرحمن الفيصل والد الملك عبد العزيز ، الذى توفى (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م) ، والباقي فى مناسبات أخرى لم يعينها ابن بليهد فى الصحيفة ، لكن مضمونها يدل على أن وراءها أحداث . (١)

(٤) وفى كتابه « ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه » (٢) المخطوط وردت له قصيدة فى عين نجم ، التى ذهب اليها عام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) للاستحمام بمياهها المعدنية .

(٥) الديوان « ابتسأت الأيام » وسيأتى عرضه ان شاء الله .

هذا هو ما عثرنا عليه مما لم يحوه الديوان من شعره .

وقبل أن نأخذ بعرض الديوان ، نؤمى الى أول قصيدة واخر قصيدة قالها فيما عثرنا عليه .

(١) نشرت فى الاعوام (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م) ، (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ ، ١٣٤٩

هـ - ١٩٣٠ م) .

(٢) ما تقارب سماعه ص ٣٢ .

أ - أول قصيدة قالها :

ان أقدم ما بأيدينا من شعره كان فى عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) وهو فى السابعة والعشرين من عمره اذ كان مولده عام (١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م) ، وليس من المعقول أن تذهب أيام الصبا والشباب دون أن يقول - شاعر مجيد مثل ابن بليهد - فيها شعرا ، ثم أنه كان ينازل فحول شعراء العامية - وهو فى الثانية عشرة من عمره - كما ذكر فى مقدمة ديوانه •

ونعود فنقول : ان كلمة الشيخ (احمد بن عيسى) التى صفع بها وجهه أمام عمه (حسب ابن اخيك نظم الخرز) كانت هى كل السبب •

على أن انتصار جيش الملك عبد العزيز فى موقعة «تربة» قد أخرج الشاعر من صمته ، وأنطقه بأولى محاولاته ، فى الشعر العربى الفصيح وهى القصيدة التى مطلعها :

تغير رسم الدار أصبح خاليا

فليس بها حى يجيب المنايا (١)

هذا هو مطلع قصيدته فى ذلك الحدث ، الذى هز وأيقظ مشاعره واحساساته ، التى جمدها كلمة الشيخ ابن عيسى ، فاستثارها انتصار جيش الاخوان على جيش الشريف ، فانتعش ابن بليهد بعد نظمه لهذه القصيدة •

ولما كان الشيخ (٢) أحمد بن عيسى (رحمه الله) قد توفى ، فقد ذهب (ابن بليهد) بالقصيدة الى تلميذ الشيخ (أحمد) وابن عمه الشيخ

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ • (٢) هو الشيخ احمد بن عيسى

ابراهيم بن عيسى (رحمه الله) فأعجب بها ومدحها في رسالة منه الى ابن بليهد (١) .

أما الشعر العامي ، فقد كان من فحوله ، كان ينظم فيه وينازل فحوله وهو في الثانية عشرة من عمره ، غير أننا لم نعثر من شعره ذلك على شيء ، الا ما ذكره هو في مقدمة ديوانه ، وهو من شعر الألفاظ المسمى عند عامة أهل «نجد» بالخطو (٢) .

يقول فيها :

وش لون عود توكلنا على الله شايلن عود
ما هو من والديه وشاله الله لا يثيبه
العود الاسفل له أربع قائمات كلهن سود
وما يقف الا على ساق فريد يرتكى به (٣)

ثم القصيدتين العاميتين المثبتتين في الديوان ص ٣١٠، ص ٣١١ وهما غزليتان ، نظم الأولى منهما وهو في السابعة عشرة من عمره ، كما نظم الثانية وهو في العشرين من عمره .

ب - آخر قصيدة قالها :

أما آخر قصيدة نظمها فالذى وصل الى خبره قصيدتان أولاهما :
التي نظمها في عين نجم ، وهى مثبتة في كتابه «ما تقارب سماعه
وتباينت أمكنته وبقاعه» (٤) وهو مخطوط وقد نظم هذه القصيدة
في عام (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) ومطلعها :

-
- (١) انظر ص ٦٣٣ وما بعدها من هذا البحث .
(٢) سمي بالخطو لكونه مستور المعنى كالخطي الذي لا يستبين الا بعد كشف
الخطاء .
(٣) ابتسامات الأيام ص ٦ .
(٤) ابتسامات الأيام ص ٣٢ .

تحممت فى نجم وقد طلع النجم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم

وثانيتها نظمها فى بيروت بلبنان عام (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) .
قبيل وفاته - رحمه الله - وما حصلت منها الا على خبرها ، من اولاد
الشاعر الذين يقولون : أنها ضاعت .

وهناك قصيدة عامية وصلتني بخطه نظمها بعد رجوعه من مصر
يخاطب فيها أحد شعراء العامية «لويحان» .

يا طير يلى بالهدى يكسر الحوم
انقل كتاب اللوح واحفظ وصاته

هذا خبر ما وصلنا من شعره ، الذى وصفه العارفون به بالكثرة
والوفرة ، فحسبنا ما بأيدينا منه ولنصرف النظر عن المفقود ، فالحكم
انما يكون على الموجود . وفيه كفاية للدارس .

الديوان :

اسم الديوان ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام (أى الملك عبد
العزيز) طبع بمطبعة السنة المحمدية بشارع غيط النوبى بالقاهرة
(١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م) وعدد صفحاته ستون وثلاثمائة صفحة من
القطع الكبير .

المقدمة :

قدم ابن بليهد للديوان بنبذة ، أثنى فيها ثناء جيداً على الشعر
العامى ، وأشار الى بروزه فى هذا الميدان ومجاراته لفحوله على الرغم
من صغر سنه ، ثم أنحى باللوم على أولئك الذين ينتقصون الشعر العامى من

المفكرين ، واتهمهم بالتسامى فى أبراجهم العالية عن الميادين التى برز فيها الشعر العامى ، واتهمهم بالجهل بخصائصه التى لو حكمت فيها معايير الشعر الصحيحة ، لشهدت له بما فيه من قيم ويعنى بالمعايير الصحيحة هنا ما يشتمل عليه الشعر العامى من مظاهر جمالية ، وما يثيره من عواطف واحساسات .

أما الفصاحة فى اللغة والأسلوب فغير واردة هنا ، والا لكان مخطئا فى قوله هذا ، لكنه انما يعنى الشعر العامى ومعاييره المعروفة لدى أصحابه ، ولذا فهو يثنى عليه ثناء المعجب به ، الذى يضعه فى صف الأدب العربى الحديث، من حيث أشباعه للتنزعات الشعورية والاحساسية فى النفس البشرية .

ثم أشار الى نجاحه فيه ، ذلك النجاح الذى دفعه الى ميدان أجل وأعظم ، وهو ميدان الشعر الفصيح مومئا الى أولى محاولاته فيه ، ثم ذكر أنه سيقسم الديوان الى فصول ، كل فصل من الفصول الثلاثة الأولى مضافا الى واحد من الملوك الثلاثة : الملك عبد العزيز ، وابنيه سعود وفيصل ، واشرك عبدالله الفيصل مع أبيه .

أما الفصل الرابع فمراث ، والفصل الخامس قصائد متفرقة ويلى هذه الفصول كلها جزء خاص بالشعر النبلى .

ولما كان شعره الا قليلا منه فى المدح ، فاته قد اعتذر عن ذلك بقوله (أن هذا الديوان الماع (١) لما جرى من أحداث وظروف ، وأحوال اجتماعية وسياسية ، ودينية فى حياة هؤلاء الأبطال الثلاثة ثم ذكر أنه لن يبدل فيه شيئا اقتداء بقول العماد الأصفهاني : (انى رأيت أنه

(١) ابتسامات الأيام ص ٨ .

لا يكتب انسان كتابا فى يوم الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر - وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر) •

الفصل الأول : (١)

فى مدح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله •
مهد ابن بليهد لهذا الفصل بكلمة مقتضبة عن الملك عبد العزيز ، وهى عبارة عن اشارات الى فراغات المتفرسين فيه ، وتشتمل على أحاديث مقتضبة عن حياته ، لا تعطى ولو صورة تقريبية عنها (٢) •

بدا بعدها بإيراد القصائد التى نظمها فى مدح الملك عبد العزيز أولها القصيدة التى نظمها فى وقعة تربه عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) وآخرها قصيدة فى مناسبة قدوم الملك عبد العزيز وابنه سعود رحمهما الله - من «الخبر» فى شرقى المملكة الى «مكة» فى غربها عام (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م) ، وعدد قصائد هذا الفصل (٣٢ قصيدة) نظمت فى (٢٨ عامًا) •

الفصل الثانى من الديوان : (٣)

فى مدح ولى العهد (الملك الأسبق) سعود بن عبد العزيز - رحمه الله
بدأ هذا الفصل بنبذة عن مولد ، الملك سعود ، ثم ذكر شيئاً من صفاته وأعماله ، وكيف أنه نشأ على يد أبيه نشأة المحاربين الصالحين

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ - ١٢٧ •

(١) ابتسامات الأيام ص ٩ - ١٤ •

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٢٨ - ١٣١

كما أشار الى خدمته للعلم والفكر ، وأشار الى مصادفة مولده لمقتل أمير الرياض من قبل آل رشيد ، مما يعد فألا حسنا للدولة السعودية ورد نجابته ونبل خلاله الى التقاء اليمنية والعدنانية فى نسبه ، وهى مقدمة حسنة مقتضبة ، استشهد فيها بأبيات للشاعر محمد بن عثيمين أشار فيها الى ولاية العهد قبل عقدها بثلاث عشرة سنة •

بعدها بدأ فى ايراد القصائد المضافة الى الأمير سعود وعددها (١١ قصيدة) منها ثلاث مناسباتها قدومه من ثلاثة أسفار ، وقد نظمت أولى القصائد عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) ، وآخرها عام (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) ، أى فى (١) ٢٠ عامًا •

الفصل الثالث : (١)

فى مدح - سمو النائب العام - فيصل بن عبد العزيز (الملك السابق - رحمه الله - وابنه عبدالله •

مهد ابن بليهد لهذا الفصل أولا : بنبذة عن حياة - نائب الملك بالحجاز - الأمير فيصل بن عبد العزيز ووزير الخارجية ، أشار فيها الى مولده ونشأته فى بيت جده لأمه الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ال الشيخ بعد وفاة أمه وهو صغير ، كما قرن مولده بمقتل خصم أبيه اللدود عبد العزيز بن رشيد ، ثم أشار الى بعض الأعمال التى أسندها أبوه اليه ولم يستوعبها ، مما يحمل على الاقتناع بأنه كتب هذه المقدمة قبل طبع الديوان بزمان طويل ، لأنها لم تتضمن الكثير من الأحداث والرحلات ، التى قام بها فيصل بن عبد العزيز ، والتى أشار

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ - ١٧١ •

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٧٢ - ٢١٠ •

ابن بليهد نفسه الى بعضها فى كتابه «صحيح الأخبار» عند ذكر أسباب تأليفه لذلك الكتاب (١) .

ومما يؤكد هذا الظن قول ابن بليهد ، فى حديثه عن الأمير عبدالله الفيصل وعند كتابة هذه الكلمات أسند اليه حضرة صاحب الجلالة الملك وزارة الداخلية ووزارة الصحة « (٢)

وزارة الداخلية والصحة قد اسندتا الى الأمير عبدالله قبل طبع الديوان بسنين .

ثم أورد فى صفحة واحدة حديثا عن الأمير عبدالله الفيصل ، وما يقال فى حديثه عن الأب يقال فى حديثه عن الابن من اغفال جزء كبير من حياته ، التى عاصرها ابن بليهد وعاشها صديقا ورفيقا للأمير عبدالله ، وهى الفترة الأهم فى حياة الأمير واستطرد فنقل بعد هذا فصلا خاصا بأمراء مكة من كتاب «مرآة الحرمين» لابراهيم رفعت باشا وقد شغل فى الديوان ثلاثين صفحة ، فاذا أضفنا اليه عشر صفحات سبقتها عن حياة الأمير فيصل وابنه عبدالله ، فان مقدمة الفصل الثالث تكون حينئذ (٣٩ صفحة) بعدها أورد ابن بليهد القصائد المضافة الى الأمير فيصل وابنه عبدالله وهى (١١ قصيدة) نظمت أولاها عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) . وآخرها فى عام (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) (اى فى ٢٥ عاما) (٣) .

فصل الرثاء : (٤)

وفيه سبع قصائد رثى فيها علماء وأصدقاء وزوجته الثانية .

(١) صحيح الأخبار ١ : ١ . (٢) ابتسامات الأيام ص ١٨٠ .
(٣) ابتسامات الأيام ص ٢١١ - ٢٤٢ . (٤) المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٦٤ .

قصائد متفرقة : (١)

القصيدة الأولى : نظمها بمناسبة اقامة السد الذى فى أعلى «مكة»
عام (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م) .

القصيدة الثانية : قالها عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٢٨ م) . فى خلاف
جرى بين مدير مالية مكة محمد سرور الصبان ، ومدير مالية «الظفير»
خليل عبد الجبار حول حق مالى للشاعر .

القصيدة الثالثة: نظمها بعنوان «فرحة الشفاء» ولم يذكر لها تاريخا
الا أنها كانت بعد شفائه من مرضه الذى وفد على مصر لمعالجته فى ٢٢
من ربيع الأول (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) .

القصيدة الرابعة : لم يذكر لها تاريخا أيضا ولكنها كانت وهو فى
مصر بين عامى (١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م - ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م) قدم
لها بمقدمة وصف فيها مرضا كان فى كتفه الأيسر، غير الشلل الذى كان فى
الأيمن ، وحكايته مع ذلك الألم ، وذكر أن المرضيتين القائمتين على
علاجه بالكهرباء ، طلبتا منه أن يذكرهما فى شعره ، فقال فيهما هذه
القصيدة :

القصيدة الخامسة :

نظمها على لسان عساف بن حسين المنصور فى المرضتين نفسيهما
وكان العساف هذا يعالج هو أيضا تحت اشرافهما ، .

(١) المرجع السابق ص ٢٦٣ - ٢٧٨ .

القصيدة السادسة :

وهى آخر قصيدة فى الديوان من الشعر الفصيح لم يذكر لها تاريخا وهى بعنوان «شكر وثناء» قالها بعد شفاؤه من المرض ، وقد مدح فيها مصر واثنى على الدكتور عمر اسعد الطبيب الذى أشرف على علاجه ثم ختم الشعر الفصيح باعتذار لأولئك الاخوان الذين قد يسوؤهم ما فى شعره ، وعذره فى ذلك أنها قيلت فى ظروف كانت أقسى بكثير مما يحس فى بعض أبيات شعره .

وبذلك يكون الشعر الفصيح قد انتهى فى ديوانه .

الجزء الثانى من الديوان : نماذج من الشعر النبطى .

هذا الجزء مهد له ابن بليهد بمقدمة أشار فيها الى أن الشعر النبطى ، لا يلتزم اللغة العربية الفصحى ، وانما يلتزم الأوزان والقوافى المتعارف عليها عند أهل هذه الصنعة ، ثم قسم المختارات الى قسمين :

أ - مختارات من شعره فى المدح ، والوصف ، والعتب ، والغزل والشكر وهى (١٦ قصيدة) (١)

ب - مختارات من الشعر العامى ، لبعض مشاهير شعراء العامية بنجد وهم حميدان الشويعر ، ومحسن الهزانى ، ومحمد بن لعبون ، ومحمد القاضى ، وعبدالله بن سهيل وتركى بن حميد .

وتنتهى هذه المختارات فى ص ٣٥٣ ، وبها ينتهى الديوان ، أما الصفحات العشر المتبقية ففهارس .

ملاحظات عامة :

(١) تبدو عناية ابن بليهد بالشعر العامى واضحة جلية ، فى مقدمة الديوان وفى آخره ، فهو أولا شغل حديثه عنه اكثر من نصف المقدمة ثم أنه وضع قسما فى آخر الديوان (١) ضمنه مختارات من هذا الشعر العامى من شعره ومن شعر الآخرين ، ثم أن الحماس يظهر عنده أكثر وهو يتحدث عن الشعر العامى فى المقدمة بينما عبر فى مروره على ذكر الشعر الفصيح سريعا .

(٢) فى الاعتذارين أو التعليلين (٢) اللذين قدمهما ابن بليهد ، تحس أنه يشعر بحرج فيما قدم من شعر ، وقد يكون الدافع له فى الأول ما شاهده عند بعض الناقدين فى «مصر» ، من اتجاه الى نبذ شعر المدح والمناسبات .

(٣) قدم القصائد بمقدمات ذكر فيها تاريخها ، وسبب نظمها وموضوعها على أنه فى القليل النادر أهمل تاريخ النظم ، وقد يصحب تلك المقدمة كتاب أو خطبة (٣) ، على أن أسلوب تلك المقدمات فيه بعض التكلف والمبالغة (٤) .

(٤) جاءت قصائد ديوان ابن بليهد الا أربعة منها وليدة الأحداث السياسية ، والتغيرات والأوضاع الاجتماعية ، أما تلك القصائد الأربع ، فهى التى نظمها فى مصر وأشرنا اليها سلفا .

(٥) وهناك من شعر ابن بليهد الكثير الذى لم ينشر ، وقد أسلفنا فى صدر هذا الفصل ايماءه اليه .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٩ - ٣٥٣ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٨ ، ٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٩ ، ٢٢٨ .

(٤) سبق ايضاح ذلك فى الفصل السادس من الباب الثانى ، الخاص بنثر ابن بليهد .

الفصل الثاني أغراض شعره

وضع ابن بليهد شعره في الديوان تحت ثلاثة أغراض ، أو ان شئت فقل قسمه الى ثلاثة أقسام : هي المدح في الفصول الثلاثة •

الأول : في مدح الملك عبد العزيز •

والثاني : في مدح ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز •

والثالث : في مدح نائب الملك على الحجاز الأمير فيصل بن عبد العزيز وابنه عبدالله (١) •

والغرض الثاني : الرثاء ، وفيه (سبع قصائد) (٢) •

وأما القسم الأخير من ديوانه ، فجعله تحت عنوان (قصائد في موضوعات متفرقة) وفيه (ست قصائد) (٣) ، فيها الاجتماعى كقصيدته بمناسبة السد الذى أقيم فى مكة (٤) ، وفيها الغزل كقصيدته فى المرضيتين (٥) •

وما عدا ذلك من الأغراض مبثوث فى ثنايا شعره خلا الوصف ، فقد عثرت له على بعض قصائد منها وصفه للذئب ، والقطار ، وحدائق

(١) ابتسامات الأيام من ص ١٠ - ٢٤٢ •

(٢) ابتسامات الأيام من ص ٢٤٣ - ٢٦٢ •

(٣) المرجع السابق من ص ٢٦٣ - ٢٨٠ •

(٤) المرجع السابق ص ٢٦٣ •

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٤ •

حلوان ، وعين نجم ، أو الهجاء الذى وجدت له فيه مقطوعة ، ثم الشعر الدينى ، الذى وجدت له فيه قصيدة فى مدح الرسول — عليه الصلاة والسلام — ، وكل هذا الأخير مما لم يحوه الديوان ، وسيأتى الحديث عنه وعن سواه من شعره المطبوع وغير المطبوع — ان شاء الله — فيما يأتى من بحوث •

غير أن المتتبع لشعره يجد أغراضا تتخلل قصائده ، وبعضها يستبد بالقصيدة الا أبياتا قلائل هى نصيب عنوانها منها •

من ذلك على سبيل المثال القصيدة التى نظمها فى عام (١٣٤١هـ) (١) عندما سجنه «قائم مقام» (٢) المدينة المنورة الشريف شحاذ بأمر من الحسين بن على «شريف مكة» بتهمة التعاون مع ابن سعود وتهريب السلاح له •

فان هذه القصيدة تشتمل على حكم ومثل، وجلها فى هجاء الشريف ووصف حال ابن بليهد عندما سجن ، ومع هذا وضعها تحت عنوان «مدح الملك عبد العزيز» •

وللقصيدة نظائر فى الديوان سنشير اليها فى موضعها ان شاء الله • وقبل أن نأخذ بأطراف الحديث عن اغراض الشعر عنده ، نلمع الى ما قاله السابقون فى هذا •

للمتقدمين من نقاد العرب فى أغراض الشعر أقوال كثيرة ، فبعضهم يعدها عشرة كابن رشيق (٣) ، الذى درس كل واحد منها فى باب

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٢ •
(٢) حاكم ، أو أمير ، أو محافظ •
(٣) راجع الجزء الثانى من «العمدة» لابن رشيق •

مستقل ، وهذه الأغراض هي : النسيب ، والمديح ، والافتخار ، والرثاء واللاقتضاء ، والاستنجاز والعقاب والوعيد ، والهجاء ، والاعتذار .

كما ذكر ابن رشيق فى العمدة أن فيهم من عده فنا واحدا ، هو الوصف وجعل كل أغراض الشعر مندرجة فيه ، فالمدح وصف للمدوح وخلالله وسجاياءه، والهجاء كذلك ، كما أن الغزل وصف للحبيب والمحبيب على حد سواء ، اذ هو وصف للمحبيب ومحاسنه ، أو وصف لحال المحب فى اشتياقه والتياغه وتعلقه بمحبوبه (١) وهكذا فكل غرض من أغراض الشعر ، وصف لما نظم فيه ، وفيهم من جعله بين هذا وذاك ففصل نوع تفصيل ، فصاحب «ثمرات الأوراق» يعدها أربعة وهى : الفخر والمديح ، والهجاء ، والنسيب (٢) .

كما جعلها أبو هلال العسكري ستة هى : المدح ، والهجاء ، والوصف والنسيب ، والمراثى ، والفخر (٣)، وأقوال أخرى كثيرة بعضهم يعدها خمسة (٤)، وبعضهم عدها سبعة (٥) ، وآخر عدها اثنين (٦) وهكذا

وفى «أسس النقد الأدبى» (٧) تحدث الدكتور أحمد بدوى عن ثلاثة عشر غرضا من أغراض الشعر وهى :

الغزل ، والمدح والفخر ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ، والاعتذار والوصف ، والحماسة ، والحكمة ، والقصص ، والفكاهة ، والألغاز .

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ٢ : ٢٢٦ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ م .

(٢) ثمرات الأوراق ص ٤٥ لابن حجة الحموى المطبعة الخيرية .

(٣) .الصناعتين ص ١٢٧ لأبى هلال العسكري مطبعة محمد صبيح .

(٤) العمدة لابن رشيق ١ : ٧٧ .

(٥) قواعد الشعر ص ٢٨ لأبى العباس ثعلب مطبعة الحلبي سنة ١٩٤٨ م ص ١٢٤

(٦) العمدة لابن رشيق ١ : ٧٨ .

(٧) أسس النقد الأدبى - للدكتور احمد بدوى - مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م

ص ١٢٤ - ٢٧٠ .

وفى الأدب الغربى يقسمون أغراض الشعر الى أربعة : غنائى ، وملحمى ، وتعليمى ، وتمثيلى (١) ، وعليه جرى بعض المتأخرين من العرب .

وعن تقسيم الشعر الى ثلاثة أقسام : قصصى ، وغنائى ، وتمثيلى قال الأستاذ احمد الشايب : (ومهما يكن من قيمة هذا الشعر العربى ومكانته البيانى الرائعة ، فقد انحصر فى هذه الدائرة (يعنى دائرة الشعر الغنائى) وفى داخلها قسمه نقاد العرب الى أقسامه المشهورة واكثرها من الكلام حولها وحول الأسس القائمة عليها ، ويمكن رد جميع ما قالوه الى أصليسن :

الأول أن التقسيم قائم على أساس العاطفة الفردية : فالرغبة : توجد المدح والرغبة الاعتذار ، والحب يثمر النسيب والبغض ينشئ الهجاء ، والاعجاب يدعو الوصف والاطراء وهكذا .

الثانى : أن هذا الأساس نفسه اختلف فى اعتباره الى وجهين : أحدهما أن يذكروا الانفعالات أو العواطف من ناحية الشاعر نفسه ، وما ينشأ عنها من فنون كقولهم : قواعد الشعر أربعة : الرغبة ، وتنتج المدح والشكر ، والرغبة وتنتج الاعتذار والاستعطاف ، والطرب وينتج الشوق ورقة النسيب ، والغضب وينتج الهجاء ، والتوعد والعتاب .

وثانيهما : أن يعكسوا الوضع فيذكروا الفنون نفسها ملاحظين ما تثير من عواطف فى نفوس السامعين ، كقولهم : الشعر نسيب ، ومدح، وهجاء ، وفخر ووصف الى نحو ذلك (٢) .

(١) انظر النقد الأدبى لأحمد أمين ١ : ٧٦ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٢) اصول النقد الأدبى ص ٣١٠ - ٣١١ احمد الشايب مكتبة النهضة المصرية .

وفى تعليق استاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود على تقسيم أغراض الشعر عند أبى هلال العسكرى (١) الى ستة قال : -

(وأغراض الشعر - على ما يذكر أبو هلال بعد - كثيرة ، وانما كثر استعمال ستة منها وهى : المدح ، والهجاء ، والوصف ، والنسيب والرثاء ، والفخر ، ولكل غرض من هذه الأغراض معان هى به أليق ، وعلى الشاعر أن يعتمد هذه المعانى ويحفظها ، وي طرح ما خالفها ، ليصيب شاكلة الصواب) (٢) •

والحق أننا لو جزأنا أغراض الشعر ، على هذا النحو لطال بنا الوقوف أمامها ، اذ أن الشعر ما هو الا تصوير للحياة ، فى ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها ، أو ذلك كله معا ، وأغراض الانسان فى تصوير الحياة شتى ، فحسبنا ما ألفت الاقلام فيه الحديث •

المديح :

المديح فن الثناء والاكبار والاحترام ، والمدح من الفنون العريقة فى الأدب العربى ، وهو كذلك كان لدى الأمم الأخرى قديمها وحديثها فقد عرفه شعراء المصريين واليونان والهنود والرومان وغيرهم •

ولقد كان شعر المديح منذ بدأ وحتى عصرنا هذا ، يسمى دائماً وأبداً فى ظل مبدأ أو اتجاه : دينى ، أو سياسى ، أو أخلاقى حسبما تمليه نفسية الشاعر ومصالحته ، وحسبما تفرض عليه بيئته ومجتمعه فهو فى أيام الجاهلية يسير وراء العصبية القبلية ، وفى صدر الاسلام يستظل براية الدين ، فيمجده ويمدح رجاله ، ويعلن فضائلهم وخلالهم الحميدة المستمدة من ينبوعة السماوى •

(١) الصنائع ص ٩٦ بتحقيق البجاوى وابى الفضل - دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م •

(٢) نصوص نقديه ص ١٦٧ محمد السعدى فرهود دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٥ م •

ثم هو فى عهد بنى أمية شعر الأحزاب والطوائف ، هذا خارجى
وذاك هاشمى وآخر يمنى وغيره أموى وهكذا •

وظل شعر المديح عند العرب مرتبطا بالمذهب والدين ، وسائر ، فى
مواكب الزعماء والسادة والأمجاد •

فالشاعر يتغنى بفضائل ، ممدوحه ، وينتقى له من الصفات والخلال
أفضلها وأسمائها ، فينميها اليه ويجعلها علما عليه ، ويرصد الأحداث
والمناسبات ، فيسجلها فى صورة لقطات ، تشبه لقطات المصورة ، تشير
لك على الطريق ، ولكنها لا تسير معك فيه ، وإذا كان شعر المديح قد
خدم رغبات الشاعر ونزعاته فى حياته ، فانه قد خدم ممدوحه
وخلد لهم على نحو ما أشار اليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى
الله عنه - حين سأل أبناء هرم بن سنان عما قال زهير فى أبيهم ،
فأجابوه بأن أباهم كان يجزل له العطاء ، فرد عليهم عمر - رضى الله
عنه - بقوله : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم • يعنى بذلك أن
زهيرا قد خلد ذكرهم فى التاريخ •

وقد شاب التكسب والاستجداء جو شعر المديح ، حتى عابه الناقدون
وغالى بعضهم فى هذا الحكم ، فأطلقوه على شعر المديح أجمع •

ولعلمهم نظروا الى ما نظم من ذلك أيام عصور الانحطاط ، فانطبعت
فى أذهانهم صورة الشعر فى تلك العصور ، ومنها استمدوا حكمهم هذا

على أن الشعراء لم يقصروا مدحهم على الزعماء والسادة ، بل
مدوا مظلتهم على ما هو أبعد من ذلك ، بكثير فمدحوا : العلم ، والعلماء
والديار ، والأمصار ، كما نظم كثير منهم القصائد الطوال ، فى مدح
البارى تبارك وتعالى ، ومدح المصطفى - عليه الصلاة والسلام -

ويرفع الأمير شكيب أرسلان شعراء المديح، الى مرتبة دعاة الإصلاح والمصلحين ويرى أن عملهم انما هو خدمة للامة ومصالحها التى يمثلها الحاكم ، أو المفروض فيه أن يكون ممثلاً لها (فالشاعر الذى يتصل بملك من الملوك ، أو أمير من الأمراء ، سواء فى شرق أو غرب ، لم يكن يجد من الغضاظة فى شىء التغنى فى مدح سيده ، حتى لو لم يكن أهلاً لكل ذلك الاطراء ، لأن مثل هذه الطبقة من الشعراء والأدباء يذهبون الى أن الكلام انما هو للمقام لا للمقيم ، وأن المقام هو رمز الأمة وعنوان الملة ، ثم شاعت الأقدار فى أخريات الزمان أن يدخل الضعف على الدول الاسلامية بأجمعها، وأن تغلظ شوكة الأجانب الغربيين بين أيديها ومن خلفها ، وان تحيط بكثير منها وتأخذ على أيدي ملوك الاسلام ، فلا تبقى لهم سوى الرسوم والألقاب ، ويتغلغل نفوذ الأجانب فى هذه الحكومات المغلوبة على أمرها : فتصير الأمة التى فى مثل هذا الموقع وقد أخذ الأجانب بخناقها تتطلع الى أميرها الأصلي (١) وتمعز من مقامه وتضاعف من اجلاله بناء على أنه هو رمز استقلالها الوحيد فالمبالغة فى اجلال هذا لرمز انما هى المبالغة فى حفظ الاستقلال نفسه (٢) .

واشتمال فن المديح على كثير من القيم الانسانية والصور الأدبية
أمر لا ينكره الا مغالط يريد أن يجعل من ذلك سلما لهوى في نفسه .

فأين مكان روائع : البحتري ، والمتنبى ، وشوقي ، وأمثالهم ، فى القديم والحديث عند من ينبذ شعر المديح ؟ *

(١) هكذا ورد في النص من كتاب «شوقي أو صداقة أربعين سنة» للامير شكيب أرسلان .

(٢) شوقى أو صداقة أربعين سنة • بقلم أمير البيان الامير شكيب ارسلان ، مطبعة عيسى الحلبي بمصر (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) • ص ٢٤ ، ٢٥ .

أهداف مدحه :

ان الدارس لشعر المديح عند ابن بليهد ، قد يعتريه شىء من الملل عند أول نظرة ، بل قد يشعر بميل الى الاعراض والعزوف عن قراءته والعدول عن دراسته ، لأنه ينسج على منوال واحد رتيب ، ويدور فى اطار فردى لا يلائم الفكر الجماعى ، الذى ينادى به رجال هذا العصر الذين يفهمون شعر المديح على أنه مظهر من مظاهر الفردية ، وان الأدب يجب أن يكون ذا رسالة جماعية ، أى أن يضع منفعة الجماعة فوق منفعة الفرد .

على أن شعر المديح ليس كله من مظاهر فردية ، بل أن القليل النادر منه ما يكون كذلك الى أن المادح اذا لم يمدح لمكرمة أسداها الممدوح الى مجتمعه كصنيع هرم بن سنان ، والحاتر بن عوف وأمثالهما فلا بد أنه ذاكر فى مدحه من الصفات والأخلاق والعادات المحببة ، ما يغرى به الممدوح وبالتالي القراء ، وهذه دعوة الى التزام الحسن من الاخلاق والعادات .

أما أولئك الذين مدحوا لأعمال جليلة قدمها الممدوح لمجتمعه ، فمن الجرم التجنى على شعرهم بوصمه بأنه أدب تكسب واستجداء، صحيح أن كثيرا من أولئك ، كان دافعهم الأول : التكسب لا خدمة المجتمع . غير أننا عندما ننظر فى شعره ، لا تعيننا نيته بقدر ما يعيننا ما اشتمل عليه ذلك الشعر ، وما دفع اليه من نبيل الفعل والقول .

ثم أن ذلك النوع من الشعر أكثر تصويرا للمجتمعات من غيره ، لانسياقه دائما وراء المواقف والأحداث ، فهو سجل لعصره ، وصورة صادقة لبيئته ومجتمعه ، ومראה لحياة الأمة الفكرية .

وشعراء المدح اثنان : شاعر ذاب فى شخصية ممدوحه وأخضعته المناسبة ، أو استبد به غرضه الشخصى فجاء شعره فرديا وقتيا مربوطا بالزمن والحاجة ، ينقضى بانقضائهما ، وهذا النوع موجود لكنه قليل .

ومثاله قول أبى الفرج الأصفهاني :

فداؤك نفسى هذا الشتاء
علينا بسلطانه قد هجس
ولم يبق من تشبى درهم
ولا من ثيابى الا رمم
يؤثر فيها نسيم الرياح
وتخرقها خافيات الوهم
فأنت العماد ونحن المفــــاة
وأنت الرئيس ونحن الخدم

فهى - كما نراها - أبيات استجداء ولا شىء بعد هذا ، ولكنها مع ذلك تعطينا صورة صادقة لنفسية صاحبها وصفاته حتى هندامه .

والشاعر الآخر شاعر انفعال بالمناسبة : وأعجب بالممدوح ، لكن لم يستعبده الانفعال والاعجاب ، بل استطاع أن يخضع المناسبة لما يصبو اليه ، من أهداف سامية جعل الممدوح قطبا تدور حوله ، ومنطلقا تنزع عنه ، وهو الأكثــــر .

وعلى الجملة ، فشعر المديح مصدر من مصادر الاثراء الأدبى ، شاع فى جميع الأمم يدعمه المسئولون وأولو الجاه ، ويجله المفكرون والمثقفون ويحترمونه .

(والذى نعتقده أن شعر المديح من أفضل المقاييس ، لقياس حسان الأمة والشاعر والأدب فى وقت واحد ، فيخطئ من يظن أن الأمم المتقدمة لا تمدح اولا تقبل المدح من شعرائها ، اذ المديح جائز فى كل أمة ومن كل شاعر ، فلا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيد ، فى مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبه ، ولا ضير على الأدب أن يشمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة ، التى يعرفها الغربيون أو الشرقيون وانما الخلاف فى نوع المديح لافى موضوعه على اطلاقه .

فمديح الأمم المتعلمة غير مديح الأمم الجاهلة ، والشاعر الذى يملك أمره يتبع فى مدحه أسلوبا غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره ، ومكانة الأديب فى الأمة تظهر أتم الظهور من أساليب الشعراء فى هاتين الحالتين ، فلن يقال : ان للادب مكانا فى الامة ، والشاعر مضطر فيها الى اذلال عقله وتسخير كرامته ، فى مديح لا تسينغ العقول ولا يليق بالرجل الحر المرید لما يقول ، ولن يقال : أن الأمة متعلمة والمبالغات الشعرية فيها تؤخذ مأخذ الجد والوقار ، وهى أقرب الى الهزل ، والهجاء المستور ، أو لن يقال : أن الأمة حرة تشعر بوجودها وأنت تقرأ مدائح شعرائها فلا ترى فيها ذكرا لغير الرؤساء ، ولا ترى فى الصفات التى يمدحون بها صفة ترجع الى الأمة وتعتمد على تقديرها أو تستفاد من خدمتها والعمل بمشيئتها) (١)

وعندما يلقى الدارس نظرة عابرة أو متفحصة على شعر شعراء هذه البلاد ، التى نشأ وعاش فيها ابن بليهد ، لابد أن يخرج بنتيجة واضحة ، وهى أن شعراءها - منذ قام الامام محمد بن عبد الوهاب بدعوته فى منتصف القرن الثانى عشر ، الى ما قبل أيامنا هذه بربع

(١) كتاب شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٨، ١٩ عباس محمود العقاد
كتاب الهلال - دار الهلال يناير سنة ١٩٧٢ م .

قرن تقريبا - كلهم قد وقفوا شعرهم فى سبيل الدين ، يعلنون أصوله ومناهجه ، ويدفعون عنه أعداءه بتفنيد آرائهم حيناً والهجوم عليهم حيناً آخر ، وتزييف ما يلقون به فى طريقه من شبه وأباطيل ، ثم مدح أولى الشأن الدابيين عن حياضه المدافعين عن حماه ، فكان الشعراء لا يذمون الا فى الله ولا يمدحون الا فى الله .

ولذا كان شعرهم يدور حول قاعدتين : فهو أما شعر تعليمى يدور حول مسائل الدين شرحا وتفصيلا ، واما للدعاة والزعماء ، الذين وقفوا السنتهم وسيوفهم فى سبيل الاسلام والمسلمين .

ومن هؤلاء الشعراء : احمد بن مشرف ، وعبد العزيز بن طوق وعبد اللطيف بن عبد الرحمن ، وسليمان بن سحمان ، ومحمد بن عثيمين ، وابراهيم الأسكوبى وأحمد ابراهيم الغزاوى ، ومحمد سرور الصبان ، وفؤاد شاكر .

فلم يكن غريبا على شاعرنا - ابن بليهد - أن يتخذ من الدين واعزازه والذب عنه والذود عن حياضه غرضا لشعره ، يدبج فيه القصائد الطوال ، يضيفها تارة الى هذا وأخرى الى ذاك حسبما يقضى به المقام وتفرضه المناسبة ، ولا أدل على ذلك من أنك تجد فى كثير من القصائد ، أن نصيب الممدوح المنسوبة اليه منها قليل ، قه ينخفض حتى يصير أبياتا معدودة ، ذلك أن الحديث عن الدين وتنفيذ أحكامه ، والأمن والاستقرار ووصف الجيوش ، والمعارك التى خاضتها فى سبيل ترسيخ الدين واقرار الأمن ونحو ذلك ، هو ما يسيطر على جو القصيدة

وقد يقال : ان اضافة ذلك الى الممدوح ، وجعله سببا فيه انما هو المدح نفسه .

وهذا صحيح ، غير أن الفرق في أسلوب التعليل المفهوم من أسلوب الشاعر ، ذلك التعليل الذي يوحى - عند ابن بليهد - دائماً بأنه ما مدح هؤلاء الملوك الثلاثة - رحمهم الله - إلا لكونهم أقاموا دولة الاسلام ، وحملوا حمى الدين ، وثبتوا أركان الأمن والاستقرار في البلاد وذلك ما سنشهد شواهد من شعره ، عند تقسيمنا لأهداف مدحه في هذا الموضوع .

والم تأمل شعر ابن بليهد ، لا بد أن يخرج بنتائج ان لم تضع الرجل في عداد المصلحين ، فلا أقل من أن تشهد له بالصدق في التعبير عن مشاعره تجاه دينه وأمته ومجتمعه ، فلقد وقفه على مدح المغفور لهم الملوك الثلاثة : عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وابنيه سعود وفيصل ، وكان مديح الشاعر لهم لا بد أن يرتبط بحدث من ورائه مصلحة عامة عظمت أو صغرت ، وانه لم يمد يد الاستجداء في شعره إلا نادراً لم يقل فيه كما قال الشاعر :

أجزني إذا أنشدت شعرا فاننى
أنا الطائر المحكى والآخر الصدى

ولذا نجد أنه عندما هدأت الأحداث ، واستقرت الأحوال ، واستتب الأمن في المملكة ، على يد هؤلاء الأبطال الثلاثة ، صمت ذلك اللسان المقوال ، لأنه كالحسام انما يجرد اذا شممت الحرب عن ساقها ، فاذا ألقت أوزارها وضرب السلام بأطنابه في البلاد - استقر في غمده هادئاً مطمئناً .

لقد هجر ابن بليهد المديح من عام (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) - حتى آخر حياته ، على الرغم من أن صلاته بآل سعود ظلت تقوى الى أن وافته المنية

عام (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) ، ويكفى أن نذكر كدليل على استمرار هذه الصلة بينه وبين ممدوحيه : أن الشاعر كان يسافر للعلاج فى مصر ولبنان على نفقتهم ، وأن الأمير فيصل - رحمه الله - كان يسهم فى طبع كتبه ، الى جانب اسهامه فى علاجه ، وأنه كان يستصعبه فى سيارته الخاصة للنزهة .

حدثنى مانع أبو العلا : أن الملك - رحمه الله - قال مرة لابن بليهد مشفقاً عليه : (لو بقيت فى بيتك وأنا آتى اليك ، ثم التفت الملك اليه ، فلمح التأثر على وجهه ، فعرف أنه يؤثر صحبتة فظل يستصعبه حتى مات) .

وعند عرضنا لمدح ابن بليهد نجد أنه قد اتخذ من محاسن السير ومكارم الأخلاق - مثل : النزاهة ، والحلم ، وكظم الغيظ ، والشجاعة والاقدام ، والعزم ، والصبر على المكاره ، والايمان بالله ، والتوكل عليه ، والسعى لاعزاز دينه وتنفيذ أحكام كتابه وسنة نبيه ، ونشر ألوية الأمن والسلام ، ورد المظالم واعطاء كل ذى حق حقه - منزعا ومنطلقا وهدفنا .

فهو يعنى بالفضائل النفسية ، التى جعلها المتقدمون أسا للمدح الجيد ، ومنطلقا له وهى : العفة ، والعقل ، والعدل ، والشجاعة ونحوها وينأى عما يليق بأوصاف الجسم : كالحسن ، والبهاء ، والزينة ، مما عابه المتقدمون على المادحين ، كقول أبى هلال العسكري :

(من عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التى تختص بالنفس من العقل والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، الى ما يليق بأوصاف الجسم من : الحسن ، والبهاء والزينة .

كما قال ابن قيس الرقيات فى عبد الملك بن مروان •
يأتلق التاج فوق مفرقـــــــــــــــــه
على جبين كانه الذهب
فغضب عبد الملك ، وقال قد قلت فى مصعب :
انما مصعب شهاب من اللـــــــــــــــــه
ـــــــــــــــــه تجلت عن وجهه الظلمــــــــــــــــام

فأعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم ، وأعطيتنى من المدح مالا فخر
فيه ، وهو اعتدال التاج فى جبينى ، الذى هو كالذهب فى النضارة (١)
(أفاد أبو هلال أنه انما يكون بالفضائل التى تختص بالنفس ، ولا
يكون بأوصاف الجسم ، ولهذا وجب على المادح أن يمدح : بالعقل ،
والعفة ، والعدل والشجاعة ، وهى فضائل النفس ، ولا يعدل عنها الى
ما يليق بأوصاف الجسم من : الحسن ، والبهاء ، والزينة •

وهذه الوجهة هى وجهة «قدامة بن جعفر» ، فى المديح ، اذ قال فى
كتابه «الشعر» : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لامن طريق
ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من
الاتفاق فى ذلك انما هى : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، كان
القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبما سواها مخطئا ، والمثل فى هذا
قول زهير بن أبى سلمى فى حصن بن بدر الفزارى :

أخى ثقه ، لا يهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه - اذا ما جئته - متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(١) الصناعتين ص ٧٣ طبعة الاستانة سنة ١٣١٩ هـ تصحيح وتعليق محمد
أمين الخانجى

فمن مثل حصن فى الحروب ومثله
لانكار ضيم أو لأمر يحاوله

فوصفه فى البيت الأول بالوفاء والعفة، لقلة امعانه فى اللذات، وانه
لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لاهلاكه ماله فى النوال ، وانحرافه بهذا
عن اللذات وذلك هو العقل ، وفى البيت الثانى زاد فى وصف السخاء
بأنه يهش ، ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله وهذا من العدل ، وفى
البيت الثالث وصف ممدوحه من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى
فضائل النفس البشرية • وكثير من المثل التى نصبها أبو هلال تطبيقا
لوجهته هذه من أمثلة قدامة (١) •

وعلى نحو من هذا يمكننا أن نقسم أهداف المديح عند ابن بليهد
على النحو التالى : الدين والعدل • العفة والكرم • العقل • الشجاعة
كرم الأصل والنजार •

● الدين والعدل ● :

أ (الأمن والاستقرار فالأمن والاستقرار مطمح عظيم يهفر اليه كل
انسان ، وبخاصة أولئك الذين عاشوا زمنا محرومين منه ، ولذا
فحصوله نعمه كبرى يستحق من تمت على يده أن يمدح ويذكر به •

لذا نجد أن ابن بليهد يقول بعد فتح الأحساء مادحا الملك عبد
العزيز ، ومثنيا عليه بما نال «الأحساء» بلاد الخليج من أمن واستقرار
بعد أن تغلب جيشه عليها ، وكانت من قبل عهده فى خوف واضطراب
فلما شملتها دولته شاع الأمن لا فى البلدان وحدها ، بل فى البرارى
والقفار ، التى أمنت السبل بها بعد أن كانت مخوفة •

(١) نصوص نقديه ص ١٦٧ - ١٦٩ طبعة دار الطباعة المحمدية سنة (١٣٩٥ هـ
- ١٩٧٥ م) •

ويعبر فى تصوير هذا الأمن ، الذى نعمت به البلاد بقوله : ان
الأغنام ، كبارها وصغارها ، صارت تسير فى الخلاء لا تخاف من
الذئب ، لأن قوة السلطان تحجزه عن الاعتداء عليها •

وقد يفهم ذلك على أنه استعارة شبه فيها ضعاف المسافرين بالأغنام
وقطاع الطرق بالذئاب وهذا أولى •

ثم يحمد الله على ما أولاه من نعمة على يد هذا القائد ، الذى
هنأت البلاد فى ظله واستقرت فطاب بها العيش •

أمنت أرض الحساء والخط وأنخفضت
لك الرقاب وأنت الفاتك البطل

وساكن البر وحدان به أمــــن
ولا تضيق على سلاكه السبل

تمشى هناك بنات المعز آمنة
من السباع ولا يستوحش الحمل

الحمد لله قام الأمر وانبسطت (١)
كل الديار وطاب الشرب والاكل (٢)

والممدوح لم ينشر الأمن فى المدن والقرى وحسب ، بل نشره بين
البدو وهم الذين يصعب انقيادهم، لما جبلوا عليه منذ القدم ، فانقيادهم
للأمر وشيوع الأمن فيهم ، وهم الذين فيهم ومنهم اللصوص قطاع
الطرق «غالبا» دليل على أن هذا الرجل جدير بأن تلقى له المقاليد •

(١) انبسطت : أى امتد بها أهلها •

(٢) ابتسامات الأيام ص ٦٣ •

لقد كان البدو ورعاة الماشية ، لا يأمنون على ماشيتهم ، فيحصرونها
ترعى فى مناطق معينة ، أما وقد أمنت البلاد ، فأنهم يتركونها تسير
كيفما شاءت ، وتتبع المرعى أينما وجد •

وأصبح البدو فى أمن وفى سعه
يمشون فيما تشاء الشاء والجمل
إذا أحلت من الأوطان ما طلبت
فلا تسائل أنى تسرح الابـل
بالله ثم بأهل الأمر أمنــــة
بأى دار سقاها الصيب الهمل (١)

ولا يفتا الشاعر يكرر هذا المعنى فى قصائده ، حتى يجعلك تعتقد أن
ذلك هو المقصد الوحيد لأبناء هذه البلاد ، ولعل ما شاع قبل أيام الملك
عبد العزيز فى البلاد ، من ظلم واستبداد ونهب وسلب ، حتى فى حدود
الحرم الشريف ، جعل شاعرنا يهتم به ، ثم أن تحقيق الأمن فى الأرض
المقدسة ، مطلب دينى فوق أنه يتيح لأولى الأمر ثقة العالم الاسلامى
فيهم ، وقد كان ، فلقد أمن الوافدون الى البيت الحرام على نفوسهم
وأموالهم واطمأنوا فى أدائهم لشعائر الاسلام ، لأن البلاد صارت فى
حمايه رجل مؤمن قوى حازم ركز كل اهتماماته فى حماية الأماكن
المقدسة وخدمة قصاها ، وفى ذلك يقول صاحبنا :

فطوقها رب العباد بأمنــــه
ولله فوق الصانعين صنائع

يراقبها عبد العزيز فأنسه
لمن يرتميها بالعداوة رادع
به أمن البيت الحرام ومن أتى
إليه أمينا لم ترعه الروائع
ويسكن هذا الثغر من كل حادث
كما سكنت عن جانبية الزعازع
سل الناس تنبيك الرواة بما ترى
إذا اجتمعت فى الموسمىن المآمع
نشأ فى الحجاز نشأة مقرنية
تحررها للناشئين المطابع (١)

ب) اعزاز الدين ونصرته : أما اعزاز الدين ونصرته ، وانهاض أمر الاسلام من كبوته ، وما يستتبع ذلك من محو معالم الشرك ، واعلاء كلمة التوحيد ، وافراد الله - تبارك وتعالى - بالعبادة والتقرب اليه بالمحافظة على كتابه ، وسنة رسوله فذاك الهدف الاسمى الذى سعى اليه المصلحون ، من أبناء الاسلام فى كل زمان ومكان ، وهو السبيل الذى وقف المخلصون جهودهم عليه والدعوة التى قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب ، وتبناها الأمير محمد بن سعود جد الملك عبد العزيز كانت دعوة دينية صرفة هدفها العمل على تخليص الاسلام من الشوائب ، وابرازه صافيا فى عزة واباء كشأته أيام السلف الصالح ، واذا كان الملك عبد العزيز قد سار على هذا الطريق ، الذى سلكه أجداده من قبله ، فانه جدير بأن يمدح بذلك

لذا نجد شاعرنا فى الأبيات الآتية ، يصور بعضا من جهود الملك
عبد العزيز فى ذلك ، فيقول : انه ما قاتل الا ليرفع ما وهى من أمر
الدين ، ولذا ترى النصر من الله يسير فى ركابه ، وهل أدل على ذلك
من أن عدد جيشه كان فى موقعة «تربة» ثلث جيش عدوه ومع ذلك
انتصر ؟ ، فنعم الجيش جيش عبد العزيز فما فتوحهم الا عز للدين
وهدم للشرك ، والفساد ، الذى ولى وظهر الحق بانتصار جيوش الملك
عبد العزيز ، وما ذاك الا ثمرة لجهاد هذا الرجل ، الذى دأب على
نصر الدين بأبطال رباهم ، ونشأهم على الانقياد لأوامر الدين ، وبذل
النفس والنفيس فى سبيله ، حتى أقام الله به معالم الدين بعد أن زالت
الدواهي المعضلات عن الاسلام والمسلمين :

فصبحهم والله من كان قصده
ليرفع فى الاسلام ما كان واهيا
فاخواننا ثلث ولكن فعالهم
كأفعال حذار الأسود الضواريا
لعمري لنعم الحى فى كل معرك
إذا اشتبكت بيض الضبا والعواليا
قولى دخان الكفر والحق ظاهر
على أهل بيت فى ربيعة عاليا
بسعى أمام قام للدين ناصرا
يجاهد بالأبطال من كان عاصيا
امام به للدين قامت معالم
ينود الأمور المعضلات الدواهيا (١)

وأعزاز دين الله ونصرته فضلاً عن كونه واجب كل مسلم ، فهو طريق
الى الخير والبركة ونيل المجد والشرف ، ولذا فابن بليهد يحمـل
المسافرين رسالة الشكر والثناء للملك عبد العزيز ، لأنه نصب سلاحه
فى وجه الأعداء الذين نكبوا سبيل الدين ، المستقيم ، ولذا فلا عجب أن
علا به الدين واشرق به وجه الاسلام ، فهو جدير بأن يهنأ بذلك ، كما
أنه جدير بأن يرفعه الى أعلى المراتب والمنازل وما عزه الا عز لأمته ،
وما عز أمته الا كسب وغنم له وللعالمين أجمع حيث يرفع الظلم ويخذل
الظالمون :

تحمل هداك الله منى رسالة
الى الملك السامى رفيع المناقب
امام أقام المشرفية والقنـا
يقاتل عن نهج الهدى كل ناكب
امام به الدين الحنيفى قد عـلا
وأشرق منه النور فى كل جانب
هنيئاً لك العز المؤثل قد سـما
يبلغك العلياء فوق الكواكب
ففيه لنا عز ومجد ورفعة
به نكسب العلياء عند التخاطب
وأن به للعالمين مكارمـا
بانصاف مطلوب وخذلان طالب (١)

(١) المرجع السابق ص ١٩ .

والثبات على هذا الدين والتمسك به - التزاما لنهج المصطفى عليه
الصلاة والسلام - أمر يستحق أن يمدح به من لزمة :

فان امام المسلمين خليفة
فما حاد عن نهج السبيل ولا عدا
يجدد من نهج الهدى كل دارس
وتابع ميمون النقيبة أحمدا (١)

وشاعرنا لا ينسى التأكيد على مسائل الدين والأمن والاستقرار ، حتى
وهو يرثي الملك عبد العزيز بعد وفاته ، فان كل شيء قد بكى الفقيه ،
فلقد بكته الكعبة المشرفة وقصاها حتى أعداء الاسلام بكوه كما بكته
المساجد والمآذن ، ومجالس العلم ومدارسه ومسالك الأرض ، التي أمن
فيها السالكين بحكمه القويم ، الذي قام على أسس متينة : من حكم
الشريعة السمحة ، وتعاليمها المستمدة من الكتاب العزيز ، والسنة
المطهرة ، فلا غرابة أن بكاه القرآن الذي كان يحفظه عن ظهر قلب
ويتهجد به آناء الليل ويتلوه أطراف النهار :

بكته في الحرم المكي كعبته
وقاصدوها ، بكى حتى أعاديها
بيوت ربى بكت وكل مئذنة
وكل روضة علم عز ناديها
وكل درب على حافاتها غرست
يمينه الأمن فاكتظت بساريها

(١) ابتسامات الأيام ص ١٩ .

والشرع يحميه حام في مرابعه
حامي الحدود حدود الله يمضيها
كتاب ربك يبكي فيه حافظه
عن ظهر قلب وتبكي الآي تاليها
وتندب العرب فيه قائدا لمعت
أفكاره كشموس في نواديها
والمسلمون بأرض الله كلهـم
يبكون خادم بيت الله واليها (١)

ج) ويبلغ التحمس للملك عبد العزيز وما اتسم به من صفات وأخلاق نبيلة مبلغة عند شاعرنا، فتسرب اليه مبالغات بعض الأقدمين ، فيجعل حب الملك عبد العزيز من حب الرسول ، فمن كان في قلبه حبة من حب الرسول ، فانه يجب الا ينطوى على حقد على الملك عبد العزيز بل عليه أن يحبه ، وذلك لأنه حمى الشريعة ونصرها وأرسى قواعدها بسيفه ورمحه ، حتى أمنت البلاد وحتى أن لمن عاش في ذل وخوف قبل عهده أن يعيش آمنا مستقرا ، في ظلال حكمه الذي قضى على الفساد والمفسدين ، فآن لنا أن نحمد الله على هذا الأمن والعدل ، الذي ظلل البلاد عامرها ومقفرها ، باديها وحاضرها ، وانما المبالغة في البيت الأول من هذه الأبيات :

من كان في قلبه مثقال خردلة
من حب احمد لا يطوى على دخل
يحب عبد العزيز ابن الكرام بما
حامى على الدين من فتك ومن خلل

حامى على السنة الفرا وجددها
أرسى قواعدها بالبيض والأسل

وأياها المرتدى بالذل من حجج
نم فى جوار الامام العادل البطل

نم فى جوار امام فى مهنده
مضارب تبعد الاعضا من القل

الحمد لله كل الأرض قاطبة
أمن وعدل بلا جور ولا ميل

يا نازلين بأرض لا أنيس بها
دعوا سوائكم ترعى مع الهمل (١)

(د) وقدسية الكعبة والبيت الحرام ، وكون هذا المكان مقصد المسلمين
أجمع يؤمونه من كل حدب وصوب ، ليؤدوا فريضة الله ، وليتنقلوا
بين المشاعر ، يؤدون ما أوجب الله عليهم على أتم وجه ، كل ذلك
يتطلب أمنا يحفظ النفس والمال ، وحرية تمكن من أداء الواجب، وذلك
ما لم يكن موفورا قبل عهد الملك عبد العزيز كما تصور ذلك قصيدة امير
انشعراء احمد شوقى (ضجيج الحجيج) التى يقول فيها :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الأمم

فلما شاع الأمن فى ربوع البيت الحرام ، واطمان قصاده وهم يؤدون
مناسكهم ، رفع ابن بليهد عقيرته متغنيا بذلك الأمن ، الذى لبست به
أم القرى ثوبا جديدا :

(١) ابتسامات الأيام ص ١٠٥ .

وكانت به أم القرى مطمئنة
بأمن وأهلوها سجود وركع
كان عليها حلة عبقرية
تناط بأركان أم صبح وترفع
وأصبح باديها مقيما بنعمة
وأمنها والسيف بالسيف يقرع (١)

هـ) ويتعدى الثناء على الممدوح بنصره الدين الى أبائه ، وأجداده ،
وكان الشاعر بذلك يريد أن يقول : ان النصر للدين التقى فيها
المكتسب والموروث ، فأبأؤه وقفوا سيوفهم وجهودهم على الدين وذلك
كان شأن الممدوح أيضا فهو يخاطبه قائلا : (يا بن الأماجد الأفاضل
الذين قاموا بالدين كما أمر الله ، على ألسن النبيين والرسل فهم
يزودون عن الشريعة بسيوفهم ورماحهم ، التي يحملها كل رجب الذراع
المتأهب للحادثات لا يهابها مهما عظمت ، لأن في ذلك ما ينشدونه من
استقرار وأمن ، يستوجب منا الحمد والشكر لله المدبر لجميع الأمور •

يابن الأولى وابن أمجاد غطارفة
القائمين بما جاءت به الرسل
الذائدين عن السمحاء كل أذى
حماؤها السيف والعسالة الزبل
يكف كل فتى رجب الذراع اذا
ما نابها نائب أو حادث جلل

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ •

مشى لها جحفل فى يوم ملحمة
الا تشال بها الهامات والقلل
حتى استقرت جميع الأرض واتسعت
بساكنيها بها الأرازق والسبيل
الحمد لله حمدا لانفاد لله
هذا الأمان الذى يضرب به المثل (١)

(و) الصدق والعدل : والصدق والعدل خصلتان حميدتان ، لا يقوم
الأمر الا بهما والملك عبد العزيز قد نشأ على هاتين الخصلتين ، ولذا
لزم ذلك فى سيرته الحميدة التى ورثها من سلفه الصالح ، الى ما
اكتسبه من خبرة بالحياة وأهلها .

لأن نشأتك الأولى مؤسسة
فى دوحة المجد لا فى اللهو واللعب
وسرت سيرتك الحسنى وقمت بها
بالصدق والعدل لا بالزور والكذب (٢)

واذا كان المدوح قد نشىء تنشئة صالحة ، فان الأسباب القوية تمده من
عند الله ويربطه بها حبل وثيق .

مكارم نشأت فيها سجيتة
ولا يرى غير ادراك العلاء طمعا

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٩ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٩٢ .

يمده سبب من ربه ولله

حبل من الله فى الحبل الذى تبعا (١)

العفة والكرم :

(١) أن أبرز معرض تتجلى فيه العفة والتسامى عن الرذائل والنقائص ،
انما يكون حين تبرز المغريات وتكشف عن فتنتها الحجاب ، فالثبات فى
وجه المغريات والتصدى للفتن وصدها ، والمحافظة على المعتقد الطاهر
والموروثات النبيلة ، حال يستحق بها صاحبها المدح والثناء .

ولذا فان سعود بن عبد العزيز ولى العهد حين عاد من أوروبا ، فلم
يظهر عليه أنه تأثر بما فى الغرب من عادات وأخلاق ، ولم تفتنه حياتها
الصاخبة ، التى لا يحدها دين ولا تقيدها عادات وتقاليد فإنه جدير بأن
يمدح بمثل قول ابن بليهد فى قصيدته التى نظمها بمناسبة عودة سعود
من أوروبا .

أتيتنا يا ولى العهد من أمم

شتى بها عرف الناقوس والبيع

أقمت دينك فيها غير مكتـرث

لما تفرقت الأديان والشيـع

وكل أسر اذا سدت مخارجـه

فانت فيه رحيب الصدر متسع (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٢) ابتسامات الأيـلم ص ١٦٦ .

والتقاء العفة والتقى خير ما يمدح به ، والمملك عبد العزيز قد جمع
الأمرين معا ، على نحو لا يستطيع أحد أن يروم ما وصل اليه من
خصال المجد .

قريب من التقوى بعيد عن الخنى
نهى النفس عن فعل الردى والمعائب
فيارائما في المجد نيل خصاله
رويدك أقصر عن أمان كواذب (١)

ومن هنا فهو خير من ركب المطايا ، لأنه أوفى الناس حين تختلف الذمام
وقد عرف في الناس بذلك :

ملك خير من ركب المطايا
وأوفى حين تختلف الذمام
بنو الأملاك تعرفه جميعا
ولا تنسى محامده الأنام (٢)

ب) وإذا ذكر الكف المعطاء فلانها تجود على الفقراء والمحتاجين ،
وطرق الخير والصالح والاصلاح أيا كانت ، وابن بليهد ، قد اتخذ من
الدعوة الى مثل هذه الأعمال ، والاشادة بها ، ودفع المدوحين الى
سبيلها ، موضوعا لشعره ، ونحن لم نقل هذا اعتباطا ، ونعتسف اليه
الطريق اعتسافا ، وانما أقمنا حكمنا على الحقائق المستمدة من شعره
ونقرأ أى قصيدة فنجد يكرر الحديث عن هذه المعاني والصفات ،

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٧ .

بألفاظ وأساليب مختلفة وان تقاربت ، ومن أجمع قصائده لتلك
الصفات قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز عندما بعث البعوث الـ
حائل (١) .

وسنعرض هنا نماذج من ذلك توضح كثيرا من جوانب الكرم
والجود ، التى وصف بها ابن بليهد ممدوحه ، يصف ابن بليهد الملك
عبد العزيز بالكرم، وأنه بعطائه السخى يزيل الفقر عن المحتاجين ،
وأن عطائه لا يحصر ، ثم هو لا يدخر المال حين يقوم على جمعه الآخرون
ولا يعرف أنه بخل بشيء إطلاقا سوى سيفه وحصانه ورمحه ، او الابل
التى يعدها لجيوشه التى تجوب الأرض يمينا وشمالا .

وهذا استثناء وان كان المقصود منه مدح الممدوح بالشجاعة ،
والتأهب للنازلات ، الا أنه ينقص فى واقع الأمر من شأن المديح
فالاستثناء هنا نقص من المعنى من حيث أراد الشاعر الزيادة :

قد تبذل المال سحا ما ترضى به
مدا تزيل به عن مقترقـ~~را~~
كف سفوح اذا عدت محامـ~~ده~~
وما أنال من الانفاق ما حصـ~~را~~
اذا يقوم لجمع المال ذاخره
جادت أنامله بالبذل ما ذخرـ~~را~~
الا حساما وذيا لا وسابـ~~حة~~
ومرقلات تطوف البر والمدرا (٢)

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ - ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١ .

وفى قصيدة أخرى يمدح الملك عبد العزيز بأنه ينحر الابل للضيوف
فى أيام الرخاء، كما ينحرها فى أيام الشدة دون أن يعير اهتماما لما قد
يناله من جراء ذلك الانفاق ، وحين يجتمع الناس حول فنائه ويتكاثرون
حتى ترهب الناظر كثرتهم ، فانه يجود على جميع أولئك بكف تعودت
الانفاق ، حتى أن رمال (عالج) على كثرتها لو تحولت مالا لبدته تلك
الكف ، التى لم تتعود أن تدخر عن سبيل الجود مدخرا ، وهذا خلاف
المعنى الذى أشار اليه فى القطعة السابقة ، أى أنه استثنى أدوات
الحرب هناك بينما أفاد هنا ، أنه لا يدخر شيئا بل أنه يعطى الابل مئات
ولو كانت نفيسة ، فما عطاؤه للارامل الا كالغيث للارض، وفى خصوص
الأرامل بالذكر ما يفيد أن المدوح انما يعطى لأنه كريم ، لا لانه يـرجو
من وراء ذلك العطاء منفعه والا ما كان غيثا للارامل :

والناحر الكوم فى خصب وفى جذب
ولو يحل على أسقابها الضرر

إذا تواترت الوفاة واجتمعت
بالجانبين كأن الناس قد حشروا
أسدى اليهم بكف لو قبض به
كثبان عالـج لم يبق لها صـور

له يمين بسطها الله ما انقبضت
فللذخائر لا تبقى ولا تـذر

الواهب المائة الأبكار ما اختلفت
بالناظرين لها ألوانها عـفر

غيث الأرامل بالمعروف باكرها كما يباكر دار المجدب المطر (١)

ويصور كرم الممدوح بأسلوب آخر يقول فيه : أن الجود قد مات وانقضى زمانه ولم يعد يجيب المنادين ، حتى دعاه الملك عبد العزيز فنهض مبتسما ولباه مسرعا وهو يقول : أضافتني اليك شمائلك وسجاياك الكريمة ، وهذا أسلوب فيه تشخيص للكرم وابرازه في صورة الكائن الحي ، الذي يجرى له ما يجرى للانسان: من موت ، وحياء، وفرح وتكلم:

أرى الجود ميتا قد تصرم عهده
ينادى وقال الجود لا أتكلم

فلما دعاه ابن الكرام أجابه
وقام على أقدامه يتبسم

وقال أضافتني اليك شمائل
لأن سجاياك العلى والتكرم (٢)

ثم ينتقل الى الحديث عن المنعم عليهم وسؤالهم عن الملك عبد العزيز وأعطياته ، لانهم لا يملكون الا أن يثنوا بما هو أهل له ، ولو أنهم سكنوا لأثنى الطريق بذلك :

وقلت لركب جاذعين لقيتهاهم
سنستحدث الأخبار منا ومنكم

قفوا خبرونا عن أخ المجد والندى
إذا تستطيعوا للكلام تكلموا

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٣ ، و ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله

ولو سكتوا أثنى الطريق المقوم (١)

ثم يصف ذلك الكرم ، الذى لو نال الأموال التى تعب الجامعون فى جمعها
لبدد شملها فى سبيل الحق والمحتاجين من المسلمين ، تنصب من كفه
كالديم الهامية ، فيرفع اليها المعدمون أكفهم ، لعلمهم بانجادها لهم ،
أو ليس وعشيرته الحاملين للديات والمغارم، اذا أثقلت أعناق الآخرين؟

فلو نلت مالا خلفته خلائف

فذاك لأنصار الشريعة مغنم

يفرقه كف به خلق الندى

فلم يبق دينار ولم يبق درهم

سفوح بغادى ديمة مقرنية

يمد اليها الكف مشر ومعدم

فذلك حمال الديات عن الورى

اذا أثقل الأعناق فى الغرم مفرم (٢)

العقل :

والحاكم العاقل : هو ذلك الذى يستطيع أن ينتزع الأحقاد من
النفوس ، ويدفن الضغائن فيجمع الشمل ، ويوحد الكلمة ، ويزيل
شبح الخوف والقلق وعدم الأمن ، وذلك مما يستتبعه اعزاز الدين
ونصرته وتقوم عليه الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة :

(١) ابتسامات الأيام ص ٨٠ ،

(٢) ابتسامات الأيام ص ٨٠ .

أرى العداوة ماتت وهي صاغرة
ومات من موتها الثارات والذحل

وصاحب الوتر يمشى عند واتره
كما مشى الذئب والجديان والحمل (١)

ويمدحه بما عرف به من فكر ثاقب ، ورأى سديد ، وعقل مدبر يضع
الأمور فى مواضعها :

لكن أبوهم بنى صلحا قواعده
على الوفا وضعت خال من الكذب

يستنتج رأى من افكاره دررا
تبقى خلاصتها أغلى من الذهب

أوحى اليهم به حتى اذا انقلبوا
عن حسن منقلب فى خير منقلب

أمسى الحجاز مضيئا عند مقدمهم
جدلان يرفل فى أثوابه القشب (٢)

والقائد العاقل الحكيم ، هو ذلك الذى يكتم خبر وجهته ، كما كان
المصطفى - عليه الصلاة والسلام - يفعل ، فاذا كانت له وجهة ورى
بأخرى ، وابن بليهد يثنى على الملك عبد العزيز بذلك فيقول :

فلا سواه اذا شدت ركائبه
الى العدو مليك يكتم الخبرا

(١) المرجع السابق ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٩ .

يزجى سريته عينا لرايته
يصطاد قائدها الاعيان والنذرا (١)

والنجاح فى سياسة الأمور وتدبيرها ، انما هو صفة العاقل ، ولذلك
فان ابن بليهد يثنى على الملك عبد العزيز بسياسته الحكيمة ، التى
جمعت الكلمة فى بلاد كانت شديدة التنافر :

قاد الجميع الى الحسنى وعمهم
بنعمتين وبعض الناس ما شعروا
ساس الرعية من بصرى الى عدن
فلا تراءى بها الجرات والعمور (٢)

والحلم من صفات العاقل ، واغترار الخصم به جهل وخطل ، وللخوف
من نتائج اغترار الأعداء بحلم الملك عبد العزيز يحذره ابن بليهد فيقول

فلا يغرنهم حلم عرفت به
فلا تقيل بها عثرات من عثرا
لا ينكر الناس فضلا منك عمهم
الا كما تنكر السيارة القمر (٣)

الشجاعة :

واذا كانت الصفات التى أسلفنا الإشارة اليها ، قد شحنت بها جل
قصائد ابن بليهد ، فان أحاديث الشجاعة لم تخل منها قصيدة واحدة

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢٩ .
 - (٢) ابتسامات الأيام ص ٣٢ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٣١ .

من قصائده ، ولم يقصر الحديث فيها على شجاعة المدوحين وحدهم بل كان يتحدث عن شجاعة الجيوش التى كانوا يقودونها •

ففى قصيدته التى مدح بها فيصل بن عبد العزيز ، يوم أن قاد الجيش الى عسير ، وصف شجاعة ذلك الجيش واندفاعه الى الحرب واقتحامه لميادينها غير هياب ولا فرق ، حتى أوقع بالأعداء من الهزائم ما كان يشبه الهزات الأرضية ، التى تلقى الأوعال من رؤوس الجبال :

ثم يعطى صورة أخرى للجيش فى اندفاعه ، فيشبهه بالسيل المنحدر من الوادى العظيم ، يقذف الأشجار الضخمة عن طريقه يمينا وشمالا •

أبادهم رجفة كادت زلازلها
فى الأرض تلقى من الأطواد أو عالا

على يدى فيصل تفصيل أمرهم
كسأهم من لباس الذل سربالا

أتاهم بجنود فى جوانبها
ضمت سلاحا ورايات وابطالا

ساروا سراعا الى ادراك ثأرهم
والحرب قد أشعلت فى الأرض اشعالا

إذا أتوا مثل سيل الواد ملتطما
ينفى على جلته الطلح والضالا

ما أصدر البيض من هام العدا أبدا
الا وقد أخذت علا وأنهالا (١)

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٢ •

ويستمر فى وصف الجيش عدة وعتادا ، ليخلص من ذلك الى الحديث عن شجاعة القائد الممدوح بعراقة نسبه ، وأنه كان الى شجاعته ماهرا فى اصطفاء جنود جيشه ، وتخيرهم من الأبطال الممتازين الذين يستطيعون السير معه فيما يقطع من المفازات الموحشة والمهامه المترامية دون أن يصيبه كلال ولا ملال ، ودون أن يجنح للراحة والنوم :

قل قم ترقب لها تحدى ململمة
جيشا وخيلا وتحنانا وتصهالا
يقودها بطل من بيت مملكة
أزكى ربعة اعماما وأخوالا
ويصطفى من بنى الأخيار كل فتى
ويصطفى كل زاكى الأصل مفضالا
ويقطع الأرض لو أضحى القريس اذا
بها ولو لمعت غيطانها آلا (١)
لا يطعم البرد (٢) من اجفانه أبدا
الا يسامر نجما كلما مالا
ويجتنى الصبح من عقبى جريرته
مذله ورأى جرما وانكالا

ويمدح الملك عبد العزيز ذاكرا شجاعته وبسالته ، لكنه يشرك جيشه جيشه معه على نحو ما صنع فى المثال السابق فيقول أنه يقود الجيش الذى يوجهه فى سبيل الله هنا وهناك يلف فيه السرايا بالسرايا ،

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٣ .
(٢) البرد هو النوم قال الله تعالى : (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) سورة النبأ الآية ٢٤ .

فلنعم الجندهم ، ولنعم الخيل خيلهم ، تمضى الى المعركة كجلامد هوت
من أعالي الجبال ، عليها رجال لا يعرفون الفـرار والانهزام ،
فاعجاز خيلهم على الرماح حرام ، واذا كان الطعن ففى النحور وتلك
صفة الشجعان الذين يطیرون لليوم العبوس مسرعين مستبشرين لأن
سعيهم فى رضا البارى - تبارك وتعالى - .

لكنه يخص الملك عبد العزيز بالأبيات الأخيرة فيصفه بأنه حامى
الحقيقة باسل جواد كريم ، لم يملك الملوك ألا أن يسلموا له بالرياسة
والسيادة .

يجر خميس الزحف شرقا ومغربا
بأى مكان فى رضا الله يعمل

يلف السرايا بالسرايا وقومه
على خير حال فى رضا الله أبسل

لعمرى لنعم الجند فى كل مـرك
أعدوا لأيام القتال وأجملوا

على كل قباء اذا يفخروا بها
نماها من الأنساب جد ومغول

منعمة يجبى لها كل ناعم
تعلل من صاف الضريب وتنهل

جياذ اذا حل الجلاذ كأنها
جلامد طود من ذرا النيق تنزل

فلا لمست أكفـالها أسل القنسى
محرمـة أعجازها وتحلل

على الطعن لبات السبايا لأنها
يطبق أيديها من الدم مقتل
إذا ذكر اليوم العبوس رأيتهم
سراعا ويمضى جحفل ثم جحفل
يريدون وجه الله لا شيء غيره
ومنزلة يرضى بها المتنزل
يقودهم حامى الحقيقة بأسل
شجاع ولا باب الندى منه مقفل
أمام أطاع الله واستسلمت له
ملوك حواها من ذرى العز معقل (١)

كرم الأصل والنجار :

ويتحدث الشاعر عن : كرم الأصل والنجار ، وعراقة الحسب والنسب
ونزاهة المنشأ والمنبت ، كهوامش وحواش لما يدعو اليه ، وحوافز
ووسائل استماله لمن يدفعه بشعره الى تحقيق الغاية ، التى أراد هو من
مدحه .

فمن ذلك قوله فى مدح الملك عبد العزيز :

ليث تفرع فى عدنان منسبـه
عالى الفروع اذا بعض الورى قعدوا

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢ .

أزكى ربيعة ان عدت مكارمه
للسائلين ففى أنواعها عبر (١)
ويبالغ فى مدحه فيجعل ربيعة تسمو به ، فى مثل قوله :
عبد العزيز الذى تسمو بطلعته
عليا ربيعه فى الأبرار والأصل (٢)

ويمدح سعود بن عبد العزيز ، فيقول : ان بطون قحطان لو علمت أنك
من عدنان لرفضت الانتماء الى القحطانية ، وانتمت الى العدنانية •
فلو علم الشيخان أد ويعرب
بأنك من عدنان ما سمحت أد (٣)

وقديما عيب ذلك على بعض الشعراء ، اذ الأصل فى مثل هذا عند
العرب أن يفخر بالآباء أولا ، ثم الأبناء ولا يرد هذا بقول القائل :
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علا برسول الله عدنان

• فان ذلك قليل على أى حال •

وقد يتراجع حيناً عن مثل هذه المبالغات ، فيقول : أنه لولا رسول
الله ، لفخرت ربيعة مضر لانتماء آل سعود الى ربيعة •
وان قيل يأتى من ربيعة سيد
منيف على رضوى فانت المسود

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٣٣
 - (٢) ابتسامات الأيام ص ١٠٥
 - (٣) المرجع السابق ص ١٦٤

فلولا رسول الله فى كل محفل
هو الفخر فى الدنيا وفى الحشر سيد
لأضحت مضر تعتليها ربيعة
بآل سعود والعلامات تشهد
بما جاورت من رتبة المجد فيهم
وكان لهم فى برج كيوان معقد (١)

غير أنه ينسب آل سعود حينا الى ربيعة ، وحينا الى شيبان كقوله وهو
يصف ممدوحه بالكـرم :

ضيفا لأروع من شيبان سدتـه
ينتابها عصب من بعدها عصب (٢)

● السياسة والهجاء فى شعره ●

السياسة :

لم يشهد قلب جزيرة العرب وبخاصة «نجد» أى نوع من أنواع
النفوذ الاستعماري ولم تشهد تلك الأرض من المعارك السياسية مثلما
شهده كثير من أجزاء الوطن العربي الكبير «كمصر والشام» ، ذلك أن
قلب جزيرة العرب قبل كشف النفط ، واتجاه العالم الاستعماري الى
استغلال الثروات الطبيعية ، والصناعية فى البلاد المستعمرة لم يكن
فيها مطمع للمستعمرين ، وساعد ذلك أن الجزيرة كانت من الفقر بحيث
لا يرجى فيها نفع ، ثم أن العصبية القبلية فيها ، لم تكن لترضى

(١) المرجع السابق ص ٦٧ .
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٢٠ .

بالنفوذ الاستعماري ، ولم يكن الاستعمار يتوخى النفع فيها ، مقابل ما يبذله من أجل السيطرة عليها .

وحين لم يجد ابن بليهد استعمارا ، أو قوى اجنبية يصارعها ، على أديم بلاده في جزيرة العرب ، لم يكلف نفسه الحديث عن قضايا الوطن العربي الأكبر ، الذي كانت جل أجزائه تصارع الاستعمار اذ ذاك : فتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والشام كانت تصارع الفرنسيين .

و «مصر والعراق ، والسودان ، والاردن ، وعدن» كانت تدافع الانجليز ومن قبل ذلك كانت «تركيا» في الشام والعراق وسواحل الخليج العربي» .

فلم يتحدث عن شيء من ذلك اللهم الا قضية «فلسطين» التي ذكرها في احدى قصائده التي لم يحوها الديوان ، وهي التي ودع فيها الأمير فيصل بن عبد العزيز حين سافر الى اوروبا سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) (١)

فلقد شغل الحديث عن «فلسطين» أكثر من نصفها ، غير أنه كان حديثا يشبه العرض التاريخي لحكم العرب في «فلسطين» حاول فيه : أن يثبت قدم العرب هناك واسبقيتهم في تعمير «فلسطين» ، كما حاول نفى أي حق لليهود فيها .

فبعد ستة عشر بيتا ودع فيها فيصل بن عبد العزيز وابنه عبدالله بدأ الحديث عن «فلسطين» ذاكرا أن ذلك السفر كان دعوة من القبلة الأولى وما يليها ، بعد أن أشد بها الحزن ، وآلمها البكاء ندبا لما ضاع من مجدها ، الذي امتلات به كتب السير والتاريخ ، ولقد ادعى اليهود ملكيتها وأنها دار آبائهم لكن هذا زور وبهتان وكذب على التاريخ .

(١) صحيفة أم القرى العدد ٧٣٦ ج ٣ (٣٠ ذو القعدة ١٣٥٧ هـ - ٢٠ يناير ١٩٣٨ م) .

فأهل «فلسطين» — فى حقيقة الأمر منذ أبعد الأزمنة — هم العمالقة
والكنعانيون ثم الحميريون ، وهؤلاء من العرب النازحين من الجزيرة •
وبقيت قضاة تحكم فلسطين وما يليها من بلاد «الشام» ، حيث
كانت حضارتهم وحيث استقرت حكوماتهم ودولهم •

فلسطين من قبل وجود اليهودية والمسيحية فيها ، كانت عربية وكذا
من بعدهم حيث كان الغساسنة وأماؤهم الى أن ظهر الاسلام ، فظل
حكمه العادل — فيما ظل — تلك البلاد ، التى لبست حل الاسلام ، ومن
ذلك الزمان لم تتغير حالها الا لتستقيم ، ولم يتبدل أمرها الا ليعود
أجمل وأقوى •

ومن هنا لم يكن غريبا أن يلبي العرب دعوة «المسجد الأقصى» حين
دعاهم ، فلقد لباهما قبلهم أجدادهم من يمينيين ومصريين •

وما كان هذا النداء ، وما كانت تلبية ذلك النداء ، الا لأن
«فلسطين» دار مملكة للعرب من سالف الأزمنة ، الى أن يرث الله
الأرض ومن عليها ، فهى تتقلب فى حكم عربى تنتقل فيه من قبيل منهم
الى قبيل آخر ، فليس لليهود فيها شبر ولا موضع قدم ، فسلام على
تلك العصور الزاهية ، التى ظلمت بحكمها العربى «فلسطين» ، التى
عندما نذبت العرب لكشف محنتها ، كانت «نجد والحجاز» فى مقدمة
المليين المؤيدين بالقول والعمل ، وراء اشارة زعيمهم ورائد نهضتهم •

دعتهم القبلة الأولى بأجمعها —
وربعها بين معمور ومندثر

تبكى بدمعة محزون يرق لها —
بنو ربيعة والأمجاد من مضر

ومن بقى من بنى الأذواء تندبه
أهل الجياد وأهل البيض والسمر

تذكرت سيرا تبقى محاسنها
تاجا على كتب التاريخ والسير

قالت يهود نشت فيها أوائلها
وتلك أبناؤنا باقون فى المدد

ما نسمع الزور والمين الصراح وما
قالت يهود كقول الكاذب الأشر

أما بنوها فعملاق وأسرتهم
وآل كنعان أهل المجد والظفر

وبعدهم حمير سادت بنوه على
كل القبائل من تيما الى البحر

أضحت قضاة فى تلك البلاد وفى
مشارف الشام لم ترحل ولم تسر

تبني القصور وتحميها وتمنعها
بالسيف من حادثات السهل والوعر

قبل ابن مريم فيها الملك متسق
بين الأعراب فى البادين والحضر

وبعده وطدت غسان مملكة
باق لها عزة فى جبهة الدهر

تسلسل الملك دهرا خالدا ومضى
فى آل جفنه أهل المجد والفخر

حتى أتى الله بالاسلام وافتتحت
تلك البلاد بوقت المرتضى عمر

ومدبعا طويلا في جوانبها
وسار فيها بوقت ناعم نضر

دين صحيح حنيفي يقام بها
شعاره الحق محفوظ من الكدر

من ذلك الوقت ما سارت ظعنيتهم
بين المهامه والانجاد والفور

أوطان ما خضعت الا لأولهم
على ممر ليالى الدهر والشهر

وان دعا المسجد الأقصى غطارفة
فأنت وأبناءهم تمشي على الأثر

يدعو بزيد وعمر والأمين
أبا عبدة المرتضى للمأزق الخطر

وخالدا خلد التاريخ سيرته
والقائد اليمنى فى منهج النعر

وما فلسطين الا دار مملكة
للعرب من سابق الدنيا الى الحشر

تغلبت حقبا فى كف مالکها
ان كان منتزرا أو غير منتزر (١)

(١) منتزرا أو غير منتزر : نزارى أوغير نزارى .

ما لليهود بها شبر تحلل به
أهدى السلام على الماضي من العصر

فما كبار الزند من نجد وما قصرت
من الحجاز حبال الورد والصدر

ترى إشارة مأمول تراقبـــــــــــــــــه
فكم جلا عقبات العسر باليسر

فابن بليهد اذن لم يساهم فى القضايا العربية العامة بغير هذه القصيدة
ولم يجد نفوذاً أجنبياً فى بلاده يدافعه .

صحيح أن الشريف فى الحجاز كان يلقي دعماً من بريطانيا ، كالذى
كان يلقاه ابن رشيد من الدولة العثمانية ، غير أن بريطانيا كانت
حذرة ، فقصرت دعمها على المال والسلاح ، الذى كان منه عشر طائرات
حربية منحتها الشريف ، بينما لم يكن لدى ابن سعود طائرة واحدة .

وأما تركيا فقد تجاوزت المال والسلاح ، الى الامداد بالرجال الذين
كان جلهم من العراقيين ، لكن رجالها لم يستطيعوا الثبات ، لأن سندهم
كان ضعيفاً ، ثم ان جيش ابن سعود فتك بالكثيرين منهم ، حتى ألم ذلك
شاعر العراق «معروف الرصافى» الذى رأى أبناء وطنه يقتلون فى
حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل ، فهجا الدولة العثمانية وابن رشيد الذى
أمدته بالجيش ، والجيش الذى يحاربه ابن رشيد .

من هنا كان شعر ابن بليهد السياسى مقصوراً على ما كان بين ابن
سعود وأعدائه المباشرين ، مثل قوله عندما ، اتفق الشريف مع ابن
رشيد ، وابن صباح على حرب ابن سعود ، فاستنهض الشاعر الجيش
السعودى بقصيدة ، كان جلها فى مدح الملك عبد العزيز ، عالج فى

أبيات منها ذلك الخلاف الذى كان بين هؤلاء الرؤساء الثلاثة وأتباعهم على نحو فضل فيه الملك عبد العزيز وجيشه على غيرهم ، لأنهم اتبعوا نهج الرسول فيما دعا اليه ، وأن غيرهم قد ضلوا ونهجو سبيل البدع والجهل ، ولذا فهو يحذرهم من هذا المسلك ، الذى اشبهوا فيه الضالين من قبل عهد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - .

ففى الناس من للصالحات موفـق
يطيع لما قال الرسول ويقبـل
وفيهـم أناس أثبتوا كل بدعة
فكم جاهل فيها يقول ويفعل
فيا أهل بطن الواد مامنكم الذى
سلوك على نهج الهدى يتحمل
أرى الناس فى بحر العمى قبل أحمد
أطاعوا لمن يغوى الأنام ويضل (١)

ثم يلتفت الى الملك عبد العزيز فى آخر القصيدة ، ليقول له بلسان الجيش : اننا متوكلون على الله فى كل حال ، فقد الجيش متوكلا على الله الذى لا يلجأ الا اليه ولا يسأل سواه ، وشمر الى الحرب بعزمك الذى عرفت به أنت وأجدادك ، وأبشر بالنصر عند التحام الجيوش ، لأن جيشك مكتمل العدة والعتاد ، فهو منصور لأنه ملتزم نهج المصطفى - عليه الصلاة والسلام - .

ففى كل حال أن ألم ملممة
فانا على رب السما نتوكل

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١ .

توكل على الله الذى ليس غيره
لنا ملجأ نلجؤ اليه ونسأل
فشمر بعزم مقرنى وهممة
تضمنها نحو السماكين منزل
فقدتها وأبشر بالحروب بفرحة
إذا التحمت عظماؤها تتسهل (١)

الهجاء :

الهجاء فن عربى قديم ، عرف فى الشعر العربى من أقدم عصوره ،
وكان يختلط بالشعر القبلى ، الذى يشيد بأمجاد القبيلة ومناقبها ،
ويرفع من شأنها ، ويحط من شأن أعدائها فيهمهم ، ويعدد مثالبهم
ونقائصهم .

ثم كان يختلط بعد الاسلام بشعر الأحزاب والطوائف ، ثم بالشعر
السياسى (٢) .

وعلى أنه كان كثيرا ما استقل كفرض قائم بذاته ، ولذا وضع له
علماء العربية أصولا يلتزم بها ويسير وفق منهجها ، وجعلوا الخروج
عليها خطأ ، ودليل عدم خبره فى هذا الميدان ، وهذه الأصول هى الضد
للأصول ، التى وضعوها للمدح .

يقول أبو هلال العسكري : (والهجاء أيضا اذا لم يكن يسلب الصفات
المستحسنة التى تختصها النفس ، ويثبت الصفات المستهجنة التى
تختصها أيضا لم يكن مختارا .

(١) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٢) فى رأى أن شعر شعراء القبائل والأحزاب ما هو الا شعر سياسى ، يضيق حيننا
ويتسع حسب أوضاع المجتمع النابت فيه .

والاختيار أن ينسب المهجو : الى اللؤم ، والبخل ، والشره وما أشبه ذلك .

وليس بالمختار فى الهجاء أن ينسبه : الى قبح الوجه ، وصغر الحجم وضئولة الجسم ، يدل على ذلك قول القائل :

فقلت لها : ليس الشحوب على الفتى
بعار ولا خير الرجال سمينها (١)

(وكذلك عند قدامه يجب أن يكون بسلب الفضائل التى تختص بالنفس ، وبأثبات أضرارها من الصفات المستهجنة ، فيسلب الشاعر عن المهجو : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، وينسبه الى ما يقابلها من مثل : الجهل والحمق ، ومثل : الشره والدنس ، ومثل : الظلم والبخل ومثل : الضعف والخور .

ومثلما وجب ألا يتجه المديح الى ما يليق بأوصاف الجسم : من الحسن ، والبهاء والزينة ، وجب ألا يتجه الهجاء الى : قبح الوجه ، أو صغر الحجم ، أو ضالة الجسم ، أو قلة العدد .

واستدل أبو هلال على وجهته هذه بأمثلة من الشعراء ، نفوا أن يكون الشحوب عارا ، والسمن خيرا ، وقلة العدد منقصة (٢) .

ولقد التزم ابن بليهد هذه الأصول والقواعد فى شعره ، فلم يهج بالقبح ولا بالقصر ولا بغيرها من الصفات الحسية والخلقية ، وانما نزع فى هجائه الى الصفات الخلقية والمعانى النفسية ، فكان يهجو

(١) الصناعتين ص ١٠٤ أبو هلال العسكري مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٥٢ م
(٢) نصوص نقدية ص ١٧١ ، ١٧٢ د محمد السعدى فرهود مطبعة دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٥ م .

بالطغيان ، والبغى والغواية ، والرضا بفعل السفهاء والأشرار ،
واسلام الأنصار للمهالك دون مبالاة سوى أن ينجو بنفسه ، كما يعير
بالهزيمة مشيرا فى ذلك الى القادة بأسمائهم زيادة فى الالهانة والتحقير

فان اجتماع الحى يوما يسرنسى
كما سرنى قتل الطغاة البواغيا

غوى غاو أغوى من الترك عصبية
على شر حال واستذل البواديا

محا الله من كانت بريحان داره
اذا كان أفعال الخبيثين راضيا

فلما التقى الجمعان صاح لقومه
وأسلمهم للموت اذ كان دانيا

فما همه لما حوى الموت قومه
فلمست ترى منهم على الأرض باقيا

فما همه الا لانجاء نفسه
تغشى متون الصافنات النواجيا

فمن مبلغ فخرى أن نظامه
تزعزعه هوج الرياح الذواريا

ففازوا يقوم باشة الكفر فيهم
ومقدمهم شحاذ فيهم وضاريا (١)

ويعير بالغدر ونكث العهد، ويجعل ذلك سببا فى هلاك الغادرين الناكثين

(١) ابتسامات الايام ص ١٥ ، ١٦ .

أعرا بهم غدروا غدرا يحيط بهم
من بعدما نكثوا لربهم عهدا (١)

كما يعير بالفساد والتمرد ، واللؤم والتكبر وانه سبيل الهلاك والضياع
كما أن اللؤم من صفات الجاحدين للمعروف :

فوالله ما يرميك بالشر والقسا
من الناس الا فاسد متمرد

تردى رداء الكبر يحسب أنه
رشيد وفي حالاته كيف يرشد

اذ قال انى قد نجوت فقل لله
رويدا فان اليوم يتبعه غد

وبالكبر خلى رب غسان ملكه
وأمسى عن الاسلام ينأى ويبعد

فلا يحمد المعروف الا أولو النهى
وأما لئيم الناس للفضل يجحد (٢)

كما يهجو بفراغ العقول الذى يتسبب ، فى تسربل المتصف به بسر بال
الذل :

تبا لأهل العقول الفارغات وقد
غشاهم من لباس الذل سربال (٣)

ويعير القادة باجابة دعوة السفهاء فيقول :

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٢) ابتسامات الايام ص ٦٩ .
(٣) ابتسامات الايام ص ٨٢ .

علم الله أن فيكم رجـالا
ان دعاهم سفيه قوم أجابوا (١)

ويعير بقرع الطبل والتصفيق والزمـر ، وأن ذلك خلاف لنهـج
المصطفى عليه الصلاة والسلام - ، وأن عملهم لم يبن على أسس ، وأنهم
يخونون الجار ويبيحون حرمتـه •

لا تحسبوا قصبات السبق فى مضر
الى المكارم لولا صاحب الفـار
لكن سلكتم طريقا غير سنتـه
لعبا بطبل وتصفيق ومزمار
بنيتـموا عملا كانت قواعده
على شفا جرف من تحته هـار
لا يأمن الجار منكم عند غفلتـه
وقد أبيحت لديكم حرمة الجار (٢)

ويقول :

أتاه من الاخوان علم فسـره
على كسر أصحاب الخنا والمزامر (٣)

على أن ابن بليهد لم يكن يتجه فى هجائه اتجاه فرديا ، أعنى أنه انما
كان يوجه سهام كلماته الى الجماعات ، ولم يكن يشير الى الأفراد الا

(١) المرجع السابق ص ٨٧ •
(٢) المرجع السابق ص ١١٧ •
(٣) المرجع السابق ص ١٣٣ •

قليلا ، والجماعات التي كان يهجوها هم أعداء الملك عبد العزيز ، ثم أنه لم يعنون بالهجاء قصيدة واحدة ، وإنما جاء الهجاء ممتزجا بشعره السياسي في ظل عنوان المديح ، أي أن هذه الأغراض الثلاثة قد تشابكت وتلاحمت في قصائده ، يغلب أحدها تارة ويضعف أخرى ولم ينفرد واحد منها عن الآخرين خلا المديح الذي انفرد بقصائد قليلة (١) ولم يكن يجنح الى الهجاء الشخصي ، الا في تلك الاشارات الخاطفة الى أعداء الملك عبد العزيز ، كقوله في هجاء حامد بن رفادة :

فحامد وبنوه تحت رايتهم
ينوشهم كل ذى ناب ومنقار
أشقى بليا والمرايا ملفقة
ومن تجمع من بدو وحضار
في موقف وقف الموت الذعاف به
هناك أقضى لباناتى وأوطار
فما سباع تريم من ترائبهم
ولا النسور التي فيها بضمار
من كل ذى لمة لمت صفائرها
على التراب دماء فيضها جار
لم يبق من ابل البغى التي لقحت
بالأردنية من عين وآثار (٢)

(١) ابتسامات الايام ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،

١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ .

(٢) ابتسامات الايام ص ١١٦ .

فهو يعير ابن رفاة وبنيه بهزيمتهم ، وأن جثثهم باتت طعاما للسباع والنسور ، وهذا المعنى كثير فى شعره ، لا يكاد يذكر الحرب الا ويصعبه هذا المعنى ، ثم يعيره بخطر التدبير وخطأ التقدير ، وأنه بذلك جر الشقاء على تلك القبائل التى قادها ، لمركة فيها هلاكها لوقوف الموت فيها ماثلا فى سيوف ورماح جيش الملك عبد العزيز ، التى تركتهم طعاما للسباع والنسور ، التى سمت وامتلات أجسامها من أكل لخومهم

وفى البيت الخامس يرسم لك صور شعورهم المضفرة ، وقد لم ما تشعت منها الدم بعد سقوطها ، ثم يؤكد فناء الجيش فى صورة بيانية معبرة ، حيث يستعير لها الابل التى أهلكها أن لقحت بأراء الزعيم المقيم فى الأردن •

ثم يلتفت الى الشريف الذى جهز جيش ابن رفاة ، وسيره من عمان بشرقى الأردن الى قتال جيش الملك عبد العزيز ، فيعييره بعدم الشهامة وأنه جبن عن ميدان الحرب خوفا من أن يشهد ذلك المصير البشع الذى شهده من قبل ، فأثر القعود فى الأردن حفاظا على نفسه •

يا باعث الجيش من عمان ترسله
ان كنت شهما ففارق دمنة الدار

حتى ترى النكبات السابقات لكم
تعاد فيكم بايراد وأصدار (١)

وأبن بليهد فى ترفعه عن الهجاء الشخصى وتنزيه شعره منه ، انما يصدر فى ذلك عن قيم وأخلاق فرضها عليه منشؤه ووضعها واقتداؤه •

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٦ •

فقد نشأ فى مجتمع ينفر كل النفور من الهجاء الشخصى ، والمهاترات
الفردية ترفعا وتدينا •

ثم هو نديم الملوك والأمراء ، ومجالسهم لا يليق بها الا نزيه كلام •

وقدوته فى نظم الشعر وأستاذه فيه الشاعر الكبير محمد بن عثيمين
الذى قال حين سئل عن سر خلو شعره من الهجاء :

(الحمد لله . . . أنى لم أهج أحدا قط مهما بلغ فى من الاساءة ،
وهل تظن أنى تركت الهجاء عجزا ؟ ، كلا : ان الشعر آلة وأداة يصرفها
الشاعر كيف يشاء فى فنون الشعر وأغراضه ، وهل من العسير على من
يستطيع أن يقول : عافاك الله ، أن يقول : أخذك الله فى الوقت
نفسه ؟) (١)

غير أن ابن بليهد لم يلتزم نهج أستاذه التزاما كاملا ، ذلك أن ابن
عثيمين قد نكب طريق الهجاء الشخصى والعام •

أما ابن بليهد فقليل من قصيد المدح عنده خلا من الهجاء ، كما أنه
فى بعض منها قارف شيئا من الهجاء الشخصى (٢) ، على نحو ما
أسلفنا فى هجائه لابن رفاة • •

ومثله قوله فى هجاء الشريف حسين :

إذا مدت الأيدى الى الجهل والهوى

فباع حسين فى الضلالة أطول

(١) مقدمة ديوان ابن عثيمين - العقد الثمين ص ١٦ •
(٢) ستأتى نقيضته التى هجا فيها «على امام» فى الموازنات •

تفكر فى الأقطار طرا فلا رأى
له ملجأ ينأى اليه ويرحل (١)

غير أن ذلك النوع من الهجاء ليس شخصيا ، بالمفهوم الكامل ، إذ أن هجاءه للشريف أو ابن رشيد أو غيرهما لم يقصد فيه الشخص ذاته ، وإنما الهدف من ذلك الكتلة التى يمثلها والاتجاه السياسى الذى يسعى له ويدعو اليه .

وحين سجن فى المدينة المنورة عام ١٣٤١ هـ . بأمر من «شريف مكة» لم يزد فى هجاء شخص ساجنه على قوله :

حتى أتى الأمر من تلقى رئيسهم
وأثبتونى برأى الشارب الثمل (٢)

فلو كان ميالا الى مثل ذلك ، لكان له من عرض الشريف فريسة ، خاصة وقد ناله شخصيا من السجن والايذاء ، ماقد يعتبره مسوغا وعاذرا فى الهجاء .

الرثاء :

يقع الرثاء فى المرتبة الثانية بعد المديح عند ابن بليهد ، ولكنه لا يشكل جزءا كبيرا فى شعره ولا يشغل مساحة هامة فى ديوانه ، فعدد قصائده فى الرثاء تسع ، منها فى الديوان (٣) سبع قصائد رثى فيها زوجته ، وأربعة من العلماء : هم عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ رثاه بقصيدتين ، وإبراهيم بن عبد اللطيف ، وعبدالله السيارى ، والرابع ابن عمه عبدالله بن سليمان البليهد .

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢١ .
(٢) ابتسامات الأيام ص ٧٢ .
(٣) ابتسامات الأيام ص ٢٤٣ - ٢٦٣ .

كما رثى صديقين : أولهما الأمير خالد بن محمد آل سعود ،
وثانيهما : ابراهيم بن علي بن مهنا .

أما القصيدتان الثامنة والتاسعة : ففي رثاء الملك عبد العزيز بن
عبد الرحمن آل سعود وأبيه ، الأولى نشرت في صحيفة أم القرى ،
والثانية أمدنى بها الشاعر أحمد ابراهيم الغزاوى .

وقبل القاء الأضواء على الرثاء عند ابن بليهد نوميء في كلمات
الى هذا الفن :

من المعلوم أن الرثاء غرض أصيل في الأدب العربى ، وهو قديم فى
الانسانية قدم المشاعر والاحساسات للابانة عما تطفح به خيال فقد
الأقارب والمحبين .

ولذا تفننت الانسانية فى صوغ مشاعرها واحساساتها خيال مصابها
وكان للعرب فى ذلك القدح المعلى ، والسهم النافذ على أنه يندرج فى
الأدب العربى تحت اسم الرثاء، الى أن قسمه الدارسون الى ثلاثة أقسام
الندب . التأبين . العزاء .

أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت ، ومن ذلك
بكاء من ينزل من نفس الشاعر منزلة الأهل والأحباب ، كرثاء الشيعة
ورثاء المواطن ونحو ذلك .

أما التأبين فبكاء الأعلام من العلماء والسادة وأولى الشأن ، وهو
هنا أشبه بالثناء والمديح ، لأن فيه ذكرا للمناقب ، والصفات ، والخلال
والسمات الى ما يتضمنه من لوعة وحرقة وحسرة ، ولولا هذا لكان فى
باب المديح .

وأما العزاء فمرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، اذ ينفذ الشاعر فيه الى الحديث عن حقيقة الموت والحياة ، وقد ينتهى به الى معان فلسفية عميقة ، تجوب الوجود والعدم ، والقضاء والقدر ، ونحو ذلك مما تشيره أحداث الفناء والوجود فى نفس الشاعر (١) .

ولم يفرق العرب فى مراثيهم بين : الندب ، والتأبين ، والعزاء بل كانت عندهم خليطا من هذا وذاك .

غير أن أقل الأمور الثلاثة نصيبا فيها هو العزاء ، حتى نزل القرآن الكريم فعمق العقلية العربية ، ووسع ميدان التفكير فيها ، فارتفع نصيب العزاء الذى ظل ينمو بنمو العقلية العربية .

غير أن المراثية العربية ظلت تجمع الندب والتأبين والعزاء معا ، وقد ينفرد أحدها الا أن ذلك قليل ، والسر فى هذا أننا معشر العرب قوم ركب فى طباعهم منذ خلقوا ، العاطفة الانسانية ، المشحونة بالشفقة والرحمة ، والشعور الشديد بالآلام الآخرين ومتاعبهم ، وسرعة التعاطف مع مشاعرهم واحساساتهم ، كان ذلك أيام الجاهلية ، فجاء الاسلام ليعمق هذا الشعور بتعميق معنى الأخوة ، وربط الاحسان بالجزاء فى الآخرة ، الى ما يناله المحسن فى الدنيا نفسيا وماديا من جزاء ، وزاد ذلك تعميقا ارتقاء العقلية العربية ، لتطور الفكر العربى نفسه ، ثم اتصاله بالأمم الأخرى وامتزاجه بها .

وننظر فى شعر الرثاء عند شاعرنا ، فنجد لا يختلف عما عرفناه لدى شعراء العصر المملوكى ، وأخريات العصر العباسى .

(١) انظر الرثاء ص ٦٥ الدكتور شوقي ضيف (اصدار دار المعارف سنة ١٩٥٥ م) .

ولنأخذ على سبيل المثال مرثيته لزوجته «ساره» التى تزوجها كما
يقال عن حب ، ثم فقدتها وهى تضع جنينها الأول ، أى قبل أن تهدأ نار
حبه فماذا قال فى رثائها :

تصرمت الأواصر والرمـام
من الدنيا وهل يغنى الكلام
فما بعد الذى لولا لقـاه
لما سارت بنا الابل الكرام
ولا أمت برحلتنا بـلادا
قدىما حسب ساكنها غرام
كأنى والذى حجت قريش
له بين المشاعر واستقاموا
سليم ما ينام الليل طـرا
وكل الناس قد هجموا وناموا
كأن الرزء علق فى فـؤادى
قطاة حين أفلتها القطام
يقول الركب ان الموت حـقق
فمن خلفت أدركه الحمام
فما للظاعن المفقود فيها
مبيت فى البلاد ولا مقام
ففى بطن الثرى قد أودعـوه
الى من لا يراء ولا يضام
سيفتح من جنان الخلد بابـا
ونورا ينجلي عنه الظلام

عسى قبر أقام به وحيــدا
يفاث وكلما انسكب الغمام
عليه العقو ينصب انصبابا
من الرحمن ما بقيت شمام
ويسقى باردا عذبا زلالا
بكاس كلها ذهب وجام
ومخضر الجنان بجانبيه
وللازهار ضوء وابتسام
ويملا قبرها مسكا وروحا
تنفس فى جوانبه الختام
هنيئا للقبور وساكنيه
بما أهدى لها الشهر الحرام
فعند الله احسان ولطف
نفوس المؤمنين لها احترام
فان كان الذى فى المهد طفلا
بأيدي الحاملين له بغام
لعل الله يكلاه بعطف
وعين فى البرية لا تنام
فأما أمها من حور طيبى
حياء أو بهاء أو قوام
وأما دهرها نصف صلاة
ونصف فى هواجرها صيام

صحبنا أنسهم دهرًا طويلاً
ولكن أن منه الانصرام

أبنت الأكرمين أبوك هـود
وجدك خالد وأبوه سام

فما منهم على البیداء بـاق
ولا فى بطنها منهم عظام

ولكن ليس ينسينيك شىء
ولو نسيت مصائبها الأنام

فمن شطب الى اكتاف تيمما
مصيبات أواخرها عظام

رعاك الله بعدى من فقيـد
عزيز لا يباع ولا يسام

ولكن المنون لها سهـام
أصابتها مع القدر السهام

بأمر الله ما هبت ريـاح
وما غنت على الفنن الحمام

وفى حل مدى الأيام منـى
فما للجرح بعدكم التـام

بنفس ما يطيب لها شـراب
على شحط المزار ولا طعام

فما لى بعد رحلتكم مـراد
بتلك الدار يذكر أو مـرام

فألقيت الحقائق عن ركا بـى على الشعرا وساكنها السلام (١)

هذه هى المراثية وهى كما نراها ملتزمة للموضوع ، فهو فى الأبيات الثلاثة الأولى يخبر بموتها فى حسرة وحرقة ، وألم ، وأن كل صلة له بالحياة بعدها قد انصرفت ، فلم تسير به الابل وقد فقد الذى من أجله كان يسير ؟ .

ثم يخبر فى الأبيات من ٤ - ٦ عن حاله حين أعلم بالفجيعة ، فيقسم أنه بات كالسليم الذى لدغته الحية ، فهو محروم من النوم على ما هو فيه من الآم وأوجاع ، وان المصيبة تضرب كبده كضرب القطاة بجناحها وهذا معنى قديم ومنه قول الشاعر القديم :

كان قطاة علقت بجناحها —
على كبدى من شدة الخفقان

ثم يتحدث فى ثلاثة أبيات عن الخبر وكيف وصل ويفصل فيه ، وكأنه يريد أن يستوضح أمرا أو يجلو شكا فى ذلك .

أخذ بعد ذلك يدعو لها أن يفتح عليها باب الخلد فى قبرها ، ليمتلىء ضياء ونورا ، كما دعا لقبرها بالسقيا من رحمة الله ، وأن تسقى غدبا باردا بكئوس الذهب والجام ، وأن يتحول قبرها الى روضة من رياض الجنة ، تبتسم الأزهار فيه مضيئة ، وأن يمتلىء بالمسك والرياحين الطيبة ، وذلك فى ستة أبيات .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٥٤ .

ثم هنا الموتى فى قبورهم بوفود زوجته عليهم ، ثم عطف بعد ذلك على طفلها الذى ماتت وهى تضعه ، فيرجو من الله أن يكلاه بعين رعايته ويهيىء له من الناس عينا تسهر للعناية به .

يعود بعد ذلك الى الحديث عن زوجته الفقيدة ، فيتصورها من حور الجنة فى حياتها وبهائها وقوامها ، ويذكر عملها فى الدنيا ، وأنها كثيرة الصيام كثيرة الصلاة ، ويخبر فى لوعة وتحسر أنه قد صحبها ، ولكن اين تلك الصعبة ؟! لقد حال الموت دونها ، ويحاول أن يعزى نفسه ، بأن الأجداد هود وسام وغيرهما سلكوا طريق الموت الذى سلكته الفقيدة ، ولكنه لا ينسى مصيبتة فيها ولو نسى الناس جميعا مصائبهم .

وكانت العادة فى مجتمعه أن يدعو الحى للميت ، وأن يحله مما قد يكون له عليه من حق وبخاصة الأقربين ، ولهذا أحلها حلا يدوم ما دامت الأيام ، ثم يخبر أن الجرح الذى تركته فى قلبه لن يلتئم مدى الدهر وأن الشراب والطعام لن يطيبا له بعدها ، ولذا لم يعد له مرام بالشعرا ولا بساكنها ، فانه قد ألقى رحلة بعيدا عنها ، فهو يلقي السلام عليها وساكنها .

على أنه لم يثبت على هذا فقد ذهب الى الشعرا وتزوج بأخت زوجته ، ولعله بذلك كان ينشد ما ألفه فى فقيدته ، فى التى هى أقرب الناس الى الاتصاف بصفاتها أختها .

ويخيل لك من أبياته أن عاطفته جمدت أمام مصابه ، وأنه يعتسف الطريق الى التعبير عنها أعتسافا ، والواقع أن العواطف قد تجمد . اذا قدحت المصيبة ، وتشل الاحساسات والمشاعر ، فيعجز اللسان عن الابانة وتموت الكلمات على الشفاه ،

ولولا أن ما حواه ديوان ابن بليهد من الرثاء كله ، يسير على هذا النمط لقلت عنه ذلك .

ان شعر الرثاء فى ديوانه كله ، لا يرقى الى مستوى الحديث ، ولا يعبر عن عظم المصيبة ، ففى أولى مرثيته للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف (١) ، نرى نصيب الرثاء فيها أبياتا معدودة ، فقد بدأها بذكر الديار الدوارس ، والأطلال الروامس وهذا مذهب غير مقبول فى الرثاء ثم أخذ فى سرد الكثير من خلاله وصفاته ، حتى اذا أوفى على نهاية القصيدة ختمها بمدح أبناء المرثى ، ثم الصلاة على النبى .

أما نصيب الرثاء فأبيات تتخلل القصيدة ، لا تتجاوز عدد أصابع اليدين على الرغم من أن القصيدة بلغت (٦٤) بيتا ، على أنه قد رثى الشيخ بقصيدة أخرى خمسة (٢) بلغت (٢١) مقطعا وتكاد تكون أجود ما فى الباب وأكثر القصائد التزاما بالموضوع (٣) ، ثم ان فيها — ترى العاطفة مشبوبة أكثر ، حتى من مرثيته لزوجته ، ومثل ذلك يقال فى مرثيته للإمام عبد الرحمن بن (٤) فيصل حيث لم تختلف أسلوبا وتصويرا عما حواه الديوان .

خذ مثلا قوله فى مطلعها :

أقلوا بالملامة أو أطيلوا
فما يغنى البكاء ولا العويل
فما يغنى البكاء بسفوح حجر
إذا حان التفرق والرحيل

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤٣ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٤٧ .

(٣) انظر القصائد المحللة فى الفصل الثانى من الباب الرابع .

(٤) صحيفة أم القرى العدد ١٩٩ جماد أول سنة ١٣٤٧ هـ .

فما يغنى البكاء اذا بكينا
وما يغنى القريض وما نقول

ألا ترى كيف كرر المعنى فأعاد وأبدى فى هذه الأبيات الثلاثة دون
جديد ؟ .

على أنك حين تقرأ له مرثيته فى الملك عبد العزيز، التى لم يتضمنها
الديوان أيضا ، فانك تجد نفسك عند قراءتها مشدودا الى براعة ابن
بليهد فيها ، فقد بلغ الذروة فيها احساسا وشعورا وابداعا وتصويرا ،
حتى يخيّل لك وأنت تقرأها أنها سلت من فم البارودى أو حافظ ابراهيم
فلعل ذلك راجع الى ما طرأ على ثقافة الشيخ ، من تغير وتبدل
نحو الارتقاء والاجادة ، بعد سفره الى «مصر» واطلاعه على دواوين
الشعراء المعاصرين ، الى ما اكسبته رحلته من اتساع مداركه وتنوع
ثقافته ، نتيجة اطلاعه على كتب الأدب والنقد الحديث ومخالطته
المثقفين ، وذلك ما نلمس أثره فى جميع مصرياته .

على أن جودة الأسلوب والتصوير والعمق ، فى إبراز المشاعر
والاحساسات عنده ، قد بلغت الذروة فى هذه المرتبة ، التى يبدوها
بتساؤل عما دهى المنية ، فأصبح ليس يكفيها ما تلقى الأحداث والحروب
فى فمها ، حتى تتخطف أعلام البلاد على الرغم من حب الناس لهم
وتعلقهم بهم .

ثم يصور المنية وقد هجمت الملك عبد العزيز ، فى صورة حيوان
ضخم شرس طويل اليدى ، جثا على فريسته ، ولف ذراعيه من حولها
تيها وتفاخرا أن تمكن من القضاء على هذا الفارس ، الذى دان له
الزمان :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألفت الحرب والأحداث في فيها
حتى تخطف أعلام البلاد على
رغم النفوس التي ظلت تفديها
أرى المنايا بضخم من كلاكها
ومستطيل عنيف من أياديها
جثت وعضت على قطب الزمان وقد
لفت ذراعين منها حوله تيهها
ان حطمت صارما دان الزمان له
وخافه في الدنى القاصي ودانيها (١)

● الغزل ●

كان ابن بليهد وليد عصر ، يرى فيه علماؤه أن الشعر عبث لا يليق
بالعالم ، وأنه مضیعة للوقت ، وأولى للعالم أن يرتفع عنه وأن ينزه
لسانه عن الخوض فيه لنهى القرآن والسنة المطهرة عنه ، ثم ان الكثير
ممن امتهنوا سبيله كانوا من المتطرفين ، ولو كان فيه خير لما نزه الله
تبارك وتعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - منه ونفاه عنه بقوله
تبارك وتعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) (٢)

وبيئة هذه نظرة علمائها الى الشعر ، لا ينتظر منها أى تقدم ، فى
الحياة الأدبية أو انتاج لأى عمل أدبى مجد ، واذا كانت هذه نظرتهم

(١) أوراق مخطوطة .
(٢) سورة يس الآية ٦٩ .

الى الشعر بعامة ، فاننا لا ننتظر منهم أن يجيزوا لاقلامهم أن تتناول
الغزل أيا كان .

ولقد أسلفنا في صدر بحثنا هذا ، أنهم قصروا شعرهم على ميدان
الدعوة وما يتصل به ، من مدح زعمائهم ورثاء من انتقل منهم الى
رحمة الله .

ولقد تتبعنا تتبع أستقصاء كل ما قالوه لأظفر بشيء من الغزل
المستقل ، فما ظفرت من ذلك بشيء اللهم الا ما نظم صاحبنا مما سنشير
اليه مستقبلا .

وهذا الغرض الأصيل في الأدب العربي ، كان حريا بأن يجد ولو
زاوية صغيرة في السنة شعرائهم .

ومن هنا يتضح لنا أن ابن بليهد ، في غزله أتى بجديد على بيئته
وان كان قليلا من ناحية، ومن ناحية أخرى من نظمه في أخريات أيامه .

ويمكننا أن نقسم الغزل عند ابن بليهد الى قسمين : نسيب . غزل
أى تشبيب .

أما النسيب : فمسلك سلكه شعراء العرب في مقدمات قصائدهم ،
حتى ما كان منها ينشد بين يدي المصطفى - عليه الصلاة والسلام كصنع
كعب بن زهير - رضى الله عنه - في مطلع قصيدته : بانت سعاد ...
وكصنيع حسان بن ثابت - رضى الله عنه - في قوله :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة
تسقى الضجيع ببارد بسام

على أن ابن بليهد لم يكن فى هذا من المكثرين ، اذ كان فى جل مقدمات قصائده يتحاشى هذا ، وكان فى أغلبها يبكى الدمن والأطلال دون أن يشير الى ساكنيها، من الأخلاء والأحباب على الرغم من شيوع النسب في مقدمات شعر معاصريه ، كالشاعر الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين صاحب النفس الطويل فيه وفى قصائده عامة • يقول ابن عثيمين فى مطلع احدى قصائده ، التى بلغ النسب فيها ٢٠ بيتاً :

ضمان على أن الغرام طویل
اذا شحطت دار وبان خلیل
أقول لنفسى حين جد بها الأسى
نهيتك عن ذا والفريق حلول
فأما وقد جازوا الغميم ولعلما
وحالت حزون دونهم وسهول
فبرد جوى قلب أطيل عليله
بفيض دموع فى الجفون تجول (١)
والشيخ سليمان بن سحمان فى مثل نسيبة الآتى :
أهاجك أم أشجاك رسم المعاهد
معاهد أنس بالحسان الخرائد
الى أن قال :

برهرة كالشمس فى يوم صحوها
منعمة تسبى نهى كل ما جد

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين - دار المعارف بمصر من ص ٣٧١ الى ص ٣٧٤ •

فلو كلمت شيخا بطاعة ربه
مديبا عليها جاهدا غير حائد

لا صبح مفتونا بها ومولعا
وخال رشادا أن تفي بالمواعد (١)

وكأحمد بن مشرف وأمثالهم :

فلعل شاعرنا - رحمه الله - كان يتحاشى مثل ذلك فى قصائد
يلقيها بين يدى الملوك والأمراء ، الذين هم بجانب زعامتهم السياسية
من زعماء الدين .

لكن كيف يتحاشى ابن بليهد هذا ، وقد سبقه عليه ابن مشرف وابن
سحمان وابن عثيمين ، وهم جميعا من العلماء الى جانب أنهم كانوا
يلقون تلك القصائد ، بين يدى أولئك الزعماء أو أمثالهم من آبائهم
أو غيرهم .

وفوق ذلك كله أنشد شعراء الرسول - صلى الله عليه وسلم ،
النسيب بين يديه ، فهل يعد ذلك ضعفا فى شخصية صاحبنا ، وعدم
ثقة بمركزه أمام الممدوح؟ أو أنه ايفال فى المجاملة ومبالغة فى التدين؟

هذا وذاك كلاهما محتمل وان كان شك لا أرتاح اليه ، لكن مثله
يقوم فى النفس حيال هذه الظاهرة فى شعر شاعرنا .

ومما يسترعى انتباه الباحث أن عناية الرجل بالنسيب ، انما كانت
فى أول عهده بالشعر من ذلك مطالع قصائده الثلاث (٢) .

(١) عقود الجواهر المنضدة الحسان - الشيخ سليمان بن سحمان - المطبعة المصطفوية
ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٥ ، ١٣٦ ، ٤٨ .

والتي يقول في أولها :

تغير رسم الدار أصبح خاليا
فليس بها حى يجيب المناديا
عفى رسمها من وابل المزن رائح
وآخر معهاد من المزن غاديا
فلم يبق الا موقد النار حوله
رواكذ أمثال الحمام بواقيا
أسائلها عن أهلها أين يمموا ؟
وهل يسألن من لا يجيب سؤاليا ؟
منازل حى طالما حل سوحها
أوانس أتراب حسان غوانيها
تداولها ذارى الرياح واقفرت
على طول مرات السنين الخواليا
خليلى عوجا يسلو القلب ساعة
بتذكار من يهوى اذا كان نائبا
فان اجتماع الحى يوما يسرنى
كما سرنى قتل الطغات البواغيا (١)

الغزل : أى التشبيب ، كان الشعر العامى الذى أولع به ابن بليهد يطفح
بالغزل ولم يعرف شاعر من شعراء العامية كبيرا أو صغيرا ، مقل أو
مكثر ، مشهور أو مغمور ، الا له فى شعر الغزل سهم قل أو كثر ، ولم

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

يكن ذلك بالخافى على ابن بليهد ، كما لم يخف عليه ما للشعر العربى
فى هذا من رصيد لم يوجد له مثيل فى شعر شعراء الشعوب الأخرى •

وحين تنظر فى شعر صاحبنا ، نجد أن نصيبه من ذلك قليل ، فكل
ما وجدناه منه قصيدتان ومطلع قصيدة قالها ، وهو شيخ على رأس
الستين لسان حاله يردد مع الشاعر القديم :

وماذا يبتغى الشعراء منى
وقد جاوزت حد الأربعين

أو قول ابن بليهد نفسه فى إحدى غزلياته :

وما أنا إلا فى هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

أما ما قبل الستين من عمره ، فكل ما عثرنا عليه قصيدتان بالعامية
أوردهما فى آخر شعره العامى بالديوان (١) ، فهل يعنى هذا أنه
لم ينظم فى الغزل سوى هذا ؟ أو أنه نظم ولكنه لم ينشر لسبب أو آخر •

هذا وذاك محتمل غير أن ما يضعف ثانى الاحتمالين ، نشره لبعض
من غزلياته العامية والفصيحة • على أن ما رواه ذوو الشاعر من أن
الكثير من شعره غاب عن يده ساعة اعداد الديوان للطبع ، ولم يعرفوا
عنه بعد وفاته شيئا ، يمكن أن يدفع الضعف عن الاحتمال الثانى •
والله أعلم •

ومادمتنا لم نصل من الغزل عنده الا الى ما ذكرنا ، فسنعرض
للحديث عنه فى هذه المجالة •

(١) انظر غزله العامى فى الفصل السابع من الباب الثانى •

فى عام ١٣٧٠ هـ • وقد أوفى على الستين من العمر ، نظم قصيدتين غزليتين فى ممرضتين كانتا تشرفان على علاجه هو وصديقه العساف ، وذكر أن سبب نظم هاتين القصيدتين طلبهما ذلك منه ومن صاحبه العساف ، الذى كلفه أن ينظم له لأنه لا يجيد نظم الشعر •

يقول ابن بليهد فى الأولى :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللف

تفاعلت من كفى سعاد سعادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفى

خليلى هل تأسو المراض خريدة
بقامتها الهيفاء سهم من الحنف

لعمرى ما دائى سوى نظراتها
وبلسمى الشافى لديها وما أخفى

وقد عالجوا نصفى بكف رقيقه
وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفى

إذا طفقت كلتاها فى علاجها
رأيت المنايا من أمامى ومن خلفى

وما أنا الا فى هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى (١)

(١) ابتسامات الايام ص ٢٧٢ •

وغزله هنا تقليدى يعنى بالحسيات أكثر من المعنويات ، كما هو شأن الغزل عند العرب قديما تغلب فيه الحسيات على ما هو أجدر ، وهو المعنويات وهو ما يجب أن يكون عليه الغزل من تصوير لركة المشاعر والاحساسات وحسن العشرة ونحو ذلك .

ومن الخطأ أن يقال عن عزلة : أنه مصطنع متكلف استنادا الى كبير سنة (١) ، فما أكثر القلوب التى تنيف على الستين وهى محتفظة بشبابها ، وأقرب مثال من أولئك من الشعراء شاعر العروبة والاسلام احمد محرم - رحمه الله - وقصته مع حبيبته «رفقة» معروفة (٢) فكيف نستبعد هذا عن صاحبنا ؟ ، على أنك ترى أثر التكلف والتصنع فى القصيدة الثانية دون الأولى ، ولا ريب فقد نظمها على لسان صاحبه وفيها يقول :

إذا دعوناك فأهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهريا خبر؟
أما محمد قد زالت شكيتـــــــــــــــــه
وليس فى كتفه مما شكا أثر
قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس فى عودها طول ولا قصر (٣)

-
- (١) اشار الى قول عبد العزيز سليمان فاضل فى بحثه (الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد) ص ١٦ حيث قال : (فلم يكن نابعا عن عاطفة صادقة ، لأنه فى أخريات حياته يعانى من مرض خطير) .
(٢) انظر شاعر العروبة والاسلام احمد محرم . تأليف ابراهيم الجيوشى مطبعة السعادة الطبعة الأولى من ص ٨٨ الى ص ٩٥ .
(٣) ابتسامات الايام ص ٢٧٤ .

تصيب الشيخوخة البدن ، فتتمدد الكدنة ، ويبيض الشعر ، ويتقوس الظهر ، لكن القلب عند الكثير يظل شابا ينبض بكل معاني الحيوية والنشاط ، يظل الفكر حيا نشطا ، وتظل العاطفة مشبوبة وتبقى المشاعر والاحساسات ملتتهبة متأججة ، لا تكاد تتاح لها فرص التعبير عما يعتلج داخلها ، حتى تتدفق كالنهر فى قوة وصفاء .

ذلك شأن قلب شاعرنا ، الذى يحمل معانى الشباب والحيوية داخله حتى اختاره الله ، ذلك القلب الذى أملى عليه مثل قوله :

عيون المهايين الجزيرة والنهر
اعدن لقلبي سالف العهد والذكر

ولقد ذكر لى ابن اخيه أنه نظم قصيدة فى لبنان جيدة ، وأنهم لم ينشروها لما كان فيها من غزل ، وحين طلبتها ادعوا ضياعها والله أعلم .

وفى تهميشات أستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود على مسودة هذا
قال :

« أنه يرى أن الصناعة فيها مطلوبة للمجاملة لا للمغازلة » .

وهذا جائز أيضا ، وإن كنت أرتاح الى ضده لما أحسه وأنا أقرأ أبياته ، من ظلال تلوح وراء الكلمات والعبارات يكاد ينطق بانبثاقه عن حب صادق مكنين .

الوصف :

هو الكشف والاظهار ، وليست هذه الدلالة اللغوية المجردة هى مقصدنا هنا ، بل الوصف الأدبى الذى يتناول كل ما يراه الأديب ، ويحسه من مدركات حسية أو معنوية ، معتمدا على الخيال وصدق

التعبير ، وأداته فى ذلك اللغة ، وهذه الأداة هى جوهر الفرق بين الرسام والأديب .

وانما ينشأ هذا الوصف نتيجة العاطفة المنبعثة من الأعجاب والاكبار بما يراه أو يحسه الأديب فيلونه بما تمليه عليه احساساته ومشاعره وميوله ، وبقدر ما يكون التأثير يكون التصوير .

غير أن العمل الأدبى الوصفى ، لابد أن يحمل فى ثنايا عباراته وتصويراته انعكاسات ذلك على نفس الأديب ، التى تودع فيه ما أمتازت به خصائص وسمات وطباع وعادات .

(ولما كان هذا الفن واسعا يتناول كل شىء ، كان أسلوبا متنوعا كثيرا، فوصف الحسيات غير وصف المعنويات ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة ، ولغة الأصوات المدوية تغاير لغة الألوان الزاهية ، وفوق ذلك لا يخلو من الوصف ، فهو فى الحرب حماسة ، وفى الجمال نسيب ، وفى الفضائل مديح ، وفى الحزن رثاء ، وهكذا تجد الشعر الا أقله راجعا الى باب الوصف ، يختلف أسلوب الوصف اذا باختلاف ما يوصف فهو جزل قوى فى وصف الحروب وأصوات الطبيعة وحوادثها المفزعة ، ولين سلس فى وصف العواطف الرقيقة ، حبا ، وعتبا واعتذارا ، ولهوا ، وطربا ، ورائع جذاب فى وصف البروق اللامعة والكواكب النيرة ، والأزهار النضرة ، والأنغام الحلوة ، والجمال كيف كان) (١)

والوصف مجال الخيال الشعرى دون ريب ، والشاعر الوصاف مصور يعنى بتناسب الظلال وتناسق الألوان ، حتى يكفل لفنه الجمال والسمو .

(١) الأسلوب - أحمد الشايب ص ٩٠ ، ٩١ مطبعة النهضة المصرية .

(والشاعر الوصاف ظلالة والوانه الخيال الشعري ، فان توافر له
أنطق معانيه بالروعة ، التي يأخذ جمالها القلوب وتغلغل الاحساسات) (١)

فأجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف ، حتى كأنه يصور
الموصوف لك فتراه نصب عينيك) (٢) وذلك ما نرتضيه في الوصف
وأساليبه وطرق تناوله .

وحينما نتحدث عن الوصف في الشعر كغرض مستقل ، فاننا نرى
ذلك النوع من القصائد ، التي استهدفت غرضا ، ولم يأتها عرضا ،
ومثل هذا النوع من القصائد انما كثر في العصر الحديث .

صحيح أنه وجد في أيام العباسيين في المشرق ، ولدى الأندلسيين
بالمغرب وصحيح أن جذورا له نبتت فيما قبل ذلك مثل قصيدة الحطينة
التي وصف بها الأعرابي الفقير ، الذي فكر في ذبح ابنه عندما لم يجد
زادا لضيافته ، ومثلها قصيدة النابغة في الحية غير أن هذا نادر وذاك قليل
ثم أن القصيدة العربية كانت تتشابه فيها الأعراض وتتداخل ،
وكان الوصف في الأغلب يشغل فيها جزءا كبيرا ، وان لم يكن الغرض
المقصود .

من هنا نجد أن الذين عمدوا من المعاصرين الى تقليد الأقدمين ،
كانوا ينهجون في قصائدهم ذلك المنهج .

ولقد سار صاحبنا ابن بليهد على هذا النهج ، فهو في مدحه - مثلا
قد يصف الأطلال والدمن ، أو الناقة أو المفازة ، أو الجيش أو المعركة ،
أو المدوح وسجاياءه وخلالله من : كرم ، وشجاعة ، وحزم ونحو ذلك ،

(١) حافظ ابراهيم - ماله وما عليه - دكتور محمد كامل جمعه - مكتبة القاهرة
الحديثة سنة ١٩٥٩ م .

(٢) الصنائع - لأبي هلال العسكري ص ١٢٨ مطبعة عيسى الحلبي سنة (١٩٢١
هـ - ١٩٥٢ م) .

وقد يأتى بوصف ذلك كله أو بعضه فى قصيدة واحدة • وقد يحاول
التفصيل فى وصفه ، لكنه لا يعطيك الصورة الكافية لما يصف •

ومن ذلك وصفه لحادث هجوم الزيديين الثلاثة على الملك عبد
العزيز ، وهو يطوف بالكعبة المشرفة ، وكانوا قد كمنوا له فى حجر
اسماعيل داخل المطاف ومعهم خناجرهم ، فلما فجئوه دفع ابنه سعود
نفسه ، ليحول بينهم وبين أبيه فأصابوه اصابة بالغة الا أن الله أنجاه
منها ، فأمسك الطائفون بالزيديين وقتلوهم •

وفى وصف هذا الحادث وما جرى فيه قال ابن بليهد :

اليوم تفترق الركبان بالخبر—
عن حادث الأمس بين الحجر والحجر
على تقى وفى أرض مقدسة
فى جيرة الله محفوظ من الخطر
فأبطل الله كيد الكائدين ، وقف
أمام زمزم وأنظر مقتل النفس—
قاموا من الحجر والرب العزيز يرى
عبد العزيز بيوم الحمد والشكر
يستغفر الله فى اليوم العظيم وفى
أرض تصان عن الأدناس والضرر
أموه تلمع فى الأيدى خناجرهم
فى رابع الشوط هذى أكبر العبر—
زيدية عقدت بالغدر حيلتهم—
عن معتمد فاجر أو فاسق أشر

فعبرت عن ولى العهد همتسه
 كأنه الليث عند الورد والصدر
 من دون حرز بنى الاسلام كلهم
 يجيرة الله عند المأزق الخطر
 أما الزيود فسيف الله أهلكهم
 كذلك الغدر لم يبق ولم يذر
 ثلاثة قتلوا قتل الكلاب فما
 نالوا سوى العار فى الدنيا وفى الآخر
 فتم باقى طواف الحج يتبعه
 سعود قد شملوا بالعز والظفر
 فبعد ذاك وذا ساروا وغرته
 كأنها خلقت من غرة القمر (١)

فهو يبدأ قصيدته بالإشارة إلى أن خبر اعتداء الزيدية على الملك عبد العزيز خبر مهم ستنقله الركبان ويرويه الناس بعضهم عن بعض لأنه اعتداء وقع ، أولا : داخل البيت الحرام وفي ظلال الكعبة المشرفة بين حجر اسماعيل والحجر الأسود وثانيا : أنه اعتداء على تقى قام لله في بيت قال البارئ تبارك وتعالى فيه :

(ومن دخله كان آمنا) (٢)، ثم يصف مصرعهم وأن ذلك كان أمام زمزم

وقد تعجل هذه الصورة في وصفه قبل أن يتم وصف الحادث ، فلعله أراد أن يبعث الاطمئنان في النفس ، ولو أنه أجل الحديث عن مصرعهم

(١) ابتسامات الأيام ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(۲) سورة آل عمران الآیه ۹۷ .

الى أن يفرغ من وصف حادث الاعتداء ، لكان ترتيبا منطقيا ، ومقبولا
أكثر من الوجهة الفنية ، ولكنها خواطر الشاعر لا تخضع الا لنظامها في
تواردها وتواترها على لسان الشاعر .

ولقد عاد في البيت الرابع ليستأنف وصف الحادث ، وأنه وقع في
أرض مقدسة ، وأنهم كانوا قد كمنوا له في الحجر ، حتى اذا فرغ من
تقبيله الحجر الأسود وأستأنف الشوط الرابع من طوافه خرجوا اليه
من مكمنهم ، وخناجرهم تلمع في أيديهم لانفاذ ما أمروا به من أمامهم
الزیدی ، لكن الله أبطل كيدهم ، فلم ينالوا اربا ، ولم تصل خناجرهم
الى الملك عبد العزيز لان الله حافظه ، ثم أن ابنه وولى عهده سعود ،
الذى كان يطوف بجانبه هجمهم كالأسد ، لصدهم أو تلقى طعناتهم فداء
لأبيه وحين فرغ من ذلك عاد الى وصف الزيدية ومقتلهم ، وان ذلك لم
يعق الملك عبد العزيز وابنه سعود عن اتمام الطواف ، والواقع أن هنا
مغالطة للواقع ولولا أنه ساقه مساق الخبر لما آثرنا التنبيه عليه ، وان
كنا لا نمنع الشاعر من المبالغات ، لكن ليس الى حد الكذب ، ولا يشفع
له في ذلك قول الأصمعي : «أعذب الشعر أكذبه» (١)

صحيح أن الملك عبد العزيز قد أتم طوافه ، أما ولى العهد سعود فان
الاصابة كانت بالغة ، ولولا عناية الله ثم المبادرة بالعلاج لما نجا .

واذا كان قد تناول الوصف في ثنايا قصائده هنا وهناك ، فانه قد
نظم في الوصف قصيدتين :

احدهما : في وصف الذئب وساعات قضاها واياه ومطلعها :

وذئب جسور الخطو غير مجرب

لفعلی ولم تمسسه بعد قناتی

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبي دارالمعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م .

وقد غرة منى سكوتى واننى
من البرد قد لفت على عباتى (١)

والقصيدة الأخرى وصف فيها حلوان «بمصر» وحدائقها والقطار
الموصل اليها ، وهو فى هذه القصيدة يدنو كثيرا من اتجاهات الشعراء
العصريين أمثال أبى القاسم الشابى من شعراء الطبيعة فى آخر
حلوانيته هذه حيث يقول :

دع عنك هذا وسل النفس ما بقيت
بما به بات قلب المرء مفتونا

ياروضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا حلاه الصبا غضا ونسرينا

والياسمين على هاماته رقصت
غيد الفراشات أفواجا تغنينا

وترشف الطل من ثغر الزهور جوى
من أعين الليل أضناه تشاكينا

ما أدمع الليل الا أدمع ذرفت
من أعين هاجها فقد المحينا

لا ابعد الله اياما بها كسرت
روحى الجمود لتحياها رياحينا (٢)

(١) أوراق مخطوطة ، وانظر فيها الفصل الثانى من الباب الرابع حيث الموازنة بينه
وبين الفرزدق .
(٢) أوراق مخطوطة .

وهذه صورة كأنها ظلال، لصورة طبيعية لشاعر معاصر هو : أبو القاسم الشابي (١) .

أما نونيه ابن زيدون (٢) ، فكل ما فى القصيدة منها هو الاقتباس فى بيتين من القصيدة: الثانى مما ورد ، والثانى مما سيأتى ، ثم البحر والقافية .

ولست أعنى انها صورة أو تقليد لهذه أو تلك أو هما معا ، وانما أعنى أنها صورة جديدة جمعت الكثير من محاسن الصورتين وليست تقليدا ، وانما هى صورة من صور التأثر والتأثير أو الاحتذاء فى الصورة لا التعبير ، ولكى نثبت ما قلنا وندلل عليه نقول :

أن الثلاثة الأبيات الأخيرة تدنو كثيرا من الصورة ، التى رسمها خيال الشابي فى أبياته الثلاثة ، لكنه دنو لا يصل الى حد التقليد أو المحاكاة ، بل ربما كان الأولى حمله على توارد الخواطر ، وانما — يحجزنا عن الجزم بذلك أنه ليس لابن بليهد من الصور ما يشبهها الأمر الذى قد يفتح طريقا لاحتمال المعارضة ، لكن أحدا لا يستطيع أن ينكر ما فى صورة ابن بليهد من جمال ورقة وعذوبة ، الى ما فيها من تصوير لما يعتمل فى نفسه وهو المريض الغريب .

(١) أبو القاسم الشابي شاعر تونسى (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م الى ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) وأبياته المشار اليها هى :

وترك دموع الفجر فى أوراقها	حتى ترشفها عروس النور
فلربما كانت أنينا صاعدا	فى الليل من متوجع مقهور
ذرفته أجفان الصباح مدا معا	الاقه فى دوحة وزهـور

(٢) هو أبو الوليد ابن زيدون شاعر الاندلس المشهور من (٣٩٤ هـ الى ٤٦٣ هـ ومن ١٠٠٣ الى ١٠٧٠ م) ، ونونيته الشهيرة هى التى مطلعها :
أضحى الثنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وحلوانية ابن بليهد هذه تتكون من قسمين : أولهما : فى وصف
القطار ، وثانيهما : فى وصف حلوان وحدائقه وعيونه تلك الحدائق
والعيون التى كانت مرتادامنذالقدم للملوك وغيرهم متنزهين ومستشفين

ولقد وصف القطار من قبل ابن بليهد كثيرون منهم معروف
الرصاصى ، ونحن لا نستطيع أن نضع ابن بليهد فى صف الرصاصى
وأمثاله فى جميع شعره لكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن فى وصفه
للقطار من الدقة والجمال وتقصى جزئيات الصورة ، ما يجعل أبياته فى
صف أبيات الرصاصى ان لم تفقها لينا وطواعية فى اللفظ والتعبير ،
الى ما تضمنه من ذكر رفقاء السفر وما يشبه أن يكون وصفا للحالة
النفسية التى كان عليها الشاعر .

فهو فى هذا الوصف ذكر بداية الطريق (باب اللوق) ونهايته
(حلوان) وذكر أن رفاقه فى ذلك السفر أصحاب لا تمل صحبتهم لأن
أخلاقهم كالصبا العليل ، ثم وصف القطار فذكر صوته الأجلش ، الذى
يطلقه عندما يهيم بالمسير الذى يبعدهم عن القاهرة ، ولكنه يذنيهم الى
الى حلوان ، وأنه طوع يمين سائقه ان شاء أرسله كالريح ، وان شاء
شده فوق كالجبل الراسى ، على أنه حين يسير يصدر أصوات كالرعود
ولا ينسى أن يذكر الأجراس التى أقيمت على المزالق لتنبية المارة ، فهو
وصف فيه دقة ملاحظة وجمال فى التصوير وحلاوة فى التعبير ومناسبة
فى التشبيه والاستعارة :

بالأمس فوق ظهور القاطرات السى
حلوان سرنا وكان السعد حاديننا

فى رفقة من صحاب لا تملهم
أخلاقهم مثل أكناف الصبا لينا

وقد تركنا بويب اللوق فى صخب
من صوت قاطرة قامت تحيينا
بصوتها الجش ان همت بمرتحل
حتى رمتنا بعيدا وهى تدنينا
ان هاجها سائق خفت لرغبته
أو شدها وقفت كالطود فى سينا
كانما الريح فى مجرى أعنتها
والصوت رعد يعنينا ويضنينا
وبالمزالق أجراس لها نغم
قامت على الدرب تحذيرا لما شينا (١)

ويصف الطائرة ولكنه لا يبلغ فى وصفه لها مبلغ وصف الشيخ محمد
بن عبد المطلب ، لكن وصفه لا يخلو من دقة وجمال وان لم يبعد عن
الحقيقة المجردة كثيرا فهو يقول :

فيا صاحبي رحلى دعانى وأنجدا
اذا كنتما لا ترضيان هلاكى
بذات زمام فى يمين مدرب
سبوح كأن ليست بذات حراك
يطوف بها الآفاق كالطير سابحا
ويركب متن السحب قرب سماك
ويطوى بنا الأميال ليس بخائف
فسيرى وبالتوفيق ربي حماك

ولا تعجلنى أن فوق دار محمد

سبحت ففيها لو عقلت هداك (١)

فهو يدعو رفيقى سفره الى تعجيل السفر لبلاده ، وتثنية الخطاب أسلوب معروف فى الشعر العربى ومنه قول مالك بن الريب :

فيا صاحبى رحلى دنا الموت فأنزلا
برابية انى مقيم لياليا

ومنه قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ويريد أن يكون السفر على طائرة ، ليكون ذلك أسرع فى الوصول ، ويشبه الطائرة بالناقة السبوح السباقة ، ويصف قائدتها بالخبرة والدرية ، ولكنه يلاحظ أن الطائرة ليست كالمطية عند سرعة السير فتلك تنخفض وترتفع أما الطائرة فانها تطير وكأنها ثابتة لا تتحرك ، بينما هى تخفق فى الأفلاك، وتسبح فوق متون السحاب تطوى المسافات طيا .

ويسبقه شوقه الى البلاد المقدسة ، فيطلب من الطائرة أن تطمئن فى سيرها عندما تكون فوق تلك الديار ، التى فيها البيت الحرام والكعبة الشريفة ، ومنها انبعث الهدى وبعث المصطفى - عليه الصلاة والسلام .

وحين يصف الناقه نراه يأتى فى ذلك بوصف الخبير بحركاتها وسكناتها العليم بأوصافها وسماتها ، ولا عجب فى ذلك فقد صحبها

منذ الصغر الى أن دخلت السيارة حياته قبل وفاته بسنين ، ولذا لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من وصف الناقة .

وهذا ليس بعجيب ، فالناقة هي سفينة الصحراء — كما يقولون — . يقضى بها العربي أوطاره ، ويطوى على ظهرها أسفاره ، يرتاح لها وترتاح له كخليلين صفيين ، لذا نجد وصف الناقة لدى شعراء العرب يشغل حيزا من شعرهم ليس بقليل ، الا ترى مثلا الى طرفة بن العبد كيف شغل وصف الناقة عنده ثلاثين بيتا من معلقته ؟ .

ومن قول ابن بليهد فى ذلك :

أعملت شملا له امضت ترائبها
فى دهرها حقبا ما نالها الجمل
عيرانة طالما طاب الربيع لها
إذا استوى بالنبات الحزن والسهل
عيدية عرف الوبال منسبها
وهى التى بأبيها يضرب المثل
ان ضمها مهمة يخشى الهلاك به
قفر جوانبه أو مجهل غفل
يقول عند اختبار العيس راكبها
هذى تفوز ما تشكو به الابل
ضحى تجوز من الدهنا بلا جزع
منها وباعد عنها الأين والكلل (١)

(١) ابتسامات الأيام ص ٦١ .

فهو يصف ناقته بأنها شملا لة أى سريعة ، وأنه قد مضى عليها سنين لم تلتح ، وهذا يعنى أنها قوية لم يرهقها الحمل ورضع الفصيل ، ويؤكد ذلك بوصفها العيرانة أى الصلبة التى تشبه حمار الوحش فى صلابته ويزيد فى وصفها بالقوة أنها منعمة ترعى الربيع ، لا يصدها عنه استعمالها فى حمل الأحمال أو نحوها مما تستعمل فيه الابل ، وهى عيدية أى نجيبة نسبة الى الفحل عيد ، أو بنى عيد الحى الذى تنسب اليه الابل النجائب ، ولا أدل على ذلك من أن الوبال : أى الذى يعرف الابل من شم بولها : لا تخفى عليه نجابتها ، وهل أدل على ذلك من أنها تنجو بصاحبها فى المفازات المقفرة المخيفة ، التى انطمست معالمها، ولذا فهو يرتاح لها ، لأنها لا تشكو الاين وطول المسير كالابل غير النجائب .

وكوصفة للناقة يأتى وصفه للاطلاع ، فهو فيه لم يبعد عما عرفناه لدى الأقدمين ، من الوقوف بها والبكاء حولها بعد ما عفت آثارها وانطمست معالمها : من تعاقب السنين ، وتغير الأحوال ، وتشتت الساكنين ، حتى أقوت الا من الأشجار التى نبتت حتى فى مضارب البيوت ، فخلت من الأنيس الا ما كان من بقر الوحش والظباء ، تكاثرت فيها وأطمأنت ، حتى تخالفت اطلاؤها أى ارتاح بعضها الى بعض ، وسكنت مقربة اعناق بعضها الى اعناق بعض ، لأن تلك الديار أصبحت قفرا ترتاح الى سكناها الطيور ، كما ارتاحت الظباء وبقر الوحش ، التى لم يخفها الا وقوفه على ذلك الربع متفكرا متذكرا ، لا يسمع الا الصدى ولا يرى الا غرابالبين بعد ما فقد الأنيس ، وغاب الأثر وانطمست المعالم ، وتحولت مرابع الأحباء الى مراعى بعد أن كانت آنسة بالأحباء والأخلاء .

الدار قفر عفاها البين والغير

ريب المنون وشتت شملها القدر

أقوت مراقيها لم يبق بعدهم
لدى المنازل الا النجم والشجر

ألقي الرجال لديها البين وارتحلت
عنها الجميع وعنها الأنس مبتكر

لما وقفت بها والعيس خوفها
بعد التنائف والادلج والسفر

أفزعت منها وحوش وهى ساكنة
لما تشاهد منها السمع والبصر

فى مهمه قذف يخشى الهلاك به
قفر تبيض على أرجائه الحمر

بقى الصداء بها من بعد ساكنها
غاب الأنيس وعنها غابت الأثر

الا الغراب غراب البين أسأله
هل فى اللوى من أناس ، انهم غبروا

أضحت منازلهم قفرا وغيّرها
ودق الرواعد والروحات والبكر

لما تهادت بها الآرام وائتلفت
اطلاؤهن وثور الوحش والبقر (١)

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٢ .

الحكمة والموعظة :

إذا قد وجدنا لابن بليهد فى الوصف قصيدتين ومقطوعات فى أثناء قصائد المدح - كما هو شأن السياسة والهجاء - فان هناك من الأغراض ما أتى فى مزق أبيات هنا وهناك كالحكمة مثلا .

وإذا كانت الحكمة هى خلاصة الخبرة والتجارب الانسانية ، يقدمها الأفراد - الموهوبون من خلال ادراكهم الفنى ، ومعرفتهم الشخصية فى صورة من الصور الكلامية ، قد تكون شعرا وقد تكون قصة وقد تكون غير ذلك ، فان صاحبنا كان من أولئك الأشخاص ، الذين عركتهم الحياة وعركوها، ودفعتهم أحداثها فدافعوها بالصبر والتجلد تارة وبالدأب فى العمل والكفاح تارة أخرى ، على نحو ما نقرؤه فى أعماله ومؤلفاته .

وكان طبعيا أن يصوغ تجاربه وخبراته فى الحياة فى بعض شعره كقوله لمن يتهيب غشيان الأمور العظيمة : بأن عليه أن يقدم عليها لأن ما ينتظره من خطوب الزمان أعظم ، فعليه أن يتعود مجابهتها ، وان لم يصنع ذلك عاش ذليلا ، والكريم لا يقيم على الذل ، ففى الزمان والمكان متسع لرغبات الكرام .

ويضرب المثل فى الصبر والاحتمال بما اجتازه من صواب وما احتمله من متاعب، وكأنه يقول لمن ينصحه اصنع كصنيعى، مفتخر بذلك وممتدحا

ولا تترك الخطب العظيم لعظمه
فان الذى باقى من الدهر أعظم

إذا حملت أرض تراب مذلة
فليس عليها للكريم مخيم

ولا تحسبن الدهر ضاقت ضلوعه
يحمل الليالى والتى تتجشم
وكم غمزة فى جانب لم أقل لها
ألمى وجنبى قبلها متألم (١)

وأمثلة ذلك كثيرة مبثوثة فى شعره ، تروى خبراته وتصوغ آراءه ، فى
الحياة والناس ، كقوله لمن يطلب المعالى بأن عليه أن يسعى لها ، فهكذا
علمت التجارب وهكذا فرضت سنة الحياة :

قد بلغتنا الأمانى وهى صادقة
ان الرحيل لادراك العلا سبب
أزج المطى الى الترحال مبتكرا
ما مسها فى السرى سوط ولا عقب (٢)

وينصح ممدوحه بشكر الله - تبارك وتعالى - فى كل حالة ، لأن الشكر
أمانة التسديد والتوفيق ، والممدوح كان مسددا موفقا ، فى جميع أحواله

ثم يذكره بأمر الأخرة انقيادا لقول المصطفى - عليه الصلاة والسلام
(أكثروا من ذكر هادم اللذات) (٣) الحديث وأن عليه أن يعمل خيرا
ويأتى حسنا ، ليكون ذلك مؤنسة فى قبره .

ويذكره بأن الموت أمر محتوم على البشر ، فقد مات أولو القوة
والباس والمجد والسلطان من قبلنا ، كما مات أشرف الخلق محمد - عليه
الصلاة والسلام - .

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٩ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٢٠ .

(٣) انظر الجامع الصغير للسيوطى ١ : ٥٤ ، والترغيب والترهيب للمنذرى طبعة
أولى ٦ : ٦١ رقم الحديث ٤٧٨٩ .

فكن شاكرا لله فى كل حالة
وقد كنت فيما تقتضيه مسددا
ولا بد من يوم لك القبر مضجع
يجاورك الاحسان والخير والهدى
فقد غالت الأيام سكان مأرب
ولا خلفت فيها مليكا ممجدا
ولا تركت طرا بفمدان مقولا
ولا أبقت الدنيا مليكا مخلدا
تمر الليالى بين يوم و ليلة
وقد أدرك الموت النبى محمدا (١)

الشعر الاجتماعى :

يرى كثير من الباحثين المتأخرين أن الشعر الاجتماعى قد جد فى
هذا العصر ، ويرى بعضهم أن شوقى ممن ساهم فى ايجادة ، ونحن لا
نكتب فى تاريخ الشعر الاجتماعى ، متى نشأ وكيف تطور ؟ ، ولكننا
نود أن نذكر بأن هذا النوع من الشعر ، الذى يستهدف الأخلاق والنظم
الاجتماعية ونحوها ، كان له نصيبه من اهتمامات الشاعر الفيلسوف
أبى العلاء المعرى . (٢)

ولقد كان لشاعرنا ابن بليهد نصيب من المساهمة فى هذا الميدان
الذى يقوم فيه الشاعر مقام المصلح الاجتماعى ، أو المرشد الى سبل
التصحيح للاوضاع الاجتماعية وتسديد مسارها ، ثناء على حسنهما

(١) ابتسامات الأيام ص ٥٥ .
(٢) من (٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ ، ٩٧٣ م - ١٠٥٧ م) .

ونقدا لمعوجها وتنفييرا منه ، لكن شعره فى ذلك جاء فى الأغلب أبياتا متناثرة هنا وهناك .

فمستوطنات البادية المستحدثة وانشاء المدارس وبث العلم هنا وهناك ، ثم الأمن والاستقرار والرخاء وتبديد الأحقاد والأضغان ، كل ذلك كان له من شعره نصيب ، ولكنه لم يستهدفه غرضا ، اللهم الا تلك القصيدة التى نظمها فى مناسبة السد ، الذى أقيم أعلى «مكة» ليحجز عنها السيول ، التى طالما هددت الكعبة المشرفة فأعجب ابن بليهد بهذا العمل ، الذى يأمر بمثله الدين الحنيف ، ولكنه يبدأ الحديث عنه فى صورة المستفهم ، وهو استفهام أريد به التعظيم لهذا العمل الجليل الذى حجز السيول عن أكرم بقعة وأقدسها ، وفى ذلك الاستفهام أيضا ما فيه من تعظيم ومدح للقائم بهذا العمل والامر به (وهو الملك عبد العزيز) ، ولذا فهو يثنى عليه بالتوفيق فى العمل والرشد فى الرأى ، فلقد تعب الناس من مداهمة السيول ، التى كانت تتجمع من الأودية ثم تندفع قوية مزبدة فى الوادى الذى كان يشق «مكة المكرمة» ويمر من جانب الحرم الشريف ، فيلحق أضرارا ويزعج النفوس، ولذا فان الأمرا بحجزه والمباشر له يستحقون الثناء عليهم بعملهم هذا :

من المقيم بأمر الواحد الأحد
معالم العدل فى الأغوار والنجد
موفق الرأى فى كل الأمور وفى
نهج من الرشد لم ينقص ولم يزد
لما رأى السيل من روس الجبال ومن
أصقاع مكة من عال ومن وهـد
يسير مضطرب الأطراف أوله
ان كان محتشدا أو غير محتشد

إذا انتحى عند تعف المنحنى وله
 غوارب شايها التيار بالزبد
 يمدده كل واد مترع لجـبـب
 فيه الركام من التنوم والغضد
 رأى البلاد ومن فيها على قلق
 إذا تتابع صوب المدجن الرعد
 قال المليك الذى عمت فضائله
 طوائف الناس من باد ومن بلد
 لنجله شمروا واستعصموا بذرا
 رب العباد ورب الجزر والمدد
 فكل أمر له مدت أزمتـه
 ينقاد هونا الى التوفيق والرشد (١)

وحين زار «مصر» وبهره ما رآه فيها : من تطور ثقافى ، ورقى
 فكرى ، أثنى عليها وعلى أهلها بذلك :

والعلم القى بوادى النيل أرحله
 حتى تسنم فيه أرفع السور
 قد أدركوا من فنون الطب أكثرها
 وهذبوها بلا غمط ولا أشر (٢)

ثم عطف على أبناء وطنه يحثهم على العلم ، ويمنيهم بفوائده ويثنى
 على قادة الفكر ورجال التعليم : وبخاصة الشيخ محمد بن مانع مدير
 المعارف فقال :

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢٦٣ .
 - (٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧٠ .

انظر معارفنا للعلم قد بلغت
أسنى المراتب بالروحات والبكر
هذا ابن مانع أحياءا بهمته
علما وعد لها تعديل مقتدر
فقل لكل الشباب الجاهلين اذا
تعلموا العلم للدنيا وللآخر
العلم خير ونور يستضاء به
فهل ترى لكم عذر لمعتذر
هذا امامكم يسدى فواضله
لكم وتبقى له فى جبهة الدهر
وفى المدارس أحياء كل منقبة
غرى تسجل فى التاريخ والسير (١)

ويسوؤه ما يشاهد فى «مصر» من بعض مظاهر الفساد، الذى جره عليها المستعمرون وبعض المفسدين من أبنائها ، كشرب الخمر وتبذل بعض النسوة ، فيعالج مثل هذه المشاكل بالتعريض بها وذمها أولا ، ثم بتصوير ما يتوّل اليه أرباب تلك المفاصد من حال ومآل لا يحسدون عليه ويدعو بعدم البركة على أولئك الذين يشجعون الفساد ويدفعون الجاهلين فى سبيله ، ويخشى أن يظن ظان أنه يعنى أهل مصر اجمع فيقول : ان مصر بلد جمعت الخير والشر ، فاذا كانت تضم الملاهى والمراقص فانها تحوى الأزهر الشريف ، واذا كان فيها مفسدون ، فان فيها من المصلحين أكثر ، واذا كان للشر دعامته ، فان للخير دعامته

والمبشرين به ، واذا كانت أماكن اللهو والشرب عامرة ، فان بيوت الله
مملوءة بالعابدين الصالحين :

دار قضيت بها صبوات مهتبل
ولذة ما بها دن ودنـــــان

ولا قمار ولا تلويح راقصة
شبه العرايا وفي تلعاياها جان

ولا بنات الليالى الحمر أرخص ما
عزت به فاسد الاخلاق مجان

غدا على الشرف الموءود تبصرها
وليس يرحمها فى النوح انسان

تنوح نوح الثكالى ليس ينفعها
نوح وأخذانها كانوا وقد بانوا

حال كرىه بوادى النيل أشهده
لا بارك الله فى من للخنأ عانوا

دار النقائض مصر فهى جامعة
خير وشر وكفران وايمان

والكل يدعو الى ما يشتهى وله
فيما ينادى به قول وبرهان

الفسق فيها جهارا لا جناح على
من رame ومكان الذكر ملان (١)

(١) أوراق مخطوطه .

ثم ينحى باللوم على أبناء «مصر»، ويلومهم على سكوتهم عما تفشى في بلادهم ، وقد أنعم الله عليهم بالأزهر الشريف ، فيقول بعد جملة من الأبيات :

العلم ألقى بوادى النيل أرحله
فما لأبنائه للنفي قد لا نسوا
هانوا وهانت عليهم أربع شرفت
بأزهر صحنه للعلم صيوان (١)

الشعر الدينى :

قلما تعثر على قصيدة لابن بليهد لا يذكر فيها شيئا عن مسائل الدين أولا يختتمها بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه الطاهرين - وقد يفتتح بعض قصائده بحمد الله والثناء عليه ، لكنه لم يفرد للشعر الدينى سوى قصيدة واحدة ، قالها وهو فى «مصر» فى مناسبة عيد المولد النبوى الشريف ، وكان يهم بالسفر الى بلاده ، فبدأها بتوديع «مصر» وأهلها ، وهو مطلع يدل على وفاء وحب ، ثم عطف على ذكر بلاده فمدحها وأهلها ليخلص من ذلك الى غرضه الذى بدأه بقوله :

وفيهما طلعت شمس الهدى وبهم
هدى الأنام وفيهم سيد الأمم (٢)

ويفسر بعض الظواهر التى صحبت مولد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - تفسيراً ما قرأت مثله لرجال الدين والمفسرين ، ولا للشعراء الذين تناولوا ذلك على كثرتهم فيقول :

(١) أوراق مخطوطة .

(٢) أوراق مخطوطة .

والنار فى أرض كسرى جن موقدها
خبت وكان لظاها شر مضطرم

واهتز من فرح أودى بشرفته
ايوان كسرى فضج الغارم الأثم
ما هزه الذعر كلا بل به رققت
آمال فارس تحدى بالهوى النهم

الى الخلاص من الطاغى وصولته
أتى الطبيب - جراح الأمس فالتأمى (١)

ألا ترى معى أن هذا التعليل الحسن ، الذى يصور الايوان يرقص طربا
بمولد النبى - عليه الصلاة والسلام - حتى تساقطت بعض من شرفاته
أنه أجمل من اظهاره الايوان فى حالة ذعر ؟ •

أما آخر القصيدة فأشبه بسرد مقتضب ، لبعض الأحداث فى حياة
المصطفى - عليه الصلاة والسلام - •

الفخر والحماسة :

أما شعر الفخر والحماسة ، فإن شأنه فى شعره شأنه فى أشعار العرب
الأقدمين ، يختلط فيها عادة بأغراض الشعر الأخرى ، وبخاصة المدح
والهجاء ، وقد يستبد بموضوع القصيدة أجمع •

غير أنه فى شعر ابن بليهد كان مزقا فى قصائده ، ولم يعمد الى
افراده بقصيدة • ولا نريد أن نتبع شعره ، وانما سنكتفى بتقديم
أمثله من ذلك •

(١) أوراق مخطوطة •

فى احدى قصائده فى مدح الأمير فيصل بن عبد العزيز ، يقول بعد
مدح الأمير و ذم بعد المنشقين :

لا تحقرن شرارا فى رمادته
إذا أحاط على أكتافه الخطب
لقد أقام أبو العباس دولته
أرست قواعدا الهندية القضب
أضحى أبو جعفر المنصور متبعاً
طريق من قبله واستدل الصعب
وقال قولاً أبو تمام مطلعاً
السيف ينشئ مالا تنشئ الكتب
فان باب العلا نفع له قتم
أو القنى والضبى والنبع والغرب
بين الكتائب ان سارت لها رهج
بالصافنات التى فى خلقها قبب
تدك هام الأعادى فى سنا بكهـ
سيان ان بعدوا دارا وان قربوا
أن كنت تأمرنا فالخيـل مسرجة
لأن طاعتكم فى أمركم تجب
انهض تجد صبرا فى كل معركة
كأنهم من حياض الموت قد شربوا
ضع المهند فى عيلان وارمهم
بحجفل فى دجا الظلما له لجب (١)

فهو يمهد للانتقال من ذم الأعداء ومدح الأمير ، الى الفخر به—هذه
الأبيات التى صدرها حكمه تحذر من احتقار هين الأمور ، لانه كثيرا
ما كان بابا لشر عظيم .

ثم يضع أمام الممدوح مثلا فى الحزم والصرامة يحتذى :

هو أولا : عمل بنى العباس الذين مارست دولتهم الا على أسنة الرماح
وحدود السيوف ، .

وثانيا قول أبى تمام : ان السيوف تحقق مالا تحققه الكتب والخطب

أما باب المعالى فانه عنده خليط من السيوف والرماح والخيول ونقع
سنايكها والفرسان الذين يدفعون تلك الجيوش القوية ، لتجعل من
رؤوس الأعداء مواطىء لسنايك خيلها .

واذا كان ذلك شأن هذا الجيش فى قوته وجمعه ، فانه جدير أن
يفخر به ابن بليهد ، وكيف لا وقد أسرجت الجياد وانتضيت السيوف
الحداد استعدادا وتهيئا .

ومن أحسن ما قرأت له فى ذلك ، قوله فى احدى مصرياته وهو فخر
بشجاعته وبيانه : اختلط بالغزل على نحو بديع .

سهام الجفون الناعسات غرسنها
نوافذ فى الأحشاء من بعد ما صدرى

فتكن به وهو العصى على القنا
وكان به صبر على البيض والسمر

صدور العوالى فى أديمى تحطمت
فما بال الحاظ الحسان له تهرى

أديمى مجن فى الحروب فليته
وقى القلب ما ألت به ربة الخدر

ولى صارمان من حسام ومقـسول
فمولان بالفساق م البدو والحضر

إذا صلت صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطـسرى

ولى قلم سحر البيان لعابـه
شباة يراعى ان تسـل بلسـم الفكر

كفانى بيانى عن حصيلة آخر
تناولها السراق فى البيت والشطر (١)

انه يفخر بقوته وصلابة جسمه وشجاعته ، وأن الرماح تتكسر فى أديمه
المشبه للمجن فى صلابته وقوته ومتانته ، وأن صدره كان عصيا على
الرماح ، أى أنه كان صبوراً فى الحرب كبير الاحتمال فيها لا يتزعزع
ولا يتضعض غير أن سهام الجفون النواعس مزقت ذلك الأديم القوى ،
واخترقت الصدر الصلب لتنفذ الى القلب وتستقر به ، لذا فهو يتمنى
لو أن ذلك الأديم القوى استطاع أن يحجب عن قلبه سهام الألحاظ وهذا
أقوى من قول بشار بن برد :

خفى يا عبد عنى واعلمى
ان يا عبد من لحم ودم

أن فى بردى جسماً ناعلاً
لو توكلات عليه لانهـدم

فلان يكون الجسم قويا ثم تنفذ منه سهام جفون الغائيات فتهده ،
أقوى وأوضح وأدق فى الدلالة على تمكن الحب من القلب ، من أن يكون
الجسم ضعيفا هزيلا ينحطم لو أتكأ عليه الحبيب .

ثم يفخر بلسانه وسيفه وأنهما فى الفعل سواء ، وأن فتكهما
بالباغيين من البدو والحضر هميق وشديد ، وأن الموت يصول بصولة
سيفه اذا صال به وأن قوله أبلغ قول ، وأن لقلمه فعل السحر والدوام
وهو فى هذا قد جعل سيفه وبيانه على حد سواء ، كلاهما عظيم الفعل
شديد الفتك بالغ الأثر ، وليس كهذا قول حسان - رضى الله عنه - :

لسانى وسيفى صارمان كلاهما
ويبلغ مالا يبلغ السيف مقولى

فان فيه تفضيل بيان اللسان على فتك السيف .

تلك جولة جسنا فيها جنبات شعره ، وطفنا عبرها على جميع
أغراضه ، أطلنا الوقوف مع بعضها واجتزأناه مع آخر ، انقيادا
لاهتمامات الشاعر نفسه ، وخضوعا لما ورد فى شعره .

والآن وقد فرغنا من الحديث عن أغراض شعر ابن بليهد ، نقول
بكل ارتياح واطمئنان : ان ابن بليهد جال فى جميع أغراض الشعراء
العربى القديم ، وان جاءت قصائده معنونة بالمديح .

غير أن اتجاه قصائده الى غير المديح انما جاء بعد سفره الى
«مصر» ، حيث نظم من الوصف والفزل والاجتماع والهجوم ونحو ذلك .

أما ما كان من شعره قبل سفره الى «مصر» ، فان قصائده لم تغل
من المديح قل أو كثر ، خلا قصيدته التى فى وصف الذئب ، أو قصائد
الثناء التى هى الى باب المدح والثناء أقرب .

على انا قد أوضحنا فى هذا الفصل أن قصائده فى مدح آل سعود ، كانت خليطاً من الوصف والاجتماع ، والهجاء وشعر السياسة ، والحكمة والنصح والارشاد وما الى ذلك من الأغراض التى كانت تتشابهك وتتداخل فى شعره شأنه شأن شعر أولئك الذين اتجه ابن بليهد فى شعره الى محاكاتهم والنسج على منوالهم •

وقد فصلنا الأمر فى هذا ، ما وسعنا التفصيل ، وأملنا أن نكون وفقنا للحق وهدينا طريق الصواب • وما التوفيق الا بالله •

فهرس موضوعات المجلد الاول

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
الباب الاول : البيئة العامة والبيئة الخاصة	٢١
توطئة	٢٣
الفصل الاول : البيئة السياسية	٢٦
أحداث المجتمع من خلال شعر ابن بليهد	٣٠
أحداث ومواقف لم يسهم فيها ابن بليهد	٤٨
الفصل الثاني : البيئة الثقافية والفكرية في عصره	٥٢
أولا : الشعر : قبل عصر النهضة	٥٢
الشعر في عصر النهضة	٥٥
الشعر بعد منتصف القرن الرابع عشر	٦٢
ثانيا : الخطابة	٦٤
ثالثا : الكتابة	٦٦
رابعا : أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب في الادب	٧٢
الدعوة عامل من عوامل النهضة الادبية	٧٤
الفصل الثالث : البيئة الاجتماعية	٨٨

٩٨	الفصل الرابع : البيئة الخاصة
٩٨	١ - أسرته
٩٩	٢ - مولده ونشأته
١٠٠	٣ - دراسته ومصادر ثقافته
١٠٤	٤ - أعماله
١٠٦	٥ - رحلاته
١١٤	٦ - أزواجه وأولاده
١١٦	٧ - ملامح من شخصيته
١١٦	ابن بليهد الانسان
١٢١	٨ - معيشته
١٢٥	وفاته
١٢٧	الباب الثاني : آثار ابن بليهد
	الفصل الاول : كتاب (صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب
١٢٩	من الآثار
١٣١	القسم الاول
١٣٢	الملاحظات وأصحابها
١٤٢	الاجزاء الثلاثة الاخيرة
١٤٥	نظرات عامة
١٤٩	استدراكات
١٦٢	الفصل الثانى : كتاب (ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه)
١٦٣	سبب تأليف هذا الكتاب وأهميته
١٦٥	عرض عام للكتاب ، مقدمة المؤلف ، طريقته فى التأليف
١٦٦	صلب الكتاب
١٦٨	ملاحظات
١٧٤	استدراكات
١٨٢	كلمة أخيرة

١٨٤	الفصل الثالث : تحقيق كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني
١٨٧	ملاحظات واستداركات
١٩٢	نموذج للتحقيق
١٩٥	الفصل الرابع : أماكن أطال المؤلف الحديث فيها
١٩٥	سوق (عكاظ) وتنازع الباحثين السبق في اكتشافه
٢١٨	طريق المسافر من (جدة) إلى (الخليج)
٢١٩	اليمامة - ضرية وحماها
٢٢٠	مأرب
	الفصل الخامس : ملاحظات عامة حول مؤلفات ابن بليهد
٢٢١	الثلاثة ورأى معاصريه فيها
٢٣٧	الفصل السادس : نشر ابن بليهد
٢٣٨	أولاً : النشر العلمي
٢٤٤	ثانياً : النشر الأدبي
٢٤٤	أ - المقالات والخطب والرسائل
٢٥٨	ب - الحكايات
٢٧١	الفصل السابع : الشعر العامي أو النبطي
٢٧٢	تسميته بالنبطي
٢٧٥	نشأة الشعر العامي
٢٧٧	أسلوبه وخصائصه
٢٧٩	بين العامي والفصيح
٢٨٥	شعر ابن بليهد العامي
٢٨٧	خصائص شعره العامي
٢٩٧	مجتلى خصائص شعره العامي
٣٠١	أغراض شعره العامي
٣١٠	مختاراته
٣١١	حميدان الشويعر
٣١٢	محسن عثمان الهزاني

٣١٣	محمد بن لعبون
٣١٤	محمد بن عبد الله القاضي
٣١٥	عبد الله بن سبيل
٣١٦	تركي بن حميد
٣١٨	نظرة اخرى الى مختارات ابن بليهد
٣٢٠	بين ابن بليهد وابن لعبون
٣٢٩	الباب الثالث : عرض عام لشعره وأغراضه
٣٣١	الفصل الاول : عرض عام لشعره
٣٣٦	الديوان
٣٤٣	ملاحظات عامة
٣٤٤	الفصل الثاني : أغراض شعره
٣٤٨	المديح
٣٥١	أهداف مدحه
٣٥٨	الدين والعهد
٣٦٩	العفة والكرم
٣٧٤	العقل
٣٧٦	الشجاعة
٣٨٠	كرم الاصل والنجار
٣٨٢	السياسة والهجاء في شعره : السياسة
٣٨٩	الهجاء
٣٩٧	الرثاء
٤٠٧	الغزل
٤٢٩	الحكمة والموعظة
٤٣١	الشعر الاجتماعي
٤٣٦	الشعر الديني
٤٣٧	الفخر والحماسة

صواب الخطأ

الخطأ	الصواب	الرقم	الترتيب
وفیصل (وفیصل *	٣	٣٠
أجزأ	أجزل	٦	٣١
الفطلفط	الفطلفط	٧	٣١
وانتبه وجب	وانتبه وأجب	٩	٣٦
العزیزیه	العزیزیه	١	٤٩
لتوقی	لشوقی	٢	٥٤
وبما	وربما	١٧	٥٥
نتعاورها	تتعاورها	١٠	٥٦
مدحه ومنحه	مدحة ومنحة	٧	٦١
مولفیهها	مؤلفیهها	٤	٦٩
بدء	بدأ	٢٣	٧٢
النجارة	التجارة	٥	١٠٠
لاخر	الآخر	٢١	١٠٣
الرابع الهجرى	الرابع عشر الهجرى	٩	١٠٤
(١) وفى	(٦) وفى	١	١٠٨
١٥٩٧م	١٩٥٧م	١٢	١١١
سویللم	سالم	١٩	١١٥
سوالی	سؤالی	١٧	١٣٦
مهمة	مهمه	٧	١٤٠
(١) البكرى	(٢) البكرى	٢٣	١٤٢
وجود رقم ٢	الفاؤه	٥	١٤٧
قرية	قرینه	٦	١٤٧
مصلتینا (١)	مصلتینا (٢)	١١	١٥٠
حلزة اذ	حلزة !	٣	١٥١

صواب الخطأ

الصواب	الخطأ	العدد	القيمة
التممين	التممين	٨	١٥٧
فكمنا	فكمنا	١٨	١٦٨
في كتابه	كتابہ	١٨	١٦٩
ينجد	ينجد	٢	١٨٢
من صفحة ٦-٣١ طبعة دار	من صفحة ٦-٣١	٢٦	١٨٥
	طبعة ديدا		
المحقق	المحق	٦	١٩٠
ما ناصيت	ما ؟	٥	١٩٤
مكانة	مكان	٨	١٩٥
أسوا	أسوا	٦	٢٠٠
وعزام	وعرام	١	٢٠١
في هذا	فهذا	١٤	٢٣١
« أثيثه »	« أثينة »	١٨	٢٣٩
الثانية	اثانية	٢١	٢٦٠
ججره	حجره	٤	٢٦٢
الارقاب	الاقارب	١٠	٢٩٩
الجمال	هل الجمال	٤	٣٠٥
السميرى :	السميرى : لا	٧	٣٠٦
والحماسة	والحساسة	١٥	٣١٩
سبيل	سهيل	١٨	٣٤٢
ودحض	وتزييف	٣	٣٥٤
الأرزاق	الارازق	٤	٣٦٨
مللملة	ململة	٦	٣٧٨
حذف واحدہ	تكرار جيشه	١٨	٣٧٨

صواب الخطأ

الصواب	الخطأ	الخطأ	الصواب
ونهجوا	ونهجو	٣	٣٨٨
صفر	صفر	١٤	٣٩٠
تشعث	تشعت	٨	٣٩٥
المرثية	المرتبة	١٥	٤٠٦
غوانيا	غوانيتها	١١	٤١١
به من خصائص	به خصائص	٨	٤١٦
الأغراض	الاعراض	١٣	٤١٧
أصواتا	أصوات	١٦	٤٢٣
أننى	أن	١٩	٤٤٠

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com





الشيخ محمد بن عبد الله بن بايهر واشاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الادب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بالرياض

الجزء الثاني

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيخ محمد بن عبد الله بن بايهر

واشاره الأدبية

تأليف
الدكتور محمد بن سعد بن حسين
استاذ الأدب الحديث بكلية اللغة العربية
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض

الجزء الثاني

الطبعة الاولى
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
مطابع الإمامة - الرياض - تلفون ٦٦٣٢٣
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الباب الرابع

● موازنات وتحليل ●

الفصل الأول : موازنات

الفصل الثاني : تحليل بعض النصوص الشعرية لابن بليهد

الفصل الاول (موازات)

فى هذا الفصل نقدم جملة من الموازات بين صاحبنا ، وبعض الشعراء الذين عاصروه والتقى بهم فى كثير من فنونهم الشعرية ، ومناهجهم الأدبية مثل : محمد بن عثيمين ، واحمد ابراهيم الغزاوى ، وسليمان الشبل وغيرهم ، أو السابقين الذين عارضهم وحاكاهم على نحو مما صنعه فى معارضته لرصافية على بن الجهم ، ووصف الفرزدق للذئب ونحو ذلك .

ولما كانت دراسة المعارضات فنا نقديا أصيلا له خطره فى تقويم العمل الادبى ، وعملا ترتاح له نفوس الناقدين وتجد فيه معرضا شيقا للقدرات الفنية واللغوية والتصويرية ، ومعينا على فهم الأدب وتبين قدراته وطاقته لانزاله المنزلة التى تليق به بين الشعراء . أقول لما كانت المعارضات كذلك اثرتنا ان نقدم بين يدي هذا الموضوع فذلك مقتضية ، عن الناقد ومهمته فى مثل هذا العمل .

الحديث عن المعارضات حديث عن أعمال شاعرين فأكثر ، تناولوا موضوعا متماثلا أو متشابهها مما يجر الى وزن عمل كل منهم وتقويمه وقياس الأعمال بعضها ببعض ، لينظر أيها أجود لفظا وأصدق تعبيراً وأقوى تماسكا وأغزر معنى ، وأصدق عاطفة .

وطبعى ان يفضى هذا الى الحديث عمن يقوم بهذا العمل وكيف يكون عمله فيه ، ونعنى بذلك ان البحث يفرض علينا ان نضع بين يديه حديثا عن الناقد - من هو وعلى أى حال يكون من استعداد علمى ونفسى؟

منذ أقدم العصور والناس مولعون بالمفاضلة بين الادباء حيناً وبين أعمالهم حيناً آخر ، فأما الأول فلا مجال له فى البحوث الأدبية ، وأما الثانى فهو لباب المفاضلة وأساس الموازنة ، من أجله تكون ، وحوله تدور ، وتاريخ الأدب العربى ملئ بذلك .

ولكن هل كانت تلكم الموازنات كلها على حق أم أنها كانت تخضع للاهواء أم أن فيها من هذا وذاك ؟

لقد تعرض النقد الأدبى لجميع هذه الأساليب ، لكن العلماء أبطلوا ماكان باطلا ، فلم يقبلوا النقد المبني على السياسة أو الحزبية أو النحلية كما لم يقبلوا ماقام على الاهواء الشخصية والميول الخاصة ، اما عن العادة واما عن الاتجاه العلمى .

ان من يرشح نفسه للحكم فى أى ميدان من ميادين الأدب ، يجب أن يتجرد فى حكمه من كل أهوائه وميوله ، وأن ينظر فى نوع الكلام الذى بين يديه ، شأنه فى ذلك شأن الصراف الماهر ، الذى يفحص النقود ليتبين الزائف منها من التزييه .

ودراسة المعارضات يمكن اعتبارها نوعا من النقد ، كما يمكن اعتبارها نوعا من الوصف ، اذ أن الدارس كماينقد النصين وصاحبيهما ، كذلك يصف ما امتاز به كل واحد منهما وصفا يجب أن يكون دقيقا متقصيا .

فعلينا أن نحاول الوصول الى أعماق نفس الشاعر وان نحيط بشيء مما يحيط به فنعرف جيله وبيئته ونوع ثقافته عصره لكي نصل من ذلك الى حكم صائب فيما نتناوله من أثر للشاعر ليكلا نظلمه ولا نظلم أنفسنا

بإعطاء حكم غير صحيح ، اذ أن من الخطأ أن نطالب الشاعر بأن يرى الأشياء كما نراها نحن ، وأن يأتي منها بما نريد ، وقد يكون بيننا وبينه مئات السنين ، علينا اذا أن نعلم أنه يعيش في جيل غير جيلنا وعقلية غير عقليتنا وثقافة غير ثقافتنا ، وكل هذه أمور لا بد من أخذها بعين الاعتبار .

وقد يتناول المعنى الواحد أكثر من شاعر فتتباين عندهم طرق التعبير ، وتتفاوت مراتب الخيال ، وتمتاز طريقة الأداء ، فللبدوى من ذلك ما ليس للحضري ، وللمعتمد ما ليس للثري ، وللصعلوك ما ليس للملك ، كل يعبر بطريقته ويصور ما ألف ، ويصف ما عرف ، ولكن الجمال موجود هنا وهناك يأخذ منه كل بحسب قدرته الفنية وتصوراته الشخصية ، وما تؤهله له ثقافته وبيئته ، وعلى النقد أن يزن نص كل واحد بما يلائمه ، فلا يحمل نصا ما لا يحتمل ولا يطلب من شاعر فوق ما يطيق ، ألم تر الى حديث الحبيب كيف تناوله الشعراء قديما وحديثا كلهم يصف فتنته وجماله ، وكلهم يظهر تعلقه به واشتياقه اليه .

يقول الأعرابي :

وحديثها كالقَطَرِ يسمعه

راعى سنين تتابعت جدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا

ويقول من فرح هيا ربا

ويقول ذو الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق

رخيم الحواشي لاهراء ولانزر

ويقول بشار :

وكان رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا

ويقول شوقي :

حديثها السحر الا أنه نفهم
جرت على فم داوود فغناها

انظر الى الاعرابى كيف يسمع حديث محبوبته ، انه يسمع فيه
صوت حبات المطر تتقاطر من السحاب على أرض مجدبة ، فيقع من
أذن الراعى الذى أقلقه مصير ما شيته موقعا لا أعذب ولا أجمل منه
فيصنئ اليه تلهفاً واشفاقا ، فتسرع الدعوات الى لسانه •

وأنظر الى ذى الرمة كيف يرى حديثها رقيم الحواشى ، ناعم
الأطراف ، كالرداء الناعم ، وما أجمل ما حشد فى هذا البيت من جميل
الصفات ، وانك لتعجب كيف تأتى له هذا مع محافظته على سلامة المعنى
والمبنى ، ولكنها الاصاله فى الملكة واللغة ، وذلك ما أمكنه من أن
يصف بشرتها ثم كلامها ، ثم يقيد ذلك الكلام بكونه وسط لاهراء ،
فيسد عليه طريق الحديث أو يفتح باب السأم أو الابتذال، ولا هو بالنزر
فيحرمه لذة الاستماع أو يثير فى نفسه الشكوك •

ثم انظر الى بشار كيف يصف حديثها فيراه روضا أخضر نبت
وتفتحت ازاهره ، ولمع النوار فى أعاليها كاللالىء أو كتغور الأحبة
يتهادى فيه النسيم العليل ، يبعث النشوة وينفض السأم والملال ،
ويمسح الكآبة • •

أما شوقى فيشبه حديثها بالسحر ، ثم تشده الحقيقة فيعترف بأنه
نغم ، ولكنه جرى على فم داود فغناه .

وجوه أربعة لشيء واحد هو حديث الحبيب ، وهذه الوجوه مع
تباينها واختلاف طرق التعبير فيها هي فى غاية الروعة والجمال ، ولكن
لا نستطيع تفضيل شوقى لأنه شبه الحديث بالسحر ، الذى يملك على
المرء حسه وعقله ، كما لا نستطيع ان نفضل بشارا ، لانه جعله روعا
معشبا ناضرا ، ولا ذا الرمة لانه ألمسك حديثها ناعما طريا ، ولا
الأعرابى لأنه سكبها فى أذنيك فى نغمات حبات المطر ، التى هزت
مشاعر الراعى وبعثت فيه الأمل قويا بعد أن كان يائسا قانطا ، وان
كنت تلمس الطبع والبساطة واليسر والسهولة لدى الاعرابى وذى
الرمة ، والصنعة أو المعاناة لدى بشار وشوقى .

وصوت المطر فى أذن الراعى لا يعادله أى صوت مهما عذب ، وما
يتركه فى نفسه من أثر لا يمكن أن يتركه أى منظر مهما جمل ، بينما
لا يحس الحضرى فى صوت المطر ذلك الجمال بقدر ما يحسه فى النغم
الجميل والمنظر البديع .

فالفروق الجانبية أو التى يجب أن تكون جانبية لدى الناقد ،
كالفروق الزمنية والبيئية يجب أن يكون مكانها فى النقد والموازنة
متأخرا وأن يكون دورها ثانويا .

أما ما يجب أن يلاحظ بل أن تكون له الصدارة فيما يراعيه الناقد
فهو طريقة التصور وادراك ما يتصور ، ثم كيفية ابراز نتيجة ذلك فى
عمل أدبى شعرا كان أو نثرا .

وأهم ما يتطلبه عمل الناقد هنا ، أنه لا بد من أن ينسى نفسه وأن
يذوب فى الشخصية التى يريد دراسة نصها ، أو الموازنة بينه وبين
نص آخر لشخصية أخرى .

وما الموازنة فى حقيقة أمرها الا نقد ، فالتجرد من الذات والاهواء والميول ، والاقبال على النص أو الشخصية المدروسة دون التأثير بأى مؤثر أمر لا بد من التأكيد عليه ، فاذا لم يستطع الناقد أن يكون كذلك فان نقده يكون حينئذ لا قيمة له ، بل قد يكون عدمه خيرا من وجوده ذا يعتبر فى مثل هذا الحال عامل تضليل وافساد ، وما كان النقد الا سبيل اصلاح وتوجيه وارشاد الى الطريق الأمثل .

ودراسة حياة الشاعر ، وما يحيط به من ظروف وأحوال ، ومعرفة البيئة التى نشأ فيها ، والمبادئ التى تشبع بها ونوع الثقافة التى تثقف بها ، وما يتبع ذلك من أحوال : سياسية ، وتاريخية ، ودينية ونحوها أمور لا بد للناقد من دراستها بكل دقة وعناية ، حتى يصبح وكأنه يعيش حياته ويعاصر أقوامه ومعاصريه ليتم له بعد ذلك تمثيل نفسيته وتقمص شخصيته ، والحكم عليه حكما الا يكن صوابا كله فأغلبه ، اذ الكمال فى مثل هذا متعذر لان دقائق حياة الشخص كثيرا ما ضاع أكثرها أو شوه أو خالطه الكذب والتزييف .

ثم ان من يتصدى لحكم أدبى على نص ما موازنا أو مقوما ، لا بد له من أن يكون على جانب كبير : من نفاذ البصيرة ، وبعد النظرة ، وسعة الادراك ، والقدرة على استنطاق النصوص ، بما توحى به كلماتها وعباراتها مما وراء الهيكل اللفظى من مشاعر واحساسات ، وتصورات وتخيلات ، انما يصل الى ادراكها رب الملكة النقدية ، وصاحب الذوق السليم .

وهذا يعنى أن الملكة النقدية شئء ، والثقافة النقدية شئء آخر ، فرب عالم ألم بعلوم البلاغة والنقد ، وحذق فنون اللغة والأدب ، لا يقوى على أن يكون ناقدنا ناجحا ، ورب ملكة عطلها من القراءة والتثقيف فقيدها عن أن تصل الى الهدف المنشود .

وهذا يعنى أن صاحب الذوق لا بد له من القراءة والدربة ، أعنى أنه لا بد من أن يتسلح بعلوم اللغة ، ويتزود بكثير القراءة ، والا انطبق عليه قول القائل :

كساع الى الهيجا بغير سلاح

وانما تتباين الملكات ، وتتناوح الاذواق ، وينكشف ما بينها من اتساع الشقه وبعد المسافة ، حين تكون الصورة الجمالية فى النص الادبى مشحونة بطاقات هائلة ، من المشاعر والاحساسات ، مشبعة بالعواطف المشبوبة ، المضطربة ، وهنا تتجلى الملكة الفذة كالمصباح الوهاج فى طبقات الظلام ، وقد تطلب منى مثالا على ذلك ، فخذ مثالا قول شوقى :

ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء

أنه صور لك فرحة الكون وابتهاجه بمولد المصطفى ، عليه أفضل الصلاة والسلام - واستقبال ذلك المولد بفرحة واستبشار ، حتى لكأنما الكون فم ملؤه الابتسام ، ولسان لهج بالمدح والثناء فى ذلك اليوم ، الذى استحالت الكائنات فيه ضياء واشراقا .

وحين تصل الملكة ويبلغ الادراك الى حد اكتناه مجاهل البيان ، واستنطاق اشارات ورموز الجمال ، واماطة اللثام عن المستور ، فانه يجىء بعد ذلك دور الصياغة والتنظيم ، وفيه يلزم الناقد أن يكون واضحا محددا فى لغته وعبارته ، يضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب ويقد عبارته على قدر معانيه فلا يكون اللفظ ولا التركيب قاصرا ولا فضفاضا ، وقديما أفسد ذلك أحكام الناقلين .

وخلاصة القول :

ان من يريد أن يزن كلام غيره ، ويعطى حكما صائبا فيه ، فلا بد من أن يلم بشخصية صاحب النص ، وما يحيط بها فى حياتها من ظروف وأحوال وملابسات ، متتبعا فى ذلك الدقيق والجليل كالصحة والمرض والغنى والفقر ، والمركز الاجتماعى أو غيره ، وما الى ذلك مما لا بد منه لجلاء الصورة ، وكشف المستور من حسان المعانى وجيد الأفكار •

واذا كان الناقد موازنا بين نصين أو اكثر ، فلا بد له حينئذ من أن يذكر فى وضوح واستقصاء كل ما اشترك فيه الشاعران ، وما انفرد به كل واحد مرجعا المسببات الى أسبابها ، ثم يوازن بين ما اشتركا فيه ، ما انفرد به كل واحد ، ثم يعطى بعد ذلك رأيه مطمئنا الى ما يقول •

وهذا أمر قد يراه البعض يسيرا ، ولكنه غير يسير الا على من يسره الله عليه ، بأن رزقه الأمانة العملية والقدرة على انكار الذات ، وقول الحق للحق وحده ، ولم يركب سبيل الاجحاف فى الحكم وقانا الله شر ذلك (١) •

(١) انظر فى الموضوع كتاب النقد الادبى تاريخه ومنهجه - د • محمد عبد الرحمن شعيب - دار التأليف سنة ١٩٦٨ م من ص ٣٠١ الى ٣٥٨ •
وكتابات الموازنة بين الشعراء زكى مبارك •

(الموازنة الاولى)

بين ابن بليهد وعلى بن الجهم (١)

لابن بليهد قصيدة رائية نظمها وهو فى «مصر»، شابته فى كثير من معانيها والفاظها رائية على بن الجهم ، واكاد اجزم بأن ابن بليهد

(١) هو أبو الحسن على بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشى ، ولد عام (١٨٨ هـ - ٨٠٣ م) ، وتوفى (٢٤٩ هـ - ٨٦٣ م) نزح أجداده إلى خراسان وعاشوا بها وانتقل أبوه إلى بغداد ولا يعلم أولد له على فى فارس أم فى بغداد .

بدأ على بن الجهم نظم الشعر وهو صغير ، وكان يتمتع بطبع عربى أصيل صرفه عن الثقافة اليونانية إلى الثقافة العربية ، كما عزف عن مذهب المعتزلة والمتكلمين ، وأقبل على مذهب السلف وأهل السنة ، ولذا كان يجلس كثيرا إلى الإمام أحمد بن حنبل ، أما فى ميدان الشعر والثقافة العربية ، فقد كان يختلف إلى قبة الشعراء بجامع بغداد ، وكانت أشبه بمنتهى لهم ، وكانت له رحلات كثيرة إلى فارس والشام ومصر وتونس ، وقد ولى مظالم حلوان ، وقد هجا محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الواثق هجا مقزعا على الرغم من جبروت ابن الزيات

وكان يعلق ألاما جساما على المتوكل لاتفاقهما فى المنزع والمشرى ، وقد كثرت أسفاره وأخباره فى عصره .

وأول قصيدة نظمها فيه ، كانت أول قصيدة ألقى بين يديه عند ولايته الخلافة ، غمز فيها المعتزلة رغم وجود ابن أبى داود كبير القضاة وزعيم المعتزلة فأتقن انكارا ، وقد قرب المتوكل وجعله من جلسائه وأقرب خاصته وافضى إليه بأسراره ، وظل على ذلك سبع سنين حتى تكالب عليه ندماء المتوكل وجلساؤه ، الذين كان يترفع على بن الجهم عنهم ، وما زالوا حتى أوغروا صدر المتوكل عليه فأمر بسجنه وكان يبعث له بالقصائد يستشفع فيها ، لكن كان الأشرار له بالمرصاد وما زالوا بالمتوكل حتى قيده فى سجنه ، وفى ذلك يقول .

فلا تجزعى أمارايت قيوده فان خلاخيل الرجال قيودها
وقد صادر أمواله ونفاه إلى خراسان وأمر واليه ظاهر بن عبد الله بن طاهر بصلبه وسجنه ، إلى أن أطلق عام (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) فعاد بعد عام إلى بغداد .

ولكن لم تعد له أيامه الأولى ، وكانت نظرته للحياة والناس قد ساءت ، فعاشر الخلفاء والمجانين حتى توفى المتوكل ، فأنسته فجيعته فيه ما ألحقه به من أذى ، فرثاه بأعظم قصيدة قيلت فى رثائه ، ثم مل الحياة والناس فخرج مع الغازين لقتال الروم حيث قتل هناك رحمه الله . =

قد حاكاة فيها وعارضه وان لم ينص على ذلك ، ويؤيد قولنا هذا ما سنورده ان شاء الله من مقابلة وموازنه بين القصيدتين •

ويشترك ابن بليهد مع على بن الجهم فى أمور :

أ) فكلاهما مدح الحكام وقصر مدحه عليهم ، فعلى بن الجهم مدح الخلفاء العباسيين ، وبخاصة المتوكل ولم يمدح سواهم من أرباب الجاه والسلطان ، وكذلك فعل ابن بليهد ، فانه لم يمدح أحدا سوى ملوك آل سعود : الملك عبد العزيز وابنائهم سعود وفيصل وخالد ، أو عبد الله الفيصل الذى كان يشركه مع أبيه حينما •

ب) وكلاهما سجن ظلما وعدوانا ، فعلى بن الجهم سجنه المتوكل حين أفسده عليه ندماءه ظلما وعدوانا ، وابن بليهد سجنه الشريف بالمدينة حين وشى به متهما بتهريب السلاح لابن سعود •

ج) وكلاهما كان نديما مقدما عند حاكم زمانه ، فعلى بن الجهم كان نديما مقربا عند المتوكل ، وابن بليهد كان نديما مقدما لدى الأمير فيصل •

د) وكلاهما كان وجيها من بيت علم وحسب ونسب •

هـ) وكلاهما نبغ فى الشعر مبكرا ، وان كان نبوغ ابن بليهد المبكر انما كان فى الشعر العامى ، ولكنه نبوغ مبكر فى الشعر على أى حال •

= شهد بعلمه الكثيرون أمثال الصولى وابن خلكان وابن شاعر وغيرهم ، وهو عندهم معدود من العلماء والرواة ورجال الحديث والسنة ، كما روى ذلك صاحب طبقات الحنابلة •

أما شعره فانه بعيد عن التصنع والتكلف خال من المحسنات البديعية شأن الشعراء المطبوعين ، يجرى شعرهم سهلا ليلا فى جزالة وإصالة وفخامة ، كما كان حسن التشبيهات حلو الاستعارات حتى عده ابن المعتز أفضل الشعراء ، وأثنى على شعره كثيرون كابن رشيق صاحب العمدة • نظم فى جل أغراض الشعر المعهوده اذ ذاك •

مقدمة ديوان على بن الجهم - تحقيق خليل مردم بك طبعة لجنة التراث العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) •

و) وكما رثى ابن بليهد صديقه ابراهيم على مهنا ، والأمير خالد بن محمد آل سعود رثى على بن الجهم صديقه أبا تمام .

من هنا لم يكن بعيدا أن يتمشق ابن بليهد نهج على بن الجهم ، وينسج على منوال قصيدته احدى خرائد شعره ، وسنقصر الموازنة بين الرجلين على قصيدتيهما الرائييتين معتمدين فى ذلك :

أ) النص الذى وردنا عن قصيدة ابن بليهد وعدد أبياته ٤٢ بيتا .
ب) وفى قصيدة على بن الجهم سنعتمد على ما ورد فى ديوانه ، الذى جمعه وحققه وقدم له بترجمة ضافية خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية سابقا (١) .

ذلك أنه فيما علمنا لم يجمع أحد بعدة ما تفرق من أبيات القصيدة التى نحن بصددھا اكثر مما جمع خليل مردم بك الذى أوردھا فى ثلاثة مواضع من الديوان (٢) .

وقد اجتهد فى ترتيب الصورة الأولى لها ، ثم وردته زيادات فرتبھا فى صورتھا الثانية ، ثم حصل على أكمل صورة لها عن كتاب «جمهرة الاسلام» (٣) فأخرجھا فى آخر الديوان ، فخدم بذلك الأدب ولو أنه وقع فى التكرار ، اذ اوردھا ثلاث مرات ، عدد أبيات الأولى ٤٣ بيتا ، والثانية ٥٦ بيتا ، والثالثة ٦٢ بيتا .

وفىما يلى نقدم النصين ثم الموازنة بينهما .

القصيدة الرصافية لعلى بن الجهم . (٤)

(١) ديوان ابن الجهم - الطبعة الثانية (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) لجنة التراث العربى بيروت - لبنان .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٤١ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٥٢ .

(٣) دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ أدب مخطوط .

(٤) سنثبت للفائده : الهوامش التى وضعھا على بعض أبيات القصيدة - خليل مردم وذلك بنصھا أو معناھا : انظر ديوان على بن الجهم ص ٢٥٢ .

- ١ - عيون المهايين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
- ٢ - أعدن لى الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمرا على جمر
- ٣ - سلمن وأسلمن القلوب كأنما
تشك بأطراف المثقفة السمر
- ٤ - وقلن لنا نحن الآهله انما
نضىء لمن يسرى الينا ولا نقرى
- ٥ - فلا بذل الا ما تزود ناظر
ولا وصل الا بالخيال الذى يسرى
- ٦ - أحين أزلن القلب عن مستقره
والهبن ما بين الجوانح والصدر
- ٧ - صددن صدود الشارب الخمر عندما
روى نفسه عن شربها خيفة السكر
- ٨ - ألا قبل أن يبدو المشيب بدأننى
بيأس مبين او جنحن الى غدر
- ٩ - فان حلن أو انكرن عهدا عهدنه
فغير بديع للفيوانى ولا نكر
- ١٠ - ولكنه أودى الشباب وانما
تصاد المها بين الشبيبة والوفر
- ١١ - كفى بالهوى غيا وبالشيب زاجرا
لو أن الهوى مما ينهنه بالزجر
- ١٢ - أما ومشيب راعهن لربما
عمرن نياما بين سحر الى نحر

١٣ - وبتنا على رغم الحسود كأئنا
خليطان من ماء الغمامة والخمر

١٤ - خليلي ما أحلى الهوى وأمره
وأعلمنى بالحلو منه وبالمر

١٥ - بما بيننا من حرمة هل رأيتما
أرق من الشكوى وأقسى من الهجر

١٦ - وأفضح من عين المحب لسره
ولاسيما ان اطلقت عبرة تجرى

١٧ - وما أنس لا أنسى ظلوم وقولها
لجارتها ما أولع الحب بالحر

١٨ - فقالت لها الأخرى فما لصديقنا
معنى وهل فى قتله لك من عذر

١٩ - عديه لعل الوصل يحييه واعلمى
بأن أسير الحب فى أوثق الأسر

٢٠ - فقالت ادارى الناس عنه وقلما
يطيب الهوى الا لمنتهاك الستر

٢١ - وأيقنتنا أن قد سمعت فقالتا
من الطارق السارى إلينا ولا ندرى

٢٢ - فقلت فتى ان شئتما ستر الهوى
والا فخلاع الأعنة والمذر

٢٣ - على أنه يشكو ظلوم وبخلها
عليه بتسليم البشاشة والبشر

٢٤ - فقالت هجينا قلت قد كان بعض ما
ذكرت لعل الشر يدفع بالشر

- ٢٥ - فقلت كأنا بالقوافى سوائرا
يردن بنا مصرا ويصدرن عن مصر
- ٢٦ - فقلت أسأت الظن بى لست شاعرا
وان كان أحيانا يجيش به صدرى
- ٢٧ - صلى واسألى من شئت يخبرك أننى
على كل حال نعم مستودع السر
- ٢٨ - وما الشعر مما أستظل بظله
ولا زادنى قدرا ولا حط من قدرى
- ٢٩ - وما أنا ممن سير الشعر ذكره
ولكن اشعارى يسير بها ذكرى
- ٣٠ - وللشعر أتباع كثير ولم أكن
له تابعا فى حال عسر ولا يسر
- ٣١ - ولا كل من قاد الجياد يسوسها
ولا كل من أجرى يقال له مجرى
- ٣٢ - ولكن احسان الخليفة جعفر
دعانى الى ماقلت فيه من الشعر
- ٣٣ - فسار مسير الشمس فى كل بلدة
وهب هبوب الريح فى البر والبحر
- ٣٤ - ولو جل عن شكر الصنيعة منعم
لجل أمير المؤمنين عن الشكر
- ٣٥ - فتى تسعد الأبصار فى حسن وجهه
كما تسعد الايدى بنائله الفمر
- ٣٦ - به سلم الاسلام من كل ملحد
وحل بأهل الزيغ قاصمة الظهر

٣٧ - امام هدى جلى عن الدين بعدما
تعددت على أشياعه شيع الكفر

٣٨ - وفرق شمل المال جود يمينه
عن أنه أبقي له أجمل الذكر

٣٩ - اذا ما أجال الرأى ادرك فكره
غرائب لم تخطر ببال ولا فكر

٤٠ - ولا يجمع الاموال الا لبذلها
كما لا يساق الهدى الا الى النحر

٤١ - وما غاية المثنى عليه لو أنه
زهير والاعشى وامرؤ القيس من حجر

٤٢ - أليس اذا ما قاس بالشمس وجهه
وبالبدر قلناخاف (١) للشمس والبدر

٤٣ - وان قال ان البحر والقطر أشبها
نداه فقد أثنى على البحر والقطر

٤٤ - ولو قرنت بالبحر سبعة أبحر
لما أدركت جدوى أنامله العشر

٤٥ - وان ذكر المجد القديم فانما
يقص علينا ما تنزل فى الزبهر

٤٦ - فان كان أمسى جعفر متوكلا
على الله فى سر الامور وفى الجهر

٤٧ - لقد شكر الله الخليفة جعفرا
وأعطاه مما لا يبيد على الدهر

(١) كذا وانظر رواية هذا البيت فى ص ١٤٧ ، ص ٢٢٢ من الديوان (حيث
الرواية فيها مختلفة) .

- ٤٨ - وولى عهد المسلمين ثلاثة
يحيون بالتأييد (١) والعز والنصر
- ٤٩ - أغير كتاب الله تبغون شاهدا
لكم يا بنى العباس والمجد والفخر
- ٥٠ - كفاكم بأن الله فوض أمره
اليكم واوحى أن أطيعوا أولى الامر
- ٥١ - ولم يسأل الناس النبی محمد
سوى ود ذی القربی القریبة من أجر (٢)
- ٥٢ - ولم يقبل الايمان الا بحبكم (٣)
وهل يقبل الله الصلاة بلا طهر
- ٥٣ - ومن كان مجهول المكان فانما
منازلکم بین الحجون الى الحجر
- ٥٤ - وما زال بيت الله بين بيوتكم
تذبون عنه بالمهدة البتـ
- ٥٥ - أبو نضلة عمرو العلى وهو هاشم
أبوكم وهل فى الناس أشرف من عمرو
- ٥٦ - وساقى الحجيج شيبة الحمد بعده
أبو الحارث المبقى لكم غاية الفخر
- ٥٧ - سقيتم وأطعتم وما زال فضلکم
على غيرکم فضل الوفاء على الفدر

(١) هم المؤيد والمعتز والمنتصر أبناء المتوكل وولادة هذه .
(٢) لم يرد هذا البيت فى هذه الرواية وانما اقتبسه المحقق من الرواية الثانية
(٣) فى الاصل (ولا تقبل الايمان الا بحکمکم) وقد اختار المحقق ما ورد فى
الروایتين الأولى والثانية .

٥٨ - وجوه بني العباس للملك زينة
كما زينة الأفلاك بالأنجم الزهر

٥٩ - ولا يستهل الملك الا بأهله
وهل ترجع الأيام الا الى الشهر

٦٠ - وما ظهر الاسلام الا وجاركم
بني هاشم بين المجرة والنسر

٦١ - فحيوا بني العباس فيها تحية
تسير على الأيام طيبة النشر

٦٢ - اذا أنشدت زادت وليك غبطة
وكانت لأهل الزيغ قاصمة الظهر

عيون المها لابن بلهيد (١) :

١ - عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبي سالف العهد والذكر

٢ - فجددن فيه الجرح بعد التآمه
وأيقظن أحلام الصبا والهوى العذري

٣ - دعاني الهوى من أهل نجد وصحبتني
بمصر على قلبي تفيض من السحر

٤ - بما أنشط الأمالي في نفس مجهد
من الهم والآلام والنأى والكبر

٥ - تداويت من ليلي بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير (

٦ - وأي مرام للغواني وقد غدا
على لمتي والذقن كالمالح في شعري

- ٧ - رويدا ظباء النيل ما أنا خاطب
ولا أنا صياد وتعلمن من أميري
- ٨ - لقد هزني رغم المشيب ورغم ما
أعاني من الأوجاع في الكتف والظهر
- ٩ - سهام الجنون الناعسات غرسنها
نوافذ في الاحشاء من بعد ما صدرى
- ١٠ - فتكن به وهو العصى على القنا
وكان به صبر على البيض والسمر
- ١١ - صدور العوالي في أديمي تحطمت
فما بال الحاظ الحسان له تهري
- ١٢ - أديمي مجن في الحروب فليته
وفي القلب ما ألفت به ربه الخدر
- ١٣ - ولي صارمان من حسام ومقول
فعولان بالفساق ما لبدو والحضر
- ١٤ - اذا صلت صال الموت من حد صارمي
وان قلت فالقول البليغ بما أطرى
- ١٥ - ولي قلم سحر البيان لعابه
شبة يراعى أن تسيل بلسم الفكر
- ١٦ - كفاني بياني عن حصيله آخر
تناولها السراق في البيت والشطر
- ١٧ - وقد يعجب البيت الأنيق مثقفا
فيجريه فيما يرتضيه من الشعر
- ١٨ - ولكنه لا يدعى أنه له
ولكن يعد القول بالقوس كي يدري

١٩ - مريد سبيل الحق أني مضمّن

وأنسى عفيف في جلائي وفي السر

٢٠ - وأفعال آبائي قلائد دهرهم

وللمرء ما تجري به ألسن الدهر

٢١ - ويارب شخص قام يوم كريهة

ومكرمة كالألف في حازب الأمر

٢٢ - وألفان قد لا يدركوا شأو واحد

فليس لهم ما حاز من رفعة القدر

٢٣ - يعيش الفتى دهرا ليترك بعده

أحاديث فاحذر أن تكون من الشر

٢٤ - وان رضاء الله خير وسيلة

لأن يشمل العبد بفيض من السستر

٢٥ - فيارب لطفًا منك في كل حالة

ويارب عطفًا منك يا كاشف الضر

٢٦ - ويا صاحب النعما على الكون كله

ويا موجد بالأرزاق في البر والبحر

٢٧ - ويا مالك الملك الذي عز جانبًا

أرادته تمضي وقدرته تجري

٢٨ - الهي هبني منك ما أنت أهله

فقد ناء ظهري بالذنوب وبالوزر

٢٩ - ويارب لم الشمل بعد انشعابه

فقد طال تعناني الى البر والبحر

٣٠ - مقيم على كره بدار طعامها

كريم ولكن ليس كالبر والتمر

- ٣١ - وليس لأصناف الطعام تشوقي
ولكن شيئاً يجلب الشيء للذكر
- ٣٢ - حنيني الى داري وأهلي وجيرتي
الى مهرة تاهت دلالة على المهر
- ٣٣ - أحن اليها والنوى يدفع النوى
وبيني وبين الالف مستوحش القبر
- ٣٤ - أرى حبها يستوقف القلب كلما
الى غيرها مالت به أعين الفر
- ٣٥ - فيا صاحبي رحلي دعاني فاني
لغير الذي تطرون في يومكم أطرى
- ٣٦ - دعاني وكفا عن ملامي وأبعدا
قلو صيكما عنى ولا تنفخا جمرى
- ٣٧ - ولا تدفعاني في طريق قلوته
وما كنت من عشاقه سالف الأمر
- ٣٨ - دعاني وكفا عن ملامي وأجملا
ولا تفضحاً شيبني على آخر العمر
- ٣٩ - قطعت صلاتي بالغواني ودربها
ويشهد ربي ما جنحت الى العهد
- ٤٠ - ولكن عذارى الشعر تغري قصائدي
وما جر حاكى الكفر شعرا الى الكفر
- ٤١ - فغفوك يارب العباد فما لنا
سواك على الحالين في العسر واليسر
- ٤٢ - وصل الى العالمين مسلماً
على المصطفى المختار مالمع القسرى

« الموازنة بين القصيدتين »

غرض القصيدتين :

نقرأ قصيدة علي بن الجهم ، فنمر فيها بثلاثين بيتا في الغزل ، يتخللها ذكر المشيب والفخر بالشعر ، ثم تختم القصيدة ب ٣٢ بيتا في المدح ، أى أن النسيب فيها نصفها ، ومع هذا جاءت تحت عنوان « مدح المتوكل » .

ونقرأ قصيدة ابن بلهيد ، فنرى شكولا من الخطرات تنتظم أبيات القصيدة ، فمن غزل الى حديث عن الكبر والضعف والمرض الى حديث عن الشيب والفخر ، فأحاديث عن الشعر ونظمه وعن الحكمة ، ثم ابتهال ودعاء فنزوح بالخطرات الى نجد ، ثم عطف على رفاق السفر ، فعودة الى الابتهال ثم الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام .

والعنوان الذي وضعه صاحبها هو أول كلمتين فيها « عيون المها » ولغلبة الغزل فيها فانه يمكن اعتبارها غزلية .
ما اشتركت فيه القصيدتان :

أ - تلتقى القصيدتان في البحر وحرف الروى ، فكلتاهما من بحر الطويل ، وكلتاهما حرف الروى فيها الراء المكسورة ، أما فى الطول فان ابن الجهم أطول نفسا من ابن بلهيد ، اذ تبلغ قصيدته ٦٢ بيتا بينما تبلغ قصيدة ابن بلهيد ٤٢ بيتا .

ب - وكلتاهما بدأت بذكر « عيون المها » يقول ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

ويقول ابن بلهيد :

عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبي سالف العهد والذكر

ج - ويشكل الغزل جزءا كبيرا من كلتا القصيدتين ، أي أننا حين ننحى المدح من قصيدة ابن الجهم وعدده ٣٢ بيتا ، فإن نصفها المتبقى جميعه غزل .

كما أننا اذا نحينا من قصيدة ابن بلهيد ، الحديث عن نظم الشعر والحكمة والدعاء والابتهال وهو ١٨ بيتا ، فإن الجزء المتبقى منها وهو ٢٤ بيتا داخل في باب الغزل .

ولكى يتضح لك التقاء صور الغزل عندهما ، أنظر الى الأبيات من ١ - ٧ ثم البيت ١٣ عند ابن الجهم ، وقارنها بأبيات ابن بلهيد من ١ - ٥ ومن ٩ - ١٢ وسترى أن المعاني متقاربة الى حد كبير .

خذ مثلا البيتين الأولين لابن الجهم ، وقابلهما بالبيتين الأولين لابن بلهيد ، تجد أن المعاني هي هي كلاهما سحرته العيون وأعادته الى سالف الود ، وإن كان المعنى عند ابن الجهم في الشطر الأخير من البيت الثاني ، أقوى دلالة على ما يستعر في القلب ، من حب جديد أيقظ حبا قديما ، فزاد ذلك في لب الشاعر جمرا على جمر .

أما ابن بلهيد فلقد اكتفى بالقول : ان ذلك الهوى الجديد أيقظ أحلام الصبا والهوى العذري في قلبه ، وأنه جدد الجرح فيه بعد التأمه . .

ويتحدث ابن الجهم في البيت الثالث عن أثر الحب الجديد على قلبه ، وأنهن أسلمنه لآلام كأنما يشك فيها بأسنة الرماح ، ويتناول هذا المعنى ابن بلهيد في الأبيات الأربعة من ٩ - ١٢ فيبسط القول فيه ، ولكنه لا يعدو ما عبر عنه ابن الجهم في بيت واحد ، فأنت ترى ان ابن بلهيد على بسطه الحديث في أربعة أبيات ، لم يأت بفضل معنى يشوق به ما أوجزه ابن الجهم في بيت واحد ، على الرغم من التعبير بـ (كأن) التشبيهية عند ابن الجهم ، واستعمال أسلوب الاستعارة عند ابن بلهيد ، ونحن نعلم أن للاستعارة من عمق الدلالة ما ليس للتشبيه ، أو المفروض فيها أن تكون كذلك لما في أسلوبها من مبالغة في اتحاد المشبه مع المشبه به في الصفة المقصودة .

د - والشيب من الامور التي تقضى عيون الغانيات ، واذا كان كل من الشاعرين قد نظم قصيدته بعد ما وخط المشيب رأسه وجلله ، فان من الطبيعي أن يتحدث في ألم وحسرة عن ذلك ، أنظر الى أبيات من ٨ - ١٢ عند ابن الجهم ، وقارنها بأبيات ابن بلهيد من ٦ - ٨ تجد أن ابن الجهم يبدأ حديثه (بالأ) المفيدة للتمنى والتوجد ويتبعه (بكفى) ، وكأنه يريد أن يزجر قلبه وهواه اذ كيف يطمع في صحبة الغانيات وقد أودى الشباب وانما تصاد الغواني فيه .

أما ابن بلهيد فانه يستفهم في حسرة ولوعة ، عما تطلبه الغواني وقد تحول شعر رأسه ولحيته الى بياض يشبه الملح ، ولذا فهو يزجرهن على الرغم مما تركن في قلبه من كلوم ، لكن تشبيه الشيب بالملح تشبيه سمج ، فليته قال مثل ما قال المعري :

خبريني ماذا كرهت الشيب
ب فلا علم لي بذنب المشيب
أضيء النهار أم وضح اللؤ
لؤ أم كونه كثغر الحبيب

أو كما قال علي بن الجهم في احدى قصائده الاخرى :
فلم أر مثل الشيب لاح كأنه
ثنايا حبيب زارنا مبتسما

فلما تراءته العيون توسمت
بديهة أمر تدعر المتوسما

ويتجلى صدق العاطفة وجودة التصوير في أبيات ابن الجهم ، بينما ينحسر ذلك انحسارا واضحا عن بعض أبيات ابن بلهيد وصوره .

هـ - أما الحكمة فان علي بن الجهم يأتي بها مشربة بالغزل والحب ، ولا تشكل سوى ومضات في أربعة أبيات متفرقة هي : ١٤ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣١ .

أما ابن بلهيد فانه يأتي بالحكمة في أربعة أبيات أيضا من ٢١-٢٤ ،
في صورة أكثر استقلالا من الحكمة عند ابن الجهم ، على أنك تحس
فيها روح ابن دريد واضحة جلية ، كقوله في مقصورته المشهورة :

والناس ألف منهم كواحد

وواحد كالألف ان أمرعنا

وقوله

وانما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنا لمن وعنا

فابن الجهم يقول في أبيات حكمته أن كل حلو تشوب حلاوته مرارة ،
واذا كان في الهوى حلاوة ومرارة فانه أعلم الناس بحلوه ومره ، ولكنه
لا يطيب الا لمنتهاك الستر خالع عذار الحياء .

واذا كان قد عرض ببخل حبيبته بالسلام والبشر فاعتبرت ذلك
هجاء ، فانه لا يجد حرجا في التسليم لها بذلك ، لأن الشر قد يدفع
بالشر ، على أن الناس ليسوا سواء ، فما كل من ركب الجياد فارس ،
وما كل من دفعها الى الجري قادر على الثبات في اجرائها ، وكأنه بذلك
يحذر من خداع المظاهر .

أما ابن بلهيد فانه يقول : أن الرجال ليسوا سواء ، فقد يغني
الواحد عن الألف ، وقد لا يسد الألفان مسد واحد .

ويقول : أن خير ما يتركه الانسان بعد وفاته الذكر الحسن ، كما
ينصح بتلمس رضا الله التماسا للستر في الدنيا والآخرة ، والمقصود
بالستر هنا : التسديد والتوفيق في العمل الصالح .

وتهتاج المشاعر والاحساسات ذكريات الماضي ، لدى كل من
الشاعرين فيتحدثان عنها ، لكن ابن الجهم يأتي بها في الأبيات
من ١٧ - ٢٤ على صورة حوار بينه وبين حبيبته ، على نحو ما كان
يصنعه عمر بن أبي ربيعة .

فهو يقول : انه لا يستطيع نسيان ذلك الحوار ، الذي قام بين حبيبته التي تعجب من تمكن الهوى منه ، وصديقتها التي تلومها على امعانها في تعذيبه ولا عذر لها في ذلك ، ولذا فهي تغريها بالعطف عليه ولو بالوعد الذي ينشطه ويحييه ولكن حبيبته تتعلل — في تحسر — بأنها تداري حبها وتستره ، ولو أنها تعلم أن الهوى لا يطيب الا لمن يهتك الستر ولا يقيم وزنا لما قد يقال عنهما .

وتشعر الصديقتان بالشاعر وأنه سمع حديثهما . فتسالان من القادم دون علمنا ؟ فيجيبهما بأنه هو وأنه مدعن لما تريدانه من الحالتين : افشاء الهوى أو ستره ، فحبها قد ملك عليه أمره ، فهو منقاد لما تمليه رغبة الحبيب ، ولكنه لا يملك الا أن يشكو ظلوما وبخلها عليه ، حتى بالتسليم واظهار البشاشة والمسرة ، واذا كانت تعتبر لومه ذما وتعريضا ، فانه يوافقها على ذلك التماسا لدفع ما أصابه من حبها وصدودها .

أما ابن بليهد فان ذكرياته في الابيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ تعود به الى زوجته ، التي مضى على وفاتها ما يقرب من عشرين عاما ، ومع هذا فما زال حبها يستوقف قلبه كلما استمالته أعين الغيد .

ز — وفخر الشاعر بشعره كفخره بحسامه وصفاته الحميدة ، وهذا أمر مألوف لدى كثير من الشعراء ، ولقد فخر ابن الجهم في أبياته من ٢٥ — ٣٢ ، كما فخر ابن بليهد في أبياته من ٩ — ٢٠ ، غير أن فخر ابن الجهم كان بحسبه وشعره ، الا أنك تلمس في أبياته أنه يضع الشعر في المرتبة الثانية بعد الحسب ، ثم أن أسلوبه فيه أسلوب المستقل عن متابعة السابقين في الفخر ، فهو ان كان مجيدا في شعره الا أن الشعر لم يزدده ولم ينقصه ، ثم هو لا يطلب بالشعر جاهها ولا مالا ، وانما اخلاق المتوكل هي التي دفعته الى نظم الشعر ، وتلك نغمة تحسها في الكثير من شعره ، كقوله في غير القصيدة التي نحن بصدد مدح المتوكل ويفخر بشعره ، الذي صانه عن أن يمتهن في مجالات المدح والذم فلم يسمح به الا للسادة النبلاء أمثال المتوكل :

وقصيدة غراء بفـ
نسى الدهر قبل فنائها
تبقى على الأيام نصـ
ب صباحها ومسائها
لم تستمع أيدي الرجا
ل بمدحها وهجائها
باتت تصان فآن أن
تهدى الى أكفائها
خص الخليفة جعفر بـ
ن « محمد » بثنائها (١)

أما فخره بشعره في رصافيته ، فان أبياته امتداد للحوار الذي كان
بينه وبين حبيبته وصاحبته .

لقد أثنت حبيبته على شعره وشبهته بالساريات تنقلهم من مصر
الى مصر ، لكنه فى أسلوب المترفع المظهر للتواضع ، ينفى اجادته للشعر
وان جاش به صدره حيناً ، ولكنه لا يستظل بظله ولا يحتمي بحماه ،
ولم يكن الشعر بالذي يرفعه أو يضعه ، بل ان قدره ومنزلته العالية
هى التى سيرت شعره وجعلته تابعا له ، ليس كغيره من الذين يتبعون
الشعر ، ولولا احسان الخليفة لما قال الشعر مادحا ، ولو كان قوله هذا
في شعره من غيره لعد هجاء لشعره .

أما ابن بليهد فانه يفخر : بشجاعته ، وحسامه ، وقلمه ، وبيانه ،
وأمانته ، في شعره ، كما يفخر بأبائه ، الا أنه لا يطيل الوقوف عند
الشعر ، فيشير الى شيء من أسلوبه في نظمه ، وأنه اذا أعجبه البيت
ضمنه ولكنه يدل على ذلك ، كما صنع في أول القصيدة عندما أخذ
بيت المجنون .

(١) ديوان على ابن الجهم ص ٣٨ .

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير

وتتداخل صورة الفخر عنده في أولها بالغزل .

ونرى أن ابن بليهد ، على الرغم من ترسمه لنهج السابقين ، في فخرهم ،
الا أن ملامح شخصيته واضحة ، فهو لا يستطيع الاستقلال الكامل عن
التقليد ، كما هو شأن ابن الجهم ، كما لم يذب ذوبانا كاملا في التقليد ،
بل ترك ملامح شخصيته وبصمات شاعريته واضحة على أبياته .

الخلاصة :

(١) ان كثيرا من المعاني لدى علي بن الجهم ، تأتي أقوى دلالة على
ما صنعه الحب الجديد في النفس ، كما أنها تأتي مباشرة في أول
الحديث ، بينما تأتي متأخرة عند ابن بليهد ، أنظر البيت / ٢ عند
ابن الجهم ، كما أنظر البيت / ٢ عند ابن بليهد والبيت / ٩ .

(٢) واذا كان ابن بليهد ، قد فصل الحديث عما صنعتها العيون
بالقلب ، في أربع أبيات من ٩ - ١٢ ، فان ابن الجهم قد عبر عن
ذلك تعبيرا قويا كافيا في بيت واحد رقم / ٣ .

(٣) وقد يخون علي بن الجهم التوفيق في التشبيه ، وان كان يستتر
ذلك بحلاوة لفظه وجمال نسجه وقوته ، فلقد شبه الحسان بالآهلة
في البيت / ٤ ، والمألوف تشبيههن بالبدور ، أو الشموس أما الآهلة
فانما يشبه بها حاجب الحسناء ، ومثل هذا وقع فيه ابن بليهد
حين شبه الشيب بالملح .

(٤) واذا كان كل من الشاعرين ، قد تحدث عن ذلك الحب الذي زاره
وقت المشيب ، فان ابن بليهد انما يتحدث عنه حديثا عاديا لا يدل
على تمكن ذلك الحب من نفسه ، أما ابن الجهم فانه يصور لنا ذلك
في حرارة وألم ، وتحسر يبدوه باستفهام كله توجع وتفجع ،
ويختمه بالتمني ، والتوجد ، كما تراه في الأبيات الثلاثة
٦ ، ٧ ، ٨ .

٥ (وغزل ابن بليهد غزل هادىء لا يدل على تجربة شعورية عنيفة ، وليس فيه حرارة المحب المملوع ، أما علي بن الجهم فان غزله غزل من عاش التجربة واكتوى بنارها ، كما توحى به أبياته خاصة ذلك الحوار الذي أداره بينه وبين حبيبته وصاحبته .

٦ (واذا كانت العادة وما تمليه طبيعة الانثى ، أن الطلب انما يكون من الرجل ، والتعزز والتمنع من المرأة ، وهذا ماجزى عليه غزل ابن الجهم ، فان ابن بليهد قد خالف هذا باثباته بما يوحي أنه هو المتمنع ، فكيف وهو الشيخ الكبير ؟ .

رويدا ظباء النيل ما أنا خاطـب
ولا أنا صياد وتعلمن من أمري

٧ (واذا كانت الصورة الأدبية من تشبيهات واستعارات ، لدى ابن بليهد أقرب الى البداوة ، تأتي قوية صلبة تعتريها الخشونة حيناً ، كما هو واضح في ذكر : الخـدر ، والمجن ، والمهرة ، والرحل ، والقلوص ، فانها عند ابن الجهم تأتي ناعمة باسمه في جلال وجمال ، أنظر الى الصورتين الجميلتين في البيتين ، ٧ ، ٩ .

٨ (وتقرأ قصيدة ابن الجهم من أولها الى آخرها ، فلا تحس فيها بيتاً أخذ من غيره أو معنى استعير من آخر . بينما نجد ذلك في أكثر من بيت عند ابن بليهد ، فلقد أخذ بيت المجنون رقم ٥ كما أخذ في حكمه معاني أبيات ابن دريد كما أسلفنا ثم أخذه لقول حسان - رضي الله عنه .

لساني وسيفي صارمان كلاهما
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مقولي

فقد أخذه في قوله :

ولي صارمان من حسام ومقول البيت .

٩) وتأتى قصيدة ابن الجهم ، فى حبكها ونسجها على وتيرة واحدة لا تخلخل فيها ، بينما تأتى قصيدة ابن بليهد ، فى ارتفاع وانخفاض ، تقوى كما فى الأبيات الأولى ، وفى أول أبيات الفخر حتى تصل الذروة ، ثم تهبط حتى تصل الى درجة النظم ، كالأبيات التى تحدث فيها عن شعره وكيف نظمته . .

١٠) أما الوحدة الشعورية وهى ما يطلب هنا فانها متحققة فى كلتا القصيدتين ، وأما الوحدة العضوية فانها فيما أفهم ، انما تطلب فى العمل التمثيلي والمسرحي ، أما الشعر الغنائي فيسكفي أن تتحقق فيه وحدة الشعور وتداعي الأفكار .

ومع هذا فان قصيدة علي بن الجهم تمتاز على قصيدة ابن بليهد ، بأن فيها شيئاً من التماسك العضوي ، فكل بيت أخذ بحجز صاحبه لا يصلح إلا به ولا يوائمه سواه ، وبخاصة النصف الأول من القصيدة وهو موضوع الموازنة ، أما نصفها الثاني وهو المديح فان ذلك الارتباط بين الأبيات وبعضها فيه ضعف .

١١) واذا كان لنا أن نحكم عاملي الصحة والسن ، فانا نغتفر بموجبها لابن بليهد ما قصر فيه دون ابن الجهم ، فلقد نظم ابن الجهم قصيدته وهو على أشده وفي كامل صحته وقبل أن ترهقه السنون ، أما ابن بليهد ، فقد نظم قصيدته وهو شيخ جاوز الستين يصارع المرض .

(الموازنة الثانية)

« بين ابن بليهد والفرزدق » (١)

لابن بليهد قصيدة في وصف الذئب تشبه الحكاية ، اذ سرد فيها قصته مع الذئب ، وما جرى بينهما ليلة التقيا في الخلاء .

وللفرزدق أبيات في مقدمة احدى قصائده يصف فيها حكايته مع الذئب .

ولم يكن وصف الذئب في حد ذاته بالداعي الى الموازنة بين الشعارين في وصف ذلك ، فالعرب قد أكثروا من وصف الذئب وان لم يطيلوا فيه ، وكانوا يعرضون لوصفه حين تدعو له المناسبة وما أكثرها في حياتهم .

(١) الفرزدق هو : أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، يعد من سادة تميم وأشرفها ، عظيم الأثر في اللغة كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، وهو من شعراء الطبقة الأولى الأولى في الاسلام ، ويرجع بعض الباحثين قوة شعره ومثانة لفظه وشدة أسر كلامه ، الى إتقانه حفظ القرآن الكريم .

وهو أحد الواحد والثمانين من الشعراء الذين وقفوا في وجه جرير وهاجوه فلم يثبت منهم له سوى الفرزدق والأخطل ، وأخبار نقائضه مع جرير أشهر من أن تذكر .

لم يكن ينشد الشعر أمام خلفاء بني أمية الا قاعدا ، فلما أراد سليمان بن عبد الملك على الوقوف ، ثارت ثائرة من حضر من بني تميم فأذن له بالجلوس .

وكان عزيزا في قومه يحمي من يلوذ بقبر أبيه ، وكان يكنى ببنته (مكين) كما لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وعظمه ، وقيل لأثر على وجهه من الجدرى وقيل انه زير نساء ، وبه فسر خلوشعره من الغزل .

توفي ببادية البصرة عام (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) عن عمر يناهز المائة .
وديوانه مطبوع .

وانما الذي دعانا الى هذه الموازنة ، أن ابن بليهد أشار الى وصف
الفرزدق في آخر قصيدته .

ومن هنا قام الظن في أنه حاكاه في هذه القصيدة ، التي نوازن
بينها وبين أبيات الفرزدق .

والتقاء الشاعرين في هذا أمر ليس بالغريب على أمثالهما : فكلاهما
تقلب في أحضان الصحراء وجاس خلالها ، وعاشا عيشة متقاربة ،
وجمعتهما ظروف متشابهة فكان طبعيا أن يلتقيا في مثل هذا المعنى .
نص قصيدة ابن بليهد ومطلع قصيدة الفرزدق .

ولقد سبقت كل واحدة من القصيدتين حكاية لمناسبتها ، مما يقوى
الظن بمحاكاة ابن بليهد للفرزدق ، فأما قصيدة ابن بليهد ، فقد قدم
لها هو بمقدمة فصل فيها السبب وأجمل فيها معاني القصيدة بقوله :

(بت ليلة في بيداء مقفرة ، فأقبل على الذئب وقد أشعلت ناري
وطرحت صيدي بجانبها ، وقمت أصلي ، وناقتي معقولة أمامي ، وبعد
فراغي من الصلاة ، لاحظت أن الذئب قد هم بي ، فألقيت اليه بعض
اللحم ، ثم خشيت ان هو ذاقه ألا يتركني ، وتلك عادة معروفة لدى
الذئاب ، فسحبت اللحم ، فكأنني قد استثرته فأخذ يبدى من الحركات
ما يسبق انقضاضه في العادة ، فخاتلته وقتلته ، ثم أسرع في انضاج
شوائي وحملته بين يدي لأكل منه على ظهر ناقتي ، ثم أسرع اليها
فأطلقت عقالها وهربت من المكان ، لأن الذئب حين تشم رائحة دم
صاحبها ستسرع للانتقام ، وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة) .

١ - وذئب جسور الخطو غير مجرب

لفعلي ولم تمسسه بعد قناتي (١)

٢ - وقد غره منى سكوتي وأننى

من البرد قد لفت على عباتي

- ٣ - فأقبل كالمختال يمشي مجرجرا
أتاه المنى فى مقفر الفلاوات
- ٤ - يحرك فك نابه نصل فاتك
ويرمي من العينين جمر غضاة
- ٥ - فلي نظرة منها وأخرى لناقتي
أمامي وقد أوثقتها بحباتي
- ٦ - وقد قمت للرحمن ربي مصليا
فأمهلني حتى قضيت صلاتي
- ٧ - هو الله لم يمكنه مني بسجدة
وناري من خلفي أشد حماتي
- ٨ - بقدرته حتى قضيت عبادتي
وأدريت مني صارمي وعصاتي
- ٩ - وقلت له يا ذئب اني وناقتي
عليك حرام فأقنعن بهباتي
- ١٠ - سأطعم من صيدي وأعطيك بعضه
وان أنت لم تشبع رميت فتاتي
- ١١ - اليك فان أغرتك في شراسة
بطبعك لم تقنع بغير حياتي
- ١٢ - فدونك ان ماشئت ضربة صارم
له من سيوف الهند خير شباتي
- ١٣ - تمطى وأرخى فكه في ثائب
ليخدعني أو أن تلين حصاتي
- ١٤ - علمت بأن الحرب بيني وبينه
على كف شيطان دعاني ، هات
- ١٥ - فقلت على رسلي لألحظ فرصة
يكون بها الحظ السعيد مواتي

١٦ - فخاتلته حتى أتت ففجأته

بهجمة فتاك كجمع كمات

١٧ - وأعملت فيه السيف والرمح والعصا

ولولا الاذى أكرمته كعفاتي

١٨ - وما هبته مثل الفرزدق اذ دعا

الى صحبة مجلوبة بهيات

أما قصيدة الفرزدق ، فقد سبقت في ديوانه بمجمل لسبب القصيدة ربما رويت عن الشاعر وربما كانت من صنع الراوي ، والبحث في هذا لا يعيننا بقدر ما يعيننا أن هذه المقدمة مثبتة في الديوان .

تقول الرواية : (خرج الفرزدق في نفر من الكوفة يريد يزيد ابن المهلب ، فلما عرسوا من اخر الليل عند القرينين ، وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزرها ، ثم أعجله المسير فسار بها ، فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على بعيره ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق ، فأبصر الذئب بنهشها ، فقطع رجل الشاة فرمى بها الى الذئب فأخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع يد الشاة فرمى بها اليه ، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان وأنشد يقول :

١ - وأطلس (١) عسال وما كان صاحباً

دعوت بناري موهناً فأتاني

٢ - فلما دنا قلت : ادن دونك انني

واياك في زادي لمشتركان

٣ - فبت أسوي الزاد بيني وبينه

على ضوء نار مرة ، ودخان

٤ - فقلت له لما تكشر ضاحكا

وقائم سفي من يدي بمكان

(١) الاطلس الأغبر - والغبرة لون بين البياض والسواد .

٥ - تعش فان واثقتنى لا تخوننى
نكن مثل من يا ذئب يسطحبان

٦ - وأنت امرؤ ، يا ذئب ، والغدر كنتما
أخيين ، كانا أرضاً بلبان

٧ - ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
أتاك بسهم أو شاة سنان

٨ - وكل رفيقي كل رحل وان هما
تعاطى القنا قدما هما أخوان

٩ - فهل يرجعن الله نفسا تشعبت
على أثر الغادين كل مكان (١)

ما اشتركت فيه القصيدتان :

١ - وأول لقاء بين الشاعرين تم فى الموضوع والبحر ، فكلتاهما من بحر الطويل ، وكلاهما وصف الذئب وحكايته معه ، الا أن ابن بليهد قصر قصيدته على ذلك ، أما الفرزدق فجاء وصفه للذئب مقدمة للفخر وأمشاجا من المعانى اخرى .

٢ - وكلاهما فى المطلع دخل فى الموضوع مباشرة ، وكلاهما بدأ المطلع بالواو المسماه (بواو رب) ، الا أن الفرزدق بدأ بلون الذئب ، ثم ذكر مشيته وقوته ، أما ابن بليهد فذكر اسمه ، ثم مشيته الجسور .

٣ - وكلاهما وصف مشي الذئب فى كلمة ، فقد وصفه الفرزدق بالسرعة والاضطراب فى مشيته « بعسال » من البيت الأول .
كما وصفه ابن بليهد « بجسور الخطو » فوصفه : بالقوة ، والجرأة فى السير فى البيت الأول .

(١) ديوان الفرزدق ٢ : ٣٢٩ - دارصادر - بيروت (١٣٨٠ هـ ١٩٦٠) .

٤ - وكلاهما خاطب الذئب في صورة تشخيصية ، جعلاً فيها الذئب وكأنه انسان يفهم الخطاب ويعيه ، وهذا أسلوب في شعر العرب كثير ، بلغ استحسانهم له أن تجاوزوا فيه الحيوان الى الجماد ، فكما خاطبوا الذئب ، والحصان ، والكلب ، والجمال خاطبوا كذلك : الرمح ، والسيف ، والجبل والوادي ، وأطلال الاحباب ونحو ذلك .

غير أنك تحس خوف الفرزدق من الذئب ، في مبادرته الى اطعامه ، ودعوته الى ناره واستصحابه في الأبيات ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .
أما ابن بليهد فانه لم يبين في أبياته خوفه من الذئب ، وانما بادر الى صده عما أراد ، وأيئسه من أن يطمع فيما بين يديه ، فلم يعطه شيئاً ولم يدعه الى صحبتته ، وانما وعده بفضل طعامه ، فان هو لم يرض بذلك أطعمه سيفه ورمحه ، أنظر الابيات من ٩-١٢ .

٥ - وكلاهما وصف تهيوؤ الذئب للانقضاض وشهوته للافتراس ، من خلال وصف حركاته المنبئة بذلك .
غير أن الفرزدق وصف ذلك في كلمتين هما : « دنا ، تكشر » في البيتين ٢ ، ٤ .

أما ابن بليهد فقد وصف حركاته في بيتين هما ٤ ، ١٣ . وصف فيها فكه وأنيابه ونظراته وتمطيه .

- واذا كان الفرزدق قد خاف الذئب فاستعد له ، بأن خاطبه ويده على قائم سيفه البيت/ ٤ ، فان ابن بليهد قد أبان عن تأهبه له واستعداده لمنازلته ، بتقريب سيفه وعصاه وتحين الفرص المناسبة ، ذلك في البيتين ٨ ، ١٥ .

٧ - وكلاهما ذكر شيئاً من خلال الذئب وخصاله ، فقد وصفه الفرزدق : بالغدر ، وأنه كأنما أرضع واياها بلبن واحد ، وذلك في البيت/ ٦ .

أما ابن بليهد فوصفه في البيت ١٣ بالمخادعة والمخاتلة ، وأنه في تمطيه وتثاؤبه يتظاهر بالفتور ، أو الغفلة وهو إنما يتأهب للانقضاض .

(ما امتاز به كل واحد منهما)

الفـرزـدق :

أ - وصف الفرزدق لون الذئب بأنه أطلّس (وأطلّس عسال) أي بياضه قد أشرب بالسواد حتى جاء أغبر اللون ، وبلونه تشبه العرب الوجه الكالح والأديم الكالح ، بينما ضرب ابن بليهد صفحا عن ذلك ، ولعله قد ألف لون الذئب فلم يعد يثير الانتباه فيه .

ب - وتمتاز أبيات الفرزدق بالقوة والمتانة ، وفيها ما هو من شواهد القائلين بأن شعر الفرزدق قد حفظ ثلث اللغة ، كفصله بين الموصول وصلته بالمنادى وحرف النداء في قوله :

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان .

على أن في بعض أبياته اختلافا في الرواية ، لم نشأ التفصيل فيها (كأسوى الزاد) فقد رويت (أقد الزاد) وقوله : (فان واثقتني) وقد رويت (عاهدتني) وقوله : (كانا أرضعا) فقد رويت (كأن قد أرضعا) .

ج - وغني عن القول : أن لغة الفرزدق وأسلوبه معرقان في الأصالة والفصاحة ، ولم لا وقد وصف شعره بحفظه ثلث لغة العرب ؟ .

د - وتبدو خلال العرب وسجاياهم - التي من أبرزها إكرام الضيف - في أبيات الفرزدق ، حين دعا الذئب الى مشاركته في طعامه ، فكأنه بذلك يريد أن يفخر بكرمه ، وأنه يتجاوز الانسان الى الحيوان .

ابن بليهد :

أ - وأول ما نلاحظه في قصيدة ابن بليهد ، انه فصل - الى حد ما - بعض أوصاف الذئب ، فقد ذكر منها تسع صفات هي : جسارة خطوه ، وأنه يمشي كمشيّة المختال ، وأن صوته يجرجر في جوفه ، وأنه يحرك فكه يمينا وشمالا ، وأن نابه كالنصل ، وأن نظراته تشبه جمر الغضاة ، وأنه يقسمها بين ابن بليهد وناقته ، وأنه

شرس الطباع وأنه يتمطى كالمستيقظ من النوم ، ويرخي فكه كمن يتشاءب غدرا منه واحتياالا ، تسع صفات ذكرها ابن بليهد في أبيات ستة هي من ١ - ٥ ، البيت ١٣ بينما لم يذكر الفرزدق من صفات الذئب الا أربعا .

ثم ان الصورة التي أعطاها ابن بليهد للذئب ، تجعلك تتمثل شخصه أمامك في حركاته وسكناته ، بينما لم يعطنا وصف الفرزدق سوى اللون ، وحركته في المشي ، وتكشيره ، وغدره ، وقد يشفع له في هذا أن أبياته كانت مقدمة لقصيدة ولم يكن وصف الذئب هدفا له ، وذلك خلاف ابن بليهد الذي قصر قصيدته على الذئب وحاله معه .

وقد يقال : ان غرض الفرزدق الأصلي هو وصف الذئب ، اذ هو السبب الذي دعاه الى نظم القصيدة ، وأن ما بعده امتداد أو استطراد ، وحينئذ يكون الحكم لابن بليهد بالسبق في التفصيل والتصوير ، ويكون قول الفرزدق دون ما فصله ابن بليهد .

ب - ولم تكن لغة ابن بليهد ، كما لم يكن أسلوبه بأقل مستوى مما كان عليه ذلك لدى الفرزدق ، وهذا أمر طبعى اذا نحن أخذنا فى الاعتبار ترسم ابن بليهد لخطا السابقين ومحاكاتهم ، والنسج على منوالهم ، وهذا ما جعل شعره يدنو كثيرا من أساليب أولئك الفحول السابقين ، لولا ما وقع فيه من اللحن حين الحق التاء بالعصا في البيت ٨ ، وليست هذه من ضرورات القافية المغتفرة ، وهو لحن قديم ، روي عن الفراء أنه قال : « أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي » (١) .

ثم أنه أخطأ في المثل حيث قال : (تلين حصاتي) والمعروف في ذلك (تلين قناتي) ثم حذفه لهمزة (عباتي) ثم بعد مرجع الضمير في قوله (بقدرته) فان مرجعه لفظ الجلالة في البيت الثالث قبله ، والابيات ٦ ، ٧ ، ٨ وهذه ان أمكن قبولها على

(١) أقرب الموارد فى فصيح العربية الشوارد - ٢ : ٧٩٢ - سعيد الخورى اللبناني - مطبعة مرسيلى اليسوعية - بيروت ١٨٨٩

نحو من التفسير المقبول كالضرورة مثلا ، الا أنه لو سلم منها
لكان أجود وأجمل .

ج - وابن بليهد أطول نفسا في وصف الذئب من الفرزدق ، اذ تبلغ
أبيات قصيدته « ١٨ » بيتا ، بينما أبيات الفرزدق
« ٨ » أبيات .

د - كما أن ابن بليهد الى جانب وصفه للذئب ، وصف حاله عند
مجيئه اليه على نحو لا نجده في أبيات الفرزدق .

صور بيانية :

أ - إذا كان الفرزدق قد استعار الضحك لتكشير الذئب ، على نحو
تدنو فيه الاستعارة من التشبيه ، حتى فقدت الصورة كثيرا من
جمالها ، فان ابن بليهد قد أبدع فيما أتى به من الاستعارات
خذ مثلا قوله :

علمت بأن الحرب بيني وبينه
على كف شيطان دعاني ، هات

انه يستعير الحرب لما بينه وبين الذئب ، من عداوة وصراع
مترقب ، اذ الحرب انما تكون بين بني الانسان .

ثم أنظر قوله : (على كف شيطان دعاني) : ألا ترى معي أنه
تصوير رائع للحال القائم بينه وبين ذلك الوحش بأبداع ما تكون
أساليب البيان ، ثم أنظر استعارته - الثأوب - لفتح الذئب
فمه ثم استعارة الغضا لما يتراءى للناظر الى عين الذئب من
لون يتقادح كالشرار أو يتلظى كالجمر .

ب - واذا كان الفرزدق - قد أحسن حين شبه الذئب والفدر . في
اقترانهما بأخوين أرضعا بلبن واحد ، فان ابن بليهد لم يقصر
حين شبه ناب الذئب بنصل فاتك ، كما شبهه في مشيته بالمختال ،
ومهما يكن من أمر فان الناظر في النصين لا بد من أن يلحظ

الاجمال في المعاني والمرور العابر على الصور لدى الفرزدق ، بينما
يجد شيئاً من التفصيل والتأني عند ابن بليهد .

ومرد ذلك الى أن الفرزدق لم يستهدف وصف الذئب غرضاً ،
وانما أخذه مقدمة لقصيدته ، بينما كان وصف الذئب عند ابن بليهد
هو الغرض المقصود .

ثم أن ابن بليهد كان محتدياً للفرزدق وناظراً لمعانيه عند نظمه
قصيدته ، وهذا يوجب على المحتدي أن يتوخى التفصيل والزيادة على
ما أتى به المحتدى .

من هنا جاءت اجادة ابن بليهد في كثير من الصور والمعاني التي
أسلفنا عرضها .

(الموازنة الثالثة)

« بين ابن بليهد وابن عثيمين » (١)

من الشعراء الذين تتلمذ عليهم ابن بليهد وأعجب بهم الشيخ محمد بن عثيمين ، بل نستطيع أن نقول : ان ابن عثيمين - الشاعر الوحيد الذي استشهد ابن بليهد بشعره في أكثر من موضع في كتبه وديوانه ، وكان يصفه بالشاعر الكبير ، وتنم كلماته عنه على قلتها عن اعجاب به وتقدير له .

(١) ينتمي الشيخ محمد بن عثيمين الى قبيلة الدواسر ، احدى قبائل نجد الواسعة الانتشار ، وقد ولد عام (١٢٧٠هـ - ١٨٥٣ م) بقرية السلمية ، من اقليم الخرج بنجد ونشأ بها يتيما عند أخواله ، حيث تعلم القراءة والكتابة ، على الطريقة المعروفة اذ ذاك ؛ ثم أخذ في طلب العلم على بعض العلماء في عصره ، وفي طليعتهم الشيخ عبدالله بن محمد الخرجي قاضي السلمية ، ومن اخذ عنهم علامة نجد . . الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - وكان اذ ذاك بقطر ، ومنهم الشيخ حمد بن عتيق بالافلاج بنجد ، وأحمد الجباني بعمان .

وكان عهد الشاعر عهد فتن ، فلم يستقر به المقام اول حياته ، فطاف الكثير من البلدان داخل الجزيرة ، طالباً للعلم والمال والأمان ، واتصل في أثناء تطوافه بكثير من العلماء والأمراء ، مثل الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر وابنه علي ، وقد حظي عندهم بمرتبة النديم الخاص ، لما اشتهر به من علم وأدب وقرض للشعر ، خاصة بالعامية .

ثم اشتغل بتجارة اللؤلؤ ، فتنقل لذلك بين قطر والبحرين ، وربطته بالشيخ عيسى بن علي أمير البحرين وابنه محمد صلات متينة ، فقرباه وأكرمهم ووجد منهما خير معين ، حينما اشتدت به الضائقة المالية ، وفيهما قال أقدم شعره الفصيح .

وحينما فتح الملك عبد العزيز الاحساء عام (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م) وفد عليه الشاعر ومدحه ، فأجزل له العطاء ثم ان الشاعر أعجب بما أضفاه الله من ظلال الأمن الوارف على البلاد على يد الملك عبد العزيز ، فعزم على الاستقرار بنجد ، واتخذ من موطن آبائه وأجداده «حوطة بنى تميم» مقراً تنطلق منه قصائده في الملك وابنه سعود ، فيجزلان له في الهبات والعطايا الى أن تقدمت به السن ، فترك قول الشعر قبيل وفاته بثمانى سنوات ، وانقطع للعبادة الى أن توفي - رحمه الله - عام (١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م) عن ثلاثة وتسعين عاماً ، تاركاً وراءه ذكراً محموداً وسيرة عطرة ، وجيلاً أيقظ فيه روح الأدب وشعراً مبثراً جمع بعد وفاته ، بأكثر من عشرين عاماً ، وشعر ابن عثيمين شعر جمع بين طلاوة الجديد ، وجلال القديم =

ويلتقي الشاعران في كثير من الامور : فكلاهما من نجد ، وكلاهما نشأ يتيماً ، وكلاهما اشتغل بالتجارة وجاس من أجلها خلال جزيرة العرب ، غير أن تجوال ابن عثيمين كان في شرق جزيرة العرب ، أما ابن بليهد فقد جاس خلال جزيرة العرب شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .

وكلاهما قصر مدحه على الملوك والامراء ، ونادهم . غير أن ابن بليهد لم يمدح سوى ملوك آل سعود ، أما ابن عثيمين فالى جانب مدحه لهم مدح أمراء آل ثاني حكام قطر وآل خليفة حكام البحرين . وكلاهما كان مقلداً في شعره للأقدمين ، كما أن كليهما نظم بالفصح والعامي . غير أن ميدان الغرض كان لدى ابن بليهد أرحب ، فقد نوع فيه أكثر من ابن عثيمين الذي قصر شعره - أو بعبارة أصح - الموجود من شعره - على المدح والتهنئة والثناء . والتقاؤهما في كثير من المعاني والألفاظ كثير جداً ، وسنوازن بينهما في قصيدتين من شعرهما .

نص القصيدتين :

قصيدة ابن بليهد : (١)

١ - دعتك طيبة فانهض وانتبه ، وأجب

سر وأجنب الخيل خلف الانيق النجب

٢ - شمر بعزمك وأجذبها ململمة

خضر الكتائب اذ تغني عن الكتب

٣ - واجعل مدادك من هام العدى علقا

بالمشرفية والهنديّة القضب

٤ - لقد ظفرت بأوصاد الديار كما

أجزت واديهها بالجفل اللجب

= واغراض شعره تدور حول : والمد والتهنئة ، والثناء ، خلا قصيدة واحدة نظمها فيمن عاب كتب الشيخ ابن محمان .

وفي كتابنا - «الأدب الحديث في نجد» حديث عن شعره فيه نوع من التفصيل من ص ٣٢ - ٥٠ .

وانظر ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد رسالة دكتوراه اعدّها عبد العزيز ابراهيم الفريج (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) .

(١) ابتسامات الأيام ص ٩٠ .

- ٥ - والناكبون عن السمحاء قد رغبوا
في شر منقلب عن خير منقلب
- ٦ - لا ترحم الأشأم المنحوس طائره
لقد تآزر واستردى من العطب
- ٧ - واصفح وأمن شعوب العرب كلهم
تبقى شقاوتهم في ذلك الشعب
- ٨ - اتبع بسيفك ما جاء الكتاب به
ولا تسل عن بنى حمالة الحطب
- ٩ - واسلك سبيل رسول الله قد سلكت
به الخلائف أهل الصدق والأدب
- ١٠ - وانصر شريعة خير المرسلين وقد
يقيم ناصرها في أشرف الرتب
- ١١ - يزول عنها الأذى جهرا اذا ضحكت
بيض الصوارم بين البيض واليلب
- ١٢ - ان شئت فاندب ذوى الهيجاء قد نفرت
لأمرك العرب من صنعا الى حلب
- ١٣ - جيشا وخيلا وأبطالا غطارفة
هم الذخيرة للهيحاء والنوب
- ١٤ - وأشدد بعزبك حزب المسلمين وقم
بفعلك المرتضى في نهج خير نبى
- ١٥ - واذكر معارك أيام أقمت بها
سوقا وأضمرت نار الحرب باللهب
- ١٦ - أوقدتها جثث الأعدا اذا اضطرمت
قصدا الى الله لا قصدا الى السلب
- ١٧ - اذا تأملت ما سددت من خلل
شكرت سعيها وما أدركت من أرب

١٨ - وتطمئن بك الأوطان ان فزعت

من صوت منتدب في قلب مرتعب

١٩ - ذكرى مشاهدكم في كل ناحية

تنسى معارك بين العجم والعرب

٢٠ - وقد تحمل من أم القرى عصب

ساروا بهمتك العليا الى عصب

٢١ - غدا بهم شد قميات اذا بعثت

تحدى لأمركم بالسوط والعقب

٢٢ - لا تتخذ غير أطراف القنا خدنا

فوقها غير وقع الحبر والخطب

٢٣ - ان شئت فأذن لها في أي ناحية

لأنها عرضة الطلاب للطلب

٢٤ - فكم أخذت مقاليد الامور بها

على القبائل في الخالي من الحقب

٢٥ - فالآن فزت بأمر الله واعتدلت

فقر عيننا بما أملتته وطب

٢٦ - نفسا فقد طلعت شمس الهدى وبدت

على الحجاز بأمر الله لن تغب

٢٧ - ملأت سبلهم أمنا ومذنبهم

عفوا وقد سلموا من خطة الغضب

٢٨ - وان طيتك الكبرى معلقة

في أحمر النقع لا في أحمر الذهب

٢٩ - ان تدعنا للوغى لبيك قاطبة

نمشي اليه ولو حبوا على الركب

٣٠ - لا يدرك المجد الا من تبلغه

هواجس النفس بين السبعة الشهب

- ٣١ - وأنت أثبت من ثهلان منفردا
في خطة الحرب أو في المسلك الصعب
- ٣٢ - لأن نشأتك الأولى مؤسسة
في دوحة المجد لا في اللهو واللعب
- ٣٣ - وسرت سيرتك الحسنى وقمت بها
بالصدق والعدل لا بالزور والكذب
- ٣٤ - فان قليت فاما حاسد لعبت
به البطالة والبغضا بلا سبب
- ٣٥ - أو مارج أشر في قلبه مرض
كدمنة الجرب لا تخلو من الجرب
- ٣٦ - كأنه : لم يفق من غيه : حجر
لم يبصر الحق أو من جامد الخشب
- ٣٧ - لقد بلغت من العلياء أرومتها
بالمجد والفضل والانصاف والنسب
- ٣٨ - فظلت كالبدر لا تخفى مطالعه
ان كنت محتجبا أو غير محتجب
- ٣٩ - مهلا بنى العرب هذا غير متهم
يذود كل أذى عن حوزة العرب
- ٤٠ - عبد العزيز بنى العلاء لكم
وثبت البيت بالأعماد والطنب
- ٤١ - يدافع النكبات الكدر دونكم
وكان كالغيث لا كالبارح الترب
- ٤٢ - لم نعصه أبدا فينا وطاعته
حق ومن لم يطعمه اليوم لم يصب
- ٤٣ - ان يرضها ففدا نشدد ركائبنا
يحدو بها كل شهم فاتك حرب

- ٤٤ - شد الركائب مزجاة الى حرم
فيه النبي وفيه أفضل الصحب
- ٤٥ - بعد الصلاة لرب العالمين به
سلم على المصطفى بالمنطق العذب
- ٤٦ - واسئل الهك لا تسأل سواه فما
يفنى عن الخالق المخلوق في الطلب
- ٤٧ - ثم الصلاة على الهادى وشيعته
ما هل ودق على الزيزا من السحب
- ٤٨ - والآل والصحب ما ناح الحمام وما
تمزق الريح في العالى من الكشب

قصيدة ابن عثيمين : (١)

- ١ - العز والمجد في الهندية القضب
لا في الرسائل والتنميق للخطب
- ٢ - تقضى المواضى فيمضى حكمها أما
ان خالج الشك رأى الحاذق الأرب
- ٣ - وليس يننى العلاء لاندى ووعى
هما المعارج للأسنى من الرتب
- ٤ - ومشمعل أخو عزم يشييعه
قلب صروم اذا ما هم لم يهب
- ٥ - لله طلاب أوتار أعد لها
سيرا حثيثا بعزم غير مؤتشب
- ٦ - ذاك الامام الذى كادت عزائمه
تسمو به فوق هام النسر والقطب

- ٧ - عبد العزيز الذي ذلت لسطوته
شوسى الجبابر من عجم ومن عرب
- ٨ - ليث الليوث أخو الهيجاء مسعرها
السيد المنجب ابن السادة النجب
- ٩ - قوم هم زينة الدنيا وبهجتها
وهم لها عمد ممدودة الطنب
- ١٠ - لكن شمس ملوك الأرض قاطبة
عبد العزيز بلا مين ولا كذب
- ١١ - قاد المقانب يكسو الجو عثيها
سماء مرتكم من نقع مرتكب
- ١٢ - حتى اذا وردت ماء الصراة وقد
صارت لواحق أقراب من السغب
- ١٣ - قال النزال لنا في الحرب شنشنة
نمشى اليها ولو جثيا على الركب
- ١٤ - فسار من نفسه في جحفل حرد
وسار من جيشه في عسكر لجب
- ١٥ - حتى تسور حيطاننا وأبنية
لولا القضاء لما أدركن بالسبب
- ١٦ - لكنها عزمة من فاتك بطل
حمى بها حوزة الاسلام والحسب
- ١٧ - فبيت القوم صرعى خمر نومهم
واخرين سكارى يابنة العنب
- ١٨ - في ليلة شاب قبل الصبح مفرقا
لو كان تعقل لم تملك من الرعب
- ١٩ - القيتها فى هزيع الليل فامتخضت
قبل الصباح فألقت بيضة الحقب

- ٢٠ - كانوا يعدونها نحسا مذممة
والله قدورها فراجة الكرب
- ٢١ - صب الاله عليهم سوط منتقم
من كف محتسب لله مرتقب
- ٢٢ - في أول الليل في لهو وفي لعب
وآخر الليل في ويل وفي حرب
- ٢٣ - الله أكبر هذا الفتح قد فتحت
به من الله أبواب بلا حجب
- ٢٤ - فتح تخرج هذا الكون نفحته
ويلبس الارض زى المازج الطرب
- ٢٥ - فتح به أضحت الأحساء طاهرة
من رجسها وهي فيما مر كالجنب
- ٢٦ - شكرا بنى هجر للمقرنى فقد
من قبله كنتم في هوة العطب
- ٢٧ - قد كنتم قبله نهبا بمضيعة
ما بين مفترس منكم ومستلب
- ٢٨ - روم تحكم فيكم رأى ذى سفه
أحكام معتقد التلث والصلب
- ٢٩ - وللأعاريب في أموالكم عبث
يمرونكم مرى ذات الصنو فى الحلب
- ٣٠ - وقبلكم جن نجد واستطير به
فماذه بشفار البيض واليـلب
- ٣١ - شوارد قيدتها صدق عزمته
فظلن يرفسن بعد الوخد والخب
- ٣٢ - ملك يؤود الرواسى حمل همته
لو كان يمكن أرقتـه الى الشهب

- ٣٣ - ويركب الخطب لا يدرى نواجهه
تفتقر عن ظفر في ذاك أو شجب
- ٣٤ - اذا الملوك استلنوا الفرش واتكؤوا
على الأرائك بين الخرد العرب
- ٣٥ - فضي المواضى وفي السمر اللدان وفي الـ
جرد الجياد له شغل عن الطرب
- ٣٦ - يا أيها الملك الميمون طائفة
اسمع هديت مقال الناصح الحذب
- ٣٧ - اجعل مشيرك في أمر تحاوله
مهذب الرأى ذا علم وذا أدب
- ٣٨ - وقدم الشرع ثم السيف انهما
قوام ذا الخلق في بدء وفي عقب
- ٣٩ - هما الدواء لأقوام اذا صمرت
خدودهم واستحقوا صولة الغضب
- ٤٠ - واستعمل العفو عن لا نصير له
الا الاله فذاك العز فاحتسب
- ٤١ - واعقد مع الله عزما للجهاد فقد
أوتيت نصرا عزيزا فاستقم وثب
- ٤٢ - وأكرم العلماء العاملين وكن
بهم رحيمًا تجده خير منقلب
- ٤٣ - واحذر أناسا أصاروا العلم مدرجة
لما يرجون من جاه ومن نشب
- ٤٤ - هذا وفي علمك المكنون جوهرة
ما كان يغنيك عن تذكير محتسب
- ٤٥ - وخذ شوارد أبيات مثقفة
كأنها درر فصلن بالذهب

- ٤٦ - زهت بمدحك حتى قال سامعها
الله أكبر كل الحسن في العرب
٤٧ - ثم الصلاة وتسليم الاله على
من خصه الله بالأسنى من الكتب
٤٨ - المصطفى من اروم طاب عنصرها
محمد الطاهر بن الطاهر النسب
٤٩ - والأل والصحب ما ناحت مطوقة
وما حدا الرعد بالهامى من السحب

(الموازنة بين النصين)

في عام (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) • مدح ابن عثيمين
الملك عبد العزيز بأولى قصائده فيه ، وذلك بعد ما تم له فتح الأحساء •
وفي عام (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م) • مدح ابن بليهد
الملك عبد العزيز بأحدى قصائده ، وذلك حين أعلنت المدينة المنورة
استسلامها له •

ولقد حاكى ابن عثيمين في قصيدته أبا تمام ، في مدح المعتصم
حين فتح عمورية ومطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد والعب
بيض الصفائح لاسود الصفائف فى
متونهن جلاء الشك والريب

والمثل يقول : « السارق من السارق كالوارث من أبيه » •

ولقد حاكى ابن بليهد ابن عثيمين في قصيدة حاكى فيها
أبا تمام ، فجاءت قصيدة ابن بليهد كحلة استعيرات من مستعير لها
لبسها صاحبنا مهلهلة النسيج •

ولو أنه رجع الى المصدر الأول ، أو جانب المحاكاة لوجد طريق
الاجادة أرحب .

(ما اشتركت فيه القصيدتان)

١ - وأول ما يقابلنا من ذلك :

اطراح الشاعرين للمقدمات وأخذهما في الغرض مباشرة ، وهما
وان كانا يكثران من المقدمات في قصائدهما ، الا أن لهما الكثير
من القصائد المشبهة لهاتين من حيث اطراح المطالع .

ثم التقاؤهما في الوزن وحرف الروى ، اذ كلتاهما من بحر
البسيط وحرف الروى الباء المكسورة .

٢ - يقول ابن عثيمين في البيتين ١ ، ٢ أن السيف والرمح هما اللذان
يفصلان الخطاب فى الحـرب ، حين يخالـج الشـك رأى
الحاذق الأريب .

ويأخذ هذا المعنى ابن بليهد ، فيمدده في خمسة أبيات هى :
٢ ، ٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ينصح فيها بمدوحه بأن يشمر عن
ساعد عزمته ، ويدفع في سبيل هدفه بالجيوش المشبهة للبحر في
كثرتها المنجزة بقوتها مالا تستطيع الكتب انجازه ، فصفحات
النصر انما يكون مدادها دماء هام الأعداء ، وأقلامها السيوف
والرماح التي هي نعم الصاحب ، ولأنها تنجز ما لا تنجزه الكتب
والخطب ، وهي - أي الجيوش - برجالها وعتادها متأهبة لتلبية
الطلب ، اذا ما أراد المدوح ذلك ، وانما تؤخذ المقاليد بها .

فأنت ترى أن ابن عثيمين قد أوجز المعنى في بيتين دون أن
يعتريهما الخلل ، وذلك هو نفس المعنى الذي سبقهما عليه
أبو تمام في بيتيه السالفي الذكر ، وأتى به ابن بليهد مفصلاً
في خمسة أبيات ، لا ترى فيها فضل زيادة على ما أتى به أبو تمام
وابن عثيمين .

٣ - ويمدح ابن عثيمين الملك عبد العزيز في الأبيات من ٦ - ١٠ -
 فينضدد له من الصفات والخلال ما عهدناه لدى مادحي الزعماء
 والقادة في القديم ، فيصفه بمضاء العزيمة والقوة ، حتى انقادت
 له رقاب الجبابرة من العرب والعجم ، لأنه ليث الليوث وقرين
 الحرب وبطلها ، ولأنه سسيد ونجيب من سادة النجب ، ولأنه
 وأجداده زينة الحياة الدنيا ومجلى سرورها ، وهم فيها كالعمد
 من البيت ، ثم يثنى عليه بأنه أفضل الملوك ، لكن ابن عثيمين حين
 يبالغ يحجز مبالغته كعادته في الكثير من شـعره ب (كاد)
 وما شابها ، وهو في هذا يشبه شاعر الحكمة الجاهلي زهير بن أبي
 سلمى في استعمال مثل هذا - أما ابن بليهد ، فانه يثنى على الملك
 عبد العزيز في الابيات ٣٢، ٣٣، ٤٠، ٤١ بمنشئه الطيب النابذ
 للهو واللعب تعلقا والتزاما بالخلال التي نشىء عليها ، لذا فهو
 يحرص على التزام السيرة الحسنة في صدق واخلاص ، ثم يلتفت
 الى الشعب وهو يمدح الملك ، فيذكره بأن عبد العزيز هو الذي
 بنى له بيت المجد ، وأنه يدافع عنه النكبات ، ثم هو له بمنزلة
 الغيث للأرض .

٤ - ويمدح الشاعران بساط مدحهما على جيش الممدوح ، فيصور
 ابن عثيمين في الابيات من ١١ - ١٥ نقع سنابك الخيل بالسحاب ،
 ويقول : ان الخيل والابل من طول المسير ضمرت واشتد طلبها
 للطعام والشراب ، لكن قائد الجيش يلح على المسير ولو حبوا على
 الركب ، وفي ذلك ما فيه من التعبير عن قوة العزيمة والاصرار
 على بلوغ المراد ، ولذا فانه في نفسه جيش يسير مع جيشه اللجب ،
 وبهما بلغ المرام .

أما ابن بليهد فلم يبلغ في ثنائه على الجيش مبلغ صاحبه وانما
 أتى بذلك مزقا في أبياته كالبیت / ١٣ .

٥ - ومدح الممدوح يجر عادة الى التعريض بأعدائه وذمهم ، ومثل
 ذلك صنع الشاعران ، فذمهم ابن عثيمين في الأبيات ١٧، ٢٢، ٣٩
 بالسكر والنوم ، وبأنهم أهل لعب ولهو ، وأهل طغيان وجبروت .

أما ابن بليهد فقد وصفهم في بيتيه ٥ ، ٦ بالضلال والتنكب عن طريق الشرع وبالشؤم والنحس ، فأنت ترى أن النظرة الى الدين عندهم تتدخل حتى في الهجاء والسياسة .

٦ - ويثنى الشاعران على المدوح بانتصاراته العظيمة ، غير أن ابن عثيمين في بيته ٣١ يأتى بها في صورة بيانية رائعة ، يرى فيها الممالك والأقاليم وكأنها شوارد قيدها المدوح ، وهي إحدى الصور البدوية الكثيرة في شعره .

أما ابن بليهد ، فيأتى بها في صورة الخبر ، الذى لا تكلف فيه ولا تعمل الا أنه خال من الصورة الجمالية ، التي رسم مثلها لنا ابن عثيمين في بيته المشار اليه سلفا .

يقول ابن بليهد موجه الخطاب للملك عبد العزيز : لقد ظفرت بأودية البلاد (وأوصادها) أي المنازل التي بنيت في الجبال ، ويريد بذلك أنه ظفر بالبلاد أجمع ، وأن وسيلته في ذلك كان جيشه اللجب ، المشبه للبحر في كثرتة واندفاعه .

٧ - وعلو الهمة وبعد المطمح ، وركوب الصعب والذلول في سبيل الوصول الى ذلك ، من الامور التي يمدح بها السادة والقادة ، غير أن شاعرينا عبرا عن ذلك ببعض الوسائل الموصلة الى الغايات ، التي يطمح لها آرباب الهمم العالية .

فيقول ابن عثيمين في البيت ٣٥ : أن في السيوف والرماح والخيال المضمرة ، شغلا للممدوح عن اللهو والطرب .

ويقول ابن بليهد في البيت ٢٨ أن نية المدوح وعزيمته ، معلقة في حمرة الدماء التي تريقها سيوفه من هام الأعداء ، لا في حمرة الذهب ، والنقع ، هو الغبار المنعقد على رؤوس الأبطال من وقع سنابك خيلهم ، فلعله أراد أن الغبار قد شرب من دم الأعداء قبل ارتفاعه ، فصار كالسحابة الحمراء فوق رؤوس المقاتلين ، وفي أحمر الذهب تعبيرا مجازيا عن المال ومتاع الحياة .

٨ - وبلوغ المعالي هدف أولي الهمم العالية والنفوس الكبيرة ، وأدوات ذلك كثيرة ويضيف ابن عثيمين في البيتين ٣ ، ٤ منها الى المدوح الكرم والشجاعة والقلب ، الذي كالسيف في صرامته ومضائه •

أما ابن بليهد فانه فى البيت ٣٧ يضيف الى المدوح منها المجد والفضل والانصاف والنسب •

وليس يخاف ما بين الصورتين من بون شاسع : ان ابن عثيمين يصفه بما يناسب القائد والزعيم ، أما ابن بليهد فلو نقلت بيته الى مدح قاض أو • وال • لاي من الامور لناسبه ذلك ، وهذا مأخذ لا يستهان به •

٩ - وكلا الشاعرين يرى أن حرب الملك عبد العزيز ، كانت فرجا من الله أزال الأذى وفرج الكرب •

يقول ابن عثيمين في البيت ٢٠ : أن الأعداء كانوا يعدون حربه نحسا مذممة ، ولكن الله قدرها تفريجا للكرب •

ويقول ابن بليهد في البيت ١١ : أن الأذى يزول عن الشريعة والأمة حين تلمع السيوف ، بين البيض والدروع تحت ظلام القتام كالثغور المبتسمة •

وهذا المعنى سبق اليه أبو تمام ، وهو منظور فيه عموما الى الآية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (١) •

والصورتان كما تراهما تجريان من حيث الجودة فى حلبة واحدة ، وقد نجنح الى تفضيل ابن بليهد في هذا ، لما أضفاه على عبارته من جمال الاستعارة وبديع الجناس •

وهذا المعنى جاء به شوقي في قوله :
الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقصات دواء

١٠- أما التهنئة فقد فاق فيها ابن بليهد صاحبه .

صحيح أن ابن عثيمين قد ذكر الفتح والانتصارات في الأبيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ذكر أنه فتح من الله تفتحت له أبواب السماء ، وأن شذاه يملأه الأفق وأنه زينة للأرض لما يضيفه على ساكنيها من أمن واستقرار ، وازالة للفساد وتطهير البلاد ، ولكنه لم يشر الى التهنئة الا في بيته ٤١ ، الذي نصح فيه الممدوح بأن يعتقد العزم على الجهاد بعد ان آتاه الله من النصر ما يتمناه . .

وهو في أبياته الثلاثة ناظر الى قول أبي تمام الذي منه :
فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

أما ابن بليهد فقد ذكر التهنئة صراحة في بيته ٢٥ ، ٢٦ ، فقال مخاطبا الممدوح : لقد فزت الآن بما أملت فاعتدلت لك الأمور بأمر الله ، فطب نفسا اذ طلعت شمس الهدى ، التى لن تغيب عن الحجاز ان شاء الله .

١١- وقلما يمدح ممدوح دون أن تذكر همته وعزائمه ، من هنا نجد أن كلا الشاعرين أثنى عليه بهمته العالية ، التى تسمو به الى أعلى المنازل على نحو من المبالغة المعهودة فى الادب العربى .

غير أن ابن عثيمين في البيت ٣٢ قال مستخدما (لو) - على نحو مما أشرنا اليه سلفاً من أنه فى مثل هذه المبالغات شديد الاحتراس : ان همة الملك أعظم من أن تصمد لها الجبال ، وانها لو كان بمقدورها لأسكنته بين الشهب .

أما ابن بليهد فانه يقول في البيتين ٣٠ ، ٣١ : أنه لا يدرك
المجد الا من له من الهمم مثل هممك ، التي تنزل صاحبها
الشهب ، وأنتك في ثبات هممك وعزائمك حيال المسالك الصعبة ،
حربا كانت أو غيرها تشبه الجبال الراسيات .

١٢- أما الحث على العفو والصفح ، فان كثيرا من الشعراء وبخاصة
أيام ابن بليهد وابن عثيمين قلما تخلو منه قصائدهم ، بل كان
تقديم النصيح في مثل هذه الامور ، التي يفترض في القائد أن
يتحلى بها كالعدل والبذل والحزم ونحو ذلك لازمة من
لوازم شعرهم .

وان كان ابن عثيمين قد طلب العفو لمن لا نصير له احتسابا عند
الله في البيت ٤٠ ، فان ابن بليهد لم يكتف بذلك ، بل طلب
الصفح لجميع الناس في البيت ٧ .

واذا كان ابن عثيمين قد فاق ابن بليهد ، في جزالة اللفظ
وشدة الأسر وحسن التأليف ، فان ابن بليهد قد فاقه في رحابة
الصدر وطلب شمول العفو ، على أنه لم يبعد كثيرا في لفظه
وأسلوبه وتأليفه عن مستوى ذلك عند ابن عثيمين .

١٣- واستشعار الأمن بعد الزعازع والقلالقل نعمة كبرى ، يستحق
من تمت على يده أن يمدح ويشنى بها عليه كما تستوجب الشكر
ممن ظللتهم .

واذا كانت البلاد قبل عهد الملك عبد العزيز تعيش من الفوضى
والاضطراب والظلم والاضطهاد ، في حال الحياة فيها جحيم
لا يطاق ، فان ما تم على يد هذا الملك من أمن واستقرار ، حري
بأن يقول فيه ابن عثيمين في الأبيات ٢٦ - ٣٠ مخاطبا
أهل الأحساء .

لقد كنتم قبل عهد الملك عبد العزيز تعيشون في هوة من العطب
استنقذكم منها ، فعليكم أن تقدموا الشكر على ذلك ، فقد أمنكم ونشر
في ربوعكم الاستقرار ، بعد أن كنتم فرائس تتناهبها أهواء الأعداء

الروميين ، الذين حكموا فيكم آراء طوائف المسيحيين ، ثم الأعراب الذين اتخذوكم كالحلوبة يمرون ثديها متى شاءوا وكيف أرادوا ، فعهد نعمة حظيت بها نجد من قبلكم ، ثم مد الله أفياءها على الاحساء •

ويأخذ هذا المعنى ابن بليهد ، فيجمله في بيتيه ١٨ ، ٢٧ ، فيقول : أن الأوطان قد اطمأنت بك بعد أن حل بها الفرع من عبث العابثين ، فجئت لتملاً سبلها بالأمن وتشمل المذنب بالعفو •

فأنت ترى أن ابن بليهد على الرغم من إيجازه المعنى في بيتين ، ذكر عفو المددوح عن المذنب إلى جانب ما شاع على يده من أمن واستقرار ، بينما لم يرد للعفو ذكر أبيات ابن عثيمين الخمسة •

ما امتاز به كل واحد منهما :

وكما اشتركا في كثير من المعاني انفرد كل واحد منهما بأمور ، صحيح أن ابن بليهد في معانيه كان كثير الالتقاء بمعاني ابن عثيمين ، شأن كل متعاصرين ، غير أن الذي يعنينا هنا ما تشتمل عليه القصيدتان اللتان هما موضع الموازنة •

وينفرد ابن عثيمين بأمور أهمها :

١ - متانة النسيج ، وقوة الحبك والاداء ، والتحام المعاني والتراكيب ، ثم متانة اللغة وتماسك الأسلوب واتساقه في نمط واحد ، من أول القصيدة ، حتى آخرها بحيث لا يفضل بيت بيتا ، كما هو شأن الكثير من شعره رحمه الله •

٢ - ولابن عثيمين ومضات وصفية لبعض المواقف رائعة ، منها وصفه لليلة الحرب في البيتتين ١٨ ، ١٩ حيث استعار الناصية السوداء الشعر لليلة الحرب ، التي أضاعت السيوف ظلمتها قبل طلوع الفجر ، فكانت كالناصرية التي لمع الشيب في مفرقها ، وأنها من هول ما شهدته ، لو كانت تعقل لما ملكت على نفسها أمرها ، ثم استعارة الناقة التي تلقح فتمخض فتلد للحرب ، ثم استعارة البيضة لما أنتجته •

٣ - ولما كان رجال العلم فى الامة وخطرهم فى التوجيه، فان ابن عثيمين فى الأبيات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ يلفت نظر الممدوح الى أن فى العلماء الصالح المخلص ، وأن فىهم من اتخذ العلم سلما لأهوائه وأغراضه ، وأن على الممدوح أن يفرق بين هذين النوعين ، على أن فى علمه ما يغنيه عن نصيحة الناصح .

٤ - وابن عثيمين فى بيتيه ٤٥ ، ٤٦ لم ينس نفسه وشعره ، فلقد فخر بأن شعره شوارد أبيات قد ثقفت ، حتى جاءت عقدا من الدر المفصل بالذهب ، وما ذاك الا لانها زهت بمدح الممدوح ، حتى كبر سامعها اعجابا بها .

٥ - وحين يعمد ابن عثيمين الى الصورة البيانية ، يجلوها لك رائعة بديعة شأنها لدى المطبوعين من الشعراء المتمكنين من اللغة وأسبابها .

(أ) فهو حين يشبه يقدم لنا مثل تشبيهه فى البيت ١٤ نفس الملك عبد العزيز بالجحفل العظيم ، وفى ذلك التشبيه ما فيه من اكبار نفس ذلك القائد ، حتى أبصر فيها الشاعر جيشا كبيرا ، يسير فى ذلك الجيش الكبير من الأنصار والأعوان .

(ب) ويشبه فى البيت ٣٩ الشرع والسيوف فى نزعهما للشر ، وقضائهما عليه ، بالدواء الذى يكافح به المرض .

على أن هذا البيت قد اشتمل أيضا على استعارة لطيفة فى شطره الثانى ، حيث استعار المرض للصمر وهو التجبر والكبر .

(ج) وفى البيت ٤٥ يشبه أبياته بالشوارد التى قيدها بنظمه .

(د) ويستعير فى البيت ٢/ الحكماء أو القضاة للسيوف ، فيجعلها تقضى فيمضى حكمها أنفذا من رأى الحاذق الأرب حين يساوره الشك .

(هـ) وقد سبقت الإشارة الى بعض استعاراته سلفا ، كالبيت رقم ١٨ حيث شبه ليلة الحرب بالناضية السوداء التي أشابتها الحرب ، وفي البيت ٢٤ حيث شبه أثر الفتح بشذى الزهور وشبه الارض فى فرحها به وتزينها بالممازح الطرب .

(و) وقد يجمع التشبيه والاستعارة معا في بيت واحد ، كاستعارته في البيت ٢٥ المرأة الجنب للأحساء في الشطر الأول ، ثم تشبيهها بها في الشطر الثاني ، ومن ذلك أيضا البيت ٣٩ السابق في فقرة (ب) .

أما ابن بليهد :

١ - فهو وان اشتملت قصيدته على بعض شوارد الأبيات ، فانه في جملتها لا يرقى الى مستوى صاحبه ، ذلك لأن لغته وان كان يحمد فيها القرب ، وفي أساليبه الدنو والوضوح ، الا أنه يصل في ذلك الى حد الابتذال أحيانا ، كقوله : (فانهض وانتبه وجب) وقوله : (ان كنت محتجبا أو غير محتجب) ونحو ذلك مما هو كثير فيما نظم أول عهده بالشعر ، وهو في ذلك يدنو كثيرا من أسلوب أبى تمام في بعض شعره .

٢ - ولدى ابن بليهد من المعانى ما لم يطرقه صاحبه في قصيدته .

(أ) فتفسير كره الأعداء ، على نحو يجعلهم فيه من الضالين المتكبين لسواء السبيل ، معنى انفرد به ابن بليهد فى أبياته ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، فانه يقول موجه الخطأ الى الملك عبد العزيز : ان قلاك وأبغضك أحد من الناس ، فانما هم : اما حاسد دفعه الحقد والبغضاء الى كرهك ، واما فاسق كذاب امتلأ قلبه بالشر ، وما أولئك الا كدمنة الابل الجرباء تعدى ما حل بها من الابل ، أو كالجماد الذى لا يفقه ولذا لم يفيقوا من غيهم .

(ب) ومثل ذلك وجوب طاعة الممدوح والانقياد لأوامره ، الذي مهد له بأبيات نلمس في أولها روح ابن عثيمين في بيته ٢٦ ، ولكنها غير صريحة اذ يقول في الأبيات من ٣٩ - ٤٣ : تمهلوا يا بنى العرب فالملك عبد العزيز ليس بموضع اتهام ، لأنه انما قام لذود الأذى عن حوزة العرب ، حتى أسس ملكا ثابت العمد والأوتاد ، فما هو الا كالغيث في نفع العباد والبلاد ، ولذا فان طاعته حق ، من حاد عنها حاد عن الصواب ، ونحن لم نعصه أبدا ، فمتى ارتضى طريقا من طرق الجهاد سرنا اليه مسرعين ، في جيش فيه كل شهم باسل فاتك .

٣ - أما الصور البيانية ، فان ابن بليهد يمتاز فيها بعنايته بالتشبيه والاكتثار منه ودقة التصوير فيه وفي الاستعارة ، فأبياته في ذلك تعد عنده من الشوارد فانظر من ذلك :

(أ) هذه الصورة في البيت ٣ ، التي صور فيها السيوف والرماح أقلاما ، ودماء هام الأعداء مدادا والملك عبد العزيز يكتب بذلك صفحات نصره .

(ب) وفي البيت ١١ يصور لك لمعان السيوف حين اصطكاكها بالبيض والدروع ، فتلمع تحت قتام النقع كثفر يبتسم .

(ج) وفي البيتين ١٥ ، ١٦ يجلو لك الحرب الضروس ، في صورتين بيانيتين هما في غاية الروعة والجمال ، فهي في الأولى سوق تباع بها الأرواح وتشتري ، وكأنه في ذلك ناظر الى بيت عنتره العبسي القائل :

حصاني كان دلال المنايا

فخاض غمارها وشرى وباع

وفي الثانية نار اضطرم لهيبها وما وقودها الا جثث الاعـداء

(د) وفي البيت ٢٢ يقيم لك الرماح مقام الأخلاء والأخـدان ،
ويقول للملك عبد العزيز : أن أطراف القنا خير خدن •

(هـ) وفي البيت ٣٥ يصور أعداء الملك عبد العزيز ، في صورة
دمن الابل الجرباء ومعاطنها ، لاشتمالهم من الحقد والشر
على ما يتعدى ضرره الى غيرهم ممن يخالطهم ، كدمن ومعاطن
الجرب من الابل تعدى ما يحل بها من الماشية •

أما ختام القصيدتين ، فالصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم —
وتلك سنة جريا عليها في الكثير من شعرهما شأن الكثيرين من
أهل عصرهما •

(الموازنة الرابعة)

« بين ابن بليهد والغزاوي » (١)

من الشعراء المعاصرين لابن بليهد الشاعر الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي ، الذي ربطته بابن بليهد صداقة كان فيها كل واحد منهما موضع إعجاب الآخر ، كما ذكر شاعرنا إبراهيم الغزاوي نفسه ، ولقد روى لي كثيرا مما كان يدور بينهما من أحاديث حول الأدب وسائر شئون الحياة ، وكان ذلك حين يجتمعهما مجلس الأمير فيصل ابن عبد العزيز نائب الملك عبد العزيز في الحجاز اذ ذاك ، أو مجلس الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد ، رئيس القضاة بمكة ، وهو ابن عم صاحبنا وغيرهما من المجالس .

وكان كل واحد منهما يدلي برأيه فيما يقول الآخر من شعر ، متناولا في نقده اللفظ والاسلوب ونحو ذلك .
حدثني إبراهيم الغزاوي قال : (كنا في مجلس الملك فيصل وجر الكلام الى قصيدتي ، التي نظمناها بمناسبة عودة الجيش السعودي من فلسطين التي مطلعها :

(١) أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر يمد في الطليعة من أدباء المملكة وشعرائها ، مدح الأشراف ثم توفر على مدح ملوك آل سعود .
ولد بمكة عام (١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م) . وتلقى العلوم بالمدارس الأهلية بها : (المدرسة الصولتية - المدرسة الخيرية - الفلاح) ودرس على كثير من علماء الحرمين ، ثم ولي كثيرا من المناصب في عهد الملك حسين بن علي ، منها الكتابة في وزارة الأوقاف (١٣٤٤ هـ - ١٩١٥ م) الى غرة محرم (١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م) ، ورئاسة ديوان رئيس القضاة ، وسكرتارية مجلس الشورى .
وفي عهد الحكومة السعودية ولي كثيرا من الاعمال ، فرأس ديوان رئيس القضاة وصار معاون مدير الطبع والنشر ، ثم سكرتيرا لمجلس الشورى ، ثم عضوا فيه ثم نائبا ثانيا لرئيس مجلس الشورى ، ثم نائبا للرئيس ، ولا يزال بهذا المنصب الى الان .
وفي عام (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) حاز لقب شاعر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، كما رأس بعض الصحف كالاصلاح وأم القرى ، ونال كثيرا من الأوسمة والرتب منها وزير مفوض في الدولة السعودية .
ويعد من الشعراء التقليديين ، وله شعر كثير جزل جله مديح ، وأكثره منشور في الصحف والمجلات .

يا موكب الفخر تهنك الأكاليل

مضفرات وبشراك التهاليل

وألقيتها في حفل أقيم بهذه المناسبة في جدة ، فاعترض الشيخ
المرحوم ابن بليهد على بعض أبيات فيها ، منها البيت :

ان الخلود حفاظ والخنى هوس

عاش البواسل وليفن التنابيل

فقد قال ابن بليهد في هذا أن التنابيل في اللغة هم القصار، ولنا
عودة الى هذا ان شاء الله .

ومما التقى فيه الرجلان رثاؤهما للشيخ عبد الله بن سليمان
بن بليهد (١) ، ولالتقاء الشاعرين في كثير من الصفات والمناسبات ،
ولما بينهما من رابطة ، ومعاصرة أثرتنا أن نوازن بينهما في مرثيتيهما
لهذا العالم الجليل .

(١) هو الشيخ عبدالله بن سليمان بن سعود بن بليهد ، أحد علماء نجد المشهورين
ولد ببلدة القرعاء بالقصيم (١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م) وبها نشأ ودرس فـى
مدارسها ، ثم أخذ العلم عن علماء القصيم ، ثم ولي كثيرا من الأعمال : كالوعظ
والارشاد ، والتدريس والقضاء ، ثم مرض فسافر الى الهند للعلاج ، وبها درس
على كثير من علماء المسلمين هناك ثم عاد الى نجد حيث ولي قضاء بلاد شمر
التي قصبتها حائل ، ثم عينه الملك عبد العزيز رئيسا للقضاة بمكة (١٣٤٤ هـ
١٩٢٥ م) ، وكان مندوب الملك في المؤتمر الاسلامي ، الذي عقد بمكة المكرمة
(١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م) ، وكان له فيه جهد كبير ، وبعد عامين أعيد الى
قضاء جبل شمر ، حيث ظل هناك رئيسا للقضاة الى أن توفاه الله بمدينة
الطائف بالعجاز (١٣٥٩ هـ - ١٨٤٠ م) .

ومن مؤلفاته «جامع المناسك في أحكام المناسك ، و الرسالة اللطيفة في الرد
على مدعى الخلافة» .

(نص القصيدتين)

قصيدة ابن بليهد : (١)

- ١ - ما بال عينك منها الدمع ينهمر
كأنه جدول أو مدجن مطر
- ٢ - يرقى ويبعثه الخطب الثقيل وفي
جوانب الخد من تأثيره أثر
- ٣ - جاء البريد وفي أقصى حقائبه
من بعد ما ألقيت أثقاله خبر
- ٤ - تذوب منه قلوب الناس أجمعها
مما أناخ بها لو أنها حجر
- ٥ - اهتز نجد ودار المسجدين وقد
شكا من الحزن فيه البدو والحضر
- ٦ - لو كان فوق جبال العرض تحمله
لأصبحت فوق ظهر الأرض تنتشر
- ٧ - موت الفقيد الذي تبقى مآثره
من كل منقبة تزهى بها الصور
- ٨ - في صدره بحر عذب المذاق اذا
شربت من مائه في مائه درر
- ٩ - أخنى به قدر وافى منيته
حتمًا ومن عاش محتوم له القدر
- ١٠ - مهذب طاهر الأخلاق متكل
على الذي سبحت في عدله البشر

- ١١- فما ذكرت قليلا من صنائعه
ألا بكيت وطال الليل والسهر
- ١٢- من ظن أنك فرد في الزمان فلا
يدري بشيء ولا من ذا الذي قبروا
- ١٣- بدر حملت على أيدي الرجال ولا
أدري بأى مكان يغرب القمـر
- ١٤- عند ابن عم رسول الله فى جدث
والورد فى جنة الفردوس والصدر
- ١٥- فى ذمة الله يا عبد الاله فما
بقى من الدهر الا الهم والكدر
- ١٦- كان حائل لم تشرق جوانبها
بنور علمك والقراء تبتكر
- ١٧- تفدو الى حلق طوبى لحاضرها
فيها الأحاديث والآيات والسور
- ١٨- ولا أقمت بأرجاء القصيم ولا
بثت فيه التي تبقى وتدخر
- ١٩- عقيدة السلف الاخيار منهجهم
من بعدهم سلكته السادة الفرر
- ٢٠- وان ترد الامور المشكلات له
له بها نظرات بعدها نظر
- ٢١- وان تكلم ينقاد الكلام له
ما فى قريحته عي ولا خور
- ٢٢- أبوه عم أبى لكن مصيبتنا
من العظام التى شدت لها الازر
- ٢٣- نبكى بدمعة محزون ألم به
طول السقام فهل برء فينتظر

- ٢٤ - فما لنا غير ثوب الصبر نلبسه
والصبر للناس محمود اذا صبروا
- ٢٥ - فمن رزته سهام الموت في أحد
اذا ليه برسول الله معتبر
- ٢٦ - قد مات سيد تيم عن خلافته
بعد الرسول ومات المرتضى عمر
- ٢٧ - فان بكت مضر المسلمون لهم
تعيش ما بقيت في حزنهما مضر
- ٢٨ - فكل حي وان مد البقاء له
الى الحياة فقد يخنى به الكبر
- ٢٩ - فما تعرج عن حي منيته
اذا انقضى الاجل المحترم والعمر
- ٣٠ - فكل باق يرى فيما مضى عبدا
والدهر فيه لأرباب النهى عبر
- ٣١ - مازال من دولة عن ظل مملكة
ألا يحل على آثارها آخر
- ٣٢ - ما فات شيء من الدنيا وزهرتها
ألا تضمنه التاريخ والسير
- ٣٣ - ثم الصلاة على الهادى وشيعته
والطاهرين الأولى ما أورد الشجر

قصيدة أحمد بن ابراهيم الغزاوى : (١)

١ - في مثلك الصبر عند الله يحتسب
والعلم يفقد والاشجان تصطبخب

(١) مشاهير علماء نجد تأليف عبدالرحمن بن عبد اللطيف دار اليمامة ص
٢٢٩ .

- ٢ - يا ويح كل فؤاد أنت موقظه
أمسى بفقدك في أعماقه يثب
- ٣ - ويا رزيئة هذا النعى في ملا
كأنما الدمع من آماقه عيب
- ٤ - تنهل عبراته حزنا على جدث
فيه السماحة والأخلاق والأدب
- ٥ - ما للجفون أراها فيك دامية
كأنما هي بالاحشاء تنسكب
- ٦ - هيهات أودى الردى في غير ما لجب
بمشمخر من الأطواد ينتشب
- ٧ - حبر من الصفوة الاولى علقت به
فما فتئت أعاني فيه ما يجب
- ٨ - هوى به الموت فى لجى غمرته
فأين لا أين ذاك المدرة الذرب
- ٩ - في ذمة الله ما ألقى به ، وله
من رحمة الله ما نرجو ونرتقب
- ١٠ - ما كان الا جنانا ثابتا ويدا
تشد أزر الهدى والوعد مقترب
- ١١ - تبلو الشريعة فيه حازقا فطنا
من الذين لهم في شملها دأب
- ١٢ - يجيش كالموج أو كالبحر منطقته
ولا تباريه في آفاقه السحب
- ١٣ - تلبه في ضحى الاسلام ألوية
خفاقة وهي في غاراتها خطب

- ١٤ - وفى سويدائه التوحيد مدرعا
حسن اليقين غير (؟) أنه لهب (١)
- ١٥ - اذا انبرى في مجال من مواقفه
حسبت سبحان تجثو حوله الركب
- ١٦ - عجبت للحد هل في اللحد متسع
حتى انزوى فيه رضوى فهو محتجب
- ١٧ - لشد ما ضاقت الدنيا به أبدا
فكيف واره شبر وهو منقلب
- ١٨ - مالى وللندب فيمن خطبه جلل
ومن عليه حدود الله تنتجب
- ١٩ - لا نملك اليوم الا زفرة ورضا
بما قضى الله فيه ثم نحتسب
- ٢٠ - وما قضى من له في ربه أمل
ولا قضى من له في دينه نصب
- ٢١ - فان ذكره في الأعمال باقية
والموت حق وما من دونه هرب
- ٢٢ - فضاغف الله أجر المؤمنين به
في جنة الخلد وليعظم به السبب
- ٢٣ - وعوض الدين عنه خير ما طلعت
عليه شمس الضحى أو غارت الحقب

(١) هكذا ورد فى المصدر السابق ولوانه قال : يقينه حسن لكنه لهب - لاستقام له الوزن .

(ما اشتركت فيه القصيدتان)

١ - تلتقى القصيدتان في أمور عامة أهمها : البحر فكلتاها من بحر البسيط ، وفي الغرض وهو الرثاء ، وفي التعبير عن الشعور بالألم والحزن في فقد الفقيء .

٢ - عموم المصيبة ، فلقد ذكر الشاعران كلاهما ان المصيبة فى الرجل كانت على المسلمين عامة فالغزاوى يقول في الأبيات ٢ ، ٣ ، ٤ أن القلوب التى أيقظتها بعلمك تعليما او وعظا وارشادا تثب فى الصدور من هول ما أصابها بفقدك ، الذى عمت حسرته الملاء ففاضت الدموع من العيون كالبحر المتدفق على جدتك الذى حوى السماحة والأخلاق الكريمة والأدب .

أما ابن بليهد فانه يقول في الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ أن قلوب الناس جميعا قد ذابت من هول المصاب ، وأنها لا تستطيع أن تصمد أمامه حتى ولو كانت كالحجر ، وذلك لأنه مصاب عظيم هز البلاد والعباد جميعا ، حتى أنه من عظمه لو وقع على الجبال الصلبة لهدها .

٣ - وكلاهما وصفه بالخلق الفاضل والصفات الحميدة .
فأما الغزاوى فقد وصفه بالسماحة والخلق والأدب فى الشطر الثانى من البيت الرابع .

وأما ابن بليهد فقد وصفه فى البيتين ١٠ ، ١١ بأنه مهذب طاهر الأخلاق قوى الاتكال على الله ، وأنه صاحب أخلاق فاضلة كثيرة ، لا يذكر القليل منها الا ويقض الحزن مضجعه ، ويسلب الكرى من أجفانه .

٤ - وكلاهما شبهه بالعظيم من المخلوقات :
فالغزاوى فى « بيتيه ٦ ، ١٦ » شبهه بالجبل العالى ، ثم تساءل كيف يحوى هذا اللحد الصغير جبلا عظيما كرضوى ؟ .

أما ابن بليهد ، فقد شبهه في « البيت ١٣ » بالبدر الذي غرب في اللحد ، ولذا فهو في حيرة من أمر غروب هذا البدر ، وكان العهد بالبدر أن يغرب في الأفق ، فهل اختل نظام الكون ، فصار اللحد له مغربا ؟

٥ - والتعزى عند حلول المصيبة أمر مألوف في الرثاء وقد سلكه كلا الشعاعين .

وإذا كان الغزاوي قد تعزى في هذا المصاب - بثلاثة أبيات هي : ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، فاحتسبه عند الله أجرا وثوابا ، لأنه لا يملك رد قضاء الله ، وإنما تقف قدرته عند الحسرة والزفرة والتسليم بالقضاء والاحتساب ، إذ قدم الفقيد على ربه مشبعة روحه بالأمل ، راجية قبول ما قدمته من عمل .

فان ابن بليهد قد تعزى في « سبعة أبيات هي من ٢٤ الى ٣٠ » بدأها بالتسليم للقضاء والقدر ، وأنه لم يعد هناك من سبيل سوى التحلي بالصبر الذي وعد المسلم بالاثابة عليه ، وكيف يجزع الانسان وله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة - فلو كان أحد من الخلق جديرا بالخلود لكان له - عليه الصلاة والسلام - ، ولو كانت القوة تمنع الموت لمنعته عن عمر -رضى الله عنه - وعن سيد تيم وغيرهما من السابقين واللاحقين ، لكن الموت قضاء محتوم ، وطريق لا بد أن يسلكه كل حي حين انقضاء الأجل ، وتلك عبرة يعتبر بها العارفون ، وليس بخاف ما في أبيات ابن بليهد ، من بسط جعله يقدم العظة والعبرة وسبيل التعزي بما أصاب السالفين ، الى جانب اظهار الحسرة ووجوب التحلي بالصبر والاحتساب ، بينما قصر الغزاوي أبياته على الاحتساب والركون الى الصبر الجميل .

٦ - وكلاهما ذكر علمه وما يمتاز به من فطنة وفكر وحذق .

غير أن الغزاوي ذكر ذلك في « البيت ١١ » حيث قال : ان الشريعة خبرته حاذقا فطنا ، داب في حياته على خدمتها ولم شملها .

أما ابن بليهد فقد بسط ذلك في « خمسة أبيات من ١٦ - ٢٠ » ذكر مجالسه واقبال الدارسين عليها ، لأنهم يجدون فيها تفسير آى القرآن الكريم وشرح أحاديث السنة المطهرة ، وأن الفقيد قد بث بوعظه وارشاده في القصيم روحا طيبة ، أشبعت بالدعوة الى الصلاح والرشاد والاستقامة على النهج القويم ، المستمد من عقيدة السلف الصالح ومن نهج نهجهم ، وأنه حين ترد له المشكـكـلات لا يصدر فيها عن رأى مرتجل ، وانما يعيد النظر مرة بعد مرة حتى يتجلى له وجه الصواب .

٧ - وكلاهما ذكره بالفصاحة غير أن الغزاوى بسط ذلك في « أربعة أبيات من ١٢ - ١٥ » أعطى فيها صورة واضحة لفصاحة وبلاغة الفقيد ، فمنطقه يجيش كالبحر فلا تستطيع السحب مجاراته ، ولذا فانت ترى خطبه وكأنها جيوش من حوله ، تندفع في سبيل الاسلام قوية نفاذة ، تحدها عقيدته الصافية و يقينه المتمكن ، فتراه وكأن خطيب الجاهلية « سحبان » أمامك في فصاحته وبلاغته .

أما ابن بليهد فانه أوجز ذلك في بيت واحد « رقم ٢١ » حيث وصفه بعدم العي والخور ، وأن الكلام قد أسلس له القياد ، وأنت ترى أن هذا الايجاز عند ابن بليهد كان على حساب اغفال الكثير من المعاني ، التي بسطها الغزاوى في أبياته الأربعة ، التي دلت على معان شتى أبانت عن قدرته الخطابية لفظا ومعنى وأسلوبا .

٨ - وكلاهما ذكر أنه سيبقى له لسان ذكر ، وأن مآثره حية لا تموت . فالغزاوي في البيت ٢١ يقول : أن أعماله الخالدة ستظل حية تذكر به وان مات .

أما ابن بليهد فإنه يقول فى البيت ٧ : ان موت الفقيد لم يمت مآثره التي ستظل حية تزدان بها صور المكارم ، والأعمال الجليلة التي قدمها في حياته .

فالمعنى واحد وان اختلفت الصورة الادبية لدى الشاعرين ، اذ أنها عند ابن بليهد تبدو أكثر جمالا ، لما حلاها به من تزين صور المكارم والأعمال بمناقب الفقيد .

٩ - وتشترك القصيدتان في الوحدة الشعورية ، وتدفق العواطف والمشاعر حيال هذا المصاب ، ومنبع تلك العواطف والمشاعر أمران :

أولهما : العلاقة الشخصية التي ربطت كلا الشاعرين بالفقيد ، فهو ابن عم ابن بليهد وشيخه ، وكانت له معه صحبة ، أما الغزاوي فكان زميله في العمل وأمين سره في ديوان القضاء ، الذي كان يرأسه الفقيد .

١٠ - وكلاهما يتساءل تجاه الحدث المفجع تساؤل التحسر والتفجع ، غير أن الغزاوي يرى « في البيت ٥ » الأجفان دامية ، كأنما جرت الأحشاء منها دموعا .

أما ابن بليهد فانه يرى « في البيتين ١ ، ٢ » الدموع وقد انهمرت من العيون كأنما هي جدول جرى ، أو مطر منهمر وانها قد تركت على الخدود من جريانها أثرا .

فالمعنى متفق وان اختلفت الصورة الأدبية لدى الشاعرين ، اذ هي عند الغزاوي أكثر جمالا واشراقا ديباجة وحسن تأليف على الرغم من ايجازها .

وعند ابن بليهد جاءت أقل جمالا وأضعف عبارة ، الى ما تضمنته من نظر الى بيت ذي الرمة :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب

(مزايا كل من الشاعرين)

١ - يجيء مطلع الغزاوي على نحو يشعر بالغرض لأول وهله ، ويفيد بعظم الخطب وفداحتها ، في فيض من المشاعر والاحساسات المؤمنة ، التي تلوذ بالبارى وتلجأ اليه فيما يحل بها .
أما مطلع ابن بليهد ، فتحس فيه ارتخاء المشاعر والاحساسات ، الى ما فيه من لجوء الى النظر لمطلع ذي الرمة السالف ذكره .

ثم أن الغزاوي وجه الخطاب الى الفقيد مما يؤكد حبه له وتعلقه به ، وأنه يأبى الا أن يستصحب خطابه ولو بعد فقدته تعـلـلا وتغزىا .

أما ابن بليهد ، فانه يخاطب نفسه شاكيا ومتألما ، مما أصابه من ألم وحزن بموت الفقيد ، لكن أمورا وردت في هذا المطلع أضعفت منه كالنظر الى مطلع ذى الرمة السالف ، وكعطف المدجن المطر على الجدول ، فان صورة الدمع المشبه للجدول المتصل في جريانه ، أقوى من صورة المطر المتقاطر في حبات متفرقة .

٢ - ويجيء ابن بليهد في قصيدته أطول نفسا من الغزاوي ، اذ تبلغ قصيدة ابن بليهد (٣٣ بيتا) ، بينما تبلغ قصيدة الغزاوي (٢٣ بيتا) .

على أن اطالة ابن بليهد ليس فيها فضل معنى ، اللهم الا في التعزى بذكر مصارع الاولين - وأن الموت طريق سلكه ويسلكه كل كائن حي ، كبر أو صغر طال به العمر أو قصر - أو التفصيل في بعض المعاني كأخلاق الفقيد وعلمه ، وما تركته وفاته من أثر بالغ على الناس جميعا .

٣ - واذا كان كل منهما أشعر بأن المصيبة في الفقيد عمت الناس جميعا ، فان ابن بليهد يمتاز في تفصيله « في الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ » وأنه شمل البدو والحضر ، حتى اهتزت له بلاد نجد والحرمين : المكي ، والمدني .

أما الغزاوي فانه مع ايجازه كان أكثر شمولاً ، اذ جعل حدود الله تبكي الفقيد ، وتنتحب عليه « في البيت ١٨ » أي أنه جاوز المحسوسات الى المعنويات في ادراك عظم المصيبة .

٤ - واذا كان الغزاوي قد ختم قصيدته بهذا الدعاء الغامض ، الذي لم يبن من المقصود فيه ، وان كان قد يفهم منه أنه يقف موقف المحتسب الصابر ، الذي يسلم بالقضاء ويرجو العوض .

فان ابن بليهد أتى مثل ذلك أيضا في « البيت ١٢ » فان المقصود هنا غير واضح ، أتلاميذه الذين أخذوا عنه العلم الذي يؤهلهم لأن يخلّفوه ، أم أن المقصود التعزى بأنه انسان يصيبه ما يصيب الآخرين ، أم أن المقصود أن الميت ليس فردا ، وكذب من قال ذلك بل هو أمة ؟ .

٥ - وتأتى الصور الادبية عند الغزاوى عنيفة حيناً وهادئة اخر ،

تسير في نسق طبعي مقبول حيناً ومبالغ فيه حيناً .

(أ) ألا ترى هذه الصورة في البيت ٢ التي صورت قلوب تلاميذ الفقيده ومحبيه ، الذين انتفعوا بارشاده وتوجيهه ، كيف أن قلوبهم صارت تخفق في عنف كأنما هي تثب ، حتى خالها الشاعر تثب حقيقة ثم أنظر ذوبان الاحشاء من هــول المصاب ، حتى جرت دموعا في البيت الخامس .

(ب) ثم ألا ترى هذه الصورة « في البيت ١٤ » كيف أراد فيها أن يصور يقينه ضياء ، فألمأته القافية الى التعبير باللهب عن الضياء ، وقد يفهم المقصود في (لهب) أنه يعني حماسه للدين ، وحيث يستقيم له أمر .

أما الصورة الادبية عند ابن بليهد ، فانها في بعض أبياته مهزوزة ، مبالغ فيها الى حد يفضى بها حيناً الى السماجة .

(أ) ألا ترى الى قوله « في البيت ٢ » كيف جعل الدمع يرقى ، ثم ثم يجرى على الخد تاركاً أثراً عليه ، ثم أنظر كيف ألمأته القافية الى هذا التعبير الساذج ، الذي لا معنى له في البيت الثامن .

(ب) على أن له من الصور ما هو في غاية الروعة والجمال ، ألا ترى هذا التساؤل « في البيت ١٣ » عن موضع غروب القمر ، اذ أن غروب القمر في الأفق ، والمدوح قمر فكيف يغرب في

الارض ؟ انها صورة ينسيك جلالها وجمالها مافيهـــــــــا
من مبالغة ، حتى تكاد تجزم بأن المحمول قمر حقيقى •

(ج) ثم أنظر « في البيت ٧ » كيف جعل صور المكارم والأفعال
الحميدة ، تزهى بمناقب الممدوح ومآثره ، و « في البيت ١٦ »
أنظر كيف جعل (حائل) مشرقة بعلمه ، والدارسون يقبلون
عليه لينهلوا من معينه •

(الموازنة الخامسة)

« بين ابن بليهد وسليمان البطاح » (١)

من الشعراء الذين عاصروا ابن بليهد ، سليمان البطاح .

ويشترك مع ابن بليهد فى : الاتجاه الى القديم ومحاكاته ولذا كان شاعرا تقليديا ، وفي العناية بالمناسبات ، فجميع ما قرأته من شعره يدور حول مناسبات قامت في مجتمعه .

ومن المناسبات التي التقى فيها مع ابن بليهد ، الاحتفال بتولية - الملك الأسبق - سعود بن عبد العزيز عهد المملكة (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) .

قصيدة ابن بليهد : (٢)

١ - أبسط يمينا نشت في الجود والكرم

لبيمة عقدت في الحل والحرم

٢ - ولاية العهد ما انقادت أزمتها

الا اليك وقد جاءتك من أمم

(١) سليمان البطاح ، ولد بالرس من مدن القصيم ، وبها نشأ ودرس ، ثم التحق بالمعهد العلمى السعودى بمكة ، وحين تخرج فيه عمل فى جملة من أعمال الحكومة منها : مدير مالية الجوف ، ثم بمديرية الشؤون بمكة ، ثم عمل مديرا للمستودع العام بمكة .

له ولوع بكتب الثقافة والأدب والتاريخ ، وله شعر نشر شيئا منه فى بعض الصحف المحلية ، كصوت الحجاز وأم القرى ، والذي قرأته من شعره تقليدى تمثله هذه القصيدة .

وقد ترجم له حسن محمد محمود الشنقيطى ، فى كتابه ، « النهضة الأدبية بنجد مطبعة مصطفى الحلبي بمصر عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م) .
وأورد نماذج من شعره .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٤٩ .

- ٣ - فقلت للناس أن الأمر متسق
وقد أحيط بعهد غير منفصم
- ٤ - لا تحسبوا أنها غوغا يديرها
جلف من البدو أو عليج من العجم
- ٥ - هذى يقوم بها شهم أسنته
من حين نشأته ممزوجة بدم
- ٦ - تفرعت من بنى عبد العزيز ذرا
بحبوحة المجد من بأس ومن كرم
- ٧ - أيا يابن أفضل موجود بطلعته
في عصرنا والذي من سالف الأمم
- ٨ - جئنا نهنيك في يوم به طلعت
شمس السعود على الأنجاد والتهم
- ٩ - الله سربلكم بالملك مصلحة
للعالمين بحفظ الدين والذمم
- ١٠ - فمن ربا بلد الزيتون دان لكم
الى عمان ومن شار الى نقم
- ١١ - مهامه ملئت ناسا تيسر بها
بدوا وحضرا وأما الأسد في الأجم
- ١٢ - حلت بحجر وأما سقف غابتها
حدر دينية أو صارم خذم
- ١٣ - وقد تابشرت الدنيا بطلعتهم
وأهلها مثل فرح الأرض بالديم
- ١٤ - في كل دار لهم مجد ومكرمة
لا تحسبوا أنني عن ذكرهن بعم
- ١٥ - فان مدحت ففخر لا أعاب به
كأول المدح في غسان أو لخم

١٦ - أبناء ذروة هذا الملك قد فرعوا

سنامه بسنان غير متهم

١٧ - قاموا على نور حق يستضاء به

كطالع البدر يجلو غيبه الظلم

١٨ - أعراقكم يا بني عبد العزيز الى

عبد العزيز ومن أجداده القـدم

١٩ - هذا سعود بدا بالسعد طالعه

كالبدر في الأفق أو كالشامخ العلم

٢٠ - أتت له زمر من كل ناحية

تحدى اليه بنات الانيق الرسم

٢١ - أكرم بها بيعة تمت لصاحبها

تدوم في حل الأسرار والنعم

٢٢ - هذا اليقين الذي كنا نؤمله

أنظر ترى لمحا في أول الكلم

٢٣ - ثم الصلاة على الهادي وشيعته

ما غرد الطير في الأجزاء من أضـم

قصيدة سليمان البطاح : (١)

١ - على فنن الزيتون شدو الحمائم

بذكرى ولي العهد شمس المكارم

٢ - ويبدو ضياء البشر من كل منفذ

يشع ودادا يزدهى في المباسم

٣ - فمرحى به من محفل صار أنسا (٢)

بأل سعود الفر من كل حازم

٤ - ومرحى بني الضاد الكرام فانه

أتاكم ولي العهد معلى الدعائم

(١) النهضة الأدبية بنجد - حسن محمد الشنقيطى - مصطفى الحلبي .

(٢) وهكذا ورد فى النص - والصواب (أنسا) .

- ٥ - سعود ولي العهد شهم غضنفر
مجندل أبطال العدا في الملاحم
- ٦ - وأيامه يومان يؤس وذو ندى
وبينهما حدا لمنع التصادم (١)
- ٧ - كبحر أجاج لا يرام مذاقه
وأخر عذب صالح للتنادم
- ٨ - اذا دارت الحرب الضروس وأمطرت
لظى سعيرا مثل صوب القمائم (٢)
- ٩ - يسير اليها لا يخاف من الردى
ويرميهم بالمرهفات القواصم
- ١٠ - ولا بدع أن نال الشجاعة يافعا
فأفعالكم مشهورة في القدائم
- ١١ - نهضت وحيدا والسيوف شواخص
تهال وأطراف القنا في تزامم
- ١٢ - وخضت غمار الحرب والجو مسرج
ببرق سيوف واصطفاق لهزام
- ١٣ - فمازلت في كر وفر مع العدا
وتغليف هام واعتلاء العظامم
- ١٤ - تركتهم صرعى على الأرض خشما
وأشلائوهم موطوءة بالمناسم
- ١٥ - عليها الوحوش الساغبات عواكف
وكل بغاث والنسور القشاعم
- ١٦ - أحييكم آل السعود ببيعة
يفوح شذاها في العصور القوامم

(١) هكذا ورد في النص . (حدا) وصحته حذف الألف .
(٢) هكذا ورد في النص . في استقامته (لظاها) بدلا من لظى .

١٧ - تجلت ولاء وأزدهت بمودة

وفضت عبيرا كامنا في الكمائم

١٨ - فلا زلتم آل سعود وملككم

لصون حمى الاسلام من كل غاشم

عرض مجمل لموضوع القصيدتين :

لقد بدأ ابن بليهد قصيدته باسناد الخطاب الى ولي العهد ، ثم أشار الى انقياد ولاية العهد له ، التفت بعد ذلك الى الناس وذكرهم ، بأن ولاية العهد أمر معقود على أسس مرسومة ومدروسة من لدن حكيم : ليس بجلف من البدو ولا عليج من العجم ، ثم مدح ولي العهد وهنأه ، ثم أثنى على ملك آل سعود بأنه حفظ للدين والعهد ، ووصفه في أبيات انتقل منها الى مدح آل سعود ، ثم عاد من جديد الى مدح ولي العهد وولايته ، وختم القصيدة بالصلاة على المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وذلك كله في أسلوب سهل ميسر ، وهو مدح تقليدي عناصره : الشجاعة وكرم الأحساب ، والسهل على حماية الدين ، وتبلغ أبيات قصيدته (٢٣ بيتا) .

أما سليمان البطاح فبدأ قصيدته بالثناء على ذكرى ولي العهد ووصف الحفل ، ثم وجه الخطاب الى العرب مبشرا لهم بولي العهد ، الذي ساق في مدحه (١٠ أبيات) ثم حيا آل سعود مهتئا وداعيا ببقاء ملكهم حفظا للاسلام ، وعدد أبيات قصيدته (١٨ بيتا) ، ومدحه مدح تقليدي عناصره : الكرم والشجاعة .

أما أسلوبه ، فسهل ميسر الا أنه تشوبه بعض الأخطاء اللغوية والعروضية ، على ما سنوضحه ان شاء الله .

ما اشتركت فيه القصيدتان :

الى جانب التقاء القصيدتين في : الموضوع ، وحرف الروى ، وهو الميم المكسورة ، اشتركتا فيما يلي :

١ - أخذ كل من الشاعرين في الغرض مباشرة دون مقدمات ، فابن بليهد يدعو في بيته الأول ولي العهد ، بأن يمد يده التي نشأت في الجود والكرم ، لأخذ البيعة من الناس ، تلك البيعة التي عقدت في كافة البلاد المشار إليها بالحل والحرم .

ويخبر البطاح في بيته الاول ، بأن الحمايم تشدو بذكر ولي العهد على فنن الزيتون .

٢ - وكلاهما التفت الى الناس في خطابه ، غير أن التفاتة البطاح في بيته / ٤ ، لا تعني شيئاً سوى الاخبار باتيان ولي العهد معلماً دعائم الملك .

أما ابن بليهد فانه في بيته ٣ ، ٤ ينبههم الى أن هذا الأمر - الذي هو ولاية العهد - قد عقد على أسس مدروسة وأسلوب مرسوم ، بني على أساس من الحكمة والتدبير الحسن ، فما هو بتدبير مرتجل من جلف من الأعراب أو علق من العجم .

٣ - أما ولاية العهد التي هي موضوع القصيدتين ، فان نصيبها اذا قيس بالمدح - الآتي ذكره - قليل ، فلقد ذكرها ابن بليهد ٦ أبيات من ١ - ٤ ، ٢١ ، ٢٢ ذكر فيها عقدها وكيف عقدت ، وأنها أتت الى ولي العهد منقادة وأنها أمر كان متوقعا من قبل ، كما ورد في شعره وشعر ابن عثيمين قبل ذلك بسنين ، وذلك ما يعنيه بقوله : (أنظر ترى لمحا في أول الكلم) .

فأما قوله المشار اليه فبيت من قصيدة نظمها قبل ولاية العهد بأربع سنين وهو :

فلما رأى ذا والداك وسلما

لك الأمر في نجد فلست بحائد (١)
وأما بيت ابن عثيمين ، فمن قصيدة نظمها في الملك عبد العزيز ، قبل ولاية العهد بأثنى عشر عاماً يقول فيه :

(١) ابتسامات الأيام ص ١٤٨ البيت ٢٥ .

وأشدد عرى الدين والدنيا بمنتخب

من عنصر السادة الغر الميامين (١)

وقد أشار إليه ابن بليهد أيضا في قصيدة أخرى نظمها عام
(١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) بقوله :
رأيت بعام الأربعين إشارة
بها عرفت فيك الولاية والعهد (٢)

أما البطاح فتحدث عنها ، في أربعة أبيات هي ٢ ، ٣ ، ١٦ ، ١٧
وصف في اثنين منها الحفل ، وأن ضياء البشر يبدو في كل ناحية
مشعا بالوداد ومشرقاً على الشفاء إذ كان آنسا بآل سعود ، ووصف
ولاية العهد وهناً بها آل سعود في البيتين الآخرين ، فحياهم بالبيعة
التي فاح أريجها في سالف العصر ، وهامى تتجلى ولاء وتزدهى
مودة بعد أن فض غيرها من كمائمه .

٤ - وطبعي أن يمدح الشاعران ولي العهد ويثنيا عليه في مثل هذا
المقام ، وذلك ما ورد في القصيدتين ، فقد أثنى عليه ابن بليهد
« في أبياته ٥ - ٧ ، ١٩ ، ٢٠ » بأنه شهم مزجت أسنته - منذ
نشأته بالدم ، وفي هذا كناية عن الشجاعة ، وأنه واخوته قد
تفرغت فيهم ذرا المجد من شجاعة وكرم ، وأنه ابن أفضل موجود
في حاضر الأيام وغابرها ، وهذا نوع من المبالغة عهدناه لدى
المادحين في القديم والحديث ، وأنه كالبدور في علو همته ، وكالجبيل
في ثباته ، يقصده العفاة من كل ناحية يحدون ركا بهم .

أما البطاح فقد مدحه « في عشرة أبيات من ٦ - ١٥ » فذكر
أن أيامه ، يوم يؤس على الأعداء ، ويوم كرم وجود وأن بينهما
حد - لعله أراد من حلمه وعقله - يمنع تصادمها ، فهو في الأولى
كالبحر الأجاج ، وفي الثانية كالنهر العذب وأنه شجاع ، إذا دارت

(١) ديوان العقد الثمين من شعر ابن عثيمين ص ١٧٧ البيت ٣٣ دار المعارف
بمصر .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٦٣ البيت ١٦ .

رحى الحرب ابتدرها بروح الشجاع الفاتك الذي لا يهاب معترك
المنون ، وليس ذلك بالغريب فأبأؤه وأجداده ذوو بأس وشجاعة
وكرم ، ولذا فهو يتلقى الجيوش غير ملتفت الى الأعوان ، يمزق
شمل سيوفهم ورماحهم بسيف كالبرق في لمعانه ، ومايزال في كر
وفر مع الاعداء ، حتى نثرهم أشلاء تدوسهم الخيل بسنابكها ،
وتعكف عليهم السباع والنسور تقتات من لحومهم •

فصورة الشجاعة عند البطاح أقوى وأظهر منها عند ابن بليهد ،
غير أن صورة الكرم وعلو الهمة والثبات ، كانت أجلى عند
ابن بليهد ، بل أن البطاح لم يشر الى علو الهمة والى الثبات كإشارة
ابن بليهد لهما •

٥ - ولم ينس الشاعران الدين ، وأن حمايته وانفاذ أحكامه ، التبعة
الأولى التي تلقى على أولياء الأمور •

فابن بليهد يقول « في البيت ٩ » ان الله انما سربلهم بالملك ،
ليكون مصلحة للعالمين تحفظ دينهم وذممهم •

ويدعو البطاح « في البيت ١٨ » بأن يبقى ملك آل سعود ،
صونا للإسلام وحفظاً له من طغيان الطفافة •

٦ - أما الصور البيانية ، فان لكل منهما نصيبه وان تباين ذلك
النصيب •

فان البطاح وان أحسن نوع احسان في تشبيهه ولي العهد
بالبحر « في البيت ٧ » وتصويره آثار الحرب باللظى والحرب
بالسحاب المطر « في البيت ٨ » ونحو ذلك مما ورد في أبياته ،
الا أنه لم يستطع اللحاق بابن بليهد ، في تشبيهاته وصوره
البيانية - خذ مثلاً استعارته الفرس للخلافة والرمز لها
بالزمام ، « في البيت ٢ » أو كناية عن الشجاعة بمزج النشأة
بالدم (في البيت ٥) أو تشبيهه للفرحة بولاية العهد بالشمس
« في البيت ٨ » أو استعارته السراويل للملك « في البيت ٩ »

أو استعارته الأسود لآل سعود « في البيت ١١ » أو تشبيهه
السيوف والرماح بالسقف المقام عليهم « في البيت ١٢ »
أو تشبيهه ولي العهد بالبدر والجبل « في البيت ١٨ » .

(ما انفرد به كل واحد منهما)

أولا :

لقد انفرد ابن بليهد بأمور خمسة :

١ - ذلك المطلع الذى أشعر بالغرض صراحة ، على نحو يمكن أن
نقول عنه انه جمع فيه معانى القصيدة ، وما بعده ما هو الا تفصيل ،
فلقد ذكر فى مطلع السالف الذكر الجود والكرم ، وأن ولايه العهد
قد عقدت للامير فى جميع أنحاء البلاد ، ولذا فانه يخاطبه (ببسط
يميننا) البيت .

٢ - ومنها أنه مدح آل سعود (فى الابيات ١١ ، ١٨) بعد ان خص
ولى العهد من بينهم بجملة أبيات ، لكنه يرى أن مدحه لهم ما هو الا فخر
بهم .

كصنيع حسان - رضى الله عنه - وأمثاله ، حين مدحوا الفساسنة
والمناذرة ، فأسلوب ابن بليهد فى مدحه آل سعود ان دل على شىء ،
فانما يدل على أن الرجل كان فيه يصدر عن صدق عاطفة واقتناع
فهو يصف ملكهم بشيوع الأمن فيه ، حتى انتشر الناس يسرون بلا
خوف بعد أن كانت السبل من قبل ذلك غير آمنة ، ويصف آل سعود
بأنهم أسد حلت فى غابها «حجر» (مدينة الرياض) وأن تلك الغاب
سقفها السيوف والرماح ، وهذا الملك الذى أقاموه لم يكن على كره
من الشعب ، بل لقد تباشر الناس به كتباشرهم بالغيث لان الديار
جميعا تنطق بمكارمهم ، والشاعر ليس بالغافل عن تلك المكارم ، ولذا
فهو يرى أن مدحه لهم فخر بهم ، تماما كما كان شعراء العرب السابقون
يفخرون بالفساسنة والمناذرة ، اذ كانوا يرون فى مملكتيهم الجاثمتين
على حدود الفرس والروم فخرا للعرب .

وآل سعود فى استعدادتهم ملك ابائهم وأجدادهم ، ليسوا بمتهمين
لأنهم ساروا على نهج أسلافهم فى خدمة الدين وحمايته .

(٣) ومن ذلك حديثه عن الملك « فى البيتين ١٠ ، ١١ » ورسمه لبعض
حدوده وانتشار الناس فيه .

(٤) ومنها أنه (فى البيت ٨) لم ينس تهنئة ولى العهد ، فى هذا اليوم
الذى أشرقت فيه شمس السعود على كل مكان .

(٥) وأجل ما يحمد له اذا قسناه بصاحبه هذا ، خلو قصيدته من اللحن
ومن العيوب العروضية ، ثم من الشطوح فى الالفاظ الى ما هو
خارج البيئة ، وذلك كله ما وقع فيه صاحبه البطاح .

ثانيا :

أما البطاح فكل ما انفرد به هذه الأخطاء التى منها :

(١) فى البيت ٣ انكسار ، جاء من وضع (أنسا) موضع (آنس)
فلعله خطأ مطبعى ، والله أعلم .

(٢) ومثله ، مافى البيت ٨ من انكسار أيضا ، وصوابه أن يلحق
ضمير الحرب بـ (لظى) لتكون (لظاها) .

(٣) « وفى البيت ٦ » جاءت العبارة هكذا ، (وبينهما حدا) وصوابها
(حد) .

(٤) ومنه جمع قديم على قدايم ، (فى البيت ١٠) ، فان جمعه
قدمات وقدامى (١) .

(١) لسان العرب ١٥ : ٣٦٤ .

٥ (استعمال كلمة «قوادم» فى العصور الخالية ، فى قوله من البيت ١٦ (يفوح شذاها فى العصور القوادم) يعنى البيعة ، والقوادم (انما تطلق على مقدمة ريش الطائر ، وتأتى جمعا لقوادم الانسان أى رأسه قال فى اللسان (١) والقوادم أربع ريشات فى مقدم الجناح الواحدة قادمة ، وقيل : قوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشرة فى كل جناح • وقادم الانسان رأسه والجمع القوادم

٦ (ومنه استعمال كلمة (فضت عبيرا كامنا فى الكمائم) البيت ١٧ بمعنى «نثت ونشرت» وهى انما تستعمل فى فض الخاتم ، وما كسر من الشيء قال فى اللسان (٢) : وفضت الخاتم عن الكتاب أى كسرتة وفى حديث ذى الكفل «انه لا يحل لك أن تفض الخاتم هو كناية عن الوطء» وفض الخاتم والختم اذا كسره وفتحه ، وفضاض الشيء ما تفرق منه عند كسر كاياه وانفض الشيء انكسر •

٧ (ومن ذلك استعماله كلمة «منفذ» بمعنى «وجهة أو ناحية» وهى وان كانت صحيحة لغة الا أنها ليست بذات قابلية فى الاسلوب الشعرى ،

٨ (وفى مطلع قصيدته ذكر الزيتون فى قوله : «على فتن الزيتون شدو الحمائم» البيت ١ ، وهذا خروج على مقتضيات البيئة ، فالمكان الذى كان فيه الحفل وهو مكة المكرمة ليس به زيتون ، وليس بمنشأ الشاعر كذلك وهو نجد منابت زيتون ، ولا عبرة بقرنهم الحمام بفصن الزيتون فى العصر الحديث ، فذلك انما

(١) لسان العرب ١٥ : ٣٦٨ •

(٢) المرجع السابق ٩ : ٧١ ، ٧٢ •

كان وحى أحداث سياسية ، قامت على أرض بلاد الزيتون
«فلسطين» وانما اقترن ذكر الحمام عند العرب بالبان والنخيل *

٩ (ومن أساليبه ما هو أدخل فى باب الأساليب العلمية ، لا الشعرية
كقوله : «وبينهما حدا لمنع التصادم» البيت ٦ فانه يريد بذلك
أن فى عقل الممدوح وفكره ما يحجز بين بأسه على الاعساء
وفضله على الاحباء ، غير أن كلمتى (حد ومنع) هنا قلبت
الأسلوب الشعرى الى أسلوب علمى ولا يحتج بورود مثل هذا فى
بيت أبى تمام (فى حده الحد بين الجد واللعب) فالفرق بين
الصورتين واضح *

(الموازنة السادسة)

— بين قصيدتين لابن بليهد —

نظم ابن بليهد — مما حواه الديوان — على لسان غيره قصيدتين :
أحدهما : بالعامية على لسان ابن عمه ، وليس لنا الآن شأن بها .
والثانية : على لسان صديقه حسين منصور العساف .

وله قصيدة أخرى نظمها في زمن نظمها القصيدة التي نحلها العساف ،
والقصيدتان غزليتان اتفقتا في الموضوع والزمن ، ثم ان قائلهما واحد
والقول فيه واحد ، وهما الممرضتان المشرفتان على علاج الشاعر
وصاحبه . .

ومع اتفاقهما في ذلك كله تجد البون شاسعا بين القصيدتين ، في
اللفة والاسلوب والجو الشعوري والعاطفي ، وذلك هو جوهر ما يهتم
الناقد ويعنيه ، وحوله تدور الموازنة ، وبقدر الاجادة فيه يكون
التفضيل والتقديم . .

ولاتفاقهما وافتراقهما فيما مر اثرنا الموازنة بينهما ، لما في ذلك
من تجليه لفن الشاعر وقدراته وتبين نصيبه من الصنعة والطبع ، وهذا
من شأنه أن يجعل الحكم الذي نصدره على الشاعر آخر الأمر ، أكثر
دقة ووضوحا وأدنى الى الصواب . .

القصيدة الاولى : (١)

١ — رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

٢ — فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف

- ٣ - تفاءلت من كفى سعاد سعادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفى
٤ - خليلي هل تأسو المراض خريدة ؟
بقامتها الهيفاء سهم من الحشف
٥ - لعمري مادائى سوى نظراتها
وبلسمى الشافى لديها وما أخفى
٦ - وقد عالجوا نصفى بكف رفيقه
وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفى
٧ - اذا طفقت كلتاها فى علاجها
رأيت المنايا من أمامى ومن خلفى
٨ - وما أنا الا فى هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى

القصيدة الثانية : (١)

- ١ - اذا دعوناك فاهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهربا خبر
٢ - أما محمد قد زالت شكيتته
وليس فى كتفه مماشكا أثر
٣ - قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس فى عودها طول ولا قصر
٤ - اذا رأيت الثنايا الغر باسمه
هناك من بينهم الموت ينتظر
٥ - فى ركبتيك ترى للكهربا أثرا
يطير للقلب من جرائه شرر
٦ - أما سعاد فرجلى من سعادتها
تبرا فان برئت أسبابها عـ

- ٧ - والفوز يبدو على الاخرى اذا طلعت
باسمها وبهـن البرء يفتكـر
- ٨ - من كف أهيف ضامى القد معتدل
كأنه عود بان ناعم خضـر
- ٩ - ثنتان فيها لنا برء ومنفعة
عند العلاج وفى عينيها حـور
- ١٠ - هذا هو السحر من هاروت عارهما
حتى ترتب منه الموت والخطـر

(عرض عام للقصيدتين)

أولا :

القصيدة الاولى :

فى عام (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) حضر ابن بليهد الى «مصر»
للعلاج فوكل أمر علاجه بالكهرباء الى ممرضتين اسم الاولى سعاد
والثانية فائزة ، ولأمر مانظم فيهما قصيدة غزلية ، وهى وأختها
اسبق ماعثنا عليه من شعر الغزل الفصيح لدى صاحبنا •

وفى حديثنا عن أغراض الشعر ذكرنا فى الغزل ما يحسن الرجوع
اليه لمن يريد أن يتبين منزلة هذا الفن عنده ومنزلته منه (١) •

وانك لتحس فى القصيدة نبضات قلب امتلأ بالحب وشحن
بالعواطف والاحساسات ، تلوح له الحسان المشبهات للارام ، فيخفق
لحسن خفقان الطائر الذبيح ، واذا كان هذا الحسن مما يتفاعل به
فى شفاء أمراض الاجسام ، فان فيه مهاماً تصمى القلوب وترهق
الأرواح ، أفليس عجيباً أن يكون مصدر الداء هو مصدر الدواء ؟ •

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الثالث ، حيث الحديث عن الأغراض •

انهن يعالجن جسمه بكف رفيقه ولكنهن يتلفن قلبه بسحر العيون ، وهو شيخ كبير لم يعد قادرا على احتمال سهام الجفون .

تانيا :

القصيدة الثانية :

كانت الممرضتان القائمتان على علاج ابن بليهد ، تقومان على علاج أحد أصدقائه وهو حسين منصور العساف ، ويقول ابن بليهد : انهما طلبتا من العساف أن ينظم فيهما قصيدة مثلما فعل هو ، فجاءه العساف يطلب منه أن يتولى عنه ذلك ، لانه لا يحسن نظم الشعر ، فلبى طلبه بهذه القصيدة ، التى يخاطب فيها القمر المستعار ، ويستحثه على بذل الجهد فى علاج صاحبه ، الذى نظمت القصيدة على لسانه ليصيبه من البرء مثلما أصاب محمدا ، ولكنه يحذر صاحبه من أن ترديه حسنة القوام قاتله الضحايا بالابتسام ، لانه ان كان فى علاجهما برء ومنفعة ، فان فى عينيهما حورا يردى ، وماذاك الا السحر اعارهما اياه هاروت ، فتركب منه الخطر والموت . .

ما اشتركت فيه القصيدتان :

١ - سبق أن قلنا أن القصيدتين اشتركتا : فى الغرض والموضوع ، وان الزمن واحد ، كما أن القائل واحد .

٢ - ثم أن كليتهما ترى الجمال فى مظاهره الحسية (كالقائمة الهيفاء) و (سحر العيون) و (الوجه المشبه للقمر) و (الثنايا الغر) و (جمال الميسم) و (القد الضامى) و (حور العينين) وهكذا ، وذلك شأن اكثر الاقدمين الذين ينتمى الى نهجهم شاعرنا .

٣ - وكلتاهما تعبر عن خليط من الشعور بالامل فى الشفاء تفاؤلا بتيك الحسناوين ونشوه الاثناس بهما ، وذلك حين مباشرتهما للعلاج ، كما فى البيت الثالث من القصيدة الاولى ٦ ، ٧ من الثانية .

ما أمتازت به كل واحدة منهما :

١ - جاء مطلع القصيدة الأولى جامعا للمعاني التي تدور عليها أبياتها ، ففيه أنبا برأيه في تلك الحسنة المشبهة للغزال : في خفتها ، ورشاقتها ، وطول عنقها ، وحوار عينيها ، اذ تلك الصفات هي ما تشبه فيه الحسنة بالغزال ، وفيه اخبار بكمال أوصافها ، وفيه اشعار بأنها قد كوته بنارين : نار (الكهرباء) التي تكوى كتفه ، ونار الفتنة التي تكوى الفؤاد . .

فأنظر كيف تسنى له جمع هذه المعاني أجمع في بيت واحد ، على نحو من الجلال والجمال .

وليس بخاف ما في مطلع الثانية من تكلف وقصور ، الى ماتضمنه الشطر الثاني من تكلف في اللغة وهزال في التعبير .

٢ - وفي كلمتي (الملاحه واللفظ) من البيت الثاني في القصيدة الأولى ، من الدلالة على فتنة الجسم والروح ما لم تحو مثله القصيدة الثانية ، الى ماتضمنه البيت من تفصيل جميل ، لما ورد في الشطر الثاني من المطلع .

٣ - والتفاوت باسمي المرضيتين الحسناوين - سعاد وفائزة - معنى طرقة الشاعر في كلتا القصيدتين ، غير أن الأولى جمعت ذلك المعنى في بيت واحد هو - ٣ ، على نحو من الابداع وتلاحم المعنى وتآلف الكلمات في ايجاز وابداع .

بينما نجده يفصل هذا المعنى في أربعة أبيات من القصيدة الثانية ، من البيت ٦ - ٩ ليس فيها فضل معنى ، على ماتضمنه البيت الثالث من القصيدة الأولى ، بل انك لتحس الهزال في المعنى والتكلف في اللفظ والأسلوب في أبيات الثانية ، ثم اضافة الشفاء والبرد - بعد الله - الى الطبيب عمر لا المرضيتين ، وذلك خلاف ما في بيت الاولى .

٤ - ثم دونك هذا التساؤل عن البرء المترقب من ذات قوام تحمل فيه سهم الهلاك ، ثم اتبعه بتفصيل له فى ثلاثة أبيات بعده ، على نحو لا تعثر مثله - لو عملت - فى القصيدة الثانية ، لقد عالجتا نصفه بالكف الرفيق ، لكنهما أتلفتا النصف الثانى بسحر العيون ، انه يقسم بأن داءه من النظرات ، ولا يخفى أن شفاءه عندهما ، فليس عجيبا أن يرى المنايا من أمامه ومن خلفه عندما تتعاورانه بالعلاج .

٥ - ثم انظر هذا الاستعطاف العجيب (فى البيت ٨) أنه يتحسس موضع الضعف فيه فيستعطفهما به . .

٦ - ثم نعود الى القصيدتين فنقرؤهما من جديد ، لتلمس أيهما أدنى الى تحقيق العاطفة والشعور ، وأيهما أقرب الى الوحدة العضوية :

ف نجد أن أبيات الأولى تجيء وكأنما هى لآليء ضمها نظام على نحو ، لو وضعت احداها مكان الأخرى لاختل حسن العقد لعدم اغنائها عنها ، فكل بيت فيها مكمل لما قبله متطلب لما بعده ، خذ مثلا البيت الثانى انه تفصيل ضرورى لما قبله ومثير لتساؤل يجيب عليه ما بعده ، وهكذا كل بيت منها آخذ بحجز صاحبه ، ومثل ذلك يقال فى وحدة الموضوع والعاطفة والشعور ، فجميع أبياتها تدور حول المرضيتين وعملهما وأثرهما وتأثيرهما . .

بينما تأتى الثانية وكأنما أبياتها حبات من الخرز تناثرت فى التراب ، لا تجمع شتاتها وحدة ولا يؤلف أجزاءها موضوع ولا عاطفة ولا شعور .

أى رابط بين الاول والثانى ، وأى شىء يشد الثالث الى الثانى؟ وهكذا .

ثم انها الى جانب حديثها عن المرضيتين اللتين هما الموضوع ، نجد أن أسماء أخرى تقتحم ميدانها كمحمد وعمر وهكذا . .

٧ - أما فى الألفاظ ، فيكفى أن نلقى ولو نظرة سريعة على حرف
الروى فى كليهما فهو :

فى الأولى (الفاء) وهو فى القوافى صعب المراس ، ليس —
(كالراء) التى سميت حمار الشعراء .

أما الثانية فعلى الرغم من أنها ليست عصية ، لم تكن من الحسن والكمال
بحيث تلحق بالأولى ، وهذا كاف جدا فى التدليل على براعة الشاعر ،
من حيث اللغة فى الأولى دون الثانية ، ثم أنك تحس الدقة والحسن
فى اختيار الكلمات الواردة فى البيت الرابع من القصيدة الأولى
(وأهيف) وردت فى البيت ٨ من القصيدة الثانية ، واللفظ — ان
مدلولهما واحد ، وان كان الأول جاء فى صيغة التأنيث ، وجاء الثانى
فى صيغة التذكير ، لكن هل وقع الثانى فى النفس كالأول ؟ وهل له
من الرنين فى السمع مثلاً للأول ؟ تلك هى المهارة فى وضع الكلمة
موضعها الملائم لها ، وذلك هو الانقياد لما يمليه الذوق السليم وبقية تضيه
الطبع القويم .

وخلاصة القول :

أن مابين القصيدتين : هو مابين الطبع والتصنع ، والسجية
والتكلف ، والطواعية والافتعال ، وصدق المحب ونفاق المجاملة
وشتان بين الحالين .

سر تفوق الأولى على الثانية ، أو سر جمال الأولى :

كل عمل يمكن أن يؤدى طواعية أو الزاما ، فيأتى على وجه
الا يكن حسنا فمقبولا الا الأعمال الأدبية ، فانها ما لم تأت
طواعية نابعة من ذات الأديب نفسه ، ملبحة لميوله هو مستجيبة لرغبات
مشاعره واحساساته ، فان سبيل الاجادة فيها الا يكن مستحيلا فمفسر ،
لان الأديب انما ينحت من عقله ويمتج من وجدانه ، والعقل قد
يستجيب للالزام ، لكن الوجدان لا ينقاد الا للانفعالات ، اذ أن الادب

ليس موضوعا وحسب ، وانما هو : موضوع ، ولغة ، وأسلوب لا يشرق
أديمه بصور الجمال والجلال ، وتزدان جنباته بروائع الابداع ، الا اذا
التقى فيه العقل بالعاطفه والحقيقة بالخيال ، وكان ثمرة تجـربة
ومعاناه أنبتها صدق وايمان ..

ذلك هو فرق ما بين الأولى والثانية ، وذلك هو سر تقدم الأولى
وامتيازها واتيائها على هذا النحو : من اشراق الديباجة ، وحلاوة
التعبير ، وكثرة الماء .. ، وذلك فرق ما بين : والمصنوع والمطبوع ،
والعصى النافر المستكره ، .. والسهل المنقاد العذب المنساغ .

لقد انفعل ابن بليهد فى الأولى بالموقف ، فاستجاب له فى
طواعية واسلاس . ونحن لايعنينا كيف انفعل ولم ؟ ، .. وانما الذى
يعنينا هو حصيلة هذا الانفعال ، الذى قدم لنا القصيدة الأولى : فى
عذوبة لفظ ، وحلاوة تعبير ، وائتلاف بين الكلمات والجمل والأبيات ،
ورقة تداعب أوتار المشاعر والاحساسات ، كما يداعب النسيم العليل
ميلان الأغصان ..

أما الثانية فانها تتعثر فى ثياب التصنع ، وتشوه سمات التكلف
منها الأديم ، كأن الشاعر فى اخراجه البيت يقتلع جذع شجرة من
طين ، لأنه لم ينزع فيها عن ايمان ويقين .. ، وانما هو كأجير ألزم
بالعمل وأكره عليه ، فهو يؤديه كيفما أتفق ، لأنه مفروض عليه ،
ولا بد له من أن يفعله .

وفى تباين أسلوب هاتين القصيدتين ، على الرغم من أنهما نظمتا : فى
وقت واحد ، ومكان واحد ، وبلسان واحد ، وفى غرض واحد — ما يدلنا
على أمور أو بعبارة أخرى يؤكد ماقلناه ونقوله فى بحثنا هذا من أنه
كان ذا ملكة أصيلة قابلة للتطور والارتقاء واستجابة للتأثر والانفعال
ثم تأكيد صحة مانسب اليه من شعر له لم يحوه الديوان .

(الموازنة السابعة)

بين ابن بليهد ومحمد سليمان الشبل (١)

نظم ابن بليهد وهو فى مصر قصيدة ميمية ، ضمنها حديثاً عن الديار المقدسة وشوقه لها ، وعن المولد النبوى والخوارق التى صحبتته ، وطرفاً من سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم -

ولسليمان الشبل - أحد الشعراء المعاصرين - قصيدة فى المولد النبوى الشريف *

ويغلب على الظن أن ابن بليهد فى قصيدته ، لم يعمد الى محاكاة البردة أو سواها ، من معارضات الشعراء الكثيرة لها ، فليس فى قصيدته ما يشعر بشيء من ذلك ، سوى بيت واحد أخذه من نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على ما سنشير اليه ان شاء الله *

من هنا لم نشأ الموازنة بينه وبين أحد من أولئك ، وآثرنا الموازنة بينه وبين أحد معاصريه من أبناء بلده ، وهو محمد الشبل الذى اشترك معه فى اعرض *

ولشرف هذا الموضوع ، وارتياح النفس والقلم اليه ، الى ماله من منزلة كبرى فى أدبنا العربى لهذا وذاك ، آثرنا تحلية بحثنا هذا بنبذة بين يدى هذه الموازنة ، من المدائح النبوية وأشهر قصيدة وأسبقها فيه ، مع الاخذ بحجز القلم فيها عن التفصيل *

(١) محمد سليمان الشبل ولد (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) ببلدة عنيزه ودرس بمدرستها الابتدائية ، ثم التحق بالمعهد السعودى بمكة المكرمة ، حتى تخرج فيه ليلتحق بعد ذلك بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، وبعد تخرجه فيها اشتغل بالتدريس بالمدرسة الرحمانية المتوسطة بمكة ، ثم عين مديراً لها وله شعر جيد كان فيه يطيل النظر الى مشكلات الاسلام والمسلمين .
ترجم له حسن محمد الشنقيطى فى كتابه « النهضة الأدبية بنجد » *

ان أول ما مدح به النبي — صلوات الله وسلامه عليه — قصيدة الأعشى
التي مطلعها :

ألم تفتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهدا

ثم نظم الشعراء في حياته — صلوات الله وسلامه عليه — كثيرا من
القصائد ، التي جرت على ألسن شعراء الاسلام ، كحسان بن ثابت
— رضى الله عنه — ثم تتابع الشعراء في الاسلام على الثناء والمدح ،
لأهل البيت بعامة وللرسول بخاصة كما رثوه بعد وفاته •

ولا بد لنا من أن نفرق بين المدح والرثاء ، فالمدح ما يقال في الحياة ،
أما الرثاء فانه ما يقال عادة بعد الوفاة ، واذا امتد زمن الرثاء فانه
لا يتجاوز شهورا ، أما أن يمتد قرونا من الزمان فذلك مالم يؤلف •

لقد نظم الفرزدق في مدح أهل البيت وكذلك الكميت ومهيار
وغيرهم كثير ، لكن النظم في مدح الرسول — صلى الله عليه وسلم —
والثناء عليه ، وخصه بالقصائد الطوال تقربا الى الله وتعبدا واشباعا
للجانب الروحي ، انما شاع في العصر المملوكي حين نظم في ذلك
صفي الدين الحلبي ، والبوصيري وأمثالهما وحين تابعهما على ذلك
شعراء العربية والاسلام الى يومنا هذا •

(والمدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف ، فهي لون
من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع ، لانها
لا تصدر الا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص •

وأكثر المدائح النبوية قبل وبعد وفاة الرسول — صلى الله عليه وسلم —
وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه في الرسول يسمى
مدحا كأنهم لاحظوا أن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — موصول
الحياة ، وانهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء ، وقد يمكن القول بأن
الثناء على الميت لا يسمى رثاء الا اذا قيل في أعقاب الموت ، ولذلك
نراهم يقولون :

(قال حسان يرثى النبي - صلوات الله وسلامه عليه - ليفرقوا بين
حالين من الثناء ، ماكان فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم -
وماكان بعد موت الرسول ، بخلاف مايقع من شاعر ولد بعد وفاته
النبي - صلى الله عليه وسلم - فان ثناءه عليه مديح لارثاء ، لانه
لا موجب للتفرقة بين حال وحال ، ولأن الرثاء يقصد به اعلان التحزن
والتفجع عليه ، حين لايراد بالمدائح النبوية الا التقرب الى الله ، بنشر
محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول) (١) .

وتعد البردة للبوصيرى من أطول المدائح النبوية ، وهى أشهر مامدح
به المصطفى من الشعر ، نسجت حولها حكايات وقامت على جوانبها
خرافات ، وتقرب بها المنشدون ، واستشفع بها واستشفى كثيرون ،
من هنا كانت شهرتها ، ومن هذا أقبل عليها الشعراء حفظا ومعارضة .
ويروى عن البوصيرى أنه نظمها فى أثناء مرضه بالفالج (الشلل
النصفى) فرأى فى المنام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألقى
عليه بردته ، فلما أستيقظ من النوم وجد جسمه قد شفى وقام
يمشى .

وقد علق الدكتور زكى مبارك ، فى كتابه (المدائح النبوية) على
هذا بقوله :

(وهذه القطعة دلالة على عقلية البوصيرى ، فهو رجل فيه طيبة
وسداجة كأكثر الصوفية ، فليس من المعقول أن يبرأ مريض من مرضه
لاية يتلوها أو قصيدة ينشدها ، كما برىء البوصيرى بقصيدته ، ...
وهذا النوع من الغفلة قديم ، فقد كان البوصيرى كرر عبارة (ص)
خمس مرات فى هذه الفترة الصغيرة ، وتكرار الصلاة على النبي
(ص) كلما ذكر اسمه من وساوس المتأخرين) (٢) .

(١) المدائح النبوية لزكى مبارك ص ١٤ ، ١٥ طبعة دار الشعب .
(٢) المرجع السابق ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

وفى هذا التعليق للدكتور زكى مبارك ، نظرات ، من ذلك قوله : ان تكرار الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - من وسواس المتأخرين .

ونحن نعلم أن الله تبارك وتعالى قد قال فى كتابه العزيز : (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا على عليه وسلموا تسليما) (١) .

وقد ورد عنه - صلوات الله وسلامه عليه - فى ذلك أحاديث كثيرة، منها قوله من حديث : (رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين فقلت آمين) . الحديث ، ومنه قوله : (ألا أخبركم بأبخل البخل من اذا ذكرت عنده لم يصل على) ومنه قوله : (من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا) وقوله : (صلوا على فـان صلاتكم تبلغنى أين كنتم) أو كما قال (٢) .

ثم ان فى كلام الدكتور زكى مبارك ما يفوح بعدم الايمان بجدوى الأدعية ونحن نؤمن بأن الرقية علاج كما ورد عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ولانستبعد أن يكون من فضائل مدح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والثناء عليه وما يتبعه من ذكر الله وأسمائه وصفاته ما هو سبب فى الشفاء ودفع الضرر .

وأما استبعاده البرء والشفاء بتلاوة آى القرآن الكريم أو شىء منها فأمر يتنافى مع ما ورد فى القرآن الكريم : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) (٣) .
ثم ماورد عن المصطفى - عليه الصلاة والسلام - من أحاديث فى هذا نؤمن بها قولاً وعملاً .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٢) انظر الأحاديث فى كتاب الذكر والدعاء فى اكثار الصلاة على النبى من

كتاب الترغيب والترهيب للمندرى الجزء الثالث .

(٣) سورة الاسراء الآية : ٨٢ .

على أنا مع اعجابنا بالبردة وثنائنا عليها ، لانقر ماورد فيها من
المبالغات التى لم يرضها السلف الصالح ، ولكنها كلام بشر ، وكلام
البشر فيه الخطأ والصواب ، ونحن والبوصيرى وزكى مبارك ، وكل
ماكان وماهو كائن بين يدى الله ، والله غفور رحيم .

وتعد البردة أول مانظم من المدائح النبوية ، التى تستهدف ذكر
صفات النبى - صلى الله عليه وسلم - وشمائله ، ودحض أقاويل
أعدائه ، وبيان فضله على النبيين والرسل وسائر الخلق أجمعين .

ولم يسبق البوصيرى على هذا أحد ، ذلك أن المدائح قبل البوصيرى
طابعها هو طابع المديح العربى ، مع ذكر شئ من صفاته - عليه
الصلوة والسلام - على نحو بعيد جدا عن منحى صاحب البردة ومن
سار على نهجه بعده .

ومن هنا كثرت معارضات الشعراء للبردة ، وكان من أعجـاب
الشعراء بخاصة والمسلمين بعامة بهذا اللون من الشعر ، أن أصبحت
هذى المدائح معدودة فى عداد الأدعية والأوراد ، يرددها كثير من
المسلمين فى المناسبات الاسلامية ، كالهجرة النبوية ومولد المصطفى
- صلوات الله وسلامه عليه - ونحو ذلك .

وقد تتابع الشعراء على محاكاة البردة والنسج على منوالها ، حتى
بلغ من تراحمهم عليها أن أصبح حصرهم عسيرا (١) .

أما المدائح النبوية التى لم تلتزم بحر البردة وقافيتها ، فانها تكون
جانبا كبيرا من الشعر العربى ، ترتاح النفس لدراسته ، ويطيب
للقلم الانطلاق فيه ، لو كان ذلك موضوع الحديث .

(١) احصيت فى بحث لى بمنـوان « المعارضات فى الأدب العربى » مخطوط ما
ينيف على مائة معارضة للبردة وماأظننى حصرت الا القليل .

(نص القصيدتين)

قصيدة ابن بليهد : (١)

وأترك زمام دموع العين أن تهم
ما حاد عنها أولو الأخلاق والشيم
خطت على القلب مثل الخط بالقلم
وادی الكناثة . مهتد السحر بالقلم
عهد الشباب وأيام الصبا النهم
بالمجد هاماتها خفاقة العلم
وللصحاب وداد غير ذی برم
لموطن فيه تلقى جيرة الحرم
بالفضل والنبيل في الاخلاق والكرم
ظلا وفي الحرب أسد الغاب والأجم
طاروا اليه على علاكة اللجم
فيهم وفيهم سجاياها من القدم
هدى الأنام ومنهم سيد الأمم
وطاهر الكف والأردان والشيم
سر النجاة لكل العرب والعجم
أضفى عليه اله الكون من كرم
من السماوات حتى خافض الرغم
خبت وكان لظاهها شر مضطرم
ايوان كسرى فضج الغارم الأثم
أمال فارس تحدى بالهوى النهم
أتى الطبيب جراح الأمس فالتأمي

دنا الرحيل فودع جيره الهرم
ودع فتوديع اخوان الصفا صفة
يا جيرة النيل أمالي بصحبتكم
لو أنصفتني الليالي ما تركت ربا
يامصر فيك تعود الشيخ صبوته
لكن بنجد لنا دار مكللة
ودعت مصر وفي صدرى لها نزل
دع عنك مصر فانت اليوم مرتحل
هناك حيث ديار العز عامرة
من العبادة أنضاء تخالهمو
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
دم العروبة في أنقى منابعه
وفيهمو طلعت شمس الهدى وبهم
محمد خير خلق الله كلهمو
جاء الوجود يتيما في لفافته
واستقبل الكون ميلاد الكريم بما
النور أشرق ملء الأفق ساطعة
والنار في أرض كسرى جن موقدها
واهتز من فرح أودى بشرفته
ماهزه الذعر كلا بل به رقصت
الى الخلاص من الطاغى وصولته

خوارق لست أحصيتها فقد كثرت
عاش اليتيم وعين الله تكلؤه
وعاش كالانبياء السابقين فلم
وعاش فى عفة من كل ناحية
ولم يضره لدى أشراف أمته
ولقبوه أمين القوم صادقهم
خديجة ربة العقل الكبير رأت
أن الرسول الرفيق المصطفى له
تقدمت نحوه الحسنة خاطبة
لم يله المال والأهلون عن طلب
حتى اذا جاءه جبريل أرعبه
فجاء والرعب يجرى فى مفاصله
فطمأنته بأن الله مكرمه
كانت له أول الأتباع قاطبة
لما اطمأن الى درب النجاة أتى
وخل يصعد فى درب الرسالة لا
لما تكاثر أصحاب الرسول قضا
بالله بان له درب الهدى فعدا
وشاح عن وجهة الضلال مبتعدا
حتى اذا أذن المولى بهجرتهم
وخل باقيهم فى عين ظالمهم
فى الصدر تغلى بها غليا مراحلم
حتى اذا أجمع القوم الطغاة على
مشى وصاحبه الأوفى يحفهم
الى المدينة حيث المصطفين من ال
هناك أذن للرحمن فامتلات

فى ساعة جاء فيها سيد الأمم
ولم يضر قط بالاملاق واليتيم
يشرب مدا ما ولم يسجد لدى صنم
ما ضر ان كان من سواقة الغنم
أن كان فيهم زمانا راعى الغنم
وبات كالبدور فيهم أو ذرا العلم
بعين رأى حصيف نافذ السهم
كف اذا تاجرت سحب من الديد
ولم تكن عادة النسوان فى الأمم
للرشد فى الغار بالتفكير فى الظلم
هول الفجأة والاحلال للكلم
خديج هاتى دثارى وأضغطى قدمى
وكيف لا وهو فيهم حافظ الذمم
قول ابن نوفل يغرى كل مؤتم
اليه أمر بانذار لذى الرحم
يثنيه خوف ولا ماصيغ من تهم
قاضى الطغاة بتعذيب لمعتصم
اليه عدو جياذ للسباق ظمى
عن الخنا وعن التسبيح للصنم
خفوا ولاذوا بأقوام من العجم
مثل القذا والسفا فى الحلق والحم
لا يملكون سوى التعذيب للخدم
قتل الرسول - وعين الله لم تنم
روح من الله لا الاثار للغنم
أنصار أهل الوفى والجود والكرم
أسماع يشرب من قدسية النغم

فلم يبق سوى السيف للعاصين للكلم
كتائب بالهدى خفاقة العلم
من المهيمن عز بازخ العظم
شوقى لكم عارم يا جيرة الحرم
والعين تهريق دمعا غير محتشم
ما أومض البرق فى محلوك الظلم

وشمر الدين عن زند الجهاد
وأيد الله جند المصطفى فمشيت
يحدوه نصر ألى نصر ويصحبه
يا جيرة البيت لا ريعت مرابعه
أبكى فتبكى الأمانى فى مساربها
وصل ربه على الهادى وشيعته

قصيدة محمد الشبل (١) :

وربيع المتى وفجر الوئام
من حنين الى الهدى وهيام
بين زاه من الجلال وسامى
سلسبىلا أثرت فيه غرامى
فيك ذكرى بطوله الاسلام
أنفس قد سمت لنيل المرام
نحو آت من العلا بسام
من منام أتعس به من منام
أتراهم تقدموا للامام
ليردوا مواكب الاسلام
هذه الأرض بالسنا والسلام
مشعل ساطع لمحو الظلام
صاغه الله من شذا الالهام
نفس صب متيم مستهام
فتلاشى كشارد الأوهام

مولد النور والهدى والسلام
شع فى مهجتي فحرك ما بى
موكب من ربا الحجاز تهادى
كوثر من منابع الوحي يجرى
ايه يامولد الرسول تجلت
قد أطلت على بنيه فهاجت
ذكرتهم بمجدهم فاشأبوا
وحدثهم الى النهوض فهبوا
أتراهم لوحىها قد أصاخوا
أتراهم تكاتفوا واستعدوا
ايه يا سيد بك الله حلى
أنت للكون سيد وامام
حلل الدين فوق رأسك تاج
يا نبى الهدى لذكراك تهفو
هذه البيد من أنار دجاها

مسرحا للضلال والجهل كانت
أنجبت كل مدره عبقرى
يا زبيح الزمان منك تسامت
هذه نفحة من النور حلت
بصلاة على البشير صداها
فقدت منبعا لهدى الأنعام
أنجبت كل فيصل مقدم
ذكريات الميلاد والاسلام
بضميرى فصغتها فى نظامى
فى لسانى ومهجتى وعظامى

عرض عام للقصيدتين :

قصيدة ابن بليهد : تبلغ قصيدة ابن بليهد (٥٣ بيتا) بدأها بمطلع رقيق يودع فيه مصر واخوان الصفا بها ، فى عبارات كلها حب ووفاء وألم من الفراق ، فهو يبكى - فى الأبيات الخمسة الأولى والبيت السابع - على فراق مصر حين دنا الرحيل ، ويريد أن يترك الذمام للدمع يجرى على فراق الأحباب والأصحاب ، فذاك أقل ما يفعل صاحب الشيم والأخلاق النبيلة عند توديع اخوان الصفا ، وكيف لا وقد خطت محبتهم على قلبه كالخط بالقلم ! حتى تمنى لو أن الليالى أنصفت فلم يترك مهد الفكر (مصر) ثم انها بلاد أنشطت أماله وبعثت فيه أحلام الصبا وحيوية الشباب بعدما نبذها من الأعوام ماينيف على الستين ، لكنه يودع مصر وهو يصون حبها ووداد أهلها فى صدره .

ثم يعطف (فى الأبيات ٦، ٨، ١٣) على وطنه نجد والحجاز ، فيبين عن شوقه وحنينه وحبه وتقديره لتلك البلاد المقدسة وأهلها ، وأن ذلك الحب هو الذى يخفف عليه ألم فراق مصر ، أو ليست نجد مهده ومنشأه ؟ فهو ان ترك مصر وأهلها فله من وطنه وأهله ما يعوضه أو ما هو أولى بحبه ، ولذا فهو يثنى على أهله ويمدحهم بالعبادة والكرم والشجاعة ، والعمل على نشر الاسلام ، وانهم أنضاء عبادة ، لكنهم فى الهيجاء كالأسود الضارية ، ثم انهم أصل العرب وفيهم تجرى أنقى دماء العروبة ، ثم ان تلك الأرض كانت المهد الأول للاسلام ومهبط الوحي ، ومن أهلها كان المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وبعد هذه المقدمة التى بلغت (١٣ بيتا) أخذ فى الحديث عن النبى
— صلى الله عليه وسلم — وطهارة كفه وأردانه وشيمه ، وانه كان سر
نجاة البشرية مما هى فيه من فساد ، ثم أفضى الى ذكر المولد النبوى ،
وبعض ماصحبه من خوارق ، وفسر تساقط شرفات ايوان كسرى
تفسيرا لطيفا يأتى ذكره ان شاء الله •

تم ذكر شيئا من نشأته عليه الصلاة والسلام ، وأن يتمه لم يضره ،
لأن الله — جل جلاله — كان يرعاه فلم يشرب خمرا ، ولم يسجد لصنم
وكان يعيش فى عفة ، يكسب قوته من عمله ، وأن قومه قد شهدوا
له بالأمانة والصدق ، ثم عرج على زواجه من خديجة — رضى الله
عنها — ليخلص من ذلك الى : الحديث عن بدء الوحي ، فتبليغ
الرسالة ، فموقف قومه منه ومن دعوته ، ثم هجرة بعض الصحابة —
رضوان الله عنهم — الى الحبشة ، ولم ينس الإشارة الى ما اشتعل
فى صدور المشركين من غيظ وحقد ، وما دفعهم اليه من تعذيب
أصحاب النبى ، وبخاصة من كانوا تحت أيديهم من الخدم والعبيد ،
ثم دلف الى الحديث عن هجرة النبى الى المدينة المنورة ، وماتبع
الهجرة من اشتداد شوكة المسلمين ومد لواء الاسلام ، فى ظلال
الانتصارات المتتابة لجيوش التوحيد ، ثم ختم القصيدة ببيتين وجه
الحديث فيهما الى جيران الحرم الشريف ، وقد شغنت هذه الخاتمة
بعاطفة مشبوبة الى تلك الربوع وأهلها ، وأنه كلما تذكر جيران
الحرم بكى فبكت معه أمانيه فى مساربها ، وأسبلت عيونه الدموع بلا
احتشام ، أما مسك الختام فالصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام •

قصيدة محمد الشبل :

أما محمد الشبل فقد أخذ فى الغرض مباشرة ، فذكر المولد النبوى
وما تركه فى نفسه من أثر بالغ ، ثم خلص منه الى ذكر الوحي وما
أوحى الى النبى من منهج قويم ، شبهه بالكوثر فى العذوبة والصفاء
ثم عاد الى ذكر المولد النبوى ، ليخاطب من خلاله المسلمين ، ويتساءل
هل أخذوا منه العظة والعبرة فى حياتهم التى طال بهم فيها الخمول ؟

ثم مدح النبي في أبيات ذكر فيها أن الله زين الأرض بالسلام والسناء على يده ، لانه السيد الامام والمشعل المبدد للظلام ، وان ذكراه لتهفو لها النفوس وتهيم ، لانها ذكرى مولد من خلص العالم من الشرور والفساد .

ما اشتركت فيه القصيدتان :

الى جانب التقاء القصيدتين في الغرض ، وهو ذكر مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي حرف الروى وهو (الميم) رغم اختلاف حركتها اشتركتا في أمور أربعة هي :

١ - ذكرى مولد النبي الذى هو الغرض المقصود ، وكان المفروض أن يفيض فيه وفيما يؤخذ منه من عبر وعظات وذلك فيما أعرف هو المقصود من مثل هذا ، غير أنه لم ينل منهما ما يستحق وان اختلفا فى ذلك .

أ - فابن بليهد لم يذكر المولد الا فى بيت واحد - هو رقم ١٦ - اخبر فيه أن الكون قد استقبل مولد النبي بما أضفى عليه من كرم .

ب - أما الشبل فكان عنده أحظى من صاحبه ، سواء فى ذلك ما يتصل بوصف حال الأمة الاسلامية وما بعثه المولد النبوى الشريف فيهم - وذلك ما سيأتى ذكره فيما امتاز به عن صاحبه - أو ما يتصل بذكرى المولد نفسه اذ قال (فى الأبيات ١، ٢، ٥، ١٤، ١٨) ان مولد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - الذى هو مولد النور والهدى والسلام والوئام وربيع المنى - قد أشرق فى مهجته فأثار ما فى نفسه من أشواق ، فهو آية تجلت فيها ذكر البطولات ومجد الاسلام ، ولذا فان النفوس المؤمنة تهفو اليه دائما وأبدا ، أو ليس هو ربيع الزمان فيه تتجلى الذكريات الاسلامية الجليلة ؟

٢ - وكلاهما مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر طرفا من صفاته وخلاله ، وان اختلفت نظرة كل منهما الى تلك الصفات والسجايا .

١ - فابن بليهد يصفه (فى الآيات ١٤، ١٥) بأنه خير خلق الله ، وأنه طاهر الكف والأردان والشيم ، وأن الله جاء به نجاة للعالم مما هو فيه من شرور .

ب - أما الشبل فانه فى الآيات ١١، ١٢، ١٣ - يصفه بأنه مصدر ضياء الكون ومنطلق السلام فيه ، وانه سيد الكون وامامه وان الله قد حلاه بتاج من شذا الالهام ، أى : الوحي .

٣ - واذا كانا قد اتفقا على ذكر الوحي ، فانهما قد اختلفا فى كيفية تناوله والحديث عنه .

أ - فالشبل فى البيتين ٣، ٤ قد تحدث عن الوحي أى الموحى به وانه كالكوثر ، وانه قد تهادى من ربا الحجاز فى جلال وسمو .

ب - أما ابن بليهد فقد تحدث فى (الآيات ٣٢، ٣٥) عن حاله صلى الله عليه وسلم - عند بدء الوحي ، وانه قد رعب عند أول لقاء بينه وبين جبريل - عليه السلام - فجاء الى خديجة مرعوبا ينادى : (دثرونى دثرونى) لكنها طمأنته بكلماتها الطيبة ، التى سرت عنه ما أستولى عليه من رعب وفزع ، وأعادت على سمعه ما عرف به من جميل الصفات وسامى الخلال ، ثم أخذته الى ابن عمها ورقة بن نوفل فلما طمأنه بأن ما أتاه هو الناموس الذى ينزل على الانبياء ، كانت خديجة - رضى الله عنها - أول التابعين له المؤمنين برسالته .

وعندى أن الاثنين لم يوفقا الى الهدف المنشود ، وكان يجمل بهما أن يتحدثا عن الوحي ونزوله واستقبال الارض له وأثره فى الانسانية الى ما يصحب ذلك من وصف حال النبى - صلى الله عليه وسلم .
٤ - وآخر ما التقيا فيه ختام القصيدة بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم .

ما أمتاز به كل كل واحد منهما :

وقد انفرد كل واحد منهما بأمور تميزه من صاحبه ، من ذلك :

١ - ان ابن بليهد قد مهد للغرض بمقدمة بلغت (١٣ بيتا) ، بينما أخذ الشبل في الغرض مباشرة ، وكلا الامرين جائز لوروده في الشعر العربي ، الا أن بعض المتأخرين يؤثرون الاخذ بالغرض دون مقدمات .

٢ - وكلاهما وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - الا أن وصف ابن بليهد له ، انما هو في جملة أوصاف جلها يمكن أن يوصف بها كل كريم في أخلاقه وسيرته ، كوصفه بطهارة الكف والأردان والشيم أما الشبل فان وصفه بأن الله حلّى به الارض ، وانه سيد الكون ، وان حلل الدين فوق رأسه تاج من شذا الوحي ، ومثل هذه انما تكون للنبي .

٣ - كما امتاز الشبل بأن فصل أثر المولد في المسلمين وانشاط امالهم وهمهم ، ومثل هذا لم يطرقه ابن بليهد في هذه القصيدة .

ويقول الشبل (في الابيات ٦-١٠) ان ذكرى المولد آية أطلت على المسلمين فاستثارت أنفسهم الطامحة الى نيل المراد ، اذ ذكرتهم بسالف مجدهم فاستشرفوا لمستقبل مشرق كالماضى ، بعد أن أيقظتهم من نوم طال مكثهم فيه ، لكن هل عملوا على استعادة مجدهم السالف ، وبناء مستقبل باسم يكون منطلقه التعاون والتكاتف ؟

٤ - ومما امتاز به الشبل أيضا ، الاشارة الى تغيير الاسلام لحياة العرب ، فحول بلادهم الى منبع للهدى والاسلام والسلام ، بعد أن كانت مسرحا للضلال والظلام والفساد ، فهو ، في الابيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، يتساءل عمن جلا الظلام عن البلاد ، واستنقذ منه العباد بعد أن كانت مسرحا لظلام الضلال والجهل ، فأمتست به ينبوع الهدى وضياء

الحق والسلام ، وأنجبت من أبطال الاسلام وقادة العرب من لا تزال
تضرب بهم الامثال .

وهو وان لم يجب على ذلك الاستفهام التقريرى ، الا ان الموضوع
نفسه يجيب عليه .

٥ - ثم ان ابن بليهد فى حديثه عن المولد أشار (فى الابيات من ١٧
- ٢٢) الى الخوارق ، التى صحبتها فذكر شيئاً منها : كاشراق الدنيا
بيوم مولده ، وخمود نار المجوس الذى أثار الذعر فى نفوس سدنتها ،
ثم فسر تساقط شرفات ايوان كسرى ، تفسيراً لم يأت بمثله - فيما
أعلم - المتحدثون عن الخوارق ، التى صحبت المولد الشريــــــــــــــــف
بأن جعل الايوان يهتز فرحاً ، وجعل آمال فارس ترقص بالايوان
استبشاراً بقدوم المخلص من الظلم والجور والفساد ، حتى تساقطت
من ذلك الرقص الشرفات .

وهذا معنى أخذه من قول أحد شعراء مصر مادحاً ومعللاً لزلزال
أصاب مصر فى عهد الممدوح .

مازلت مصر من كيد يراد بها
وانما رقصت من عدلكم طرباً

٦ - ثم انه (فى الابيات من ٢٢ - ٣١) تحدث عن نشأة النبى وخلاله
وأعماله ، فذكر أنه نشأ محوطاً بعناية الله ورعايته ، فلم يسجد لصنم
ولم يشرب خمراً ، وانه لصدقه وأمانته لقب بالصادق الامين ، وانه
رعى الغنم وما الى ذلك مما سرد فى أبياته ، كموقف خديجة - رضى
الله عنها - منه عليه الصلاة والسلام ، ومتاجرته فى مالها وتزوجه
بها وما الى ذلك مما ورد فى أبياته .

٧ - ومما يلحق بذلك حديثه (فى الابيات من ٣٢-٣٧) عن بدء
الرسالة ، وأن الوحي ما نزل عليه الا بعد فترة كان فيها يخلو لنفسه
ويتأمل واقع أمته ، حتى اطمأن الى أن ما هم عليه ليس بطريق

الخلاص ، لكنه حين فاجأه جبريل - عليه السلام - ذعر ، فجاء الى خديجة - رضى الله عنها - وقد ملكه الرعب ينادى (دثرونى دثرونى) لكنها طمأنته بأن الله لن يخزيه أبدا ، لانه صاحب الاخلاق والصفات الحميدة فى قومه ، وزادت فى تهدئة روعه أن ذهبت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى طمأنه أيضا بأن أخبره بأن ذلك هو الناموس الذى ينزل على الانبياء والرسل ، حتى اذا ما اطمأن نزل عليه الوحي من جديد بالأمر بانذار عشيرته الأقربين .

وهكذا يسير ابن بليهد فى سرد لبعض من أحداث سيرة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وموقف قريش منه ومن أصحابه ، فهجرته وصاحبه أبو بكر - رضى الله عنه - على نحو أشرنا اليه فى صدر هذه الموازنة .

٨ - وختم هذه القصيدة بإشارة الى بدء الجهاد بالسيف ، الى جانب الكلمة وانتشار الاسلام بعد الهجرة ، فى موجات من الانتصارات المتتابة مدت أفياءها الوارفة على الكثير من أنحاء المعمورة فوالى أصحابه والتابعون لهم دفع تلك الانتصارات ، حتى ظللت المعمورة الاقليلا .

وهذه أمور كلها لم يتطرق اليها الشبل ، على الرغم مما توحى به من عظمت ، وما تمدنا به من دروس خالدات .

٩ - ثم انك تجد النفس ترتاح لقصيدة ابن بليهد ، وتنساب خلف الصور والأخيلة والكلمات الهادئة المطمئنة ، تترشف منها رحيق الايمان ، وتتروح فى أفيائها الجلال والجمال ، ثم تتلمس أبعاد الأحداث فى صور من البيان باهرة النسيج رائعة التأليف .

ولو أخذنا فى الحسبان مقدمة القصيدة - وهى « ١٣ بيتا » - والخاتمة - وهى ٣ أبيات - لرأينا البلاغة والابداع فى التعبير فى أجلى صورته ، لكننا قصرنا الموازنة على ما كان منها فى الغرض المشترك بينهما .

أما قصيدة الشبل فهي على ما فيها من جمال فى الصيغة ، تحس أن الكلمات فيها تعتسف اعتسافا ، وتكره على مكانها ، عد الى المطلع والبيت الذى بعده واقرأهما ، ثم انظر هل فيهما ما يحرك وجدانك ويحتاج عواطفك ومشاعرك على الرغم من احتوائها على صور من البيان (كربيع المنى) و (شع فى مهجتي) ونحو ذلك ، ثم انظر الى قوله : (من حنين الى الهدى) والحنين انما يكون لبعيد والهدى والرشاد من المسلم قريب اذا أراد ووفقه الله ، اللهم الا أن تكون نزعة صوفية أراد (بالهدى) فيها المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهذا مالا أعرفه فى مثل بيئة الشاعر ، ثم انظر الى ذلك الغرام « فى البيت ٤ » الذى يكره على المقام على كثر منابع الوحي .

١٠ - ومما يؤاخذ به ابن بليهد اقتباسه بيت شوقي :

هناك أذن للرحمن فامتــــــــــــــــلات

أسماع مكة من قدسية النغم

وهو أحد أبيات نهج البردة لم يغير فيه ، سوى المكان .

ومنه اقتباسه قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم

طاروا اليه زرافات ووحدانا

فانه لم يغير فيه سوى الكلمتين الأخيرتين اللتين أبد لهما « فى

البيت ١١ » (بعلى علاكة اللجم) .

ثم ان فى الكثير من أبياته وأخص تلك التى عرض فيها سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يشبه السرد التاريخى الأمر الذى يلحق بتلك الأبيات بما نسميه الشعر التعليمى ، أو النظم التاريخى ولا يغفر له ذلك وقوع بعض المادحين فى مثله .

ثم انه اعاد فى البيت ١٦ ما أورد فى شطر قبله ، على نحو لم يأت بجديد ولم يدع اليه داع .

(الموازنة الثامنة)

— بين ابن بليهد وصديقه على امام عطيه —

فى شعر ابن بليهد الذى لم ينشر ، عثرت على مقطوعتين هما
من قبيل النقائض :

أولاهما : لأحد أصدقاء ابن بليهد فى مصر ، وهو على امام
عطية (١) .

والثانية : لابن بليهد ردا على صديقه .
وحكاية هاتين النقيضتين رواها ابن بليهد نفسه فى نبذة
قبلهما حيث قال :

(١) لم يذكر ابن بليهد اسم صديقه هذا فيما عثرت عليه ، ولقد اجتهدت فى تلمس
اسماء أصدقائه بمصر ، فذكر لى ابن أخيه سعود بن عبد الرحمن أن فيهـم
شاعرا لم يذكره ، الا أن فى اسمه كلمة امام ، وروى لى من أبياته ثلاثة فى
هجاء أحد علماء مصر وهى :

الى الله أشكو لـحـيـة وعـمـامـة	ظلمت بهن الخلق يا شيخ حامد
فأحداهما طالت لما ليس ينبغى	وأخراهما لفت لما ليس يحمد
أفى كل عام حجة وفضيحة	تروح وتغدو لا لفضل تمجد

فاجتهدت فى البحث ، حتى وصلت الى أنه الشاعر على امام عطية —
(١٣٢١ هـ - ١٣٨٤ هـ - ١٩٠٣ م - ١٩٦٤ م) درس بمدرسة العقاديين ،
التي فصل منها عام (١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م) بسبب نشاطه الثورى فالتحق
بالمدارس الليلية وظل يواصل دراسته ، حتى حصل على شهادة المعلمين
العليا ، بدأت صلته بالصحافة وهوى الحادية والعشرين من عمره ، واتسع
ميدان عمله فيها حتى أسهم بكتابات فى خمس عشرة صحيفة ومجلة ، وتقلب
فى وظائف كثيرة بالدولة ، كان آخرها مفتش عام بوزارة التربية والتعليم ،
وندى لتصنيف وفهرسة كثير من المكتبات فى العالم العربى ، وكان أميناً لدار
الكتب قبل نقله الى وزارة التربية والتعليم ، وكان شاعرا فكها .

من مؤلفاته ومترجماته : ترجمة التصنيف العشرى (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) ،
وكتاب الطهى الحديث وكتاب (الصهيونية العالمية «ارض الميعاد») .
وبلغنى من أمراته انه كان ينوى كتابة كتاب عن الرياض والديار المقدسة
ومناسك الحج .

(قال لى صديق عزيز : ما رأيك فى أن يجرب كل واحد منا سيفه فى الآخر ، يعنى : أن نتهاجى ، قلت له : أنا لأحب المهاترات الشخصية ولو كانت مزاجا ، فقد يجبر المزاح أنجس العداء ، فقال لى : نجعله عاما تهجو قومى وأهجو قومك ، قلت له : شريطة أن تبدأ أنت عسى أن تستثير شيطان شعرى ، فهو فى هذه الناحية كثير الخمول ، وكان قصدى أن يبدأ بالسوء أولا) (١) •

(نص المقطوعتين)

مقطوعة على امام عطيه :

- ١ - فى طبعك الغلظة الحمقاء والصلف
وفيك مالا تبين الخاء والالف
- ٢ - غذاك قومك من أهل الحجاز بها
من كل أهوج فى أخلاقه جلف
- ٣ - قوم طعامهمو لحم الجمال وخذ
غير اليرابيع والأضباب ما ألفوا
- ٤ - فى أرضكم رقصت حمالة الحطب
أرض بقر الشتاء والصيف تلتحف
- ٥ - وقد نمتهم الى الكذاب جدتهم
سجاح فاسمع ألايكفيك ما أصف؟
- ٦ - ياراعى الشاء يزجيه ويدفعها
الى المراعى وفى أعطانها يقف
- ٧ - كفى ، فما الفخر الا فى مآثرنا
يكفى أبو الهول والاهرام والتحف

مقطوعة ابن بليهد :

- ١ - من لؤم أخلاقكم يا صاحبي تكف
وفيكم فقد الاخلاص والشرف
- ٢ - ولست يا صاحبي أهوى مهاترة
لكن دعوت الى ما منه تفتـرف
- ٣ - بضاعة انتمو أهل لها • ولنا
عنها عزوف وللاخلاق مانصف
- ٤ - عيرت بالضب واليربوع أنهما
لاكالفسينخ فهل سدت لكم أنف
- ٥ - حلو الطعام لديكم مابه نتن
مثل الفسينخ ومش الجبن والقرف
- ٦ - لولا الحيا قلت مايزرى بجدكم
لكن لسانى عن الفحشاء منصرف
- ٧ - ان فاخر الناس بالاباء فخركم
بانكم للعبيد الاشـققيا خلف
- ٨ - نحن الالى بعث الهادى بساحتنا
وفيكمو ولكم فرعون يعتسف
- ٩ - يا بن الحرافيش أى الناس قومكم
بأى فضل يباهى فيكم السلف
- ١٠ - عبد ونخاسه أو صانع خزف
أو صانع بوظة يشقى بها الخزف

لمحة عن المناقضة :

النقائض جمع نقيضة ، مأخوذة فى الأصل من نقض البناء اذا
هدمه ، والجبل اذا حله ، وضده الابرام يكون للبناء والجبل والعهد ،

وناقضه فى الشئ مناقضة ونقاضا : خالفه ، والمناقضة فى القول : أن يتكلم بما يناقض معناه . .

والمناقضة فى الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ماقاله الاول ، حتى يجىء بغير ماقال ، والاسم النقيضة ويجمع على نقائص ، ولذلك قالوا نقائص جرير والفرزدق .

وهى حسب الاصطلاح الأدبى : أن يتجه شاعر الى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا ، ليعمد الآخر الى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا أو نحو ذلك ، ملتزما البحر والقافية ، والروى الذى اختاره الاول .

معنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع ، فخرا ، أو هجاء ، أو سياسة أو رثاء ، أو نسيب أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، اذ كان الموضوع هو مجال المناقضة ومادتها .

ولابد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقى الذى يجمع بين النقيضتين ، ويجذب اليه الشاعر الثانى بعد أن يختاره الاول ، ولابد فى الجملة من وحدة الروى وحركته ؛

ولم يخرج عن هذا النظام فى النقائص بين جرير والفرزدق ، غير قصيدتين احدهما للفرزدق والاخرى لجرير اختلفت فيها حركة الروى فقط (١) .

والاصل فى المعانى المقابلة والاختلاف لان الشاعر الثانى همه أن يفسد على الاول معانيه فيردها عليه ان كانت هجاء ، ويزيد عليها

(١) مطلع الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا

مطلع جرير :

لن الديار كأنها لم تحل

بيتا دعائمه أعز وأطول

بين الكناسى وبين طلع الأعزل

النقائص بين جرير والفرزدق ص ١٨٢ ، ٢١١ طبع فى مدينة ليدن المحروسة

بمطبعة بريل سنة ١٩٠٧ م .

مما يعرفه أو يخترعه ، وان كانت فخرا كذبه فيها أو فسر لها لصالحه هو أو وضع بازائها مفاخر لنفسه وقومه .

والنقائض فن شعري أصيل عند العرب تمتد جذوره الى أيام الجاهلية حيث عدوا من ذلك ما جرى بين امرئ القيس وعلقمة الفحل حين تحاكما الى أم جندب زوجة امرئ القيس .

كما عدوا من ذلك ما كان بين سلمة بن الحارث وأبي حنش لما قتل أبو حنش ، شرجيل أخا سلمة يوم الكلاب الأول .

ثم تطورت النقائض وأتسع ميدانها وسما هدفها في صدر الاسلام حين أشتد الصراع بين المسلمين والمشركين وكان الشعر من أسلحة الفريقين في ذلك .

على أن النقائض لم تبلغ أوجها ولم يستحكم أمرها ولم تأخذ شكلها الفني الكامل الا في أيام بنى أمية اذ كانت فيما قبل ذلك تقوم على أساس من نقض المعانى ، ولم يتجه أرباب النقائض فيما قبل ذلك الى الشكل الفني .

من هنا نجد ان قوافي النقائض فى الجاهلية تختلف كما يختلف حرف الروى والبحر أحيانا ، فلما جاء عهد بنى أمية التزموا فيما التزموا ذلك كله .

وكان من أسباب شيوعها واستشراء امرها فى أيام بنى أمية اشتداد الصراع بين الاحزاب المختلفة التى يصدر بعضها عن منزع عقائدى كالحاشميين والخوارج وبعضها فى منزع قبلى كاليمانية المصرية ، وأشهر ما أثر من النقائض ما كان بين جرير والفرزدق والاخلط الذين سموا بها اخر الامر الى أن جعلوها مدرسة فنية (١) .

ولئن كانت نار النقائض قد خبت وتقلص ظلها لاسباب ليس هذا مجال الحديث عنها وصارت لا ترى الا فى صور متقطعة كالذى كان

(١) انظر فيما مر من النقائض (تاريخ النقائض فى الشعر العربى) لاحمد الشايب ط مكتبة النهضة سنة ١٩٦٦ م .

بين العرب والشعوبيين ، الا أنا نجد أنها ظلت حية حتى عصرنا هذا •
وفى كتب ابن سحمان وأمثاله صور حية لذلك •

ومن بديع نقائض هذا العصر ماكان بين أمير الشعراء احمد
شوقي وولى الدين يكن فقد رثى شوقى الخليفة العثمانى عبد الحميد
بقصيدة جيدة ان دلت على شىء فانما تدل على وفاء أمير الشعراء ، فرد
عليه ولى الدين يكن بقصيدة حانقه على الخلافة الاسلامية هازئة
بشوقى ، ساخرة بمن أثنى عليه شوقى ورثاه (١) •

نقيضتا ابن بليهد وعلى امام :

ومنهج ابن بليهد وصاحبه فى هاتين المقطوعتين — كما فسرهما ابن
بليهد فى الكلمة التى أسلفنا — هو ما آلت اليه النقائض بين جريسر
والفرزدق — من اتخاذهما ذلك فنا أدبيا تتجلى فيه المقدرة الفنية ،
والتنافس فى ميدان المعانى والالفاظ والاساليب •

١ — فعلى امام ، افتتح مقطوعته البالغة سبعة أبيات ، بوصف ابن
بليهد : بالغلظة ، والحمق ، والصلف ، وأن فيه من الاخلاق ما يأنف
الانسان منه ، حتى يقول عند ملاحظة شىء منها متأففا : (اخ) وهى
فيما أعرف تعبير عامى ، يدل به على الاستكراه والاستقـباح ، وأن
تلك الصفات انما نمت فى ابن بليهد من قومه بالحجاز ، والمصريون
يطلقون الحجاز ويعنون الاراضى السعودية ••

وبهذا بدأ فى هجاء قوم ابن بليهد فوصفهم بالهوج والجلافة ،
وعيرهم بأكل لحم الجمل والضب واليربوع ، وأنهم لم يألـفوا سوى
هذه الأطعمة (٢) •

(١) مطلع شوقى :

هل جاءها نبأ البـدور

سل « يلدزا » ذات القصور

مطلع ولى الدين يكن :

وشجتك آفله البـدور

هاجتك خالية القصـور

(٢) أما لحم الجمل فماكول هنا وهناك وأما أنهم لم يألـفوا غير هذا فهى مبالغـات
الشعراء •

ثم عاد الى الأصول الأولى ، فعيّره بحمالة الحطب زوجة أبى لهب وبمسيلمة الكذاب ، وسجاح كما عيره ببيئة بلاده ، وأنها قارية حارة في الصيف باردة في الشتاء (١) .

ثم عيّره بأنه ما هو الا راعى غنم ، يمشى وراءها في مراعيها ويقف بينها في أعطانها ، وأنه ليس في فعله ولا في سير اسلافه ما يفخر به ، وانما الفخر كل الفخر للمصريين ، ولو لم يكن من مفاخرهم الا ما يشير اليه وهو أبو الهول والاهرامات والتحف، التي في المتاحف من تاريخ عريق مجيد للمصريين لكفى ، أو ليست تلك شواهد الحضارة والمدنية والقوة والتقدم العلمى ؟

(٢) أما ابن بليهد ، فقد بدأ مقطوعته بتوجيه الطعن في على امام وقومه معا وأنه يتصبب لؤما وذلك ما أخذه من قومه ، الذين فقد فيهم الأخلاص والشرف ، ثم قال له انه يدخل هذا الميدان لارغبة فيه ولكن تلبية لدعوة صاحبه ، الذى الف هذا المجال الذى هو بضاعته وقومه ، بينما لابن بليهد وقومه عزوف عنها .

ثم عمد الى رد تعيير صاحبه له ولقومه ، بأكل الضب واليربوع ، بالقول بأنها أفضل من السمك المجفف ، ذى الرائحة المنتنة (الفسيخ) وتعجب من قبول المصريين أكله بقوله (هل سدت لكم أنف) ، وأكل المش (الجبن المخزن) دون ان يصيبهم « القرف » والقرف كلمة يطلقها العامة في مصر على حالة نفسية عضوية ، شبيهة بما يصاب به المرء عند الغثيان .

ويتعلل ابن بليهد بالحياء من أن يقول ما يزرى يقوم صاحبه ، فان لسانه يترفع عن الفحشاء .

(١) تلك طبيعة الكثير من تلك البلادلا جميعها .

ويعود الى الأصول كما صنع صاحبه ، فيقول انه لامجال للمصريين أن يفخروا بالاحساب والأنساب ، ولو عقل صاحبه ما هجا أهل الجزيرة بالانساب ، وفيهم بعث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

أما المصريون فليسوا الا أبناء الفراعنة وقومه الذين كان فرعون يتعسف في معاملتهم ، وما هم الا أسلاف الحرافيش - أى الخدم - والعبيد والنخاسين ، وصانعى الخمرة الرديئة وأوانيها الخزفية .

(٣) فأنت ترى أن الشاعرين قد التقيا على المعانى ، ولم ينفرد أحد منهما بشيء سوى طبيعة البلاد ، التى غير بها على امام ابن بليهد فى البيت الرابع ، فلو عرف ابن بليهد جو بعض البلاد فى الصعيد ، أو عاش معنا صيف (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) وشتاء (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) فى القاهرة لرد عليه قوله ، ومن جهة ابن بليهد انفسرد بالاعتذار عن طرق هذا المجال ، وعزوفه وقومه عن الاسفاف فى الكلام ، وذلك فى البيتين الثانى والثالث من مقطوعته .

أما ما عدا ذلك فقد التقيا فيه على النحو الاتى :

أ - فكلاهما عمد الى الصاق الأخلاق الدنيئة بصاحبه وقومه .

فعلى امام فى بيتيه الأول والثانى ، وصف ابن بليهد بالغلظة والحمق ، وبالأخلاق التى يتأفف منها الانسان ، كما وصف قومه بالهوج والجلافة .

أما ابن بليهد ، فانه فى مطلع مقطوعته وصف على امام وقومه باللؤم فى الأخلاق ، وبفقدان الاخلاص والشرف ، وبالميل الى اصطناع المهاترة والمشاتمة .

ب - وكلاهما غير صاحبه بما يراه مستكرها من صنوف الطعام .

فعلى امام غير ابن بليهد وقومه ، بأكل لحم الجمال والضـب
واليربوع فى البيت الثالث •

وابن بليهد غير على أمام وقومه فى البيت الرابع والخامس – بأكل
الفسيح والجبن المش ، وفضل على ذلك لحم الضب واليربوع •
ج – وكلاهما فخر بأصله وطعن فى أصل صاحبه •

فعلى امام يفخر بأنه من سلالة بناء الاهرام ، وأبى الهول ، وأرباب
التحف ، وصانعى الحضارة فى البيت الرابع ، ويطعن فى نسب ابن
بليهد بأنه من سلالة : مسيلمة الكذاب ، وسجاح ، وحمالة الخطب
زوجة أبى لهب فى البيت الرابع والخامس •

وابن بليهد يفخر فى الشطر الأول من البيت الثامن ، بأنه من قوم
بعث فيهم النبى – صلى الله عليه وسلم – •

ثم يطعن فى نسب صاحبه فى الأبيات السابع والثامن والتاسع ،
بأنه من سلالة المماليك والفراعنة والحرافيش •

د – أما المهنة فقد غير كل منهما صاحبه بها :

فعلى امام فى البيت السادس يعير ابن بليهد بأنه من رعاة الفـنـم
الذين لم يعرفوا سوى السير خلفها فى المراعى ، والوقوف معها فى
الأعطـان •

وابن بليهد فى البيت العاشر ، يعير صاحبه بالعبودية والنخاسة ،
وصناعة الخمر الرديئة وأوانيها الخزفية •

٤ (فأنت ترى أن المقطوعتين تجريان فى حلبة واحدة ، لا فرق فى
ذلك بين اللفظ والأسلوب والصورة •

خذ مثلاً هاتين الصورتين : أولاهما : لعلى امام فى قوله : (غذاك
قومك من أهل الحجاز بها) حيث استعار الغذاء الـرـدىء

لردىء الاخلاق وجعل قوم ابن بليهد يغذونه بردىء الأخلاق ، كما يغذى الانسان بالطعام •

ثم خذ استعاره ابن بليهد فى قوله : (من لؤم أخلاقكم يا صاحبى تكف ••) حيث استعار تصبب السقف الردىء الذى تكاثر عليه المطر لتكاثر ساقط الأخلاق فى صاحبه وقومه ، حتى لكأنما هى تتصبب من جسمه •

وقد دفع تقارب المقطوعتين : فى اللفظ ، والأسلوب ، والصـور أستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود ، فى أحد مجالسى اليه الى القول بأنه يرجح بحاسته النقدية ، أن المقطوعتين كلتيهما لابن بليهد ولو كان الأمر غير ذلك ما سكت على امام مع قدرته ، كما توحى بذلك آياته •

وقد يؤنسنا فى رد هذا الاحتمال ، ما نجده فى البيت السابع عند ابن بليهد من ضرورة ، حيث حذف همزة (الاشقياء) وذلك ما ألفناه فى شعره ، بينما لم نجد شيئاً من ذلك فى مقطوعة على امام ، ثم انه لا دليل على هذا أو ذاك سوى مامر ، والأصوليون من قواعدهم الثابتة : أن الأصل فى الشيء بقاؤه على أصله ما لم يرد دليل بخلاف الأصل •

وفى تلمسى لأخبار على امام وآثاره ، ذكر لى بعض زملائه — بدار الكتب — أنه لم ينشر شيئاً من شعره ، ولم يكن يحتفظ بشيء من أصوله ، وانما كان يدلى به فى المناسبات الاخوانية ، على صورة فكاهة أو نادرة ، قد يحفظها الجالسون وقد تضيع فى مجلسها ، وعند سؤالى لأسرته اكدوا لى ذلك ، وأضافوا أن كثيراً من أوراقه ومخطوطاته عبثت بها أيد غير مكترثة — فى الأسرة — وباعوا ذلك وأشباهه للباعة المتجولين •

كلمة لا بد منها :

ليعلم القارئ أن ابن بليهد فى هجائه هذا انما يصطنع غير ما يعتقد ، فلقد أثنى على المصريين ، وأشاد بصادقتهم ، وان محبتهم خطت على قلبه مثل الخط بالقلم (١) ، كما أن أحاديثه المنظومة والمنثورة عن مصر تدل على اعجابه بها وبأهلها فهذا انما كان حديث مزاح بين صديقين ، كما أوضحت ذلك المقدمة النثرية .

وظنى أن ما يقال فى هجاء ابن بليهد ، يقال فى هجاء صاحبه وبخاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار صلات على امام بعلماء الجزيرة (٢) وذلك ما أكدته لى زوجته مستشهادة بكلمات الثناء ، التى تضمنتها عبارات بعضهم على مؤلفاتهم التى أهدوها لزوجها فى زياراته المتكررة للحجاز .

ويدعى ابن بليهد فى أبياته وفى مقدمته النثرية ، أنه ليس ميالا الى الهجاء . والناظر فى شعره السياسى ، يرى كثيرا من الهجاء لاعداء الملك عبد العزيز ، على أنه يصف الهجاء الذى ينفر منه بالمهاترات الشخصية ، فكأنه يريد أن يقول : ان هجاء اعداء الملك ان هو الا هجاء للجماعة ، التى ينتمون اليها أو تنتمى اليهم ، أو هو هجاء للمبادئ والأفكار التى منها منطلقهم ، ولو كان صادقا فى ذلك ما أورد أسماء بعض الأشخاص هناك مثل : حامد بن رفادة وأمثاله (٣) .

(١) انظر الموازنة بين ابن بليهد والشبل فى ذكرى «المولد النبوى» .
(١) مثل الشيخ محمد نصيف ، والشيخ محمد سعيد دفتر دار ، والشيخ علوى المالكى والشيخ جعفر الفقيه ، وعباس كرايه ، والشيخ ابو السمح .
(٢) انظر ابتسامات الأيام ص ١١٥ .

الفصل الثاني

« تحليل بعض النصوص الشعرية »

فى هذا الفصل سنعرض جملة من قصائد ابن بليهد ، تمثل جميع أطوار شعره تمثيلا كاملا مما نظمه بين عامى (١٣٣٩ هـ - ١٣٧٣ هـ - ١٩٢٠ م - ١٩٥٣ م) وانما دفعنا لذلك أمران :

أحدهما : أن من يريد استخلاص خصائص شعر شاعر ، لابد له من أن يعرض جملة من نصوص شعره ، كمادة تمكن من استخلاص الخصائص .

والآخر : أن شعر ابن بليهد لم يكن على وتيرة واحدة من حيث الجودة والقوة ، او الضعف والرداءة ، بل كان يقوى كلما تقدمت به السن وازدادت خبرته وثقافته واطلاعه .

لذا حرصت على أن تمثل هذه القصائد المختارة للتحليل جميع أدوار شعره ، وسترى أن كل قصيدة منها أقوى عموما من سابقتها .

وهذا يدلنا على أن الرجل كان ذا ملكه قوية ، كنا نتمنى أن يتاح لها منذ الصغر المراتنة والتثقيف ، اذن لكان لها شأن عظيم فى الشعر .

وحرصت كذلك على أن تمثل النصوص - التى اختارها - جميع الأغراض والموضوعات التى طرقها ففيها الرثاء كالأولى ، والمدح كالثالثة والخامسة ، وما هو وثيق الصلة بأحداث مرت بالشاعر وكانت

قوية اتصال بشئونه الخاصة ، وان جاءت تحت عنوان (المدح) من ذلك القصيدتان الثانية والرابعة ، ومنها ما هو شكر وثناء ، فهو أقرب الى الاخوانيات وهى القصيدة السادسة ، ومنه ما يصور نظرته تجاه مصر وآثارها وعاداتها وتقاليدها ومن ذلك القصيدة السابعة .

أما العزل فقد اكتفينا فيه بالقصائد التى اوردناها فى الموازنات اذ لم نجد له فى شعره الفصيح سواها .

(القصيدة الأولى) (١)

● رثاء الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ● (٢)

١ - سبحان من جعل الدنيا لأهلها
شهدا وقدرته فى الخلق يمضيها
ان البرية فى تدبير واليها
اذا تكاملت الاجال يفنيها
تخفى المصيبة والألحاظ تبديها

٢ - شمس الهدى أظلمت شأما وأيماننا
بعد الذى قد حباه الله عرفانا
لما خلا الربع أياما وأحياننا
تذرى العيون من العبرات هتاننا
مثل الجداول سحا من مآقيها

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤٧ .

(٢) الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ من (١٢٦٥ - ١٣٣٩

١٨٤٨ - ١٩٢٠ م) ولد بالاحساء أبان اقامة أبيه بها ، وبعد رحيل أبيه الى الرياض أبقاء لدى أخواله حتى بلغ الرابعة عشرة حيث استدعاه الى الرياض فاقام بها حتى توفي - رحمه الله - ، وقد قطعت هذه الإقامة رحلات الى الحجاز والافلاج وحائل وغيرها من بلاد الجزيرة .

كان أمام عصره وكبير علمائه ، وقد تلمذ عليه كثيرون من مشاهير علماء الجزيرة ، وله آثار جليلة أهمها رسائله التى تضمنتها « الدرر السنية فى الأجوبة النجدية » .

رثاه كل من له سبب بنظم الشعر منهم ابن عثيمين وابن سحمان .

٣ - أين الذى فتحت دعواته بابا
خيرا ومد الى الخيرات أسبابا

بدر سما ثم فى بطن الثرى غابا
وأزعج الحزن أبصارا وألبابا
كادت تميد من الغبرا رواسيها

٤ - دع البكاء فما بالأمس أبكانا
خطب يثير على المحزون أشجانا
موت الذى شاد فى الاسلام أركاننا
تبقى مصيبتة من بعد ما باننا
ياخادم السنة الفرا ومحبيها

٥ - أين الكريم الذى للخير فعال
وفى المحافل للمعروف مقال
عسى له منهم فى الفهم أمثال
ما دام للعيش فى الآفاق ارقال
إذا حداها قبيل الفجر حاديها

٦ - شمس الهدى عمه بالفضل مولائى
وهو المعلم فى التوحيد والرائى
بما توضح بين الالف واليائى.
ففى القريب بحمد الله والنائى
يبدى علوما رفيعات وتنبيهها

٧ - حبر تفرع فى أعلى الهدى رتباً
وفى النباهة فاق العجم والعرباً
بالخير يعرف ما أملى وما كتباً
لعل خالقه يعطيه ما طلبها
عفوا وجنة خلد خالداً فيها

٨ - يا جدثاً حل فيه الزهد والكرم
أمين تلقى به اللذات والنعم
لعل جانب قبر حله علم
يهمى عليه بهطال الرضا ديم
ما راح مزن وما رنت غواديها

٩ - فلا يشاركه فى عصره أحد
يمده بالهدى من ربه مدد
له توضحت الآيات والسند
ووطد العلم فيمن ضمه البلد
حتى أجاد بفعل الخير باديها

١٠ - أضحى له فى بنى الاسلام آثار
فى ذهنه من غفير العلم تيار
وبالدليل له أمر وانكسار
لعل من لعظيم الذنب غفار
يؤويه فى جنة تبقى لأهلها

١١ - بالأمس ثار غرام المسلمين به
أهل لما قيل عند القائلين به
خيراً وعلم سفوح ما يضمن به
نال الثنى والنهى والفضل ليس به
الا خصال حميدات مناهيها

- ١٢ - عبد الاله مضيئات رسائله
 فى الدين لا يسأم التذكار سائله
 تسمو الى الرتبة العليا محافله
 ولا يضمن بما نالت أنامله
 اذا نأى بضرب الخور راعيهـ
- ١٣ - تتلى رسائله فى الناس اعلانا
 ما قال فى قوله زورا وبهتانا
 حقا يبينه للناس تبيانـ
- ومتقن كلما يرويه اتقانـ
 الى الذى عن رسول الله راويها
- ١٤ - فاذهب حميدا أبا عبد المليك فما
 يغنى الكلام لنا أن نخرج الكلمـ
 بالمجد تتعب من يقرأ ومن نظمـ
- نلت الثناء والتقى والمجد والكرما
 قرت بذا الناس دانيها وقاصيهـ
- ١٥ - فكل دار بها اللذات تنتقل
 المستريح بها قد غره الأمل
 لا ينفع المرء الا ما حوى العمل
 لا بد من ساعة يأتى بها الأجل
 تبقى سنين مقيمات لياليهـ
- ١٦ - دنيا تدوم بها الأطواد والقلل
 يا عين ذوقى بها ما ذاقـ
- للكل قرن جديد يضرب المثل
 بالأولين وما قالوا وما عملوا
 لم يحتمل للجنايا غير جانيهـ

١٧ - انا نقول اذا من بعد ما انتقلا
لو يقبل الموت منا غيره بدلا
الغنس والمال والأنعام والاهلا
والباسقات من الأتلاد والطللا
طرا ومن سلك الصحرا ومن فيها

١٨ - عسى الذى سمك الخضراء مولانا
يبقى لآخرهم عضدا وأعوانا
يجزون من فعل الاحسان احسانا
ندعو لهم بالبقا سرا واعلانا
اذا رأينا لأهل الشك تشبيهها
١٩ - عند التشاجر أتقاها وأسهلها

حبر له فى جليلات العلوم لها
حتى أقرت له عند الخطاب لها
آباؤه جدد التوحيد أولها
والله ثبت فى الاسلام تاليها

٢٠ - لعل حكاهم فى الناس حكام
ما زال فى الأرض أطواد وآكام
ما دام فى الدهر أيام وأعوام
تبقى ودنياهم أمن واسلام
ولو تغيرت الدنيا بأهلها

٢١ - ثم الصلاة على من فى الورى قاما
أبان للناس توحيدا وأحكاما
ثم السلام عليه كلما داما
عام يجر على الاعجاز أعواما
سبحان من بسط الدنيا لأهلها

الجو العام للقصيدة :

فى عام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م) توفى الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، كبير العلماء فى عصره .

ومنزلة العالم فى نفوس المسلمين معروفة ، لا سيما اذا كان من العالمين العابدين العاملين ، ولقد كان الشيخ عبدالله من أولئك ، وعندما توفى شعر الناس هنالك بجسامة الخطب ، فليس بعجيب اذن أن يبادر الشعراء الى التعبير عن مشاعرهم بدموع قلوبهم - المراثى حتى أن صاحبنا نظم فى رثاء الشيخ عبدالله قصيدتين هذه ثانيتهما :

وكانت هذه القصيدة موضع عناية من أهل تلك الأيام ، حتى أنها جمعت مع بعض القصائد المختارة وطبعت فى مطبعة أم القرى فى مكة المكرمة ، وبلغ من اعجابهم بهذه المجموعة أن كانوا يضمونها عند التجليد الى أعز الكتب الأدبية لديهم أو أنفسها وجودا .

● عرض وتحليل ●

تتكون هذه الخمسة من « ٢١ » مقطعا ، قد ترتبط لفظيا بعضها ببعض ، قد لا يوجد هذا الارتباط لكن الغرض العام يجمعها ، وفيما يلى عرض لها مقطعا مقطعا مع شيء من التحليل ، وأقول : شيئا من التحليل ، لطولها وتكرر المعانى فيها فى الغالب .

١ - بدأت القصيدة بهذا المطلع الذى سبح فيه الله ، الذى جعل الدنيا حلوة تغرى أهلها بالتشبث بها ، على أن الأمور جميعا خاضعة لارادة الله وقدرته وتدبيره (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (١) ويختمه ببيان ان المصيبة وان أخفاها التجلد ، فان العيون تنم عنها .

(١) سورة النحل آية ٦١ .

٢ - ويعبر عن فقد الفقيه بأن شمس العلم أظلمت بعد وفاته ،
وانه لما خلا الربع منه بكته العيون بدموعها الثرارة التى تجرى
كالجداول ، غير أن فيه ادعاء خلو الربع والزمان من أمثاله وهذه
مبالغة يقع مثلها كثيرا فى المراثى .

٣ - ويمدح الفقيه بنسبته الى أبيه ، وظنى أنه يعنى جده الامام
محمد بن عبد الوهاب على أنه ان كان يعنى أباه الأدنى عبد اللطيف
المعروف بالأزهري - فانه كذلك أهل لأن يمدح به لما له من منزلة علمية
وأدبية ، ومن رياسة وسيادة ، فقد كان كبير العلماء من بعد أبيه ، ثم
يعود الشاعر الى بكاء المراثى ، ويقول أنه كبدر السماء أشرق ثم
غاب فأحدث غيابه رجة كادت تميد منها الجبال .

٤ - ويبكى الشاعر على محيى السنة مشيرا الى أن فقده ، كان
خطبا جليلا تتجدد مصيبتة بتجدد الأيام .

٥ - ويشنى على الفقيه ببعض الصفات ، فيصفه بالكرم فى فعله
وقوله ، ثم يدعو بأن يبقى له فيهم أمثال مدى الأيام ، وكنى عن ذلك
بدوام ارقال العيس ، التى يحدوها فى الفيافى حاديها ، أذ أنها
لاتصالها الوثيق بحياة الانسان اذ ذاك ، دليل استمرار الحركة والحياة
وهذه صورة بدوية مثيلاتها فى شعره كثير .

لكن من هم هؤلاء الذين يدعو بأن يكون فيهم من مثله فى علمه
وعمله ، أهم أولاده ، أم تلاميذه ، أم من ؟ ، لعله يقصد عارفى فضله
فهو يطلب اليهم أن يجعلوه أمثولتهم وقدوتهم .

٦ - ويعود فيصفه بأنه شمس الهدى ، وان الله قد أسبغ عليه من
أفضاله ، ما جعله علما فى قومه ، اماما لهم فى علمه وفضله ، ومعلما

أبان للدراسين مناهج الحق ومسالك الصواب ، فيما أحاط به من علوم
وقد رمز لذلك بالالف والياء •

أما «الرائي» فى آخر البيت الأول من هذا المقطع ، فلعله يعنى
بها المدرك بعين بصيرته ما خفى على بصائر الآخرين •

٧ - ويشير الى أن هذا الجبر قد سمت منزلته العلمية ، حتى فاق
العرب والعجم وأن الخير فيما سطر من علم كتبه أو املاه ، ولذا فهو
يدعوه أن يعطيه الله ما يطلب منه وهو جنة الخلد ، كفاء ما قدم فى
دنياه من علم ينتفع به •

٨ - ويدعو الله بأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة ، كما وعد
الصالحون ، يلقي بها من كرم الله كل ما يتمناه ، ثم يدعو لقبره بالسقيا
وتلك عادة فى أساليب الرثاء عند العرب ، فهم لشدة حبهم للغيث لما
يتوقف عليه من مصالح حياتهم ، يدعون به لديار الأحبة وقبور الموتى
ومعلوم ما فى ذلك من أسلوب بيانى جميل •

٩ - وينفى وجود المثلث له فى عصره ، ويرجع ذلك الى الأسباب
التي تربطه بربه تلك الأسباب التي هيأت له فهم القرآن والسنة ، حتى
ثبت أركان العلم بين الناس حتى البوادي التي جدت - بعد توجيهه
وارشاده - فى سبيل الخير ، وهذه اشارة الى نشر التعليم ، ومد
مظلته على سكان البادية •

١٠ - ويمدحه بأن آثارة العلمية ظاهرة على الناس ، وذلك لما
اشتهر به من وافر العلم والمعرفة المؤيدة بالدليل ، ثم يتجه بالدعاء الى
الله الغافر للذنوب ليسكنه فسيح جناته •

١١ - ويتحدث عن فجعية المسلمين فيه ، لكنه لا ينطلق فى هذا ، بل
يلتفت الى مدحه بأنه أهل لما قيل فيه من ثناء عليه ، وبأنه جواد بعلمه

لا يضمن به بالاضافة الى سائر خصاله الحميدة ، ولذا فانه أهل لما ناله من فضل وثناء عليه •

١٢ - وفى هذا المقطع يعيد ما قاله من ثناء عليه بالعلم ، لكنه يزيد فيه مدحه بالكرم حين تضيق ذات اليد ، لما يصيب البلاد من شدة وضيق بسبب الجذب ، يدفع رعاة الابل الى الضن بلبنها •

١٣ - ويشيد برسائله ، وأنها منشورة الصفحات بين الناس ، يتلوونها لما تضمنته من حق أبان سبله فيها ، بقول خال من الزور والبهتان ، وأنه حافظ لما يروى : من أحاديث ، وأخبار ، ومسائل فى العلم وبخاصة المسند من الحديث •

١٤ - ويطلب له الحمد الأخرى كفاء ما قدم فى دنياه ، مما استحق عليه الثناء من الجميع ، فاذا كان قد ذهب حميدا فانه مهما قيل فيه من الكلام فانه غير مجد بعد فقده ، على أن الحديث عنه لو قصد الى اعطائه حقه ، لأرهق ذلك أرباب الأقلام من ناظمين وناثرين ، وذلك لما عرف به المرثى من كرم أخلاق، وكرم يد عرفه به الناس وجميعا

١٥١٦ - ولما كان الموت من أسباب العظة ، ودواعى التأمل والتفكر فانه من الطبيعى أن يكون للحكمة نصيبها فى كل مرثية ، بل أن الحكمة هى الغرض الوحيد ، الذى يقتحم - بدون استئذان - أى قصيدة فى أى غرض ، وبخاصة عند العرب الأقدمين ، ومن نحا منحاهم - المتأخرين ، ولذا نجد ابن بليهد يسوق لنا جملة من الحكم والعظات فى هذين المقطعين •

فاللذات فى كل دار بهذه الحياة متغيرة ، ولذا فان من يركن اليها ويؤمل دوامها مغرور ، وليس ينفع المرء الا ما قدم من عمل صالح يبقى له فى أخراه ، فالأجل محتوم وانما الذى يبقى فى هذه الدنيا هى

الأيام والليالي الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل الأيام والليالي : الجبال •

لذا فان مذاقه من فقد الفقيد ذاقه من قبله ، وبذلك يضرب المثل :

● يا عين ذوقي بها ما ذقت الأول ●

١٧ - ويتمنى (بلو) الا يكون الموت لحق بالفقيد ليبقى فى دنياه ، كما يتمنى لو قبل الموت بدلا من الفقيد ، وليس بالمهم أن يكون ذلك البديل : نفسا ، أو مالا ، أو أهلا ، أو منازل ، أو نخيلا ، وكأنه فى هذا التفصيل يريد أن يقول : أن كل شىء فداء لهذا العالم لو قبل الفداء

١٨ - ويدعو لخلفه أن يجعل الله منهم عضدا للدين وأهله ، وأن يجعلهم أهلا لحمل رسالة الفقيد : ينافحون عن الدين كفعله ، ويردون بما يحققون شبه المشبهين ، ويدحضون شك الشاكين •

١٩ر٢٠ - ويشنى عليه بالتقى واللين عند التشاجر ، وذلك لحلمه ولما له من يد طولى فى العلم ، الذى به وبفضله وحلمه وعقله وسلم له المجادلون ، وليس هذا بالغريب ، فهو فرع دوحة نبتت فى العلم وكان على يد أئمتها تجديد ما اندرس من معالم الاسلام ، وبخاصة توحيد الله ، ذلك الذى ثبت الله فى فهمه ولهم وآخرهم •

ولذا فهو يدعو لهذه الدوحة المباركة بالتثبيت ، وأن يظل حكمهم وكلمتهم مسموعة مدى الدهر ، لا يتغير بتغير الحياة والناس •

٢١ - أما المقطع الحادى والعشرون وهو الأخير ، فانه يختم به القصيدة بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - كما هى عادته فى شعره الا القليل •

● نظرات وتعليق ●

١ - تمثل هذه القصيدة فى أسلوبها ولغتها ، ذوق أهل زمانها وما يؤثرونه ، فى طريقة النظم من ألفاظ وأساليب ، ثم ان مظاهر الصنعة والتكلف بادية فيها على أكثر من صورة منها :

(أ) هذا التخميس فى قافية القصيدة ، حيث يأتى بيتين تختلف قافية كل مقطع منها عن قافية بقية المقاطع ، الا أنه يختم بشرط خامس ، ملتزم فيه طوال القصيدة : قافية واحدة ، ورويا واحدا ، وذلك وجه من وجوه الصنعة فى مطلع عصر النهضة وما سبقه .

(ب) ثم السهولة واليسر فى الألفاظ والأساليب الى حد الابتذال ، وقد لا يعد ذلك مأخذا على أبناء ذلك العصر ، لضحالة ثقافتهم وميلهم الى اليسر والسهولة ، وقرب التناول ، فى جميع أسباب حياتهم .

٢ - وعلى الرغم من شيوع المحسنات البديعية فى عصر ابن بليهد ، نجد ميله اليها قليلا حتى فى تلك القصائد ، التى نظمها فى أول عهده بالشعر الفصيح كهذه القصيدة ، ونستطيع حصر ما أتاه من ذلك فى هذه فى مثالين أو ثلاثة ، من ذلك قوله فى المقطع الأول «تخفى المصيبة والألحاظ تبديها» فان فى تخفى وتبدى طباقا اقتضاه المقام لفظا ومعنى فجاءت على نحو لا يغنى عنها سواها فيه .

(ب) ومن ذلك ما ورد فى المقطع ١١ ، حيث جاءت كلمة (به) فى آخر كل شطر من الأشطر الأربعة وهو جناس تام كما ترى ، اختلف فيه المعنى واتفق اللفظ ، ومع وروده أربع مرات لا تشعر بثقل فيه ، ولا تلمس فيه أثر تكلف ولا اعتساف ، بل على العكس من ذلك أنك لو حاولت أن تضع بدل واحد منها غيره مكانه ، لم تستطع ذلك الا بتعمل وتمحل .

ج) ومن الجناس الناقص (بابا ، واسبابا) فى المقطع : ٣ ، ومنه
(رسائل ، سائل) فى المقطع ١٢ ، وما يقال فى سابقه يقال فيه
من اتيانه على السجية والطبع ، وذلك ما يحسه صاحب الذوق السليم .

٢ - لدى نظم هذه القصيدة كان الشاعر حديث العهد ينظم الشعر
الفصيح ، اذ نظمها فى السنة الثانية من بدء محاولاته فى هذا الميدان
ولذا نجده يقع فى ضرورات أربع ، ثلاث منها جائزة عند العروضيين
وهى : حذف الهمزة فى « الغبرا » المقطع الثالث ، البكاء المقطع الرابع
« الصحرا » المقطع السابع عشر .

أما الضرورة الرابعة فغير جائزة ، وهى زيادة الهمزة قبل ياء
المتكلم فى (مولاى) فقد ، أوردها فى المقطع السادس (مولائى) .

٤ - أما الصور البيانية عنده فى هذه القصيدة ، فانها تأتى بسيطة
سهلة تشبيها كانت أو استعارة أو غيرها فليس فيها ما يخرج عن
المألوف أو المبتذل خلا ثلاث صور :

الأولى : تشبيهه - فى المقطع - ١ - الدنيا فى ارتياح الناس
اليها ، وتلذذهم بها بالشهد فى حلاوته .

والثانية : استعارته - فى المقطع - ٤ - التشييد لنشر العلم .

والثالثة : استعارته - فى المقطع الأخير - الحيوان ، الذى يجر
خلفه شيئا ، للعام الذى تتبعه الأعوام .

وقد يكون فى الثانى والثالث من الجمال والعمق ما ليس فى الأول
لقربه وكثرة استعمال الناس له ، فكل الناس يقولون : الحياة حلوة .

وما عدا هذه الصور الثلاث ، فكلها عنده من الشائع المبتذل ، انظر الى تشبيهه - فى المقطع - ٢ - الدمع الجارى بالجداول ، أو تشبيهه فى المقطع - ٣ - العالم بالبدر ، وقبره بمغيب القمر ، واستعارته فى المقطع - ٦ - الشمس للعالم ، وتشبيهه - فى المقطع - ١٠ - وافر العلم والمعرفة بالماء الثرار .

أما الكناية فانها تأتى عنده حيناً على جانب من الحسن والجمال ، ككنايته - فى المقطع - ٥ - عن بقاء الأيام بدوام ارقال الابل ، التى يحدوها فى البید حاديها ، لكونها فى اتصالها الوثيق بحياة الانسان اذ ذاك ، دليل استمرار الحركة والحياة ، وهذه صورة من الصور البدوية الرائعة ، التى ألفناها فى شعر ابن بليهد ومعاصريه من أهل بلده .

وحيناً آخر يأتى بالكناية فى صورة يعلوها شىء من الغموض - ككنايته - فى المقطع - ٦ - «بالألف والياء - فقد يبدو لك حيناً أنه يکنى بذلك عن الحروف الهجائية ، التى هى مدخل التعلم ، وقد يبدو لك أنه يکنى بها عن أى القرآن الكريم ، فكلمة (اى) تبدأ بالألف وتنتهى بالياء .

(القصيدة الثانية)

● وهو في سجن المدينة المنورة ● (١)

نص القصيدة :

- ١ - يانفس عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل
- ٢ - ان قربونى الى دهماء مظلومة
فألدهر دولته تزكو على الدول
- ٣ - توهم القوم منى عند رؤيتهم
ومن توهم لا يخلو من الزلل
- ٤ - لما أتى الرعب فى أرجاء أرضهم
قاموا جميعا كأن الرعب من قبل
- ٥ - حتى أتى الأمر من تلقى رئيسهم
وأثبتونى برأى الشارب الثمـل
- ٦ - من كنت أعرفه حقا ويعرفنى
فالآن عنى لم يسأل ولم يقل
- ٧ - وان بثثت له عن حالتى خبرا
يقول لا ناقتى فيها ولا جمل
- ٨ - لما رأى القوم صادتنى أكفهم
رأى أن معرفتى تدنى من الأجل
- ٩ - عن دار خير الورى - والله - لو برزوا
ولو أتوا برجال من بنى ثعل
- ١٠ - الا أتتهم اذا من كل ناحية
تحدى اليهم عناق الخيل والابل

- ١١ - ان شاء رب السما أضحت جما جمهم
بيض العواتق بين البيض والأسل
- ١٢ - كما أتت وستأتى مثل ما سلفت
أيام تربه من أيامنا الأولى
- ١٣ - ترقبوا لوحوش البر يحشرها
زلازل تقذف الأروى من الجبل
- ١٤ - كتائب يملا الافاق عارضها
يقودها المرتضى فى القول والعمل
- ١٥ - عبد العزيز أعز الله دولته
ما هبت الريح فى الغدوات والأصل
- ١٦ - تدعوك طيبة الأطلال قائلة
أزج القلائص عند الحادث الجلل
- ١٧ - طهر بلادا رسول الله ساكنها
من المظالم والاشراك والخلل
- ١٨ - والوافدون لبيت الله قد تركوا
بين القبائل أجزاء على السبل
- ١٩ - نادى مناد من الاعداء بينهم
من يحجز الذئب لا يخشى من الحمل
- ٢٠ - نرجو من الله فى أيامنا فرجا
لما تواتر أمر غير معتدل
- ٢١ - من ظالم ضيق الأوطان واحتنكت
بنا ، تأزر أهل المكـر والحيل

- ٢٢ - فلا مقام لنا فى أرضنا أبدا
أما دهتهم أسود الفيل بالغيـل
- ٢٣ - أمامها بطل من بيت مملكة
بالجيش والخيـل والعسالة الذبـل
- ٢٤ - يسقيهمو شربة تبقى لشاربها
تفنى عن الصاب لا تفنى عن العسل
- ٢٥ - على جوانبها كمة مضمرة
فى الحرب كم حملت من أقطم جدل
- ٢٦ - والله ما جذبت الا وقد بعثت
للماكرين ومن يطوى على دخـل
- ٢٧ - وان تيمم حاديها الى بلد
لأمها زاجرات الويل والهـبـل
- ٢٨ - كم عصبة بطروا النعماء وامتثلوا
كبـرا وقد أصبحوا من أسفل السـفـل
- ٢٩ - يأتهم عصب يقفوهـم عصب
من كل ناحية تمشى على عـجـل
- ٣٠ - استحدث الـركب عن أخبارهم خبرا
كى تبلغ النفس عنهم غاية الأمل
- ٣١ - نأت بى الدار والأوطان شاسعة
وحن رحلى الى حل ومرتحـل
- ٣٢ - ان هب ريح الصبا من أرضكم فرحت
نفسى وذكركم نوع من الجـذل

- ٣٣ - لقد هممت ونفسي قد أسكنها
من الامانى بالروحان فى العمل
- ٣٤ - على قلاص تدنى كل نازحة
من المفاوز والغيطان والقلل
- ٣٥ - وكل مخترق يخشى الهلاك به
قفر جوانبه فى مجهل غفل
- ٣٦ - يمتها الجهة العليا وقد لعبت
بى المفاوز فوق الأينق الذلل
- ٣٧ - فحلفت قطنا وبان واعتسفت
دربا معاله فى العثعث السهل
- ٣٨ - وأرقلت بى ركابى وهى قاصدة
الى فناء الامام السيد البطل
- ٣٩ - الى فناء امام المسلمين له
محلة عمرت فى الخصب والمحل
- ٤٠ - ترى القلاص بروكا عند سدته
ماوى لحاف ومطباء ومنتعل
- ٤١ - كم جفنه ملئت تدنى جوانبها
للمعتفين وللنائى عن الأهـل
- ٤٢ - عبد العزيز الذى أضحت فعائله
حقا على العدل ما شيبت من الجهل
- ٤٣ - منى سلام عليه كلما طلعت
شمس وما نأت الشعري الى زحل

- ٤٤ - نال الخلافة لاجورا ولا بطرا
دانت له الناس من شيخ ومكتهل
- ٤٥ - ساس الرعية للاخرى وليس له
من المطالب الا فسحة الأجل
- ٤٦ - له وأفعاله الحسنى شهدن له
بما توضح فى الآيات والنقـل
- ٤٧ - أباح أرض العدا فأصبحوا عبـرا
بفعله المرتضى والمنطق الجـزل
- ٤٨ - ورب مستكبر أعيت شـكيمته
عن مسلك الحق وانقادت الى الخـطل
- ٤٩ - كأنها فوق ظهر الأرض ما خلقت
يصطادها علة تشكو من العـلـل
- ٥٠ - بمرهفات اذا علت جوانبها
من الدما علقا فضلا عن النهـل
- ٥١ - من لاذ فى ظلها فليرتق شـرقا
- عال وتلبسه من أجمل الحـلـل
- ٥٢ - وأنتم القوم من قوم اذا ذكروا
هم الملوك ذوو التيجان والكلـل
- ٥٣ - أمل بأبنائك الفعل الذى سبقت
به السعادة فى أبائك الأول
- ٥٤ - قد اصبحوا غرة فى الناس مشرقة
فى سورة المجد فى الآباء والخـول

٥٥ - ولا أسائل فى اظهار مدحكـ
لقد غرقت فلا أخشى من البلـ

٥٦ - وأسأل الله رضوانا ومغفرة
من عفوه يوم كل الناس فى وجل

٥٧ - ثم الصلاة على المبعوث ما صفقت
ريح على البر أو ريح على زجل

٥٨ - والال والصحب ما غنى الحمام على
دوح وما ناحت القمرى فى الطلل

جو النص ومناسبتة :

فى عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) كان ابن بليهد فى احدى رحلاته ذات الوجهين : ظاهرها التجارة ، وباطنها السياسة ، وقد انتهت به تلك الرحلة الى المدينة المنورة ، وكانت اذ ذاك تابعة للشريف ، وابن بليهد معروف بالوفاء والاخلاص ، لابن سعود ، فكان منطقيا أن يتهم ابن بليهد ببعض التهم ، كتسقط الأخبار ، وتهريب السلاح لصالح ابن سعود ، وأن يسجن ويبيت قتله بعد أن يقدم لمحاكمة صورية

ويضيق الشاعر ذرعا بسجن الشريف ، أو يضيق السجن به ، ويرى مصيره تتقاذفه أهواء الرجال وقد قبضته أيديهم ، ويتسلل الى نفسه القلق والفرق ، فيكتب عن ذلك قصيدة •

لذا نجد القصيدة تتضمن الى جانب حديثها عن مصابه هجاء للامر بسجنه ، كما تحوى مدحا للملك عبد العزيز وجيشه ، وتهديدا للشريف بما يلقاه على يد جيوش الملك عبد العزيز •

عرض وتعليل :

١ - فى ثمانية أبيات من مطلع قصيدته التى تبلغ أبياتها (٥٨) بيتا تحدث عن قضية سجنه وسببها كما يقول ، وعن الامر بسجنه ، ثم أصحابه الذين انكروا معرفته حين اتهم وسجن .

أ - وقد بدأ الحديث « فى البيتين ١، ٢ » بمخاطبة نفسه وتسليتها ، بأنه لن يصيبها الا ما كتب الله له ، فلم الخوف ومم الضجر ما دام هذا هو القدر ؟ ثم ان الأيام دول ، فربما يجىء الغد بما لم يكن فى الحسبان وقد حصل .

ب - وفى الأبيات من ٣ - ٥ يلتفت الى أولئك الذين أمروا بسجنه ومحاكمته ، فيتدرج فى هجائهم ليصل فى آخر الأبيات الثلاثة الى وصف رئيسهم بالعريضة والسكر ، ثم يصفهم أول الأمر بالتوهم فى نظرته اليه وحكمهم عليه ، أو ما علموا أن المتوهم لا يخلو فى توهمه من الخطل والزلل ؟

ثم انهم لما آتاهم الرعب وغزا ديارهم ، صبوا غضبهم عليه ، الأمر الذى أذهلهم حتى ظنوا أن مصدر الرعب جاءهم من قبله هو ، لذا بادر رئيسهم (الثمل) بسجنه .

ج - وفى الأبيات من ٦- ٨ يعطف الحديث ، على أولئك الذين كانوا يدعون صداقته ، حتى اذا ما أبصروه وقد صادته حبال القوم ، تخلوا عنه وابتعدوا ، ونفضوا أيديهم منه ومن قضيته ، لأن فى معرفته ما قد يفتح باب التهم عليهم .

٢ - وفى الأبيات من « ٩- ١٢ » يعرض باعدائه ، وأنهم جنباء لا يستطيعون الخروج من ديارهم ، ولو خرجوا منها للقوا من قومه مثل

ما لقوا يوم تربه ، حتى لو استنصروا برماة طيء ، ويشير بأيام تربة الى هزيمة جيش المرتزقة ، الذين كانوا مع الشريف فى صراعه مع ابن سعود ، وكان ذلك عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) .

٣- وفى الأبيات من « ١٣ - ١٩ » يتجه الى الملك عبد العزيز ال سعود يستثيره ويغريه بغزو الحجاز وتطهير الحرمين الشريفين مما بهما من المظالم ويشير الى انه انما ينطق بلسان طيبة الأطلال ، وذلك اشارة الى احتواء المدينة : قبر المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وخلفائه الراشدين ، وقبور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، ويؤكد ان تأمين البيت الحرام وسبله مسئولية الملك عبد العزيز ، ولكنه يمهّد لهذا الاستنهاض بتهديد الأشراف بجيش الملك عبد العزيز الذى من عظمه ووفرته - تفر منه الوحوش فتلجأ الى العامر ، لأنه ملا البر فأرعبها فى زحفه .

وقد مزج الشاعر استنهاضه واستنجاهه بالمدح ، ودار مدحه حول : الفروسية والشجاعة ، والبطولة وما يتبع ذلك ، من وصف جحافل الجيوش الجرارة المظفرة ، التى ما غزت الا كان النصر والتوفيق حليفها ، لانها ممدودة بسبب من ربها .

٤ - وفى الأبيات من « ٣٠ - ٣٧ » يعود الشاعر الى الحديث عن نفسه من خلال حنينه واشتياقه ، وأنه يتسقط الاخبار عن الملك عبد العزيز عسى أن يجد منها ما يطمئنه ويشيع الارتياح فى نفسه القلقة ، وسياق الكلام يقضى بأن المشوق هو الملك عبد العزيز ، وان كان حنين الرحل الى الحل والارتحال قد يشير الى غير ذلك .

وتمتلىء نفسه حنيناً وتشوقاً ، فيحس فى ريح الصبا القادمة من تلقاء نجد نشوة وارتياحاً ، الى ما يثيره ذكر المشوق فى نفسه من فرح

ولكنه يسكن نفسه بالأمانى فى مستقبل العمل الجليل ، لكن ما الذى يهم به ؟ ، ربما كان الهرب ، وربما كان غير ذلك ، فهو لم يبن لنا عما هم به ، ثم يصف متفائلا رحلته الى نجد ، حيث تحدوبه نجائب الركاب الى الملك عبد العزيز ، وأنها فى طريقها اليه تقطع بالشاعر من المفاوز والمهامه ما يخشى فيها سالكها الهلاك ، حتى جازتها وخلصت جبلى قطن وبان وأعتسفت الطريق المطموس المعالم بفعل الزوارى •

٥ - وفى الابيات (من ٣٨ - ٥٤) يخلص الى مدح الملك عبد العزيز وهنا تتجلى لباقة ابن بليهد ومهارته ، من تحرى مواطن الكلام واختياره المناسبات لما يريد قوله للممدوح ، ليقع موقعه الحسن المناسب ، حيث يسهل الوصول الى الغرض المقصود •

فركابه انما أرقلت به الى فناء ذلك الملك ، الذى جمع أسباب الرياسة والسيادة فهو كريم ، عمر فناؤه بالمعتفين فى أيام الشدة والرخاء ، لا فرق فيهم بين صغير وكبير ، كلهم ينالون من كرمه ، وقد استشهد على كرمه بتقريب الجفان للضيوف ، وهى صورة عربية قديمة

ثم هو حاكم عادل لا يشوب أفعاله الجليلة جهل ، ولذا فهو يسلم عليه سلاما دائما مادامت الشمس والأفلاك فى مطالعها ، لأنه الحاكم الذى سلم من الجور والبطر •

ثم هو فى سياسته يتحرى ما يرضى الله وما يسلم به من عقابه فى الآخرة ، ولذا فهو يطلب له طول العمر ، لأن أفعاله الجليلة ، شهدت له بأنه يسير فيها حسب ما يمليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ثم هو شجاع فى فعله بليغ فى قوله ، وبذلك تغلب على الأعداء ولم يكن كالمستكبرين الذين جرهم جهلهم الى الهاوية ، ففى ظل سيوفه يلقي طلاب الشرف والمعالي المنزل الرحب •

ثم هو من قوم عرفوا بالرياسة والسيادة من قديم ، فلا بد أن يكون
آبائهم كأجدادهم وكيف لا ؟ وقد صارت لهم فى الناس أعلى المنازل •

أنظر الفرق بين مدحه فى الفقرة الثالثة والسابقة ومدحه فى
هذه الفقرة الخامسة •

انه فى الثالثة لم يمدح الا بالشجاعة وما يلائمها من الجيوش القوية
الجرارة ، والفرسان الابطال والسيوف والمعارك ، وما تخلفه من قتلى
وما تأتى به من انتصارات •

أما الفقرة الخامسة فانه لا يعطى الشجاعة والبطولة ، الا مثلما يعطى
غيرها من المعانى والخلال الكريمة التى يمدح بها ، فانه يمدحه فيها :
بالكرم والعدل ، وابتغاء وجه الله فيما يقول ويفعل ، ثم الشجاعة
والفصاحة ، ثم كرم الحسب والنسب •

ولذا نراه يختار الكلمات الملائمة لمثل هذه المعانى ككثرة الضيفان
فى فنائه ، لافرق بين الشريف والطريف ، والجفان : التى تدنى
للضيفان والعدل وعدم الجهل ، والجور والبطر ، ثم التنويه بالملك
وجلاله والمركز الاجتماعى لقوم الممدوح وبنيه •

على أن المدح فى الفقرة (٥) مرتبط ارتباطا عاما بالمدح فى الفقرة
(٣) لكنه فى الفقرة (٣) متصل بالحادث الذى نظمت من أجله القصيدة
اتصالا مباشرا وفى الفقرة (٥) متصل بالملك عبد العزيز ودولته •

٦ - ويختم قصيدته هذه بالتمدح ، بأنه فى مدحهم لا يخشى أحدا
ولا ينظر الى وجوه الناس ، ثم يطلب من الله العفو والغفران ، ثم
يصلى على المصطفى - عليه الصلاة والسلام •

نظرات وتعليق :

١ - واول ما نلاحظه فى هذه القصيدة أنها تمثل نقلة فنية نحسها عند صاحبنا ويتجلى ذلك فى :

أ) جريان القصيدة فى سياق طبيعى ، لاتحس فيه تنافرا أو تداخلا أو تقديما وتأخيرا ، فهو يبدأ قصيدته بخطاب نفسه وتعزيتها ، ليخلص من ذلك الى الحديث عن سجنه ومن أمر به ، حتى اذا فرغ من ذلك عطف على اخلاء الرخاء المتنكرين فى الشدة ، يأخذ بعد ذلك فى التعريض بأعدائه وتوعدهم وتحريض الملك عبد العزيز على قتالهم ، ليخلص من ذلك الى ذكر حنينه الى الديار ، ثم الى مدح الملك عبد العزيز وأبنائه .

ب) ثم جودة السبك وقوة الحبك واشراق الديباجة وحسن اختيار الكلمات والعبارات ، على نحو يختلف كثيرا فى ذلك كله عما سبق من قصائد الديوان .

خذ مثلا الابيات الاولى من هذه القصيدة من ١-٨ وقارنها بهذه الابيات التسعة من مطلع القصيدة الثالثة فى الديوان (١) .

لك الحمد يا من للمحامد مآهل
وشكر جزيل والرضا منك أجزل

لك الحمد يا منان يا سامك السما
تضمن أحكام البرايا ومنزل

كتابا أبان الحق حتى كأنه
سناء أضاء الليل والليل أليل

كتابا أبان الحق من كل باطل
يبلغه عبد الى الناس مرسل

شهدت بأن الله لارب غيره
قدير بأحكام البرية يعدل
وان ختام الانبياء محمد

له سنة مثل النهار تفصل
محبتة حق وأنى أحبه

محبة صدق لاجفاء ولا غلو

ففى الناس من للصالحات موفق
يطيع لما قال الرسول ويقبل

وفيهم أناس أثبتوا كل بدعة

فكم جاهل فيها يقول ويفعل

ثم أنظر الى المطلعين تجد شاهد ما قلناه :

ان هذا المقطع الذى أوردناه من قصيدة نظمها عام (١٣٣٨هـ - ١٩١٩م) ، أقرب الى أسلوب النظم منه الى أسلوب الشعر ، فهو يبدأ بحمد الله والثناء عليه وطلب الرضا منه ، ثم يكرر مدحه ويشير الى بديع صنعه أن سمك السماء بلا عمد ، ثم مامن به على الانسانية أن فصل لهم الاحكام فى كتاب انزله على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم يتبع ذلك بشهادة ، أن لا اله الا الله القادر العادل وأن محمدا عبده ورسوله ، نطق بالسنة المطهرة فمحبتة حق ، ولذا فهو يحبه حبا لا جفاء فيه ولا مغالاة تجاوز به الحد .

ثم يقسم الناس الى قسمين : قسم وفق للمصالحات واتباع المصطفى
- صلى الله عليه وسلم - وآخرين : جنحوا الى البدع جهلا منهم .

أسلوب كما تراه لا يختلف عن نظم المتون العلمية والألفاظ لا أقول
انها متباينة ، ولكنها شائعة على أى حال ، خالية من الايحاء الشعري ،
الى ما فيها من تكرار نفس الجمل ، كما تراه فى الابيات الاربعة
الاولى منها .

عد بعد هذا الى مطلع القصيدة التى نحن بصددھا ، واقرأ (الابيات
الثمانية الاولى ، ثم عد الى ما قلناه فى تحليلها وسترى أن الشاعر
فيھا أحسن الانسياب وراء العواطف والمشاعر وأجاد التصوير
للمواقف والمشاهد ، وكان ماهرًا فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام
ليصل الى التعبير الصادق عن التجربة التى عاشها .

ألا ترى ذلك الخطاب الموجه الى نفسه كيف دل على ما يعيشه من
صراع نفسى بسبب سجنه ؟ ثم أنظر الى البيت الثالث كيف وضع
فيه أعداءه موضع المتوهم الذى جره وهمه الى الزلل والخلل ؟ حتى
رأوا فيه خطرا يهددهم ، ويشيع الذعر والرعب فى نفوسهم فسجنوه ،
وكيف تنكروا له عند الشدة وتنصلوا من معرفته .

ثم عد الى الألفاظ وأنظر الى (اكتراب الامر) وماتدل عليه من
شدة وضيق ثم الى - دهماء مظلمة - وما تصوره من بشاعة السجن
ثم الى (توهم) و - الزلل - وماتشعران به من أخطاء فى التفكير
والتصرف وهكذا ، كما ستراه مفصلا نوع تفصيل فى الفقرة التالية

٢ - والتصوير البيانى يأتى على نحو من الابداع جيد ، كتعبيره
عن السجن بالدهماء المظلمة التى قربوه لها ، ثم هذه الصورة التى
رسمها لهم وقد قاموا جميعا عند دخول الرعب دارهم . . (لما أتى

الرعب فى أرجاء أرضهم .. قاموا جميعا (البيت ، اذ شبههم فى خوفهم ورعبهم منه يقوم جالسین فجأهم أمر مرعب فنهضوا من مجلسهم جميعا .

ثم الاستعارة الجميلة فى (صادتني أكفهم) أى : سجنوني ، ثم ذلك التشبيه الضمنى الرائع فى قوله :

ولا أسائل فى اظهار مدحكم
لقد غرقت فلا أخشى من البلل

على أن فى هذا البيت نظرا الى قول الآخر :

القاه فى اليم مكتوفا وقال له
أياك أياك أن تبتل بالماء

وان شئت مزيدا فاقرأ الأبيات من ٣٤ - ٤١ وسترى الصور البدوية العربية القديمة واضحة جلية ، تنطق بها تلك الأبيات التى بصور فيها رحلته الى المدوح ، ثم وصف كرم المدوح وذكر شواهد من كثرة الضيفان ، وتنوعهم ، وتقديم الجفان ، وما الى ذلك من الصور العربية القديمة .

ومن بديع كناياته ، الكناية عن المدينة المنورة بـ (طيبة الاطلال) أى : المنازل ، والمقابر القديمة ، التى حوت خير البشر وأصحابه ، والتابعين رضوان الله عنهم اجمعين ، ثم الكناية عن شوقه بحنين رحله (وحن رحلى الى حل ومرتل) ، ثم الكناية عن الكرم بكثرة مطايا الوافدين عند باب المدوح (ترى القلاص بروكا عند سدته) وبكثرة الجفان المملوءة بالطعام للضيفان (كم جفنة ملئت تدنى جوانبها) .

٣ - واذا كانت تلك بعض مظاهر احسانه فى القول ، فان له بعض المساوئ التى تؤخذ عليه :

أ - كالتقديم والتأخير فى البيت التاسع •

ب - ومن ذلك اتيان بعض الضرورات الشعرية ، كحذف الهمزة من السماء - العداء - الدماء فى الابيات (١١ ، ٤٧ ، ٥٠) وذلك كثير فى شعره ، وكتحريك الهاء فى (الأهل) فى البيت الحادى والاربعين ••
على انها جميعا من الضرورات الجائزة لدى العروضيين •

القصيدة الثالثة

فى الترحيب بنائب الملك على الحجاز ومدحه

فتى السعد بـآد والعيون تراقبه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبه

يبارين من نال المكارم والملا
وقد عرفت فى العالمين مناقبه

صبا نجد هبى فى الحجاز فانه
على أهله أمن وطابت مشاريه

لعمري لقد نال الحجاز بفيصل
ومقدمه أنسا تتم مآربه

أقول لأصحابى وقد باين الكرى
مآقينا والليل داج غياهبه

بدا الطالع الميمون من ال فيصل
همام تسامت فى نزار مناسبه

نماه الى الاصل الاثيل الذى سما
أبوه ومجد ثابتات جوانبه

على خيله نصر من الله لائح
وفى كل أرض مرقلات ركائبه

بها يقطع الفج البعيد الى العدا
إذا اخروطت بالسالكين سبابه

دها بمللمات البلا كل مجرم
وكل صديق جللته مواهبه

أقام منار الحق بعد اندراسه
وتسعه ابنائوه وكتائبه

لقد قطعوا للمجد كل مفـازة
من الارض أو فيج تنادى ثعالبه
على فيصل من والديه ملامح
تناجيه شمر للعلا وتخاطبه
زها بمحياء الحجاز وقد بدا
عليه ، وقاض البحر خضرا غواربه
يسر الاداني والاعادي يضرها
إذا قضيت اوطاره ومطالبه
زمان به طاب الحجاز لاهله
وعيشهم رغدا اذا دام صاحبه (١)

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م) عين الملك عبد العزيز - رحمه الله -
ابنه فيصل الملك السابق - رحمة الله عليه - نائبا له على الحجاز ،
فكان طبعيا أن يبادر الشاعر ابن بليهد ، الى تسجيل ذلك شعرا فى قصيدة
جاءت على الرغم من قلة أبياتها جيدة ، وان كان التقصير يعترىها من جانب آخر
حيث لم تتحدث عن المناسبة صراحة ، وانما اكتفت بالحديث عن قدوم
الامير من نجد الى الحجاز ، فهى صالحة لآى مناسبة قدوم للامير .

عرض وتحليل :

(أ) تقع القصيدة فى ستة عشر بيتا ، يبدأ كل بيت منها بحرف من
اسم «فيصل بن عبد العزيز» وذلك مذهب ماثور فى النظم ، ويقول
ابن بليهد ، أنه كان شائعا اذ ذاك عند الحجازيين .

(ب) وتبدأ القصيدة فى «البيتين ١، ٢» بوصف قدوم الأمير ، الذى
تعلقت به الأنظار ترحيبا وتفاؤلا واعجابا به لما عرف عنه من حسن

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٨ .

السجاياء وكريم الطباع ، وفى البيتين «٤،٣» اشارة الى أنه سلالـة أولئك الأبطال النجديين •

ومن المعلوم أنه قد التقى فى الممدوح نسب آل الشيخ وال سعود ، لذا فلا غرابة لدى الشاعر أن ينال الحجاز بمقدمة الأمن ، وبلـوغ المـآرب •

وفى هذه الأبيات الأربعة ، التى هى بمثابة المقدمة للقصيدة وصف للممدوح ، الذى يترقب أن يكون طلوعه على الحجاز طلوع الكواكب المضئية ، بل أنه جعل الكواكب تسير فى ركابه ، وقد تفهم كلمة (كواكب) على أنها جمع كوكبة ، أى : الفرقة من الجيش ، وان طلوعها فى افق الحجاز يشبه طلوع الكواكب ، ولذا فانه يقول : (لاحت على أفق الحجاز) ثم ان وصوله وجيشه الى الحجاز ، يشبه ريح الصبا فى تهدئة الالام وانعاش الآمال ، وفى ذلك ما فيه من وجه مجازى كما سيأتى •

ج) وفى الأبيات «٥-٧» يلتفت الشاعر الى أصحابه لبشرهم بمقدم الأمير ، بعد أن طال انتظارهم وينسبه الى آل فيصل نسبة الى فيصل ابن تركى ، مجدد دولة آل سعود ، ثم يمد الحديث عن أصله فينسبه الى نزار ، وأن أباه عبد العزيز وما عرفت به اسرته من مجدهما اللذان تمياه الى الاصل المؤئل •

على انه فى البيتين (٦،٥) يشير الى ان ولاية فيصل على الحجاز تبشر بعهد سياسى جديد ، يبدد ما ران على الحجاز فى عصوره السالفة من ظلم وظلام ، ليحل بذلك عهد كله : صلاح واصلاح ، وجمع للكلمة واشاعة للامن والاستقرار فى هذه الربوع المقدسة ، التى هى قبلـة المسلمين . وملتقى أفئدتهم ، ومكان اجتماعهم حين اداء خامس أركان الاسلام (الحج) •

ومثل ذلك العمل انما يتدب له أولو العزم من الرجال ، ولقد كان
فيصل - رحمه الله - فى الذروة من أولئك ، فلقد تم على يده كل
ما بشر به ابن بليهد ، فى كثير من قصائده التى نظمها فى مدح هذا
الرجل .

د - وفى الايات من (١٢، ٨) يمدح العهد الجديد ويباركه ويعلق
بمدح الملك عبد العزيز ، فيصف خيله بأن النصر يلوح عليها ،
وان جيوشه فى كل مكان وفج تسير ، تتبع الاعداء لا يثنىها
تباعد المسافات وتناوح المفازات ، لكنه ان كان عذابا للمذنبين
فان هباته تجلل الاصدقاء .

ثم أثنى عليه باقامة شعائر الدين واحياء ما درس من معامله ،
يعينه فى هذا ابناؤه وجيشه ، أولئك الذين لا يثنىهم عن المجد
وطلبه صعب الامور .

هـ - وفى الايات (١٣ - ١٦) يعود الى الممدوح ، فيذكر ان ملامح
والديه تدفعه الى العلا ، وتغريه بها لانه اهل لذلك ، ألا ترى الحجاز
وقد ازدهى وازدان بطلعته ، حتى البحر زاد مده وجاشت أمواجه
فرحة واستبشارا ، وذلك لانه مصدر سرور الاصدقاء واتعاب
الاعداء ، فلا غرابة ان عاش الحجاز فى عهده من عيشه فى رغد
وأمن واستقرار ، ولعله بذلك يشير الى مبلغ نجاح الرجل فيما
يتصدى له من مهمات يحطم فيها بعزيمته وشجاعته كل قوة
تقف فى وجهه ، حتى بلغ الحجاز عهدا زاهيا زاهرا
بالاستقرار والرخاء .

وفى البيت الأول من هذا المقطع يؤكد ما ورد فى فقرة (ب)
من انه يشير الى التقاء نسب آل الشيخ وآل سعود فيه .

نظرات و تعلیق :

١ - ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه القصيدة ، مع كونها مظنة التكلف والتصنع ، فى الألفاظ والاساليب ، لتقيدها بمظهر من مظاهر الصنعة ، كان شائعا فى عصر ابن بليهد - كما يقول - وهو الالتزام بحرف من حروف اسم الممدوح فى مطلع كل بيت ، فانك لا ترى فيها الا لفظا سائغا ، واسلوبا سهلا ، وتركيبا طيعا ، ولا تفسير لذلك الا أحد امرين أو كليهما .

أولهما القصر ، وثانيهما انفعال الشاعر بالموضوع ومصادفته
هوى في نفسه ، وذلك ما أفسر به اختلاف بعض قصائده عن
بعض ، أعني مصادفة الموضوع هوى في النفس ، وذلك ما
سأوضحه في خصائص شعره ان شاء الله .

٢ - وتكثر في شعر ابن بليهد : الضرورات ، والحذف ، والتقدير ،
وقلما نجد له قصيدة نظمت في السنوات العشر من بدء نظمـه
للفصيح ، الا وجدت فيها من ذلك أكثر من مثال سوى هذه
القصيدة .

٣ - ويعلو أحيانا لابن بليهد أن يكرر بعض الألفاظ ، ولقد وقع له في هذه القصيدة من ذلك أن كرر كلمة (الحجاز) في خمسة أبيات هي (١ ، ٣ ، ٤ ، ١٤ ، ١٦) كما كرر كلمة - فيصل - ثلاث مرات في الابيات (٤ ، ٦ ، ١٣) وقد لا يعد ذلك مأخذا كبيرا ، ولكنه موضع ملاحظة على أى حال على أن ذلك يمكن دفعه بأمرين .

الاول : ان فيصل هو المدوح ، فلا غرابة أن يتكرر اسمه في القصيدة .

والثانى : أن للحجاز مكانته الجليلة فى النفوس ، ترتاح له وتستحلى اعادته وتكراره ، فلا بدع ان تكرر اسمه فى قصيدة يستقبل بها أمير الحجاز ونائب الملك عليه .

٤ - وهو فى مدحه هنا لم يجاوز فيه ما ألفناه ، من التركيز على معنويات الأمور : كيمن الطالع ، والشجاعة وكرم الحسب والنسب ، ونشر الحق والعدالة ، ونحو ذلك مما يجب أن يكون هدف المادحين .

٥ - وهو فى هذه القصيدة أقل عناية بالصور البيانية ، ومع ذلك ففيها من الجمال ما يفوق كثيرا مما فى قصائده ، التى نظمها قبلها وان شحنت بالصور البيانية الا ان تكلفها هنالك يضعف جمالها ، ولست بذلك أعنى أن الجمال منوط بصور البيان فقد يخلو الكلام : من المجاز ، والكناية ، والتشبيه ، ومع ذلك يأتى غاية الابداع .

خذ مثلا (البيت ٩) من هذه القصيدة التى نحن بصدد هانسه يقول فيه : ان الملك عبد العزيز فى طريقه الى العدا ، يقطع بخيله وابله الفج البعيد ، حين تطول مسالكة بالسالكين ، فيحسن اختيار الكلمات ، ويجيد التأليف . ويجود الاسلوب ، فيأتى الكلام على أحسن ما يكون : سبكا ، وحبكا ، ونظما .

على أن قصيدته هذه لم تخل من الصور البيانية الجميلة .

خذ مثلا استعارته فى (البيت ٣) (الصبا) للمدوح ورفاقه من أهل نجد ، او استعارته فى (البيت ٥) (الليل الداجى) لعهد الحجاز قبل فيصل ، او استعارته فى (البيت ١) (الكواكب) لأفعال فيصل على أحد الوجهين السالفين فى التحليل ، ومثله (يبارين) فى البيت (٢) .

ثم انظر كنايةه فى (البيت ١٢) عن خلو الأرض من الانيس بتنادى الثعالب على أن هذا البيت منظور فيه الى قول بركات الشريف .

نحنائه بكوار المطايا ويممت
بنا صوب حزم صارخات ثعالبه

(القصيدة الرابعة) (١)

● في التحسر على فراق الامير فيصل (الملك السابق) ●

أرقت لبرق ساهر متألق
أراقبه كالفرم المتشقوق
كأن سناه يبين ظلم وضارج
مصاييح صنعا أو مصاييح جلق
فسرت له والركب يبين مغرب
يؤم الى طياته ومشرق
فلما أجزن الواد من بطن نخلة
رأيت غراب البين بين التفريق
فقلت لأصحابي دعوه فانه
بما أخفت الايام غير مصدق
فنكبن بى واد العقيق وسفحه
الى ارض رضوان فقلت لاينق
دعى كل شكوى تشتكين وجاوزى
مهامه غطى الها كل سردق
عليك من المجد الاثيل فضائل
أصابتك من فضل الأمير الموفق
أصابتك من كف كأن بنانه
يخالط صوب العارض المتدفق
أو السفح من نهر الفرات ومائه
إذا كنت صاد أينما شئت فاستقى

علينا اليد البيضاء له مستمرة
تضيء كضوء الكهرباء المعلق
وما هي الا فى الكريم خلأئق
نشأ فى أثيل المجد غير التخلق
نماء اليها من ربيعة ماجد
كريم متى يدعى الى المجد يسبق
أبوه رقا واحتل فى ذروة العلا
إذا صعب المرقى على كل مرتق
فما نالها الا اذا اشتبك القنى
بظهر كميأ أو على ظهر أبلق
يبيح حمى الدار التى ما أباحها
سواه ولا ضمت ركاب المصدق
له الراية الخضرا التى كل قاطنة
بأرض بكيل أو بأرض الخورنق
يراقبها اما تروح بجحفل
عليه وأما تغتديه بفليق
كنشأته والناس بين مكذب
إذا ذكرت أفعاله ومصدق
وما أنا الا فى الافاضل مفرم
غرام جرير أو غرام الفرزدق
وما وجد أظار نأأ عن ظئارها
وكانت سنين شملها لم يفرق
بأوجد منى كلما عسعس الدجى
أغرد تغريد الحمام المطوق

فيا سائلا عنا فان قلوبنا
جميع وأرواح الاحبة تلتقى
أصلى اله العالمين مسلما
على طاهر الثوب النبی المصدق

الجو العام للقصيدة والغرض من نظمها :

كان الملك عبد العزيز قد عين ابن بلهيد على مالية الطائف عام (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) ، وفي تقديم القصيدة التي نحن بصددھا يقول ابن بلهيد :

انه في ربيع الأول من عام (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) قد انفصل من عمله هذا ، لكن الامير فيصل أجرى له جميع اللازم (١) ، وساعده بجميع الوسائل .

وارتحل الشاعر من الطائف الى بلده (الشعرا) في عالية نجد وكان من جلساء الامير فيصل وندائه ، لذا لم يكد يجد به السير حتى أحس بافتقاد تلك المجالس ، وحن الى تلك الأمسيات التي كان فيها موضع الحفاوة من الامير ، فأين هو منها الان ، وأين هي منه ؟ فهو يسكب في هذه القصيدة مشاعره وانفعالاته واحساساته على نحو ما نوضحه .

عرض وتحليل :

١ - من ١ - ٨ ان من المناظر المألوفة في ليل الصحراء لمعان البرق ، ذلك الضوء الذي يرتاح له الساهر ، ويأنس به المسافر ، ويبعث في نفوس ابناء الصحراء الأمل القوي في الخصب والرخاء ، وقد يثير شجوننا ويحتاج مشاعر واحساسات ، اذا كان مصدر وموضة ديار الاحبة

(١) اللازم هنا يحتمل أن يدل على هبة وقتية ، كما يمكن ان يدل على اجراء راتب شهري أو سنوي ، وانما أجزنا هذا وذاك ، لا مكان دلالة اللفظ عليها عندهم ، ولجئنا بما أمر به ، اذ لم يكن في تلك الأيام سجلات وأنظمة لمثل هذا .

ومنازل أخلاء الصفا، فانه حينئذ يكون جديرا بأن يرصد ويراقب ، وحرى
بأن ينفى الكرى ويجلب الارق ويثير القلق والاشتياق ، وقد يثير من
الذكريات ما يشد اليه الشاعر والاحساسات ، والذكريات ليست كلها
غراما وتشوقا ، وانما هي أبعد من ذلك ، انها صدى الاحداث بمـ
فيها . من خير وشر ، وبغض وحب ، وافتراق وائتلاف .

لذا فان البرق حينما لاح بعيدا باهتا ، ظل شاعرنا يراقبه وهو يلمع
بين (ظلم وضارج) كأنما يراقب مصابيح صنعاء أو دمشق الى ان سار
اليه ، حتى اذا جاز من نخله قابله غراب البين ، لكنه لا يعتقد فيه ما كان
يعتقده جهال العرب ، لذا أمر أصحابه بأن يتركوه لانه لا يعلم من
أمر الغيب شيئا .

وقتيلا ما أغفل العرب حق الابل في الحديث ، لذا فان صاحبنا يوجه
الخطاب الى آبله طالبا منها أن تجوز به القفار والمفاوز ، التي
يلمع سرابها الذي على وجهها ، وأنها لجديرة بذلك لما عليها من نعم
الامير وأفضاله ، فلتدع ما تشتكى منه من الالين والكلال .

وكأنى به يخاطب نفسه التي تشكو من فراق الامير ، لكنه عبر عن
هذه الشكوى من خلال الناقه .

فانشاعر هنا قد لزم النهج القديم من حيث التمهيد للغرض بمقدمه
غير أنه لم يصف الدمن والاطلال ، ولم يقف على ديار الاحبة
مستعبرا ومستخبيرا .

وانما جعل وجهة مشاعره واحساساته ، تجاه فراق الامير ذي
الافضال والانعام عليه .

على ان صورته في جملتها بدوية يلوح فيها البرق، وتتراعى فيها
الصحراء المسربلة بالسراب بنجودها ووهادها ، وتتهادى فيها الناقه
رفيقة السمر حاملة الاثقال .

فهو لم يبعد فيها عن نهج الاقدمين ، الا بقدر لا يسـوـغ باى حال استثناءها منه .

٢ - ومن ٩ - ١٣ يقصد الى تصوير كرم الممدوح ، فيشبه أنامل كفه فى كثرة عطائها ووفرة نوالها ، تارة بصوب سحاب تدفقت المياه فى الاودية من انصبابه ، واخرى يشبهها بنهر الفرات غزارة وتدفقا ، وذلك لوفرة نعمه التى اثارها عليه مشهودة تضىء كضوء الكهرباء . .

ثم يثنى عليه بأن الكرم فيه طبع نشأ به لا تطبع ، وشتان ما بين الحـالـين .

ويقصد الى تثبيت تلك الصفات اكثر ، فيحكم بأنه ورثها عن أبيه السباق الى مراتب المجد ، وهذا المقطع القصير هو نصيب الممدوح من القصيدة .

٣ - ومن ١٤ - ١٩ ينتقل الى مدح أبى الأمير ، وتلك عادة عند ابن بليهد فى جميع مدائحه يركز دائما على الملك عبد العزيز ، فلعله كان يلحظ الدور الذى قام به الملك فى توحيد أنحاء البلاد ، مبتدئا من ضعف كالعدم ومنتهيا الى ما انتهى اليه من ملك باذخ ، لذلك ترى الشاعر يركز فى مدحه الملك عبد العزيز - دائما - على الشجاعة والاستبسال فى اقتحام الصعاب ، وأنه لم ينل ما نال الا بالحسام والحصان السنان ، تلك التى كان يبيع بها ديار الاعداء فى ظل رايته الخضراء ، التى يسير فى ركابها الخير والصلاح ، لذا فانها محط الانظار وأفيائها مرتاد الامان فى كل مكان لانها الراية التى هزت البلاد وأرعبت الاعداء ، فصار الجميع يترقبون مفاجأتها لهم ، من جنوب الجزيرة والحبشة الى بلاد الشام والعراق ، خوفا من ان تفجأهم بجحفل من الجيش الذى لم يآلف سوى الانتصار .

٤ - ومن ٢٠ - ٢٤ يأتى دور اعترافه بجميل آل سعود عليه وحيه لهم ، ذلك الحب الذى ملك عليه أمره ، وجعله فى الحنين يفوق الابل التى نأت عن ظئارها ، بعد ان مضى عليها سنون لم يفرق شملها ، انه

أكثر منها وجدا وأشد منها لوعة ، لذا تراه اذا جن الليل يغرد من شوقه كتعريد الحمام ، على ان الاحبة وان تباعدت اجسامهم تلتقى - على المحبة والاخلاص والوفاء - أرواحهم •

نظرات وتعليق :

١ - من المسلم به أن الموسيقى الشعبية لها دورها الكبير في جمال الشعر وجودته ، ولست أبالغ اذا قلت أن المصدر الاول في جمال الشعر وقابليته ، انما هو التقاء الموسيقى الداخلية والخارجية على نحو من الحسن ، يكسب الشعر النغم الطرى والجرس الجميل ، كما يشيع في اعطافه أفياء المشاعر والاحساسات ، قد تكون هادئة ، أو مضطربة وقد تكون بأسمة أو متجهممة ، وقد تثقل النفس بأوزار الالام والاحزان وقد تشيع فيها الفرح والبشر والسرور ، وما ذلك كله الا بفعل الموسيقى داخلها وخارجها •

ولكل شعر نصيبه من ذلك قل أو كثر •

وما أغفلت الاشارة الى ذلك فيما مر من نصوص الالاتيانه في صورة عادية لا تلفت النظر ولا تثير الاهتمام •

حتى اذا حللنا بساحة هذه القصيدة ، وجدنا الموسيقى فيها تفرض علينا نفسها وتلزمنا بهذه الوقفة فمشاعر الحب والوفاء والولاء والاحساسات التي احتاجها الفراق ، قد وفق الشاعر في لباسها ثيابا معبرة من الالفاظ والتراكيب ، مجملة ببديع الصور التي ألقت أفياءها رفاة على المعاني والالفاظ ، ثم توج ذلك كله بهذا البحر الطيع المرن البحر الطويل . وهذه القافية العذبة الرقيقة (القاف) المكسورة •

عد الى البيت الأول على سبيل المثال ، وتلمس المعاني والمشاعر والاحساسات التي أراد الشاعر التعبير عنها حين اشتد شوقه الى الأهير ، وبلغت الوحشة من فراقه بنفس الشاعر مبلغها ، حتى جفاه الكرى كمن نج به شوق عارم لحب مكين •

ثم عد الى الألفاظ وأنظر كيف وفق الشاعر فى اختيارها، لتؤى دورها فى ابراز مشاعره واحساساته ، فأنت ترى فى (أرقت) ما ليس فى (سهرت) اذ الاولى تدل على ذهاب النوم قسرا بينما لا تعطى الثانية الا معنى عدم النوم مجردا ، ثم انظر الى كلمة (ساهر) الموصوف بها البرق وكيف انها فى ايحاءها بما فى نفس الشاعر أقدر من كلمة (دائم) وكأنه يريد أن يشرك البرق معه فيما هو فيه .

ثم أنظر كلمة (متألق) وما تعطيه من معنى يجمع الضياء والارتفاع بينما لا تعطى مثله كلمة (لامع) ثم (أراقبه) وما توحى به من قلق فى نفس الشاعر ، لاتستطيع الابانة عنه كلمة (انظر اليه) او (أبصره) ثم كلمتى (المغرم والمتشوق) وما تدلان عليه من تمكن الحب وشدة الاشتياق على نحو لا تقوم به مثل (محب ومشتاق) .

ثم أنظر كيف زاوج بين هذه الكلمات وأخى ، حتى انتظمت فى نظام رائع بديع لا اعتساف فيه ، ولا اكراه ولا تقديم ولا تأخير أو نحو ذلك . مما قد يشوب التركيب او يكدر صفاء اديمه واشراق ديباجته .

وعلى هذا النحو تسير أبيات هذه القصيدة ، يقدر لكل معنى لفظه المناسب كل على نحو جعلها درة من درر شعره .

٢ - ونعود الى الصور البيانية ، لتبين شيئا من أبعادها فى اعطاء الصورة التى قصد اليها الشاعر ، وسنكتفى بصورتين او ثلاث .

أ - يلوح للشاعر من بين جبلين بريق بعيد فى البيت ٢ والبرق يشير فى نفس ابن الصحراء شكولا من التصورات والتخيالات ، ويهتاجه الى عزيز الذكريات ، فيعمد الى تشبيهه ، لكن بأى شىء يصور لمعان البرق بعيدا باهتا ، لقد تخيل الشاعر مصابيح صنعاء ومصابيح دمشق - وهما تبعدان عنه اكثر من ألف ميل - فشبه ضوء البـرـق البـاهت بـهـا .

ب - وفي البيت ١١ يريد أن يدلل على أثر نعم الأمير عليه ، فيشبه اشراقها واضاءتها من حوئه بضوء الكهرباء المعلق ، وهذه إحدى صور المدنية الحاضرة ، التي شهد الشاعر بدء غشيانها أفق بلاده .

ج - وفي البيتين (٢١، ٢٢) يصور شوقه الى الأمير ، ووجده عليه بأروع ما يكون التصوير .

انه يقدم لك أولا صورة للابل التي أمضت سنين والشمل منها جميع ثم افترقت ، لينتقل بك ثانيا الى الادعاء بأن وجده على الأمير أعظم من وجد تلك الابل ، ثم يضيف أنه اذا جن الليل لا يملك الا ان يرفع صوته بالغناء ، لكنه غناء حزين يشبه تغريد الحمام المشبه للنواخ

واتما يحس أبعاد تلك الصورة وعمقها في التعبير ، من عايش الابل وشاهد ما يصيبها اذا شئت شملها ، ولذا شبه طرفه بن العبد الشاعر الجاهلي صوت المغنيه في ترجيعه واهتزازاته بحنين الابل :

إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
تجاوب أظآر على ربع ردى

٣ - هذه القصيدة على جانب من الجودة ، الا انها لم تغل من بعض المآخذ التي لم يغل منها شعر شاعر فمن ذلك :

١ - التصمين عند الأقدمين عيب يؤاخذ به الشاعر ، على ان المتأخرين يعدونه من حسنات الشعر ، لأنه يعطى الابيات مزيدا من الترابط والتماسك عندهم ، ولما كان اتجاه ابن بليهد في شعره اتجاها قديما ، فانا نؤاخذ به بما عده المتقدمون مأخذا ، فالقول الذي في (البيت - ٦ -) (قلت لا ينق) مقوله في البيت الذي بعده ، ومثله ما في البيتين : ٢١ ، ٢٢ .

على أن مثل ذلك ورد في شعر الاقدمين ، كقول الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبه
خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

ب - أما حذف الهمزة للضرورة فقد جرت عنده هنا في أربعة مواضع ، فلقد حذف همزة (صنعاء) في البيت ٢ وهمزة (بيضاء) في البيت ١١ والالف مع همزتها في (نشأت) في البيت ١٢ وهمزه (خضراء) في البيت ١٧ .

وقد ألغينا في غير هذا الموضع الى كثرة هذا عنده ، ومنه حذف ياء (وانى) في البيتين : ٦،٤ ، ومثل هذا جائز في الضرورات .

القصيدة الخامسة (١)

— فى مدح ولى العهد سعود بن عبد العزيز —
(الملك الاسبق)

- ١ — بمقدمك الميمون لاح لنا السعد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشـد
- ٢ — وقابلك الثغر الحجازى باسمـا
من الانس جذلانا وقد هلك الحقد
- ٣ — فجئت بحمد الله تصحبك العلا
ففى نشرها مسك وفى طعمها شهد
- ٤ — يرافقك الاقبال ما هبت الصبا
وقارنك التوفيق ما زجر الرعد
- ٥ — بك استبشر البيت الحرام وأهله
كما أهرقت بالامس أدمعها نجد
- ٦ — وقالت لك التوفيق وهى كئيبة
الى السفر المحمود قد صدق الوعد
- ٧ — فقلت لها صبرا اليك تيممت
باجمعها الأشبال والأسد الـورد
- ٨ — هم الفتية الفر الذين وجوههم
عناق فتستشفى بها الاعين الرمد
- ٩ — كرام يمد الراغبون أكفهم
الى أبحر منهم لها باللهى مد

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٢ -

١٠ - رجوناك حتى أصبح الفعل صادقا
فما خسر الراجى ولا أصلد الزند

١١ - لبست من المجد المؤثل حله
فما زلت فيها مثلما لبس البرد

١٢ - ركبت على متن المكارم والعلل
فهن ركاب المجد ان ذكر المجد

١٣ - فسر يا ولى العهد سير موفق
على الحل والترحال يسعدك الجد

١٤ - بسفرتك اللاتى أحطت بعلمها
قلله ما يخفى ولله ما يبدو

١٥ - فان شدت بنيانا على الحق والتقى
فذاك الأساس المستقيم لما بعد

١٦ - رأيت بعام الأربعين اشارة
بها عرفت فيك الولاية والعهد

١٧ - أبوك الذى ان ضاق أرض بحادث
ستنبئك عن ذاك الحفيظة والجد

١٨ - يقوم فلا ينبو عن الامر عزمه
اذا ما نبا المسيف الذى تطبع الهند

١٩ - وحل محلا فى ربيعة شاهقا
هو الكنف الممنوع والسند النهد

٢٠ - هناك مقيل الأمن ضاف ظلالة
اذا نهضت من بين غاباتها الأسد

- ٢١ - فتى لا يرى ، بدا من البأس والتدى
وسيف على الأعداء ليس له غمد
- ٢٢ - رفيق اذا الالهواء جارت بأهلها
فمنهجه حق وسيرته قصـد
- ٢٣ - لقد عرفته الناس بالحلم والتقى
كما عرفت بالحلم أحنفها سعـد
- ٢٤ - فان قيل عقد المجد فى آل فيصل
فبالمك الميمون قد كمل العقـد
- ٢٥ - فيا أيها الشهم الذى ان تعرضت
مناقبه للناس يشكرها الضـد
- ٢٦ - قد استوفت النعماء منذ تمامها
علينا فمنا الشكر لله والحمـد
- ٢٧ - أقت كتاب الله وألـسنـة التـى
توالت على تأييد صاحبها الأزـد
- ٢٨ - فلو علم الشيخان أد ويعرب
بأنك من عدنان ما سمحت أد
- ٢٩ - ملكتم زمام الارض طوعا فأصبحت
لديكم فلم يبق عذار ولا خـد
- ٣٠ - وان أحد عادى حماها فأنها
حرام حماها الواحد الأحد الفـرد
- ٣١ - حرام علينا أن تهان ودونها
رقاق الظبى والمشرقى لها جـند

٣٢ - وهذا امام المسلمين يحيطها
بأنظاره والوفد يتبعه الوفد

٣٣ - وصل الـه العالمين مسلماً
على المصطفى والال ما زجر الرعد

جو القصيدة العام ومناسبتها :

فى عام (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م) قدم ولى العهد (الملك الاسبق)
سعود بن عبد العزيز من الرياض الى مكة حاجا ، وكان الشاعر
كعاداته يرصد المناسبات لتقديم مدائحه ، فما بالك بمثل هذه المناسبة
الدينية ، التى تجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها على تباين
السننهم وألوانهم وجنسياتهم ، لكن المناسبة ألفت قلوبهم وجمعت
أرواحهم ووحدت مشاعرهم ، فاستحقت ان تكون موضوع قصيدة .

ولقد صار عيد النحر كل عام - وهو أول أيام منى - يوم حفل
يلتقى فيه جملة ، من رجال الفكر الاسلامى وحجاج بيت الله الحرام
بالمملك أو ولى عهده ، تلقى فيه الخطب والقصائد التى تعالج مشكلات
العروبة والاسلام ، على نحو فيه : عرض وتذكير ، وتنبيه للأفكار
ولفت للانتظار ، .

عرض وتحليل :

١ - فى الابيات من (١-٦) تبدأ القصيدة باظهار الفرحة والاستبشار
بمقدم ولى العهد ، تلك الفرحة التى عمت الحجاز وأهله ، فمقدمة
الميمون يبشر بالسعادة ، ورأيه محمود لان فيه الرشاد ، وكيف : لا ؟
وقد كان به هلاك الأحقاد والقضاء عليها ، وتوطيد أسباب الاخوة
والروابط العريقة ، التى تجمع أبناء تلك البلاد على هدى من كتاب
الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فلا غرابة اذا أن استقبله

الثغر الحجازى والبسمة تملؤه ، بعد أن شاع فيه الفرح والاستبشار
بمقدم ولى العهد ، الذى تسير العلا فى موكبه الذى يبشر بالخير •

وما أجمل تصوير شاعرنا لما ينتظره الحجاز وحجاج بيت الله الحرام
من خير عم على يدي ولى العهد ، بنشر المسك وطعم الشهد •

ويزيد ذلك ايضاحا فى «البيت ٤» فيقول : ان الاقبال والتوفيق
رفيقان للممدوح ، لا يتخلف عنهما ولا يتخليان عنه مدى الدهر ، فلا
بدع أن استبشر البلد الحرام وأهله بمقدمه ، كما لم يكن غريبا أن
تتألم نجد وتهريق دموعها حزنا على فراقه لكنها لا تملك الا ان تدعو
له بالتوفيق فى سفره المحبب ، وهل يملئ الحب سوى هذا ؟ •

والواقع أن هذه المقدمة فريدة فى بابها لأمرين :

اولهما : تنكيب الأساليب القديمة التى يقطع فيها الشاعر شطرا من
قصيدته ، لا يتحدث فيه الا عن المنازل والديار والدمن والأطلال
أو المطايا الموصلة الى الممدوح ، أو نحو ذلك ، مما لا جدوى وراءه
سوى التمهيد للغرض المقصود •

والثانى : ما فى هذه المقدمة من معان جليلة ، استهدفت اظهار ماتم
فى ذلك العصر ، من أمن واستقرار وجمع للكلمة وتوحيد البلاد ، ثم
ما يتم على يد رئيس الحج - الذى هو اما الملك أو ولى عهده - من
خير وحسن رعاية لحجاج بيت الله الحرام • (١)

٢ - وفى الابيات من (٧-٩) يتجه الى نجد بالخطاب مصبرا لها على
فراق ولى العهد ، لكن بأى شىء يصبرها ويسليها ؟ انه يعزيها بتيميم

(١) وذلك مادأبت الدولة السعودية منذ قيامها على توفيره فى أحسن الصور ، وما
زلنا نشهد التقدم فى هذا الميدان كل عام •

الأسد والأشبال القوية اليها ، فمن هذه الاسود والاشبال ، ومن أيمن
أتت ؟ لا أحد يدري ، الا ان يكون المعنى فى بطن الشاعر ، كما يقولون
على أنهم ذوو وجوه عناق تشفى العيون من الرمد وانهم كرام ، الى
بحور الندى منهم يمد الراغبون أكفهم لتلقى من لها مدها ما تلقى ،
وعلى أى حال فظنى أنه يقصد بالأسود والأشبال اخوان الممدوح وبنيه
والله أعلم .

٢ - وفى الأبيات من « ١٠-١٦ » يعود الى مخاطبة ولى العهد ، وانهم
كانوا مقيمين على رجائه فما خاب فيه رجائهم وما كبا زنده .

ويعنى اننا حين رجوناك وأملنا وافر نائلك ، تحقق لنا ما املنا
ورجونا ، فنحن كمن قدح زندا قوى الايراء سريع الاستعمال .

ثم أضفى على ممدوحه بعضا من الصفات ، التى ينميها المادحون
عادة الى مدوحيه من السادة النبلاء ، وأولى الشأن والرياسة فى
الامة ، فولى العهد قد لبس من المجد حلة اشتملت عليه اشتمال البرد على
لابسه ، ثم اركبه متن المكارم والعلا لانها ركاب المجد ، ثم دعا لــــه
بالتوفيق فى حلة وترخاله وأن يصحبه فى سفرته الجد ، السفرة التى
ثم يحط أحد بعلمها سوى الممدوح ، فكأنه يومئ الى نية كانت مستورة
والله أعلم ، ولذا فهو يضيف الى الله ما خفى من أمر ولى العهد وما
يبدو منه ، لأنه يشيد أسسا للمستقبل ، أقيمت على ركائز من الدين
والتقوى .

ويختتم هذا المقطع من قصيدته بالاشارة الى قول الشاعر الكبير
« محمد بن عثيمين » فى الممدوح بأنه الأصلح لولاية العهد (١) .

(١) وذلك كان فى قصيدة نظمها عام (١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م) ، فى مدح الملك
عبد العزيز ص ١٧٧ من العقد الثمين منها :
اشدد عرا الدين والدنيا بمنتخب من عنصر السادة الفر الميامين

٤ - وفى الأبيات من (١٧-٢٤) ينتقل من مدح ولى العهد الى مدح الملك ، بخطاب مباشره يوجهه الى ولى العهد ، يثنى فيه على أبيه بأن على يديه يكون انفراج الضيق ، الذى تحكمه الأحداث فيمزقه جده ، ويضيف الى الملك كثيرا من الصفات والخلال التى كثيرا ما أضافها المادحون الى السادة والزعماء ، كالعزم الذى يفوق فى مضائه : سيوف الهند ، وشرف الحسب والنسب ، والشجاعة والكرم ، فعزمه لا ينبو وان نبا السيف ، ونسبه يمتد بجذوره القديمة الى ربيعة ، وفى ظل سيوفه وكرمه الأمن والرخاء ، لأنه شجاع كريم ، وأنه لا يجور به هواه عن طريق الحق والاستقامة حين تجور الأهواء بأهلها ، وذلك لأنه حكيم حليم عرف بذلك ، كما عرف به الاحنف بن قيس ، ثم انه جمع الى تلك الصفات الجليلة التقى ، وبه كمل عقد آل سعود .

٥ - وفى الأبيات من «٢٥-٢٧» يعود الى خطاب ولى العهد ، فيجعل مناقبة تتعرض للناس فلا يملك الضد الا أن يشكرها (والفضل ما شهدت به الأعداء) ، ثم يثنى عليه بما عم البلاد والعباد من نعم تمت على يديه مما أوجب الشكر والحمد لله عليها ، لكن أجل ما يمدح به اقامة الحدود وحماية الشريعة ممثلة فى كتاب الله وسنة نبيه ، الذى نصره الله بالأنصار المنتمين الى الأزدي فى نسبهم .

٦ - وفى الأبيات «من ٢٩-٣٣» يأتى دور الحديث عن البلد الحرام مكة المكرمة - التى هى من الأرض بمنزلة الزمام من الناقة ، وقد ظفر آل سعود بشرف خدمتها وسائر الديار المقدسة ، قبل نظم القصيدة بعشرين عاما ، فمن عاداها فقد عادى الله لأنه - جل جلاله - هو الحامى لهما ، ونحن فى سبيل الله جنده نذود عنها بأرواحنا وسيوفنا من حول المليك المفدى الذى نذر نفسه لخدمتها ، فوجد لذلك الأجناد حتى أمنت سلبها ، فجاءت لها الوفود يتبع بعضها بعضا .

نظرات وتعليق :

١- تعد هذه القصيدة من جيد ما حواه الديوان من شعر ابن بليهد، ويتجلى لك ذلك فى اتيانها على مستوى واحد : سواء فى ألفاظها ، وتركيبها ، أم صورها وأساليبها ، أم فى معانيها واخيلتها ، ثم خلوها من الضرورات . .

٢- ومدحه فيها نراه يعمد الى المعنويات : فمدوحه ميمون الطلعة، رشيد الرأى ، أما العلا فانها تسير فى موكبه طيبة العرف حلوة المذاق، وانه ليسعى إليه الاقبال ليقابله فى كل مكان ، ولذا فالتوفيق رفيقه فى حله وترحاله ، اما الاوطان فانها منه بين حالى فرح وحزن ، كئيبه ان رحل عنها ، فرحة مستبشرة ان قدم اليها (١) وهكذا ، أما أخوته اوذووه فانه يمزج فى مدحهم الحسى بالمعنوى فكما مدحهم بالشجاعة والكرم ببياض الوجوه ، زاد أن العيون تستشفى بتلك الوجوه (٢) .

ويعود الى الممدوح ليلبسه المجد حلة بعد ان أوماً الى تحقيق ما كان يرجوه منه الراجون ، ثم يركبه متن ركاب المجد وهى المكارم والعلا ، ولان أعماله الظاهرة والباطنة انما يقصد بجمعها وجه الله، فان التوفيق يسير معه أينما يمم (٣) .

ويعزز مدحه بنسبته الى ذلك الاب المستحق المدح والثناء ، لتفريجه الكرب بعزيمته وشجاعته ، ثم انه فى النسب سامى الفروع قوى الجذور ثم انه كريم على نفس (٤) .

(١) انظر المقطع «١» .

(٢) انظر المقطع «٢» .

(٣) انظر المقطع «٣» .

(٤) انظر المقطع «٤» .

واجل ما يمدح به الممدوح ، انه قام الحدود الشرعية ، وحمى
الكتاب والسنة المطهرة وامضى حكمها .

وهذه السجايا والخلال خير ما يمدح به ، خلا بياض الوجوه
ووسامتها ، فانها غمزة فى جنب مدحه لكنها خفيفة على أى حال .

٣ - والصور البيانية فى هذه القصيدة تأتى فى طواعية وانقياد ،
لاتشينها المبالغة الممقوته ، ولا يشوهها قصور أو اضطراب .

أ - فترى فى (البيت ٢٩) استعارته الناقة للارض ، وكيف انه
كان فيها غاية الدقة فى الملاحظة والاختيار ، الامر الذى جعله يؤثر
الناقة على الفرس ، لما فى الناقة من تنوع المصالح وتعدد المنافع : فهي
كالارض تماما كلتاها تحمل ، وكلتاها تطعم وتسقى ، وكلتاها
تنتج وتكسو ، خلاف الفرس فانها محدودة المنافع .

ب - ثم انظر فى (البيت ٩) كيف جاء الترشيح والتجريد فى
استعارته (الابحر) لكف الممدوحين .

ج - ثم انظر البيت ٢ كيف شبه الحجاز فى فرحته بقدوم ولى
العهد واستئناسه به ، بالثغر المبتسم .

د - ويستعير فى البيت ٥ الحسنة التى تبكى حبيبها المسافر ،
وتدعو له بالتوفيق (لنجد) عند مغادرة ولى العهد لها .

هـ - وفى (البيت ١١) يشبه المجد بالحلة الجميلة ، التى لبسها
الممدوح فاشتملت عليه ، كاشتمال البرد . وهكذا تسير صورة هادئة
مشرقة ، وان كان جلها قديما مطروقا كتشبيهه الاثار الحميدة لرحلة
الممدوح بطيب الرائحة وحلاوة الشهد .

لكن ابن بليهد ألبس تلك الصورة القديمة ، من جميل عبارته
وحسن تأليفه ، ما أضاف الى جمالها جمالا لا يخفى على الناظر فيه .

٤ - والقصيدة على ماهى عليه : من قوة السبك ، وجودة الحبك ، وجلال المعانى ، واشراق الصور ، لاتخلو من هنات .

أ - فمن ذلك قوله : (وقد هلك الحقد) فى البيت ٢ انك لتحس القلق فى هذه العبارة ، وانها عاجزة عن ان تستقر فى مكانها ، وقد يكون ماحمله على ذلك هو ان يحقق الطباق بين الانس والجدل ، وبين الحقد فانه يكون حينئذ مظهرا من مظاهر التصنع التكلف وذلك أمر غير مقبول ، وربما كان فى ذلك يبحث عن قافية .

ب - وفى (البيت ١٤) يقع ابن بليهد فى ثلاثة أخطاء .
الاول : أنه وصف المفرد بصفة الجمع فى قوله : (بسفرتك اللاتى)
والصحيح ان يقول : (التى) او يجعل المفرد جمعا ، فيقول :
(بسفراتك اللاتى) ، وهو اصح لغة وعروضا ، ولا غبار عليه فى
المعنى . .

الثانى : قوله (أحطت بعلمها) ، ولا معنى لها هنا الا علم الممدوح بسفرتة ، وهل يأتى انسان عاقل فعلا ، وهو لم يحط به علما؟ الا ان يكون معنى (أحطت) سترت خبرها عن غيرك ، كما يستعمل ذلك العامة ، وفى هذا التفسير انشراط للمعنى ، واذا صح هذا التفسير ، فهل يصح ذلك لغة ؟ لا أعرف اطلاق الاحاطة على الستر والاختفاء ، اذ لم أجد شيئا من هذا القبيل فى اللسان وبعض المعاجم الاخرى .

الثالث : قوله : (فلله ما يخفى ولله ما يبدو) فان فى هذا نقصا فى المعنى وعدم اتضاح المقصود ، ويشعر هو بذلك فيشرحه فى الهامش بقوله :

فلله ما يخفى : الذى يضره فى قلبه من صلاح للاسلام - يثيبه الله عليه ولله ما يبدو : هى الاعمال الطيبة ، التى تظهر للناس فيشكرونه عليها (١) . .

(١) ابتسامات الايام ص ١٨٣ .

(القصيدة السادسة) (١)

- شكر وثناء -

- ١ - الطب فى مصر حاز العز بالرتب
حتى استضاء كنور البدر فى العرب
- ٢ - انى قدمت من الارض الحرام وفى
جسمى نحول وقد أزرى من التعب
- ٣ - فجاءنى عمر الجراح منتدبا
للفحص بورك من شهيم ومنتدب
- ٤ - تكفيك من عمر هذا خلائقه
من طيب شيم ومن لطف ومن أدب
- ٥ - فكر يشخص ما فى الجسم من مرض
ان كان ملتهبا أو غير ملتهب
- ٦ - فقررُوا كل شىء عند حاجته
يجرى بلا نكد منى ولا طلب
- ٧ - فنلت من فضل ربى صحة ومشت
فى سائر الجسم بين اللحم والعصب
- ٨ - انظر الى حالتى يكفيك منظرها
أسبابها عمر بوركـت من سبب
- ٩ - فما كبا زنده من حين قابلنى
زند تقابس منه النار باللهـب

- ١٠ - ذاكى الجوارح ممنوح بأجمعها
عند العلاج بلا أين ولا نصب
- ١١ - وان نظرت اليه فى تدينه
ترى التقى علنا خال من العجب
- ١٢ - وكل من آب مصحوبا بصحته
لله لا طلب الدينار والذهب
- ١٣ - طابت نفوسهم من بعد رؤيته
ولم يعد فى نفوس القوم من أرب
- ١٤ - الطيب من طيبه كانت عناصره
منها وهذا التقى فى ذلك النسب
- ١٥ - جا من بلاد أقام المسلمون بها
ومهجر المرتضى والاهل والصحب
- ١٦ - هذا ابن أسعد لو تدرى بمنزعه
يكفيه مفتخر من دار خير نبى
- ١٧ - الله يبقيه ذخرا للفقير كما
غنيت به نفمات الشعر والخطب
- ١٨ - ماسبح الرعد فى أعجاز ساريه
وما انطوى من ليال الدهر فى الحقب
- ١٩ - يبقى بمصر ورب الناس يكلؤه
ينجيه من حادثات الدهر والنوب
- ٢٠ - يؤمه كل ذى شكوى بمنزله
كأنه القطب بين السبعه الشهب

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) ، حضر ابن بليهد الى القاهرة للعلاج من شلل نصفى ، ومن ألم فى كتفه الثانى ، وكان علاجه عند الدكتور عمر اسعد وهو طبيب من (المدينة المنورة) اتخذ القاهرة مستقرا ، وكتب الله لابن بليهد على يد هذا الطبيب ان يتمثل للشفاء ، فنظم فى ذلك قصيدتين :

الاولى : بعنوان (فرحة الشفاء) أشار فيها الى مرضه وسفره وعلاجه وأثنى فيها على مصر ، وتمنى لبلاده ان تصل الى ماوصلت اليه مصر فى ميدان العلم ..

والقصيدة الاخرى بعنوان (شكر وثناء) وهى التى نحن بصدددها ، وهذه القصيدة اخر ما فى ديوانه من الشعر الفصيح .

عرض وتحليل :

١- فى البيت (١) يبدو ان اعجاب ابن بليهد بما وصل اليه العلم فى مصر ، ظل يتزايد حتى دفعه ذلك الى الاشارة اليه فى معظم قصائده ، التى نظمها بعد الشفاء من المرض ، ولا غرابة فى ذلك ، فمصر قد سبقت بلاد الشرق الاوسط عامة فى ميدان العلم ، على ان شفاء الشاعر من مرضه كان له ابلغ الاثر فى نفسه ، ولذا نجده يقول : ان الطب فى مصر صار فى بلاد العرب هو والبدر سواء ، اذ بلغ فيها أعلى مراتبه ..

وهذا المعنى أشار اليه فى قصيدة أخرى قبل هذه ، حيث قال : ان العلم ألقى بواذى النيل أرحله ، وان أبناء مصر حين نالوا مانالوه علم يكتفوا منه بذلك ، بل عملوا فيه بالتجديد والتهذيب ..

العلم ألقى بوادى النيل أرحله

حتى تسنم فيه أرفع السور

قد أدركوا من فنون الطب أكثرها

وهذبوها بلا غط ولا أشر (١)

٢ - وفى (البيت ٢) ينتقل دون توطئه وتمهيد ، الى الحديث عن مجيئه ومرضه ، ووصف ما اعتري جسمه من نحول وشحوب وضمور بسبب المرض ..

٣ - وكانتقاله من البيت الاول الى الثانى ، كان انتقاله الى الثالث ، ليصل الحديث بعضه ببعض حتى نهاية القصيدة ، فلقد استغفرق القصيدة ماخلا البيتين الاولين ، فى مدح الجراح عمر أسعد ، وأثنى عليه بالتفانى فى المهنة والاخلاص فى العمل ، والاقبال عليه بكل جد ونشاط وحرص على الدقة والاستقصاء ، لكشف العلل وأسبابها ، وتقدير العلاج اللازم ، وأصدق دليل على هذا القول هو ما شعر به الشاعر من نشاط وحيوية وصحة ..

والطبيب عمر أسعد ، مع اخلاصه فى مهنته وتفانيه فيها ، متدين يدفعه دينه الى مايدعو اليه الدين من فضيلة ، فهو فى اخلاصه لايفرق بين المرضى وان اختلفت الطبقات التى ينتمون اليها ، بل يعاملهم على حد سواء ، وذلك لعمري غاية الاخلاص لهذه المهنة الانسانية - مهنة الطب - التى تفرض على متعاطيها ان يداوى جراح الناس جميعا ، ويطب آلامهم ويضع علمه فى خدمتهم ، ويعمل على راحتهم دون تمييز بينهم .

(١) ابتسامات الايام ص ٢٧٠ .

ويمدح الشاعر الطبيب عمر أسعد بمنبته ، وهى (المدينة المنورة)
ليجعل سر ما هو فيه من طيب الاخلاق والخلال راجعا الى انتمائه لموطن
المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وفى ذلك الفخر كل الفخر ، ثم
يسمو به فى مدحه حتى يدعوه بأن يبقى ذخرا للفقير ، محتسبا عمله
فى سبيل الله ، ولذلك فهو يدعوه بالبقاء والسلامة مدى الدهر مقصدا
للمحتاجين والمرضى ...

ملاحظات وتعليق :

١- هذه القصيدة هى اخر مافى الديوان من الشعر الفصيح ، اى
أنها نظمت بعد الكثير من القصائد الجيدة ، التى عرضنا للحديث عن
بعضها ، ومع هذا تبدو أقل فى مستواها الفنى والجمالى من تلك القصائد
التى سبقتها ، فأى نتيجة نخرج بها من هذا ؟ أو ليس الشفاء من المرض
حدثا يوجب الفرح والابتهاج والانفعال الباعث على الاجادة ؟

لعلنا حين نتلمس أسباب هذا الاختلاف نجده فى أحد أمرين :
احدهما : ان الشاعر كان فى دور النقاها والاستجمام بعد مرض
أجهده ، فليس عجيبا ان يترك ذلك أثره على فكره .

والاخر : ان الشاعر لم ينفعل بالموضوع ، وهذا قد يحسن استيعاده
وذلك انه ان لم ينفعل بشفائه من المرض فبماذا ينفعل ؟

على ان اختلاف مستويات القصائد لدى الشعراء ، أمر وارد وان
نظمت فى زمن واحد ..

٢ - ومن أجل مافى هذه القصيدة حسن الاستهلال ، فلقد بدأها
بالحديث عن العلم وازدهاره فى مصر ، حتى امتدت اثاره الى سائر
البلاد العربية ، فهو - تماما - كالبدر ضوؤه هنا وهناك ، ثم يلعب الى

مجيئه من الديار المقدسة ، مجهدا من المرض ، لينتقل بعد هذين البيتين
اللذين افتتح بهما قصيدته الى غرضه ، وهذه خاصية نجدها فى الكثير
من شعر ابن بليهد ، اى انه كثير الاخذ بالغرض مباشرة من أول
القصيدة . .

٣ - وحين ننظر فى مدحه نجده كمادته يمدح بالمعنويات ، انه يمدح
الطبيب (عمر أسعد) بالشهامة وكرم الاصل ، واللفظ فى المعاملة ،
وحسن الادب فى الخطاب ، وعمق التفكير والدقة فيه ، والحزم والنشاط
والمهارة الطبية والدين والتقوى والتسوية بين الناس فقيرهم وغنيهم ،
والاخلاص فى العمل ، ونسبته الى المدينة المنورة ، والكرم ، وانه لهذه
الصفات مجتمعة مقصد المرضى والمستشفين . .

فانظر الى هذه الصفات جميعها هل ترى فيها مايعاب المدح به ؟ وهل
فيها مالا يلائم الممدوح كطبيب ؟ وهل ترى فيها ما اكره على نسبته الى
الممدوح ؟

كلا ، لقد أحسن ابن بليهد أيما احسان ، وان خانه التوفيق فى
جوانب أخرى كما ستراه فى الفقرة الخامسة . .

٤ - والشاعر فى هذه القصيدة قليل الالتفات الى الصور البيانية ،
وان لم تخل من بدائع تلك كاستعارته فى (البيت ٩) الزند للعزيمة
والمبادرة فى الامور ، وتشبيهه العلم فى مصر بالبدر . .

٥ - وفى بعض أبيات القصيدة ما يهبط الى مثل أسلوب العامة
كالبيت الثامن .

وقديما وصفوا شعر أبى الطيب المتنبى ، بأنه كبساط الملوك فيه
النوى والذهب كما لم تخل من الضرواات مثل حذف الهمزة من (جاء)
فى البيت الخامس عشر . .

(القصيدة السابعة) (١)

— فى مطلع الشمس —

- ١ — فى مطلع الشمس لى أهل وجيران
وأخوة فى سبيل الحق أعوان
- ٢ — ولى مراتب أنس قد نشأت بها
أيام غصن الصبا فى العمر فينان
- ٣ — دار قضيت بها صبوات مهتبل
للـذه ما بها دن ودنـان
- ٤ — ولاقمار ولا تلويح راقصة
شبه العرايا وفى تلعا بها جان
- ٥ — ولا بنات الليالى الحمر أرخص ما
عزت به فاسد الاخلاق مجـان
- ٦ — غدا على الشرف الموءود تبصرها
وليس يرحمها فى النوح انـسان
- ٧ — تنوح نوح الشكالى ليس بنفعها
نوح وأخذ انها كانوا وقد بانوا
- ٨ — حال كرىه بواد النيل أشهده
لا بارك الله فيمن للـخنا عانوا
- ٩ — دار النقائص مصر فهى جامعة
خير وشر وكفران وايمـان

- ١٠ - الكل يدعو الى مايشتهى وله
فيما ينادى به قول وبرهــــــــــــــــان
- ١١ - والفسق فيها جهارا لاجناح على
من رame ومكان الذكر ملان
- ١٢ - وللحضارة فيها خير شاهدا
أهرامها وأبو الهول وتيجــــــــــــــــان
- ١٣ - على فراغة كانت لهم دول
أخنت عليهم عصور ثم ازمــــــــــــــــان
- ١٤ - امون مادفعت عنه المنون قوى
جيش لقوته الانام قد دانــــــــــــــــوا
- ١٥ - ولا دهاقنة التنجيم مانفعوا
ولا معابد فيها قام رهــــــــــــــــبان
- ١٦ - الكل يسعى ليبقى ملكهم ومضى
لكن له فى ضفاف النيل عنــــــــــــــــوان
- ١٧ - ظلت حضارة وادى النيل فى كنف
الاسلام محفوظة والقوم قد صانوا
- ١٨ - واتحفوها باثار مقدســــــــــــــــة
ذكر وفكر وتعليم وبنىــــــــــــــــان
- ١٩ - والعلم ألقى بوادى النيل أرحله
فما لابنائـه للفى قد لانــــــــــــــــوا
- ٢٠ - هانوا وهانت عليهم أربع شرفت
بأزهر صحنه للعلم صيــــــــــــــــوان

- ٢١- دع عنك مصرا فما لى فى مراتبها
الا خليل حديث العهد عجلان
- ٢٢- يسعى الى حاجة يوما ليدركها
ان نالها خير ما يعرفه نسيان
- ٢٣- دع عنك مصر فلى فى غيرها وطن
له على موثيق وايمان
- ٢٤- يانجد انى على العهد القديم كما
عهدتنى ثابت مادام ثهلان
- ٢٥- والله لو سكبت ارض الكنانة فى
يمناى در وياقوت ومرجان
- ٢٦- ولو نثرن على دربى جآذرهما
ارواحهن فلن يعرفن نسيان
- ٢٧- قلبى الذى عمرت نجد جوانبه
بحبها وهوى الاوطان فتلان
- ٢٨- يانجد أنت بلاد المجد مدعرفت
أسماءه وهفت للمجد أوطان
- ٢٩- وأنت دار الالى عزت بعزهم
بنو العروبة وانقادوا وما دانوا
- ٣٠- ألا لهم بعد مادلت فعالهم
على الفضائل اقدام واحسان
- ٣١- يادار هيفاء ما أوفى على جسدى
يوم وجن الدجى والكون وسان

- ٣٢ - الاذكرتك مزهوا ومفتخرا
أشدو فيهريق دمع العين أحزان
- ٣٣ - أمسيت نائي بدار شط زائرها
والناس فيها لحكم القرش قد دانوا
- ٣٤ - وجوههم كوجوه الصخر جامدة
وان نضحت ببقشيش لها لانوا
- ٣٥ - انى لمستعر الاشواق مترك
به النوى غير ظل كان انسان
- ٣٦ - به وبات خيالا ليس يمسكه
الا تعلل من شاقته أوطان
- ٢٧ - ثاوبمصر يروض المستحيل بها
غدا يعود وللأسعاد عنوان
- ٣٨ - صحبت فى مصر اخوانا سعدت بهم
دهرا وعاشرنى مالمقوم ذئبان
- ٣٩ - قوم بهم حافظ ابراهيم قد برمت
أخلاقه فمضى بالكره غرثان
- ٤٠ - يارب أدعوك دعوى الضارعين بأن
يحوطنى منك توفيق واحسان
- ٤١ - وهب لنا من مديد العمر أوسع
ياراحم الخلق حنان ومنان
- ٤٢ - لك الجميل من الاسماء أقدسها
سبوح قدوس والاسماء عنوان

٤٣ - وصل ربي صلاة الصادقين على
من جازت الشهب فخرا فيه عدنان

٤٤ - محمد سيد الاكوان قاطبة
مالاح بدر السنا وانهل هتان

الجو العام للقصيدة ومناسبتها :

فى عام (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م) كان ابن بليهد مقيما بمصر
بعد شفائه من مرضه ، الذى قدم من أجل علاجه الى مصر عام (١٣٧٠هـ
- ١٩٥٠م) لما شفى بقى فى مصر لامين : الاستجمام ، وطبع
مؤلفاته . .

وطبعى أن يحن الى بلاده وأهله ، لكن الحديث عن الدار والاهل
والاحباب لم يكن وحده موضوع القصيدة ، بل كان للبلاد التى يقيم
بها (مصر) النصيب الاكبر فى هذه القصيدة .

وحديثه عن هذين الوطنين ينم عن حب لهما واعجاب بهما وتقدير
لأهلهما ، غير ان حديثه عن مصر ركز على أمرين : الاخلاق ، ثم
العلم والحضارة . .

وهو وان عرض لبعض الظواهر الخلقية لبعض الناس فى هذه
البلاد ، التى أنكر أهلها أنفسهم امرها وعملوا - وما زالوا يعملون - على
محاربتها ، فانه يتحدث حديث الداعى الى الاصلاح المشارك لابناء
بمصر فى الاحساس ، بقبح هذه المظاهر ووجوب محاربتها ، ولا أدل
على ذلك من ذكره لما عرفت به مصر من علم وحضارة ، ولذا فانه
يصفها (بدار النقائص) على ما نراه لدى عرض القصيدة .

عرض وتحليل :

١ - كان ابن بليهد كثير الحديث عن بلاده فى شعره ونثره ، ولم يكن ذلك بدعا ولا غريبا ، فحنين الشعراء الى أوطانهم ، وبخاصة البلاد التى ولدوا ونشأوا فيها ، كان يملك عليهم أمرهم فيملئون بذكرها أشعارهم . .

بلاد بها نيطت على تمائسى

وأول أرض مس جلدى ترابها

غير أن الحنين الى الوطن الاول عند ابن بليهد لم يظهر فى شعره ، الذى احتواه الديوان على نحو يشبه فيه حديثه عن ذلك الوطن فى مصرياته ، وليس هذا بالغريب ، فمما لانزاع فيه ان النزوح يستثير هواجع الاشواق فتجيش المشاعر والاحساسات ، لذا ترى الحديث عن وطنه يشغل مساحة كبيرة من قصائده المصرية ، وان شاركته فى ذلك مصر التى أعجب بها على نحو ظاهر لا يحتاج الى تدليل .

وابن بليهد فى مطلع هذه القصيدة (١ ، ٢) يظهر شوقه : الى الاهل ، والجيران ، والوطن ، والاخوان ، على نحو يوحي بشوق عارم ، وحنين الى الاهل والدار ، وماضى الذكريات .

١- وفى الابيات (من ٣ - ٧) يثنى على داره بنقائها وطهارتها ، وخلوها من مظاهر الفسق والفجور ، التى جرها الاستعمار والسائرون فى موكبه على بعض البلاد العربية ، فهو ينفى عن داره وجود الخمر والقمار والملاهى ، كما ينفى عنها وجود العاهرات .

وفى هذا النفى كله تلمس التحسر والاشفاق على ضحايا التطرف الاخلاقى ، ويتضح لك ذلك فى وصفه للمآل الذى يترقب بنات الليل المرخصات لثمين الاغراض . .

٢- ومن (٨ - ١١) يزداد اشفاقه على مصر ، التي قويت روابطه بها بعد ان عاش فيها سنين ، فذاق حلاوة معاشرة الطبييين من أهلها ، لكنه من جانب اخر كره ما يرى فيها من مظاهر الفسق والفساد ، حتى دعا على اولئك الذين عملوا على اشاعته بعدم البركة ، لانهم جروا على انفسهم وعلى بلادهم ومجتمعهم من الشر ما أقلق المصلحين والصالحين (١) .

ويخشى ان يظن قارئ شعره ، أنه لا يعرف ما لمصر من منزلة ومكانة مرموقة ، في الاخلاق والعلوم والحضارة ، فيشير الى ان مصر هي البلد الذي استطاع ان يتسع للنقائص : فهي تجمع الخير والشر ، والكفران والايمان ، وان لكل داعيته الذي يتفانى في سبيل ما يدعو اليه ، ومن هنا رأى ان أماكن الشر فيها عامرة ، كأماكن الخير تماما ، فالملهى مكتظ بالفساق ، والمسجد عامر بالصالحين وهكذا .

٤- ومن (١٢ - ١٨) ينقله الحديث الى حضارة مصر الفرعونية فالاسلامية ، فيتحدث عن حضارة مصر القديمة متمثلة في بعض مظاهرها كالاهرام وأبى الهول ، ثم يسوق حديثا عن الفراعنة وملكهم ، وما كان لهم من عز وسلطان وجبروت ، يسوق ذلك الحديث للاعتبار بما أصابها ، على الرغم مما كان لهم من مكانة ونفوذ .

ثم يشير الى أن مابقى من تلك الحضارة ، ظل محفوظا حتى في عصر الاسلام الذي أضاف اليها الكثير الجليل ، الذي لم يقتصر على الاثار العمرانية كالاظهر ونحوه ، بل كانت له اثار في العلم والفكر أعظم بكثير في جدواها من الاثار العمرانية .

(١) يلاحظ في الايام الاخيرة أن جهودا جدت في محاربة الفساد ، ونتمنى لها من قلوبنا التوفيق .

٥ - وفى (١٩ - ٢٠) يثنى على مصر بما وصلت اليه من ارتقاء فكرى وعلمى ، لكنه يلوم أبناءها الذين ركنوا الى مالا يرضى من الاخلاق والعادات ، وكان حريا بهم أن ينزهوا هذه البلاد ، التى عمرت بذلك الجامع الخالد (الازهر) الذى كان ومازال ينبوع الفكر ، ومستقى العلوم ومنجب رواد الاصلاح فى كل زمان . .

٦ - وفى (٢١ - ٢٢) يشده الحنين الى وطنه من جديد ، فينصرف اليه عن مصر ، لكنه يصور حال بعض الاصدقاء فى مصر وان كان عهد صداقته بهم حديثا ، ومن رأيه انهم انما صادقوا لحاجة لاتكاد تنقضى حتى تنطوى تلك الصداقه .

وكان حريا به ألا يطلق هذا الاطلاق ولا يعمم هذا التعميم ، فليس المصريون كلهم كذلك ، وليس الاصدقاء كذلك فى أى مكان .

٧ - ومن (٢٣-٣٢) يشده الحديث الى وطنه من جديد ، ذلك الوطن الذى له عليه من المواثيق والايمان مايفرض عليه الوفاء والولاء ، فهو يخاطبه مؤكدا ولاءه ووفاءه له ، ويقسم بأنه لو سكبت مصر فى يده ذهباً ونثرت حسانها ارواحها فى طريقه ، اغراء له ، فلن ينسى بلاده وأهله الذين عمر قلبه بحبهم ، وكيف لاوهى بلاد المجد منذ القديم وموطن السادة الامجاد الذين دان لهم الزمان وأهله ، ثم انها دار الاحباب ورفاق الصبا ؟ ولذا فهى بلاد حرية بأن يفتخر بها ، كما أنها حرية كذلك بأن يبكى النازح عنها وجدا عليها وتشوقا .

٨ - وفى (٣٣-٣٤) يعود الى الحديث عن مصر وأهلها ، لكنه يجحف فى تعميمه أيضا ، لكن لم يكن ذلك عن كره مصر وأهلها ، فأحاديثه التى تنضح بحبه لمصر وللمصريين كثيرة فى هذه القصيدة وغيرها ، لكن المصريين كغيرهم من الناس ليسوا جميعا من الفضلاء ،

كما أنهم ليسوا جميعا من الانذال لكن الشاعر ينظر حيناً من زاوية فيحكم من خلالها ويبصر النقيصة فيضخمها بكلمته الشاعرة •

وعلينا ان نلاحظ انه ربما لم يعاشر الا طائفة من الذين فرضت عليه ظروفه ان يعاشرهم ، شأنه في ذلك شأن السائحين هذه الايام ، وانهم يشدون قشورا من الحياة هناك لو انصرفوا عنها الى الوجه الاخر لوجدوا خيرا وفضلا وصلاحا ، غير أنا لاننسى أن شاعرنا أشاد في قصيدته هذه وفي غيرها بالمصريين الفضلاء ••

٩ - ومن (٣٥ - ٣٧) يشده وطنه من جديد الى الحديث عما يستمر داخله من أشواق أصابت جسمه بالنحول ، حتى بات كالظلل شوقا ووجدا ، لكنه كان يسعى ليظفر بالصحة من ناحية ، وليخرج بعض اسفار علمه مطبوعه للناس من ناحية أخرى •

وتكاد تلمس يأسا فيما كان يؤمله من برء كامل يعيده الى صحته ونشاطه ، لكن التفاؤل يغلبه فيبصر عنوان الاسعاد يلوح له في طريقه الى بلده ••

١٠ - وفي (٣٨ - ٣٩) يظل بين وطنه ومصر ، هذه تشده وتلك تجذبه ثم يقسم أصحابه من المصريين في أول هذا المقطع الى قسمين :

قسم : سعد بهم وسر ، وآخرون : فيهم من الطباع ماجعله يصفهم بالذئاب ، ويحس بالحر ج من غمزه لبعض المصريين فيعتذر عن ذلك ، بأن شاعر النيل ابن مصر حافظ ابراهيم قد نفر من تلك الخلل وعابها في المصريين • ويهمش على هذا البيت مشيرا الى قصيدة حافظ

ابراهيم التى ألقاها فى مدرسة البنات ببورسعيد عام (١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م) ومطلعها . .

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى
فى حب مصر كثيرة العشاق (١)

١١ - ويختم القصيدة بالتضرع الى الله ، بأن يحوطه بالتوفيق والاحسان وان يمد فى عمره ، ثم يصلى على النبى - عليه الصلاة والسلام - كما هى عادته فى جميع شعره . .

نظرات وتعليق :

١ - يتنازع الحديث فى هذه القصيدة موطنان : وطن الشاعر الاصلى فى جزيرة العرب ، والوطن الذى يقيم فيه حال نظم القصيدة ، وهى مصر ، يجذبه هذا ويشده ذاك ، لذا نجد الحديث عن الوطنين متداخلا ، لكن لا يصعب الفصل بينهما ، بل أنك تستطيع - لو أردت - أن تنثر القصيدة وتركبها من جديد بعد ان تضم كل مجموعة من الابيات الى مايجانسها ، وهذا يعنى ان الشاعر تركها حسب تواردها على لسانه حين النظم ، وتلك سمة من سمات الشعر العربى القديم ، وابن بليهد قديم فى منهجه واتجاهه ، فلا يصح أخذه بهذا لكن لايجوز لنا اغفال الاشارة اليه والتنبيه عليه .

٢ - وتمثل هذه القصيدة مع مصرياته نقلة كبيرة فى شعره ، نحس ذلك فى اللفظ والاسلوب والمعانى والصور ، كما نحسه فى الاغراض أيضا .

(١) ديوان حافظ ابراهيم ١ : ٢٧٩ طدارالكتب المصرية .

أ - ففي الموضوع نجده يعالج من الأمور ما لم يسبق أن عالجه، مستقلا في قصائده سواء في ذلك ما احتواه الديوان ، أو ما عثرنا عليه مما لم يحسوه الديوان .

فمن ذلك : الوصف كما تراه في حلوانيته ، ومنه ما يدخل اجمالا في باب الشعر الاجتماعي كهذه القصيدة ، كما ان الحنين الى الوطن كان له نصيبه الأكبر من هذه المصريات وهكذا .

ب - وفي الأسلوب نجده أكثر تجويدا ، ومهارة في التأليف ، حيث تنساب عباراته في مصرياته انسيابا فيه من الجمال والجلال ، ما تفتقر اليه الكثير من قصائده السابقة لمصرياته .

ج - وتأتى ألفاظه في المصريات سهلة قريبة التناول طيبة ، لا تحس فيها قلقا أو اعتسافا، ومثل ذلك نجده في بعض من قصائده غير المصرية

د - ومثل ذلك يقال في الأخيلة والصور ، فلقد تخلصت في جملتها من تلك الصبغة البدوية ، التي كانت تطفئ على صورهِ ، وجنحت الى ما تمليه الحضارة ، وتفرضه المدنية من صور وأخيلة ، ترى منها بعض ما نعرضه في الفقرة التالية .

٢ - وقد اشتملت القصيدة فيما اشتملت عليه من مظاهر الجودة والجمال على كثير من الصور البيانية والحلى البديعية ، التي جاءت في الجملة عفوي الخاطر دون تكلف وتعمل .

أ - فهو في « البيت ٢ » حين يذكر أيام بلاده يتذكر الشباب التي قضاها بها فيراه روضا نضيرا في أغصانه غضارة ونضارة ، فالعمر عنده روضة الصبا وغصنها الفينان .

ويرى الراقصة تتعطف وتتثنى وتتمايل يمينا وشمالا ، فيصورها فى «البيت ٤» بالجنية التى تلعب ، وتراه فى ذلك دقيق الملاحظة ، لا يفوت عليه أمر آخر - فهو - عندما صور لك الراقصة ، وهى تقف شبه عارية لم يشغله رقصها بقبحه وفضاعته عن تصوير حركاتها وأنها كأنما هى جنية فى تلويها وخفة وسرعة تحركاتها ، والعرب تنسب الى الجن كل أمر فيه غرابة أو بعد عن المألوف .

ب - وفى البيت السادس يحس ببشاعة هتك العرض ، فلا يجد ما يصوره به سوى «الوآد» فيستعيره له مدلا بذلك على قبح هذا العمل وشناعته ، وهو تصوير رائع بديع ، لأن الشرف اذا ما انتهكت حرمة استحالت عودته الى ما كان عليه من طهارة قبل ذلك ، فهو تماما كالمقتول مستحيل أن يعود الى الحياة من جديد .

ومن الصور القديمة فى شعره تصويره فى البيت التاسع ، العلم بالمسافر الذى ألقى أرحله بمصر ، وهى صورة تعطيك مبلغ اجلال ابن بليهد ، وتعظيمه لما وصل اليه العلم بمصر فى تلك الأيام .

ومن المجاز المرسل عنده تعبيره فى البيت ٢٨ بالأوطان عن سكانها وهى صورة تشخيصية جميلة أقام الأوطان فيها مقام الحى العاقل ، وذلك أن جعلها تهفو للمجد وتصبو اليه .

وحين يشتد به ولهه الى بلاده يصور لك فى «البيت ٣٢» أحزانه فى صورة شخص يبكى فيريق الدموع شوقا وحنينا .

ج - وفى حديثه عن وطنه فى البيت الأول ، لا ينسى أنه مصدر الضياء والاشراق ، فيكنى عنه بمطلع الشمس ، وقد يقال : أن هذا

من قبيل الحقيقة ، اذ أن موطنه شرق مصر ومن ناحيته تشرق الشمس ولكنها ليست مطلع الشمس على أى حال .

وفى البيت الخامس يبنى عن ليالى العابثين الماچنین (باللياالى الحمر) ، وهذه كناية استعمالها فى هذا العصر كثير .

د - ومن حلاه البديعية هذا الجناس ، الذى يأتى خاليا من التكلف جاريا على الطبع فى البيت الثالث ، ثم هذا الطباق : بين الخير والشر والكفران والايمان فى البيت التاسع .

الباب الخامس

● شعر ابن بليهد بين الأصالة والتقليد ●

الفصل الاول : تأثر ابن بليهد بالآخرين

الفصل الثانى : وقفة مع ابن بليهد فى شعره

الفصل الثالث : الشكل والمضمون والصورة الأدبية والطبع والصنعة

الفصل الرابع : الخصائص العامة لشعره

الفصل الاول

● تأثر ابن بليهد بالآخرين ●

من المعلوم أن الأدب سجل مشاعر الأمة وآرائها (١) ، تجاه الحياة والناس في شتى الميادين (والأدب - قبل أن يكون تعبيراً فنياً - أفكار تصاغ في ذلك التعبير وآراء تصب في قوالبها الفنية وقد ترجع تلك الأفكار أو هذه الآراء ، في أدب ما الى مادة عامة متوارثة على الأجيال عن آداب كثيرة) (٢) .

والأديب أكثر الناس ارتباطاً بالحياة ماضيها وحاضرها ، وهو بثقافته الواسعة مرآة تنعكس عليها صور شتى للحياة ، وهذه الصور بحكم ارتباطها بثقافة الأديب ، لا بد أن تكون خليطاً من الماضي والحاضر

وهذا كله يعنى أن فكر الأديب خاضع لتأثيرات مختلفة ، يكون الماضي جزءاً كبيراً منها ، وإن تفاوت حجم ذلك الماضي في العمل الأدبي الذي يقدمه فكر الأديب ، تفاوتت قوة تأثيره .

من هنا نجد أن ثقافة الأديب كثيراً ما سحبت ظلالها على أعماله قد تكون ظاهرة يلحظها القارئ من أول نظرة ، وقد تحتاج الى وقفة وشيء من التفكير .

(١) انظر الأدب المقارن - دكتور محمد غنيمي هلال - مطبعة مخيمر شارع الجيش ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ .

فلا بدع اذا ان ظهرت ثقافة صاحبنا فى بعض شعره ، كما أوما هو
ائى ذلك بقوله غير أنى لا أنكر أن الافكار والملكات يلحق بعضها بعضا
وان الشعر ملكة تقوى بالمرانة ، وتتسع بالقراءة والتثقيف وكثرة
الاطلاع والمشاهدات (١) .

واذا كنا قد خصصنا آخر الفصل الأخير بظهور ثقافته التاريخية
فى شعره .

فاننا نريد هنا أن نتحدث عن أثر الثقافة الأدبية فيه أو ان شئت
فقل ، تأثره بالآخرين ، مما قد يحلو لبعضهم أن يسميه سرقة ، وهذا
يفرض علينا أن نوضح هذا الامر نوع ايضاح ، نضمنه رأينا فى هذه
القضية .

عندما يقع المتأخر على المعنى ، ويكون قد سبقه اليه أحد المتقدمين
ويجد الناقد ذلك يسارع الى نسبة قول المتأخر الى السرقة دون أن
يعير أدنى اهتمام لعلم المتأخر أو جهله بما قال المتقدم ، وكأن المعانى
والأفكار والألفاظ ملك لجيل دون جيل أو لمتقدم دون متأخر .

ونسوا أو تناسوا أن المعانى أمر مشترك بين العقلاء (٢) ، وانما
الشان فى تفنن الأديب فيما يلبس ذلك المعنى من معارض ، كما نسوا
أو تناسوا أن اللغة أداة للتعبير والافصاح عن المعانى ، اى انها
معارضها التى تتجلى فيها ، وان المعنى قد يرد على نفس المتأخر
كوروده لدى المتقدم ، بل قد يتفق الاثنان او يتقاربان فى القالب
الذى صب فيه ذلك المعنى .

(١) أوراق مخطوطه .

(٢) انظر الصناعتين - أبو هلال العسكري - طبعه عيسى الحلبي ص ١٩٦ .

ولقد تنبه الى ذلك أبو هلال العسكري (١) ، وذكر أنه نفسه مر بهذه التجربة ، فلقد جمع تشبيهين فى شطر بيت ، ثم وجده لبعض البغداديين .

وليس من عيب فى أخذ المعنى لأن المعانى متداولة ، وانما العيب فى أخذه بلفظه كاملا أو النقص فيه (٢) ، وقد عدوا للسرقة أنواعا كثيرة منها : الاصطراف ، والاجتلاب والاستلحاق ، والانتحال ، والادعاء والاعارة ، والنصب ، والمرافدة أو الاسترفاد ، والاهتمام والنظر والملاحظة ، والالمام ، والاختلاس والموزانة ، والموارد ، والالتقاط والتلفيق (٣) .

كما قسموها من ناحية أخرى الى ثلاثة : النسخ ، والمسخ ، والسلسخ (٤)

ويستريح التقاد الى مثل هذا ، فيقسمونه الى مباحث وموضوعات فهناك سرقة للفظ والمعنى أو لبعضهما أو لأحدهما أو بعضه ، وهناك السرقة الحسنة والمقبولة والمكروهة والممقوتة (٥) وسرقة ناظم من ناظم ، وناثر من ناظم ، وناظم من ناثر ، وناثر من ناثر وهكذا حتى صار هذا البحث من أدق المباحث النقدية وأحوجها الى سعة الثقافة والدراية والرواية والحذق والمهارة فى التأويل والتفسير ، اذ لم يعد هذا مبحثا من مباحث النقد وحسب ، وانما فيه احتيال لظهار القدرة فى تفسير كلام الآخرين وتأويله ليتمكن رده الى قول سبق .

(١) المرجع السابق ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٣) كتاب العمدة لابن رشيق ٢ : ٢٨٠ .

(٤) انظر المثل السائر لابن الاثير ص ٢٩٩ .

(٥) انظر الوساطة القاضى عبد العزيز الجرجاني من ص ١٨٣-٢١٦ ط عيسى العلبى .

(وربما يدفع الآخذ عن نفسه تهمة السرقة ، ولنا أن نصدق أنه لم يتعمده ، لأن ما أخذه ربما يكون تسرب اليه من محفوظة ومدخرة ، وربما يكون وقع له من التأثير) (١) .

ولقد شاع فى عصرنا هذا نوع من السرقة قبيح ، منه أن يترجم أديب عملا أدبيا اجنبيا فيدعيه لنفسه ، أو أن يسطو على مقاله فى مجلة أو صحيفة قديمة أو كتاب مجهول ، فيغير العنوان وينسب المقال لنفسه أو بعضا منه (٢) .

كما استغلت تهمة السرقة من لدن آخرين فى تأويل نصوص خصوصهم ، وحملها على السرقة حملا تعسفيا (٣) ، وهذا حديث طويل طائله قليل ، ويكفيها منه ما أوردناه (٤) .

ورأينا فى هذا . جواز التقاء شاعرين أو أكثر على معنى أو عبارة دون علم أحدهم أو جميعهم بما قال الآخرون ومن أجل هذا لا نتبع ابن بليهد ، الا فيما كان أخذه فيه ظاهرا فى العبارة والمعنى ، وسوف نقسمه الى قسمين :

أولا : ما أخذ فيه بيتا أو شطرا ، أو بعض شطر بلفظه ومعناه .

ثانيا : ما لم يكن كذلك .

١ - ما أخذ فيه بيتا أو شطرا أو بعض شطر بلفظه ومعناه .

-
- (١) نصوص نقدية - دكتور محمد السعدى فرهود ص ٢٩٨ ط دار الطباعة المحمدية .
(٢) انظر التيارات المتاصرة - دكتور بدوى طيبانه من ص ٣٥٠ - ٣٦٨ ط الانجلو المصرية .
(٣) انظر من ذلك الديوان للعقاد ، المازنى ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ط دار الشعب .
(٤) انظر فى الموضوع السرقات الادبية - بدوى طيبانه - مطبعة الرسالة ١٩٥٦ م .

أ - قال ابن بليهد

تبادر بالمعروف مهما أتيتـــــــــــــــــه

كأنك تعطيه الذى أنت باغيا (١)

وقال الشاعر الحكيم زهير بن أبى سلمى :

تراه اذا ما جئته متهلــــــــــــــــلا

كأنك تعطيه الذى أنت سائلـــــــــــــــــه

فأنت تراه أخذ بيته من بيت زهير ، غير أن بيت ابن بليهد لا يدل
الا على الكرم ، أما هذا البيت لزهير ، فانه يدل على ارتياح الكريم
لكرمه ، بدليل ما يعلو وجهه من تهلل واشراق عندما يأتى اليه السائل
وان كان هذا المعنى قد يفهم ضمنا من قول ابن بليهد : (مهما أتيتـــــــــــــــــه)
أى فى كل اتيان تأتية ، لكن ابن بليهد فاق زهيراً فى اظهار صفة
الكرم ، حيث جعل المدوح يبادر بالمعروف دون أن ينتظر الطلب ،
بينما تلمس عكس ذلك فى بيت زهير .

واذا كان ابن بليهد قد أخذ معنى زهير وزاد عليه ، فانه قد قصر
دونه فى العبارة وتأليف الكلام ، أما كلمة (باغى) فى بيت ابن بليهد
فقد جاءت فى اللسان بمعنى طالب الشيء (٢) فهى صحيحة .

ب - وقال ابن بليهد :

به مهمه لا يهتدى بمنــــــــــــــــاره

يطوف عليه الجان جذلان يلــــــــــــــــب (٣)

(١) ابتسامات الايام ص ١٧ .

(٢) انظر لسان العرب ١٨ : ٨١ الدار المصرية للتأليف والترجمة -

الطبعة المصورة عن طبعة بولاق .

(٣) ابتسامات الايام ص ٤٠ .

وقال أيضا :

ترى به أثر الديبان دراسـة
للجن فيه وساويس وأزجال (١)
فقد أخذ هذين البيتين من ثلاثة أبيات أحدهما قول بعضهم :
على لاحب لا يهتدى بمنـاره
إذا سامه العود النباطى جرجر

والثانى قول الاعشى :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشـة
للجن فى الليل فى حافاتها زجل
والثالث قول محمد بن لعبون من شعراء العامية :
فى صحصح كنه قفا الترس مقلوب
طرب به الجنى على فقدہ الذيب

فقد أحسن ابن بليهد فى أخذ المعنى ، وزاد فيه خلو الأرض المقفرة
من جميع انواع الحياة ، حتى الحيات التى درست مساحبها فيها لقلتها
وان كان هذا المعنى قد يفهم من قول ابن لعبون حين نفى وجود الذئب
فيها لبعدها عن مظاهر الحياة ومظان الماء .

جـ - وقال ابن بليهد :

وجاء على أمر الامام لأنـه
حليم ويلقى من فواضله ندى (٢)

(١) ابتسامات الايام ص ٨٥
(٢) ابتسامات الايام ص ٥٣

وآخره مأخوذ من قول الأعشى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام •

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى

• وهو اقتباس حسن كما تراه •

د - ومثل ذلك قوله :

وسالمهم فيها اذا اتسق الدجى
يبيت كما بات السليم مسهدا (١)

فقد أخذ شطره الأخير من قول الأعشى ، فى مطلع القصيدة السالفة
الذكر :

ألم تفتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهدا

فقد أحسن الاقتباس حين أراد أن يدلل على أن الناجى من الأعداء
يبيت ليله قلقا وجلا ، لأن الخوف يطارده والذعر يقض مضجعه •
د - ويقول ابن بليهد :

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله
ولو سكتوا أثنى الطريق المقوم (٢)

وهذا من قول الآخر :

فعاجوا وأثنوا بالذى أنت أهله
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(١) ابتسامات الايام ص ٥٤ •

(٢) ابتسامات الايام ص ٨٠ •

فأنت تراه لم يغير فى البيت القديم غير الكلمتين الاخيرتين :

ثم أنه أضعف المعنى بهذا التغيير ، فأى معنى للكرم يثنى به الطريق المطروق ، ويمكن حمل الكلام على حذف المضاف وهو سالك الطريق ، وحينئذ يستقيم المعنى لابن بليهد كاستقامته لسابقه .
و - قال ابن بليهد

إذا مدت الأيدى الى الجهل والهوى
فباع حسين فى الضلالة أطول (١)

وقال من قصيدة أخرى :

إذا مدت الأيدى الى المجد والندى
جميعا فباع المقرنين (٢) أطول (٤)

وقد نظر فيهما الى قول الشاعر القديم :

وان مدت الأيدى الى الزاد لم اكن
بأعجلهم اذ اجشع القوم أعجل

فأبن بليهد قد أحسن اذ نقل الصورة من الحسى الى المعنوى ، ثم انه دلل على براعته فى هذا باستعمال المعنى فى غرضين مختلفين وهما : الهجاء فى الأول ، والمدح فى الثانى بينما هو عند الشاعر القديم فى الفخر .

ز - وقال ابن بليهد :

لا يدرك المجد من لا يبذل المالا
ولا ينال ذرا العليا من قالا

(١) ابتسامات الايام ص ٢١ .
(٢) آل مقرون : هم آل سعود ، وينسب الفرد منهم ويقال : مقرنى ، وجسمها مقرنيون .
(٣) ابتسامات الايام ص ١٠٧ .

انى سآدرىك أقصاها بلا سبب
وأعمل العيس لا حلا وترحالا (١)

وهذان منظور فيهما الى قول الآخر :

لا يدرك المجد من لم يركب الخطرا
ولا ينال العلا من قدم الحذرا

على أن المعنى عند ابن بليهد أوسع منه عند الآخر ، اذ دل فى بيتيه
على أن المجد والعلا لا ينالان الا بسببين : الكرم ، والسعى الحثيث
فى نيل المعالى .

أما بيت الشاعر السابق فقد ناط المجد والعلا بالجرأة وحسب .

وقد يظن أن ابن بليهد نظر فى بيتيه الى قول تركى بن حميد من
شعراء العامية :

ومن لا (٢) يقلط شذرة السيف والكىس
يصبح عليه من الليالى ثلومى (٣)

ح - وقال ابن بليهد يرثى ابن عمه :

ما بال عينك منها الدمع ينهمر
كأنه جدول أو مدجن مطر (٤)

وهذا مأخوذ من قول ذى الرمة :

(١) ابتسامات الايام ص ٢١١ .

(٢) يقلط : يقدم

(٣) ابتسامات الايام ص ٣٠١ .

(٤) ابتسامات الايام ص ٢٦١ .

ما بال عينك منها الدمع ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب (١)

ولكن ابن بليهد لم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة ، من عدم ملاحظة
الشخص الذى يخاطبه ، على أن ابن بليهد نقل القول من المدح الى
الثناء ، وهذا فى أصله مقبول ، على أن سكب الدموع فى الرثاء محمود
أكثر مما هو محمود فى حديث الغزل الذى فى أول قصيدة ذى الرمة .

ط - وقال ابن بليهد :

أقلا ملامى فالحديث طويل
وشكواى بين العارفين شكول (٢)

وصدره من قول ابن عثيمين :

أقلا ملامى فالحديث طويل
ومن عادة ألا يلام عذول

على أن ابن بليهد قد نقل المعنى من النسيب ، الى العتب واللوم
الذى هو موضوع قصيدته ، على أن المعنى مناسب للموضوع هنا وهناك

ى - وقال ابن بليهد فى رثاء بعض العلماء :

على فقد ميمون النقية طاهر
فليس لعين لم تفض ماءها عذر (٢)

(١) قيل أن ذا الرمة قال هذا المطلع لقصيدة مدح بها أحد خلفاء بنى أمية ، وكانت عين
المدوح دامة ، من هنا عيب عليه هذا ، وإن أمكن تفسيره على أن الضمير فيه عائد
الى الشاعر . .

(٢) ابتسامات الايام ص ٢٦٧ .

(٣) ابتسامات الايام ص ٢٥١ .

وعجزه من قول ابى تمام فى رثاء حميد الطوسى :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم تفض ماءها عذر

والمعنى هنا واحد والموضوع واحد ، فلا فضيلة لابن بليهد فيه .

ك - وقال ابن بليهد من القصيدة السالفة الذكر :

لعل ثياب الموت بعد وفاته
من الجنة الخضراء من سندس خضر (١)

وهذا منظور فيه الى قول أبى تمام فى قصيدته السالفة الذكر أيضا:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى
بها الليل الا وهى من سندس خضر

وابن بليهد هنا أقل احسانا من أبى تمام ، الذى جزم فى بيته
بالصورة الرائعة للمأل الذى يرجوه لصاحبه ، لان ابن بليهد أضعف
الصورة هنا بالرجاء والأمل ، أما ربط صورة حمرة ثياب الشهيد فى
ميدان الحرب بخضرتها بعد موته ، فقد أتاحها المقام لابی تمام اذ أن
صاحبه مات فى ميدان الجهاد ، بينما مات صاحب ابن بليهد على فراشه

ل - ومثله قول ابن بليهد :

جميل وهل فى العرض بعد انتقاله
يكون لأثواب العلا أبدا نشر (٢)

(١) المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٢) ابتسامات الايام ص ٢٥٢ .

من قول أبي تمام :

أمن بعد طى الحادثات محمدا
يكون لأثواب الندى أبدا نشر

وليس لابن بنيه هنا فضل معنى ، اللهم الا فى ابدال (الندى) به
(العلا) وهو ابدال اقتضاه المقام ، لكونه يرثى عالما كريما لا فارسا على
على أن اضافة الأثواب الى الندى اكثر عند الشعراء .

م - ویقول ابن بلیہد فی قصیدتہ «ذکری المولد» :

قوم اذا الشر أبدي ناجذيه لهم
طاروا اليه على علاكة اللحم (١)

وهو من قول قريط بن أنيف :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

فابن بليهد هنا لم يتصرف الا فى الكلمتين الأخيرتين ، على أن هذا التصرف قد أعطى صورة بيت ابن بليهد قوة منبعها ، ما توحى به (علاكة اللجم) - وهى الخيل - من قوة وجلال ، وان كان آخر بيت (قريط) يوحى بأن القوم نفروا جميعا ، ولا يوحى بذلك بيت ابن بليهد .

ن - ومثله من القصيدة نفسها قوله :

هناك أذن للرحمن فأمّتــــــــــــلات
أسماع يثرب من قدسية النغم (٢)

(۱) اوراق مخطوطہ •

(۲) اوراق مخطوطہ •

• وهو نفس بيت شوقي أخذه ولم يغير فيه سوى المكان •

س - وفى قصيدته التى عارض بها - فيما يبدو - على بن الجهم
أخذ بيتا كاملا من قول المجنون وهو :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخم (١)
ع - وفى حلوانية ابن بليهد يقول :

يا روضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا (٢)

• وهو من قول ابن زيدون :

يا روضة طالما أجت لواظنا
وردا جلاه الصباغضا ونسرينا

وفى تصرف ابن بليهد فى الشطر الأول صورة بديعة ، لا تقل
روعة وجمالا عن صورة بيت ابن زيدون •

ف - ويقول ابن بليهد فى إحدى مصرياته :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم نسمر وضوء سناك (٣)

وهو قول الشاعر القديم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(٢) أوراق مخطوطه •

(١) أوراق مخطوطه •

(٣) أوراق مخطوطه •

والتغيير فى الكلمتين الاخيرتين لم يغير فى الصورة ، وان كنت
أرتاح الى ما يوحى به ختام بيت ابن بليهد، من سورة مشاعره الخاصة
عندما تذكر زوجته المتوفاه •

ص - وفى القصيدة نفسها يقول ابن بليهد :

تذكرت والذكرى تهيج — مرارة

إذا كان من تهوى رهين هلاك (١)

وهو منظور فيه الى قول الآخر :

تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

ولقد أحسن ابن بليهد هنا ، حيث أفاد باستمرار مرارة الفراق
الذى تهيجه الذكرى ، بينما لا يوحى بيت الشاعر القديم ، الا بوجود
حزن جعل من العادة أن يتذكر المحزون من أحزنه فراقه •

٢ - مالم يلتزم فيه النص عند الاخذ •

أ - قال ابن بليهد

الجيش والخيـل والخطى عندهم
والسيف يعرفهم حقا اذا جردا (٢)

وهو منظور فيه الى قول أبى الطيب المتنبى :

الخيـل والليلـ والبـداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(١) أوراق مخطوطه •

(٢) ابتسامات الايام ص ٤٥ •

غير أن ابن بليهد نقل المعنى من الفخر الى المدح .

ب - قال ابن بليهد :

الا اذا حاربوا ضروا وان ندبوا
سروا وان قعدوا أنعم بمن قعدا (١)

وهذا منظور فيه الى بيت حسان - رضى الله عنه - فى مدح
الرسول عليه الصلاة والسلام :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

على أن ابن بليهد حين أخذ معنى حسان وسع دائرته ، بأن جعل
ضررهم عاما لمن حاربهم ، كما جعل نفعهم كذلك عاما لمن ندبهم
واستنجد بهم ، سواء أكان من أشياعهم أم من غيرهم ، وزاد عليه بأن
جعلهم أهلا للمدح والثناء فى حالى حربهم وسلمهم .

ج - ويقول ابن بليهد :

أقول اذا صدت عن الحق أعيـن
هناك بيان لو تكلم أسود (٢)

وهذا بيت نظر فيه المثل القائل «عندك الخبر لو تكلمت يا أسود»
وأسود هذا جبل قتل رجل من العرب عنده ، فعجز أهله عن معرفة القاتل
فقال أحدهم ذلك القول ، ولقد أحسن ابن بليهد فى هذا الاقتباس .

(١) ابتسامات الايام ص ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

— وقال ابن بليهد :

تيممت فى غير البقاع فلا أرى

يجوز على سفح الفرات التيمم (١)

• وهذا منظور فيه الى الأثر «اذا حضر الماء بطل التيمم» •

واذا كان ابن بليهد قد أحسن الاقتباس هنا أيضا فان القارئ يحس

فيه تعريضا بأناس فضل الشاعر الملك عبد العزيز عليهم •

ولولا أننا لم نعثر على شعر لابن بليهد ، يمدح فيه غير الملك عبد

العزيز وأبنائه ، لقلنا أنه كان يلح الى ضالة أعطيات أولئك ، اذا

قيست بأعطيات الملك عبد العزيز ، فهم كغير البقاع ، بينما الملك عبد

العزيز يشبه نهر الفرات •

د— وقال ابن بليهد :

لا تتخذ غير أطراف القنا خدنا

فوقعها غير وقع الحبر والخطب (٢)

وهذا منظور فيه الى قول ابن عثيمين :

العز والمجد فى الهندية القضب

لا فى الرسائل والتنميق للخطب

وكان ابن عثيمين قد أخذه بدوره من قول أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب

فى حده الحد بين الجد واللعب

(١) ابتسامات الايام ص ٨٠ •

(٢) ابتسامات الايام ص ٩١ •

بيض الصفائح لاسود الصفائح في
متونهن جلاء الشك والريب

وعندى ان بيت ابن بليهد ، اجمع للمعنى وان كان أقل تفصيلا له ،
وذلك لجعله الرماح موضع الاخلاء والاصفياء ، لانها أصدق فعلا وخبرا
و - وقال ابن بليهد :

ما تقصد العرب تأمينا لخائفهم
الا اذا قصد الهندي والأسل (١)

وقال من قصيدة أخرى :

لا ينفع القول الا بعد ملحمة
يضحى بجانبها المران ينحطم
وهذان منظور فيهما الى قول أبى الطيب المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

فأما البيت الاول ، فانه قريب من قول أبى الطيب معنى وصورة *
وأما فى الثانى ، فأنه يزيد فيه تسليم الحكم فى فصل الخطاب
لنقوة والسيطرة فى ميادين الحروب ، وأن الكلام تأتى مرتبته بعد
الفعل *

ز - وقال ابن بليهد :

فما فى انتقال المتقى من اساءة
اذا حسنت عنه الأحاديث والذكر (٢)

-
- (١) ابتسامات الايام ص ٢٣٠
 - (٢) ابتسامات الايام ص ٢٥٣

وهذا مأخوذ من قول أبي تمام :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة
دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فابن بليهد ، يرثى عالما تقيا يعد فقده فجيحة على الناس جميعا ،
لكن موت التقى ليس بفجيحة ما دام ذكره الحسن باقيا .

وأبو تمام يرثى قائدا وبطلا شجاعا ، أوجع فقده قبيلته حتى
فاضت عيونها دما ، لكن يهون ذلك ذكره الحسن الذى تشرق به ،
الاحاديث والذكر ، فالمعنيان متقاربان وان كان أبو تمام أقوى فى
اظهار الفجيحة والتدليل عليها ، الى ما جمل به بيته من الطباق .

ح - وقال ابن بليهد :

فلم يبق الا موقد النار حوله
رواكد أمثال الحمام بواقيا (١)

وهذا منظور فيه الى قول المضرس بن ربيعى :

لن الديار غشيتها بالاثمد
بصفاء لينة كالحمام الركـد

فكلاهما شبه الأطلال بالحمام الواقع .

ط - وقال ابن بليهد :

أسائلها عن أهلها أين يمموا
وهل يسألن من لا يجيب المنايا (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

(٢) ابتسامات الايام ص ١٥ .

وهذا من قول الأعشى :

ما بكاء الكبير بالأطــــلال
وسؤالى وما ترد سؤالى

ى - وقال ابن بليهد :

خليلى عوجا يسلو القلب ساعة
بتذكار من يهوى اذا كان نائيا

وهذا منظور فيه الى قول الشاعر جميل بن عبد الله صاحب بثينة :

يموت الهوى منى اذا ما لقيتها
ويحيا اذا فارقتها فيمــــود

فالمعنى هو هو وان كانت دلالة لدى جميل أوضح ، كما أن الصورة
لديه أبدع وأروع .

فابن بليهد قد حسن الأخذ فى المعنى ، الا أنه لم يستطع مجازاة
جميل فى : الأسلوب ، والصورة .

ك - وقال ابن بليهد فى وصف الخيل :

جياذ اذا حل الجلاذ كأنهــــا
جلامد طود من ذرا النيق تنزل (١)

وهذا منظور فيه الى قول امرئ القيس فى وصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبر معــــا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢ .

غير أن ابن بليهد لم يعط صورة عن الخيل الا فى اقدمها عند
الهجمة ، بينما أعطانا امرؤ القيس صورة الحصان فى حالتى : الكر
والفر » •

ل - وقال ابن بليهد فى ذكرى المولد ، يصف اهتزاز ايوان كسرى
يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم •

ماهزه الذعر كلابل به رقصت
امال فارس تحدى بالهوى النهم (١)

وهذا منظور فيه الى قول أحد شعراء مصر :

مازلت مصر من كيد يراد بها
لكنها رقصت من عدلكم طربا

لكن ابن بليهد أحسن فى التعليل وأبدع ، أما الشاعر المصرى فانه
يمدح ويعلل للزلزال • •

م - وفى القصيدة نفسها يقول :

فطمأنته بأن الله مكرمه
خديج هاتى دثارى واضغطى قدمى (٢)

وهذا منظور فيه الى الخبر الوارد عن قول الرسول - عليه الصلاة
والسلام - وهو يخاطب خديجه بعد أول لقاء بجبريل عليه السلام
(دثرونى دثرونى) وهو اقتباس حسن كما تراه •

وفى قصيدته الميمية التى نظمها فى ذكرى المولد ، كثير من امثال
هذا البيت ضمننت أخبارا ، عن صفات النبى وسيرته العطرة •

(١) أوراق مخطوطة •

(٢) أوراق مخطوطة •

ن - وفى معارضته لعلى بن الجهم يقول :

ولى صارمان من حسام ومقول
فعولان بالفساق ما لبدو والحضر (١)
إذا صلت صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطرى

وهذا منظور فيه الى قول حسان رضى الله عنه :
لسانى وسيفى صارمان كلاهما
ويبلغ مالا يبلغ السيف مقولى

فأنت ترى ، أن الفاظ الشطر الاول من البيت الاول لابن بليهد ،
هى الفاظ الشطر الاول من بيت حسان - رضى الله عنه - الا ان ابن
بليهد نثرها وألفها تأليفا جديدا اعطاها صورة أجمل .

ثم ان حسان فضل بيانه على لسانه ، اما ابن بليهد فقد جعلهما فى
مرتبه سواء .

ثم ان ابن بليهد قيد فعل لسانه وسيفه على الفساق من البـدو
والحضر ، ولم يرد مثل هذا فى قول حسان - رضى الله عنه - ، وقد
يقال ان الاطلاق يفضل التقييد . .

س - وفى القصيدة نفسها يقول :

وأفعال آبائى قلائد دهرهم
وللمرء ماتجرى به ألسن الدهر
ويارب شخص قام يوم كريهة
ومكرمة كالالف فى حازب الامر

(١) أوراق مخطوطة .

وَألفان قد لا يدركوا شأواً واحداً
فليس لهم ما حاز من رفعة القدر
يعيش الفتى دهرًا ليرتك بعده
أحاديث فاحذر أن تكون من الشر (١)

وهذه الأبيات الأربعة مأخوذة من قول ابن دريد :
والناس ألف منهم كواحد
وواحد كالألف إن أمر عنا
وانما المرء حديث بعده
فكن حديثًا حسنًا لمن وعّا
ع - وقال ابن بليهد :

أرى النأي أورى فى الجوانح ناره
ألا فاطفىء نار النوى بصباك (٢)
وهذا منظور فيه الى صدر بيت أبى فراس الحمدانى :
تكاد تضىء النار بين جوانحي
إذا هى أذكتها الصباة والفكر

فأنت ترى أن ابن بليهد ، حين أخذ المعنى أضفى عليه من جمال
التصرف والاضافة ما أخرجه مخرج الجديد ، وذلك أنه جزم باشتعال
النار فى الجوانح بفعل النوى ، بينما عبارة أبى فراس المصدرة بـ
(تكاد) تفيد التوقع والترقب ، وزاد ابن بليهد هذه الصبا ، التى
تطفىء نار العشق عندما تسرى من نجد .

(١) أوراق مخطوطة
(٢) أوراق مخطوطة

ف - وقال ابن بليهد :

قوم اذا غلبوا فى الحرب لاجزع
منهم ولا فرح يبدو اذا غلبوا (١)

من قول حسان يمدح أصحاب النبى من المهاجرين والانصار :
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم
وان أصيبوا فلا خور ولا هلع

فمعنى ابن بليهد هو نفس معنى حسان ، الا أن ابن بليهد أفاد ان
ممدوحيه لثقتهم بأنفسهم وتعودهم الانتصار ، لا يفرحون عند تحقيقه ،
بينما نفى عنهم حسان التفاخر به ، والمبالغة واضحة فى المعنيين *

ص - وقال ابن بليهد :

تعود بسط الكف طبعاً فماذرت
رياح الندى الا عطايه أجزل (٢)

وهذا من قول الآخر :

تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها لقبض لم تطعه أنامله

على أن ابن بليهد ، حين أخذ المعنى زاد فيه أن فضل أكف الممدوح ،
فى كثرة اعطيائه وسرعتها فى ذلك على الرياح ، فأحسن *

ق - وقال ابن بليهد :

وألقي عصا موسى هناك فأبطلت
ذوى السحر لا يدرى الى أين يمموا (٣)

-
- (١) ابتسامات الايام ص ٥٠ .
 - (٢) ابتسامات الايام ص ٢٣ .
 - (٣) المرجع السابق ص ١٢٠ .

منظور فيه الى الآية الكريمة - (فآلقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون) (١) •

ونظرة سريعة الى ما أسلفناه ، من نماذج تمثل تأثر ابن بليهد بالآخرين ، كفيلة بان تجلو لنا أسلوب ابن بليهد في الاحتذاء والتأثر ، وهو أسلوب بمافيه من حسن تصرف وأخذ ، يدل على ما للرجل من : ملكة شعرية ، وثقافة أدبية قديمة ، وثروة لغوية ، مكنته من الوصول الى ما ينشده من صور وغايات كما تجلى لنا ذلك كله فيما قدمناه ونقدمه من مباحث استهدفت الابانة عن بيانه •

ولم نكن في ذلك من المبالغين ، فدليل صدق احكامنا ماثل فيما نستشهد به ونمثل من نصوص أدبه ، ومما يغلب على الظن وترتاح له النفس أن ابن بليهد لم يعتمد الاخذ من السابقين ، وانما علق ذلك بشعره نتيجة لكثرة محفوظه لاشعار الاقدمين ، وطول نظره في تلك الاشعار •

ويؤيد ذلك أن ابن بليهد كان قليل المعارضة لاشعار الاقدمين ، الا في قصائد معدودة لا تتجاوز ثلاث قصائد (٢) •

فشأنه في هذا الاخذ شأن البارودي ، وأمثاله (ترد على لسانه كلمات أو أبيات من أشعار القدماء دون ان يدرك لانها من محفوظه • فمصدرها اعتداده بنفسه واعتماده على ذاكرته وعدم دراسته المنظمة) (٣) •

(١) الآية ٤٥ من سورة الشعراء •

(٢) هي : ١ - محاكاته لعلى بن الجهم في رائيته (عيون المها) ٢ / ومحاكاته لابن عثيمين في بائيته (دعتك طيبة فانهض) ٢ / ومحاكاته لمطلع قصيدة الفرزدق ، التي وصف فيها الذئب ، وذلك في قصيدته (وذئب جسور الخطو ٠٠) وكلها سبقت في فصل الموازنات في الباب الرابع •

(٣) في الادب الحديث ١ : ٢٣٦ - عمر الدسوقي - مطبعة الرسالة •

ومما يجمل أخذه بعين الاعتبار عند دراسة شعر هذا الرجل ،
البيئة الفكرية التي كانت أيام ابن بليهد (١) ، فلقد كان الشعر فى
أيامه أشبه بالهياكل اللفظية ، الخالية من الروح الشعرية المقفرة من
رائع الصور وبديع الخيال ، كما غلب الهزال على معانيه والضعف
على تأليفه .

وهذا فى حد ذاته كاف لان ينزل ابن بليهد منزلة الرائد ، لعشاق
الادب الرفيع والشعر الجيد فى عصره ، وعلى الرغم من وجود المدارس الادبية ،
والمذاهب الشعرية المختلفة فى أيامنا هذه ، فان مذهب ابن بليهد فى
الشعر مازال متعشقا لدى كثير من أبناء هذا العصر .

الفصل الثاني

– وقفة مع ابن بليهد في شعره –

في هذا الفصل نلم بشيء مما أخذنا به ابن بليهد في ديوانه (ابتسامات الايام في انتصارات الامام) وما عثرنا عليه من شعره ، وتدور هذه المآخذ حول أمرين :

الاول : مقابلة بين قصائده المنشورة في الديوان وغيره ، الثاني ملاحظات عروضية ولغوية . .

غير أننا نريد ان نضع بين ايدي هذا الفصل هاتين الملحوظتين :

أولا : ان الخطأ من سمات البشر ، وكما قال الشاعر :

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ثم ان ابن بليهد أقبل على الشعر في زمن كان الناس في بلده عنه من العازفين ، لاسباب أشرنا اليها عند حديثنا عن الشعر في عصره ، فهو لذا كان من الراغبين في تجديد الشعر ، وان جاء عمله تقليداً لنسابقين .

ونحن مانزال نقراً ماقاله القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ونرتاح اليه ، وهو قوله : وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط ! أو شاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط ، ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ، اما في لفظه ونظمه او ترتيبه وتقسيمه ، او معناه ، أو اعرابه . . ولولا ان أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ،

وأعتقد الناس فيهم انهم القدوة ، والاعلام والحجة ، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذله ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل مذهب ، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام (١) .

فاذا كان القاضى الجرجانى قال هذا القول ، فى أناس سبقوا غيرهم فى ميدان الشعر ، وكانوا فيه أهل الاختراع وآلافتراع ، فما بالك بمن يقلدهم ويحتذى حذوهم ، وكل امله ان يصل الى ماوصلوا اليه ؟ ، وذلك هو موقف ابن بليهد وامثاله من الشعراء . .

ثانيا : ولقد عثرت على نسخة للديوان صححها الشاعر نفسه ، . وكتب فى أول صفحة من الديوان ماأتى :
(كانت بين يدى عند طبع هذا الديوان نسختان مخطوطتان ، احدهما مصححة ، والثانية غير مصححة ، وقد قدمت النسختين سهوا الى المطبعة فبنوا على غير المصححة ظنا منهم أنها استنسخت بعد التصليح ولم أتبين ذلك الا بعد سنة من انتهاء الطبع ، فصحت هذه النسخة لتكون الاساس عند اعادة الطبع ، سنة ١٣٧٢ هـ) .
وقد اعتمدت النسخة التى صححها - رحمه الله - الا ماغلب على ظنى انه خطأ مطبعى .

— مقابلة بين قصائده المنشورة فى الديوان وغيره —

لقد وجدت بعضا من قصائد الديوان منشورة فى الصحف المحلية ، واخرى منشورة ضمن قصائد مختارة من شعر الشاعرين : ابراهيم عثيمين ، وابن بليهد ، فى المدح والرثاء ، فقابلتها بعد استنساخها بالديوان ، فوجدت شيئا من الاختلاف فى بعض الابيات : أما بحذف بيت أو أكثر ، أو ابدال كلمة بكلمة او نحو ذلك ، فاثبتتها فى هذا الجدول الاتى ، على ان اعقبها بدراسة أتلمس فيها أسباب هذا التغيير ومبعثه ، غير أنى لم التفت أيضا هنا الى ما غلب على ذهنى أنه خطأ مطبعى .

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - ص ٤٠ القاضى الجرجانى - مطبعة عيسى العلبى .

قصائد مختارة من شعر ابن عثيمين وابن بليهد

رقم البيت والصفحة	نص الايات بالديوان	نص الايات من قصائد مختارة	المصدر	تاريخ النشر	الصفحة والتاريخ
١	اني سارك اقصاها بلا سيب	اني سارك اقصاها بلا نصب	٢١١	١٢٤١	١١
٢	سارت من العارض النجى دولته	سارت من العارض النجى كنيته	٢١١	١٢٤١	١١
٣	حتى تقول مفيد في ديارهم	بالامر تلجج ابكارا واصالا	١٢	١٢	١٢
٤	سارت اليهم بنو الاسلام كلمهم	حتى تقول مفيد في ديارهم	٢١٢	٢١٢	٢١٢
٥	فلا نجا منهم الا قلائد لهم	سارت اليهم جنود الله مسرعة	١٦	١٦	١٦
٦	ما اصدر البيض من هام المداء ابدا	وقرب الله للباقيين اجالا	٢١٢	٢١٢	٢١٢
٧	ان الذي اترك الاعداء يتركه	الا وقد اخذت علا وانها لا	٢٥	٢٥	٢٥
٨	ويمسني من بني الاخير كل فتى	ولو تبتوا في شعلان (١) محلا لا	٣٠	٣٠	٣٠
٩	ويمسني كل ذاكى الاصل مفضلا	ويمسني كل ذاكى الاصل مفضلا	٣٤	٣٤	٣٤
١٠	ويجئني كل ذاكى الاصل مفضلا	٣٤	٣٤	٣٤
١١	وقل لهم عن لساني قول متبجح	يرى العديد قبيل الصبح اشكالا	٤١	٤١	٤١
١٢	وقل لهم عن لساني قول متبجح	ولا من في معصم من ام جانيه	٤٢	٤٢	٤٢
١٣	وقل لهم عن لساني قول متبجح	يفضي لديه يقر العين والبالا	٤٢	٤٢	٤٢
١٤	وقل لهم عن لساني قول متبجح	وقد راي فيهم للجيد اقبالا	٤٤	٤٤	٤٤

(١) وقد اورد تطبيقا في قصائد مختارة (شعلان جبل مسوف ، بالثنين المجسمة ، باقصى المرب ، وفيه قول الشاعر :
 يباتك من مقدوق الذن اهلل وياك من رضوى وشعلان اهلل) .

[illegible]

صحيفة أم القرى

ديوان ابن بلهيد

رقم البيت والصفحة البيت	نص الايات بصيغة (أم القرى)	تاريخ النشر ورقم العدد التاريخ والصفحة	رقم البيت والصفحة البيت	نص الايات بالديوان	م
٩	وقد ليست منه الليلي محاسنا	فصيا معياه البلاد وسلمنا ٥١	٩٥	ففي ليست منه الليلي محاسنا	٩
١٠	به همة قد قومت عزم رأيه	فصيا معياه البلاد وسلمنا ٥١	٩٥	فصيا معياه البلاد وسلمنا ٥١	١٠
١١	لما يصدق الخطي حتى يتوما ٢١	ولا يصدق الخطي حتى يتوما ٥١	٩٥	وفيهم يرأم المفو عن كل مجرم	١١
١٢	اتاهم في الهيما ليوث اذا كروا ٩١	واختم قولي بالصلاة مسلما	١٢
١٣	على المصطفى والال ماطلع الفجر	ثم الصلاة على الهادي وشيعته	١٣
١٤	١٤
١٥	١٥
١٦	١٦
١٧	١٧
١٨	١٨
١٩	١٩
٢٠	٢٠
٢١	٢١
٢٢	٢٢
٢٣	٢٣
٢٤	٢٤
٢٥	٢٥
٢٦	٢٦
٢٧	٢٧
٢٨	٢٨
٢٩	٢٩
٣٠	٣٠
٣١	٣١
٣٢	٣٢
٣٣	٣٣
٣٤	٣٤
٣٥	٣٥
٣٦	٣٦
٣٧	٣٧
٣٨	٣٨
٣٩	٣٩
٤٠	٤٠
٤١	٤١
٤٢	٤٢
٤٣	٤٣
٤٤	٤٤
٤٥	٤٥
٤٦	٤٦
٤٧	٤٧
٤٨	٤٨
٤٩	٤٩
٥٠	٥٠
٥١	٥١
٥٢	٥٢
٥٣	٥٣
٥٤	٥٤
٥٥	٥٥
٥٦	٥٦
٥٧	٥٧
٥٨	٥٨
٥٩	٥٩
٦٠	٦٠
٦١	٦١
٦٢	٦٢
٦٣	٦٣
٦٤	٦٤
٦٥	٦٥
٦٦	٦٦
٦٧	٦٧
٦٨	٦٨
٦٩	٦٩
٧٠	٧٠
٧١	٧١
٧٢	٧٢
٧٣	٧٣
٧٤	٧٤
٧٥	٧٥
٧٦	٧٦
٧٧	٧٧
٧٨	٧٨
٧٩	٧٩
٨٠	٨٠
٨١	٨١
٨٢	٨٢
٨٣	٨٣
٨٤	٨٤
٨٥	٨٥
٨٦	٨٦
٨٧	٨٧
٨٨	٨٨
٨٩	٨٩
٩٠	٩٠
٩١	٩١
٩٢	٩٢
٩٣	٩٣
٩٤	٩٤
٩٥	٩٥
٩٦	٩٦
٩٧	٩٧
٩٨	٩٨
٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠

صحيحة أم القرى

ديوان ابن بلهد

رقم العدد وتاريخه التاريخ	رقم العدد	نص الايات بصحيفة (أم القرى)	رقم البيت والصفحة البيت الصفحة	نص الايات بالديوان	م
١٣٥٢ سنة صفر	٤٤٢	١٥١ ٢٢	انظر ترى لها في أول الكلام	١٧ هذا اليقين الذي كنا نوقله
“ “ “	٤٤٣	١٥١ ٢٣	ثم الصلاة على الهادي وشيعته ماغزو الطير في الاجزاع من اضم	١٨ ياليتني معهم في كل مرحلة
الجمادى الثانية سنة ١٣٥٢	٥١٠	١٥٨ ٨	للحرب والسلم والاشمار والغضب	١٩ الا بطيع زكي الاصل والدمهم
“ “ “	“	١٥٩	الا بطيع زكي الاصل والدمهم يسمو الى النروة العليا من النسب
“ “ “	“
“ “ “	“
“ “ “	“
“ “ “	“
“ “ “	“
سنة ١٣٥٢	٥١٠	١٦٠ ٣٠	واقتر فخر الرضا عن مبسم عذب	٢١ نعم رايت سرورا عند مطلعهم

والآن وقد أثبتنا هذا الجدول ، لما وقع فيه تغيير بحذف ، أو زيادة أو تعديل نتناول هذه الابيات بشيء من الدراسة ، عسى أن نتبين من خلالها مايصح أن يسمى بحركة الابداع الفنى لدى الشاعر ، وقد آثرنا أن نصنفها على النحو التالى :

- ١ - زيادة بيت أو أكثر فى الديوان .
- ٢ - حذف بيت أو أكثر من الديوان .
- ٣ - التغيير فى كلمة أو أكثر .
- ٤ - التغيير فى حرف أو أكثر .

وقد يشتمل البيت على تغيير فى الكلمة والحرف ، وحينئذ يكون تابعا للتغيير فى كلمة أو أكثر .

زيادة بيت أو أكثر فى الديوان :

١ - فى القصيدة (أبسط يمينا) (١) التى مدح بها ولى العهد فى مناسبة توليته ، زاد فيها البيتين الاخيرين :

هذا الذى كنا نؤمله أنظر — — ترى لمحا فى أول الكلم
ثم الصلاة على الهادى وشيعته — — ماغرد الطير فى الاجزاع من أضمر

ولم يكن المعنى قبلهما مبتورا فيتممه ، لكن لعله أراد بذلك الايماء الى ماورد فى شعره سنة ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م ، وشعر ابن عثيمين سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢١م ، من اشارة الى ولاية العهد قبل عقدها (٢) ، ثم أردف البيت بالصلاة على النبى ، كما هى عادته فى جل شعره ، لاشيء بعد هذا تفيده هذه الزيادة ، بل انه لو سلم منها لسلم من هذا الضعف الذى تحسه فيها ، الى مايلجىء قارئه الى البحث عن هذه اللمح التى لم يحدد مكانها .

(١) ابتسامات الايام ص ١٥٠ .

(٢) ابتسامات الايام ص ١٤٨ البيت ٢٥ ، العقد الثمين - ابن عثيمين ص ١٧٧
البيت ٣٣ .

ب- وفى القصيدة (حط الرحال) (١) ، التى مدح بها ولى العهد
زاد بيتا بعد البيت التاسع :

يا ليتنى معهم فى كل مرحلة

للحرب والسلم والاشعار والخطب

وليس فيه فضل معنى ، سوى انه يتمنى لو كان مع المدوحين ، فى
كل موقف من مواقفهم * وقد يقال : انه أراد به التمهيد للانتقال من
صفات المدوحين ، التى أثبتها لهم فى الابيات السابقة ، الى الحديث
عن نياتهم فى البيت التاسع وهذا حسن *

ج- وفى القصيدة نفسها أقحم بين البيتين رقم (٢٩ ، ٣١) هذا البيت :
نعم رأيت سرورا عند مطلعـه

وافتر ثغر الرضا عن مبسم عذب

وأقول : أقحم : لانه يتحدث فى البيتين قبله وبعده عن ارتحال
ولى العهد الى نجد ، فيذكر فى هذا البيت أنه رأى السرور والابتهاج
بمقدمه ، وهو لم يوصله فى قصيدته الى الرياض بعد ، ثم ليس فيه
من جديد المعانى ما يدفع الشاعر الى الحرص على زيادته *

د- وفى رثائه للامير خالد بن محمد سنة (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) ،
زاد فى الديوان بعد البيت الرابع قوله :

كان انخفاض الناس عند سريره

من الحزن عبادا ببعض المساجد

ولا أرى سببا دعاه لهذا ، الا أن يكون حذفه من القصيدة ، عند نشرها
فى صحيفة (أم القرى) مراعاة للشعور الدينى ، الذى يرى مثل هذا
التشبيه غير لائق ، وان كان من الوجهة البلاغية حسنا *

(١) ابتسامات الايام ص ١٥٨ .

هـ - وفى القصيدة نفسها زاد فى الديوان ، الابيات : ٢٠، ١٨، ١٧ :
كان لم يجر الجحفل الضخم فى الدجا
خميسا كأمثال الجبال الرواكد
ولا ركب الخيل العتاق الى العدى
بسمر القنى والمزهفات الحدائد
تسمن من فرعى نزار كليهما
ذرا دوحه بين السها والفراقد

وليس فيها فضل زيادة فى المعنى ، ولم يستدعها مستدع فى الابيات قبلها وبعدها وانما هى تفريع وزيادات فى ذكر أخلاق المرثى وصفاته ونسبه ومكانته من ذلك النسب .

- حذف بيت أو أكثر فى الديوان :

(أ) وفى قصيدته التى مدح بها الامير فيصل ، ورد زيادة هذين البيتين ، فى القصائد المختارة من شعر ابن بليهد وابن عثيمين (١) :
ومن تقاصر خوفا من جريرته
يرى الحديد قبيل الصبح أشكالا
والامن فى معصم من أم جانبه
يضحى لديه يقر العين والبالا (٢)

فأما البيت الاول فان الصورة فيه رائعة ، ففيها اظهار لقوة الملك عبد العزيز وجيشه الذى يقوده ابنه فيصل ، لكن لعله حذفه لكيلا يقول عن جيش الملك عبد العزيز ، انه يتتبع الخائفين من جرائمهم البتى ارتكبوها فى حق الملك ، فيثبت بذلك انه انما يتتبع بجيشه من استمر فى مناصبته العداء ، وهذا سبب كاف لتعليل الحذف ، ثم هو دليل

(١) قصائد مختارة من ابن عثيمين وابن بليهد مطبعة (أم القرى) .
(٢) هكذا ورد فى القصائد المختارة .

على أن الشاعر كان يتعقب معانيها بالتعهد والنظر ، ليستبقى منها ما يراه ويستبعد ما ليس كذلك ، وأما حذف البيت الثانى فلعل علته هذا الخل فيه ، وان كان من السهل تقويمه كأن يقول :

وبات فى معصم من أم جانبه
يضحى بحال أقر العين والبـالا

بـ وفى قصائد خمس (١) فى الديوان حذف ختامها (٢) بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - ولو لم يكن قد أثبت ذلك فى جل قصائده ، لقلنا أنه أراد الاختصار ، أو التخلص من هذه السمة التى تلخص منها شعراء العصر لكن ابقاءه على الكثير من ذلك نفى هذا الاحتمال ، ولعل قلمه لم يطاوعه أن يصنع ذلك فى جميع شعره - والله أعلم .

جـ - وفى القصيدة التى ودع فيها الامير سعود بن عبد العزيز ، حين سافر الى مصر سنة (١٣٤٥ - ١٩٢٦ م) (٣) ، حذف مـع ختامها بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - بيتا قبله :

وفيهـم يرام العفو عن كل مجرم
أتاهـم ، وفى الهيجاليوث اذا كروا

وهو حذف مقبول اذا نظرنا الى البيت قبله ، المتضمن الدعاء لملك ال سعود بالبقاء مدى الدهر ، وهو دعاء يوحى بانتهاء القصيدة :

عسى ملكهم يبقى مقيما مخلدا . . وبالاعلى الاشقين مابقى الدهر
لكن اذا نظرنا الى البيت الذى قبل هذا وهو :

(١) ابتسامات الايام ص ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٢٩ ، وصحيفة أم القرى

العدد ٩٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر الجدول الثـانى الارقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ .

(٣) ابتسامات الايام ص ١٤٢ .

وان فرقوا من نسل عدنان عصابة ٠٠ فهذا نكال للوبال الذى جروا
وجدناه متطلبا للبيت المحذوف ، فلو أنه وضعه قبل الاخير، لكان ذلك
أجمل من حذفه ٠٠

د - وفى احدى قصائده التى مدح بها ولى العهد سعود (١) ، حذف
منها فى الديوان ثلاثة أبيات بين البيتين : ١٦ ، ١٧ ، والايات المحذوفة
هى :

هنيت من ملك سادت بنوه كما
سادت بنو مضر الحمراء فى العرب

اذا رأينا نجيبا منكم فلقد
نرى الشهامة فى أبنائه النجب

انا نهنيك باليوم الذى طلعت
عليك أوجههم فى أشرف الرتب

والواقع أن هذه الايات المتضمنة لتهنئة الملك عبد العزيز بينيه ،
نحس قلقها فى مكانها من النص المنشور فى أم القرى ، فالقصيدة فى
مدح ولى العهد ، والايات فى تهنئة الملك ، والبيتان المكتنفان للايات
المحذوفة ، الحديث فيها عن ابناء الملك وفعالهم فى الحرب ، وليس فيهما
خطاب للملك وان ذكر فى أولهما ، والبيتان هما :

الابطع زكى الاصل والدهم
سما الى الذروة العليا من النسب

آبوا بعز على حال يطيب بها
وجه الزمان لاهل الدين والادب

وعندى ان هذا الحذف يؤكد ماذكرته سلفا ، من أن الشاعر كان

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ ، صحيفة أم القرى العدد : ٥١٠ .

يتعهد قصيده بالتهذيب والتجويد ، وتلك سمة مدح بها عبيد الشعر
كصاحب الحوليات زهير بن أبى سلمى وراويته الخطيئة .

(التغير فى كلمة أو أكثر) :

وهذه جملة من الابيات نال التغير بعض كلماتها ، نورد فيها
البيت من الديوان والكلمة التى حصل فيها التغير ، الا اذا تناول
ذلك شطرا أو أكثر أعقبناه بمقابلة من المختارات أو صحيفة أم القرى .

أ- فى القصيدة التى مدح بها الامير فيصل (١) ، أبدل فى
البيت الاتى كلمة « نصب (ب) سبب » .

انى سادرك أقصاها بلا سبب
وأهمل العيس لا حلا وترحالا

وهذا الابدال غير حسن هنا ، لان المعالى لاتدرك بأى سبب كان
كما توحى به الكلمة المبدل بها ، وانما تنال بالتعب وبذل النفس
والنفيس ، وهذا ماتوحى به الكلمة المبدل منها ، فهذا ابدال كان أجمل
بالشاعر ألا يصير اليه . .

وقد يقال : ان الشاعر أراد أن يبالغ فى تسفيه رأى هذا المدعى
نيل المعالى ، وحينئذ يكون حسن الصنيع فى هذا التغير ، فلعل
شاعرنا أراد هذا . .

ب - وفى القصيدة نفسها ورد هذا البيت :

سارت من العارض النجدى دولته
بالامر تدلج أبكارا واصالا

وقد أبدلت فيه كلمة (دولته) من (كتيبته) ، فلعل الشاعر استقل
كلمة كتيبته فأبدلها وهو ابدال لاطائل تحته ، اذ ان المعنى المجازى

(١) ابتسامات الايام ص ٢١١ .

لدولته - وهو الجيش الذى تجهزه الدولة - يمكن ان يؤديه معنى كتيبه على نحو مجازى أيضا ، هو التعبير بالجزء عن الكل ، على أن تلافى الضرورة فى تخفيف الياء بكلمة (النجدى) مع كتيبته كاف لان يكون سببا للتغيير ، وحينئذ يكون ابن بليهد قد أحسن فى هذا .

ج - وفى القصيدة : نفسها أيضا ورد البيت الاتى :

حتى تقول مفيد فى ديارهم
كأن فى عرصات الارض زلزالا

وقد ابدلت فيه (عرصات «من» جنبات) والمعنى هو هو ، الا ان عرصات توحى بشيء من القوة فى الموسيقى اللفظية ، وهذا كاف لان يكون مدعاة لهذا الابدال ، كما يدل على ان الرجل كان دقيقا فى تخيره للكلمات .

د - وفى القصيدة نفسها ورد هذا البيت :

سارت اليهم بنو الاسلام كلهم
والعيس ترقل فى الفيفاء ارقالا

وقد أبدل فيه (بنو الاسلام كلهم «من» جنود الله مسرعة) ولم أجد معنى لهذا التبديل على الرغم مما توحى به كلمة جنود الله من قوة .
ه - وفى القصيدة نفسها فى البيت :

فلا نجا منهم الا قلائلهم
وقرب الله للباغين اجالا

أبدل كلمة (باغين « من » باقين) ولا معنى له الا ان يكون أراد العموم ، وهو مقصد لا بأس به . .

ج - وفى نفس القصيدة جاء البيت :

ان الذى أدرك الاعداء يدركه
ولو تبوأ فى نجران محلا لا

الابدال فيه فى كلمتين الاولى : ابدل فيها المضارع (يدركه) من اسم الفاعل ، والثانية : ابدل (نجران «من» شهلان) و (نجران) اسم مدينة فى جنوبى جزيرة العرب ، وشهلان جبل بأقصى المغرب ، وهذا تبديل لاطائل تحته ، الا ان يقال : ان الفعل يشعر بالتجديد والاستمرار ، وهذا كاف .

ز - وفى البيت :

ويصطفى من بنى الاخيار كل فتى
ويصطفى كل زاكى الاصل مفضالا

من نفس القصيدة ابدل (يصطفى « الثانية من » يجتبى) وهو ابدال غير حسن وان تماثل المعنى الا أنه يوجد التكرار لكلمة يصطفى .
ح - وفى البيت :

وقل لهم عن لسانى قول مبتجح
وقد رأى فيهم للجد اقبالا

من القصيدة نفسها ابدل (مبتجح «من » مبتهج) ، ولعله أراد ان صنيعهم أفضى به الى التفاخر والتبجح به ، وذلك مالا تقوم به كلمة مبتهج وان دلت على الفرح والسرور .

ط - وفى احدى قصائده فى مدح ولى العهد (١) ورد البيت :

وأصبحت غضة خضراء باسمه
وأصبحوا أهلها فى مربع خضر

وقد أبدلت فيه (مربع خضر «من » أرفع السور) وهذا التعديل يقتضيه المعنى ، لان الحديث قبله عن الغيث ونزوله وما يصنعه فى الارض من خير وبركة ، وهو مالا يقوم به البديل منه الا مع تأول ، ومالا تأول فيه أولى . .

(١) ابتسامات الايام ص ١٤٤ ، صحيفة أم القرى العدد ١٥٥

ى - وفى القصيدة نفسها ورد البيت :

لكننى فى ذرا قرم أقيم به
مهذب ماجد من سادة غرر

وقد أبدل فيه (قرم أقيم به) من (شهم الوذ به) وليس بين المعنيين تفاضل ، فهو ابدال لاقيمه له الا أن يقال ان مدلول كلمة (شهم) التى تعنى الاسراع للنجدة فى كل أمر ، أعم وأشمل من كلمة (قرم) التى تعنى الشجاعة والاستبسال ، حينئذ يكون التوفيق خان ابن بليهد فى هذا الابدال ، على ان فى كلمة قرم من القوة والايحاء ، وحلاوة الجرس مايكفى لان يكون مسوغا لهذا الابدال .

ك - وفى احدى مدائحه للملك عبد العزيز (١) ورد البيت :

سل الدار من ذى قار أو جنباته
به أصدروا سمر القنى وهى نهل

وقد أبدلت فيه كلمة (دار) من (واد) وهو ابدال حسن لما فيه من تلافى الضرورة ، التى تفرضها كلمة (وادى) ، ثم ما فى كلمة « دار » من جمال موسيقى لايتوفر فى كلمة (واد) فى مثل موقعها من البيت .

ل - وفى نفس القصيدة ورد البيت :

يفوه له بالحمد حاف وناعل
وساق اليه الشكر ماط ومرجل

وقد أبدل فيه كلمة (يفوه «من» أفاه) وهو ابدال حسن أيضا لما فى كلمة (أفاه) من خطأ أتى من زيادة الالف .

م - كما ورد فى القصيدة نفسها البيت :

أقام بساحات الامام كأنما
أشيد له بين السماكين منزل

(١) ابتسامات الايام ص ١٠٨ ، صحيفة أم القرى العدد ١١٠ .

وقد أبدل فيه (بساحات الامام) من (على الكريم فيهم) وهذا ابدال فرضه الوزن أولا ، اذ التفعيلة الثانية فيه مقبوضة ، ثم ان قوله (بساحات الامام) فيه من جلال التعبير مالا يتسنى في المبدل منه .

ن - وفي احدى مدائحه للملك عبد العزيز (١) ورد البيت :

وقد لبست منه الليالى محاسنا
فحيا محياه البلاد وسلمنا

أبدل كلمة (قد) من (فتى) ، وهذا ابدال ماكان يحسن ان يكون ، اذ ان كلمة (فتى) أجمل وأعذب من كلمة «قد» ، ثم انها أقدر على اعطاء المديح حقه ، لان معناها الرجل الذى اكتملت فيه الصفات الحميدة كالشجاعة والنجدة ونحو ذلك ، ومازالت تستخدم كذلك فى موطن الشاعر ، ولا يشفع له فى هذا الابدال استعمال المتأخرين لها فى الشاب الصغير ، فان ذلك وان كان مستخدما عند العرب كذلك ، الا أنه ورد فى اللغة مايدل على أن المقصود بها فى المرتبة الاولى الرجل الكامل الجزل من الرجال (٢) .

وفى البيت الذى بعده :

به همة قد قومت عزم رأيه
فما يصدق الخطى حتى يقوما

عدل من البيت :

غذى فى حروب قومت عزم رأيه
ولا يصدق الخطى حتى يقوما

(١) ابتسامات الايام ص ٩٥ ، ٩٦ ، صحيفة أم القرى العدد ٥١ .
(٢) قال ابن منظور فى لسان العرب ٢ : ٢ قال القتيبي : ليس الفتى بمعنى الشاب ، والحدث انما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر :

ان الفتى حمال كل ملمة ليس الفتى بمنعم الشبان

فأما الابدال الذى فى الشطر الاول فانه قد أضعف المعنى من وجهين : الاول انه استعمل (به) وكان الاولى ان يقول له ، والثانى : أن الهمة لاتبلغ فى تقويمها عزائم الرجال واكسابهم الصلابة مبلغ الحروب ، وأما التعديل فى الشطر الثانى فانه لم يأت بجديد ، ولم ينقص المعنى كما لم يزد .

س - وفى احدى مدائحه للامير فيصل ورد البيت :
ما تقصد العرب تأمينا لخائفهم
الا اذا يقصد الهندى والاسل

وقد أبدل فيه المضارع (يقصد) من الماضى (انقصد) (١) وليس فيه فضل معنى ، اللهم الا أن يقال أن المضارع يدل على الحال والمستقبل ، ولكنى أرتاح الى ان الماضى هنا أنسب لترتب الامن على الانقصاد وهذا ظاهر .

ع - وفى ختام هذه القصيدة أبدل (الهمل «من» الهطل) فى البيت :
ثم الصلاة على الهادى وشيعته . . وآله ما استهل المدجن الهمل
وهذا ابدال لم يأت بجديد ولانقصان . .

ف - وفى احدى مدائحه لولى العهد أبدل المضارع (يسمو) من ماضيه فى قوله :

الا بطبع زكى الاصل والدهم
يسمو الى الذروة العليا من النسب
وهو ابدال لاطائل تحته ، الا أن يقال ان المضارع يدل على الاستمرار .

ص - وفى احدى مدائحه للملك عبد العزيز ورد البيت :

(١) الفعلان : أنقصد ويقصد وردا بهذا المعنى فى اللسان ٤ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

تضىء له آراؤه وسيوفه

على كل يوم قائم الموت مظلم

وقد أبدل فيه كلمة (الموت) من (اللون) وهو ابدال حسن نقل الموصوف من الحسى الى المعنوى من ناحية ، ومن ناحية أخرى أظهر المعنى وأبرزه ، ولم يحوج فى الوصول اليه الى التأويل . .

ق- وفى القصيدة التى رثى فيها الامير خالد بن محمد ورد البيت :

كأن فؤادى موثق بضريحه

ولو أنه فى المهمة المتباعد

وقد أبدل فيه ، (انه فى المهمة «من» أننى فى المنزل) وهو ابدال مقبول لان القبر انما يكون فى المهمة ، ثم يتحدث عن تعلق فؤاده بضريحه ، فالاولى ان يكون الضمير له .

ر- وفى القصيدة نفسها ابدال كلمة (خالدا «من» عائش) ولم يختلف المعنى فيه ، الا ان خالدا أنسب من وجهين : الاول : دلالتها على طول البقاء ، والثانى : ما تتيحه مع (خالد) اسم المرثى من موسيقى لفظية وفرها هذا الجنس اللطيف .

التغير فى حرف أو أكثر :

وفى هذا نورد ما كان التغيير فيه فى الحروف ولم يقع الا فى بيتين :

أ- فى احدى قصائده فى مدح الامير فيصل (١) ورد البيت :

ما أصدر البيض من هام العدا أبدا

الا وقد أخذت علا وانها لا

وفيه تصحيح لخطأ كان فى الصحيفة ، وذلك هو زيادة واو الجماء بعد الفعل (أصدر) اذ يترتب على صيغة المبدل منه انكسار فى الشطر الأول .

(١) ابتسامات الايام ص ٢١٢ ، قصائد مختارة .

ب - وفى احدى قصائده فى مدح ولى العهد (١) أبداً (عن) من (من) فى البيت :

عن الحجاز الى نجد وساكنه
خاض المفازة بين الاكم والكتب

وحروف الجروان كان بعضها ينوب عن بغض ، الا أن (من) هنا
أنسب لوجود (الى) و (خاض) .

هذا هو ما عثرنا عليه من اختلاف بين الديوان وما نشر من شعر
صاحبه ، فى المختارات وصحيفة أم القرى أما فى الديوان ، فلقد قال :
ان خطأ وقع من المطبعة ، حيث اعتمدت نسخة غير مصححة قدمها لها
سُهو ، ولذا قام - رحمه الله - باصلاح تلك الاخطاء ، التى تناولت
شطرا أو كلمة أو حرفاً . .

ولما كان التفصيل فى ذكر تلك الاخطاء جميعها ، يفضى بنا الى
الاطالة والاسهاب فيما لاطائل تحته كبير ، فقد آثرنا تقديم نماذج
لها تكشف عن ذوق الشاعر وترشد الى مذهبه ، فى تجويد الشعر ،
وتهذيبه . .

ولما كانت الاصلاحات قد تناولت : الشطر ، والكلمة ، أو الكلمتين ،
والحرف ، فاننا سنقدم نماذج لهذا الاصلاح .

أولاً : مانال الاصلاح فيه شطرا :

أ - فى احدى مدائحه للملك عبد العزيز ورد البيت الاتى :

ان يرضها فغدا نشدد ركائبنا

ويحدها كل شهم للملاندب (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٦٠ ، صحيفة أم القرى العدد ٥٣٨

(٢) ابتسامات الايام ص ٩٣ .

وهو على هذا مشتعل على أقواء لذا أصلحه على النحو التالى :

ان يرضها فغدا نشدد ركائبنا
يحدو بها كل شهم فاتك حرب

ب - وفى مدحه الملك عبد العزيز أيضا ، ورد فى النسخة المطبوعة
هذا البيت :

وأما نجلكم هو لا موآرده

بين الكمة وبين البيض والسمر (١)

ولانكساره أبدل الشطر الأول منه هكذا :

وكم تجشم من هول موآرده
بين الكمة وبين البيض والسمر

ثانيا : مانال الاصلاح فيه كلمة أو أكثر :

أ - ورد هذا البيت على النحو التالى :

وطارت قلوب أهل العراق وزلزلت
دمشق ومنه الخوف تشكوه مأرب (٢)

ولكى يتخلص الشاعر من هذه الضرورة ، حذف كلمة (أهل) واعتاض
عنها بالباء الجاره ، فصار مطلع البيت هكذا :

وطارت قلوب بالعراق ..

.. البيت ..

ب - ومما يدلنا على احساس الشاعر بالكلمة ، وعمق دلالتها اذا
اتتلفت مع جاراتها هذا البيت ، الذى ورد فى المطبوع هكذا :

(١) ابتسامات الايام ص ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

والال والصحب ماناح الحمام على
دوح وماغنت القمرى على الطلل (١)

فقد احس الشاعر بقلق (غنت) فى موضعها ، اذ المناسب فى الطلل
النوح لا الغناء ، لهذا نقل (غنت) الى الشطر الاول حيث (الدوح) ،
وأبدل منها (ناحت) أى انه قدم وأخر فى الكلمتين ، ليحصل على
هذا الانسجام الذى وفره هذا التغيير فى مواضع الكلمات ، ثم التخلص
من الضرورة بإبدال على بفى ، فى الشطر الثانى .

ثالثا : ومما نال التغيير فيه حرفا هذا البيت :

أ - قوم اذا وثب الداعى له وثبت
من كل ناحية يأتونه لبدا (٢)

فلقد أبدل تاء التانيث بواو الجماعه ، لتصير الكلمة (وثبوا) وهذا
أسلم للمعنى وان كان الاول يصح على تقدير ان الفاعل (جموعهم)
ومالا تقدير فيه خير وأفضل . .

ب - ومنه هذا البيت :

والناكبون عن السمحا لقد رغبوا
فى شر منقلب عن خير منقلب (٣)

فلقد شعر الشاعر بالضرورة الناشئة ، من حذف الهمزة فى (السمحاء)
فأعاد الهمزة وحذف لام لقد . .

وعلى هذا النحو كان اصلاحه فى الكثير مما تضمنه الديوان .
وبالنظر الى ما أسلفناه من نماذج للتهذيب والتجويد ، نستطيع
أن نخرج من ذلك بنتيجتين :

-
- (١) ابتسامات الايام ص ٧٥ .
 - (٢) ابتسامات الايام ص ٤٥ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٩٠ .

الاولى : أن الرجل كان ينظم شعره كيفما اتفق ، ثم يعود اليه بالتهذيب والتشذيب ، فيحذف ويضيف ويبدل كلمة بأخرى أو حرفا بحرف أو نحو ذلك ، وهذا سبيل مألوف لدى الشعراء ، حتى الفحول الذين تعارفوا على تسميتهم عبید الشعر ، اذ كانوا يعكفون على تجويده ، باعادة النظر فى أبياته وكلماته ، حتى يصفر لهم منه ما يستصفون ، وقد يروق لبعضهم ان يسمى هذا العمل الصنعة ، ويعنون الاحكام والتجويد من خلال اطالة النظر واعادته فى الشعر *

والثانية : أن ابن بليهد كان حريصا على اختيار الكلمات المناسبة ، التى تستطيع القيام بما يقصده من معنى *

وليس شرطاً أن يأتى شعره جميعه على هذا النسق ، اذ قد يغلب غير الحسن الحسن ، على لسان الشاعر لملاسة أو أخرى ، وقد يستحسن الشاعر كلمة نراها غير حسنة ، ومصدر ذلك الذوق الخاص الذى قد تغلب عليه الظروف والملاسات او تؤثر فيه *

ومما يدل على أن صاحبنا كان اذا نظر فى الشعر ، تفحص كلماته وتلمس فيها سبل الصحة والجمال ، مارواه لى الشاعر الكبير احمد ابراهيم الغزاوى ، اذ قال بعد أن ذكر جملة من أبيات احدى قصائده كان اخرها قوله :

ان الخلود حفاظ والمنى هوس

عاش البواسل وليفن التنايل

وهذا الشطر هو الذى لاحظ عليه المرحوم الاستاذ الكبير والشاعر الفطن الشيخ محمد بن بليهد ..

وقال : ان التنايل فى اللغة هم : القصار ، وفاته أن كعب بن زهير قال فى لاميته (بانت سعاد) :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم

ضرب اذا عرد السود التنايل (١)

(١) فى رسالة منه الى ، وفى حديث بالهاتف *

وأقول : ولقد فات الغزاوى - مد الله فى عمره - أن قول ابن بليهد هو الصحيح ، بدليل أن أهل اللغة فسروا بيت كعب بن زهير - رضى الله عنه - الذى احتج به الغزاوى - بمثل قول ابن بليهد : ان التنابيل هم القصار (١) .

واذا كان هذا شاهداً على نظره فى شعر غيره ، فان ما أوردناه سلفاً شهود على نظره الطويل المتفحص فى شعره ، وتخير الكلمات الملائمة للحال (٢) .

ومن ذلك عنايته بالجرس الذى يحدثه تماثل الكلمات ، اذا جاءت فى الحشو ، أو وردت فيه مماثلة للمقافية كابداله «خالد» من «عائش» فى مرثيته للامير خالد بن محمد (٣) :

فوالله ما فى الدهر والعيش لذة
تمر وأبقى خالداً بعد خالد

وتردد الاصوات فى الكلام ، يحدث فى السمع طرباً ونشوة لما يحدثه من موسيقى لفظية محببة ، وذلك ما لا يدركه الا ذو حاسة فنية ، يدعم بها ثروته اللغوية وتمكنه من تبين خاصية كل لفظ وملاءمته لموضعه من الكلام (٤) .

(١) لسان العرب - ابن منظور ١٣ : ٨٤ ، ٨٥ يقول ابن منظور (تنبل - التنبال والتنبيل والتنباله . الرجل القصير وما استشهد به بيت كعب المذكور .

(٢) حدثنى ابن عمه عثمان : أن الامير فيصل بن عبد العزيز أقام يوماً حفلاً فى مكان قريب أريسه ناحيه الشمال ، فوصفه أحد الكتاب فى احدى الصحف وسمى المكان (المضيق) فكتب ابن بليهد رداً عليه كان أهم ماركز عليه فى هذا المقام اسم المكان ، فلقد قال مامعناه : أن تسميته بالمضيق لاتليق بالامير ، أى أنه لا يليق أن يكون الامير فى المضيق ، فهذه التسمية خطأ من وجهين أحدهما هذا ، والثانى ان المكان يعرف بعين الليمون ولقد بحثت عن هذا المقال فلم اعثر عليه مطبوعاً ، ولا مصنوعاً .

(٣) انظر فقرة (ر) من هذا الموضوع .
(٤) انظر فى هذا موسيقى الشعر ص ٤٣ - دكتور ابراهيم أنيس - طبعة الانجلو سنة ١٩٥٢ م .

وذلك كان شأن ابن بليهد فى أكثر شعره ، يتخير الكلمة الملائمة لموضعها المنسجمة مع جاراتها ، ليظفر من ذلك بعمل أدبى يرضى عنه .
الثانى : ملاحظات عروضية ولغوية :

أ - ملاحظات عروضية :

من المسلم به أن سلامة أوزان الشعر وقوافيه ، مرهونة بجريانه فى ما توارثه الشعراء من نظام للشعر سنه له الاقدمون ، ووضع نظامه وضبطه الخليل بن أحمد .

ولقد توارث العرب هذا النظام فتفننوا فى بحوثة ، متلمسين فى ذلك أسباب الحسن لالتزامها ، وأسباب القبح للابتعاد عنها .

ونحن هنا لاندرس عروضاً ، ولا نقدم دراسة عروضية تطبيقية لشعر شاعرنا لفصل القول فيه ، لكنها ملاحظات لفتت الانتباه عند قراءة شعر هذا الرجل ، لم نشأ أن نتركها .

فى دراستى لشعر ابن بليهد لفت انتباهى أمور أهمها :

- ١ - ان ابن بليهد لم يستخدم من حروف الروى الا ثلاثة عشر حرفاً .
الباء، التاء، الدال، الراء، العين، الفاء، القاف، الكاف، اللام .
الميم، النون، الهاء، الياء .

وأكثرها عنده : الراء ثم الميم ثم اللام ثم الباء ثم الدال ، فهو لم يستخدم من حروف الروى الا ما كان منها سهلاً ميسوراً كثير الاستعمال فلم نجد عنده الضاد والظاء والشين ونحوها من القوافى الصعبة .

وعندى ان هذا لا يعد عيباً ولا دليل ضعف لغوى ، وانما هو حسن اختيار لما له قابلية لدى القارئ والسامعين ، وبخاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار المواقف التى كان ينشد فيها جل شعره ، وان ذلك كان فى مجالس الملوك والامراء التى كان فيها من أقرب الندماء ، فحرى به - وهو الخبير بأساليب المنادمة - أن يتجافى من تلك الحروف التى تصك الاذان عند أول سماعها .

واستخدام الردف عنده قليل الا فى خمس عشرة قافية ، كما لم يرد التأسيس الا فى عشر قواف .

كما انه كثير الاستعمال لالف الاطلاق ، الناشئة من اشباع حرف الروى ، وهذا حسن لما فيه من مد النفس عند الانشاد ، ولما فيه من قضاء حاجة النفس فى التألم أو التشوق ، والحنين فى الرثاء والغزل، وما يلحق بهما كالنسيب فى مطالع القصائد .

خذ مثلاً قوله فى مدح الملك عبد العزيز :

تغير رسم الدار أصبح خاليا
فليس بها حى يجيب المناديا

٢ - وأكثر الابحر عنده حظوة : الطويل والبسيط ، فجعل شعره جاء عليهما .

أما مطالعه فكلها مصرعه ماعدا خمسة ، وقليل عنده ذلك فى غير المطالع ، وهذا أمر مألوف فى الشعر العربى قل من خالفه حتى لدى المحدثين .

٢ - ان كثيرا من الضرورات الشعرية ، قد وقعت له فى شعره وان اختلفت كثرة وقلة ، فأكثرها عنده تحريك الساكن ، وأكثر ما تكون فى القافية كقوله :

ألقي الزمان على الباغين كلـكـله

بالبين قبل نزول الرعب والذعر

سقامهم الحرب كأسا لا انقضاء له

من قهوة الموت لا من قهوة الخمر (١)

فقد حرّك عين « ذعر » فى الاول ، « خمر » فى الثانى .

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢٤ البيتين : ٧ ، ٨ .

ويليه من حيث الكثرة حذف الهمزة ولم تقع له الا فى الحشـو
كقوله :

ففى كل حال ان ألم ملممة
فانا على رب السما نتوكل (١)

فقد حذف همزة « سماء » *

ثم تسكين المتحرك وأكثر ما وقع له فى الحشو ، كقوله مسكنا لام
(يضرب) فى البيت :

الحمد لله حمدا لانفاد لله
هذا الامان الذى يضرب به المثل (٢)

ومنه فك الادغام وهو نادر ، كفكه ادغام « يضل » فى البيت :

أرى الناس فى بحر العمى قبل أحمد
أطاعوا لمن يغوى الانام ويضل (٣)

وأندر منه حذف الهمزة فى صدر الكلمة ، كحذفها من « أهل »

فى قوله :

والعبد عند هل الملقا وليس به
صبيحة النحر الا السرح والغار (٤)

ولم يقع له من الضرورات فى القافية سوى تحريك الساكن .
على أن هذه ضرورات وردت فى أشعار الاقدمين ، وقبلها الباحثون
ولم ينكروها بل لم يحظروها على الشعراء (٥) *

(١) ابتسامات الايام ص ٢٤ البيت : ٦١ .

(٢) ابتسامات الايام ص ١٦٩ البيت : ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١ البيت : ١١ .

(٤) المرجع السابق ص ٧٠ البيت : ٩ .

(٥) انظر من كتب الضرورات والعروض (مايجوز للشاعر فى الضرورة) - القزاز
القيروانى - الدار التونسية للنشر - وكتاب شرح تحفة الخليل - عبد الحميد
الراضى - مؤسسة الرسالة - بغداد سنة ١٩٥٤م وميزان الشاعر حسن جاد وخفاجى *

٤ - أما العيوب العروضية فانه لم يسلم من بعضها أيضا ، مثل
الاقواء (١) الذى وقع له فى أحد عشر موضعا منه قوله :

إذا تشعبت الانساب قيل له
انت الموطد فى عدنان منتزرا
وفى اليمامة بيت ضم جانبه
مجدا تقصر عن تفصيله الشعرا
وللامام محل فى أرومته
بمثل سيرته نستحسن السيرا

فقد عدل فى قافية البيت الثانى عن النصب ، الذى تقضيه قافية
القصيدة الى الرفع .

وكالتضمنين فى مثل قوله واصفا الخيل فى المعارك :

فلا لمست أكفاله أسل القنى
محرمه أعجازها وتحلل

على الطعن لبات السبايا لانها

يطبق أيديها من الدم مقتل (٢)

ب - ملاحظات لغوية :

لقد عاش ابن بليهد فى عصر سادت فيه الامية وقل فيه العلماء ، وكان
علماء عصره يكتفون من علوم العربية بما يعصم ألسنتهم من الزلل ، فى
قراءة كتاب الله وسنة رسوله ، ولذا كان كثير منهم يقفون فى دراسة

(١) سماه القيروانى الاكفاء ، وأمثله فى ذلك هى أمثلة الاقواء فى شعر النابغة
والواقع ان الاكفاء عند العروبيين هو اختلاف حرف الروى ، كأن يكون فى الاول
دال والثانية طاء أو نحوه ، ومثل هذا لم يقع لابن بليهد - اما الاقواء عند القيروانى
فهو (نقصان حرف من فاصلة البيت) ، وذلك خلاف ما عليه العروزيون .
- انظر ص ٥٥ ، ٥٦ من كتاب مايجوز للشاعر فى الضرورة - للقيروانى .

(٢) ابتسامات الايام ص ٢٢ .

النحو عند شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك ويكتفون به ، واذا خفى عليهم معنى لفظة لم يوضحها المفسرون ورجال الحديث ، رجعوا الى القاموس أو شرحه (تاج العروس) ، ولم يتعقبوا الشعراء المزامنين لهم فى ألفاظهم الا قليلا .

على أن القارئ لشعر ابن بليهد ، يلمس فيه عمق ثقافة الرجل اللغوية ، ذلك الذى من دلائله تضمن شعره لكثير من الالفاظ التى قل استعمالها عند المتأخرين ، مثل (نجد) جمع نجد فى قوله :

من المقيم بأمر الواحد الاحد
معالم العدل فى الاغوار والنجد (١)

ومثل (تلد) بمعنى (تليد) فى قوله :

أبقاهم الله فيما كان بينهم
من طارف الشرف المعمور والتلد (٢)

ومنه « جلائب » جمع جليبة بمعنى مجلوبة فى قوله :

ضعاف النهى تبا لمن قاد رأيهم
يعرضهم للموت مثل الجلائب (٣)

ومن ذلك « ثمال » بمعنى نبت فى قوله :

ربيع تعم الوافدين ثماله
وأرملة تجنى جناه وأرمل (٤)

ومثل « السنور » بمعنى السلاح فى قوله :

بلمومة فيها السنور والقننا
ونار على كبد الخبيثين تشعل (٥)

• (٢) المرجع السابق ص ٢٦٦

• (٤) المرجع السابق ص ٢٣

• (١) ابتسامات الايام ص ٢٦٣

• (٣) المرجع السابق ص ١٨

• (٥) ابتسامات الايام ص ٢٤

ومع هذا فقد وقع له من الهنات ما يحسب عليه ويعد ، كاستعماله
« قباء » بمعنى الفرس المحبوكة الظهر ولم أجدها بهذا فى اللسان :

على كل قباء اذا يفخروا بها
نماها من الانساب جد ومخول (١)

ومن ذلك « يفحم » فى البيت :

فيفحم فيها كل أدهم سابق
وأكمت سفاح وأصفر هيكـل (٢)

لقد أراد بذلك التعبير عن اتعاب الخيل واجهادها فى المعركة ، ولم
أجدها فى اللسان الا بمعنى لا يجيد الشعر أو بحة الصوت ، وعلى هذا
الاخير يمكن حمله وتصحيحه ، ولعل المعنى منقول من افحام المتكلم
على سبيل المجاز .

ومنه « يتهلـهـل » فى البيت :

فان خصال الخير فيهم ومنهم
وكل بهتان الندى يتهلـهـل (٣)

ولعله أراد بها صفاء الوجه واشراقه ، من قولهم الهلاهل الماء الكثير
انصافى (٤) ولو انه قال : يتهلل لاستقام المعنى والوزن ، اذ أن يتهلل
على غير التأويل السابق معناها رداءة النسج (٥) ، أو النظم فى الشعر .
قال النابغة :

أتاك بقول هلـهـل النسج كاذب
ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) انظر لسان العرب ١٤ : ٢٣١ .

(٥) انظر لسان العرب ١٤ : ٢٣٠ .

وربما كانت يتهلل ووقع خطأ مطبعى ، لكنه لم يصلحه فيما أصلح
من أخطاء ، والله أعلم •

ومنه كلمة « داب » بمعنى حية فى قوله :

فقوم منهاج الشريعة والهدى

ومات عن السلاك داب وعقرب (١)

ولم ترد فيما علمت علما أو وصفا خاصا لها ، وانما هى وصف لكل
داب على الارض أى سائر عليها • وقد يكون من قبيل المجاز
المرسل •

وهذا باب لم يسلم فيه الشعراء حتى الفحول •

(١) ابتسامات الايام ص ٤٣ •

الفصل الثالث

الشكل والمضمون والصورة الادبية والطبع والصنعة

١ - الشكل والمضمون في شعر ابن بليهد :

أ - جرى الكثير من الناقدين على أن الصورة والشكل واللفظ بمعنى واحد ، وان المضمون والمعنى والمحتوى بمعنى واحد ، فالصورة ومرادفاتها تعنى المادة ، والمضمون ومرادفاته روح تلك المادة ، والنص الادبي يتكون من هذين : الروح ، المادة .

ويرى البعض (١) أن الصورة تشمل المادة والروح ، أى ان الصورة هى ذلك البناء المتكامل المتكون من اللفظ والعبارات المركبة ، والمعنى الذى دلت عليه هذه الالفاظ والعبارات وفى الصورة يتمثل الجمال أو القبح ، وعن طريق التماثل والتجانس والتوافق بين اللغة مفردا وتركيبا والمعنى تتكون الصورة الادبية أى ذلك الجمال الناشئ من تألف الروح والمادة وتناسبهما .

وننظر فى شعر ابن بليهد ، فنجد عنده عناية حسنة باللفظ ، ولكننا نراه يعنى بالمعنى أكثر ، بدليل ركوبه لكثير من الضرورات - كما أشرنا اليه سلفا - وجنوحه لما قرب فهمه ، وكثر استعماله من الكلمات غالبا .

وقبل أن ندخل ميدان التمثيل فى شعره نود أن نلم فى اقتضاب

(١) انظر قضايا النقد الأدبي الحديث -دكتور محمد السعودى فرهود - ص ١١٩
مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

بعض آراء وأقوال السابقين وبعض اللاحقين فى هذا الموضوع ، وبخاصة ان آراء المتأخرين مال أكثرها الى القول بتقسيم الاقدمين الى قسمين ، وسموا الاول : بالميل الى جانب اللفظ ، ووصفوا الثانى : بالميل الى جانب المعنى ، وقليل منهم من توسط فى ذلك ، فخرج أقوال الاقدمين على ما تحتمله نصوصها وواقع القائلين بها الدالة عليه أعمالهم .

وضع العرب الاقدمون ألفاظهم لتدل على مدلولاتها ، وتقلب الزمان وطال الامد ، وتنقلت الكلمات من مدلول الى مدلول ، فكثرت مدلولات الكلمات وتعددت معانيها .

والبحث فى اللفظ المفرد : انما هو شأن علماء اللغة ، أما علماء الادب والنقد والبلاغة ، فان الذى يعنيه هو دلالة اللفظ ومعناه حين تركبه مع غيره .

لقد تناول هذا الموضوع كثير من الباحثين العرب الاولين ، فتكلموا فى قضية اللفظ والمعنى ، ودعوا الى العناية بهما ، بل قالوا : ان لكل معنى ألفاظه الملائمة له (ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعانى نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف ، والخفيف لنخفيف ، والجزل للجزل) (١) .

اذن فالفرق انما يبدو واضحا فى اختيار الكلام ووضعه الموضوع المناسب ، لان المعانى ميسورة التناول قريبة المأخذ ، تخطر بذهن العربى والاعجمى والمتعلم والامى ، وانما الشأن فى كيفية ابراز تلك المعانى فى صورة جذابة مشوقة ، من خلال ما توضع فيه من معارض الكلام (٢) .

ان المعنى يقوم فى النفس يدركه هذا وذاك ، ولكنهم يختلفون فى

(١) الحيوان - الجاحظ ٣ : ٤٠ طبعة ساسى .

(٢) انظر المرجع السابق نفس الصفحة ، ٦ : ٣ ، البيان والتبيين ١ : ١١ ، ١٢ ،

القدرة على إبرازه وانما يأتي هذا الاختلاف نتيجة التفاوت . فى القدرة على تخير الكلام ، وتقليب أوجه العبارات ، وأسلوب النظم والتأليف والمهارة فى اختيار الكلمات الملائمة للمعنى الذى قصده الشاعر إبرازه ، ثم سلكها فى نظام مؤتلف لاتنافر فيه ولا تعقيد ولا اسفاف .

ويقسم ابن قتيبة الكلام الى أربعة أضرب (١) ، ويمثل لكل ضرب من هذه الأضرب بما لاءم ذوقه من الشعر .

واختلفنا مع ابن قتيبة على قبول أمثلته أو رفضها أو بعضها ، يحمل دليل صدق قول الجاحظ .

وبصرف النظر عن مدى صدق هذه الأضرب وانطباقها أو عدمه على أنواع الكلام ، فإن مقتضاها أن لكل معنى لفظه المناسب له ، وذلك ما قال به نقاد العرب جميعهم .

يقول ابن رشيق :

(اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباطه بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته) (٢) . فابن رشيق أعطى عبارة أوضح فى الربط بين اللفظ والمعنى وتلازمهما ، وذلك ما عناه الجاحظ وان دل عليه بعبارة مغايرة لعبارة ابن رشيق .

وقد جمع ابن طباطبا ، بين عبارتى : الجاحظ وابن رشيق فيما يشبه أن يكون نصا لهما (٣) ، وما زاد الا أن فصل قول الجاحظ بما هو قبس من قول ابن قتيبة ، الذى جعل لكل معنى من المعانى لفظا يلائمه ويجرى مجراه قوة أو ضعفا أو جمالا أو قبحا وهلم جرا .

(١) أنظر الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار المعارف من ص ٦٤ - ٦٩ .

(٢) العمدة - ابن رشيق ١ : ١٢٤ .

(٣) أنظر عيار الشعر - ابن طباطبا ٥ : ١٢٠ ، المكتبة التجارية سنة ١٩٥٦ م .

(وهذه الفكرة سبق بها الجاحظ ، وزادها ابن طباطبا تفصيلا ، فأوضح أن ليس كل معرض تلبسه الجارية يزيدها حسنا ، أى ان هناك من المعانى معنى حسنا يشينه معرضه (المعنى الجيد واللفظ الردىء عند ابن قتيبة) وهناك اللفظ الحسن يلبسه المعنى القبيح (اللفظ الجيد والمعنى الردىء عند ابن قتيبة (١) .

وينحو الامدى نحو الجاحظ ، فى أن المعانى مطروحة فى الطريق ميسرة لكل انسان فى أى أمة ، وانما العبرة فى الباسها الالفاظ الملائمة لها ، كما ينحو منحى ابن قتيبة فى أن لكل معنى من المعانى لفظا يلائمه ويجرى مجراه ، وسبيل الشاعر فى انتقاء الالفاظ وتخير العبارات ، غير سبيل الفيلسوف والحكيم وغيرهما من الشعراء (٢) .

وهذا قد أوماً اليه الجاحظ فى أحد أقواله ، وهو ان الشأن فى اقامة الوزن ، وصحة الطبع وتمييز اللفظ ، وسهولته وجودة السبك .

وعلى نحو من ذلك ذهب المرزوقى فى مقدمة شرح الحماسة (٣) فأنت ترى أن عبد القاهر والمرزوقى وابن طباطبا وابن رشيق كلهم تعاوروا معنى قول الجاحظ : (فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض ، وصارت المعانى كالجوارى) (٤) .

ولايمكن أن يتصور عاقل بأى حال من الاحوال ، أن يعنى نقاد العرب فى أقوالهم « اللفظ المنفرد » والا كان بحثهم حينئذ منصبا على مادة اللغة ، حال كونها ألفاظا مفردة مجردة من علاقاتها بما قبلها وما بعدها فذلك انما هو شأن المعاجم اللغوية .

(١) قضايا النقد الادبى - د . محمد السعدى فرهود ص ٣١ مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

(٢) أنظر الموازنة بين الطائيين أبى تمام والبحترى . مطبعة محمد على صبيح بمصر .

(٣) أنظر شرح المقدمة الادبية لشرح المرزوقى على ديوان الحماسة لآبى تمام - محمد الطاهر عاشور - نشر وتوزيع دار الكتب تونس ص ٤١ . مطابع دار الكشف بيروت ١٩٥٨ م .

(٤) البيان والتبيين ١ : ١١ الجاحظ طبعه السندوبى .

واذا كان الامام عبد القاهر قد صرح بهذا فى كتابه « دلائل الاعجاز » (١) فانه أمر مفهوم فى أقوال الذين سبقوه ، ومقصود لديهم صرحوا به أو دلت عليه عباراتهم وتفسيراتهم .

والذين يدفعون عن الجاحظ وأمثاله العناية بالمعنى ، ويتهمونهم بتقديم اللفظ عليه ، لا يملكون الا أن يعترفوا أمام نصوص الجاحظ بما فيها من عناية فائقة بالمعنى ، وتقديمه وتوفيره لها كل ما يمكن من جدة وبراعة حتى تكون الالفاظ تبعا للمعاني .

وممن ذهبوا هذا المذهب فى أدب الجاحظ الدكتور شوقي ضيف ، الذى نفى عن الجاحظ العناية بالمعنى (٢) ، ولكنه يعود ليثبت للجاحظ العناية به (٣) .

فكيف يعنى الجاحظ باللفظ ويسقط المعنى فى نقده ، ثم يأتى فى أدبه فيرفع من أمر المعنى ، حتى يجعل اللفظ تبعا له ، أفليس فى هذا تناقض ؟

والنقاد العرب لم يخطر ببالهم أبدا ، أن يقول القائل كلاما لم يرتبط فيه اللفظ بالمعنى عند قوله ، كما لم يعنوا اطلاقا بالكلام المخالف لاصول النحو وقواعده عند حديثهم عن اللفظ ، اذ جريان اللفظ على ما تقتضيه قواعد اللغة وضوابطها وأصولها أمر عندهم بدهى ، بمعنى أنه لا يتصور قبول نص لم يلتزم الاصول النحوية فى نظمه ، وانما الفضل يأتى من تباين القدرات فى فهم أسرار اللغة ودقائق معانيها ، ثم القدرة على حسن التأليف .

ب - ولقد عنى ابن بليهد فى شعره بالشكل والمضمون عناية طيبة ساعده فيها كثرة محفوظه من الشعر القديم ودراسته له وللاماكن

(١) دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني ص ٣٦ مطبعة المنار .

(٢) أنظر النقد الادبى - د . شوقي ضيف ص ١٦١ دار المعارف بمصر . طبعة ثانية ١٩٦٦

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة

الواردة فيه خاصة ، ثم اتساع دائرة مدركاته عن طريق الرحلات والتطواف المتواصل في جزيرة العرب ، ثم سفره الى مصر في آخر حياته ، ألا أنه لم يكن في عنايته بالشكل والمضمون على وتيرة واحدة بل كان آخر شعره يختلف اختلافا كبيرا عن أوله ، وهذا ماسنشير اليه مستقبلا في حديثنا عن تدرج شعره في القوة (١) .

ومن هنا صار لزاما علينا - ونحن ندرس الشكل والمضمون عنده - أن نعرض من النصوص مايمثل ذلك .

١- في عام (١٣٣٧هـ - ١٩١٨م) نظم ابن بليهد أولى قصائده الفصيحة ، واتبعها أخرى في العام نفسه وفي الغرض نفسه ، وهو انتصار جيش الملك عبد العزيز في موقعه تربة .

وفي هاتين القصيدتين ، تظهر لنا عناية ابن بليهد ، بالشكل في الاولى والمضمون في الثانية :

أ - لناخذ أولا مطلع الاولى :

تغير رسم الدار ، أصبح خاليا
فليس بها حى يجيب المناديا
عفا رسمها من وابل المزن رائح
واخر معهاد من المزن غاديا
فلم يبق الا موقد النار حوله
رواكذ أمثال الحمام بواقيا
أسائلها عن أهلها أين يمموا
وهل يسألن من لايجيب سؤاليا

(١) أنظر الفصل الاخير من هذا الباب

منازل حى طالما حل سوحها
أوانس أتراب حسان غوانيا
تداولها ذارى الرياح وأقفرت
على طول مرات السنين الخواليا
خليلى عوجا يسلو القلب ساعة
بتنكار من يهوى اذا كان نائيا (١)

لقد ترسم ابن بليهد خطأ السابقين فى هذا المطلع ، وعنى عناية
فائقة فى تخير الالفاظ ، وحاول أن يعطى شكلا مقبولا ، وصورة
مرضية لديار الأحبة وأطلالها ، بعد ما تتابعت عليها الامطار والرياح ،
وتعاقبتها السيول فانمحت معالمها ، الا بقايا من حجارة كحمام وقع ،
وقف أمامها يسأل عن أهلها أين يمموا ، ؟ لكن الاطلال والدمـن
لاستطيع الجواب !

وهى معان كلها مطروقة فى مطالع الشعر العربى ، لم يأت فيها
بجديد بل لم يستطع فيها أن يلحق بمعانى السابقين الى ما لحق
بعضها من خطأ ، كالاقواء فى الخامس والسادس مثلا ، فأين هو فى
الصورة والمضمون من قول ذى الرمة ؟

وقفت على ربع لميه ناقتى
فمازلت أبكى حوله وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه
تكلمنى أحجاره وملاعبه

على أننا نظلم ابن بليهد ، اذا نحن قلنا انه حاكى فى هذا البكاء
شعر السابقين فى لفظه ومعناه ، اذ انه يعيش فى تلك الايام عيشة
تشبه ماكان عليه الاقدمون ، فوسيلته فى أسفاره الابل ، ومنازله فى

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ .

اغلب أيامه بيوت الشعر أو الكهوف ، فصور منازل الحى تقع عليها
عينه فى كل آن جل وقته كان فى أحضان الصحراء ، وعلى هام الربا
وذرا الجبال ، متنقلا بتجارته بين القرى ومضارب البادية ..

ثم ان هذا الشكل فى مطالع القصيد كان شائعا فى الشعر العامى ،
الذى أولع به ابن بليهد منذ صغره وبرز فيه وجارى فحوله ، وهو فى
الثانية عشرة من عمره ..

وننظر البيت الخامس ، فنجد يصف من يتشوق اليها ويبكى ، ولكنه
لا يفردھا بل يشرك معها بنات الحى فيكرر الصفات ، ولكنها صفات لا يغنى
بعضها عن بعض ، فكل لفظ منها له دلالة كما ان له جرسه وموسيقاه ،
فالاولان هـى : جمع مؤنسة ، والاتراب : أى الامثال ، والحسان :
الجماليات ، والفوانى : التى غنيت بحسنها ، فكل لفظ له معناه وله
جرسه وموسيقاه ، لا يغنى فى مكانه عنه سواه ، عند ارادة اعطاء
الصورة التى ارادها الشاعر لحبيته :

ب- وفى مطلع القصيدة الثانية ، يتنكب النسيب ، ويأخذ فى غرضه
مباشرة ، فيقول :

بسمر القنى والمرهفات القواضب
تنال العلا والعز أعلى المراتب

تنال العلا والعز أرفع رتبة
بكمت (١) عتاق (٢) ضامرات سلاهب (٣)

من العارض السامى تقاد الى العدا
خلاف القلاص (٤) اليعملات (٥) النجائب

-
- (١) الكمت : أى التى لونها بين السواد والحمرة .
(٢) عتاق : أى السوابق . (٣) سلاهب : أى الطوال .
(٤) القلاص : أى الناقة الطويلة القوائم
(٥) اليعملات : أى الابل النجيبة المطبوعة على العمل ، وقيل السريعة ، وقيل توصف
بها الناقة ، وقيل بل هى للناقة والجمل .

بأمر امام كلما أم وجهة
يؤمنونه الانصار من كل جانب

يؤمنونه الانصار من كل هجرة (١)
كتائب قوم الحقت بكتائب

فطور بشرقى البلاد وتارة
يفاجى بها حيا من أهل المغارب (٢)

خذ هذا المطلع وقسه بالمطلع السالف ، ثم انظر أيهما أشد أسرا ،
وأقوى حبكا وأمتن أسلوبا ، وأقوى تعبيرا ، وواضح صورا ، وأقرب
معنى ، وأقدر على وضع المعنى بين يديك ماثلا مشرقا ، لم يكسره
التكلف ولم يحجبه التصنع ، ولم يثقله التكرار .

ويقيني أنك ستقدم الاول عن الثانى ، لما تراه فى الثانى من اثار
التصنع وسمات التكلف ومخالفة الطبع ، على الرغم مما فيه من شرف
المعنى وسموه واتساع ميدان الكلام فيه ، تعاقب الشعراء على معاينة
والتصاقه ببيئة الشاعر وعصره ، ومع هذا لم يشفع له ذلك كله لدى
الشاعر ، أو قل لم يقو الشاعر على أن يبلغ فيه الهدف أو يقاربه .

نقول هذا وفى نفوسنا شىء من أخذ الشاعر بذلك لسببين :
أولهما : أنها ثانية قصائده ، وثانيهما : انه تحرر فيها من القليد
والمحاكاة ، فحسبه ما وصل اليه . .

صحيح أن المعنى كما قلنا مطروق فى صور مختلفة ، لكنه عنده
شريف لم يقصر به ، فهو يغرى الملك عبد العزيز بالاستمرار فى

(١) الهجرة : أطلق هذا الاسم على القرى التى أقيمت لتحضير البادية ، وسميت
كذلك لأنهم هجروا حياة البدو فيها إلى حياة حضرية .
(٢) ابتسامات الايام ص ١٨ .

الحروب طلبا للمجد والمنزلة السامية التي لا يبلغها الا السيوف القواطع والرماح السمر ، والخيول الكمت العتاق ، والابل النجائب ، والرجال الذين يأتون من كل وجهة مناصرين ومؤيدين ومؤازرين ، فيضرب بهم فى فجاج الأرض ، فمن غزوة فى الشرق الى أخرى فى الغرب وهكذا ..

ولم يكن اللفظ فى جملته بالهزيل ولا بالضعيف ، وانما الضعف هنا فى تأليف الكلام ، ومن خلال ما وقع فيه من تكرار ، فقد كرر (تنال العلا والعز) فى البيتين الاولين ، كما ان فى «رتبة» فى البيت الثانى اعادة لمفرد الجمع مراتب - الوارد فى البيت الاول وكذا - (يؤمونه الأنصار) فقد كررها فى بيتين متجاورين هما « ٤ ، ٥ » الى ما فيهما من ضعف مصدره الحاق الفعل ضمير الفاعل المذكور بعده (١) أما تكرار كلمة «كتائب» فى الشطر الثانى من البيت الخامس - فانه مقبول ، ومن ضعيف الالفاظ عنده كلمة (خلاف) التى راد بها معنى غير أو الى جانب .

وخلاصة القول فى هذا :

أن النص الاول جاء مقبولا فى لفظه وشكله ، لما فيه من صنعة توخى فيها الشاعر مثالا من المطالع العربية القديمة فاحتذاه ، وجاء شكل الثانى ولفظه أقل لما فيه من ضعف وتكلف وتكرار ..

أما المعنى فمألوف فى الأول لاقوة فيه ولا ابتكار ، بينما هو فى الثانى فخم قوى رحب جمع الشاعر شمله وان ناعت به كلماته ..

(١) وهذه لغية ضعيفة عرفت عند النحاة بلغة (أكلونى البراغيث) وهى شائعة فى لسان عامة أهل نجد ، وجرت بها كثيرا أقلام طلائع المؤلفين : مثل الشيخ ابراهيم بن عيسى ، وحسين بن غنام ، ومحمد بن عمر الفاخرى .

٢ - وهذه قطعة من قصيدة تبلغ واحدا وخمسين بيتا ، نظمها في عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) ردا على قصيدة هجا فيها أحد الشعراء الملك عبد العزيز ، وتبلغ ثمانية وعشرين بيتا (١) .

يقول ابن بليهد :

ما أصبتم وما لديكم صواب
بعد مانص في البريد (٢) كتاب
وانتبهنا لقولكم حين قلتم
حدثيهم عن بأسنا يا حراب
ان هرتم على الحروب فانا
كلما طالت الحروب شباب
ان أردنا أتت اليكم سراعا
من بنى الحرب اذ يعاف الضراب
وملانا الثغور جيشا وخيلا
ضامرات كأنهن الذئاب
لم يصيحوا بساحة الحى الا
أن تداعوا الى الضلال ، وخابوا (٣)
علم الله أن فيكم رجالا
ان دعاهم سفيه قوم أجاوا

(١) نشرت بريد الحجاز العدد ٢٤ السنة الأولى سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .
(٢) بريد - صحيفة كانت تصدر في جدة سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .
(٣) الضمير فى الشطر الاول راجع الى جيش الشريف ، ففيه ضعف تأليف .

ماتقولون فى ملك اذا ما
مد أيد الى التناور (١) قاب
ذاك عبد العزيز ان ذكر المجد
أو على الخيل فى الجلاء ضباب (٢)
كان هو مقدم القبائل طرا
حين تحدى بأبطحيها الركاب
ان غضبتكم فان قبلكم قوم
من بنى الحرب فى الحروب غضاب
أصبحت منهم الديار خلاء
بعد ماصاح بالشتات غراب
هكذا المعتدى يعاقبه الله
جهرة حين لا يخاف العقاب
ان غمزنا قناة قوم كسرنا
جانبيها وكان فيه اضطراب
ان ظنتم بأن سلككم (٣) اليوم
عن رضى الحرب والمنون حجاب

(١) التناور : لعله أراد التقارُع والتطاعن فى ميدان الحرب ، ولم يرد فى اللسان بهذا المعنى ، فلعله من نارت المرأة اذا نفرت من العيب (اللسان ٧ : ١٠٤ ، ١٠٥) أو من النائرة بمعنى العداوة (اللسان ٧ : ١٠٧) فلعله أراد ما قد تخلفه العداوة من صراع ، فان كان الأول فالمعنى انه نفور من العيب ، وان كان من الثانى فالمعنى انه أقدر الناس على العدو والله أعلم .

(٢) الضباب : ندى كالغيم ، وقيل كالغبار وهو معروف .

(٣) السلك : شبك من الحديد المشوك أحيطت به مدينة جده أيام حصارها .

فارقبوها من الكثيب سراعا طالعات كأنهن هضاب (١)

أ - تمضى القصيدة على هذا النسق من التماسك والترابط ، كل بيت فيها يستدعيه ما قبله ، ويتطلب هو ما بعده ، قد أخذ بعضها بحجز بعض ، وهو نوع من حسن التأليف وجودة النظام نلمسه في كثير من قصائده ، وبخاصة تلك التي انفعل الشاعر بموضوعها (٢) .

نعود الى أبيات هذه القصيدة ، فنجد ان البيت الثانى جاء فى صيغة الاخبار بالعلم بتلك القصيدة ، التى تضمنتها الجريدة - يريد الحجاز - ويأتى البيت الثالث أشبه برد على ما تضمنته الشطرة المضمنة فى سابقه من تهديد .

وهكذا تسير أبيات القصيدة متماسكة متآلفة ، أتقن الشاعر فيها ربط الالبيات بعضها ببعض . .

ب - والالفاظ فيها فخمة جزلة منتقاة ، فيها معانى القوة والعظمة والصلابة ، الاترى الى الكلمات الاتية :

حروب ، والضراب ، والجيش ، والخييل ، والذئاب ، ويصبحوا ،
ثم خذ هذه الكلمات فى الحديث عن الاعداء : السفية ، والشتات ،
والغراب ، والعقاب ، والاعداء ، والاضطراب . .

(١) ابتسامات الأيام ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٢) قصيدته التى نظمها وهو فى سجن المدينة المنورة سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م ،
وكالقصيدة التى نظمها فى عام ١٣٥٠ هـ . حين أقيل من العمل ورحل من
الحجاز الى نجد ، وكالقصيدة التى رثى فيها الملك عبد العزيز سنة ١٣٧٣ هـ
١٩٥٣ م ونظائره فى شعره كثير .

وهكذا كلمات القصيدة كلها قوية التعبير ، قد استقرت كل كلمة فيها فى موضعها كأنما لا يغنى سواها عنها . .

ج - وننظر فى تأليف الكلمات وتجاورها وأسلوب مؤاخذاتها ، وكيفية التأليف بين الجمل والربط بينها وما استدعاه ذلك من حروف متخيرة وافعال مناسبة ، جاءت على صورة من التناسق والائتلاف لاتتأتى الا للفحول ، لكنه مع ذلك وقعت له بعض الهنات ، كالذى نشاهده فى البيت الاول من هزال ، حتى جعل عبارة البيت وكأنما هى من كلام عامة الناس وبسطائهم ، ثم ماوقع له فى البيت السادس من ضعف جره حذف مرجع الضمير فى الشطر الثانى .

د - أما المعانى فناهيك بما فيها من جلال وعظمة ، لولا ما اعترى البيتين الاولين من ضعف تأزر فيه ضعف المعنى والاسلوب ، وهزال الالفاظ وبخاسة فى الاول .

أما ماعدا هذين ، فمعان متخيرة شريفه صادقة عمد فيها الشاعر الى ابراز قوة جيش الملك عبد العزيز ، وأثنى على الجيش وقائه الملك بكل حسن من المعانى ، وعمد الى اضدادها فألصقها بالاعداء وقادتهم . .

على أن محور الابيات المتبقية من القصيدة ، وقدرها خمسة وثلاثون بيتا ، هو البيت الحرام ، وما يتطلبه وضعه الاسلامى العالمى من أمن ورخاء واستقرار ، وذلك اشرف المعانى وأسمائها وأعلاها وأحظاها فى النفوس منزلة .

ه - والصورة الادبية فى هذه القصيدة ، تأتى وقد نظمت صور البيان فيها نظما جيدا ، انظر الى الحروب كيف تهرم لدى أناس وتبعث الشباب فى الآخرين و (بنى الحرب) كيف جعل الابطال ذرية للحرب

يأتونها حين يعاف الضراب ، ثم انظر الى ذلك الجيش من ابل و خيل
وقد صورت فى صورة الذئب التى ملأت الثغر، وهذه أى الثغور-لا يحل
محلها كلمة أخرى ، لان المعركة كانت فى جدة وهى ثغر البحر الاحمر .

أما البيت السادس ، فلولا مافيه من ضعف فى التأليف لكان غاية
الروعة والجمال ، الشطر الاول منه يصور لك جيش الملك عبد العزيز
وقد علا تنادى المقاتلين فيه ، حتى أشبه الصياح من شدة الاندفاع الى
الميدان بشجاعة وعزيمة . .

أما الشطر الثانى فيصور لك جيش أعدائهم وقد تنادوا الى
الضلال ، فخاب مسعاهم وباءوا بالخسران، صورتان متقابلتان ما نقص
من جمالهما ، الا هذا الضعف بسبب حذف مرجع الضمير فى الشطر
الثانى .

ثم انظر الى استعارة الضباب للنقع ، كيف جاء أجمل من تشبيهه
النقع بالليل عند بشار(١) ولولا ما أدخله بشارفى تشبيهه، من جزئيات
جعلت الصورة تتألف من الليل والنجوم والنقع والسيوف ، لولا ذلك
لكانت استعارة ابن بليهد أجمل .

وان شئت مزيدا فدونك هذه الصورة ، التى شبه الشاعر فيها دولة
العدو بالقناة ، وجيش ممدوحه بغامز تلك القناة ، ثم أضاف (كسرنا
جانبيها) فزاد الصورة جمالا وجلالا .

أما الصورة فى البيت السادس عشر ، فقد يظن ان الشاعر فيها خالف
الصواب لأن الخيل فى الحرب لا تشبه بالهضاب، اذأن ذلك يدل على سمنها

(١) اشارة الى قوله :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه

واكتنازها بالشحم وهذا يعوقها ، وانما تشبه في الحرب بالذئب كما شبهها هو في صدر القصيدة في البيت الخامس ، لانها تضر لتكون أجرى وأسرع وأخف في الكر والفر ، لكن الشاعر ابعاد هذا ، وانما أراد ان الخيل قد انقسمت الى مجموعات كل مجموعة في كثرتها كأنها هضبة . والله أعلم .

على أن الخيل المدربة في الحروب غالبا لا يعوقها اكتناز جسمها بالشحم واللحم ، وربما كان عامل قوة .

٢ - الصورة الادبية :

هذا البحث لا يعد - في حقيقة الامر والواقع - منفصلا عن سابقه (الشكل والمضمون) وهو مكمل له ومتم لعقد نظامه ، اذ الصورة الادبية ماهي الا ثمرة الالفاظ ، وتأليفها ودلالاتها على ما استهدف الشاعر الدلالة عليه ، عن طريق التصريح او الايحاء (فان الالفاظ وصوتها وجوها وتأليفها ، كافية لابداع القصيد البديع وغايات الشعر السامية كما يقول - والترالى - لا تخدم بالكلمات الوعرة الجافة ، التي تشبه الأشخاص المتعبين ومن التعسف القول بان الكلمات الموحية ، هي التي يرقد فيها الفن الشعري ، لان هذا القول يخرج أجمل قصائد : المتنبي ، المعري ، والبحتري ، وشوقي ، من دائرة الفن الشعري .

والحق الذي لامرية فيه ، أن الكلمات القوية النافذة ، والكلمات الحلوة العذبة ، تماثل تماما الكلمات الموحية في كثير من الاحيان وللکلمات العذبة المؤنسة سحر وملاحة لا يقلان عن سحر الكلمات الموحية والقوية ولا يعزب عنا ان عذوبة الكلمات وحدها ، لا تخلق

أسلوباً بديعاً ، وإن كانت تضيء عليه ، رونقاً ورواءاً (١) •

على أنا فى تفتيشنا شعر ابن بليهد ، وتتبع ألفاظه وأساليبه وطرق تعبيره ، تبين لنا أنه فى ذلك لم يكن على وتيرة واحدة ، فحينما تكون أدلته سهله ميسرة ، وحينما يأتى بها عذبة لطيفة ، وتارة موحية ذات دلالات عميقة ، وأخرى تظلل الوعورة أداته وإن كان ذلك عنده قليل •

ولم نشأ ائقال البحث بنماذج هنا ، ففىما سنعرضه من صور شواهد ذلك كله • ولكى نجلو الصورة الأدبية عنده جلاء واضحاً ، نعرض لقطوف من أبياته نلقتظها من هنا وهناك فى شعره ، لنخلص منها الى قصيدته فى رثاء الملك عبد العزيز •

تأتى الصور البيانية عنده ممثلة تمام التمثيل للبيئة التى نشأ بها ، والزمن الذى عاش فيه ، ونوع الثقافة التى تثقف بها ، والطبيعة التى تلب فى أحضانها ، والظروف التى اكتنفت مجتمعه اذ ذاك •

فأما البيئة فكانت عربية صرفة لم تغشها بعد التقاليد والعادات الوافدة من هنا وهناك •

وأما الثقافة فقديمة لا تربطها بالثقافة الحديثة أوهى الصلات ، اللهم الا فى اخريات حياته حيث فرضت عليه الثقافة الحديثة نفسها - نوع فرض - حين وفد الى مصر ، وأقام بها ثلاث سنين •

وأما المجتمع فكان أول الامر فى غاية الفوضى والاضطراب ، وفى

(١) الشعر المعاصر - مصطفى السمرى - مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ •

آخره غاية الامن والاستقرار ، وما نظم جل شعره الا فى زمن الفوضى والاضطراب ، وفى أحضان الفتن والقلقل .

أما الطبيعة التى نشأ فى مهدها وتقلب فى أحضانها ، فانها التى ألهمت الفرزدق وجريرا ، وأمدت النابغة وحسانا - رضى الله عنه - وأمثالهم ممن انجبتهم وربتهم هذه البلاد . .

فمن تلك الصور استعارته الانثى الحبلى للمنون فى قوله :

تمخضت المنون لها بيوم

عبوس والنجيع لها غلام

وحلت بالعذاب على أناس

تقارنت الولادة والفطام

وألقت عند معركها بنينا

شأما حين تنتظر الشأم (١)

انظر الى هذه الصورة التى مثلت المنية فى يوم الحرب ، بأنثى تمخضت فى هذا اليوم العبوس بغلام هو الدم ، وفطمته فى اليوم نفسه ، ثم يزيد الصورة قبحا بجعل البنين شؤما ، وهذا أقبح ما يكون عليه البنون .

وشبيهه بذلك قوله :

لم يبق من ابل البغى التى لقحت

بالاردنية من عين وأثار (٢)

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٦ .

ونتلمس الالفاظ التى أوحى بهذه الصورة المكفهرة العابسة ،
فنجدها جميعها ألفاظا موحية كلها قوة وعمق وصلابة (المنون ،
والعبوس ، والنجيع ، والعذاب ، والشام) وهكذا ، التقت الألفاظ
وحسنت المواعمة بينها وبين العبارات المترتبة منها ، لتعطى هذه
الصورة الغاضبة الدالة على ماكان فى تلك المواقف ، من صراع وقتل
وسلب وغلبة وانتصار .

والتصوير الأدبى عنده لا يأتى على نمط واحد، بل يختلف قوة وضعفا
وجمالا وعمقا وبساطة حسب الزمن الذى نظم فيه ، شأنه شأن جميع
شعره الذى سنثبت (٣) انه كان يتدرج فيه حتى باين أوله آخره .

خذ مثلا هذه المجموعة من الصور وردت فيما نظم بين عامى
(١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م - ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م)، ثم قارنها بما نورد لك من
صور بيانية فى مصرياته ، فانك واجد - لامحالة - فرقا واضحا بين
المجموعتين سواء فى الالفاظ وتأليفها ، أو فى أسلوب تناول الصورة
وطريقة إبرازها ، وما ذلك الا لان ملكة الرجل كانت ذات قابلية
للتفاعل ، بالمدركات والاستجابة للعوامل والمؤثرات .

أولا : هذه مجموعة من الصور فيها الجيد وفيها ما هو دون ذلك .

أ - فأما جيدها فإنه يجيء على نحو مما يأتى :

يصور ابن بليهد ، رقاب الاعداء فى صورة الماء يخوضه الممدوح
الى أبواب النصر والغلبة ، وأعداؤه يعيشون من أحلامهم فى طيش ،
لتحكمه فيهم وغلبته اياهم على أمرهم . .

(٣) انظر الفصل الأخير من هذا الباب (تدرج شعره) .

فكم خاض فيها من قبيلة

تطيش بها احلامها كيف تغلب (١)

فانظر كيف اعطتك كلمة (تطيش) من تصوير دقيق عميق لموقف
الاعداء وقد ضمنوا النصر ، فغلبوا فطاشت أحلامهم ، أى انفلت زمام
أمرها لشدة ما أصابهم من التهيج والانفعال .

ويصور أفكار السوء لدى الاعداء ، بالعقارب التى تهيج فى الظلام،
فتضربها أفعال الممدوح المشهور بالحلم فتمزقها

تعفو وتصفح عن عز ومقدرة

ولاتزال حليما غير منتقم

لكن اذا ضمت الظلما عقاربها

فنور فعلك يجلو غيبه الظلم (٢)

فان فى (ضمت الظلما عقاربها) تصوير بديع ، أدى بكلمات
موحيه فيها ملائمة للموضوع ومواءمة للمعنى ، على أبداع ماتكون
الملاءمة والمواءمة .

ويشبهه تباشير الناس بمقدم الممدوح ، بتباشيرهم بالغيث بعد المحل
والجذب .

تباشير الناس فى نجد بمقدمه

مثل التباشير عند المحل بالسحب (٣)

(١) ابتسامات الأيام ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٣) ابتسامات الايام ص ١٦٠

والذى يعرف أحوال البادية والبلاد التى تعتمد على المطر فى مراعيها يحس هذا المعنى احساسا كاملا ، فلا شيء أجمل فى أذن الراعى من صوت المطر ، فما بالك اذا كان بعد جذب وجفاف ! ، انه فى أذنه كحديث الحبيب بل هو أمتع •

وحديثها كألقطر يسـمعه

راعى سنين تتابعت جدبا

ويشبه قلب الناجى من الاعداء فى خفقانه واضطرابه بجناح الطائر الحذر ، يظل يرف خوفا من طوارىء الطوارق •

ومن نجا منهم - لو عاش - فى نكد

فؤاده كجناح الطائر الحذر (١)

وفضل المدوح لا يكون فى اقتران جوده بوجوده ، وانما فى عموم فضله وجوده ان أقام وان رحل :

اذا ترحل من دار أقام بها

أبقى لديها صنيعا طيب الاثر

كالغيث أقلع محمودا وخلف ما

يلتف من نفل غض ومن زهر (٢)

ب - وأما مادون ذلك ، فمنه تصويره اقدام المقاتلين بتشبيههم بالصائمين ، ويعنى أنهم يقومون على الاعداء ولديهم من التعطش الى دمائهم ، مثلما لدى الصائمين من تعطش الى الماء •

وتروى المشرفة والموالى

كأن الطاعنين بها صيام (٣)

(١) ابتسامات الايام ص ٢٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ •

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ •

وهو تشبيهه كما تراه لا يخلو من سماجة ، لم تستطع دفعها عنه
الكلمات المتخيرة (المشرفة - العوالى - الطاعنين) •

وفى صورة أخرى لاقدام المقاتلين واستبسالهم يشبههم بالموتى ،
ويعنى أن حالهم فى اندفاعهم الى المعركة ، كحال من قطع صلته
بالحياة •

تجرى بأسد اذا يطرى الجهاد لها

كأن واحدهم فى اللحد قد قبراً (١)

فالشطر الاول من البيت فى غاية القوة والجزالة ، ولكن الشطر
الثانى قد انحط الى الدرك الاسفل ، فما هكذا يصور الاقدام
والاستبسال ، فلو أنه قال : (كأنها الريح اذ تستقبل الخطرا) لواءم
بين جمال صدر البيت وعجزه ، على أن المعنى فى ذاته شريف ، اذ
المقصود فيه أن المحارب قد استلمات فى اقدامه ، حتى استوت عنده
الحياة والموت ، أو أثر الاستشهاد طلباً للجنة ، ولكن الالفاظ لم
تقم به •

ويشبه الجود بالميت الذى يدعى فلا يلبي الداعى ، لكنه حين دعاه
الممدوح نهض على اقدامه ملبياً النداء ، معتزا باضافته الى الممدوح :

أرى الجود ميتاً قد تصرم عهده

ينادى وقال الجود لا أتكلم

فلما دعاه ابن الكرام أجابه

وقام على اقدامه يتبسم

وقال اضافتنى اليك شمائل

لان سجايك العلا والتكـرم (٢)

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٠ •

(٢) ابتسامات الأيام ص ٨٠ •

فايقاع الموت على الجود تعبير لا يخلو من هزال ، فلو أنه قيد موته يكون ذلك في أخلاق الناس ، وانها خلت منه لكان أجود وأجسدي للمعنى ، فأحسن منه أن يقول : (أرى الجود في خلق الانام كميت) ، والمعنى الذى أراده جيد ، لكن لم يحسن التعبير عنه .

ج - ويأتى المجاز المرسل عنده على أبدع ما يكون التصوير ، انه يترقب وصول (الملك عبد العزيز) الى الحجاز ، فيطيل الالتفات الى الطريق الذى سيسلكه الممدوح ، لكنه يعبر عن ذلك بلفت الرقاب بدلا من لفت الرؤوس :

لفتنا لنهج المنجدين رقابنا
كما أشرفت أبصارنا كل مرقب (١)

أنظر ما حواه التعبير عن الرؤوس والرقاب من جمال المعنى وبلاغة المجاز ، واذا كان قد وفق فى الاسلوب المجازى ، فان التوفيق قد خانه حين عبر عن النظر الى درب القادمين بالالتفات ، اذ الملتفت انما يلتفت الى ما وراء ظهره ، وقبيح أن يولى درب الممدوح ظهره ، وكان يجمل به أن يقول (نصبنا لنهج المنجدين وجوهنا) .

ثانيا : ويصقل السفر فكره رغم كبر سنه وما يصارعه من أمراض ، فيعذب لفظه وترق أساليبه ، وتسلس عباراته ، وتزداد تصوراته اشراقا ، كل ذلك مع جودة واتقان واحكام أقوى .

ونقرأ أولى مقطوعتيه فى الممرضتين فيطالعنا منها مثل قوله :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى

فأما التى بالكثف تذكى بكهرب
وهاتيك تذكى بالملاحة واللف (١)

فهل ترى أجمل من تصوير الحب بالنار ، التى تكوى القلب وقد
أذكتها الملاحة واللف وهل أبدع وأروع من تشبيهه فتنة المرضتين
بالمنايا فى قوله :

إذا طفقت كلتاهما فى علاجها
رأيت المنايا من أمامى ومن خلفى (٢)

ويقصد الى تصوير ما وصلت اليه مصر من رقى علمى ، فىأتى
بذلك على هذا النحو من الاستعارة اللفظية ، التى نقلت الصورة
البدوية الى الحاضرة •

العلم ألقى بسواذى النيل أرحله
حتى تسنم فيه أرفع السور (٣)

أما حلوانيته التى هى مما نظم فى مصر ، فان صورته فيها تسمو حتى
تباهى نفائس الشابى وأمثاله ، من شعراء الطبيعة والجمال •
أنظر كيف يصور الزمان ، فى صورة من تطلب منه الهدايا فيجود
بها ، ولكنها أخبار وعظات •

جننا لحلوان نستهدى الزمان به
طريف أخبار من عاشوا به حيننا (٤)

ثم أنظر كيف يصور الصبح والأزهار ، فى صورة الفين يضاحك كل
منهما الآخر ، ثم يوغل فى الخيال فىرى الفراشات ، فى صورة حسان

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢٧٢ •
 - (٢) ابتسامات الأيام ص ٢٧٣ •
 - (٣) المرجع السابق ص ٢٧٠ •
 - (٤) أوراق مخطوطة •

غانيات يرقصن على مسرحهن - هامات الياسمين - ولم يقف عند هذا الحد ، بل جعل طنين الفراش غناء وطربا حتى اذا أدركها الظمأ ترشفت من ثغور الزهر طلا ، كان دموعا ذرفها الليل عندما أضناه تشاكى المحبين :

ياروضة ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلالة الصبا غضا ونسرينا

والياسمين على هاماته رقصت
غيد الفراشات أفواجا تغنينا

وترشف الطل من ثغر الزهور جرى
من أعين الليل أضناه نشاكينا

ما أدمع الليل الا أدمع ذرفت
من أعين حاجها فقد المحبينا (١)

أما قصيدته فى رثاء الملك عبد العزيز (٢) التى هى من أواخر ما نظم
فانها معدودة فى روائع الشعر العربى من وجهين :

الاول : جودتها واحكام نظمها .

الثانى : ان فيها من الصور المبتكرة ما تستطيع تبينه دون ايماءة
اليه ، وهى تبلغ ثلاثة وثلاثين بيتا يقول منها :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألفت الحرب والاحداث فى فيها

حتى تخطف أعلام البلاد على
رغم النفوس التى ظلت تفديها

(١) أوراق مخطوطة .

(٢) توفى عام (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م)

أرى المنايا بضخم من كلا كلها
ومستطيل عنيف من أياديها
جثت وعضت على قطب الزمان وقد
لفت ذراعين منها حوله تيهها
أن حطمت صارما دان الزمان له
وخافه فى الدنا القاصى ودانيها
وأوقدت بقناة كان ثقفها
نارا ولكن سعود قام يطفئها
وفىصل فى سبيل الله صارمه
ماض وماند ملازاء يدنيها
مالى وللمدح يفرينى ببهرجه
قصائدى نالها حتى مراثيها
دع عنك هذا فاللافكار مصطخب
فى الصدر والقول ينئىها ويدنيها
ونحن فى ساعة جن الجنان بها
قد جاءنى نعيه ويحالها فيها
رمت صدور المعالى فى اجنتها
واستنزلت هام مجد من صباحيها
وخلفت شعب دار العرب مندها
فى ظلمة لا البكا والدمع ويجلوها
اليوم تبكى بلاد العرب عاهلها
ذاك الذى ظل يعليها ويبنيها
بكته فى الحرم المكى كعبته
وقاصدوها بكوا حتى أعاديها

بيوت ربى بكت وكل مئذنة

وكل روضة علم جل ناديمها

وكل درب على حافاتها غرست

يمينه الامن فاكتظت بساريها

كتاب ربك يبكى فيه حافظه

عن ظهر قلب وتبكى الاى تاليها

وتندب العرب فيه قائدا المعنت

افكاره كشموس فى نواديهها (١)

واول مانلحظه فى هذه القصيدة ، هذه الصور المبتكرة ، فى تصوير
المنية بالحيوان المفترس ، الذى لم يكفه ما أَلقت الاحداث والحروب
فى فمه ، حتى تخطف أعلام البلاد ، ثم انظر الى تصويره المنايا فى
صورة الحيوان المفترس الضخم الكلاكل الطويل اليدين عنيفهما ،
يجثو على الملك عبد العزيز ، ويعض عليه فى فرح وتيه ان حطم هذا
الحسام الذى دان له الزمان .

ومثل ذلك فى التعبير عن الملك (بالقناة) ، وأن المنية كانت تريد
أن تجعلها وقودا للنار ، لولا أن أبناء المرثى تصدوا لها، فاستنقذوها من
ذلك .

ثم انظر كيف صور المنية ترمى افئدة المعالى ، وتستنزل هام المجد ،
وهكذا يسير فى هذه القصيدة من تصوير بديع الى ما هو ابداع ، فيجعل
الكعبة تبكى والمساجد والمآذن ، ورياض العلم والدروب الآمنة ،

والكتاب وآياته ، حتى كأنما تحولت الدنيا الى مآثم بكى فيه الانسان والجماد والحيوان ، فهل بعد ذلك من تصوير بديع لمثل هذا الموقف ؟

وانما تحولت القصيدة الى ينبوع من الصور الجمالية الرائعة ، لما وهبها الشاعر من فكرة ، واختيار لفظه ، وتأنقه في تأليفه ، ودقته في نسجه وحبكه ، فهي تحفة فنية رائعة ، ماتخون محاسنها سوى ما اعترى البيت العاشر ، من تقديمه لـ (ويحالها) على (فيها) وهي ضرورة اقتضاها النظم . .

أما كلمات القصيدة فكلها ألفاظ جيدة مختارة ذات ايحاء قوى ، بلغ الذروة حين تألف على هذا النسق ، الذي أبدع فيه الشاعر ابداعا لم نره الا في جملة من قصائده المعدودة . .

ونحن لانعنى بذلك ان جيد قصائده هو ذلك المعداد ، وانما نعنى ما اسلفناه في اكثر من موضع ، من ان له الجيد والردى ، ولكن جيده يتفاوت ، ففيه ما بلغ فيه الذروة ، تصويرا ، وشعورا ، وفكرا ، واحساسا كهذه القصيدة ، وفيه ما كان دون ذلك .

٣ - الطبع والصنعة في شعر ابن بليهد :

- تكلم النقاد العرب في الطبع والصنعة ، فجعل ابن قتيبة الطبع نظير البديهة ، والارتجال ، وجعل الصنعة نظير التكلف والتمحل (١) ، وليس كذلك فبين الصنعة والتكلف فرق سنعرفه بعد ، وعلى نحو من قول ابن قتيبة نحا المرزوقي في مقدمة الحماسة (٢) .

وقارب بينهما ابن رشيق ، فجعل المطبوع هو الاصل ، وهو الذي

(١) انظر الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ٧٨ ، ٩٠ طبعة دار المعارف ١٩٦٦ . .

(٢) انظر شرح المقدمة الأدبية لشرح الامام المرزوقي على ديوان الحماسة ص ٩٩ دار النشر - تونس .

يأتى أولا فى جمال وجلال ، وجعل الصنعة قريبة منه ، وهى التى
تأتى نتيجة التأمل والتفكر والتماس أسباب الحسن ، غير أنه استحسن
قليلا وانكر كثيرها (١) .

أما الجرجانى فقد قسم الشعر الى قسمين : مطبوع ، ومتصنع ،
وجعل التصنع مقابل الطبع (٢) .

وجعل بعضهم أقسام الشعر ثلاثة : (٣)

- مطبوع جرى على اللسان بلا صنعة ولا تكلف .
- مصنوع اشبه بالمطبوع لحسن تخير ألفاظه واساليبه .
- مصنوع متكلف .

والصنعة لا تتنافى مع الطبع فى حقيقته الامر ، وانما هى خدمة له ،
وتتميم لبدائعه ، وتجلية لروائعه ، معدنها معدنة ، ومنبتها منبته ، اذ
المستمد فيها انما هو الذوق السليم ، وما الذوق والطبع لدى الشاعر
الا أساسين للالهام والابداع ، والبناء والتجويد .

ومما يقع فيه غير المتأملين ، الخلط بين الصنعة التى هى مصدر
إبداع ، والتصنع المرادف للتكلف والتمحل (٤) .

(١) العمدة ١ : ٨٣ ابن رشيق . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة
التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٧٤ ١٩٥٥ م .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٩ مطبعة عيسى الحلبي ط الثالثة

(٣) أسس النقد الادبى - د . أحمد بدوى ص ٤٥٣ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٨ م .

(٤) من هؤلاء سلامة موسى الذى نشر فى مجلة الهلال العدد ج ٢ ، م ٣٤ - ص
١٥٦ سنة ١٩٢٥ مقالا تحت عنوان (خصلتان فى الأدب العربى - حب القديم
وكثرة الصنعة) .

وفيه هجم الأدب العربى والنقاد والعرب : القدامى ، والمحدثين كابن قتيبة
والامدى وأبى هلال العسكري والمنفلوطى والرافعى والمازنى ، فقد اتهم
المنفلوطى فى اساليبه بأنه كثير التلفت الى القديم متأثرا فى هذا منهج ابن =

فان الاول خادم للطبع أو مساعد له ، وأما الثانى فانه يتنافى مع الطبع القويم ، والذوق السليم ولا يصير اليه الا من فقد الطبع ، فعجز عن اسباب الاجاده ، فطلبها فى سبيل اعتساف صور البيان ، واكره الالفاظ والمحسنات على موافقة هواه ، والوصول الى ما يتمناه .

والاجماع عند نقاد العرب على ان : الأناة ، وإطالة التفكير ، وتخير الكلمات والنظر فى أبيات القصيدة ، والعمل فيها بالتقديم والتأخير ، والتبديل والتغيير وسد الفجوات ، وابدال الكلمات ، هذا وغيره مما يقتضيه تقويم القصيدة لايتنافى مع الطبع السليم ، والفكر القويم (١) ، بل عده النقاد أفضل الشعر واجوده (٢) ، وعدوا التأنق ودقة الاختيار فى الالفاظ وحسن الملازمة بينها من أهم أسباب حسن الكلام وموجب قبوله (٣) .

= قتيبة، ثم نسب الرافعى والمازنى الى الصنعة ، وانهما فى لفظهما وأسلوبهما يتوخيان منهج أبى هلال العسكري، والآمدى ، وأمثالهما ، ورد تدهور الاساليب العربية فى عصور الانحطاط الى توخى هذا المنهج أى ما دعا اليه الآمدى وأبو هلال من العناية بالالفاظ .

ومن هنا حكم بأن الأدب العربى، لا تجدد فيه لتلفت أربابه الى القديم ، كما دعا الى ذلك ابن قتيبة ، كما زعم أن فى العناية باللفظ والأسلوب ، وتجويدهما بعثرة للجهود وتبديد للقوى .

ويناقض نفسه ، فيقول : ان دقة التعبير هى غاية الغايات فى اللغة، ونسى او تناسى أن ما يقصده نقاد العرب، حين دعوا الى تخير الكلام والمبارات ، وتجويد الأسلوب هو الدقة فى التعبير والدلالة على المقصود ، على أنه يخلط بين الصنعة والتصنع ، بقوله: ان القصد من الصنعة هو الزينة والبهرجة وهذا ما يسميه نقاد العرب التصنع .

على أن لسلامة موسى وأمثلة هأدافا أتخذوا من مثل هذا القول ستارا لها

(١) انظر عيار الشعر - ابن طباطبا ص ٥ مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م .

(٢) انظر الموشح للمرزبانى ص ١٢٥ المطبعة السلفية .

(٣) انظر الصناعتين - أبى هلال العسكري ص ١٤١ طبعة عيسى الحلبي .

٢ - ولقد كان ابن بليهد وافر الحظ والنصيب من محفوظ الشعر وبخاصة شعر العرب الاقدمين : من جاهليين واسلاميين ، ظهر أثره فى شعره فى أكثر من مجتلى ، كما تجلى فى استشهاده به فى مؤلفاته .

ولا ريب فى أن الحفظ يغنى لغة الشاعر ، ويفسح له المجال لانتقاء الكلمات وتخير الالفاظ ، ويجعل المجال أمامه رحبا لتخير العبارات والملاءمة بينها ، ويجعل أمر النظم ميسورا له ، وتجويده فى متناول بيانه ، ويعينه على تهذيب شعره ، وهكذا كان العرب السابقون .

يقول القاضى الجرجانى :

(وأنا أقول - أيدك الله - ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم ، والاعرابى والمولد الا أننى أرى حاجة المحدث الى الرواية أمس ، وأجده الى كثرة الحفظ .
أفقر (١)

ويبدو ان ابن بليهد كان لا يتعهد محفوظه بالمذاكرة ، كما لم يعمد الى معارضة ذلك المحفوظ ، الا قليلا جدا لا يتجاوز قصيدين : احدهما عارض بها على بن الجهم ، والاخرى عارض بها ابن عثيمين .
غير أنك ترى طفح ذلك المحفوظ على أديم شعره ، وتلمسه فى كثير من عباراته وكلماته ، على ما فصلناه سلفا .

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - ص ١٥ ، ١٦ الجرجانى - ط عيسى العلبى الطبعة الثالثة .

ولم يكن الاقدمون وحدهم ، الذين عرفوا فضل المحفوظ : فى تقويم اللسان ، واعتدال البيان ، واستقامة عمود الشعر ، بل لقد عرف ذلك المتأخرون ، أو بعبارة اصح تابع المتأخر المتقدم فيه ، لايمانه بجذواه وتأكده من نفعه ، ولا سبيل سواه يدنى الى الاجادة والاحكام .

ويقول الشيخ حسين الموصفى :

(اعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من جنسه ، اى من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، يتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل مايكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل : ابن أبى ربيعة ، وكثير ، وذى الرمة ، وجريز ، وأبى نواس ، وحبيب ، والبحتري ، والرضي ، وأبى فراس ، واكثر شعر كتاب الاغانى ، لانه جمع شعر أهل البطقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، وشحن القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، بالاكثر منه فتستحكم ملكته وترسخ وربما قيل : أن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الاسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسيج عليه من كلمات أخرى) (١) .

ومن تعقيب الدكتور محمد مندور عليه قوله :

(وكان الاجدر به ان يحذف الاحتمال من هذا المبدأ - ربما - وذلك لأنه من الضروري أن يتحلل كل انتاج شعري أصيل من الذاكرة لكى يصبح شعر حياة) (٢) .

(١) الوسيلة الادبية حسين الموصفى ٢ : ٤٦٨ مطبعة المدارس الملكية .

(٢) النقد والنقاد المعاصرون - د . محمد مندور ط نهضة مصر بالقاهرة ص ١٧

وفى النظر الى الطبع والصنعة عند ابن بليهد ، نجد أنه فى شعره لم يسر فى طريق واحد ، ولم يكن شعره فى منزله واحدة ، وهذا أمر طبعى لدى كل شاعر يقوى جانب اللفظ عنده حيناً ، ويغلب الطبع والمعنى حيناً ، وقد يلتقى هذا وذاك ، فينسب الشاعر الى أقواها فى شعره وأغلبها عليه . .

ونحن فى قراءتنا للكثير من شعره ، لانملك أن نسلم له بالموهبة والطبع والعبقرية والالهام ، لما فيه من ابداع فى الكثير من قصائده ، التى يشدنا اليها انسياب عواطفه ومشاعره واحساساته فيها انسياباً ، لا نحس فيه قلقاً أو افتعالاً أو تكلفاً لفنون القول أو تأليف المعانى أو الافصاح عن تلك الخطرات النفسية ، التى كانت تعاوده من حين لآخر حسب ماتمليه المناسبات ، وتستثيره الاحداث والملايسات ، الا ترى الى حزنه على الملك عبد العزيز ، كيف أخذ ينساب فى مسارب حسه ، ويدفع مشاعره واحساساته الى حد تصور احزان الحيوان حين يفجع بالف أو حميم فيأتى فى صورة امتداد غير مألوف لختام مرثيته .

وصل ربي على المختار سيدنا
مالعلع الرعد فى آفاق ساميها
وماهما من عيون السحب ساكبها
على خدود الثرى دمعات باكيها
وما بكت فوق غصن البان نائحة
حمامة الفها من سهم راميها
ناحت زمانا فأبكانا تفجعها
يا للمصائب حتى الطير تشجيها
غدا ستسلوا ويمسى شجوها نفما
فى ظل الف جديد جاء يسليها

صلاة ربي على طه مجددة ما استغفر الله ماآلآنام عاصيها (١)

وهنا نجد صورة للتعزى رائعة ، جاءت من خلال تصور حال الحمام حين تمر به الأيام ، فيسليه عن أحزانه الف جديد وكأنه يريد أن يقول :
ان هذه سنة الحياة •

ولانريد أن يجرنا الكلام ، الى الحديث عن التفريق بين هـذه الاستعمالات الاربعة : الالهام ، الطبع ، والموهبه ، والعبقرية ، لشيء هو - فى نظرنا على الاقل - واحد لا اختلاف فيه ، الا وهو المصدر الاول للابداع عند الشاعر ، أو الفنان بعامة ، ذلك الذى تلمس أسبابه ومبعثه الناقدون منذ القديم ، فنسبوه حيناً الى الالهة وحيناً الى الجن والشياطين ، وحيناً الى قوى خفية لا تدرك ، وهذا تخبط نجا منه نقدنا العربى قديمه وحديثه ••

ونحن ايضا لانريد أن يجرنا الحديث الى مثل هذه الميادين ، التى خاض فيها النقد القديم (٢) ، وتكلم فيها الناقدون العرب والغربيون •

(١) أوراق مخطوطة •

(٢) على أنا لا نعتقد فى الالهام ، مايعتقده سقراط وأمثاله من اليونانيين ، لأن مثل هذا الاعتقاد ، يؤدى الى تجريد الشعراء من أعز ما يعتزون به - ويحافظون عليه من صفات ، وهو العقل المفكر •

على أن اليونانيين حين سلبوهم ذلك ، شبهوهم بالانبياء والكهنة ، الذين ينطقون بالكلام الحسن والحكمة ، ولا يفقهون من أمرها شيئاً ، وأن سامعيهم والمعجبين بهم أقدر على فهم مايقولون منهم ، وهذا تناقض ظاهر - اذ كيف يكون نبيا ولا يفهم مايقول ؟ حاشا لله أن يوصف الأنبياء - عليهم السلام - بمثل هذا الوصف •

فالنظريات اليونانية فى مثل هذا الميدان ، لا تلائم فكرنا وأدبنا من وجهين :

الأول : أنها تصادم المعتقد الدينى ، وهذا لايبنى أننا نقصد الى اخضاع المعايير الأدبية ، لما يقتضيه الدين (وان كنا نميل الى ذلك لكن فى غير هذا الميدان) = •

وقد استقر عند نقاد العرب السابقين تسميته بالطبع حينا ، كقول الجاحظ الذى يقرر أن المطبوعين من الشعراء هم (الذين تأتيهم المعاني سهوا رهوا ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً) (١) وبالطبع والذكاء حينا ، كالجرجاني اذ يقول : (وأنا أقول — أيدك الله — ان الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء) (٢) .

على أن الخلاف حول هذه الاستعمالات ، وماتعنيه لايمنينا — على الاقل هنا — فلنعمد الى مانحن فيه .

لقد كان ابن بليهد شاعرا مطبوعا ، التقت موهبته بثقافته ، القديمة ، ثم الدرية ، فكونت منه شاعرا فذا فى زمانه ، وهذا ما عناه الجرجاني (٣) فيما أسلفنا من قوله

ولم تكن ثقافة ابن بليهد ومعالجته الشعر ودربته فيه ، هى التى هيأته لقول الشعر ، ولو قلنا أن ذلك وحده كاف ، للزم أن يكون بعض

= والثانى : ان تحكم « العقلية الأسطورية » قد انقضى زمنه من بعيد .

ولعل هذا القول فى الأدب اليونانى ، نشأ من العداوة المستحكمة بين افلاطون وأستاذه سقراط من ناحية ، وبين الشعراء من ناحية أخرى ، دعتهما الى أن يطلبوا من الدولة أن تكبح جماحهم وتشتت شملهم ، لما يأتون به من أمور تفسد أخلاق الشباب ، ولا يشبه هذا ما أثر عن شعراء العرب ، من ادعاء تابع « شيطان الشعر » لكل واحد منهم ، فان ذلك يمكن تفسيره على وجه مجازى ، هو أنهم شبهوا تأجيج العاطفة ، واندفاع المشاعر بالحركة الشيطانية لكنهم لم يعبروا بذلك لميل فى نفوسهم ، الى جذب الناس أكثر لما يقولون .

(انظر فى هذا كتاب النقد الأدبى عند اليونان ، بدوى طبانة — طبعة الانجلو ص ٥٢ ، دفاع سقراط ، محاورات افلاطون ص ٧٦) .

(١) البيان والتبيين ٢ : ١١ ط الساسى

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه عبد العزيز الجرجاني ص ١٥ طبعة الحلبي .

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه عبد العزيز الجرجاني ص ١٥ طبعة الحلبي

من فى عصره ممن هو اوسع منه ثقافة واكثر معالجة للشعر أشعر منه ، كالشيخ ابن سمحان ، لكنه لم يكن مثله ، ولكنها الموهبة والعبقرية : (فالخطل كل الخطل ، أن يزعم زاعم أن المواهب الفنية ، قد تكون نتيجة مجهودات يبذلها المجدون فى مجالات الفن وقوانينه ، لان هذا الدأب مهما قويت أسبابه ، وتنوعت نتائجه ، لايمكن أن يمنح الجاد الدءوب موهبة ذات نتاج مبتكر ، وانما تنحصر غاياته فى تنويع ما يصدر عن العبقرية التى لا مناص من وجودها أولا بدون كسب أو معاناة) (١) •

على أن الموهبة تختلف قوة وضعفا ، لدى الشعراء ، وذلك مايفسر لنا الفرق بين ابن بليهد ومزامنيه ، من شعراء الجزيرة أمثال محمد حسن عواد ، ومحمد سرور الصبان وامثالهما ••

وكاختلاف الشعراء فى الموهبة وتباين حظهم فيها ، يكون تباين حظهم كذلك فى الصنعة ، وسبل التفنن فى اختيار الكلم واحكام القصيد ، وهذا يفسر لنا أيضا ، مانجده من فرق واضح بين شعر ابن بليهد وشعر ابن عثيمين ، الذى كان أجود منه صنعة وأمهر صياغة فى اكثر شعره ، وان قصر دونه فى فنون الشعر ، وتنويع سبل القول فيه ، كما أسلفنا فى حديثنا عن الاغراض وفى الموازنة ، بين قصيدتين لهذين الشاعرين ••

على أن لابن بليهد من الشعر مامائل فى جودة صنعته شعر ابن عثيمين ، وبذه بما فى شعره هذا الذى سنورد أمثلة منه ، من سهولة فى المأخذ ويسر فى التناول ••

(١) الشاعر عبد الحميد الديب - حياته وفنه - د • عبد الرحمن عثمان ص ٢٢٣ دار المعارف بمصر •

ألا ترى الى قوله يستنهض الملك عبد العزيز ، حين أسر الادريسي
عامل الملك على جازان ، كيف جاء على هذا النحو : من متخير الكلام ،
وجمال الصياغة ، وحلو العبارة ؟

أقمت فما هذا المقام المحتم
ووخد المطايا فى فضا الارض أحزم
ولا تسأل الأقدار عما تجره
مخافه هلك أنها لك مغنم
تفكر فى قلب الزمان قساوة
علينا ولكن ثغره يتبسم
ولا تترك الخطب العظيم لعظمه
فان الذى باقى من الدهر اعظم
اذا حملت أرض تراب مذلة
فليس عليها للكريم مخيم
ولا تحسبن الدهر ضاقت ضلوعه
بحمل الليالى والتى تتجشم
وكم غمزة فى جانب لم أقل لها
ألمى وجنبى قبلها متألم (١)

على أن النقاد العرب آثروا المطبوع على المصنوع ، وقدموه عليه
لما فيه من حلاوة ، وما عليه من طلاوة ، ولبعده عن كد الذهن واتعاب
الفكر ، وإطالة التأمل والتدبر (وملاك الامر فى هذا الباب خاصة

ترك التكلف ورفض العمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه
والعنف به ، ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المذهب الذى قد صقله
الادب ، وشخصته الرواية ، والهم الفصل بين الردىء والجيد وتصور
أمثلة الحسن والقبح (١) .

ونحن حين نقرأ لابن بليهد هذا المطلع الذى ينسب فيه ، فيذكر
شدو الحمام الذى اهتاج صبابته ، ثم يقف على أطلال دار سلمى
فيبكي ويستبكي ، ليخلص من ذلك على أحسن وجه الى مدح الملك
عبد العزيز ، لانملك الا أن ننظر اليه ، على أن مثله هو المعنى فى
قول القاضى الجرجانى السالف .

واعنى بقول ابن بليهد هذه الابيات :

أهاجك من ذاك الحمام الترنم

لأنك مشغوف الفؤاد متيم

على دمنة قفر كأن رسومها

مراجع وشم ضم باقيه معصم

يكف نواحيها من الريح بارح

عليها وملتج الجوانب مظلم

خلت من شبیهات المها وتصرمت

مودة سلمى والنوى يتصرم

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضى الجرجانى - ص ٢٥ - ط الحلبي .

بحى خلت منه الديار وأقفرت
فليس بها الا غراب وقشعم

أقول لاصحابى بمنقطع اللوى
تشتت شمل الحى منا ومنهم

ولكننى أنسى الصبا عند ساعة
يخاطبنى فيها الامام المعظم

وأترك طياتى اذا قال صاحبى
غداة لارباب العلا نتقدم

كففت صدور العيس عن كل لازم
لأن لقاء المقرنين ألزم

زجرت الى عبد العزيز ركائبى
كما زجر العيس المراقيل محرم (١)

فانت ترى أن هذه الابيات جاءت على نحو من الجمال والجلال
لأنها خلت من التكلف والتصنع ، وان معانيها واضحة قريبة ، وانها
مصوره لبيئة الرجل وثقافته دالة على ما يعتمل فى نفسه ، وما يهيجس
به خاطره . .

وما ذاك الا لان مبعثها الطبع ، الذى استرسل وراءه الشاعر ، ولم
يسمح لاسباب التصنع أن تتمكن منه ، وحين نطلب التقاء الطبع
وجودة الصنعه ، بالجزالة والفخامة ، وشرف المعنى ، ومتانة الحبك
وحسن الصياغة ، فأنا نجد لها ماثله فى الكثير من شعره .

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٨ .

الا ترى هذه الابيات التى اففتح بها احدى مدائحه للملك عبد العزيز ، كيف جاءت ممثلة لما يطلب فى الشعر الجيد من جزالة ورصانة وبسر ووضوح ؟ .

انه يريد أن يقول للملك : لقد بلغت المعالى فلم يعد نيلها مطلباً تنظر اليه أمامك ، لبلوغك ذلك الامر بما خضته من المعارك التى لم تكن مقصداً ، الا بقدر ما يؤمن أمتك وينجيها من الاخطار ، انه يريد بهذا ان يقول : أنك رجل سلام ، لكن اذا دعتك الحرب فأنت ابنها .

ثم يفخر بعروبته التى يقصر دونها القلم ، لكن قضية العرب سارت لعبه بين أيدي اللاعبين يتقاذفونها كالكرة ، حتى جاء الملك عبد العزيز فاستنقذها بهممه وعزائمه ، التى لم تستهدف فى سعيها الدنيا وحدها ، وانما الدين أولاً ثم الدنيا ، ولذا فهو جدير بأن يهنأ بما ناله من عز وشرف ، وبخاصة بعد أن نشر الأمن فى أم القرى (مكة) وفى سائر أنحاء المملكة ، وهل أدل على ذلك من أنك لو سألت راكباً جاء من بعيد ، واجتاز القفار والمفاظات ، هل أحس بخوف أو ضاقت به السبل ، لما كان جوابه الا ان الخوف قد نزع وان الامن قد ضرب اطنابه فى كل مكان ، وليس هذا بالعجيب على مثل الملك عبد العزيز ، لانه الرجل الذى بلغت به المكارم غايتها :

أنت الامام فما نيل العلا أمم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم

لقد عدلت بنا عن كل حادثة
وظلمة يرتضى من فوقها ظلم
انا بنو العرب الذين لنا
فخر يقصر عن تعداده القلم

لكنها بين أيدي اللاعبين به
ومنه قطعت الاسباب والرمم

حتى نهضت بباع المجد منتصرا
للعرب فى عزمات حشوها الهم
دين ودنيا وأيام مداولة
وتلك فى طيها الايراد والحكم

فأشرب هنيئا بكأس العز مبتهجاً
طابت بكم (مكة) والحل والحرم
اسائل الراكب المزجى مطيته
من أى فج رماك السير والسأم

قل ، هل خشيت وما تلقى اذا لعبت
بك التنائف أو ضاقت بك الخرم
فلم نجد منبئاً بالخوف فى بلد
وهذه نعمة ما فوقها نعم

يأيها الملك السامى لقد بلغت
بك المكارم فيما ينتهى الكرم (١)

ويظهر انسياقه وراء الطبع عندما يعمد الى تصوير حالة من
حالاته النفسية ، التى تكون نتيجة وضع أو حدث ، مما هو متصل
بحياته ومعيشته .

يغزو الملك عبد العزيز بلد الحائط ، ويصادف وجود ابن بليهد

(١) صحيفة أم القرى العدد ٨٥ بتاريخ ٢٠ - ١ - ١٣٤٥ هـ .

بها حاملا اليها تجارتها ، وقبل أن يهجم جيش الملك يبعث الى أهل الحائط كتابا يدعوهم فيه الى الصلح ، ويستعين أهل الحائط بابن بليهد ، ليكون وسيطا بينهم وبين الملك ، فيصور في قصيده كأنما يرسم لحالته النفسية في مطلعها صورة محسوسة ، كيف يطلب منه أهل الحائط الوساطة ، ولا أمر له عليهم ولا نهى وانما هو غريب فيهم يلوذ بظلال النخل فرارا من الأذى ، لكن الصلح خير اذا بنى على اساس من الدين ..

متى لكم عندى مقام ومطلب
فكيف غريب الدار للدار يرهب

أهيم بظل الباسقات عن الأذى
وأشكر سماك السماء وأحسب

بأن اصطلاح القريتين تدين
على رتب الاسلام لله تغضب (١)

ونختار له نصا آخر متوخين فيه ، مثال ما عناه القاضى الجرجاني ، حين تحدث عن نوع ما يختاره من الشعر المطبوع ، بقوله : (ومتى سمعتنى أختار للمحدث هذا الاختيار وابعثه على الطبع ، وأحسن له التسهيل ، فلا تظنن أنى أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الاوسط ، ما ارتفع عن الساقط السوقى ، وانحط عن البدوى الوحشى) (٢) .

لقد أقام ابن بليهد فى مصر ثلاث سنين ، كانت الذكريات فيها

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٩ .

(٢) الوساطة - القاضى الجرجانى ص ٢٣ ، ٢٤ - طبعة العلبى .

تشده الى موطنه واهله ، فكان ينفس عن نفسه بما ينفثه لسانه ، من
أبيات يودع فيها أشواقه ، ويملؤها بحنينه وأنينه على نحو من قوله :

على طلل من دارها نسكب الدما
ونبقى كما كنا على دربها نسعى
وبنا فلا دار الحبيب قريبة
ولا الشمل فيما يرتضى يرتضى الجمعا
أصحاب أيامى بأكناف موطنى
وأحاب قلبي صدكم أوقد الشمعا
بقلب يعانى جسمه من سقامه
فأعضاؤه خارت فلا الخفض والرفعا (١)

ونطلب ذلك فى شعره على نحو ما طلبه القاضى الجرجانى فى
شعر جرير وذى الرمة فى القدماء ، والبحترى فى المتأخرين ، وتتبع
نسيب متيمى العرب ، ومتغزلى اهل الحجاز - كعمر ، وكثير ، وجميل ،
ونصيب - وأضرابهم (٢) - فنجد ذلك فى الكثير من شعره ، الذى
تحسس فيه آلام نفسه وأحزانها ، وصور فيه امالها حيث يغنى لنفسه
بعيدا عن تلمس رضاء الاخرين ، وتحرى مواطن أهوائهم قريبا من
ذكرياته ، التى عاشها زمناً نقشت فى قلبه سعادته فيها حب الرفاق ،
الذين كان أقربهم الى نفسه وألصقهم بذاكرته وأقواهم شداً له
زوجته (سارة) التى ماتت فى نضارة الشباب ونضارته قبل أن تقضى
لبانتها أو يقضى هو منها لبانتة ، لذا فلا غرابة أن أبصر دارها فى
قلب جزيرة العرب وهو فى مصر ، ففاضت على روحه نسائم تلك

(١) أوراق مخطوطة .

(٢) انظر الوساطة ص ٢٥ - الجرجانى - طبعة الحلبي .

الرُبوع ، تهتاج أشواقه وتحیی آماله ، وتبعث ذکریات عزیزه ،
لاتخلقها الايام واللیالی ولاتباعدها المسافات الزمنية والمكانية ،
فینساق وراء صور الذکریات ینتظمها ، نظام عقد القصید دررا أو
صورا من الکلام ، تنطق بالسحر الحلال علی نحو التقی فیہ حسب
الاحباب بحب الوطن ، فشکل وجها للحب الصادق المتمكن الخالی ، من
الزیف والملق والاحتیال علی استرضاء أو اعجاب الاخرین ، ولذا فهو
یلح علی رفیقی سفره بتعجیل العودة الی وطنه ، الذی اشتد به الشوق
الیه :

تنورتها من مصر دارک سارة
وأبصرت نور الفجر فوق ثراک
وفاضت علی روحی نسائم أربع
وعهد به قد کنت ملک رضاک

کأن لم یکن بین الحجون الی الصفا
أنیس ولم نسمر وضوء سنّاک

یرف وضوء البدر خجلان ینطوی
حیاء وخوفا أن یدوس حمّاک

لیالی لا أنسی سوافر غلسها
وللوصل أسباب بغير فکّاک

وقد نصبت للمضجرات من النوى
جفونک أشراکا بغير شبّاک

لیالی عشناها أسیرى صبا بة
تولت وبانت يوم حان قضاک

أسارة ان عزيت نفسى فائنسى
اخادعها فالقلب رهن هـواك

تذكرت والذكرى تهيج مرارة
اذا كان من تهوى رهين هلاك

فيا صاحبي رحلى دعانى وعجلا
رجوعى ولا تستأنسا بعراكى

قلوت الغوانى بعد سارة مثلما
قلوت الديار غير دار ثراك

بلادى بلاد العز والمجد والندى
لقد شاقنى يانجد حسن رباك

كأنى أرى حسن الربيع وقد كسا
من السندس المرسوم كل ذراك

كأنى أرى وجه الرياض وقد بدا
كثوب عروس فى زمان اولاك

ونبتك ريحان ، أديمك سندس
وكل المنى أن التحف بسماك

أرى النأى اورى فى الجوانح ناره
الا فاطفىء نار النوى بصباك

نسيم ضبا نجد على القلب فانسمى
وروض القطا أفنى عشقت شذاك

فيا صاحبي رحلى دعانى وأنجدا
اذا كنتما لا ترضيان هلاكى

بذات زمام فى يمين مـدرب

سبوح كأن ليست بذات حراك (١)

ولعل القارى يشاركنى الاعجاب بهذه النصوص ، التى تشهد
لقائلها بالطبع القويم ، والذوق السليم ، والمهارة فى صناعة الشعر ،
وصوغ عقد نظامه .

فنظرة اليها وما مثلها من شعره ، كفيلى بأن تكشف لنا محاسنها ،
وتجلو لنا ما تتحلى به من جمال الصنعة وجلال الصياغة ، الى ما تدل
عليه من انبثاقها عن طبيعة شعريه أصيلة ، كانت المنطلق الاول الذى
صدرت عنه قصائد صاحبنا شأن كل شاعر أصيل .

على أن القول ، بتدخل الصنعة فى كل نص من نصوص شعره ،
أمر اقتضاه زمنه : اعنى أن شأنه فى ذلك شأن جميع الشعراء ، الذين
أخذوا اللغة العربية دراسة وتثقيفا ، إذ أن عهد السليقة قد انقضى
وهذا الأمر وحده كاف لتلازم الطبع والصنعة فى شعر كل شاعر مطبوع
على أن الشعراء يختلفون فى كيفية استفادتهم من الصنعة ،
وأسباب تجويد الكلام .

غير أن ابن بليهد ، عرف كيف يستفيد من ذلك ، فهو لم يقنع
بالسهل اليسير المبتذل ، ولم يوغل فى الصنعة ايفالا يفضى به الى
التصنع والتكلف ، وانما كان وسطا فى ذلك ، أى أنه اختار السهل
الميسر ، الذى سمت به جزالة ألفاظه ورصانة تعبيره وجودة تأليفه ،
فجاء الكثير من شعره على هذا النحو الذى تراه فيما أسلفنا .

ولو وقفنا عند هذا النص الأخير ، وحاولنا استجلاء ما فيه من جلال
الصنعة وجمالها ، والبعد عن التكلف والتصنع ، لوجدنا شاهد ذلك
ناطقاً في كل بيت .

فأنت ترى الألفاظ سهلة ميسورة قريبة التناول ، ولكنها مع ذلك
فوق الابدال .

ثم تنظر الى تأليف الكلام ، فتري : الكلمات متأخية ، والعبارات
متألفة ، والآيات يشد بعضها الى بعض سياق ، نظمها في نظام لا تقبل
سواه ، ولا الزيادة عليه ولا النقصان .

وترى المعاني واضحة جلية ، لم يسترها تعقيد او ابهام ، ولم
يبعدها شطوح خيال ، أملتها عاطفة وجدانية ، وأبرزتها رغبة في
النفس ، ربما كانت التنفيس ، وربما كانت التلذذ باستعادة لذيذ
الذكريات وأحبها الى القلب ، فهي لوحة شعرية رائعة تمثل غاية ما
ينشده أهل عصره ، الذين ينظمون القول في مثل هذا الميدان .

الفصل الرابع

« خصائص شعره »

لكي يكون تصورنا لشعر ابن بليهد أكثر وضوحا ، وأستخلاصنا لخصائص ذلك الشعر أكثر دقة وأوضح تجلية ، أثرنا أن نسبقه بما يعيننا على ذلك ، فنبدأ بلمحة عن بيئته نستعيد فيها خلاصة ما أسلفناه من حديث عن تلك البيئة في الباب الأول ونثنى بنبذة — من آراء الباحثين في شعره لنفضي بعد ذلك الى الحديث عن الخصائص .

أولا : لمحة عن بيئته :

عندما يقبل الباحث على عمل ، يقصد فيه أن يلتمس السمات والخصائص العامة أو الخاصة ، في أدب أديب نثرا كان أم شعرا ، فانه لا بد له اذا أراد ان يصل الى نتيجة مرضية ، من ان يتعرف على الشاعر عن طريق دراسة البيئة المحيطة به ، ذلك أن الأديب ما هو الا مصورة مجتمعه وبيئته ، وما أدبه الا صورة لذلك المجتمع وتلك البيئة ، على حسب ما أدركته تلك المصورة .

وهل الأدب الا كالصور والرسومات ؟ فيها الملون المزخرف ، الذي تأنق صاحبه فيه فأبدع وأمتع ، وفيه الذي أخرجه صاحبه كيفما اتفق فجاء خاليا من أصول الصنعة مجردا من وسائل الابداع ، فكذلك شأن الأدب أيضا .

من هنا كان لابد لنا حين نقدم على دراسة أدب ما ، أن نكون على
الملم بتلك البيئة ، التي انبتت ذلك الأدب ، لكي نكون أقدر على تجلية
نصوصه والكشف عن مكانه الابداع فيها .

على أن الملم بالظروف والملابسات ، وأحوال البيئة المحلية
بالشاعر ، ليست هي كل ما ينشده الناقد ، من عون في دراسة العمل
الأدبي ، وإنما هي مجرد معين على ذلك .

أما أدواته الحقيقية وآلاته المباشرة ، فكأنه في الذوق النقدي
والثقافة النقدية القائمة على الأصول المستمدة من اللغة وعلومها .

وقد يختلف الذوق باختلاف ثقافة العصر ، فيحكم بالجمال لما ليس
بجميل ، وهذه مسألة انما يجب أخذها بعين الاعتبار ، عند الموازنة
بين عمليين أدبيين نبتا في عصريين متغايرين ، أو ببيتين غير
متماثلتين ، وفيما عدا ذلك يجب القاء هذا الذوق جانبا .

وقد سبقت لنا في صدر بحثنا هذا نظرات ، في عصر ابن بليهد
ومجتمعه وبيئته الخاصة والعامة ، فتحدثنا عن السياسة والفكر والعلوم
والشعر والدين والأخلاق وما إلى ذلك مما يستلزمه مثل بحثنا هذا .

غير أن هذا الفصل من بحثنا يلزمنا أن نقدم بين يديه خلاصة
مجملة ، لما سبق ان فصلناه هناك .

لقد عاش ابن بليهد فترة أولها : فوضى واضطراب ، وفقر واجداد
في كل شيء ، وآخرها : أمن واستقرار ، وغنى واخصاب في كافة
مناحي الحياة .

فلقد كانت جزيرة العرب في النصف الأول من هذا القرن الرابع

عشر للهجرة ، تعيش فى صراع مرير بين الملوك والأمراء ، كل واحد منهم يريد الأمر لنفسه ، فقامت لذلك الحروب المستعرة أوارها بين القبائل العربية وأمرائها ، فقلت الطمأنينية وصارت الأقوات تتخطف من الأفواه ، وكثيرا ما تخطفت معها الأرواح ، فاكتفى الناس من العيش بالكفاف ، ولماذا يسفى الساعى وكسبه منهوب وغنمه مسلوب ؟

أما الشعر فكان خافت الصوت مهزول النصيب ، لا ينظم الا محاكاة وتقليدا ، ويعتسف الطريق اليه اعتسافا ، ولم يكن ذلك أيضا الا فى بعض الأعراض التى لا تنمو بذورها الا فى مثل تلك الحال ، كالهجاء والمدح ، والفخر والحماسة •

ولشيوع العامة وضالة نصيب المتعلمين من اللغة العربية وآدابها لا ترى ازدهار تلك الأغراض الا فى الشعر العامى ، الذى حوى الى جانبها فنونا أخرى ، كالحكم والغزل ونحوها ، على نحو ما أسلفنا نذكر من التفصيل ، فى الفصل السابع من الباب الثانى فى بحثنا هذا •

وفى تلك الفترة الأولى نشأ ابن بليهد ، وبدأ ينظم الشعر عاميه وفصيحه ، على أن الشعر العامى كان الى لسانه أسبق ، وكان نظمه فيه أجود وان لم يعطه العناية فى النشر مثلما أعطى الفصيح •

أما الفترة الثانية فتبدأ بعام ١٣٤٣ هـ ، حيث تم توحيد البلاد فى دولة واحدة ، فأستقرت الأوضاع حين انتهى الصراع بين الزعماء والأمراء فشعر الناس بالطمأنينة ، فاستأنفوا العمل الجاد فى ظل الحياة الجديدة المستقرة فانتعش الاقتصاد وأخذ التعليم فى الانتشار ، وان كان فى بدايته بطيء الخطوات ، وظهرت بعض الصحف والمجلات ، كما غشيت الأفق كثير من الصحف والمجلات ، التى كانت تفد من البلاد العربية الأخرى •

ووجدت البعوث العلية طريقها الى مصر وبعض البلاد الغربية ، وبعد أعوام معدودة من بداية هذه الفترة ، أخذت الحكومة السعودية فى استقدام العلماء من الأزهر وغيره للتعليم فى المدارس ، كما بدأت فى نشر كتب التراث الاسلامى - وبخاصة كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والسير - لحسابها وتوزيعها بالمجان واهتمت الدولة كثيرا بالتجارة والزراعة والصناعة واستخراج النفط ، وتنوعت فى قوة صلات البلاد بالعالم الخارجى ، فأخذت سحب الفقر والجهل فى الانقشاع

غير أن شاعرنا كان من بحوثة وأعماله فى معزل عن كثير من ذلك فلم نلمس فيما نظم من شعره قبل سنة (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م) وهو العام الذى طبع فيه ديوانه ما يوحى بأنه قرأ لأى من شعراء العصر الحديث ، على الرغم من ظهور تأثير هؤلاء فيمن عاصره من شعراء المملكة أمثال محمد حسن عواد والشيخ محمد سرور الصبان وأمثالهما ممن قويت صلتهم بالأدب الحديث فى مصر والشام .

أما ما عثرنا عليه منسوباً له من الشعر بعد طبع الديوان ، فإن فيه روح التأثير ببعض من شعراء العصر الحديث ، وقد صرح هو بذلك فى مقدمة احدى تلك القصائد ، وهى (رحله الى حلوان) حيث قال :

قال لى أحد الاخوان : لم لا نرى فى شعرك ما نراه فى شعر الكثير من المعاصرين أمثال البارودى واحمد شوقى وابى القاسم الشابى والزهاوى والرصافى ونحوهم ؟ قلت له : مثل ماذا ؟ قال : من صور طبيعية ، وتنوع فى الموضوع ونحو ذلك .

قلت له : أما الرصافى والزهاوى فملحدان ؛ وأما البارودى وشوقى والشابى ، فسوف أعيد القراءة لمن قرأت له منهم ، وأقرأ لمن لم أقرأ له من قبل ، وإن كنت لا أميل الا للشيخ محمد عبد المطلب وأمثاله من

شعراء الأزهري ، ثم قرأت لأولئك وحاولت أن أنسج على منوالهم (١) .
وهذا اعتراف منه - رحمه الله - بالمحاكاة ، وتلك عادته في رد
الفضل الى ذويه ، وهذا مسلك المنصفين ، الذين يحرصون على
الأمانة العلمية .

لقد كان ابن بليهد ثانيا رائدين للشعر الحديث في نجد فلقد كان
يعاصر الشيخ محمد بن عثيمين ، الذي قام في جزيرة العرب مقام
البارودي بمصر ، ويأتي ابن بليهد في المرتبة الثانية بعد ابن عثيمين
من حيث النسج ومتانة الحبكة وجزالة اللفظ وحسن التألف .

أما ما امتاز به ابن بليهد من صاحبه ، فانه التنويع في الغرض
والسهولة واليسر والبعد عن الغريب ، وان كان يجلس من ابن عثيمين
مجلس التلميذ من استاذ ، فيروى عنه ويستشهد بشعره .

والآن وقد فرغنا من هذا التمهيد المجمل ، الذي أعطينا فيه صورة
مقتضبة ، عن حالة العصر والبيئة التي نشأ فيها شاعرنا ، يحسن بنا أن
نلم المامة سريعة بآراء أشهر الباحثين - من معاصري ابن بليهد - في
شعره .

ثانيا : آراء بعض الباحثين في شعر ابن بليهد :

ان مما يساعد على فهم النصوص الأدبية ، وتجلية خصائصها ،
وتبين سماتها ، الالمام بآراء المعاصرين لصاحب تلك النصوص فيها .
ولقد تناول كثير من الباحثين شعر ابن بليهد بشيء من الحديث .
وانى لأرجو أن أوفق في عرضها ، لكي يكون في ذلك ما ننشده من
الوصول الى الهدف المنشود .

رأى الشيخ حمد الجاسر :

ان الشيخ حمد الجاسر ممن عاصر ابن بليهد ، وحين التقيت به أكد لى ما بينهما من روابط وأواصر ، ابتداء بالنسب وانتهاء بالعلم والأدب ، ولقد أمدنى بأرائه فى ابن بليهد ، املاء وأوردت كل رأى فى موضعه ، وها نحن نورد هنا رأيه فى شعره ، كما أملاه على كاتبى بمنزله بالقاهرة .

وهو يعطينا صورة للكيفية التى كان بها عشاق الأدب من معاصرى ابن بليهد - يستقبلون شعره ، كما يعطينا كذلك صورة لكيفية انشاد ابن بليهد شعره ، ولا شىء غير ذلك سوى اشارة سريعة الى اكثار ابن بليهد من الضرورات فى شعره ، وأن شعره العامى أجود من الفصيح وأنه نظام أكثر منه شاعرا .

ولا نريد أن نناقش الشيخ حمد فى رأيه هذا ، حتى لا نقع فى شىء من التكرار والاعادة ، اذ أن ما أسلفناه من الحديث عن شعر ابن بليهد وما سنضيفه مستقبلا يشهد بأن لهذا الرجل فى شعره نفثات شاعرية ، قد يختلف بعضها عن البعض من حيث الجودة ، ولكنها تحمل روحا شعرية طيبة ، وتفاوت الأعمال الأدبية للاديب الواحد أمر مسلم به لا يحتاج القول فيه الى فضل حديث .

على أنى أدين للشيخ حمد بكثير من المعلومات ، التى لم يفدنى بها سواء ، وهى معلومات يجدها القارى ، فيما أوردته منسوبا اليه فى بحثنا هذا .

يقول الشيخ حمد فى حديثه عن شعر ابن بليهد (كان شدة الأدب قبل خمسين عاما فى بلادنا ، لا يعرفون من شعراء عصرهم سوى ابن سحمان وابن عثيمين وابن بليهد ، وكان ما ينظمه هؤلاء من قصائد

ينتشر لها دوى فى أنحاء البلاد ، لأنها كانت تسجل وقائع الملك عبد العزيز وانتصاراته فى حروبه ، فكانت تنشد فى المحافل والمجتمعات وكان شدة الأدب يتداولون كتابتها وحفظها ، وأذكر أننى كنت أحفظ كثيرا من شعر ابن بليهد ، كما أحفظ شيئا من شعر غيره ومما كنت أحفظه من شعره قصيدته اللامية فى غزوة بلاد عسير ، التى يقول فيها فى وصف فيصل قائد تلك الغزوة :

آليت أنى بسيرى لا أبيت به
ولا أقيم على الآبار نزالا
حتى تقول مغيد فى ديارهم
كأن فى عرصات الأرض زلزالا
سارت من العارض النجدى دولته
بالأمر تدلج أبكارا وأصالا (١)

وأحفظ قصيدته التى وصف فيها وقعة الجهرا التى يقول فيها :

قل للامام اذا أصبحت لاقية
أضحى عليك رداء العز مشتهرا
قل للسباع ولو شط المزار بها
تلقين ملحمة فى جانب الجهرا (٢)

وكان ابن بليهد - رحمه الله - له طريقة فى القاء الشعر ، هى الطريقة التى كان شعراء العرب الأقدمون يلقون بها أشعارهم ، وهو التغنى كما قال الشاعر :

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١١ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٠ .

تغن في كل شعر أنت قائله
ان الغناء لهذا الفن مزمار

وكما قال الحطيئة لما سئل عن أشعر الشعراء ، فقال : الملك الضليل
ثم أبو حزره ، ثم أنا اذا رفعت عقيرتى وعويت عواء الفيصل . كان
ابن بليهد يطيل النفس فى التغنى ، وكنت لا أعرف معنى قول النحويين
فى التمثيل لنون الترثم مع استشهادهم بقول جرير :

أقلا اللوم عاذلا والعتابا
وقولا ان أصبت لقد أصابا

لم أعرف ذلك ، الا بعد أن سمعت ابن بليهد يلقي قصيدة ويترنم
بها ، فيلحق التنوين فى آخر قوافيها .

أما قيمة شعر ابن بليهد ، فأنا لست شاعرا لكى أحكم على شعره
ولكننى ارى أن ابن بليهد شاعر ، باللغة العامية أكثر منه باللغة
الفصحى ، ويظهر أنه - رحمة الله - لم يدرس النحو .

وكانت قصائده الأولى ، يصححها له الشيخ ناصر بن سـعود ،
الملقب شويى من علماء شقراء ، وهو يستعمل الضرورة فى كثير من
أشعاره .

وقد مضى الزمن ، الذى كنت أنا وأمثالى من شدة الأدب ، نعتبر
تلك المنظومات التى نسارع الى حفظها ومجاراتها أيضا ، كنا نعتبرها
الذروة فى الشعر ، وأصبحنا الآن نراها كلاما منظوما .

كما قال أحدهم :

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده
فقل أنا نظام وما أنا شاعر

ويكفى أن شعر ابن بليهد وأشعار معاصريه ، فى تلك الحقبة كانت ذات أثر ، فيمن جاء بعدهم ممن تعاطى النظم وأراد أن يكون شاعرا ، وأكرر القول بأننى اطرب كثيرا لشعره العامى ، ورأى فيه روح شاعرية ، لأنه يصدر عن طبع لا قكلف فيه ، بخلاف نظمه باللغة العربية الفصحى .

رأى عبد القدوس الانصارى :

من الذين تحدثوا عن شعر ابن بليهد ، وأولوه شيئا من الاهتمام عبد القدوس الانصارى فى كتابه «الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر» ويبدو من حديث الشيخ عبد القدوس فى كتابه هذا ، الاهتمام باخبار ابن بليهد وآثاره ، فقد أنحى باللوم على كثير من الباحثين فى اهمالهم لأخبار هذا الرجل وآثاره (١) ، حيث لم يعثر له على ترجمة سوى ما ذكره صاحب معجم المؤلفين عمر رضا كحالة من حديث ، فيه اقتضاب وقصور وخطأ فى تسمية (٢) الديوان .

وحديث الانصارى عن شعر ابن بليهد ، على الرغم من قلة ما اطلع عليه من أخباره حديث المنصف فى الحكم المتحرى للصواب فى رأى فهو عندما عرض لخبر احدى قصائده فى الملك عبد العزيز عام (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م) قال : (ولست أدري متى بدأ ابن بليهد قريضه فى

(١) انظر «الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر» ص ٨٩ - سنة (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

(٢) مما فات الشيخ عبد القدوس الاطلاع عليه :

أ - بحث فى ٣٧ صفحة كتبه محمد الصالح الخنينى فى عام (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣) وهو موجود بمكتبة كلية الاداب جامعة الرياض مخطوط .
ب - وترجمة حسنة فى ١١ صفحة فى كتابى «الأدب الحديث فى نجد» المطبوع عام (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) ، وكان عند اعداد الشيخ لكتابه موجودا فى الاسواق وفى مكتبات الجامعات بالرياض وجده .
ج - أما ديوان ابن بليهد ، فقد علمنا أنه قد طبع عام (١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م وهو الذى سماه عمر كحالة «ابتسام» وصحته ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام ١٠ : ٢٠٥ معجم المؤلفين .

مدح عبد العزيز ، ومن أقدم ما اطلعت عليه من شعره ، القصيدة التي نشرت بجريدة أم القرى له فى (١٣٤٤ هـ) ولا بد أن له قصائد فى الملك أقدم من قصيدته تلك اذ لا يعقل أن يبلغ شعره ذلك المستوى ما لم يكن له روافد سابقة .

وقد حفلت جريدة أم القرى فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى بقصائد ابن بليهد فى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١) .

والأنصارى يرى أن شعر ابن بليهد عربى الأسلوب فى الوصف والمديح ، كما أنه يرى التقاءه مع ابن عثيمين فى المرد والمنزع ، وان كان ابن عثيمين قد يفوقه فى غزارة الشعر .

(وهو وزميله محمد بن عثيمين ، يمتحان فى شعرهما من بئر واحدة عذبة غزيرة المنابع ، ويبدو أنه ربما كان شعر ابن عثيمين أغزر مادة من شعر ابن بليهد) (٢) .

ومن أوجه التقائهما عنده ، اتفاقهما فى استعمال بعض الكلمات وأسلوب ايرادهما لبعض العبارات يقول :

(وكلمة «ابن فيصل» قد اشترك معه فى ايرادها بشعره ، محمد بن عثيمين ، الذى قال فى «لاميته» المنظومة بعد عام واحد من نظم «عينية» ابن بليهد هذه ، وهى من بحر الطويل أيضا ، قال ابن عثيمين

بأن امام المسلمين (ابن فيصل)
هو القائم الهادى بما هو فاصله

(١) الملك عبد العزيز فى مراة الشعر ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٧ .

وهذا التوافق حتى فى الصيغ والعبارات المعينة ، هو أمر يدل
دلالة واضحة على مدى تقارب تفكير الشاعرين وتلاحم أسلوبيهما •

ولعله مما يميّط لنا اللثام عن تداخل منابع شعرهما — كما المعنا
اليه أنفا — أن هذا التوافق لا يعدو أن يكون من باب «توارد الخواطر»
فالمعاني العامة كثيرا ما تتوارد فيها خواطر الشعراء •

ويعطينا ابن بليهد صورة كاملة ، لمزايا حكم ابن سعود فى مكة
المكرمة :

وكانت به (أم القرى) مطمئنة
بأمن وأهلوها سجود وركع
كان عليها حلة «عبريــــــــــــة»
تناط بأركان (أم صبح) وترفع
وأصبح باديها مقيما بنعمــــــــــــة
بعيش أنيق ، والسوائم رتــــــــع
حماها من الأعداء من كل جانب
وأمنها ، والسيف بالسيف يقرع

وكل من يقارن (لاميّه) ابن عثيمين ، و (عينية) ابن بليهد يجد أن
الشاعرين فى الشعر فرسا رهان يدل على ذلك تشابه معاني شعرهما
وأساليبهما ومناهجهما ، ومعنى ذلك أن طائرى شعرهما يطيران فى جو
واحد ، ويتغذيان من مادة واحدة ، ويترنمان بلحن واحد (١) •

(١) الملك عبد العزيز فى مراة الشعر ص ٨٨ •

رأى عبدالله بن خميس :

واذا كان الأنصارى قد أعطانا رأيا واضحا جليا فى شعر ابن بليهد الفصيح ، فان ابن خميس يقدم لنا رأيا عابرا مجملا فى أدب ابن بليهد يوحى على الرغم من اقتضابه باهتمام ابن خميس بالشعر العامى .

يقول فى تقديمه لكتاب «ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه»

(ان الشعر النبطى ، قل أن نجد من أدبائنا من يعنى به او يرفع به رأسا ، مع أنه حل محل الشعر العربى سواء بسواء ، وفيه ما فيه من ذكر الأطلال ، وبكاء الديار ، والتغنى بذكر ليلى وسعدى ، والمرور على الدمن ، وذكر الحروب ، والفخر والحماسة ، وحماية الدار . الخ

وابن بليهد شاعر نبطى ذواقة مجيد ، ويحفظ من النبط مئات القصائد ، وانك لتجد فى كتابية «صحيح الأخبار» ، وهذا - يعنى كتاب ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه - الشئ الكثير من هذا النوع استشهدا على ما يورد ، واذا أضفنا الى هذا ولع ابن بليهد بهذه الناحية وتفانيه فى سبيلها ، أدركنا مدى ما يتمتع به من قدرة كبيرة على الاجادة فى هذا الفن واتقانه (١) .

ومن رأى ابن خميس فى شعر ابن بليهد الفصيح والعامى ، مما بعث بخلاصته فى رسالة منه الى جاء منها :

(وأحب أن أضيف الى معلوماتك ، أن ابن بليهد عاش فى زمن كان الشعر فيه مقلدا ، ولم يكن فى بيئتنا من مقومات الشعر العربى الفصيح ، ما يدخل عليه عناصر التجديد ومواءمة شعر العصر .

(١) ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه - مخطوط .

والى جانب ذلك فكما تعلم يعتبر الشعر لدى علمائنا ومحيطنا الدينى
نشازا ومجافاة لخلق طالب العلم ، والى جانب ذلك فما ثم من سوق
أدبية يروج فيها الشعر ، ويشجع أربابه وتنمى فيه القرائح والملكات .

لذلك فلا غرابة اذا جاء شعر ابن بليهد الفصيح ، دون المستوى
شكلا وموضوعا ، على أن فى شعره نفحات جيدة ، تعطينا الدليل على
أن هذه الملكة لو غذيت ونميت لكان لها شأن ، من أمثال تهنئته للامير
فيصل يوم تصفية منطقة عسير التى منها :

قل قم ترقب لها تحدى مللممة

جيشا وخيلا وتحنانا وتصهالا

يقودها بطل من بيت مملكة

أزكى ربيعة أعمامه وأخوالا

ومثل قصيدته فى رثاء الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ .
وهكذا .

أما شعره العامى ، فيعتبر جيدا دون التبريز وفوق الاسفاف ، وعلى
وجه العموم فشعره العامى بالنسبة لشعره الفصيح أجود وأمكن ،
واعتقد أنكم قرأتم ديوانه (ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام ،
لتجدوا ما ذكرته لكم حسب رأى الخاص) .

هذه أمثلة من أقوال مزامنى ابن بليهد وآرائهم فى شعره ، أردنا
بإثباتها هنا اعطاء صورة لنظرة مزامنية اليه وحكمهم عليه ، لتكون
مدخلا لبحثنا فى خصائص شعره ، وان كانت فى جملتها نظرات عجلاء
لم تعتمد فى تقويمها له على الدراسة والتحليل والنظر المتقصى ،

ولكنها نظرات عابرة لا يخلو بعضها من صواب، كما لم يخل بعضها من
تحامل أو اقتضاب .

فالشيخ حمد الجاسر كان - فيما أرى - متحاملا حين حمل جميع
شعره الفصيح على النظم .

كما أن ابن خميس اقتضب الحديث عن شعره الفصيح ، وجعل
شعره العامي دون التبريز وفوق الاسفاف ، على الرغم مما كان عليه
شعره العامي من جودة .

وأقربهم الى الانصاف عبد القدوس الانصارى ، الذى كانت نظراته
لبنى شعر ابن بليهد ، مبنية على شواهد من نصوص شعره ، واستنتاج
بقضى به مستوى القصائد التى استشهد بنماذج منها .

والآن يطيب لنا أن نتحدث بشيء من التفصيل عن أهم ملامح شعره
وخصائصه ، وان شئت فقل صناعته كما يقول الاستاذ العقاد - رحمه
الله - عند حديثه عن خصائص شعر ابن الرومى (١) .

ثالثا : خصائص شعره :

وتتجلى سمات شعر ابن بليهد وخصائصه فيما يلى :

١ - تدرج شعره :

وأول ما يسترعى نظر الباحث الدارس لشعر ابن بليهد ، انه فى
لغته وأسلوبه ليس على وتيره واحدة ، ولا يجرى فى حلبة معينة ، بل
ان فيه القوى والضعيف ، والهزيل والوسط ، وأنه كلما تقدمت به

(١) ابن الرومى - حياته وشعره - عباس العقاد - مطبعة حجازى عام (١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) الطبعة الثانية .

السن نال شعره قوة ومثانة ورصانة وأن أضعفه ما نظم فى النصف الأول من حياته ، وأقواه ما نظم قبيل وفاته بعشر سنين ، وأن أوسطه ما كان بين ذلك .

ولقد كان ابن بليهد فى شبابه ، يطمح الى أن يكون من شعراء العربية المعدودين ، فكان من أجل ذلك يعالج سبيله ، ويسعى حثيثا فى التزود بأسبابه ، فأكب على القراءة والتحصيل ، وأقبل على مجالس العلماء يهتبل الفرص التى تمكنه من ذلك ، وإن لم يكن له فى تلك المجالس انتظام ، اللهم الا مجلس الشيخين ناصر بن سعود ، المقلب شويى ، وعبدالله بن عبد العزيز بن عمار ، شيخيه فى النحو واللغة والعروض .

ولما كانت البيئة من حوله لا تشجع على الشعر الفصيح لشيوع العامية فيها من ناحية ، ولقلة المرتادين لذلك السبيل من ناحية أخرى ثم اعتقاد بعضهم أنه بعيد المنال الى ما لقيه من تخذيل بعض العارفين واستصغارهم اياه عن أن ينال مثل هذا المرام .

من أجل ذلك كله تأخر نظمه للشعر الفصيح ، اذ كانت أولى محاولاته فيه بعد بلوغه سن الرابعة والعشرين من العمر . أى فى عام (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) .

ويحدثنا ابن بليهد نفسه فى مقدمة ديوانه عن ذلك ، فيقول بعد حديث عن نجاحه فى الشعر العامى من الصغر قال : (وكان هذا النجاح باعثا على بدء محاولة أخرى ، فأخذت أروى تعطشى من كتب الأدب وأخبار العرب وأبتاع الكتب بأثمانها الباهظة على قلة ذات اليد ، وأتعشق مجالسة العلماء . على ان الوسط الذى نشأت فيه كما أسلفت

لم ينتشر فيه العلم بشكل يساعد على التحصيل فكنت أهتبل سوانح
الفرص اذا اجتمعت بعالم ما لاستضىء يقبس من عرفانه (١) .

ثم أشار الى ما لقي من تخذيل وازدراء بشاعريته ، التي وان نال
منها ذلك وعاق بروزها عن أن يأتى مبكرا ، الا أنه لم يمتها ويقض
عليها ، لذا لم تكد تهزها الأحداث حتى جاءت بأولى محاولاته فى هذا
الميدان (٢) ، وحين ننظر الى القصائد التي نظمها فى السنوات الاربع
الأولى من عهد نظمه للشعر الفصيح ، نجد أنها أكثر شعره تكلفا وتعملا
وتصنعا ، وأن فيها هزالا وضعفا فى المعنى والاسلوب والتأليف ،
واعتسافا للالفاظ وارتخاء فى النظم .

خذ مثلا قوله من أول قصيدة نظمها فى سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م)

١ - فأموا بلاد المسلمين وأصبحوا
يسوون فيها للزمان مراميا

٢ - فما راغنى الا من الأمر فادح
لمحتهم رهطا على الحق رأسيا

٣ - معا الله من كانت بريحان داره

اذا كان أفعال الخبيثين راضيا

٤ - فعدتهم يا جاهلا فى حسابهم

ورى عشرة الآلاف كفرا طواغيا

٥ - فصبحهم والله من كان قصده

ليرفع فى الاسلام ما كان واهيا

(١) مقدمة الديوان ص ٧ .
(٢) مقدمة الديوان ص ٨٠٧ .

٦ - فاخواننا ثلث ولكن فعائلهم

كأفعال خدار الأسود الضواريا

٧ - لعمرى لنعم الحى فى كل معرك

إذا اشتبكت بيض الظبا والعواليا

٨ - بيوم قد استظمى به السيف والقنا

فأبا وكل منهما كان راويا (١)

أنه يخبر بأن الاعداء أموا البلاد وأنهم يحاصرونها ، ولكنه عبر عن
الحصار باصلاح اماكن الرماة واعدادها ، وأن ذلك الأمر الفادح الذى
امتحن به قومه قد راعه ، فهو يدعو على زعيم الأعداء الذى رضى
فعالهم الخبيثة ، ثم يفيد بأن عدد الجيش يزيد على عشرة آلاف ، ولكن
الملك عبد العزيز صبحهم بجيشه ، الذى لا يصل فى عدده الا الى ثلث
جيش العدو ، ولكنه فى فعله كالأسود الضاريات ، فهم نعم الرجال
حين تشتبك الأسنة والسيوف، فى يوم ظمئت فيه الى الدماء فأرووها منها

فهذه أبيات فى جملتها تشبه النظم ، انظر الأبيات من ٤ - ٧ ، هل
نجد فيها الا كلاما منظوما لا خيال فيه ولا جمال فى الصياغة والتأليف .

ثم التعبير فى البيت الثامن ، عن اشتداد عطش السيوف والرماح
الى الدماء (باستظمى) بدلا من ظمىء ، وهذا فيه ما فيه ، لأن السين
والتاء تدلان على الطلب .

ثم استعماله فى البيت الرابع (ورى عشرة الالاف) بمعنى اكثر
من عشرة الاف ، وهو استعمال لا يخلو من ضعف كما ترى .

(١) الديوان ص ١٥ ، ١٦ .

على أن الأبيات على الرغم مما فيها لا تخلو من ومضات شاعرية
وتصوير بديع ، من ذلك تعبيره عن الحصار باصلاح أماكن الرماة ،
والتعبير عن زعيم القوم بالمكان الذي فيه بيته احتقارا واستهجانا ، لبقائه
فيه بينما جيشه في ميدان الحرب .

وتسير معه أربع سنين الى الامام ، فتجده يتخلص من أكثر تلك
انقيود المصطنعة في شعره ، ويتخفف كثيرا من الألفاظ المعتسقة
المكرهة ، فيصل في شعره الى مثل هذا الاسلوب السهل المطمئن ، وان
لم يبلغ به مراقى الجودة والاتقان ، بل ان في بعض أبيات تلك القصيدة
ما هو بالنظم أشبه ، ولكن بجانبها أبيات لها نصيب وافر من الجودة
والاحكام :

١ - ما زال في الأرض للسفار أسفار

فعندنا بحديث الركب أخبار

٢ - مشيت بنا العيس من أرض القصيم وقد

يبدو لنا بركوب العيس أوطار

٣ - اذا تجوز بنا أرضا وتحملنا

الى بلاد وللاقدام أثار

٤ - قلنا نعائد أهل الوشم كلهم

وليس للاهل يوم العيد أعذار

٥ - فاستعجل الشيخ اعجالا الى بلد

بأهلها من عميم الفضل تيار

٦ - وقال نشهد عيدا في جوانبها

ويشهد العيد سادات وأخيار

- ٧ - قلنا نطيعك خيرا ما أمرت به
وأنت بالخير والمعروف أمار
- ٨ - ان فاتنا العيد اغرم ما يفوت به
والعسر يتبعه فى الدهر ايسار
- ٩ - والعيد عند هل الملقا وليس به
صبيحة النحر الا السرح والغار
- ١٠ - والناس عيدهم فى أهلهم شرف
وعيدنا من جبال الأرض أحجار
- ١١ - والشيخ ما قصرت عنا فضائله
عسى له فى نواد الخير أذكار
- ١٢ -

- ١٣ - فنحمد الله اذ عمت فضائله
على خلائقه بالفضل مدرار
- ١٤ - نقدر الأرض طولا فى مسافتها
وكان لله فى التقدير أقدار
- ١٥ - أزج المطى فان الأهل بعدهم
أهل وكان لنا عن دارنا دار
- ١٦ - فرحلة اليوم خير من اقامتنا
وفى التنقل لذات وأسرار (١)

هذه الأبيات مقدمة قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز ، بلغت

(١) ابتسامات الأيام ص ٧٠ ، ٧١ .

ثلاثين بيتا ، بينما كان نصيب الممدوح أربعة عشر بيتا ، تحدث فيها عن سفره مع ابن عمه الى الممدوح وذكر أن منطلق سفرهم كان من القصيم مارين بالوشم ، بلد الشاعر ، فالملقا ، بقرب الرياض . .

وكان يحز في نفس الشاعر ، أن يجوز بلده الوشم دون أن يبقى فيها أيام العيد ، ليقضى واجب الأهل والأحباء ، لكن ابن عمه الشيخ عبدالله رأى قضاء العيد في الرياض . فلم يمكنهم ذلك ، فقصوا العيد في جبل قرب الملقا ، حيث أقام الشيخ عبدالله - ابن عمه - وليمة العيد فيه .

ان هذه المقدمة تدلنا على تغير كبير لدى الشاعر ، وارتقاء ظاهر في اللفظ والصيغة والأسلوب ، ثم أنه لم يقف مع الناقة ولا الفياقي والقفار التي قطعها بها الى الممدوح ، كما هو شأن الكثير من المقدمات القديمة وانما عمد الى تصوير العواطف والمشاعر والاحساسات التي أثارها السفر ، الذي كان في أيام العيد فحرمه قضاء أيامه بين أهله وأحبائه ، وقصر به دون بلوغ الغاية وهي قضاء العيد في الرياض وجعله يقضيه بين الأشجار والأحجار في ذلك الجبل القريب من الملقا ولكنه قضاء الله ، فالانسان يقدر ولكن قدر الله هو النافذ .

على انه يعلل نفسه بما هو متوقع من نتائج هذه الرحلة ، ولذا فهو يرى أنها خير من الإقامة .

فشتان ما بين هذه وتلك ، فأنت تراه في الأولى يحاول الحديث عن جيش الملك عبد العزيز وجيش الشريف ، ويقصد الى ابداء ماحل به من حزن وأسى ، على تصارع الاخوان قبل تلك الوقعة - موقعة تربة - فترى قوله يعجز عن النهوض بذلك ، حتى يأتي عنده من

التداخل ما يفسد عليه أمره ، كما فى البيت الثانى ، ويقول كأنه عامل احصاء فى البيت الرابع : ان جيش العدو اكثر من عشرة الاف ، بينما جيش الملك عبد العزيز ثلث ذلك العدد .

أما الثانية ، فهى أقوى صلة بالروح الشعرية ، وأقرب الى نهج السابقين ، ثم انك ترى فى لفظها حلاوة ، وفى أسلوبها طلاوة ، وفى تأليفها من الالتحام والالتئام ما تفتقر اليه الأولى .

وفى هذا شاهد ما قلناه من تدرج شعره ، وارتقاء أساليبه وعبارات نظمـه .

حتى اذا غشى مكة المكرمة والمدينة المنورة فى عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) ومسه من الظلم والاضطهاد ما حرك مشاعره واحساساته جاء بمثل قصيدته ، التى نظمها وهو فى سجن الشريف بالمدينة المنورة ، وقد سبقت فى القصائد المحللة .

ويظل شعره يصعد فى هدوء وبطاء سلم الارتقاء ، حتى يصل الى ما نراه فى مصرياته من تجويد واحكام (١) فها هو يئن ويبكى من الام الذكريات ، ووحشة البعاد واشتداد الشوق والحنين الى الأهل والبنين .

على أنه يفتتح هذه الأبيات بالبكاء على زوجته «سارة» التى سبق أن بكأها حين وفاتها ، ثم عاد يصف ألامه وأوجاعه وأشواقه وحنينه وأنينه ، فى ابيات كلها لوعة وحرقة ووجد عارم يكاد اليأس فيها يخنق أنفاسه .

(١) انظر الفصل الثانى من الباب الرابع ، ففيه توخيت فى اختيار القصائد وترتيبها ، تمثيلها لتدرج شعره والأطوار التى مر بها ، حتى وصل الذروة فى مصرياته ، وفى مرثيته للملك عبد العزيز التى اوردنا جل أبياتها فى الصورة الأدبية فى الفصل السابق .

على طلل من دارها نسكب الدمع
ونبقى كما كنا على دربها نسعى

وقد سبقـت (١) .

وورود شعره على هذا النمط من التدرج ، لا يتنافى مع الطبع
السليم والملكة القويمة ، فمن المسلم به أن الملكات تقوى بالثقيف
والممارسة وكثرة الدراية ، والشعراء الا القليل منهم جاء شعرهم على
نحو من التدرج والارتقاء ، فى سلم الاجادة والاحكام (٢) .

ألا ترى الى قول الجر جاني عند حديثه عن الطبع والاسترسال له
عند الشاعر (ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المذهب الذى قد صقله
الأدب ، وشعذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الردىء
والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبح) (٣) .

٢ - مطالع قصائده :

حينما نتتبع مواقف السابقين من نقاد العرب ، نجد أنهم عنوا
بالمطالع عناية فائقة ، ايماناً منهم بما يتركه المطالع الجيد فى نفس
السامع من أثر ، وما يستتبعه ذلك من استمالة السامعين الى الشاعر
وما يقول ، وبالعكس المطالع الردىء فانه يصك الآذان ، ويصرف
السامعين ، وقد يجر الى الحكم على شعر الشاعر بالرفض والاستهجان

(١) انظر الطبع والصنعة . الفصل السابق .

(٢) استثنى المرحوم عباس العقاد من هذه القاعدة ابن الرومى ، الذى حكم بأن شعره
جاء على وتيرة واحدة فى قوته وجماله ، انظر «ابن الرومى حياته و
شعره» مطبعة حجازى بالقاهرة (١٣٥٧ - ١٩٣٨ م) - ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضى الجرجاني - مطبعة الحلبي ص ٢٥ .

ولذا دعا النقاد الشعراء الى بذل الجهد فى تجويد المطلع والاهتمام به ، لكى يحظى من المسامع بالاصفاء والانتباه ، ولا جدال فى أن فحول الشعراء قد تنبهوا لذلك قبل النقاد ، فوجدوا مطالعهم وتأنقوا فيها حتى جاءت مطالع بعضهم موحية بكل ما تضمنته القصيدة مما يريد الشاعر قوله .

الا ترى الى قول حسان -رضى الله عنه - فى مدح المصطفى -
عليه الصلاة والسلام - وأصحابه من المهاجرين والأنصار :

ان الذوائب من فهور اخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

كيف أوحى بمضمون القصيدة ومفهومها فى هذا المطلع الجيد .
ثم ألا ترى الى قول النابغة الذيبانى فى مطلع اعتذاريته ، التى قدمها بين يدى النعمان بن المنذر ، حين غضب عليه :

كلينى لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

كيف اشتمل من صنوف الایحاء والتعبير ما يصح به أن يوصف بأنه خلاصة القصيدة ؟ .

وقد استحسن العرب كل مطلع : وضع معناه ، وقرب تناوله ، وخلص من التكلف والتعمل والتصنع ، والغموض والابهام ، ولم يجنح الى الوعورة والاغراب ، ما لم ينحط الى السماجة والابتذال ، فكلما كان جزلا فخما شديد الأسر حسن التأليف ، قريب التناول ، كان عندهم أولى بالقبول وأحظى بالتسليم لصاحبه بالاجادة .

(والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص ،
وبعدهما الخاتمة فانها المواقف التى تستعطف أسمع الحضور
وتستميلهم الى الاصغاء) (١) .

وحين ننظر على ضوء ذلك فى مطالع ابن بليهد ، نجد أنه أخذ
نصيبا من هذا وذاك ، لقد أتى من المطالع القبيحة أو غير المستحسنة
ما يجمل به اجتنابه ، خاصة انه من الندماء المفترض فيهم أن يولوا
مثل هذه الجوانب اكبر عناية .

يأتيه خبر قدوم الملك عبد العزيز من نجد الى الحجاز ، فينظم
قصيدة يمدحه بها ، ويظهر الفرحة والاستبشار بذلك القدوم ولكن
المطلع يخونه ، انه يأتي وكأن حزنا آله وأوجعه وأسأل دموع عينه على
خده غزيرة ، لكنه يخشى الملامة والشماتة فيدارية ، او يستنجد عينه
لمداراته .

أيا عين دارى دمعى المتسكب
فرادى وطال البين للمترقب (٢)

وكان يجمل به أن يجعله مطلقا راقصا فرحا .

ويمدح الملك سعودا ويصف جيشه وانتصاراته ، فيبدأ القصيدة
بهذا المطلع الموحى بالتفرق والتمزق والبعد فيقول :

الا ان جيران العشية راحل
دعتهم دواغى البين والبين طائل (٣)

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه - ص ٤٨ - للقاضى الجرجاني - مطبعة
الجلبي .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١١٠ . (٣) ابتسامات الايام ص ١٣٦ .

غير أنك لا تكاد تجد له من المطالع الناشئة سوى هذين المطلعين •
وما خلا ذلك فمطالع ، الا تكن جيدة رائعة فهي مقبولة ، على أن
جيدها أكثر من مقبولها •

فهو يستقبل الملك عبد العزيز وابنه سعودا ، حين قدما الى الحجاز
بهذا المطلع المتفائل المرح :

لك الطائر الميمون من متقدم
بيوم حرام فى بلاد محرم (١)

كما يستقبل قدوم سعود بن عبد العزيز بقوله :
طلعت بنجم السعد ياخير وافد
نهنيك يا بن الأكرمين الأماجد (٢)
ويفتتح قصيدة فى استقباله أيضا بقوله :

بمقدمك الميمون لاح لنا السعد
وفى رأيك المحمود قد عرف الرشد (٣)
ويستقبل رجوعه من أوربا بقوله :

هذا سعود سعود لاح يطلع
على الحجاز فهل للقول مستمع (٤)

كما يستقبل قدوم الأمير فيصل الى الحجاز بقوله :
فتى السعد باد والعيون تراقبه
ولاحت على أفق الحجاز كواكبه (٥)

• (٢) ابتسامات الأيام ص ١٤٧ •

• (٤) المرجع السابق ص ١٦٥ •

• (١) ابتسامات الأيام ص ١٢٥ •

• (٣) المرجع السابق ص ١٦٢ •

• (٥) المرجع السابق ص ٢١٨ •

ونعيد النظرة فى مطالع قصائد ابن بليهد ، فنجده فى كثير منها
يشعرنا فيه بالغرض مباشرة ، بل ربما صح أن يوصف بعض تلك
المطالع بأنه خلاصة لما يفصل فى القصيدة ، خذ مثلاً قوله فى مبايعة
سعود بن عبد العزيز بولاية العهد :

ابسط يميننا نشئت فى الأجود والكرم
لبيعة عقدت فى الحل والحرم (١)

وقوله فى وصف المرضيتين والتغزل فيهما :

رأيت غزالا فى الضحى كامل الوصف
كوتنى بنار فى فؤادى وفى كتفى (٢)

ثم هو فى مطالعة هذه ، وما مائلها ، يبدأ القول بأسلوب يلفت
الانتباه ويسترعى الأسماع ، لاتيانها اما بصيغة الاستفهام ، كقوله فى
حديث السد المقام فى أعلى مكة المكرمة :

من المقيم بأمر الواحد الأحـد
معالم العدل فى الأغوار والنجد (٣)

وقوله فى الموقعة التى قتل فيها حامد بن رفادة ، وهزم جيشه ،
وكانت بجوار جبل (شار) :

هل للوغى وحمام الموت من شارى
نعم هناك بسفح الواد من شار (٤)

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٤ .

أو المبتدأ كقوله فى وقعة الروضسة :

الخلل ما حبست سبتا ولا أحدا
والله ما عذرت عند الوغى أحدا (١)

أو النداء كقوله حين سجن بالمدينة المنورة :

يا نفسى عند اكتراب الأمر لا تسلى
يمضى عليك الذى قد خط فى الأزل (٢)

أو الأمر كقوله فى الصلح بين الملك عبد العزيز وامام اليمن :

حط الرحال فهذا سيد العرب
عبد العزيز فما فى النفس من أرب (٣)

وهو فى ولوعة بذلك النوع من أساليب المطالع يذكرنا أمير الشعراء
أحمد شوقى ، الذى يقول فى مطلع قصيدته التى مدح بها الأزهر :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهر
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

والذى يقول فى الهمزية النبوية :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

٣ - بناء القصيدة على النمط القديم ، أو الوحدة العضوية :

والوحدة فى اللغة تعنى الانفراد ، والاختصاص بمزية لا توجد
فى غيره ، فهو واحد ووحيد ، ووجد وأحد ، وقد وحده ورحده (مخففا

(١) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٨ .

ومشددًا) : جعله واحدا ، وفلان نسيج وحده ، وواحد دهره ، أى لا نظير له ، وتوحد واستوحد : انفرد • وتوحد برأيه : تفرد به ، وتوحيد الله : الايمان به واحدا أحدا متوحدا سبحانه - واتحد الرجلان فى رأى : صار بينهما اتحاد فيه ، أى : أنهما التقيا فى رأى واحد •

وما يسمى فى الشعر بالوحدة العضوية ، يعنى تماسك أجزاء القصيدة وتلازمها على نحو يجعل كل جزء مترتبا على سابقه مقتضيا لللاحقة ، لا يجوز أن يفصل بينهما فاصل ، ولا أن يدخل فيهما أجنبى وهذا انما يأتى تحقيقه على وجهه الأكمل ، فى الشعر الملحمى والقصصى والمسرحى ، وأرسطو حين اوجب ذلك انما أوجبه فى هذه الأنواع ، وأخرج من هذا الحكم «الشعر الغنائى» اذ الوحدة على هذا النحو غير ملحوظة فيه ولا مطالب بها، فتعسف المتأخرين ومطالبتهم «الشعر العربى» بأن تحقق فيه هذه الوحدة ، انما هو جهل أو مغالطة قد تكون لأهداف خبيثة ، وقد يكون الدافع اليها حب التقليد ومجارة الغربيين فيما أخضعوا له أدبهم ، اذ كان قبل ظهور الغنائيين يدور فى فلك الشعر المسرحى والملحمى ، وهذا كان خاضعا لقيد الزمان والمكان والحدث ، وهذه من مقتضيات الوحدة العضوية •

أما الشعر الغنائى ، فانه لا يخضع لمثل هذه القيود ، فهو لا يرتبط بالزمان والمكان والحدث ، وانما ارتباطه : بشخص صاحبه ، وعواطفه وانفعالاته ، وميوله ورغباته •

فالشاعر الغنائى لذلك حر من هذه القيود ، له أن يطوف فى كل زمان ومكان ، وله أن يعلق بالحقيقة ، كما أن له أن يجنح الى عالم الأحلام والخيالات •

والشعر العربى كله غنائى ، ولذا فلا مجال لمفهوم الوحدة عند

اليونان والغربيين فيه (١) ، فما مفهوم الوحدة عند العرب شعراء
ونقادا ؟ •

لست أكتب كتابا فى النقد ، حتى أبسط الحديث فى مثل هذه
الموضوعات ، وانما أنا مهدها وهناك لأحاديث عن خصائص شعر
ابن بليهد ، فحسبى اذن ان ألم فى صدر كل بحث بعجالة تعطى صورة
للفكر بلا تفصيل •

لقد سار العربى منذ القدم ، على أن يسلك قصيدته فى عقد نظيم
يبدأ : بذكر المنازل والديار ، والنقلة والأسفار ، وذكر الأحبة
والراحلة ونحو ذلك ، مما تنتظمه عاطفة المرء ، وتجمعه أحاسيس
الشاعر ابن الصحراء ، ليخلص من ذلك الى غرضه من مدح أو فخر أو
نحوهما ، ولكنه يمزج ذلك كله بالحكمة والمثل ونحوها ، مما يعمل
فى النفس البشرية تجاه الحياة وتجارب الانسان معها ، وعلى ذلك
سار شعراء العرب ، حتى جاء المولدون الذين أخذوا فى مجافاة المطالع
الشعرية التى ألفها العرب ، لكنهم لم يجاهروا بالدعوة التى نبذها
بعضهم ، وانما اكتفوا باطراح تلك المطالع كصنيع بشار بن برد فى
قوله وهو يهجو السفاح :

ظل اليسار على العباس ممدود
وقلبه أبدا بالبخل معقود

-
- (١) انظر كتاب «النقد الأدبى الحديث» د • محمد غنيمى هلال - مطابع الشعب
سنة ١٩٦٤ من ص ٢١٤ الى ص ٢٢٤ •
وكتاب «قضايا النقد الأدبى الحديث» - د محمد السعدى فرهود مطبعة
زهران سنة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م من ص ٨٧ الى ص ٩٤ •
وكتاب «مذاهب النقد وقضاياها» - د • عبد الرحمن عثمان - مطابع شركة
الاعلانات الشرقية ص ١٦٠ •
وكتاب «فى النقد الأدبى» - د • شوقى ضيف - دار المعارف بمصر ص ١٥٣ •

وظلوا على ذلك حتى جاء أبو نواس ، فجاهر بحرب المطالع ، ودعا
الى تبذرها فى شعره فى مثل قوله :

صفة الطلول بلاغة القـــــــدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ويقال : أن ذلك ساء الرشيد ، فنهاه عنه فعاد يقول :
أعر شعرك الأطلال والمنزل القفسرا
فقد طالما أزرى به وصفك الخمرا

دعانى الى وصف الطلول مسلــــط
يعز علينا أن نرد له أمــــرا
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة
وان كنت قد جشمتنى مركبا وعرا

واذا كانت تلك الدعوة التى جدت ، مصاحبة للأفكار الشعوبية اد
ذاك ، قد وجدت سبيلها الى فكار الشعوبيين ومشايعهم ، فان علماء
العرب ونقادهم قد وقفوا لذلك كله بالمرصاد ، كابن قتيبة الذى عاب
على المتأخرين خروجهم عن نهج المتقدمين فى هذا (١) . كما أن فحول
الشعراء قد استهجنوا هذه النظرة الى المطالع العربية قال المتنبى :

اذا كان مدح فالنسيب المقــــدم
أكل فصيح قال شعرا متيم

على أن اطراح المطالع فى القصيد قد وجد سبيله ، حتى الى شعر
الفحول أمثال المتنبى الذى من افتتاحياته قوله :

(١) انظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة - دار المعارف بمصر ص ٧٦ .

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وكانت نظرة النقاد العرب الى وحدة القصيدة تنصب على المعانى أولا ثم الألفاظ ، وترابطها ترابطا اجماليا ، بمعنى أنهم لم يطلبوا فى القصيدة العربية ، أن تصب فى قالب يشبه القوالب القصصية وما ماثلها ، وانما دعوا الى ارتباط أولها بآخرها ، وتماثل كل بيت مع ما جاوره .

يقول ابن قتيبة : (وتتبين التكلف فى الشعر أيضا ، بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفقه ، ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذلك ؟ فقال . لأنى أقول البيت وأخاه ولانك تقول البيت وابن عمه) (١) .

وقد عالج هذا كثير من نقاد العرب أمثال ابن رشيق فى «العمدة» وابن طباطبا فى «عيار الشعر» وأبو هلال العسكري فى «الصناعتين» وغيرهم كثير .

ويذهب الحاتمي الى أن التماسك والترابط ضرورة فى القصيدة حتى تكون ابياتها منها ما يشبه الجسم المتكون من جملة أعضاء تعاونت وتآزرت فى تكوينه ، فلا يغنى أحدها عن الآخر ، ومتى فقد واحد منها خلف فى الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالمة ، وشهد لحذاق المتقدمين والمتأخرين بتحريمهم مراعاة ذلك فى شعرهم ، لتكمل سمات الحسن والجمال بعد أن يتم ما بينه من اتصال ، ولكنه خص المتأخرين بالامتياز فى ذلك (٢) .

(١) الرجوع السابق ص ٩٠ .

(٢) انظر «زهر الآداب» ٣ : ١٦ لابن اسحق الحصرى - مطبعة حجازى بمصر .

(ولم يأخذ النقاد العرب رأى «الحاتمي» بما ينبغي له من الشرح والمعالجة ، وكأنهم اكتفوا بقراءته «فأبو هلال العسكري» اكتفى من المعنى أن يكون صوابا ، واشترط جودة اللفظ وبهائه ، وصحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف «والمرزوقي» دعا الى لزوم طريقة العرب فى شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته والاصابة فى الوصف ، فاذا توفرت هذه الأصول بلغ الشعر المرتبة السامية من البلاغة ، وكثرت فيه سوائر الأمثال وشوارد الأبيات و ابن رشيق طالب بالحفاظ على بنية البيت ، الا أنه تقدم خطوة نتلمس فيها الوحدة الفنية ، حين أوصى ان تتلاحم الأبيات وينسق بعضها على بعض ، واعترض على بناء القصيدة التقليدى ، فرأه غير ضرورى للمحدثين ، لأنه بناء أوجبه طبيعة الجاهلية) (١) .

وكما عنى الشعراء والنقاد العرب بمطالع قصيدهم ومقدماتها ، عنوا كذلك بحسن الانتقال من غرض الى غرض ومن معنى الى معنى وهو ما يسمونه بحسن الانتقال .

كما عنوا بالخاتمة (المقطع) لكونها آخر ما يسمعه السامع . فاجادتها تجعل اخر ما يستقر فى سمعه جيدا ، فاذا حسن المطلع والمقطع ، صار أمكن فى النفس واكثر استمالة ، لكونه أول واخر ما يسمع السامع (٢) ، وانكار وحدة القصيدة العربية ، انما كان لبعض

(١) «قضايا النقد الادبى» - د . محمد السعدى فرهود ص ٩٣ .

(٢) انظر فى الموضوع الكتب الآتية :

«النقد الأدبى الحديث» د . محمد غنيمى هلال مطابع الشعب سنة ١٩٦٤ م .

«قضايا النقد الأدبى» د . محمد السعدى فرهود مطبعة زهران سنة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

« مذاهب النقد وقضاياها » د . عبدالرحمن عثمان مطابع شركة الاعلانات الشرقية .

« اسس النقد الأدبى » د . احمد محمد بدوى مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م .

« الأسس الجمالية فى النقد » عزالدين اسماعيل دار الفكر العربى سنة ١٩٥٥ م من ص ١٩٣ الى ٢٠١ .

المفتونين بالأدب الأوروبي وفي مثلهم يقول الدكتور طه حسين :
(وتفكك قصيدة العربية ، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية دون
المعنى ، أسطورة من هذه الأساطير ، التي أنشأها الافتتان بالأدب
الأوروبي الحديث ، والقصور عن تذوق الأدب العربي القديم) (١) •

وحين ننظر في القصيدة عند ابن بليهد على ضوء ما عرفناه ، نجد
أنه لم يخرج عما رسمه الناقدون والشعراء العرب الأقدمون للقصيدة
العربية ولم يقصر دون هذه الرسوم ، اللهم الا في الاقلال من النسيب الذي
اعتاض منه في الكثير من قصائده ، بحمد الله والثناء عليه ، والشهادة
بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم الصلاة على النبي -
صلى الله عليه وسلم - كقوله :

لك الحمد يا من للمحامد مأهل
وشكر جزيل والرضا منك أجزل
لك الحمد يا منان يا سامك السما
تضمن أحكام البرايا ومنزل
كتابا أبان الحق حتى كأنه
سناء أضاء الليل والليل أيل
كتابا أبان الحق من كل باطل
يبلغه عبد الى الناس مرسل
شهدت بأن الله لا رب غيره
قدير بأحكام البرية يعدل

(١) حديث الأربعاء د • طه حسين ص ٣٠ مطبعة الحلبي •

وأن ختام الأنبياء محمد
له سنة مثل النهار تفصل

محبتة حق وانى أحبه
محبة نصح لاجفاء ولا غل (١)

ولم ينسب إلا فى قصائد معدودة ، جاء فيها النسب عربيا صرفا لا يفصله عن العصور الأولى ، سوى أن ناظمه فى عصرنا هذا •

خذ مثلا فى مطلع قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز فيبدؤها بهذا
النسب الجميل :

أهاجك من ذاك الحمام الترنم
لأنك مشغوف الفؤاد متيم (٢)

ثم انه بينما يتنكب المقدمات فيأخذ فى الغرض مباشرة ، وجل مطالعه من هذا كقوله فى مدح الملك عبد العزيز ، ووصف انتصار جيشه يوم تربه سنة ١٣٣٧ هـ :

بسمر القنا والمرهفات القواضب
تنال العلا والعز أعلى المراتب (٣)

وقوله فى مدح الملك عبد العزيز وقد بعث الى أهل الحائط كتابا يدعوهم فيه الى السمع والطاعة ، وكان ابن بليهد فى الحائط لغرض الاتجار ، فطلب منه أهلها ان يكون وسيطا فى الصلح بينهم وبين الملك عبد العزيز فقال :

-
- (١) ابتسامات الأيام ص ٢١ •
(٢) سبق هذا المطلع كاملا فى الطبع والصنعة الفصل السابق فانظره هناك •
(٣) ابتسامات الأيام ص ١٨ •

متى لكم عندى مقام ومطلب فكيف غريب الدار للدار يرهب (١٨)

وهذا نهج ألفناه لدى شعراء العرب - فى العصر العباسى - الذين كثيرا ما تجافوا عن المقدمات واذا كان ابن بليهد قد سار فى بناء القصيدة على النمط القديم ، فصار يجمع فى القصيدة الواحدة اكثر من غرض ، فمن نسيب الى مدح الى حكم الى فخر فحماسه وهكذا ، فما ذاك الا لأن رسالته فى تجديد الشعر هى البعث والاحياء ، وانشاط الفن الشعرى من عقاله بعد أن انهكته عصور الانحطاط ، وبعد ان فهمه بعض معاصريه وبعض من وليهم ، على أنه الكلام الموزون المقفى وحسب ، فجاء ابن بليهد وأستاذه ابن عثيمين ليعيدا للشعر حيويته ونشاطه وان كان ذلك بقدر ، ولكنه بعث للشعر على أى حال .

ومن هنا لا يصح أن نطالب ابن بليهد بأكثر مما جاء به ، ولا أن نحاسبه الحساب الذى نحاسب به من أتى بعده ، ولا أن نزن شعره بالمعايير التى نزن بها شعر المعاصرين ، بل نحاسبه بالمعايير التى بها فهم معاصروه الشعر .

وحينئذ نقول بارتياح : ان ابن بليهد كان من رجال البعث الجديد للشعر العربى القديم ، ثم هو يحيا حياة عربية محافظة ، اذا جدت فى شىء فانما هو تجديد فى اطار المفاهيم العربية ، القديمة ولم يقصر دون ذلك ، بل أتى بما يعد بدعا فى زمانه ، اذ لم تكن آمال أبناء عصره تطمح الى أكثر من هذا ، وهل أدل على ريادته فى التجديد ، من أنه جانب نظم العلوم والفنون والمسائل الدينية ، ولم يزحمها فى شعره ؟ كما هو شأن بعض معاصريه .

وحين ينتقل من المقدمة نسيبا كانت أو حمدا ، يخلص الى غرضه على أحسن ما يكون حسن التخلص . . خذ مثلا قوله حين أراد أن يخلص من النسيب الى ذم أعداء الملك عبد العزيز ، ذلك الذم الذى يخلص منه فيما بعد الى مدحه :

عنى نأى الحى لا أرجو مواصلة
كما نأت فرقة الباغين وانقلبوا (١)

ويقول فى مثل هذا الغرض أيضا :

فضل الوحش معتكفا عليها
تألفت الجأذر والنعام

كما ائتلف العدا من كل فج
بحمد الله ألفها الامام (٢)

فأنت تراه يأتى بالمشبه فى المقدمة ، والمشبه به فى الغرض الذى انتقل اليه ، ففى الاول شبه ابتعاد الحى بتولى الباغين وفرارهم ، وفى الثانى شبه ائتلاف الوحش فى أطلال ديار الاحبة بعد اقبارهما منهم ، بائتلاف الاعداء وتأخيرهم فى ظل حكم الملك عبد العزيز . أما المقطع والختام ، فانه عنده على قسمين :

أولهما : أن يعقب المقطع الصلاة على النبى - عليه الصلاة والسلام - وذلك كثير فى شعره سواء أكان مدحا أم رثاء أم غيرهما خلا الغزل ، لانه قول لا يليق أن يقرن به اسم المصطفى عليه الصلاة والسلام .

(١) ابتسامات الأيام ص ٤٨ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٥ .

ومثال ذلك قوله مادحا الملك عبد العزيز :

لما رأيت ديار العز طالعة

أرضا تباعد عن سكانها العار

ثم الصلاة على الهادى وشيعته

ما دام لليل اقبال وادبار

ما طافت العين فى كل الديار وما

غنى على جنبات الدوح أطيّار (١)

وثانيهما : أن يأتى المقطع ولاشئ بعده ، كقوله مادحا الملك عبد
العزيز ومشيرا الى أن مدحه لال سعود ، انما كان منشأ الحب الذى
أملاه وأوجبه عليه الدين ، لانهم حماته ولانهم يدافعون بسيوفهم
الظلم والغدر والجور :

أحبهم ديننا لأن سيوفهم

تقوم ميل الفادرين وتعـدل (٢)

واذا اعتبرنا الصلاة على النبى من قبيل التزيد طلبا للخير والبركة،
وأن ذلك خارج عن صلب الموضوع ، فاننا نجد المقطع عتده يأتى حكمة
كقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز وذم أعدائه :

وخير الناس من ختمت بخير

له الاعمال ان كشف الختام (٣)

وقوله من قصيدة يهنئ بها أمير الأحساء عبدالله بن جلوى بفتح

« حائل » :

(١) ابتسامات الأيام ص ٧١ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٠٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ .

العمر ينفد والايام باقية

لكل نفس وان طال المدى أجل (١)

أو نصحا وارشادا ، كقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز
ووصف وقعة تربة :

وكن شاكرًا لله فى كل حالة

ليكفيك المولى جميع النوائب (٢)

وقوله من قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز ، وحته على الثأر
لسريره بالروضة من أعمال (حائل) ، التى قتلها أمير حائل محمد بن
طلال :

واسأل الهك لاتسأل سواه فما

يغنى عن الخالق المخلوق فى الطلب (٣)

وقوله من قصيدة يهنئ فيها الملك عبد العزيز بانتصار جيشه الذى
قاده الى (أبها) ابنه فيصل :

وأشكر الهك وأحمده وكن فطنا

فيما أمرت وكن فى الحكم عادلا (٤)

وقد يكون غير هذا وذاك ، فيأتى وكأنه خلاصة ما قيل فى القصيدة،
من ذلك مقطع رده على من هجا الملك عبد العزيز وجيشه ، حيث قال
ابن بليهد : —

(١) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٣) ابتسامات الأيام ص ٤٧ .

(٤) ابتسامات الأيام ص ٢١٤ .

لا تعضوا بالالسن العرب

يوم عضتكم الرهاف العضاب

انها عند معترك الخيل

كلما ضاقت المخارج باب (١)

ومن ذلك مقطع احدى تهنئاته للملك عبد العزيز قد ختمها بقوله :

اشرب هنيئاً فماء العز شربكم

وشرب ضدكم فى الذل والندم

ويشكو من فراق الامير فيصل بن عبد العزيز ، فيأتى مقطع تلك القصيدة على هذا النحو الموحى بكل ما فى نفسه ، من ألم وحسرة على فراق ذلك الامير :

فيا سائلا عنا فان قلوبنا

جميع وأرواح الاحبة تلتقى (٢)

ومهما يكن من أمر ، فان مقاطع ابن بليهد فى جملتها مقبولة لاغبار عليها ، تأتى قوية الحبك جزلة على نحو ما طالب به نقاد العرب الشعراء وأمثلة ذلك واضحة لنا فيما مر .

٤ - طول القصائد :

وفيما يسترعى انتباه الدارس لشعر الرجل ، أنك لا تعثر على المقطعات والابيات ، وانما جل قصائده مطولات ، ولايستثنى من ذلك سوى ست قصائد ، تتراوح ما بين ثمانية الى ستة عشر بيتا ، واذا كان

(١) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٤ .

طول نفس الشاعر فى القصيد ، وارتياحه للمد فيه دليلا على طاقته الشعرية واسترواحه فيما يصدر منه ، فان صاحبنا فى ذلك مـنـ المقدمين وفى شعر المديح يعمد للاطالة قضاء لحق الممدوح عليه ، واكبارا لشأنه وحفاوة به ، واطهارا لعنايته بارضائه .

وقد يشعر بالتقصير ، فيحاول أن يتداركه بمثل قوله من قصيدة استنهض فيها الملك عبد العزيز لقتال الثالوث ، الذى تكون من جيوش انشريف ، وابن صباح ، وابن رشيد لقتال الملك عبد العزيز :

وهذا اجتهاد من مقل ولم يكن

يضمن باظهار القريض ويبخل (١)

غير أن حبه للاطالة كثيرا ما أوقعه فى التكرار ، وأمثلة ذلك تكثر عنده فى شعر المديح ، حيث يسترسل فيه ، ويستقصى المعانى التى بثبت حسننها للممدوح ، وينفى عنه قبيحها ليلصقها بأعدائه شأن المادحين ، وذلك ما أوصحناء فى حديث عن الاغراض (٢) .

٥ - ظهور ثقافته فى شعره .

تتعدد ثقافة الشاعر فيظهر فى شعره صدى تلك الثقافات ، قد يغلب عليه فيفسد شعره ، وقد يأتى بقدر فلا يظهر ذلك بصورة تؤخذ عليه ، وقد يتعادل تأثيرها فلا يكون فى ذلك ما يعاب على الشاعر ، وقد يغلب فرع من فروع الثقافة فيكون ذلك موضع ملاحظة .

وفى شعراء العربية المجيدين من برزت ثقافتهم فى نتاجهم الادبى كأبى الوليد بن زيدون .

(١) ابتسامات الأيام ص ٢٤ .

(٢) انظر الفصل الثانى من الباب الثالث .

واذا شئنا أن نعرض لهذا في شعر ابن بليهد ، فانا واجدون لثقافته التاريخية غلبة على سائر أنواع الثقافات ، ذلك لما ضمنه شعره من أحداث تاريخية ، وأسماء رجال كان لهم شأن في التاريخ .

ويبدو أنه كان يرتاح لمثل هذا ويلذ له بدليل ، أنه كان يعتمد الى ايضاحه بالتهميشات .

خذ مثلاً هذه الابيات من احدى قصائده في ولي العهد :

لقد عرفته الناس بالحلم والتقى
كما عرفت بالحلم أحنفها سعد

أقمت كتاب الله والسنة التي
توالت على تأييد صاحبها الازد

فلو علم الشيخان أد ويعرب
بأنك من عدنان ما سمحت اد (١)

فقد أشار في الاول الى (الاحنف بن قيس) الذي اشتهر بالحلم ،
وقبيلته بنو سعد وهم بطن من تميم .

وفي الثاني : أشار للانصار الذين نصرُوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لانهم من الازد .

وفي الثالث (اد ويعرب ، بطنان من بطون اليمن من العرب العرباء)
ولم ينس الشاعر أن يذكر هذه الاشارات في هوامش الابيات ليبدل
عليها ، وربما ليبدل بها وبما يعرفه من التاريخ ، وعلى كل فان صنيعة
هذا يكشف عن لون ثقافته .

(١) ابتسامات الأيام ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

ثم اقرأ قوله فى مدح الملك سعود بن عبد العزيز :

حنت اليك حنين الجذع والتفتت
شوقا لرؤيتك الاعناق والمقل (١)

ويقصد كما أشار هو « الجذع الذى كان يخطب عليه رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — فلما تركه وصعد المنبر حن ، فوضع رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — يده عليه ، فسكت » والصورة جيدة
مع هذه الإشارة التاريخية الفريدة ، وقد يقحم ابن بليهد ثقافتـه
التاريخية فى شعره ، كما صنع بقصة موسى — عليه السلام — مع
فرعون التى زج بها فى إحدى مدائحه للملك عبد العزيز ، فبعد عشرين
بيتا فى المدح قال فى وصف جهاده :

هذا الجهاد فلا والله ننكره
فلا يقوم به الا الذى صبرا

على الظما والحفا والطعن بينهم
والنصر ينزله المولى لمن نصرا (٢)

ثم سرد فى اقتضاب قصة موسى — عليه السلام — مع فرعون فى هذه
الابيات :

قد سر بالقول عبد حين قال له
انى قريب لديكم أسمع وأرى
فحمل الله موسى حين كلمه
أمرا يقربه من كان معتبرا

(١) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٩ .

فتابعته على ما قال طائفة
على طريقته قاموا بما أمرا
مشت اليهم من الأمصار قائدهم
فرعون يقدمهم للكفر منتصرا
لما استضاقت بنو الاسلام وازدحمت
البحر حاجزهم والكافرون ورا
فلا مفر ولا ملجأ سوى فرج
من الذى نزل الايات والسورا
أوحى الاله الى موسى وقال له
ارفع عصاك اذا وأضرب بها البحرا
وأسلك طريقا وللسلاك بعدكم
بحر اذا سكنت أمواجه زخرا
ماتوا جميعا وبعد الموت ان لهم
نارا تذيب فى أكنافها الحجرا
ان الدلائل فى التنزيل واضحة
فى النزاعات وفى الاعراف والشعرا (١)
وورود ذلك فى شعره يشبه أن يكون أمرا عاديا ، اذا نحن أخذنا
نوع ثقافته واختصاصه بعين الاعتبار ، اذ هو محدود فى عدد
الباحثين ، فى تاريخ جزيرة العرب المحققين للاماكن والبقاع بها .

(١) يشير بهذا الى ما ورد من اخبار موسى - عليه السلام - مع فرعون فى السور
الثلاث ، سورة الاعراف الاية من ١٠٣ - ١٣٨ ، وسورة الشعراء الاية من ١٠
- ٦٨ ، وسورة النازعات من الاية ١٥ - ٢٦ ، وليس هذا كل ما ورد فى
القرآن الكريم من اخبار موسى - عليه السلام - مع فرعون فهناك الكثير من
السور لم يشر اليها مثل سورة البقرة ، وسورة طه وسورة القصص وغيرها

٦ - التصنع :

حديثنا هنا عن التصنع ، وهو التكلف ومخالفة الطبع وحمل الكلام على غير طبيعته

أما الطبع والصنعة ، فهو حديث آخر سلف •

والتصنع هو أن تكره الكلمة على موقعها ، وأن تحمل عليها فوق طاقتها من المعانى والافكار ، أو أن توغل فى المحسنات البديعية ، وتفتعل التصوير الادبى ، فيأتى الكلام على غير سبيله ، ومن هنا ينتج خلاف المقصود •

وقد فرق العلماء بين (الصنعة والتصنع) فجعلوا الصنعة التهذيب والتجويد والتحليك ، وأما التصنع فعلى نحو ما أسلفنا •

على أن بعض العلماء خلط بين الامرين ، وذلك ما أوضحناه فى حديث الصنعة سلفا •

وانما هدفنا هنا ، هو الكشف عن مدى تأثر (ابن بليهد) بعصره وأساليبه الشائعة فيه اذ ذاك •

فلقد كان ابن بليهد يعيش فى عصر ، كان التصنع والتكلف سمة شعرائه ، الذين كان منهم الشيخ سليمان بن سحمان وأمثاله ، وكان طبيعيا أن ينهج ابن بليهد مثل هذا المنهج ، أو يظهر ذلك فى الكثير من شعره ، لكن الذى حدث هو العكس من ذلك ، فلقد علمنا أن ابن بليهد كان تقليديا فى جل شعره ، اللهم الا ما نظمه بعد رحلته الى مصر عام (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)

وهو - قياسا على سائر شعره - قليل ، الا أنه يشكل قدرا لا بأس به فهو جدير بأن يأخذ بعض العناية والاهتمام عند اعطاء أى حكم على

شعر الرجل ، ومع انه يعد في الشعراء المقلدين ، الذين أهم سمات شعرهم شيوع المحسنات البديعية ونحوها ، من مظاهر التصنع والتكلف الاخرى ، الا أن قارئ شعره يخرج بنتيجة تخالف ما يتوقعه أول صحبته للديوان ، اذ أنه كلما تقدم معه في شعره الى الامام وجد آثار التصنع والتكلف تضعف ، حتى تكاد تختفى من شعره ، وذلك لان الرجل يصدر عن طبع وينسج على سجيته ، لا يتكلف البديع ولا يتصنع المحسنات ، وما ورد من ذلك في قصائده الاولى كما أسلفنا كان قليلا جاء على نحو قوله :

غوى غاوى أغوى من الترك عصبية

على شر حال واستذل البواديا (١)

وتتابع المشتقات من مادة واحدة ، لا يخلو من تكلف وثقل واستكراه ومنه قوله :

فغر هزيلا ، فى المصارع صرعوا

وأغوى بنى سفيان يوم التواثب (٢)

وقد يفضى به التكلف والتصنع الى هذا النحو من التكرار ، الذى حملته عليه المبالغة فى مدح الممدوح :

الخير خيركم فى كل ناحية

والفضل فضلكم فى الأرض قد حمدا (٣)

ومن مظاهر التصنع لدى أهل عصره ، تسجيل سنوات الاحداث بالشعر ، اما عن طريق الحروف الابدعية ، أو ألفاظ الارقام الحسابية .

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٧ .

وفى تتبعى لشعر ابن بليهد ، لم أجد فيه من ذلك سوى بيت واحد ،
أرخ فيه لفتح جدة عام (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م) :

ثلاث مئين فوقها ألف حجة

مع الاربعين ان ذا العام رابع (١)

كما لم يعمد الى المعارضات لقصائد السابقين أو المعاصرين له ،
الهم الا فى قصيدته (عيون المها) التى لم يحوها الديوان ، أو آخر
حلوانيته التى لم يحوها الديوان أيضا ، فان الاولى كانت معارضة
لقصيدة على بن الجهم (الرصافية) وآخر الثانية تلوح فيه روح
ابن زيدون (وقد سلفت فى الصورة الادبية) ، وماعدا ذلك فان ابن
بليهد يبدو فى شعره بعيدا عن المعارضات والنسج على مثال
سابق .

٧ - كثرة الوصف :

لقد أكثر ابن بليهد فى شعره من الوصف ، ولكنه كان يأتى ممزقا ،
أعنى أنه لا يعمد الى لم شمله فى قطعة مستقلة ، بل يأتى به مفرقا
بين أبياته ، ثم أن وصف ابن بليهد فى جملته وتفصيله وصف البدوى
القديم ، لا يتجاوز فيه مألوفاته التى عرفها فى بيئته ، فهو وصف
للصحراء وجبالها ، ووديانها ووعرها وسهولها ، ومرتفعاتها ووهادها
ونجادها ، ووصف للقفار والفيافي وما يجتازه بها ، كالناقة التى
أطال فى وصفها ، لانها هى كل شئ فى حياته ، ولانها وسيلته فى
الاسفار وسائر أسباب المعيشة ، فلا ضير عليه اذا ان هو أطال فى
وصفها ، حتى لا تكاد تجد له قصيدة خلت من ذلك ، كقوله فى وصف

(١) المرجع السابق ص ٩٩ .

ناقته بالعظم والضخامة وبالشدة ، وانها آمون نعمت برعى النبت
ابناعم الطرى الاخضر ، الذى نما فى واردات وواديها الذى باكره
الوسمى فسامت فيه سنين حتى انمحي عن وبرها أثر الرحل ، فهو
بقربها لتقطع به المسافة الى المدوح ، حيث لا يستطيع ذلك سواها من
الابل ، لان المسافة بعيدة والمعالم مطموسة ، حتى الليل غاب عنه
انقمر ، حتى اذا استوحشت وحت وعدها بقرب الفرج ، حين
ابوصول الى المدوح وهو الملك عبد العزيز :

وانم القتود على وجنى عذافرة

قد استطاب لديها الناعم الخضر (١)

بواردات وواديها وناعمها

أندى نبات من الوسمى مبتكر

سامت سنين خلين ماشقين بها

حتى تطاير عن أكتافها الوبر

اذا الركاب براها الاين وانطمست

عنها الكواكب والاكام والقمر

لما تراجعت التحنان قلت لها

لا تسأمين فان الامر مشتهر (٢)

(١) القتود : اداة الرحل أو جميعها (اللسان ٤ : ٣٤٠)
وجنى : نقاقة ، وجناء أى تامة الخلق غليظة لحم الوجنة صلبة شديدة مشتقة من
الوجين ، التى هى الأرض الصلبة أو الحجارة (اللسان ١٧ : ٣٣٤)
العذافرة : الناقة الشديدة الأمانة الوثيقة الظهيرة وهى الأمون (اللسان ٦ :
٢٣٠) .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٣ .

فأنت تراه قد رسم لك صورة ناقته قوية ضخمة قد امتلأت من رعى الربيع ، حتى ارتفع وبرها فوق أكتافها ، وذلك غاية ما ينشده الواصف ، اذ ليس من الضروري عندهم أن يذكر الواصف جميع صفات الموصوف ، وانما يكفي أن يذكر أشهرها على نحو يجعلك تحس الموصوف من خلال الكلمات ، كأنما هو نصب عينيك ، يقول أبو هلال العسكري :

(وينبغي أن تعرف أن أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك ، وذلك مثل قول الشماخ في نباله :

خلت غير آثار الراجيل ترتمي
تقعقع في الاباط منها وفاضها

فهذا البيت يصور لك هرولة الرجاله ، ووافاضها في آباطها تقعقع (١) ثم هو يصف ما عاشه من أحوال : كالسفر ، والحرب وأدوات ذلك من سيف ، ورمح ، ودرع *

كقوله من قصيدة في مدح الملك عبد العزيز :

يزول عنها الاذى جهرا اذا ضحكت

بيض الصوارم بين البيض واليلب (٢)

وفي قصيدة مدح بها الامير فيصل بن عبد العزيز ، يصف الجيش في كثرته وقوته واندفاعه ، ويشبهه بالوادي الذي اكتظ بالسيول ، فصار يقتلع ما يعترضه من شجر وينفيه على جنباته :

(١) الصناعتين . لأبي هلال العسكري - تحقيق أبو الفضل والبجاوي - مطبعة

الجلبي (١٩٥٢ م) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٩١ .

إذا أتوا مثل سيل الواد ملتطما

ينفى على جلته الطلح والضالا (١)

ومن قصيدة أخرى فى مدح الملك عبد العزيز ، يصف حركة جيشه فى كثرته وسرعته وقوته التى كأنما يهز بها الارض .

وضمرا عوجيات اذا جذبت

كأنها فوق ظهر الارض زلزالا (٢)

(وهنا ينبغى لنا : أن نقرر أن النقاد العرب اطمأنوا الى أن للعرب فى تشبيهاتهم طرائق شتى : فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به حركة وبطئا وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض ، فاذا اتفق فى الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به (٣) -

أما منجزات العصر الحديث ، كالسيارة ، والطيارة ، والكهرباء ، والراديو ، والمبرق (اللاسلكى) والهاتف ونحوه ، فانه قد صدف عنها وزن كان وصف بعضا من ذلك ، فانه وصف قليل من ناحية ، ومن ناحية أخرى جاء مقتضيا فى جملة .

لقد وصف القطار فى ستة ابيات من قصيدته الحلوانية وقد سبقت فى الاغراض ، كما وصف الطائرة فى اربعة ابيات من قصيدته حنين ،

(١) ابتسامات الأيام ص ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٤ .

(٣) « نصوص نقدية » للدكتور محمد السعدى فرهود - دار الطباعة المحمدية (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) ص ١٧٤ .

فشبه مقودها بزمام الفرس فى يد الفارس ، كما شبهها بالفرس السبوح
وفى صورة اخرى يشبهها بالطير وهو يجتاز الافاق ، ويشبه السحاب
من تحتها بمطية امتطتها الطائرة حيث يقول :

بذات زمام فى يمين مدرب
سبوح كأن ليست بذات حراك
يطوف بها الافاق كالطير سابحا
ويركب متن السحب قرب سماك
ويطوى بنا الاميال ليس بخائف
فسيرى وبالتوفيق ربى حماك
ولا تعجلى ان فوق دار محمد
سبحت ففيها لو عقلت هداك (١)

أما الكهرباء ، فانه لم يتحدث عنها الا فى شطر واحد فقط من
البيت :

علينا اليد البيضاء له مستمرة
تضىء كضوء الكهرباء المعلق (٢)

وهو من قصيدة نظمها فى التشوق الى الامير فيصل بن عبدالعزيز ،
حين رحل عنه الشاعر من الحجاز الى نجد ، او فى قصيدتيه الغزليتين ،
اللتين نظمهما فى المرضتين ، حيث قال فى الاولى :

فأما التى بالكتف تذكى بكهرب
وهايك تذكى بالملاحة واللف (٣)

(١) أوراق مخطوطة .

(٢) ابتسامات الأيام ص ٢٣٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

وقال فى الثانية :

اذا دعوناك فاهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهريا خبر

.....

.....

فى ركبتيك ترى للكهرباء أثرا
يطير للقلب من جرائه شرر (١)

على ان وصفه كما تراه لا يتجاوز فى جملة الظواهر والمحسوسات
الى المعنويات .

واذا كان ذلك الوصف قد كثر لديه ، فما ذاك الا لأن طبيعة الحياة
البدوية او الريفية تقتضى ذلك ، وابن بلهيد عاش جل حياته بين البدو
وسكان القرى ، وفى مثل تلك البيئة يقول الاستاذ العقاد :

(لا بد أن نستحضر فى خلدنا بعدما أسلفنا ، أن أهل البداوة والريف
أكثر تشبيها بطبيعة معيشتهم من الحضريين ولا سيما المحدثين ، لأن
الاشياء المحسوسة عندهم أقل من الاشياء المتخيلة أو الغائبة ، ولأن
التفرس والتوسم وانعام النظر عندهم حاجة من حاجات الحياة بين
الجبال والصحارى والسهول ، فى الاقامة والسفر ، والغزو والدفاع ،
ومعرفة الأنساب ، وتمييز فضائل الحيوان ، فاذا كثرت التشبيهات فى
كلامهم أحيانا فذلك سببه الأصل وليس سببه (التشبيه لمحض التشبيه)
... أى أنهم يصدرون عن الطبيعة والوعى الصادق فى تشبيهاتهم ، ولا
يصدرن عن رغبة مختلقة أو صناعة مموهة) (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٢٧٤ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى « - عباس العقاد - دار الهلال سنة
(١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م) ص ٥٨ .

ونحن نعلم أن تلك كانت سمة شعراء العرب السابقين ، فلا جناح عليه اذن ان هو جاراهم وسار فى الخط الذى ساروا فيه ، لأنهم مثله الذى يحتذيه ، وينسج على منواله •

أما وصفه : للدمن ، والديار الدوارس ، فتلك سنة جرى عليها السائرون من الشعراء على نهج العرب الاقدمين ، ألا ترى ان البارودى وهو رائد الشعر الحديث ، قد أكثر من ذلك فى شعره ، ومع هذا سلم له الناقدون بائزعامه والريادة فى سبيل الشعر •

على أن وقوف ابن بليهد بالدمن والاطلال كان قليلا ، اذا ما قيس بمعاصريه من أمثال الشيخ محمد بن عثيمين ، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما •

٨ - كثرة المدح :

واذا كان ابن بليهد قد أكثر من المدح ، حتى غلب على أكثر شعره الذى حواه الديوان (١) ، فانه فى مدحه قليل التعلق بالحسيات ، وان كان قد يشبه بمدوحه حيناً بالجبل ، كقوله فى قصيدة فى مدح الملك عبد العزيز :

وأنت أثبت من ثهلان منفردا

فى خطة الحرب أو فى المسلك الصعب (٢)

او البدر والشمس ، كقوله من قصيدة يمدح فيها ولى العهد سعود بن عبد العزيز :

(١) استثناء لما عثرت عليه من شعره الذى لم يحوه الديوان ، وعدد قصائده سبع

عشرة قصيدة ، ليس فيها من المدح سوى ثلاث •

(٢) ابتسامات الأيام ص ١٩٢ •

هذا سعود بدأ بالسعد طالعـه

كالبدر والشمس أو كالشامخ العلم (١)

ولكنه في هذا القليل ، لم يكن يقصد فيه لا الوسامة ولا الضخامة وانما يعنى أموراً معنوية كعلو الهمة وثبات العزيمة ، ونحو ذلك ، مما استهدفه فحول الشعراء منذ القديم ، وان كانت الصورة حسية .

أما المدح بالوسامة والجمال وتاج الملك ونحوه، فنادر عنده لا يتجاوز أبياتاً معدودة .

منها قوله من قصيدة يمدح بها ولي العهد سعود :

هم الفتية الغر الذين وجوههم
عناق فتستشفى بها الاعين الرمد (٢)

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز :

وكان بالتاج تاج الملك معتصبا
أخو المكارم لا عى ولا وكل (٣)

أما ما عني به كثيرا وتخلل مدحه جملة وتفصيلا : فالشجاعة ،
والبأس ، والكرم ، والجود ، والحسب والنسب ، والحزم ، والحلم ،
والعدل ونحو ذلك ، من المعاني النفسية التي هي هدف المادحين ، ووسيلتهم
في تفضيل المدوحين ، واجلاء سماتهم وخصائصهم .

ومما يؤكد عليه ابن بلهيد: التقى والعفة ، ونصرة الدين، والتفانى فى سبيله ، وقد اوردنا لذلك كله ، فى حديثنا عن فن المدح عنده من

(١) ابتسامات الأيام ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٦١ .

الشواهد ما يغنى عن ايراد نماذج هنا ، ثم ان جميع قصائده - خلاقصائد معدودة - مملوءة بشواهد ذلك ، وفي الرجوع الى ما حللناه من نصوص أو كان موضوع موازنة بينه وبين آخرين ، ما يكفى فى ذلك ويشفى .

وأجل وأسمى مامدح به الممدوحين من صفات : هى أنهم حماة الدين ، وأنصار الاسلام ، وبهم نشر لواء الامن والسلام .

ولاشك ان تلك الصفات تتطلب الحديث ، عن أدوات الشجاعة والرياسة والريادة ، من نحو الخيل والدرع والسيف ، والرمح ، عند الحديث عن الشجاعة ، وهكذا فى الصفات الأخرى التى يمتدح بها .

٩ - أساليبه :

يصادف الأديب حدثا من أحداث الحياة ، أو حالة من حالات النفس البشرية ، يكون نتيجة وضع من الاوضاع العامة ، أو الخاصة فينفعل به أو يتلقاه غير مبال به ، وقد يقتضى الحال النابع من نفس الأديب أو من وضع خارجي ، أن يؤدي الأديب دوره فى التعبير عن هذا والتجاوب معه ، قضاء لحق نفسى فردى أو واجب جماعى .

وكل واحد من هذين الموقفين لدى الأديب - الايجابى والسلبى - ينعكس صداه على النفس ويبرز مظهره وأثره ، فيما يؤدي به ذلك من ألفاظ وتراكيب .

من هنا يمكننا أن نتبين أثر الأوضاع ، والاحداث على نفس الشاعر من خلال الفاظه وتراكيبه ، وما يستتبعه ذلك من صور أدبية وخيالات .

فالموقف الايجابى يجعل الأديب يستجيب للموضوع وينفعل به ، فتنقاد نفسه اليه وتطاوعه كلماته وتسابقها تعبيراته ، الى تصوير ذلك

وابراز ذلك الشعور ، الذى سيطر عليه وتملك احساساته ومشاعره •

من هنا نجد ان الكلمات عنده : تأتى طرية مرحة ان كان غزلا أو مدحا ، باكية حزينة ان كان رثاء أو حبا معقدا أو محروما ، غاضبة مكفهرة قد امتلأت بموجات السخط ، وشحنت بالعنف، والغضب أو التهكم والسخرية ان كان هجاء ، وعارمة مندفعة تقودها الجرأة ، وتدفعها الرغبة وتقويها العزة والاباء ان كان حماسة ، وهكذا •

أما اذا كان موقف الأديب سلبيا ، وكانت الاوضاع تفرض عليه التجاوز والمشاركة مع ذلك الحدث الذى لم يجد سبيله ، الى نفسه فان الاديب حينئذ يكون كالصانع الذى أكره على عمل ، قد يدفعه دافع الى محاولة التأنق والاتقان ، فيجيد نوع اجادة هى على أى حال اجادة المتكلف المتصنع، أو يؤدى الامر لمجرد أن يقال انه شارك أو عمل ، وحينئذ يكون عمله أوهى من سابقه تجيء الظلال فيه باهته وتموت فيه الكلمات على الشفاه •

من هنا نجد أن الانفعال هو الاساس الاول للاجادة ، وأن اللفة والاساليب أداة طيعة فى يد الاديب ، متى طاوعته انفعالاته ومشاعره واحساساته ، التى تدفع بالذوق الادبى والخيال الشعرى الى الامام ، لتؤدى دورها الجمالى فى أسلوب الشاعر •

والثقافة اللغوية والادبية أمر اساسى ، فى الاجادة ، فكلما اتسعت دائرة الثقافة ، قويت أسباب الاجادة والوصول بالعمل الادبى الى الـمـنـزلة •

وعلى ضوء ذلك ، نتناول أسلوب الشعر عند ابن بليهد ، بالتمثيل والايضاح والايماء الى الاسباب والمسببات :

أ - ان أول ما يقابلك من سمات شعره ، تلك السهولة فى المآخذ
واليسر فى التناول خذ مثلاً مطلع هذه القصيدة ، التى نظمها فى توديع
الملك عبد العزيز عند سفره من الحجاز الى نجد ، شكا وتألم فيه من
فراق الملك عبد العزيز ، ولكنه تعزى ببقاء ابنه فيصل فى الحجاز:

أهاجتك دار أم أهاجك منزل
كأنك بالبين المشت موكل
فخل من بكت عيناك من ساكن الحمى
تراعى طريق المنجدين وتهمل
كانك بعد الظاعنين عشية
كثير الجنايا بالحديد مكل
فللبين لمات اذا انشقت العصا
تقارع لولا أننى أتجمل
دع الهم والتذكار عنا فما لنا
بأدنى قرى البحرين أهل ومأهل
وعرج على البيت الحرام وطف به
كما طاف فيه الخاضع المتذل
ولا تنظر الركبان عند رحيلهم
ففى عرضها للناس منأى ومرحل
فضلت مقيما بالحجاز واننى
لراض بما يرضى الأمير المجل
إذا غاب عن أم القرى ابن فيصل
أقام بها والحمد لله فيصل (١)

(١) ابتسامات الأيام ص ١٠٧ .

فأنت تراه سهلاً ميسوراً ، لا يحتاج قارئه الى تعب وعناء ، وإطالة في التفكير كي يفهم عنه ما يريد ، وهذا من اوضح الدلائل على أنه يصدر عن نحو من الطبع وينظم على السجية ، اذ أنه كما يخرج من فم الشاعر تتلقاه أذن السامع ، وفهم القارئ ، وأخص الناقد الذواقه .

وأثر الانفعال ، وتجاوب الشاعر والاحساسات ، والقدرة على تصوير ذلك كله بعد صبه في قوالب طاوع فيها اللفظ المعنى ، فجاء صورة لما اعتمل في نفس الشاعر كل ذلك واضح في أبياته لا يحتاج الى دليل .

فبعد ان كشف لك مافى نفسه من حسرة وألم ، من خلال تساؤله في البيت الاول ، وأمره نفسه بمتابعة الطاعنين بعينه الهامية دموعها ، ثم تشبيهه وقد ملك الحزن عليه نفسه بمن كبل بالقيود ، يأتيك بتفسير أسباب ذلك كله في البيت الرابع ، وأن البين قد فجعه ، فألامه تقارعه لكن التجلد والتجلد هو الذي يحفظ عليه أمره .

فانظر كيف آخى بين الالفاظ وواعم بين التراكيب ، ثم انظر كيف كان اختياره للكلمات القادرة على التعبير ، عن طريق ابرازها في صورة أدبية ، فيها من روعة الجمال وبهاء الجلال ، ما يجعلك تسلم له بالجودة وتحكم له بالصدق والابداع الفنى ، فى التعبير والتصوير .

واذا شئت مزيدا يوضح لك قرب معانيه ، وسهولة تراكيبه ودنو الفاظه ، على نحو بعيد عن التعقيد أو الغموض أو الخفاء ، فاقراً قوله من قصيدة نظمها وهو يتوقع قدوم الملك عبد العزيز من نجد الى الحجاز:

كَأَن فَوَادَى حِينَ طَالَ بِهِ النَّوَى

الى نجد مذهب به كل مذهب

إذا جن من ليل التمام ظلامه
وبت أراعى كوكبا بعد كوكب
فيالك من عين كأن بجفنها
قتادا وقلب هائم متشعب
أعلل نفسى بالمنى ، ان فى المنى
رجاء قدوم النازح المتغيب
لفتنا لنهـج المنجدين رقابنا
كما أشرفت أبصارنا كل مرقب
وان جاء ركب من ربنا نجد قادما
فقد طابت الانبياء للمتطلب (١)

فانظر الى هذا القلب الذى أوقعه فراق الاحباب فى حاله من الحيرة
حتى كأنما تنازعته الأسباب من هنا وهناك ، فلم يعد قادرا على تبين
أمره ، ثم انظر الى تلك العين التى كأنما حشيت بشوك القتاد، حين
يجن الليل وتتعلق بمراعاة النجوم، فتتراءى لها عيوننا تطل على الاحباب
وهكذا تلتئم كلماته وتألف عباراته على هذا النحو الرائع البديع .

ب - واذا كان ابن بليهد قد وصل بشعره الى هذه المرتبة المرضية،
التى مثلت لنا فى كثير من شعره ، فلقد وقع له : ردء القول ، وركيك
التعبير ، وهزيل الخيال ، مما يؤاخذ به أدبه ويعاب به شعره .

فلقد أتى فى اساليبه بما يشبه كلام العامة وسذج الدهماء، وكقوله
من قصيده فى مدح ولى العهد سعود بن عبد العزيز :

(١) ابتسامات الأيام ص ١١٠ .

أحرزت من عشرها تسعا وواحدة
كفيت شر العمى والعمى والشلل (١)
وقوله في قصيده في مدح الأمير فيصل بن عبد العزيز :
كفيت الردى والسوء والشر والاذى
وحاطت بمن يهوى رداك الزلازل (٢)

وما أظننى مبالغا لو قلت : ان هذين البيتين يذكراننى بما يقوله
الوافنون على الطرقات وأبواب المساجد ، يستدرون صدقات المتصدقين
ويسوق الابيات حيناً وكأنه يحكى حديث مجالس سمر ومقاه ، ليس فيه
روح الشعر ولامتانة اللغة والاسلوب ، أو كأنه حديث يساق فى
رسالة لا فى قصيدة .

خذ مثلاً حديثه عن وصول خبر مسيرة الملك عبد العزيز الى اعدائه
وانه وصل اليه مع الركبان الحاملين الكتب :

فجاءنا منكم ركب وقلت لهم
متى يسير الامام أيها الركب ؟
فأخبروا ويقين العلم متضح
من بعد ما فللت من طيها الكتب
من ركن داركم تمشى على عجل
فلو جذبت جميع الناس تنجذب (٣)

ويسوق المعانى الفخمة حيناً فى أساليب لا تتلاءم معها ، بل تأتى
على نحو يدنو كثيراً مما ورد فى المثال السابق ، فمثلاً بينما يريد أن

-
- (١) ابتسامات الايام ص ١٤٠ .
(٢) ابتسامات الايام ص ٢٣٩ .
(٣) ابتسامات الايام ص ٢٩ .

يعبر عن دحر الباغين وطردهم ، حتى انكشف الكرب وعم الأمن وان
المدوح كريم وجود بنفائس المال ، اذ ينتقل فجأة الى الحديث عن الحرب
والاستعداد لها ، فيعبر عن ذلك فى ثلاثة أبيات متوالية من احدى قصائده
فى مدح الملك عبد العزيز :

نفا من أرضه الباغين طــــرا
ولاح النور وانكشف الظــــلام
وأزجى المكرمات من الســــبايا
خلاف الحيل زينها الســــنام
لايام الجهاد نهضن يومــــا
ونار الحرب حل بها اضطرار (١)

ونعلم ان الكريم لا يبلغ غاية الكرم ، الا اذا جاد فى حالى العسر
واليسر ، كما قال زهير :

يمينا لنعم السيدان وجدتمــــا
على كل حال من ســــحيل ومبرم

ولكن ابن بليهد فى أحد أبياته يمدح المدوح بأنه وجود اذا كان
مقتدرا ، الا اذا تمحلنا وقلنا انه يؤكد اقتداره :

قرينه المجد والمعروف يعرفه
سمح بذول كريم وهو مقتدر (٢)

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .
(٢) ابتسامات الايام ص ٣٤ .

بل قد يأتى بما هو أقبح فى بابه ، فيمدح الممدوح بأنه يبعث
الى الاحياء ، طالبا ما يطيقون دفعه له من مالهم ، والفضل انما يكون فى
الاعطاء لا فى الطلب ، وليس يشفع فى ذلك واقع الامر وحقيقته . .

وأن بعثت الى حى بطاقتة

فلا يرد سوى المعروف مجتهدا

كفاه ماضمت فيها وما نظرت

عيناه فامتألت مما بها وجدا (١)

غير أنه لم ينفرد بذلك من بين الشعراء ، فان أبا الطيب المتنبى
على ماله من قدر فى الشعر ، وصف النقاد شعره أنه كبساط
الملوك يقع فيه النوى والذهب ، فاذا كان ذلك شأن شعر المتنبى وهو
من هو فى تجويد الشعر واحكام نسجه ، فكيف بمثل صاحبنا ؟ على
أن أخطاء البعض لاتسوغ أخطاء اخرين ، لكنه الشئ بالشئ يذكر ،
وحديث الفنون ذو شجون .

فبشار بن برد الذى يقول :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى

وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

اذا الملك الجبار صعر خده

مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٧ .

هو القائل :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت

والبحترى الذى يقول :

أناك الربيع الطلق يخال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
أوائل ورد كن بالامس نوما

هو الذى يقول :

فؤادى منك ملآن
وسرى فىك اعلان
وأنت الحسن لو كان
وراء الحسن احسان

١٠ - الالفاظ :

والحديث عن الالفاظ يرتبط عادة بالصورة الادبية والصنعة ،
وفى الفصل السابق اسلفنا فى هذا مايحسن الرجوع اليه ، ولكن
البحث يفرض علينا أن نوميء هنا الى لغة ابن بليهد فى شعره والفاظه
فيه ..

اننا حين ننظر في لفظه، لا نجد سوى كل لفظ دنا مأخذه، ووضحت دلالته،
 وقليلًا ما تعثر على اللفظ الغريب، مما يدل على أنه كان يتعمد
 البعد عن غريب اللغة، فينتقى الفاظه مما هو متداول غير مبتذل،
 حتى أنه إذا سبق إلى لسانه شيء من هذا، عمد إلى التعليق عليه
 وشرحه في الهامش، من ذلك كلمة (النجم) لما صغر من النبات في
 قوله :

أقوت مراقبها لم يبق بعدهم
 لدى المنازل إلا النجم والشجر (١)

(وكالصفائح والدرر) التي هي حذاء الخيل ومساميرها في
 قوله :

يقي السنايك عن حزن وفي سهل
 صم الصفائح اذ تلوى بها الدرر (٢)

(وكالبيض واليلب) في قوله يمدح جيش الملك عبد العزيز
 بالشجاعة، وانهم بشجاعتهم لا يضعون في الحرب غطاء على رؤوسهم
 ولا يلبسون الدروع، وانما يتخذون من سيوفهم أجنة :

قوم حصونهم بيض مهندة
 وليس فوقهم بيض ولا يلب (٣)

و (كالزجل) بمعنى البحر في قوله :
 وأزعج الفرس من جاورت أرضهم :
 رعب ونال الأمان البر والزجل (٤)

(٢) ابتسامات الأيام ص ٣٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٤ .

(١) ابتسامات الأيام ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٥١ .

لذا نجد ان أسلوبه ولغته اقرب الى مدرسة أبي العتاهيه (١)
- ان صح التعبير - لم ينهج مانهجه معاصروه من تكلف كالشيخ
سليمان بن سحمان أو اغراب كما هو شأن الشيخ محمد بن عثيمين ،
وانما كان وسطا في اللغة والاسلوب ، على الرغم من انه ينظر الى ابن
عثيمين نظرة الاجلال ، ولا يصفه الا بالشاعر الكبير ، بل انه لم يشر الى
أحد من معاصريه من الشعراء سواه لا بدم ولا ثناء .

ولكن تكون الصورة عن ألفاظه أوضح ، نتناول نماذج من نظمه
في أول عهده بالشعر ، وفي اخريات أيامه .

نشرت أم القرى (٢) قصيده لابن بليهد ، في مدح الملك عبد
العزيز جاء في مطلعها :

يا بن الاولي وبنوك الفتية الصيد
تقابل السعد في مرآك والعيد

على جبينك تاج العز مرتفع
له رواق من الاسلام معقود

قد يعلم الناس من عرب ومن عجم
ان المجن له سيف وتوحيد

كما تقول بنو (نجد) الكرام : فما
تحمى التويم (٣) من الاعداء الجلاميد

فدم سليما كما ألبستنا حللا
أما تألف فيه الشاء والسيد

(١) من حيث السهولة واليسر في الألفاظ والعبارات والأساليب ، ومن حيث

جريان الشعر على اللسان بلا تعمل ولا تحمل وإطالة تفكير .

(٢) العدد ٣٢٤ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٤٩ هـ . باسم ابن عمه عثمان بن بليهد .

(٣) التويم : الفرس الشديد السريع الجري .

ننظر الى ألفاظ هذه الابيات ، فلا نرى فيها لفظا جاء فى غير موضعه ، أو استعمل على وجه لا يحسن استعماله فيه ، فهو فى البيت الاول يخاطب الملك بالاشارة الى آبائه ، اشارة تحمل كل معانى الاكبار والاجلال ، والمدح والثناء ثم يمتدح أبناءه بأنهم فتية كالاسود ، ليخلص من ذلك الى الاخبار بأن مرأى الملك كالعيد ، فما بالك وقد اجتمعا معا فى يوم واحد ، فكان يوم سعد ، ثم يمدح الملك يتألق التاج على جبينه ، لكنه ليس تاج الملك ، وانما هو تاج العز الذى ألبسه اياه الاسلام الذى قام الملك لنصرته ونشر تعاليمه ، ثم يزيد قوله ايضا حا بالقول بأنه من المعلوم أن تآزر الدين والقوة هو مصدر العز ، ويقوى هذا برواية المثل السائر على ألسن أهل تلك البلاد (الجلاميد لاتحمى التويم من الاعداء) ، ثم يدعو له بأن يبقى سليما لما تم على يده من أمن سارت الشاء فيه الى جانب الذئب ، لاتهابه ولا يجرؤ على افتراسها •

فانظر كيف استطاع ان يتخير الكلمات ، ويحسن التأليف بينها حتى استطاع ان يأتى بمثل هذه الصياغة ، التى جمعت الى قوة اللفظ وفخامته ، متانة الاسلوب وجزالته ، ثم أنظر كيف جعلها تقوم بهذه المعانى الجليلة السامية ، على نحو جمع : اشراق الديباجه ، وعمق الدلالة ، وقوة التعبير ، ووضوح البيان فى بلاغة وايجاز •

لننظر الى البيت الاول ، حيث جمع فيه مدح الممدوح وبنيه ، مع افراد الممدوح بالشطر الثانى ، وهكذا بقية الابيات فى لفظها واسلوبها وتصويرها •

ولو تحسنا ألفاظه لما وجدنا فيها الا ما هو مقدم فى هذا الباب ، حتى كلمة التاج لم يرض الا أن يجعله تاج العز ، الذى ألبسه الاسلام الممدوح ، فهو اذن من المعانى الشريفة ، وليس داخلا فى باب الحسيات ، التى لم يستحسنها نقاد العرب •

وشبيه بهذا قوله من قصيدة يمدح بها الملك عبد العزيز :

أسد على الخيل لم تغمد سيوفهم
يوم القتال وفي وقت الندى ديم
قوم على منهج المختار منهجهم
بلا خلاف على الحق الذى علموا
تلك المكارم لافخر ابن مارية (١)

عمرو ولا مكرمات شادها هرم (٢)
ان ما يقال فى النص السالف لفظا وأسلوبا وبيانا ، يقال فى هذا ، فلقد
جمع للمدوحين فى الشطر الاول الشجاعة والكرم ، ثم نوى منهجهم الى منهج
الاسلام ، ونفى عنهم الخلاف عليه ، وتوج ذلك بتفضيل مكارمهم على
مكارم العرب الاقدمين .
وننظر فيما قال فى اخر حياته ، فنجد أسلوبه فى انتقاء اللفاظ ،
لا يبعد كثيرا عن منهجه فيما أسلفنا ، وان كان هناك تجديد ففى
الغرض والاسلوب . .

لنقرأ من احدى مصرياته قوله :
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليله
على رملة بين الجوا وقنان ؟
وهل أعملن شمالاة وسط فدغد
يصاب بها الخريت بالغثيان ؟
ويا ليت شعرى أين رمحى وصارمى ؟
وأين مجنى المصطفى وحصانى ؟

(١) هو عمرو بن عامر بن حارثة وأمه ماريه ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبه بن
جفنه واليها نسب .

أنظر «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لابی الحسن على بن الحسين . المسعودى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٣٦٦ سنة ١٩٦٦ - شركة
الاعلانات الشرقية مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع .

(٢) العدد ٨٥ صحيفة أم القرى ٢ محرم سنة ١٣٤٥ هـ .

وأين الليالى المسفرات بموطنى
وأين ضياء الصبح ذو اللمعان ؟

وأين قفارا توحش الطير سكنة
بها لم أكن اخشى من الحدثان ؟
أرى ذكريات الامس تهتاج خاطرى
وترهق منى القلب بالخفقان (١)

لقد هاجت الذكريات مشاعره واحساساته ، فاشتد به الحنين
الى بلاده ، فنظم شيئاً من حلو ذكرياته أيام أن كان يجوب الصحراء ،
ويطوى الفيافي والقفار على ناقته التى تجوز به قفارا اذاغشيتها الخريت
فنظر فى اتساعها وانطماس المعالم فيها ، خبثت نفسه واصيب
بالغثيان ، فأين تلك الايام التى كان فيها يفترش الرمال فى مبيته تحت
أضواء القمر ، ليستقبل بعد انجلاء الليل لمعان الصبح الجميل المشرق
على تلك القفار ، التى يوحش سكونها الطير ، فيغشاها هو غير هباب
ولا وجل ؟

انها ذكريات تشده الى موطنه ، وما كان يستخدمه فى اسفاره ،
والحروب التى كان يشارك فيها ، من سيف ورمح ودرع وحصان .

واذا نحن نظرنا الى الالفاظ التى استخدمها فى هذه الابيات ، لم
نجد سوى اللفظ المنتقى المتخير ، المستمد من البيئة التى أوحى بهذه
الابيات ، ولو تلمسنا مواضع الكلمات لوجدنا ان كل لفظ جاء فى
موضعه منقادا دون اعتساف أو أكراه ، ثم ان فى كل كلمة من الايحاء
والدلالة على مشاعر الشاعر وانفعالاته مالا تستطيع توفيره كلمة

(١) أوراق مخطوطة .

أخرى ، وما كان ليتأنى له ذلك لولا ماتحلى به من حسن اختيار الكلمات ،
والقدرة على تبين أسرار الفاظه حين نظمها •

وشبيه بذلك قوله فى مطلع احدى مصرياته :

يالائح البرق تحت المدجن الهامى
ياعيون السما فى أفقها السامى

ويانسيم الصبا من أرضنا خفقت
أنسامه فى الفؤاد المدنف الدامى

رفقا فنفسى بها من بعدها فرق
وفى الحنايا جحيم جمرها حامى (١)

انك لتسمع فى أبياته أنين فؤاده وهو يشكو من البعاد ، ويحن الى
الاهل والديار ، وترى صورة البيئة تلوح فيها ، على الرغم من كونه حين
نظمها فى بلاد لايعنيها لمعان البرق تحت السحاب الممطر ، ولا يهتاج
مشاعر واحساسات ابنائها لعدم ارتباطه بحياتهم • •

ثم ننظر فى الالفاظ ، فنراها ألفاظا عذبة سائغة لها طلاوة وحلاوة ،
تستميل السمع وتستهوئ المشاعر ، ثم هى فى ائتلافها غاية فى الجودة
والاحكام ، تماثل فى انسجامها وتآلفها ما عرفناه فيما اسلفناه من
أمثلة • •

وخلاصة القول فى هذا ، أنه لم يجعل من الالفاظ وانتقائها شغلا
يشغله عن التفكير فى المعانى ، الا بقدر مايساعده على تطويع المعنى
واخضاعه لما يريد ، حتى يخيل لقارئ شعره أنه يرتجل ارتجالا لما

يحسه فيه من سلاسة وطواعية وانقياد ووضوح ، لم يكدره التعقيد والخفاء ، ولم يعقه التقعر والاغراب .

تلك جولة جسنا فيها خلال شعر ابن بليهد ، وتلمسنا فيها مواطن ابداعه ، ومنافذ ضعفه ثم أثبتنا ماله وما عليه ، دون انتقاص ، أو تزيد ، أو تحامل ، أو تغافل ، أو حمل للامور ، على غير محاملها ، وانما جعلنا النصوص دعائم الاحكام ، لتكون خير شاهد على مانقول وليشاركنا قارئ بحثنا هذا فى الحكم له أو عليه ولو أننى جاريت المفتونين بشعره ونثره ، المتفننين فى الثناء عليه واطرائه لقلت فيه مثلاً قال الشيخ ابراهيم (١) بن صالح بن عيسى حين قرأ أولى محاولات ابن بليهد فى الشعر الفصيح بعد ان بعث بها اليه شاعرنا فلقد بعث الشيخ ابراهيم الى ابن بليهد برسالة قال فيها :

(من ابراهيم بن صالح بن عيسى الى حضرة الاديــــــــــــــــب اللوذعى الهمام الحبيب محمد بن عبدالله بن بليهد ولما

(١) الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى من ١٢٧٠ هـ الى ١٣٤٣ هـ - ١٨٥٣ م الى ١٩٢٤ م .

ولد بأشقر من إقليم الوشم بنجد ، وتوفى بمدينة عنيزه بالقصيم .
درس على جملة من علماء نجد منهم ابن عمه الشيخ احمد بن عيسى ثم تنقل فى كثير من البلدان طالب العلم فزار الاحساء بشرق المملكة ثم الزبير والبصرة بالعراق ومد أسباب رحلاته الى الهند .

له مؤلفات فى التاريخ والتراجم منها : « عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى أواخر القرن الثالث عشر ، وأول القرن الرابع عشر » جعله ذيلاً لكتاب بعنوان « المجد فى تاريخ نجد لعثمان بن بشر » .

وكان جل اقامته فى أشقر التى جلس فيها لطلاب العلم زمناً تلقى فيه على يده العلم كثير من العلماء الذين كان يدرس لهم التفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو ، وكان له ولوع بالأدب العربى القديم وبخاصة كتاب الأغاني والمقامات للبديع والحريرى .

أمعنت النظر فى المنظومة المذكورة وجدتها بديعة المعانى لطيفة
المباني ، فقلت لله درقريحة أبرزتها وفكرة هذبتها ونقحتها ، فلا فض
فوك ، وأبعد الله من يجفوك ، فلو رآها الحريرى ، وتأمل نظمها
البديع لعلم ان الضالع لا يبلغ شأو الضليع ، ولو لمحها القاضى الفاضل
لعلم كيف سبقه الافاضل (١) •

(١) علماء نجد خلال ستة قرون - تأليف الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح
البسام ج ٣ ص ٨٠٨ - مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ •

(الخاتمة)

والان وقد فرغنا من دراسة حياة وآثار أحد رجال الطليعة ، ورائد من رواد الادب والبحث والتأليف فى بلادنا ، نضع القلم ونحن على ثقة واطمئنان من وجوه :

أولها : أنا كشفنا القناع عن جهود هذا الرجل ، واسهامه فى حركة البعث والاحياء لتراث الاباء والاسلاف ، فنشط العقول وحرك الاقلام ودفع بهم أبناء هذا الجيل الى استكمال مابدأه واختط سبيله فى ميدان الادب والبحث والتأليف .

وثانيهما : أنا نفضنا غيار النسيان عن آثاره ببحثنا هذا ، الذى جمع شمل ماتفرق منها فى دراسة قلنا فيها مانعتقد أنه الحق ، دون تزيد ولا انتقاص .

وثالثها : أنا أضفنا ببحثنا هذا لبنة فى صرح ثقافتنا العربية الاصيلية ، التى اتخذت من التراث العربى منطلقا ومستمدا ، لكيان حديث يلتقى فيه جلال الماضى واصالته ، برونق الحديث وطلاوته ، على نحو لاجسود فيه ولا تطرف .

ورابعها : أنى بهذا البحث رجوت أن أنصف رجلا هضمه مزامنوه ومن بعدهم من المثقفين ، فتجاقت عن سبيل الحديث عنه وعن مؤلفاته وتراثه اقلامهم ، حتى جهل سيرته منهم الرواد ، وكان أخرى بهم ألا يجهلوه .

وكان فيما خرجت به فى هذا البحث من نتائج مايلى :

١- أن ابن بليهد كان أول من درس الاماكن الواردة فى أشعار العرب ، وبخاصة المعلقة العشر ، دراسة جغرافية تطبيقية ، حدد فيها الاماكن والبقاع ناظرا فى ذلك الى أقوال الاقدمين باثبات صحيحها ورد خطئها مع التدليل ، مثبتا ماجد عليها من تغير أو تبدل ، فى بحوث يمكن أن تسمى بـ (الجغرافيا الادبية) .

٢ - أنه كان من طلائع المؤلفين والمحققين ، والكاتبين فى بلادنا ، وأنه ترك لنا فى ذلك ثلاثة مؤلفات : (صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ، وماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، وتحقيقه صفه جزيرة العرب للهمدانى) وهى آثار جمة النفع كثيرة الفائدة ، لا يستغنى عنها الباحثون .

٣ - أنه كان من طلائع الشعراء فى نجد ، وهؤلاء كان شـدادة الادب يحتذون حذوهم ويقلدون أشعارهم ، وأنه فى ذلك كان ثالث ثلاثة هم : ابن عثيمين ، وابن بليهد ، وابن سحمان .

٤- أن شعر ابن بليهد كان سجلا لاحداث عصره ، وصورة واقعية لبيئته ومجتمعه ، كما كان سجلا لعواطفه ومشاعره واحساساته ، وقارىء بحثنا يخرج بصورة كاملة عن جوانب حياة ذلك المجتمع .

٥ - أنه كان ذا ملكة شعرية راسخة ذات قبول للتطور والارتقاء ، كما يشهد بذلك تدرج شعره كما أسلفنا .

٦ - أنه كان من المجددين فى الشعر ، الا ان تجديده كان فى العودة بالشعر الى مناهج الاقدمين وأساليبهم .

٧ - وأنه حين أقبل على احتذاء السابقين ، لم تذب شخصيته فى

شخصياتهم ، ولم يأت شعره ترديدا لاقوالهم أو تقليدا ، الا فى قليل
درسناه وابدينا الرأى فيه • (واذا كنت قد بذلت فى هذا البحث جهدا
ليس بالقليل ، ولم أبخل عليه بوقت أو مال ، ولم أسمح لنفسى بالراحة
حتى فرغت منه فانى أحمد الله أولا على ذلك ، ثم أثنى على أستاذى الاستاذ
الدكتور محمد السعدى فرهود بما هو أهله من نبيل وفضل وكرم وحسن توجيه ،
وما أوسع لى فى مجلسه ولبحثى فى صدره وعلمه ، وتلك صفات
العلماء المخلصين • •

(والحمد لله أولا وآخرا • وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله
محمد وعلى آله وصحبه وسلم) •

— ملحق ، بالقصائد التى لم يحوها الديوان (١) —

فى صدر الفصل الاول من الباب الثالث من هذا البحث ، أشرت —
فى عرض لشعر ابن بليهد — الى ما عثرت عليه من قصائد لم يحوها
الديوان ، ومن هذه القصائد ماوردت كاملة فى الموازنات والتحليل (٢)
ومنها ما استشهدنا ببيت أو أكثر منها •

واتماما لفائدة البحث ، وحفظا لشعر الرجل ، ولم شمل ما تفرق
منه ، آثرت أن أذيل بحثى هذا بملحق يحتوى على نصوص تلك
القصائد • •

على أنى أورد هذه النصوص مجردة من التحليل والتعليق ، اذ
سبق فى بحثنا ما يغنى عنه ، ثم ان الهدف من هذا الملحق هو
حفظ ما لم يرد ذكره فى البحث من شعره الذى لم يحوه الديوان •
وسيكون ترتيبها حسب القوافى • •

(١) هذا الملحق خاص بالشعر الفصيح

(٢) انظر الباب الرابع •

(القصائد التى لم يحوها الديوان)

١ - فى مرثية ابن بليهد للملك عبد العزيز ورد بيتان ، قال انه
افتتح النظم بهما فلم تعجبه القافيه فعدل عنها ، وهما :

سل العلا والنهى والجود والادبا

وسائل السمحة الغراء والكتبا

وسائل الشمس مابل الضياء غدا

فى منظر العين ليل يفقد الشها

٢ - أنا والذئب (١) :

قال ابن بليهد :

بت ليلة فى بيداء مقفرة فأقبل على الذئب وقد اشعلت نارى
وطرحت صيدى بجانبها وقمت أصلى وناقتى معقولة أمامى وبعد
فراغى من الصلاة لاحظت أن الذئب قد هم بى فألقيت اليه بعض
اللحم ثم خشيت ان هو ذاقه ألا يتركنى وتلك عادة معروفة لدى
الذئاب فسحبت اللحم فكأنى قد استشرته فأخذ يبدى من الحركات
مايسبق انقضاضه فى العادة فغافلته وقتلته ثم أسرع فى انضاج
شوائى وحملته بين يدى لاكل منه على ظهر ناقتى ثم أسرع اليها
فأطلقت عتالها وهربت من المكان لان الذئاب حين تشم رائحة
صاحبها ستسرع للانتقام وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة :

وذئب جسور الخطو غير مجرب
 لفعلى ولم تمسه بعد قناتى
 وقد غره منى سكوتى وأننى
 من البرد قد لفت على عباتى
 فأقبل كالمختال يمشى مجرجرا
 أتاه المنى فى مقفر الفلوات
 فلى نظرة منها وأخرى لناقتى
 أمامى وقد أوثقتها بحباتى
 وقد قمت للرحمن ربه مصليا
 فأمهلى حتى قضيت صلاتى
 هو الله لم يمكنه منى بسجدة
 ونارى من خلفى اشد حماتى
 بقدرته حتى قضيت عبادتى
 وأدريت منى صارمى وعصاتى
 وقلت له يا ذئب انى وناقتى
 عليك حرام فاقنعن بهباتى
 سأطعم من صيدى واعطيك بعضه
 وان أنت لم تشبع رميت فتاتى

اليك فان أغرتك فى شراسة
بطبعك لم تقنع بغير حياتى
فدونك ان ماشئت ضربة صارم
له من سيوف الهند خير شباتى
تمطى وآرخى فكه فى ثثاؤب
ليخدعنى أو أن تلين حصاتى
علمت بأن الحرب بينى وبينه
على كف شيطان دعانى هاتى
فقلت على رسلى لالخط فرصة
يكون بها الخط السعيد مواتى
فخاتلته حتى أتت ففجأتـه
بهجمة فتاك كجمع كماء
وأعملت فيه السيف والرمح والعصا
ولولا الاذى اكرمه كعفاتى
وماهبتة مثل الفرزدق ان دعا
الى صحبة مجلوبة بهباتى

٣ - وفضلكم خالد (١):

يابن الاولى وبنوك الفتية الصيد
تقابل السعد فى مرآك والعيد

(١) هذه القصيدة نشرت فى صحيفة أم القرى عدد ٣٢٤ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٤٠٩ هـ باسم ابن عمه عثمان بن بليهد وانظر اشارتنا الى ذلك فى هامش ص ١٥

على جبينك تاج العز مرتفع
وله رواق من الاسلام معقود

قد يعلم الناس من عرب ومن عجم
ان المجن له سيف وتوحيد

كما تقول بنو نجد الكرام : فما
تحمى التويم من الاعداء الجلاميد

قدم سليما كما ألبستنا حلالا
أما تألف، فيه الشاء والسيد

أما أحاط على الافاق كللكه
يمتد جانبه ما امتدت البيد

كم مشهد لك فى الاسلام وقد وخذت
بذكره وبه المهرية القود

ومثله لك عند الله مدخـر
نصر تدين له الاعداء وتأيد

بالله ثم بحد السيف قد فتحت
تلقى اليك على الرغم المقاتل

أنتم ذرا دوحة فى المجد منبتها
ودوحة المجد فيها يطلب الجود

وفضلكم خالد دامت أرومته
مادام فى الناس تفضيل وتخليد

حميتم الدين والدنيا بسعيكم
والسعد فيكم قبيل اليوم مشهود

من غره منكم حلم يقال له
مهلا فان اللوى الخفاق موجود
ومرهفات بأيدي فتية صدقوا
من وقعهن يزول الهام والجيد
عين الشقى اليها وهى لامعة
ان البلاء على الاشقين مردود
ضع المهند فيما شئت - ضعة
تبقى - وانت قرير العين محمود

٤ - توديع سمو الامير فيصل :

ياراكب البحر فى الروحات والبر
فى حفظ رب البرايا خالق البشر
زمتك زمزم (١) قبل الظهر يكلؤكم
حرز من الله محفوظ من الخطر
هنا صاحبها والمحدثين به
بصحبة المرتضى واليمن فى السفر
فذانكم مطلع النورين (٢) بينكم
هذا سهيل وهذا مطلع القمر
وراحتان يناييع الندى بهما
كأن هتانها صوب من المطر

(١) اسم الباخرة المصرية التى سافر فيها .

(٢) يعنى الأمير فيصل، وابنه عبدالله .

والناس قد ملئوا أركان ساحتها
ما بين مرتفع فيها ومنحدر

فاقبلت فوق ظهر البحر تنسفه
نسفا ومسلكها الهادى من البحر

أتبعتها بصرى من بعدها وخذت
حتى اختفت واختفى الدخان عن بصرى

وقفت حيناً على ظهر البلاط وقد
ترقرق الدمع فوق الخد والصدر

فقلت للصحب ما يغنى الوقوف ولا
يغنى البكاء على السافى من الاثر

سيف نضاه أبوه عند حاجته
فذلك الحد حد الصارم الذكر

اختاره الملك الميمون طائره
فى رؤية العين ما يغنى عن الخبر

واختاره الله للأمر الذى سبقت
به السعادة فى الاولى وفى الاخر

فذاك من نبعة صم مكاسرها
تغرى وليست من القصباء والعشر

نضاه بالامس سهما من كنانته
لكنه لم يقع الا على الثغر

فعند ذكر الندى غيث المنتجع
وعند ذكر العلا نصر لمنتصر

دعتهم القبلة الاولى بأجمعها
وربعها بين معمور ومندثر

تبكى بدمعة محزون يرق لها
بنو ربيعة والامجاد من مضر

ومن بقى من بنى الاذواء تندبه
اهل الجياد واهل البيض والسمر

تذكرت سيرا تبقى محاسنها
تاجا على كتب التاريخ والسير

قالت يهود نشت فيها أوائلها
وتلك أبناؤنا باقون فى المدر

مانسمع الزور والمين الصراح وما
قالت يهود كقول الكاذب الاشر

أما بنوها فعملاق واسرته
وآل كنعان أهل المجد والظفر

وبعدهم حمير سادت بنوه على
كل القبائل من تيما الى البحر

أضحت قضاة فى تلك البلاد وفى
مشارف الشام لم ترحل ولم تسر

تبني القصور وتحميها وتمنعها
بالسيف من حادثات السهل والوعر

قبل ابن مريم فيها الملك متسق
بين الاعارب فى البادين والحضر

وبعده وطدت غسان مملكة
باق لها غرة فى جبهة الدهر

تسلسل الملك دهرا خالدا ومضى
فى آل جفنة أهل المجد والفخر
حتى أتى الله بالاسلام وافتتحت
تلك البلاد بعهد المرتضى عمر

ومد باعا طويلا فى جوانبها
وسار فيها بعيش ناعم نضر

دين صحيح حنيفى يقام بها
شعاره الحق محفوظ من الكدر

من ذلك الوقت ماسارت ظيعنتهم
بين المهامه والانجاد والغرر

أرطان ماخضعت الا لأولهم
على ممر لىالى الدهر والشهر

اذا دعا المسجد الاقصى غطارفة
فأنت وأبناءهم تمشى على الاثر

يدعو بزيد وعمر و والامين أبى
عبيده المرتضى للمازق الخطر

وخالد خلد التاريخ سيرته
والقائد اليمنى فى منهج النعر

وما فلسطين الا دار مملكة
للعرب من سابق الدنيا الى الحشر

تقلبت حقبا فى كف مالکها
ان كان منتزرا أو غير منتزرا
ما لليهود بها شبر تحل به
اهدى السلام على الماضى من العصر
فما كبا الزند من نجد وما قصرت
من الحجاز حبال الورد والصدر
ترى اشارة مأمول تراقبه
فكم جلا عقبات العسر باليسر
ان قام يطلب ثأر الدين مجتهدا
بكل أبيض نظار بلا نظر
وان راي للمنايا عارضا فله
من اليقين دروع الحزم والصبر
حتى اجتنى من ثمار العز أينعها
وكان نيل العلا فى ذلك الثمر
شهم يريش من الاراء أعدلها
ففكره ساعة يغنى عن الفكر
محض النجارين من جد ووالدة
ليسوا من التتر الماضين والخزر
تسلسلوا من مطا عدنان وارتفعوا
على البرية مثل الانجم الزهر
ثم الصلاة على الهادى وشيعته
وآله المصطفين السادة الفرر

ملاح برق وماهبت شامة
وما ترنمت القمرى فى السحر

٥ - عيون المها :

وقال وهو فى مصر أيضا ، وأظنه فيها محاكيا رائية على بن الجهم
التي سبق أن وازنا بينها وبين قصيدة ابن بليهد هذه :

عيون المها بين الجزيرة والنهر
جلبن لقلبى سالف العهد والذكر

فجددن فيه الجرح بعد التامة
وايقظن احلام الصبا والهوى العذرى

دعانى الهوى من أهل نجد وصحبتى
بمصر على قلبى تفيض من السحر

بما أنشط الامال فى نفس مجهد
من الهم والالام والنأى والكبر

(تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير)

واى مرام للغوانى وقد غدا
على لمتى والذقن كالمح فى شعرى

رويدا ظباء النيل ما أنا خاطب
ولا أنا صياد وتعلمن من أمرى

لقد هزنى رغم المشيب ورغم ما
أعانى من الاوجاع فى الكتف والظهر

سهام الجفون الناعسات غرسنها
نوافذ فى الاحشاء من بعد ما صدرى

فتكن به وهو العصى على القنا
وكان به صبر على البيض والسمر

صدور العوالى فى أديمى تحطمت
فما بال الحاظ الحسان له تهرى

أديمى مجن فى الحروب فليته
وقى القلب ما القت به ربة الخدر

ولى صارمان من حسام ومقول
فعولان بالفساق ملبدو والحضر

اذا صات صال الموت فى حد صارمى
وان قلت فالقول البليغ بما أطرى

ولى قلم سحر البيان لعابه
شباة يراعى ان تسلم بلسم الفكر

كفانى بيانى عن حصيلة اخر
تناولها السراق فى البيت والشطر

وقد يعجب البيت الانيق مثقفا
فيجريه فيما يرتضيه من الشعر

ولكنه لا يدعى انه —
ولكن يعد القول بالقوس كى يدرى

مرید سبيل الحق انى مضمن
وانى عفيف فى جلأئى وفى السر

وأفعال آبائي قلائد دهرهم
وللمرء ما تجرى به ألسنة الدهر
ويارب شخص قام يوم كريهة
ومكرمه كالالف في حازب الامر

وألّفان قد لا يدركوا شأو واحد
فليس لهم ما حاز من رفعة القدر
يعيش الفتى دهرا ليترك بعده
أحاديث ما حاز من رفعة القدر
وأن رضاء الله خير وسيلة
لأن يشمل العبد بفيض من الستر

فيارب لطفا منك في كل حالة
ويارب عطفًا ياكاشف الضر
ويا صاحب النعمة على الكون كله
ويا موجد الارزاق في البر والبحر

ويا مالك الملك الذي عز جانباً
ارادته تمضي وقدرته تجرى
الهي هبني منك ما أنت أهله
فقد ناء ظهري بالذنوب وبالوزر

ويارب لم الشمل بعد انشعابه
فقد طال تحناني الى البر والبر
مقيم على كره بدار طعامها
كريم ولكن ليس كالبر والتمر

وليس لاصناف الطعام تشوقى
ولكن شيئاً يجلب الشئ للذكر

حنينى الى دارى واهلى وجيرتى
الى مهرة تاهت دلالة على المهر

أحن اليها والنوى يدفع النوى
وبينى وبين الالف مستوحش القبر

أرى حبها يستوقف القلب كلما
الى غيرها مالت به أعين الفر

فيا صاحبى رحلى دعانى فانى
لغير الذى تطرون فى يومكم اطرى

دعانى وكفا عن ملامى وابعدا
قلو صيكما عنى ولا تنفخا جمرى

ولا تدثعانى فى طريق قلوته
وماكنت من عشاقه سالف الامر

دعانى وكفا عن ملامى واجملا
ولا تفضحاً شيبى على اخر العمر

قطعت صلاتى بالغوانى ودربها
ويشهد ربي ماجنحت الى العهر

ولكن عذارى الشعر تغرى قصائدى
وماجر حاكى الكفر شعر الى الكفر

فعفوك يارب العباد فمالنا
سوائى على الحالين فى العسر واليسر

وصل الـه العالمين مسلما
على المصطفى المختار ما لعل القمري

٦ - والناس في جنة من عدل سيرتهم :

هناك عند بنى الاملاك مجتمع
به من الناس متبوع ومتبع
لكنها أسفرت بالعز مشرقة
غراء ظلت بها الركبان تندفع
قل للخبير الذى يلقى روايته
عميا عبارتها هل أنت مستمع ؟
بشرى أتتنا وأمسى العز مرتعنا
كأن أيامنا الاعياد والجمع
وأشرق السعد فى الافاق أجمعها
له رواق الى الجوزاء مرتفع
أسعد بيوم به الاقبال مؤتلف
والشعب ملتئم والشمل مجتمع
قضى الاله على الاشقى الكبير كما
قضى على أهل جو والقنا شرع
نعوذ بالله من زيغ القلوب كما
زاغوا ، لانهم عن دينهم رجعوا
ألقي عليهم قضاء عم فادحه
ظنوا بأن النجاة المكر والخدع

فكيف تخلو من التقوى قلوبهم
كما خلت منهم الاطلال والربع

من نار حرب تداعتهم بالسنة
فوق الربا من شقوق الاكم تندلع

الكافرون بهدى المصطفى ولهم
صوامع ولهم من شكلها بيع

وينكرون من الاديان شرعته
اذا تفرقت النحلات والشيع

فهؤلاء وأولاء المارقون سوا
والله قد صنعوا مثل الذى صنعوا

تبا لقوم نما فى الشر بذرهم
لكنهم حصدوا مثل الذى زرعوا

واستثمروا ثمرا فى كل معركة
منها يضيق الفضا والبر متسع

حتى استقرت على الصحرا جماجمهم
يؤمها الطير لما أمها السبع

من كف أروع شهم عمه مصر
سام الذرا برسول الله يجتمع

الى نزار أبى القوم الكرام اذا
قالوا ففضل وهذا الفضل يتبع

وفى ربيعة منشى كل سابقة
بمثلها وبها يستحصل الربع

كآل فيصل من آل سعود اذا
عد العلا نزلوا فى المجد مارفعوا

قد جردوا للعدا عضبا مضاربه
يفنى السراحين منها الرى والشبع

كالبحر لو آمن التيار راكبه
فذاك ان هاج للافلاك يبتلع

وللعفاة مقام يأمنون به
تلقى على أهله التيجان والخلع

ينتابه الناس أفواجا وكان به
عن نازل الجذب مصطفى ومرتبّع

تولعوا بيناء المكرمات كما
ان الطريق لاسباب الهوى الولع

« والناس فى جنة من عدل سيرتهم »
مما رأوا فى مطاويها وما سمعوا

أبقاهم الله ذخرا للبلاد على
مر الزمان بملك ليس ينقطع

ما أومضت بابتسام البرق سارية
تحت الدجى وبدت نار لها لمع

ثم الصلاة على الهادى وشيعته
وآله ما استهل المدجن الهمس

٧ - على طلل :

وقال وهو فى مصر أيضا وقد أبطأت عنه الرسائل :
على طلل من دارها نسكب الدمعا
ونبقى كما كنا على دربها نسعى
وبنا فلا دار الحبيب قريبة
ولا الشمل فيما يرتضى يرتضى الجمعا
أصحاب أيامى بأكناف موطنى
وأحاب قلبى صدكم أوقد الشمعا
بقلب يعانى جسمه من سقامه
فأعضاؤه خارت فلا الخفض والرفعا
تطبيق ولكن فى الاله رجاؤها
قوى وحبل الله ما انبت وانقطعا
رسالاتكم قلت وأخباركم نأت
فيا ليتنى أنساكم كلكم جمعا
ولكن حبى للبلاد يشدنى
اليكم ويدنى نحنونا الاهل والربعا

٨ - مناقضة :

قال لى صديق عزيز بمصر :
مارأيك فى أن يجرب كل واحد منا سيفه فى الآخر - يعنى أن
نتهاجى .
قلت له أنا لا أحب المهاترات الشخصية ولو كانت مزاحا فقد يجر

المزاح أنجس العدا • فقال لى نجعله عاما تهجو قومى وأهجو قومك •
قلت له : شريطة أن تبدأ أنت عسى أن تستثير شيطان شعرى فهو فى
هذه الناحية كثير الخمول - وكان قصدى أن يبدأ بالسوء أولا -
فقال :

فى طبعك الغلظة الحمقاء والصلف
وفيك مالاتبين الخاء والالف
غذاك قومك من أهل الحجاز بها
من كل أهوج فى أخلاقه جلف
قوم طعامهمو لحم الجمال وخند
غير الير ابيع والاضباب ما ألفوا
فى أرضكم رقصت حمالة الحطب
أرض بقر الشتا والصيف تلتحف
وقد نمتمهم الى الكذاب جدتهم
سجاح فاسمع الا يكفيك ما أصف
يا راعى الشاء يزجيها ويدفعها
الى المراعى وفى أعطانها يقف
كفى فما الفخر الا فى مآثرنا
يكفى أبو الهول والاهرام والتحف

تلك أبيات صاحبى وقد أجبته بقصيدة منها :

من لؤم أخلاقكم يا صاحبى تكف
وفيكم فقد الاخلاص والشرف

ولست يا صاحبي أهوى مهاترة
لكن دعوت الى مامنه تفترف
بضاعة أنتمو أهل لها ، ولنا
عنها عزوف وللأخلاق ما نصف
عيرت بالضب واليربوع انهما
لا كالفسيح فهل سدت لكم أنف
حلو الطعام لديكم ما به نتن
مثل الفسخ ومش الجبن والقرف
لولا الحيا قلت مايزرى بجدكم
لكن لسانى عن الفحشاء منصرف
ان فاخر الناس بالاباء فخركم
بأنكم للعبيد الاشقيا سلف
نحن الالى بعث الهادى بساحتنا
فيكم ولكم فرعون يعتسف
يا ابن الحرافيش أى الناس قومكم ؟
بأى فضل يباهى فيكم السلف
عبدا ونخاسة أو صانع خزف
او صانع بوخة يشقى بها الخزف

٩ - حين

أخذت عيني سنة من النوم وأنا متجه الى الشرق ، وكنت أحب
ان أكون هكذا طوال اقامتى فى مصر . فأبصرت فيما أبصرت فى

النوم قبر زوجتى سارة - رحمها الله - فقلت فى الحنين الى تلك
الديار المباركة :

تنورتها من مصر دارك سارة
وأبصرت نور الفجر فوق ثراك
وفاضت على روحى نسائم أربع
وعهد به قد كنت ملك رضاك

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيسى ولم نسمر وضوء سنائك

يرف وضوء البدر خجلان ينزوى
حياء وخوفا أن يدوس حماك

ليالى لا أنسى سوافر غلسها
وللوصل أسباب بغير فكاك

وقد نصبت للمضجرات من النوى
جفونك اشراكا بغير شباك

ليالى عشناها أسيرى صباية
تولت وبانت يوم حان قضاك

أسارة ان عزيت نفسى فأننى
أخادعها فالقلب رهن هواك

تذكرت والذكرى تهيج مرارة
إذا كان من تهوى رهين هلاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وعجلا
رجوعى ولا تستأنسا بعراكى

قلوت الغواني بعد سارة مثل ما
قلوت الديار غير دار ثراك

بلادى بلاد العز والمجد والندى
لقد شاقنى يانجد حسن رباك

كأنى أرى حسن الربيع وقد كسا
من السندس الموسوم كل ذراك

كأنى أرى وجه الرياض وقد بدا
كثوب عروس فى زمان أولاك

ونبتك ريحان أديمك سندس
وكل المنى أن ألتحف بسماك

أرى النأى أورى فى الجوانح ناره
ألا فاطفىء نار النوى بصباك

نسيم صبا نجد على القلب فانسمى
وروض القطا انى عشقت شذاك

فيا صاحبى رحلى دعانى وانجدا
إذا كنتما لاترضيان هلاكى

بذات زمام فى يمين مدرب
سبوح كأن ليست بذات حراك

يطوف بها الافاق كالطير سابحا
ويركب متن السحب سماك

ويطوى بنا الاميال ليس بخائف
فسيرى وبالتوفيق ربى حماك

ولا تعجلنى ان فوق دار محمد
سبحت ففيها لو عقلت هداك

١٠ - وفى أبنائه المجد الاثيل :

مرثية فى الامام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود :
أقلوا بالملامة أو أطيلوا
فما يغنى البكاء ولا العويل
فما يغنى البكاء بسفح حجر
إذا حان التفرق والرحيل
فما يغنى البكاء اذا بكينا
وما يغنى القريض وما نقول
لقد رزىء الجحاجح من نزار
شباب باليمامة أو كهول
ويجرون الدموع فداء نعش
على امتانه البطل الجليل
فزعنا اذ نعاه البرق حقا
ومد رواقه البين الطويل
عسى النور المقيم له امام
يراه والثواب له زميل
فان ريب المنون أزال بدرا
فان النور باق لا يزول
بما شادت يداه من المعالى
وحسبك ما تداوله القبيل

وملء الكف من جدوى يديه
منال بالمكارم أو منيل
وينتاب الضعيف وكل ضيف
ذرا علياه والجار النزيل
فلو أن الفقيد بسهم قوم
مصاب بالاسنة أو قتيل
لجردنا السيوف لآخذ ثأر
وجالت في شكائهما الخيول
ولكن الاله قضى قضاءه

فيا نعم المؤمل والكفيل
لقد بات الامام ببطن أرض
تواريه الحزونة والسهول
سقاك الغيث من جنبات قبر
غدا للصالحات به سبيل
إذا ناح الحمام ببطن وج
فدمع العين منسكب هميل

لئن كان البكا طربا دعاه
صليل الماء والكرم الظليل
نناد النائحات نقول مهلا
خفيف ما أصابك أم ثقیل
إذا كان البكاء بكاء حزن
ففى أحشائنا حزن دخيل

على ابن الاكرمين أخ المعالى
فيا نعم الارومة والاصول
ترقى فى البواذخ من معد
(وفى أبنائه المجد الاثيل)
ولكن المنون قضت عليه
فصبر عند حادثها جميل

١١ - أنت الامام :

أنت الامام فما نيل العلا أمم
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم
لقد عدلت بنا عن كل حادثة
وظلمة يرتمى من فوقها ظلم
نحن بنو العرب العرب الذين لنا
فخر يقصر عن تعداده القلم
لكنها بين أيدي اللاعبين به
ومنه قطعت الاسباب والرمم
حتى نهضت بباع المجد منتصرا
للعرب فى عزمات حشوها الهمم
دين ودنيا وأيام مداولة
وتلك فى طيها الايراد والحكم
فأشرب هنيئا بكأس العز مبتهجا
طاقت بكم (مكة) والحل والحرم

أسائل الراكب المزجى مطيته
من أى فج رماك السير والسأم

قل ، هل خشيت وما تلقى اذا لعبت
بك التنائف ، أو ضاقت بك الخرم

فلم نجد منبئاً بالخوف فى بلد
وهذه نعمة ما فوقها نعم

يأيها الملك السامى لقد بلغت
بك المكارم فيما ينتهى الكرم

لقد بنيت المعالى وهى راغمة
على أنوف الاعادى مابقى كلم

ان ترضها فلها كمت مسومة
جرد تفصم عن اضر اسها اللجم

تدك أرض العدا والليل معتكر
منها تنخر على أذقانها الاكم

وضمر شد قميات اذا جذبت
يؤمها من بنيك الفارس الشهم

يشنها غارة يحمى الوطيس بها
شعواء اضيافها العقبان والرخم

ان قلت سيروا فى الآفاق مضطرب
لنا وبفيتنا فيما وطا القدم

فى نار قوم رميناها بقاصفة
اذا تمزق فى ارجائها القتم

أضحت خلاء وامست بعد ساكنها
قفرا وللبوم فى أطلالها نغم
وكم هتكنا على الجبار قبته
ولو أحاطت به الحجاب والخدم
بالله ثم بمن قاد الجياد السـ
دار العدا ومحا القول الذى زعموا

قالوحش ينفر من زلزال وطأته
العصم والريم والعفرى والأدم
يا بن الائمة ان القول مستمع
وليس فى سمع أرباب النهى صمم
من رام رشدا فلن يحرم عواقبه
انت الرشيد وانت الصارم الخدم
فلو حلفت بمن حج الحجيج له
لقد يبر بنذر الحالف القسم
لو قام جدك فى عدنان مفتخرا
بفعلك المرتضى دانت له الامم

بنى ربيعة مجدا فى أوائله
وشدته فى المعالى قبل ينهدم
من فتية لو دعا للحرب ناد بها
سعى اليها فتاهم قبل يحتلم
(أسد على الخيل لم تفمد سيوفهم
يوم القتال وفى وقت الندى ديم

قوم على منهج المختار منهجهم
بلا خلاف على الحق الذى علموا

تلك المكارم لا فخر ابن مارية
عمرو ولا مكرمات شادها هرم

يا صاحب المهمة العليا بطلعتسه
وابن الذين سما نجد بمجدهم

أشدد عرى الدين تبلغ كل مكرمة
كما بك اليوم أضحي الكون يبتسم

ثم الصلاة على الهادى وشيعته
 وآله ما أجازوا نخله الحرم

ما أزلفت بالحجيج العيس مرقله
وما أقيمت بسفح المشعر الخيم

١٢ - عين نجم :

تحملت فى نجم وقد طلع النجم
وذلك نجم السعد وانقشع السقم
تحملت فيها للشفاء وربنا

لطيف ففى كل الامور له حكم

فعافانى المولى من المرض الذى
بعقد أعصابى وليس بها ورم

فكان طبيبى خالقى حين دنسى
عليها هو البارى فقد برىء الجسم

سقاها من الوسمى كل محتتم
يساق اليها كلما دخل الوسم

وأمسى على الهفهوف منبثق العزا
تمج كثير الودق أمزانه السحم

على جنبات الفرن ضاف عبابه
ومعهده المعروف سيلهما حتم
ففى سالف الازمان مهما ظن هاجس
بان جنبات القرن يقرى به علم

ولكن هذى نهضة قد تبثقت
قريحة أهليها وطاب لها الفهم
هنيئا لأهل القرن والمعبد السدى
به كلما عدت مناقبة يسمو

وأسبابه هذا المدير الذى به ،
أديب وفى كل العلوم له فهم
لقد زرته يوما فالفيت نهضة
تلاميذه تمضى كما قد مضى السهم

واسمعنى التقرير كل مهذب
وطفنا عيلهم كل فرد له اسم

أتينا من الدمام عند وصولنا
الى جانب الهفهوف ينقطع الحزم

قابلنا من نسل زيد عصابة
كرام بها ليل أنو فهم شـم

وقام بما نحتاج قرم موفق
يروم قضا حاجاتنا بطل شهم
لنعم كرام القوم من آل عيهـب
كرام مساعيهـم وقد نالهم نعم
وناهيك بابن العم واذكر فعاله
وليس لنا فى الدار خال ولا عم

١٣- الوداع :

نويت العودة الى بلادى فنظمت مطلع هذه القصيدة ثم أتبعتها ما
نظمته فى مناسبة ذكرى مولد النبى عليه الصلاة والسلام - وهى ذكرى
يحتفل بها المصريون ويصنعون فيها أنواع الحلوى المختلفة فيتهادون بها
ويأكلون منها وفيها ما يصنع فى شكل تماثيل ملونة يهادون بها الاطفال

دنا الرحيل فودع جيرة الهرم
واترك زمام دموع العين أن تهم
ودع فتوديع اخوان الصفاصفـة
ما حاد عنها أولو الاخلاق والشيم
ياجيرة النيل آمالى بصحبتكم
خطت على القلب مثل الخط بالقلم
لو أنصفتنى الليالى ما تركت ربا
وادى الكنانة مهد السحر بالقلم
يا مصر فيك تعود الشيخ صبوته
عهد الشباب وأيام الصبا النهم

لكن بنجدلنا دار مكللة
بالمجد هاماتها خفاقة العلم
ودعت مصر وفي صدرى لها نزل
وللصحاب وداد غير ذى بـرم
دع عنك مصرا فانت اليوم مرتحل
لموطن فيه تلقى جيرة الحرم
هناك حيث ديار العز عامرة
بالفضل والنبيل فى الأخلاق والكرم
من العبادة أنضاء تغالهم
ظلا وفى الحرب أسد الغاب والاجم
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه على علاكة اللجم
دم العروبة فى أنقى منابعه
فيهم وفيهم سجاياها من القدم
وفيهم طلعت شمس الهدى وبهم
هدى الانام ومنهم سيد الامم
محمد خير خلق الله كلهمو
وطاهر الكف والاردان والشيم
جاء الوجود يتيما فى لفافته
سر النجاة لكل العرب والعجم
واستقبل الكون ميلاد الكريم بما
أضفى عليه اله الكون من كرم

النور أشرق ملء الافق ساطعه
من السماوات حتى خافض الرغم

والنار فى أرض كسرى جن موقدها
خبت وكان لظاها شر مضطرم
واهتز من فرح أودى بشرفته
ايوان كسرى فضج الغارم الاثم
ماهزة الذعر كلابل به رقصت
آمال فارس تحدى بالهوى النهم

الى الخلاص من الطاغى وصولته
أتى الطبيب - جراح الامس فالتامى

خوارق لست أحصيتها فقد كثرت
فى ساعة جاء فيها سيد الامم

عاش اليتيم وعين الله تكلؤه
ولم يضر قط بالاملاق واليتيم

وعاش كالانبياء السابقين فلم
يشرب مداما ولم يركع لدى صنم
وعاش فى عفة من كل ناحية

ما ضر أن كان من سواقة الغنم
ولم يضره لدى اشراف امته

أن كان فيهم زمانا راعى الغنم
ولقبوه أمين القوم صادقهم

وبات كالبدور فيهم أو ذرا العلم

خديجة ربة العقل الكبير رأت
بعين رأى حصيف نافذ السهم
أن الرسول الرفيق المصطفى وله
كف اذا تاجرت سحب من الديم
تقدمت نحوه الحسناء خاطبة
ولم تكن عادة النسوان فى الامم
لم يلهه المال والاهلون عن طلب
للرشد فى الغار بالتفكير فى الظلم
حتى اذا جاءه جبريل أربعه
هول الفجاءة والاجلال بالكلم

فجاء والرعب يجرى فى مفاصله
خديج هاتى دثارى واضغطى قدمى
فطمأنته بان الله مكرمه
وكيف لا وهو فيهم حافظ الذمم ؟

كانت له أول الاتباع قاطبة
قول ابن نوفل يغرى كل مؤتمم

لما أطمأن الى درب النجاة أتى
اليه أمر بانذار لذى الرحم
وخل يصعد فى درب الرسالة لا
يثنيه خوف ولا ما صيغ من تهم

لما تكاثر أصحاب الرسول قضى
قاضى الطفاة بتعذيب لمعتصم

بالله ، بان له درب الهدى فعدا
اليه عدو جياذ للسباق ظمى
وشاح عن وجهه الضلال مبتعدا
عن الخنا وعن التسبيح للصنم
حتى اذا اذن المولى بهجرتهاهم
خفوا ولاذوا بأقوام من العجم
وظل باقيهم فى عين ظالمهم
مثل القذى والسفا فى الحلق والحمم
فى الصدر تغلى بها غليا مراحلم
لا يملكون سوى التعذيب للخدم
حتى اذا اجمع القوم الطفاة على
قتل الرسول وعين الله لم تنم
مشى وصاحبه الأوفى يخفهما
روح من الله لا الآثار للفنم
وقصة الغار لا تحصي خوارقها
نسج العناكب نسج غير مخترم
الى المدينة حيث المصطفين من الـ
انصار أهل الوفى والجود والكرم
هناك أذن للرحمن فامتلات
أسماع يثرب من قدسية النغم
وشمر الدين عن زند الجهاد فلم
يبق سوى السيف للعاصين للكلم

وأيد الله جند المصطفى فمشت
كتائب بالهدى خفاقة العلم
يحدوه نصر الى نصر ويصحبه
من المهيمن عز بازخ العظم
ياجيرة البيت لاريعت مرابعه
شوقى لكم عارم ياجيرة الحرم
ابكى فتبكي الأمانى فى مساربها
والعين تهريق دمعاً غير محتشم
وصل ربى على الهادى وشيعته
ما أومض البرق فى الداجى من الظلم

١٤ - فى مطلع الشمس :

وقال وهو فى مصر ، وقد حن الى موطنه :
فى مطلع الشمس لى أهل وجيران
واخوة فى سبيل الحق أعوان
ولى مرابع أنس قد نشأت بها
أيام غصن الصبا فى العمر فينان
دار قضيت بها صبوات مهتبـل
للذة ما بها دن ودنان
ولا قمار ولا تلويح راقصة
شبه العرايا وفى تلعاها جان
ولا بنات المليالى الحمر أرخص ما
عزت به فاسد الاخلاق مجان

غدا على الشرف الموعد تبصرها
وليس يرحمها فى النوح انسان
تنوح تنوح الثكالى ليس ينفعها
نوح وأخذانها كانوا وقد بانوا
حال كرىه بوادى النيل أشهده
لا ببارك الله فى من للخنا عانوا
دار النقائص مصر فهى جامعة
سير وسر وكمران وإيمان
الكل يدعو الى ما يشتهى وله
فيما ينادى به قول وبرهان
والفسق فيها جهارا لا جناح على
من رame ومكان الذكر ملآن
وللحضارة فيها خير شاهدها
أهرامها وابو الهول وتيجان
على فراغة كانت لهم دول
اخذت عليهم عصور ثم أزمان
آمون ما دفعت عنه المنون قوى
جيش لقوته الآنام قد دانوا
ولا دهاقنة التنجيم مانفموا
ولا معابد فيها قام رهبان
الكل - يسمى لىبقى ملكهم ومضى
لكن له فى ضفاف النيل عنوان

ظلت حضارة وادي النيل في كنف
الاسلام محفوظة والقوم قد صانوا

وأتحفوها بآثار مقدسة
ذكر وفكر وتعليم وبنيان
والعلم القى بوادي النيل أرحله
فما لابنائها للفي قد لانوا

هانوا وهانت عليهم أربع شرفت
بأزهر صحنه للعلم صيوان
دع عنك مصرا فما لي في مرابعها
الا خليل حديث العهد عجلان

يسعى الى حاجة يوما ليدركها
ان نالها خير ما يعرفه نسيان

دع عنك مصرا فلي في غيرها وطن
له على مواثيق وأيمان
يانجد اني على العهد القديم كما
عهدتني ثابت مادام ثهـلان

والله لو سكبت أرض الكنانة في
يمناى در وياقوت ومرجان

ولو نثرن على دربي جاذرها
أرواحهن فلن يعرفن نسيان
قلبي الذى عمرت نجد جوانبه
يحبها وهوى الاوطان فتيان

يا نجد أنت بلاد المجد مذ عرفت
اسماؤه وهفت للمجد أوطان

وأنت دار الألى عزت بعزهم
بنو العروبة وانقادوا وما دانوا

الا لهم بعد ما دلت فعالهم
على الفضائل أقدام واحسان

يا دار هيفاء ما أوفى على جسدى
يوم وجن الدجى والكون وسنان

الا ذكرتك مزهوا ومفتخرا
أشدو فتهریق دمع العين احزان

أمسيت ناء بدار شط زائرهما
والناس فيها لحكم القرش قد دانوا

وجوهم كوجوه الصخر جامدة
وان نضحت ببقشيش لها لانوا

انى لمستعر الأشواق ما تركت
به النوى غير ظل كان انسان

به وبات خيالا ليس يمسكه
الا تعلل من شاقته أوطان

ثاو بمصر يروض المستحيل بها
غدا يعود وللإسعاد عنوان

صحبت فى مصر اخوانا سعدت بهم
دهرا وعاشرنى مالمقوم ذئبان

قوم بهم حافظ (١) ابراهيم قد برمت
اخلاقه فمضى بالكره غـرثان

يارب ادعوك دعوى الضارعين بأن
يحوطنى منك توفيق واحسان

وهب لنا من مديد العمر أوسعـه
ياراحم الخلق حنـان ومنان

لك الجميل من الاسماء أقـدسها
سبوح قدوس والاسماء عـنوان

وصل ربى صلاة الصادقين على
من جازت الشهب فخرا فيه عدنان
محمد سيد الاكوان قاطبة
مالاح بدر السنـا وانهل هـتان

١٥ - ألا ليت شعرى :

تلوح أمام العين أطـياف سالف
من الدهر والافكار ملء حنانى

واذكر أياما قضيت ورفقة
بذكرهم طوفت كل مـكان

هنا وهنا اخوان صدق تضمهم
خلائق يغنى نظمهن بيـانى

(ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
على رملة بين الجوا وقـنان

(١) اشارة الى القصيدة التى القاه حافظ ابراهيم فى مدرسة البنات ببور سعيد

وهل أعملن شماللة وسط فدغد
يصاب بها الخريت بالغثيان
ويا ليت شعري أين رمحي وصارمى
وأين مجنى المصطفى وحصانى
وأين الليالى المسفرات بموطنى
وأين ضياء الصبح ذو اللمعان
وأين قفاراً توحش الطير سكنة
بها لم اكن أخشى من الحدثان
أرى ذكريات الامس تهتاج خاطرى
ترهق منى القلب بالخفقان)

١٦ - الى حلوان :

قال لى أحد الاخوان لم نر فى شعرك مانراه فى شعر الكثير من
المعاصرين أمثال البارودى وأحمد شوقى وابو القاسم الشابى والزهاوى
والرصافى ونحوهم ؟

قلت له مثل ماذا ؟ قال من صور طبيعية ، وتنوع فى الموضوع
ونحو ذلك ..

قلت له : أما الرصافى والزهاوى فملحدان ، وأما البارودى وشوقى
والشابى فسوف أعيد القراءة لمن قرأت له منهم واقرأ لمن لم اقرأ له من
قبل وان كنت لا اميل الا للشيخ محمد بن عبد المطلب وامثاله —
شعراء الازهر ، ثم قرأت لاولئك وحاولت ان انسج على منوالهم من
نحو ماتراه فى قصيدة حلوان وماقد يتبعها ، وان كنت اكره التقليد
وتقمص شخصيات واساليب الاخرين ، غير أنى لا انكر أن الافكار والملكات

يلقح بعضها بعضا ، وأن الشعر ملكة تقوى بالمرافعة وتتسع بالقراءة ،
والتثقيف ، وكثرة الاطلاع والمشاهدات ، ولقد نلت في مصر من ذلك
الكثير ، أضفته الى رصيدي الضخم وحصيلتي الكبيرة التي زودتني بها
جزيرة العرب ، وأخصها بلاد نجد التي كثر تغنى الشعراء باسمها
ونبتها وجبالها واوديتها ، حتى أنك لو بحثت عن شبر فيها لم يذكر في
الشعر لما ظفرت بشيء من ذلك .

بالامس فوق ظهور القاطرات الى
حلوان سرنا وكان السعد حاديننا
في رفقة من صحاب لاتملهم
اخلاقهم مثل اكناف الصبالينا

وقد تركنا بويب اللوق في صخب
من صوت قاطرة قامت تحييننا
بصوتها الجش ان همت بمرتحل
حتى رمتنا بعيدا وهي تدنيننا

ان هاجها سائق خفت لرغبته
أوشدها وقفت كالطود في سينا
كأنما الريح في مجرى اعنتها
والصوت رعد يعنيننا ويضنيننا

وبالمزاليق اجراس لها نغم
قامت على الدرب تحذيرا لماشيننا
جئنا لحلوان نستهدى الزمان به
طريف اخبار من عاشوا به حيننا

فحدثتنا مياه يستطب بها
بالنازلين ومن جاءوا كما حيننا
وحدثتنا رياض كان يعمرها
ظل الملوك بتاج العز يمشونا
يمشون مشى الجمال البزل فى حلل
من نسج داود أو من نسج دارينا
دانت لهم مصر حيننا ثم اسلمهم
ريب المنون وحظ بات مغبونا
مالى أطوف فى الدنيا بذاكرتى
واذكر اليوم فاروقا وامونا
مالى واصحاب دار ليس لى جمل
فيها ولا ناقة بالدر تسقىنا
دع عنك هذا وسل النفس مابقيت
بما به بات قلب المرء مفتونا
ياروضه ضاحك الصبح الجميل بها
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
والياسمين على هاماته رقصت
غيد الفراشات افواجا تغنيننا
وترشف الطل من ثغر الزهور جرى
من أعين الليل اضناه تشاكينا
ما أدمع الليل الا أدمع ذرفت
من أعين هاجها فقد المحيينا

لا أبعد الله اياما بها كسرت
روحي الجمود لتحياها رياحيننا
نفسى بها كل آلام مبرحة
جسيما وروحا فقد فتنا المواسينا
يا دار فرعون جئنا نستطب بها
نسعى وربك من فوق المداوينا
يادار موسى وعمرو والاولى نصبوا
للعلم فيها منارات لقاريننا
جودى علينا بروح غير كاذبة
انى سمئت كذابا من مؤاخينا

١٧ - رثاء الملك عبد العزيز (رحمه الله) :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها
ما ألفت الحرب والاحداث فى فيها
حتى تخطف اعلام البلاد على
رغم النفوس التى ظلت تفديها
أرى المنايا بضخم من كلاكها
ومستطيل عنيف من أياديها
جثت وعضت على قطب الزمان وقد
لفت ذراعين منها حوله تيهها
ان حطمت صارما دان الزمان له
وخافه فى الدنا القاصى ودانيها
وأوقدت بقناه كان ثقفها
نارا ولكن سعود قام يطفئها

وفیصل فی سبیل الله صارمه
ماض وماند ملآراء یدنیها
مالی وللمدح یغرنی ببهرجه
قصائدی نالها حتی مراثیها
دعك عنك هذا فللافكار مصطخب
فی الصدر والقول ینئها ویدنیها
ونحن فی ساعة جن الجنان بها
قد جاءنی نعیه - ویحالیها - فیها
رمت صدور المعالی فی أجنثها
واستنزلت هام مجد من صیاصیها
وخلفت شعب دار العرب منذهلا
فی ظلمة لا البكا والدمع یجلوها
الیوم تبکی بلاد العرب عاهلها
ذاك الذی ظل یعلیها وینئها
بكتبه فی الحرم المکی كعبته
وقاصدوها ، بکی حتی أعادیها
بیوت ربی بکت وكل مؤذنة
وكل روضة علم جل نادیها
وكل درب علی حافته غرست
یمینه الامن فاكتظت بساریها
والشرع یحمیه حام فی مرابعه
(یحمی الحدود) حدود الله یمضیها
كتاب ربك یبکی فی حافظه
عن ظهر قلب وتبکی الای تالیها
وتندب العرب ثیة قائدا لمعت
أفكاره كشموس فی نوادیها

والمسلمون بأرض الله كلهم
يبكون خادم بيت الله واليها
سقيت يا جدثا ضمت جوانبه
(بالعود) (١) عودا وحفته هواميهـا

سحائب من رضا الله تملؤه
ورحمة منه للمرحوم يوليها
وثبت الله بالصبر الجميل على
درب الهدى كل من مازال يحميها
شريعة جاء خير المسلمين بها
والله من فوق كل الخلق راعيها
فى ذمة الله يامن مات فى شهر
فيه أسلم المصطفى الروح لباريها
والموت أمر قضاء الله خالقنا
على البرية قاصيها ودانيها
ترضى به مثل مارضى الاله لنا
وأجر صبر الشكالى عند باريها
وصل ربى على المختار سيدنا
ماللع الرعد فى آفاق ساميها
وما هما من عينون السحب ساكبها
على خدود الثرى دمعات باكيها
وما بكى فوق غصن البان نائحة
حماسة الفها من سهم راميهـا

(١) (العودة) اسم المكان الذى فيه المقبرة فى الرياض ، والعود الثانية الشيخ
الكبير فى السن .

ناحت زمانا فأبكانا تفجعها
يا للمصائب حتى الطير تشجيهـ
غدا ستسلوا ويمسى شجوها نغما
فى ظل الف جديد جاء يسليها
صلاة ربى على طه مجددة
ما أستغفر الله مآلاثام عاصيها

١٨ - يالائح البرق :

يا لائح البرق تحت المدجن الهامى
ويا عيون السما فى أفقها السامى
ويا نسيم الصبا من أرضنا خفقت
أنسامه فى الفؤاد المدنف الدامى
رفقا فنفسى بها من بعدها فرقا
وفى الحنايا جحيم جمرها حامى
أصبو لنجد وفى صدرى لها نزل
لأنها مهد أيامى وأحلامى
أمسى وأصبح فى حال مكررة
وبالدجى تستثير الدمع أوهامى
بالامس غنيت نجدا فوق يعملة
أطوى عليها قفارا ألها طامى
إذا الجخادب أضناها الهجير سمت
فوق الحزون كظبى ذاره الرامى
واليوم غنيتها والشمل منشعب
لكن رجائى بربى سعد أيامى

فهرس الاعـلام

(١)

٧٣٢ - ٧٣١ - ٧٠٦ :	الآمدى
٨٦٣ - ٨٥٧ - ٦٣٣ :	آمون
٢٧٧ :	ابراهيم بن جعيثن
٨١٨ - ٣٣٥ - ٢٤٣ - ١٦٧ - ١٠٣ - ٦٩ :	ابراهيم بن عيسى
٣٥٤ - ٦٠ - ٥٧ :	ابراهيم الاسكوبى
٣٩٧ - ٤٤ :	ابراهيم بن عبد اللطيف
٤٦١ - ٣٩٨ :	ابراهيم بن على مهنا
٧٦ - :	ابراهيم بن جبلة
٨٥ :	ابراهيم الباجورى
٣٤٠ - ٨٥ :	ابراهيم رفعت باشا
١١٩ - ١١٨ :	ابراهيم بن خميس
٢٢٤ - :	ابن الأعرابى
٤٦٠ :	ابن أبى نؤاد
٢٦٦ - ٢٦٤ :	ابن جاسر
١٥١ - :	ابن حبيب
٢٣٩ - :	ابن حمل العلوى
٤٦٠ :	ابن خلكان
٣١ - :	ابن دهم
٧٦٣ - ٣٢٧ - :	ابن الرومى
١٧٠ :	ابن زاحم
٤٦٠ :	ابن المعتز
٢٤٦ - :	ابن نوير الشيبانى
٣٥٧ - :	ابن قيس الرقيات
٢٦٥ - :	ابن عدل العنتوش
٧٢ :	ابن عريعر
٤٦٠ :	ابن شاكر
٧٠٠ :	ابن عقيل
٧٠٠ :	ابن مالك

٦٨٨ - ٢٧٣ :	ابن منظور
- ٢٥٠ :	ابن بناته
١٤١ :	ابن القرية
٧٨٠ - ٧٧٩ - ٧٣٠ - ٧٠٦ - ٧٠٥ :	ابن قتيبة
- ٩٣ - ٦٩ :	ابن القيم
٣٩٢ ٣٨٧ - ٣١٥ - ١٠٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٣١	ابن رشيد
- ٧٨٩ - ٣٩٧	
- ٧٨٩ - ٣٨٧ - ٣٢ - ٣١ :	ابن صباح
- ٧٣٠ - ٧٠٦ - ٧٠٥ - ٣٤٦ - ٣٤٥ :	ابن رشيق
- ٧٨١ - ٧٨٠	
٧٨٠ - ٧٣٢ - ٧٠٦ :	ابن طباطبا
- ١٥٤ :	ابن هند
- ٦٦٨ - ٤٧٤ - ٢٢٤ :	ابو بكر بن دريد
- ٥٥٩ :	ابو بكر الصديق
- ٤٩٩ - ٤٦١ - ٤٣٩ - ٤٣٨ - ٢٥٣ :	ابو تمام
- ٥٣٦ - ٥٠٨ - ٥٠٤ - ٥٠٣ - ٥٠٠	
- ٧٣٤ - ٦٦٤ - ٦٦٢ - ٦٥٨ - ٦٧٥	
٨١٣ :	ابو العتاهية
٧١٨ - ٤٧٢ - ٤٣١ - ١٤١ :	ابو العلاء المعري
- ١٥٦ :	ابو زياد
- ٥٦٥ :	أبي حنبل
- ٢٧٦ :	أبي حمزة العامر
- ٣٥٢ :	ابو الفرج الاصفهاني
- ٤٣٨ :	ابو جعفر المنصور
٨٣٠ - ٣٨٦ :	ابو عبيدة بن الجراح
- ٥٦٥ :	أم جندب
- ١٤٦ :	ابو خراش الهذلي
- ٨٦١ - ٧٥٣ - ٤٢٢ - ٤٢١ :	ابو القاسم الشابي
- ٧٩٥ - ٧٨٩ - ٦٥٩ - ٤٢٢ :	ابو الوليد بن زيلون
- ٧٣٤ - ٦٦٨ :	ابو قراس الحمداني
١٤٣ - ١٤٢ - ١٣٤ - ١٣١ - ١٢ - ١١ :	ابو عبيد البكري
- ١٨٦ - ١٨٥ - ١٦٣ - ١٦٠ - ١٥٣	
- ١٩٣ - ١٨٩	
- ٦٦٣ - ٦٦٠ - ٦٣١ - ٣٥٠ - ٢٩١ :	ابو الطيب المتنبي
- ٨١٠ - ٧٧٩ - ٧١٨ - ٦٧٢	
- ٥٦٩ - ٥٦٧ :	ابو لهب
٣٨٩ - ٣٥٨ - ٣٥٦ - ٣٤٨ - ٣٤٦ - ٧٦ :	ابو هلال العسكري
٧٩٧ - ٧٨١ - ٧٨٠ - ٦٤٩ - ٣٩٠	

الحسن بن هانى أبو نواس	: ٥٧ - ٧٣٤ - ٧٧٩
أحمد أمين	: ١٩٨
أحمد حسن الزيات	: ١٩٨ - ٢٠٣
أحمد الصعیدی	: ٨٥
أحمد زینى دحلان	: ٨٦
أحمد معزم	: ٤١٤
أحمد بن على بن مقرب	: ٣١١
أحمد بدوى	: ٣٤٦ - ٧٣١
أحمد الشايب	: ٣٤٧ - ٤١٦
أحمد الجباني	: ٤٩٠
أحمد عبد الغفور عطار	: ٣٤٣
أحمد ابراهيم الغزاوى	: ٤٨ - ٦٠ - ٨١ - ١١٢ - ١٢٥ - ٢٠٤
	: ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٥٤ - ٣٩٨ - ٤٥١
	: ٥١١ - ٥١٥ - من ٥١٨ الى ٥٢٣ - ٦٩٤
	: ٦٩٥
أحمد شوقى	: ٥٢ - ١٦٠ - ٣٥٠ - ٣٦٦ - ٤٣١ - ٤٥٤
	: ٥٥٥ - ٥٥٢ - ٥٠٢ - ٥٢٥ - ٥٦٠ - ٥٦٦
	: ٦٥٦ - ٧١٨ - ٧٥٣ - ٧٧٦ - ٨٦١
أحمد بن حنبل	: ٦٣ - ٤٥٦
أحمد بن عيسى الرداعى	: ١٠٢ - ١٠٣ - ١١٢ - ١٨٥ - ١٨٦
	: ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٦ - ٢٠٦ - ٢١١
	: ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٨١٨
أحمد بن مشرف	: ٥٧ - ٥٩ - ٣٥٢ - ٤١٠
أحمد بن تيمية	: ٦٦ - ٩٣
الاحنف بن قيس	: ٦١٨ - ٦٢٢ - ٧٩٠
الاحوص	: ٣١٢
أرسطو	: ٧٧٧
الاصمعى	: ١٩٣ - ١٩٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٢١
	: ٢٢٢ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٤٢ - ٤٢٠
امروء القيس بن حجر الكندى	: ٦٢ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤٧
	: ١٤٨ - ١٧٠ - ١٨٨ - ٢٢٦ - ٢٣٣
	: ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣١٠ - ٤٢٥ - ٤٦٥
	: ٥٦٥ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٧٥٧
امروء القيس بن زياد بن تميم	: ١٣٣
الالوسى	: ٧٧
آل ثانى ق	: ٤٩١
بل حسين ق	: ١٨٠
آل خليفة ق	: ٤٩١

٣٨١ - ٦١٨ - ٧٩٠ -	اد ٠٠ ق
٢٨ - ١٠٩ -	الادارسة ق
٢٣ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٣٩ -	آل رشيد ق
٧٨ - ١٣٩ - ٦١٨ - ٧٩٠ -	الازد
٢٤ - ٢٨ - ٢٩ - ٢٥٤ - ٣٨٢ - ٤٤٢ -	آل سعود ق
٤٦٠ - ٤٩١ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ -	
٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٦٠٣ -	
٦٠٤ - ٦١١ - ٦٢٢ - ٦٨٢ - ٧٨٦ -	
٨٣٨ -	
٢٨ - ٨١ :	الاشراف ق
٢٦٥ -	آل عيدة
١٥٨ -	آل مرة ق

(ب)

١٧٠ -	بادى بن دبيان
٢٢٤ :	باهلة
٣٥٠ - ٧١٨ - ٧٣٤ - ٧٤٥ - ٨١١ -	انبحترى
٨١٩ -	بديع الزمان الهمداني
٢٣ -	بديوى
٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ -	برجس بن عيدة
٢٦٨ - ٢٦٩ -	
٢٨٠ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٦٠٦ -	بركات الشريف
٤٤٠ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٧١٧ - ٧٧٨ - ٨١٠ -	بشار بن برد
٧٦ -	بشر بن المعتمر
١٨٦ -	بطليموس
٢٣٢ - ٢٣٤ -	بكرى شيخ أمين
١٧٢ -	بلال (مؤذن الرسول)
١٤٦ -	بنى أسد
١٥٥ -	بسى امرى القيس ق
٥٥ - ٨٨ - ٢٥٩ - ٣٤٩ - ٥٦٥ -	بسى أمية ق
٨٨ - ٤٣٩ - ٤٦٦ - ٤٦٧ -	بنى العباس ق
٢٤٦ :	بنى بن بن كلاب ق
١٥٧ - ٤٨٠ -	بنى تميم ق
١٥٥ -	بنو الحارث بن مسلمة ق
١٠٠ -	بنى خالد ق
١٩٣ -	بنى سليم ق
٦١٨ - ٧٩٠ -	بنو سعد ق

۱۶۶ :	بنی غطفان ق
۰ ۴۲۷ :	بنو عید ق
۲۶۶ - ۲۶۲ :	بنی عبد الله بن غطفان
۱۰۸ - :	بنی علی ق
۱۹۳ - :	بنی عامر ق
۲۲۶ - :	بنی قشیر ق
۱۹۶ - :	بنی فیس بن عیلان ق
۲۵۹ - ۲۶۹ - ۲۷۵ - ۲۷۶ :	بنی هلال
۵۴۶ - ۵۴۷ - ۵۴۹ :	البوصیری
۱۹۷ - :	البنداری

(ت)

۳۱۱ - ۳۱۶ - ۳۱۹ - ۳۴۲ - ۶۵۵ :	ترکی بن حمید
۲۸ - :	ترکی بن عبد الله
۱۰۱ - ۱۰۲ - :	تریحیب بن شری
۴۸۰ - ۸۹۰ :	تمیم ق
۷۳ :	تیمور لنک

(ث)

۲۶۴ - ۲۶۵ :	الثبتان ق
-------------	-----------

(ج)

۵۵۱ - ۵۵۶ - ۵۵۹ - ۶۶۶ - ۸۵۴ :	جبریل علیه السلام
۲۷۶ - :	جبر بن سیار
۶۲ - ۱۳۸ - ۱۴۶ - ۳۱۳ - ۵۶۴ :	جریر
۵۶۵ - ۵۶۶ - ۶۰۸ - ۷۲۰ - ۷۳۴ :	
۷۴۵ - ۷۵۷ - :	
۱۶۹ - :	جریر بن عبد الله البجلی
۲۱۹ - :	جریس ق
۶۶۵ - ۷۴۵ - :	جمیل بن عبد الله
۸۴ - ۱۱۳ - ۷۵۳ - ۸۶۱ :	جمیل صدقی الزهاوی
۸۶ - :	جمال الدین الافغانی
۱۷۳ - :	جوهر الصقلی
۲۶۴ - ۲۶۵ - :	الجویر الدعجانی
۱۹۰ - ۱۹۱ - :	جهینه ق

(ح)

٧٨١ - ٧٨٠ :	العاتمي
- ١٠٩ - ٣١ :	حرب ق
- ١٥١ - ١٢٢ :	العارث بن حلزة اليشكري
- ٣٥١ :	العارث بن عوف
- ١٨٣ :	الغازمي
٨٦٠ - ٦٤١ - ٦٤٠ - ٦٣٥ - ٤٠٦ - ٥٤ :	حافظ ابراهيم
٧٧٥ - ٥٧١ - ٣٩٦ - ٣٩٥ - ٣٩٤ - ٤١ :	حامد بن رفادة
- ٢٤٦ :	حذيفة بن أنس الهذلي
٨١٩ :	الحريري
- ٥٢٦ - ٥٣٣ - ٤٨٧ - ٤٤١ - ٤٠٨ :	حسان بن ثابت (رضي الله عنه):
- ٥٤٧ - ٦٦١ - ٦٦٧ - ٦٦٩ - ٧٢٠ - ٧٧٢ :	
- ٢٣٣ - ٢٢٣ :	الحسن بن عبد الله الاصفهاني:
٧٣٩ - ٤٢ - ٤١ :	الحسن الادريسي
- ٢٤٦ :	حسن السندوبي
٥٤٥ - ٥٢٧ - ٥٢٥ :	حسن محمد الشنقيطي
- ٩٥ - ٨٢ - ٣٦ - ٣٢ - ٣١ - ٣٠ :	حسين بن علي الشريف
- ١١٤ - ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٥ :	
- ٣٩٥ - ٣٨٧ - ٣٤٥ - ٣٣٤ - ١٩٠ :	
- ٦٥٤ - ٥٩٣ - ٥٩١ - ٤٦٠ - ٣٩٧ - ٣٩٦ :	
- ٧٨٩ - ٧٧٠ - ٧٦٩ :	
٠ - ٩٤ - ٩٠ - ٨٩ - ٧٤ :	حسين بن غنام
٣٣٢ :	حسين احمد سري
- ٥٤٠ - ٥٣٧ - ٣٤١ - ١٧ :	حسين منصور العساف
- ٧٣٤ :	حسين المرصفي
٢٣٣ :	حسين الخضري
٥١١ :	حسين بن علي
١٧٠ :	حشر البواردي
- ٣٥٧ :	حصن بن بدر الفزاري
- ٧٥٧ :	الحطينة
١٥٦ :	الحفصي
١٣٤ - ٥٦ :	حماد عجرد
- ٨٤٠ - ٥٦٩ - ٥٦٧ :	حمالة الحطب
- ٦٥٧ :	حميد الطوسي
- ٣٤٢ - ٣١٩ - ٣١١ :	حميدان الشوير
٤٩٠ :	حمد بن عتيق

٩٦ -	حمد بن سليمان
٩٠ -	حمد بن ناصر بن معمر
٣١٨ :	حمد بن لعبون
١١ - ١٦ - ١٠٣ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧٦ :	حمد الجاسر
من ١٩٥ - ٢١٨ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -	
٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٣٣ - ٢٤٣ - ٢٥٥ -	
٧٦٣ -	
٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ :	الحمران ق

(خ)

٢٨ :	خالد بن سعود
٢٣٥ - ٢٧٦ -	خالد الفرج
٢٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٤٦٠ :	خالد بن عبد العزيز
٤٥ - ٣٩٨ - ٤٦١ - ٦٨٠ - ٦٩٠ - ٦٩٥ :	خالد بن محمد بن عبد الرحمن
٢٥٣ :	خالد بن يزيد الشيباني
٣٨٦ - ٨٣٠ -	خالد بن الوليد
١٥١ -	خداش بن زهير
٥٥١ - ٥٥٤ - ٥٥٦ - ٥٥٨ - ٥٥٩ -	خديجة - رضى الله عنها
٦٦٦ - ٨٥٤ -	
٢٣٣ :	الخضر حسين
٢٥٠ -	الخضري
١٥٦ - ٦٩٦ -	الخليل بن أحمد
١٢٣ - ٣٤١ -	خليل عبد الجبار
٤٦٠ - ٤٦١ :	خليل مردم بك

(د)

١٧١ - ٢٦٤ :	الدعاجين ق
١٠٨ -	دغيمان بن جعيدان
٢٤٠ - ٤٩٠ :	الدواسر ق
١٦٩ - ١٧٣ :	دوس ق
٢٧ -	دهام بن دواس

(ذ)

٢٨٦ -	ذبيان
١٧١ -	ذوى خوط ق
٣٠٩ -	ذهل بن شيبان

(د)

٢٧٦ -	راشد الخلاوى
٢٨٧ - ٤٢٣ - ٧٥٣ - ٨٦١ -	الرصافى
٧٣٤ -	الرصى الشريف
١٥٩ :	الراعى النميرى
١٦٧ :	راكان بن حثلين
١٥٧-١٥٨ - ٣٦٢ - ٣٧٨ - ٣٨١ - ٣٨٢ -	ربيعة ق
٢٨٤ - ٦٠٨ - ٦١٧ - ٧٦٢ - ٨٢٩ -	
٨٣٧ - ٨٤٨ -	
٢٧٦ :	رميزان
٧٨ :	ريدة ق

(ز)

١٧٨ -	زبيدة
٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ -	زكى مبارك
٢٢٥ :	الزوخشرى
٦٢ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ -	زهير بن أبى سلمى
١٤٦ - ٢٣٣ - ٣١١ - ٣٤٩ - ٣٥٧ -	
٤٦٥ - ٥٠١ - ٦٥١ - ٦٨٤ - ٨٠٩ -	
١٦٩ :	زهران ق
٣٨٦ - ٨٣٠ -	زيد بن حارثة

(س)

١١٥ - ٤٠٠ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٧٠ -	سارة بنت عبد الرحمن بن خلف :
٧٧٠ - ٨٤٢ - ٨٤٣ -	
٣٢ -	سالم بن مبارك
١٠٢ :	سامة الهلال ق
٥٦٧ - ٥٦٩ - ٨٤٠ -	سجاح
٥١٧ - ٥٢٠ -	سحبان بن وائل
٤١٣ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤١ -	سعاد الممرضة
١١٥ -	سعد بن سالم
١٩٧ :	سعد بن حمد بن عتيق
١٢٥ :	سعد عبد الله الجنيدل
٢٧ - ٢٨ -	سعود بن عبد العزيز الاول
١١٦ -	سعود بن محمد بن بليهد

٢٠ - ٣٠ - ٣١ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٤٣ :	سعود بن عبد العزيز
٤٤ - ٥٠ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٤	
٣٥٥ - ٣٦٩ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ -	
٤٦٠ - ٥٢٥ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٦١٦ - ٦١٩	
٦٨٢ - ٦٨٣ - ٧٢٨ - ٧٧٣ - ٧٧٤ -	
٧٧٥ - ٧٩١ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٧ -	
٨٦٤	
٤٦ - ٥٠ - ٣٣٣ - ٥٦١ :	سعود بن عبد الرحمن البليهد
١٩٦ - ٢١٠ - ٢١١ -	سعيد الافغانى
٢٨٥ -	السكران
٧٣١ - ٧٣٢ :	سلامة موسى
٥٦٥ -	سلمة بن الحارث
٣٩ -	سلطان بن بجاد
١١٩ - ١٢٤ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٥ :	سلطان الجبر الرشيد
٥٢٥ - ٥٢٧ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ -	سليمان البطاح
٥٣٤ -	
٤٥١ -	سليمان الشبل
٤٨٠ -	سليمان بن عبد الملك
١٦١ -	سليمان بن عياش السعدى
٦٠ - ٨٤ - ٨٦ - ١١٢ - ١١٣ -	سليمان بن سحمان
٢٤٣ - ٣٥٤ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٥٦٦ -	
٧٣٨ - ٧٥٥ - ٧٩٣ - ٨٠١ -	
٨١٣ - ٨٢١	
٩٩ -	سمرة بن زيد المستعلى

(ش)

٣٢٥ - ٣٩١ :	شعاز الشريف
٥٦٥ -	شرحيل بن الحارث
٣٥٠ -	شكيب أرسلان
٢٨٤ - ٢٨٣ :	شلشا البقمية
٧٩٧ -	الشماخ
١٥٢ -	شميس
٣١ -	الشمريه ق
٧٩ -	شنوءه ق
٣٩٩ - ٧٠٧ :	شوقى ضيف
١٩٠ -	الشياطين ق
٣٨٢ -	شيبان ق
١٩٧ -	الشيول

(ص)

٢٢٣ :	صالح العلي
١٠٢ :	الصعران ق
٥٤٦ :	صفي الدين العلي
٢٢٦ - ٢٢٧ :	الصمة بن عبد الله القشيري
٤٦٠ :	الصولي
٢٣٩ :	صويلح بن سرحان

(ض)

٨١ :	ضياء الدين رجب
------	----------------

(ط)

٤٥٩ :	صاهر بن عبد الله بن طاهر
١١٢ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٣١٣ - ٤٢٦ :	طوته بن العبد
٦١٤ -	
٢١٩ :	طسم ق
٧٨٢ - ٢٣٣ - ٧٣ :	طه حسين
١٦٠ - ١٦١ :	طيء ق

(ع)

٧٨ :	عائض
٨٠٠ - ٧٦٣ :	عباس العقاد
٢٤ - ٧٨٦ :	عبد الله بن جلوي
١١ - ٦٣ - ١٦٥ - ٢٢٩ - ٢٣١ -	عبد الله بن خميس
٢٣٨ - ١٤٠ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧ -	
٢٧٩ - ٢٨١ - ٧٦١ -	
٢٨٦ - ٣١١ - ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٤٢ :	عبد الله بن سبيل
٤٤ - ٣٩٧ :	عبد الله بن سليمان السيارى
٤٦ - ٤٨ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ -	عبد الله السليمان آل بليهد
١١٣ - ٣٩٧ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٤ -	
١٤ - ١٠١ - ١١٤ - ١١٦ - ١٢١ -	عبد الله بن محمد بن بليهد
١٦١ - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧٣ -	
٢٥٠ - ٢٨٧ - ٧٦٩ -	
٣٣ - ٨٦ - ٣٣٩ - ٣٩٧ - ٤٠٥ -	عبد الله بن عبد اللطيف آل
٥٧٣ - ٥٧٦ - ٥٧٨ - ٧٦٢ :	الشيخ

- عبد الله بن عمار : ١٠٣ - ٧٦٤
عبد الله بن جعفر (السفاح) : ٧٧٨
عبد الله بن ابراهيم بن سيف : ٧٢
عبد الله بالخير : ٢٥ - ٧١
عبد الله الغياط : ٦٦
عبد الله بن معمر : ٢١١ - ٢١٩
عبد الله بن سالم : ٧٢ - ٢٨٥
عبد الله بن الحسين الشريف : ١٩٠ - ١٩١
عبد الله السميري : ٣٠٦
عبد الله بن دارم : ١٥٧
عبد الله بن سعد بن سويلم : ١٦٦
عبد الله بن رواحة : ١٣٩
عبد الله بن فاضل : ٣٨ - ٣٩
عبد الله بن فيصل : ١٦٧
عبد الله بن محمد الغرجي : ٤٩٠
عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن بسام : ٨١٩
عبد الله الفيصل : ٦٣ - ١٤٧ - ٣٠١ - ٣٣٧ - ٣٣٩
- ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٨٣ - ٤٦٠ -
- عبد الله بن عبد الرحمن
الفيصل : ١٧٠
العجمان ق : ١٦٧
عبد الحميد المسلوت : ٢٣٣
عبد الحميد (الخليفة العثماني) : ٥٦٦
عبد الرحمن الجبرتي : ٩٠ - ١٦٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار : ١٢٥
عبد الرحمن بن عودان : ١٠٣
عبد الرحمن العبيدي : ١٠٤
عبد الرحمن بن الاصمعي : ٢٢٤
عبد الرحمن محمد البليهد : ١١٦
عبد الرحمن بن فيصل آل سعود : ٢٩ - ٣٣٣ - ٤٠٥ - ٨٤٤
عبد الرحمن بن سعدى : ٦٥ - ٨٧
عبد العزيز بن عكاس : ١١٢
عبد السلام هارون : ٢٠٦
عبد العزيز آل بليهد : ٩٨ - ١٠٥ - ١٠٦
عبد العزيز بن محمد بن عبد الله
ابن بليهد : ١١٦ - ١١٧

الملك عبد العزيز بن عبد
الرحمن

١١ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ٢٨ - ٢٠ :
- ٢٨ - ٢٧ - ٢٦ - ٢٥ - ٢٤ -
٢٤ - ٢٣ - ٢٢ - ٢١ - ٤٠ - ٢٩
- ٩٥ - ٩٤ - ٤٩ - ٤٨ - ٤٧ -
١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٥ - ٩٦
- ٢٥٤ - ٢٠٤ - ١٧٠ - ١٢٠ -
٢١٢ - ٢٢١ - ١١١ - ١٦٥ - ١٥٥
- ٢٤٤ - ٢٢٨ - ٢٢٧ - ٢٢٦ -
٢٦١ - ٢٦٠ - ٢٥٨ - ٢٥٥ - ٢٤٥
- ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦٢ -
٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧١ - ٢٦٨ - ٢٦٦
- ٢٧٩ - ٢٧٨ - ٢٧٦ - ٢٧٥ -
٢٩٥ - ٢٧٨ - ٢٨٧ - ٢٨١ - ٢٨٠
- ٤١٩ - ٤١٨ - ٤٠٦ - ٣٩٨ -
٤٩٦ - ٤٩٤ - ٤٦٠ - ٤٣٢ - ٤٢٠
من ٤٩٩ الى ٥١٠ - ٥١١ - ٥٢٦ -
٥٨٩ - ٥٨٧ - ٥٧١ - ٥٣٠ - ٥٢٧
- ٥٩١ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ -
٥٩٦ - ٦٠٢ - ٦٠٤ - ٦٠٦ - ٦٠٩ -
٦١١ - ٦٦٢ - ٦٨١ - ٦٨٣ - ٦٨٧ -
٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٧ -
٧٠٨ - ٧١١ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٦ -
٧١٧ - ٧١٨ - ٧٢٥ - ٧٢٧ - ٧٢٩ -
٧٣٥ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ -
٧٤٣ - ٧٥٦ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ -
٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٩ - ٧٧٣ - ٧٧٤ -
٧٧٦ - من ٧٨٣ الى ٧٩١ - ٧٩٦ - ٧٩٧ -
٧٩٨ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٥ - ٨٠٦ -
٨٠٨ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٥ - ٨٢٣ -
٨٦٤

عبد العزيز حسين احمد سرى : ٣٣٢
عبد العزيز بن طوق : ٥٧ - ٣٥٤
عبد العزيز بن محمد آل سعود : ٢٧ -
عبد العزيز بن عبد الله بن
حسن : ٦٥ -
عبد العزيز بن صالح : ٦٦ -
عبد العزيز بن زاحم : ١٦٩ - ١٧٠
عبد العزيز بن رشيد : ٣٣٩ -

عبد العزيز الرفاعي : ١٢ :
عبد العزيز الخويطر : ٩٢ :
عبد العزيز ابراهيم الفريح : ٤٩١ :
عبد الملك بن مروان : ٣٥٧ -
عبد الملك بن قريب الاصمعي : من ٢١١ الى ٢١٥ :
عبد القادر المازني : ٧٣١ :
عبد القاهر الجرجاني : ٧٠٦ - ٧٠٧ -
عبد القدوس الانصاري : ٢١٨ - ٢٣٢ - من ٧٥٨ الى ٧٦١ - ٧٦٣ :
عبد المحسن العنقري : ٢٠١ :

عبد الوهاب عزام : ١٦ - من ١٩٥ - الى ٢١٧ :
عبد اللطيف بن عبد الرحمن :
آل الشيخ : ٥٧ - ٧١ - ٨٥ - ٨٦ - ٣٥٤ - ٥٧٩ -
عبيدة ق : ١٩٣ -
عبيد بن الابرص : ١٢٢ - ١٣٣ -
عتيبة ق : ١٠١ - ١٩١ - ٢٦٣ - ٢٦٦ -
عثمان بن بشر : ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٤ - ٨١٨ -
عثمان بن بليهد : ٤١ - ١٠٣ - ٢٨٧ - ٦٩٥ - ٨٢٥ :
عثمان بن معمر : ٢٦ - ٧٢ :
عدي بن الرقاع : ١٣٤ :
عرام بن الاصبح السلمي : ١٩٦ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ -
٢٠٦ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ -
٢٢٨ -

عرديل الدعجاني : ١٧١ -
عسكر الحموي : ١٤٢ :
علي امام عطية : من ٥٦١ الى ٥٧١ :
علي بن الجهم : ٣٣٢ - ٤٥١ - ٤٥٥ - ٤٦١ - ٤٦١ - من
٤٧١ - الى ٤٧٩ - ٦٥٩ - ٦٦٧ - ٧٣٣ -
٧٩٥ - ٨٣٢ -

علي بن حسن العسيري : ٧٧ :
علي بن قاسم بن ثاني : ٤٩٠ :
علقمة الفحل : ٥٦٥ -
عماد الدين الاصفهاني : ٢٤٩ -
العماد الاصفهاني : ٣٣٧ -
عمارة بن عقيل : ٢٢٤ -
عمران بن علي بن رضوان : ٨٣ -
عمر بن أبي ربيعة : ١٤٧ - ١٤٨ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٤٧٤ -
٧٤٥ - ٧٣٤ -

٢٤٢ - ٥٣٨ - ٥٤٢ - ٦٢٦ - ٦٢٨٠ -	عمر (سعد)
٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ -	
٢٨٤ - ٢٨٢ :	عمر بن أذينة
٨٤٩ - ٨٢٥ :	عمر بن عامر بن حارثة
٧٨٠ -	عمر بن لجأ
١١٦ -	عمر بن محمد البليهد
٢٠٥ - ٢١٠ :	العمريين ق
٢٥٠ - ٢٥١ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٦١٨ -	عدنان
٦٣٦ - ٦٨٣ - ٦٩٩ - ٧٩٠ - ٨٤٨ - ٨٦٠ -	
١٣ - ٧٥٨ :	عمر رضا كحالة
٣٤٩ - ٣٨٦ - ٥١٥ - ٥١٩ - ٨٣٠ -	عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
٧٥ - ٢٣٨ - ٢٤٨ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ -	عمرو بن بحر الجاحظ
٧٣٧ -	
١٣٢ - ١٣٦ - ١٥٠ -	عمر بن كلثوم الثعلبي
١٣٢ - ٢٥٩ - ٥٠٩ -	عنبرة بن شداد
٢٢٧ :	عويج الطائي
٤٣٨ :	عيلان ق
٤٩٠ :	عبسى بن على

(غ)

٣٨٤ - ٥٣٣ - ٨٣٠ -	الغساسنة ق
٢٦٥ -	غازى بن عيدة
٥٦٥ -	غياث بن غوث (الاخلطل)
٦٢ - ٩٩ - ٢٧٣ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ -	غيلان ذو الرمة
٥٢١ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٧٠٩ - ٧٣٤ -	
٧٤٥ -	

(ف)

٤١٣ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤١ -	فائزه الممرضة
٤٨٧ :	الفراء
٥٦٣ - ٥٦٨ - ٦٣٣ - ٧٩١ - ٧٩٢ -	فرعون
٨٤١ - ٨٦٤ -	
١٩٧ -	فريد الدين العطار
٢٨ - ٨٥ - ٦٠٣ -	قيصل بن تركى
٣٢ - ٣٩ -	قيصل بن سلطان الدويش

فبصل بن عبد العزيز

: ٢٠ - ٣٠ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٨ - ٤٢ - ٤٣ :
٤٥ - ٤٦ - ٥٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٩٦ - ١٠٦ :
١١١ - ١١٢ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢٤ :
١٤٧ - ١٦٥ - ١٧٤ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ :
٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٤ - ٢١٥ - ٢٥٣ - ٢٥٤ :
٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٨ :
٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٨ :
٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٧ - ٣٢٢ - ٣٢٧ :
٣٣٩ - ٣٤٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٧٧ - ٣٨٣ :
٤٣٨ - ٤٦٠ - ٥١١ - ٥٥٣ - من ٦٠١ :
٦٠٧ - ٦٠٩ - ٦٨١ - ٦٨٤ - ٦٨٩ :
٦٩٠ - ٧٢٨ - ٧٥٦ - ٧٦١ - ٧٧٤ - ٧٨٧ :
٧٨٨ - ٧٩٧ - ٧٩٩ - ٨٠٥ - ٨٠٨ - ٨٢٧ :
٨٦٥ - ٣٥٤ :

فؤاد شاكر

(ق)

: ٤٩٠ :
١٤٦ - :
٨١٩ :
٦٧٢ - ٦٧٢ - ٧٣١ - ٧٣٧ - ٧٤٠ - :
٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٧١ - :
٧٩ - ١٩٣ - ٢٤٠ - ٢٥١ - ٣٨١ :
١٨٤ - ٣٨١ :
٣٥٧ - ٣٥٨ :
١٣٩ - ١٩٦ - ٤٠٠ - :
٥٦٠ - ٦٥٨ :
٣٨٤ - ٨٢٩ :
٢٧٦ - :
٤٧٦ - ٤٧٨ - ٦٥٩ - :

قاسم بن ثاني

القتال الكلابي

القاضي الفاضل

القاضي الجرجاني

قحطان

القحطانيين ق

قدامة بن جعفر

قريش ق

قريط بن أنيف

قضاة ق

قطن بن قطن

قيس بن الملوح

(ك)

: ٧٣٤ - ٧٤٥ :
٢٥٣ - ٤٣٧ - ٥٥٠ - ٨٥٣ :
٢٧٣ :
٥٨ - ٤٠٨ - ٦٩٤ - ٦٩٥ :
١٩٦ - ٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢٢٨ - :
٥٤٦ :
١٩٦ :

كثير عزة

كسرى

كعب بن سعد الغنوي

كعب بن زهير

الكميت بن زيد

كنانة

(ج)

١٢٢ - ١٢٦ - ١٤٨ - ١٤٩ -	نبيد بن ربيعة العامري
١١ - ٢٢٣ - ٢٢٥ -	لغة الاصفهاني
٢٥٣ -	لقيط الايادي
٣٣٦ -	لويحان

(م)

٣٠٩ :	مازن ق
٤٢٥ -	مالك بن الريب
٢٨٧ - ٣٠٦ - ٣٣١ - ٣٥٦ -	مانع أبو العلا
٤٦٠ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٧١ - ٤٧٥ -	المتوكل الخليفة العباسي
٤٧٦ -	

٩ - ١٩ - ٥٨ - ٦٠ - ٨٠ - ٨٣ - ٩٩ -	محمد (صلى الله عليه وسلم) :
١٧٢ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٧٢ -	
٣٤٥ - ٣٤٤٩ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٧٥ -	
٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٨ - ٣٩٣ - ٤٠٥ -	
٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤١٠ - ٤٢٥ - ٤٣٠ -	
٤٣١ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٥٧ - ٤٦٦ - ٤٧٠ -	
٤٧١ - ٤٩٢ - ٤٩٩ - ٥١٠ - ٥١٤ -	
٥١٥ - ٥١٩ - ٥٢٧ - ٥٢٩ - ٥٤٥ - ٥٤٦ -	
٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ -	
٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ -	
٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦٨ - ٥٦٩ -	
٥٧٦ - ٥٨٢ - ٥٨٧ - ٥٩٣ - ٥٩٥ -	
٥٩٧ - ٥٩٨ - ٦٠٩ - ٦١٩ - ٦٢٧ -	
٦٣٠ - ٦٣٦ - ٦٤١ - ٦٥٣ - ٦٦١ - ٦٦٦ -	
٦٦٩ - ٦٧٩ - ٦٨٢ - ٦٨٩ -	
٦٩٨ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٧٢ - ٧٧٦ -	
٨٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٩٠ -	
٧٩١ - ٧٩٩ - ٨١٥ - ٨٣١ - ٨٣٦ -	
٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٤١ - ٨٤٤ - ٨٤٩ - ٨٥١ -	
٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٦٠ -	
٨٦٦ - ٨٦٧ -	

٥٦ :	محمد بن ادريس الشافعي
٧٤ - ٩٠ :	محمد بن اسماعيل الصنعاني
١٥٥ - ١٨٤ - ١٩٦ :	محمد بن الاكوع
٨٢ :	محمد حسن الفقي
١١٣ - ٧٣٨ - ٧٥٣ -	محمد حسن عواد

- محمد حياة السندی : ٧٢ -
 محمد رشيد رضا : ٨٦ -
 محمد سرور الصبان : ٢٥ - ٧١ - ١١٣ - ١٢٣ - ٣٤١ - ٣٥٤
 ٧٣٨ - ٧٥٣ -
 محمد السعدى قرهود : ١٩ - ٣٤٨ - ٤١٥ - ٥٧٠ - ٨٢٢ -
 محمد بن سعود : ٢٣ - ٢٧ - ٦٦ - ٧٢ - ٣٦١ -
 محمد سعيد عبد المقصود : ٢٥ - ٧١ - ١١٣ -
 محمد سليمان الشبل : ٥٤٥ - من ٥٥٢ الى ٥٦٠ -
 محمد بن سهل : ١٦٠ -
 محمد الشريف : ٦٨ -
 محمد بن صالح العلوى : ١٩٣ -
 مصعب بن الزبير : ٣٥٧ -
 مصلط بن ربيعان : من ٢٦٤ - ٢٦٨ -
 محمد بن طلحة : ١٧٢ -
 محمد بن طلال : ٣٢ - ٢٣٢ -
 محمد الطيب الانصارى : ٨١ - ٢٣٢ -
 محمد عرقه : ٢٣٣ -
 محمد بن عيسى بن على : ٤٩٠ -
 محمد المجموعى البصرى : ٧٢ -
 محمد عبده : ٨٦ -
 محمد بن عبد الملك بن الزيات : ٤٥٩ -
 محمد بن عبد العزيز : ٣٦ -
 محمد بن عبد المطلب : ٤٢٤ - ٧٥٣ - ٨٦١ -
 محمد بن عبد العزيز بن مانع : ٤٣٣ - ٤٩٠ -
 محمد على : ٩٣ -
 محمد بن عثيمين : ٦٠ - ٨٠ - ١١٢ - ٣٣٩ - ٣٥٤ - ٤٠٩ -
 ٤١٠ - ٤٥١ - ٤٩٠ - ٤٩٥ - من ٤٩٩ -
 الى ٥٠٩ - ٥٣٠ - ٦٢١ - ٦٥٦ - ٦٧٣ -
 ٦٧٤ - ٦٧٩ - ٦٨١ - ٧٣٣ - ٧٣٨ -
 ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٩ - ٧٨٤ - ٨٠١ -
 ٨١٣ - ٨٢١ -
 محمد بن عبد الوهاب : ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٥٣ - ٥٥ - ٦٥ - ٦٦ -
 ٧٢ - ٧٣ - ٧٥ - ٧٧ - ٨١ - ٨٤ -
 ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٢٥٣ -
 ٣٦١ - ٥٧٩ -
 محمد عبد الوهاب : ١٦٠ -
 محمد بن فيصل بن عبد العزيز : ٢٩٥ -

١٣٩ - ١٤٠ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤	محمد بن لعبون
٢٨٦ - ٣٠٣ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٤	
٣١٥ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠	
٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٨ - ٣٤٢ - ٦٥٢	
١٩٧ :	محمد مهدي علام
٨٥ :	محمد محمود الجزاسي
١٨٦ :	محمد محي الدين عبد الحميد
٧٣٤ :	محمد مدور
٢٠٦ - ٥٧١ :	محمد نصيف
٢٨٦ - ٣١١ - ٣١٤ - ٣١٩ - ٣٤٢	محمد القاضي
٤٠٦ - ٦٧٠ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٨٠١ - ٨٦١	محمود سامي البارودي
٢٧٩ - ٢٨٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٨	محسن الهزاني
٣١٩ - ٣٤٢ :	
١٩٨ :	محمد خلف الله احمد
٢٥٠ :	المخضوبي
١٩٨ :	مختار الوكيل
١٩٣ :	مرادق
٧٦ - ٧٠٦ - ٧٣٠ - ٧٨١	المرزوقي
٩٩ :	المزرد بن ضرار
٥٦٧ - ٥٦٩ :	مسيلمة الكذاب
٢٨ :	مشاري
٨٥ :	مصطفى الازهرى
٧٣١ - ٧٣٢ :	مصطفى صادق الرافعي
٧٣١ :	مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٥٧ :	مصعب بن الزبير
٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٤ - ٥١٥ - ٦٨٣	مضر ق
٨٢٩ :	
٢٨٣ :	معاوية بن ابي سفيان
٤٩٩ :	المعتصم
٤٠ :	معقد بن سعود الدهينة
٧٨ - ٦٨٥ - ٧٥٦	مغيدق
٥٣٣ :	المناذرة
٣٠٦ :	منصور بن عبد العزيز
٥٤٦ :	مهيار
٦٦٩ - ٦٧٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٨٦٤	موسى (عليه السلام)
٢٨٤ - ٢٨٣ :	ميسون بنت بحدل
٦٢ - ١٣٢ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٤١	ميمون بن قيس (الأعشى)
١٩٤ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٤٦٥ - ٥٤٦	
٦١٤ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٦٥	

(ن)

١٥٣ - ١٥٠ - ١٢٢ - ١٣٥ - ١٣٣ - ١٣٢ :	الناطقة الذيباني
١٥٤ - ٢٣٣ - ٤١٧ - ٧٠١ - ٧٢٠ - ٧٧٢ :	
٩٠ :	ناصر الدين الاسد
١٠٣ - ٧٥٧ - ٧٦٤ :	ناصر بن سعود (شويمي)
١٢٤ - ٢٥٥ :	ناهض بن توم الكلايبي
٨٦١ - ٨٣٧ - ٨٤٤ :	النحاس
١٨٣ - ٢٢٥ - ٢٤٦ :	نزار ق
٧٤٥ :	نصر عبد الرحمن الاسكندري
٧٧٢ :	نصيب
	النعمان بن المنذر

(و)

٧١٨ :	والتر رالى
٢٢٤ - ٤٥٩ :	الواثق
٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ :	ويار العيش
٢٤٢ :	ود بن منظور الاسدي
٥٥١ - ٥٥٦ - ٥٥٩ - ٨٥٤ :	ورقة بن نوفل
٥٦٦ :	ولى الدين يكن
١٣٨ :	الوليد بن عبد الملك

(هـ)

١٧٨ - ٧٧٩ :	هارون الرشيد
٣٤ - ١٠٨ :	هتيم ق
٣٤٩ - ٣٥١ - ٨١٥ - ٨٤٩ :	هرم بن سنان
١٦٦ :	الهزليين ق
٣١٢ - ٤٥١ - ٤٨٠ - من ٤٨٣ السى :	همام بن غالب (الفرزدق)
٤٨٩ - ٥٤٦ - ٥٦٤ - ٥٦٦ - ٦٠٨ :	
٧٢٠ - ٨٢٥ :	
١٨٤ :	همدان ق
٧٣ :	هولاكو
١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦ - ٧١ - ٩٤ - ١١٠ :	الهمداني
١٢٧ - ١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٥ - ١٨٤ :	
١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٠ :	

١٩١ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٢٥ -
٢٢٣ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٤١ - ٨٢١ -

(٥.)

: ١١ - ١٢ - ١٣١ - ١٣٤ - ١٤٢ - ١٤٣ -
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٧١ -
١٧٥ - ١٧٦ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٦ -
١٨٩ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ - ٢١١ - ٢٢٣ -
٢٢٤ - ٢٤٠ - ٢٤٢ - ٢٤٦ -

١٩٤

: ٤٣ -

: ٢٢٦ -

: ٤٨٣ -

: ٣٨١ - ٦١٨ - ٧٩٠ -

: ٣١٣ - ٣٢٦

: ٣١٣ - ٣٢٦

ياثوت الحموى

يام ق

يحيى امام اليمن

يحيى بن طالب الحنفى

يزيد بن المهلب

يعرب ق

يعقوب (عليه السلام)

يوسف (عليه السلام)

فهرس الاماكن والبقاع

(١)

٣٤ - ١٧٢ - ٧٨٧ -	أبها
١٧٣ -	أبيده : بيده
١٩٧ :	أبو قبيس
١٧٩ :	أبا القور
٢٢٧ :	أبو القد
٣٠٣ :	أبقار
٢٣٩ - ٢٤٠ -	أثيثة
٢١٢ -	الاثيذاء
١٨٨ -	أثال
٣٠٣ :	أجله
٨٥ - ١٠٧ - ١١١ - ١١٢ - ١٥٨ -	الاحساء
١٦٦ - ٢٧٦ - ٣٥٨ - ٤٩٩ - ٥٠٦ -	
٥٠٨ - ٨١٨ -	
١٢٦ :	الاحقاف
١٧٧ -	الاخشيين
١٤٦ -	أدمى : آدم
١٤٢ -	أربل
٤١ - ٣٨٣ - ٣٩٥ -	الاردن
١٥٣ -	أريك
٦٩٥ :	أزيمة
١٧٣ - ٤٣٤ - ٤٣٦ - ٦٣٣ - ٦٣٨ -	الازهر
٦٣٩ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٧٦ - ٨٥٨ -	
٨٦١	
١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٣ -	الإسكندرية
١٣٤ :	أسيس
٢٣٩ :	أشى
١٥٥ - ٨١٨ -	أشيقر
١١ -	أصفهان

: ١٧٠ - ١٧١ -
 : ٨٦ - ٤٩٠
 : ١٤ - ١٨ - ٢٧ - ٤٠ - ٤١ - ٤٦ - ٨٢
 - ١٩٩ - ٢٠٣ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٦٦
 - ٣٦٧ - ٢٩٨ - ٤٩٣ - ٥٧٨ - من ٦٧٥
 الى ٦٧٨ - ٦٨٠ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٩١
 - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٨٠٥ - ٨١٣

أضاح
 الافلاج
 أم القرى

: ١٧٨ -
 : ٨٦ -
 : ١٥٩ -
 : ٨٢ -
 : ١١ -
 : ٤٢ - ٤٦ - ٧٣ - ٢٦٩ - ٣٨٣ -
 : ٤٣٧ - ٥٥٠ - ٥٥٤ - ٥٥٨ - ٦٦٦ -
 - ٨٥٣

أم الحمام
 أم سقا
 أمهار
 اندونيسيا
 الاندلس
 أوروبا
 الايوان : ايوان كسرى

(ب)

: ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٨٦٢
 : ١٩٧ -
 : ٥٨٩ - ٥٩٤
 : ١٧٦
 : ١٧٥ -
 : ٢٤١
 : ٩٣ - ٧١٧ -
 : ٨٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ٤٩١ -
 : ١٨٨ -
 : ١٥٢ - ١٥٧ - ١٥٨ -
 : ١٩٧ - ٢٦٣ -
 : ١٥٣ - ١٨٠ - ٢٢٠
 : ٤٥ - ٣٨٧ -
 : ٧٢ - ١٥٥ -
 : ٤٥ - ١٥٠ - ١٧٦
 : ١٧٥
 : ٦٠٧ - ٦١٠
 : ٥٤ - ٨٨ - ٤٥٩
 : ١٨٨ -
 : ١٧٩ -
 : ١٥٥ - ١٥٦

باب اللوق
 باحستان
 بان
 بئر السبع
 البحيرة
 البحر الشرقي
 البحر الاحمر
 البحرين
 برقة العيرات
 البرك
 البرود
 بريدة
 بريطانيا
 البصرة
 البطحاء
 بطحان
 بطن نخلة
 بغداد
 بكرات
 البكيرية
 بنبول

٢١١ :	بلاد دوس
١٤٢ :	بلاد الروم
١١٩ - ٣٣٦ - ٤٦٠ :	بيروت
١٩٤ :	بيشة
٢٥٤ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٦ - ٤١٩ - :	البيت الحرام
٤٢٥ - ٥٨٧ - ٥٩٣ - ٦١٦ - ٦١٩ - :	
٦٢٠ - ٧١٦ - ٨٠٥ - ٨٥٦ - :	
٦٤١ :	بور سعيد
١٦٩ - :	بوضان
١٧٩ - :	البواقر
١٩٣ - :	بيجان
٩٩ - :	بيهس

(ت)

٢٢٧ - :	تبراك
١٩٤ - ١٩٣ - :	تثليث
٣٠ - ١٠٧ - ١٧٨ - ٣٣٤ - ٣٣٨ - :	تربة
٣٦٢ - ٥٨٧ - ٥٩٣ - ٧٠٨ - ٧٦٩ - :	
٧٨٣ - ٧٨٧ - :	
١٨٨ - ١٩٣ - :	ترج
٢٨ - ٣٨٣ - :	تركيا
١٥٩ - ١٦٠ - :	التوباد
٢٤٦ :	توضح
٣٨٣ - ٤٥٩ - :	تونس
١٠ - ٣٩ - ١٠٩ - ١٦١ - ١٦٤ - ١٧١ - :	تهامة
١٩٦ - ٢٠٥ - :	
٣٨٥ - ٨٢٩ - :	تيماء

(ث)

٣٠ - ١٦٦ - :	ثادق
١٠٠ - ٢٤٠ - :	ثرم
١٣٨ - :	ثرمداء
٢٠٧ - :	الاثيداء
٤٩٤ - ٦٣٤ - ٨٠١ - ٨٥٨ - :	ثهلان

(ج)

١٧٤ - ١٧٥ - ٧٣٩ - :	جازان
١٤٣ - :	جالس

٤٥٩ :	جامع بغداد
١٨٨ :	الجب
١٨٠ - :	جبرة : شبره
١٧٧ :	جبل طويق
١٦٠ :	جبل طيء
١٥٣ - :	جبل الشعباء
٣٠ :	الجيل
١٩٢ - :	جبل الحصن
٢٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٤٩ - ١٠٩ - ١١٢ - :	جدة
٢٠١ - ٢٠٦ - ٢١٨ - ٢٤٤ - ٥١٢ - :	
٧١٧ - ٧٩٥ - :	
١٩٣ - :	جزر اليمن
٣٨٣ :	الجزائر
٩ - ١٠ - ١١ - ١٦ - ١٨ - ٢٣ - ٢٦ - :	جزيرة العرب
٢٨ - ٢٩ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٩ - ٦٢ - :	
٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٧١ - ٧٣ - :	
٧٤ - ٧٥ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - :	
٩٢ - ٩٤ - ١١٠ - ١١٢ - ١٢٢ - ١٢٧ - :	
١٣٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٦ - :	
١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - :	
١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - :	
١٩٦ - ١٩٩ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٨ - ٢٢٠ - :	
٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٩ - :	
٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - :	
٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤١ - ٢٤٤ - :	
٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٧١ - ٢٧٢ - :	
٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢ - :	
٢٨٣ - ٣٨٤ - ٤٩١ - ٥٦٨ - ٥٧١ - :	
٦١١ - ٦٤١ - ٦٨٦ - ٧٠٨ - ٧٣٨ - :	
٧٤٥ - ٧٥١ - ٧٥٤ - ٧٩٢ - ٨٢١ - :	
٨٦٢ - :	
١٤٣ - :	جلس
٩٢ - :	جلاجل
٢٠١ :	جلدان
٦٠٧ - :	جلق : دمشق
١٩١ - ١٩٢ :	جماز
٥٢٥ :	الجوفى
١٤٦ - ٢٢٧ - :	جو : خو

- ٧٥٦ - ٣٢ :
- ١٩٧ :

الجهرا
العيزة

(ج)

٧٨٣ - ٧٤٤ - ٧٤٣ - ١٠٨ - ١٠٧ - ٣٢ :
٥٢٤ - ٣٧١ - ٢٥٥ - ٢٤ - ٣٣ - ٣٢ :
- ٧٨٧ - ٧٨٦ -
- ١٣٤ :

العائط
حائل

حاقه

الحبشة
العجاز

٦١١ - ٥٥٤ - ١٣٧ :
٣٦ - ٣٥ - ٢٨ - ٢٥ - ٢٣ - ١٤ - ١٠ :
- ٥٩ - ٥٤ - ٤٤ - ٢٩ - ٢٨ - ٣٧ -
- ٩٥ - ٨٨ - ٨٦ - ٨١ - ٦٧ - ٦٤
- ١٠٩ - ١٠٨ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٣
- ١١٩ - ١١٨ - ١١٦ - ١١٤ - ١١٢
- ١٦٩ - ١٦٤ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٦ -
- ٢٠٤ - ١٩٦ - ١٩٥ - ١٩٣ - ١٨٢
- ٢٥٤ - ٢٤٧ - ٢٤٥ - ٢٤٤ - ٢٢١
- ٣٦١ - ٣٣٩ - ٣٠١ - ٢٩٥ - ٢٨٠
- ٤٩٣ - ٣٨٦ - ٣٨٤ - ٣٧٥ - ٣٦٦
- ٥٦٢ - ٥٥٦ - ٥٥٣ - ٥٥٢ - ٥١١
٦٠١ - ٥٩٣ - ٥٧١ - ٥٦٩ - ٥٦٦
- ٦٢٤ - ٦٢٠ - ٦١٩ - ٦١٦ - ٦٠٦ -
- ٧٧٣ - ٧٤٥ - ٧٢٥ - ٧١٥ - ٦٩١
- ٨٣١ - ٨٠٦ - ٨٠٥ - ٧٩٩ - ٧٧٤
- ٨٤٠

حجر صبيد
حجر

١٥٠ :
- ٤٠٥ - ٢١٩ - ١٧٦ - ١٥٣ - ١٥٠ :
- ٥٣٣ - ٥٢٦

حجر اسماعيل
الحجون
الحديدة

- ٤٦٦ - ٤٢٠ - ٤١٩ - ٤١٨ - ٤٤ :
٨٤٢ - ٧٤٦ - ٦٥٩ - ٤٦٦ :
- ٤٢ :

حذائق حلوان
الحرم المكي

٤٢٣ - ٤٢١ - ٣٤٤ - ٣٣٢ :
- ٣٦٦ - ٣٦٤ - ٣٦٠ - ١٧٩ - ٤٧ - ٣٦ :
- ٥٥٢ - ٥٥٠ - ٥٣٠ - ٥٢٥ - ٤٣٢
- ٨٥٢ - ٨٤٩ - ٨٤٦ - ٧٢٨ - ٥٥٤
- ٨٦٥ - ٨٥٦

الحرمين
حرمة

- ٥٩٣ - ٥٢٢ - ٧٢ :
٣٢٤ - ٣١٩ :

٢٢ :	حريملاء
- ٢٠٥ - ٢٠١ :	الجرة
- ٢٠٩ - ٢٠٣ :	حرة الغلص
٢٠١ :	الحريرة
٣٠٢	حزم هكران
- ١٥٣	حسي
- ٣٥٩ - ١٣٩ :	الحساء
- ١٩٣ - ١٨٨ - ٥٣ :	حضن
- ١٩٣ :	حضر موت
- ٧٨ :	الحفير
٤٩٤ - ١٤٢ :	حلب
٢٠١ :	جلدان
- ١٨٨ :	حليت
- ٧٢٦ - ٤٢٣ - ٤٢١ - ١١١ - ١١٠ :	حلوان
- ٨٦٢ - ٨٦١ - ٧٩٨ - ٧٩٥ - ٧٥٣ :	
- ٢١٩ - ١٥١ - ١٤٣ :	حمى ضرية
٢٢٠ :	حمى الربدة
٢٢٠ :	حمى سامودة وسجا
١٥٥ - ١٥٤ :	الحنبلى
٢٢٧ - ٢٢٦ :	الحوض
١٧٨ - ١٥٧ - ١٥٣ :	الحوطة
- ٤٩٠ - ١١٢ - ١٠٧ - ٩٥ :	حوطة بنى تميم
- ٤٢٥ - ٢٤٦ - ٢٤٥ :	حومل
١٤٦ :	الحوية
٢٢٧ :	الحويض

(خ)

٣٠٣ :	الخال
- ٣٣٨ :	الخبر
- ٤٥٩ - ١٤٢ :	خراسان
١٦٩ :	خريم
١٠٧ :	الخرمة
٤٩٠ - ١٨١ - ١٨٠ - ٢٨ :	الخرج
١٧٦ :	خسيفا
- ٣٢٤ :	خشم الاصفر
١٧٠ :	خشم ضبعة
٢٣٩ :	خل النقا

: ٩٣ - ١٢٢ - ١٢٦ - ١٣٨ - ١٨١ -
 - ٢١٨ - ٣٥٨ - ٣٨٣ -
 : ٢٠٥ - ٢٠٩ - ٢١٠ -
 : ١٧٩ -
 : ٣٤ - ١٠٨ -
 : ١٤٢ -

الخليج العربي

خليص

الخنقة

خيبر

خوارزم

(٥)

: ٢٤٢ -
 : ١٩٣ -
 : ١٩٣ -
 : ٥٤ - ١٥٦ - ١٩٤ -
 : ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٤٢٥ -
 : ٢٤١ - ٢٤٢ -
 : ٢٧ - ٧٢ - ٧٧ - ٨٥ -
 : ٣٢٤ -
 : ١٧١ -
 : ٨٥٠ -
 : ٦٦ - ٨٨ - ٦١٠ - ٦١٣ - ٦٩٢ -
 : ١٥١ -
 : ٣٠١ - ٣٠٢ -
 : ١٢٦ - ١٥٤ - ١٩٣ -

دبي : دبا

الديبل

دتينه

دجلة

الدخول

دد

الدرعية

الدعيكة

دلعة

الدمام

دمشق

الدوامي

داورد

الدهناء

(٦)

: ٩٩ - ١٠١ - ١٢٥ - ١٧٠ -
 : ١٥١ - ١٧٩ - ١٩١ -
 : ١٨٨ -
 : ٢٥١ -
 : ٢٥٣ -
 : ٢٠٧ -

ذات غسل : غسلة

ذى اراط

ذى اقدام

ذى المجاز

ذى قار

ذى طوى

(٧)

: ١٩٣ -
 : ١٧٦ -
 : ١٣٠ - ١٥٢ - ٥٢٥ -
 : ١٣٠ -

الربع الغالى

الرحيمية

الرس

الريسيس

٧٩٥ - ٤٢١ - ٤٦٢ :	الرصافة
٦٠٧ :	رضوان
- ٥١٨ - ٥١٧ :	رضوى
١٧٦ :	الرقباء
١٣٠ :	رقد
- ٢١٠ - ٢٠٥ :	ركبة
١٨٠ :	الرحيمي
- ١٨٨ :	رنية
- ١٨٨ :	الروحاء
٧٨٧ - ٣٢ :	الروضة
١٧٦ - ١٧٥ :	روضة خسيفاء
- ٣٩ :	روضة السبله
١٧٦ :	روضة معقلا
٥٣ :	ريان
- ١٦٩ :	رياض القطي
- ١١٢ - ١٠٨ - ٤٣ - ٣٤ - ٢٧ - ١٤ :	الرياض
- ١٥٢ - ١٥٠ - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٦	
- ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٦ - ١٥٥ - ١٥٤	
- ٢٣٣ - ٢١٩ - ٢٠١ - ١٨١ - ١٨٠	
- ٦١٩ - ٥٣٣ - ٣٠٢ - ٣٠١ - ٣٤٣	
٨٤٣ - ٧٦٩ - ٧٤٧ - ٦٨٠	
١٨٤ - ٧٨ :	ريده

(ز)

- ١٢٢ :	الزاهر
٣٠٠ :	زين عيسان
٨١٨ - ٣٢٠ - ٧٢ :	الزبير
٨٢٧ - ٤١٩ - ٤١٨ :	زمزم
- ١٨٨ :	الزهرة
- ١٧٣ - ١٠٩ :	زهران
- ١٨٨ :	الزيمه

(س)

- ١٥٧ :	الساحل
١٧٠ - ١٦٩ :	السبله
- ١٧٨ :	السديرة

٩٢ - ١٣٩ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ :	سدير
١٥٥ - ١٥٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ :	
١٨٠ - ١٩٢ - ٣١٩ - ٣٢٠ :	
١٧١ - ٢٦٣ :	السر
١٢٦ :	السراة
٢٤٥ - ٢٤٦ - ٤٢٥ :	سقط اللوى
١٣٠ :	سلمى
٤٩٠ :	السلمية
١٨١ :	سمحان
٢٤٦ :	سناف : شرف : شراف
١٤٢ :	سنجار
١٤٧ :	السند
٣٨٣ :	السودان
٢٤٧ :	السوادة
١٨١ :	السويدي
١٨٨ :	السى
١٩٥ - ٢٠٤ :	السيل الكبير
١٩٥ - ٢٠٤ :	السيل الصغير
٤٢٤ - ٨٦٢ :	سيناء

(ش)

٤١ - ٥٢٦ - ٧٧٥ :	شار
٢٤ - ٢٩ - ٥٤ - ٥٥ - ٦٢ - ٨٥ :	الشام
٩٣ - ١٢٢ - ١٤٨ - ١٨٢ - ٢٤٥ :	
٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٨ - ٣٨٢ - ٣٨٣ :	
٣٨٤ - ٣٨٥ - ٦١١ - ٧٥٣ - ٨٢٩ :	
١٧٣ :	شامة
١٧٩ :	الشامية
٣٢٣ :	شاطيء الجرعى
١٤٦ - ١٨٠ :	شبرا
٢٠١ - ٢٠٨ :	شرب
٢٦٦ - ٢٦٣ :	شرقة
٣٠١ :	الشرايع
٢٢٦ - ٢٢٧ :	شعبعب
١٠٥ - ١١٠ - ١١٥ - ٤٠٣ - ٤٠٤ :	الشعراء
٦٠٩ :	
٣١ - ١٦٦ :	الشعبية

١٥٣ :	شعبياء
- ١٦٦ :	الشعب
- ١٧٧ :	الشعبية
- ١٧٧ :	الشعبية
- ٩٢ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ٢٣٩ -	شقراء
- ٧٥٧	
- ٥١٢ :	شمر
١٥٢ :	شمس
١٥٢ :	الشمس
- ١٨٠ - ١٥٢ :	الشمسية
١٥٢ :	الشميسى
١٨٠ - ١٥٣ :	شماس
١٨٠ - ١٥٣ :	الشماسية
- ١٥٣ :	الشميسية
١٩٧ :	الشوبك
٦٨٦ :	شهران

(ص)

- ١٣٠ :	صارات
٤١ :	صبيا
٨٤٢ - ٧٤٦ - ٦٥٩ :	الصفاء
٢٤١ :	الصفاء
١٥٢ :	صفراء الوشم
٣٢٣ :	الصمان
- ٤٩٢ - ١٩٦ - ١٨٨ - ٩٣ - ٤٢ :	صنعاء
- ٦١٥ - ٦١٣ - ٦١٠ - ٦٠٧	
١٩٣ :	صيهده

(ض)

٦١٠ - ٦٠٧ :	ضارج
١٩٧ :	ضبا
- ١٦٩ :	ضبعة
٢١٩ - ١٧١ - ١٥٣ - ١٤٣ :	ضرية

(ط)

١١٢ - ١٠٩ - ١٠٥ - ٦٧ - ٥٠ - ٣٥ :
- ١٧٨ - ١٧٧ - ١٤٦ - ١١٩ - ١١٨ -
- ٢٥٤ - ٢١٣ - ٢١٢ - ٢٠٤ - ٢٠٢
- ٦٠٩
- ١٤٩ :
- ٨٦ :
- ١٧٣ :
- ١٣٠ :
- ١٧٧ :

الطائف

طخفة

طرابلس

طفيل

الطوى

طويق

(ظ)

- ٦١٠ - ٦٠٧ :
- ٣٤١ - ١٢٣ :
- ١٩٨ :

ظلم

الظفير

الظهران

(ع)

٣٢٣ :
- ١٨٨ :
- ١٣٠ :
- ١٨٨ :
- ١٥٠ :
- ٣٧٢ :
- ١٥٣ :
- ١٥٣ :
- ٦٥٣ :
- ٢٠٩ - ٢٠١ :
- ٢١٣ - ٢٠٩ - ٢٠٥ - ٢٠١ :
١٩١ :
- ٣٨٣ :
- ١٤٨ - ١٢٢ - ٩٣ - ٥٥ - ٢٩ - ٢٧ :
- ٢٧٢ - ١٨٢ - ١٧٨ - ١٦٠ - ١٥٢
- ٣٨٣ - ٣١٨ - ٢٧٨ - ٢٧٤ - ٢٧٣
٦٩٢ - ٦١١ - ٤٨٧
- ٤٤ :
٢٤٦ :

العارض

عافل

عاقلة

عارمة

عازب

عالج

عبد

عبود

العبادية

العبلاء

العييلات

العتك

عدن

العراق

العرض

عرعر

٣٠٣ :	العرف
- ١٥٩ :	عروة
- ١٥٢ :	العريجاء
- ١٤٨ :	عسيب
- ١٤٨ :	العسيبات
- ٧٦١ - ٧٥٦ - ٣٧٧ - ٨٦ - ٣٤ :	عسير
- ٢٦٥ - ٢٦٤ :	عسيلا
- ١٩٢ - ١٧٩ :	العطار
- ٢٢٧ - ٢٢٦ :	العطن
- ٢٢٧ :	العطينة
٣٢٤ :	عقيف
- ٢٢٧ :	العقبة
- ١٥٦ :	العقير
٣٢٣ :	العك
- ١٢ - ١٦ - ١٤٢ - من ١٩٥ الى ٢١٧ :	عكاظ
- ٢٢٨ - ٢٥١ - ٢٨٥ :	
١٣٧ - ١٥١ - ١٥٢ :	العلياء
١٥٧ - ١٨١ - ٢٤٢ - ٢٧٦ - ٥٢٦ :	عمان
- ٣٩٥ :	عمان
- ٤٩٩ :	عمورية
٨١٨ - ٥٤٥ :	عتيزة
- ١٥٢ - ١٥٣ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ :	العودة
- ١٩٢ - ٨٦٦ :	
- ١٥١ :	عوصاء
١٨٢ :	العوينات
- ١١١ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦ :	عين نجم
- ٨٤٩ - ٣٤٥ :	
١٨٢ - ١٥٢ :	عين شمس
- ٤٩ :	العين العزيزية
١٨٢ :	عين زعرقة
١٨٢ :	عين موسى
١٨٢ :	عين جالوت
- ١٨٢ :	عين حلوان
- ١٨٢ :	عين الصيرة
- ١٧٨ :	عين زبيدة
- ١٩٠ - ١٨٨ :	العيص
٣١١ - ٧٢ - ٢٧ - ٢٦ :	العينية

(ع)

غامد	: ١٠٩ - ١٢٣ -
العبراء	: ١٥٥ -
غبيراء	: ١٥٥ -
الخطفط	: ٣١ -
غمدان	: ٤٣١ -
الغميم	: ٤٠٨ -
غول	: ١٨٨ - ٢٩٤ - ٢٩٦ -
الغوار	: ١٦٦ -
غيط النوبى	: ٣٣٦ -
غيلان	: ١٧٨ - ١٩٢ -

(ف)

فارس	: ١١ - ٨٣ - ٨٥ - ١٢٢ - ١٣٧ - ١٥٦ -
الفدا	: ٤٣٧ - ٨٩ -
فدك	: ١٤٦ -
الفرات	: ١٥٦ - ٥٤ -
اللقى	: ١٩١ - ١٥٥ -
فلسطين	: ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ١٧٦ - ٣٨٣ - ٣٨٤ -
الفلج	: ٣٨٦ - ٥١١ - ٥٣٦ - ٨٣٠ -
الفوارع	: ١٩٣ -
فبضة شرب	: ١٥٣ -
القيحا	: ٢١٣ -
	: ٣١٦ -

(ق)

القارة	: ٢٣٩ -
القاهرة	: ١٤ - ١١٠ - ١٣١ - ٢٢٦ - ٣٣٦ -
القرارة	: ٤٢٣ - ٦٢٨ - ٧٥٥ -
القرائن	: ٣٣٩ -
القرعة	: ٩٩ - ١٧٨ - ٢٣٩ -
القرنا	: ١٥٥ -
القرنية	: ١٥٤ -
	: ١٥٩ -
	: ٩٠١ -

٨٥٠ - ١٧٧ - ١١٣ :	قرن المنازل
- ١٥٤ :	القرنتين
٤٨٣ :	القرينين
٢٠١ :	قران
- ١٧٨ - ١٧٧ :	القرناء
- ١٨٠ :	القرى
- ٥١٢ :	الفرعاء
١٨٨ :	القراء
- ٥٢٥ - ٥١٤ - ٢٣٩ - ١٨٠ - ١٧٩ :	القصيم
٨١٨ - ٧٦٩ - ٧٦٧	
٣٠٦ :	قطان
٤٩١ - ٤٩٠ - ١٥٧ :	قطر
- ١٥٣ :	القطايطير
- ١٥٣ :	القطار
٥٩٤ - ٥٨٩ :	قطن
٨٦ :	قلمون
٢٤٧ :	القمرأ
- ١٣٤ :	قبة الحجر
- ٢٤٠ :	القور : قور اثيثة
- ٢٤٠ :	القوارة
- ٢٣٩ :	القويرة
- ٢٤٠ - ٢٣٩ :	قويرة مسراه
- ٢٣٩ :	قويرة المسمى
٢٤٠ :	قيران

(ك)

٣٠٤ - ٢٨٦ :	كبشان
- ١٥٩ :	كتيب جو اليمامة
- ١٥٩ :	كتيب الزلفى
٢٧ :	كربلاء
١٧٧ :	كرى
٣٠٧ - ٣٠٤ :	كشب
٤١٨ - ٣٦٦ - ٣٦٤ - ٤٨ - ٤٧ - ٤٣ :	الكعبة المشرفة
٧٢٩ - ٧٢٨ - ٤٣٢ - ٤٢٥ - ٤١٩ -	
٨٦٥ -	
٤٨٣ - ٦٦ :	الكوفة
- ٣١٨ - ٢١٨ - ١٥٧ - ١٣٨ - ٣٢ :	الكويت
٣٢٧ - ٣٢٤ - ٣٢٠ - ٣١٩	
١٤٢ :	كيش

(د)

٥٠ - ١١١ - ١٢٥ - ١٨٢ - ٢٢٦ :	لبنان
٢٥٦ - ٤١٥ :	
٤٠٩ :	لعلع
١٩٧ :	لندن
١٨٢ :	ليبيا
٣١ :	لينة
٢٩٦ - ٢٩٤ - ١١٩ :	ليه
٢٩٦ - ٢٩٤ :	ليم

(م)

١٨٨ - ١٨٩ - ٢٢٠ - ٤٣١ - ٦٩٢ :	مارب
٩٠ :	المبرز
٣٠٦ :	مثلثة
١٧٣ - ٢٥١ :	مجنة
١٥٩ :	المحرقة
١٤٧ - ١٤٨ :	المحصب
٢٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٦٦ - ٨١ - ٨٨ :	المدينة المنورة
٩٤ - ١٠٨ - ١١٥ - ١٧١ - ١٧٢ :	
٢٤٤ - ٣٤٥ - ٣٩٧ - ٤٦٠ - ٤٩١ - ٤٩٩ :	
٥٥٤ - ٥٨٦ - ٥٩١ - ٥٩٣ - ٥٩٩ :	
٦٢٨ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٥٨ - ٧٧٠ :	
٧٧٦ - ٨٥٥ :	
١٦٨ :	المذنب
٢٨٥ :	المربد
٣٢١ :	مران
١٣٣ - ٢٣٩ :	مراة
١٧٩ :	المرقب
٣٨٤ - ٣٨٦ - ٨٣٠ :	المسجد الاقصى
١١٩ :	مسرة
١٩٢ :	المستند
٢٤١ :	المشقرا
١٨ - ٢٤ - ٣٧ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٥ :	مصر
٥٩ - ٦٢ - ٧٥ - ٧٧ - ٨٥ - ١١٠ :	
١١١ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٤٨ - ١٦٠ :	
١٦٥ - ١٧٥ - ١٨٢ - ١٩٨ - ٢٠١ :	

٢٧٨ - ٢٧٦ - ٢٥٠ - ٢٤٥ - ٢٤١
 - ٢٣٦ - ٢٣٢ - ٢٣١ - ٢٨٨ - ٢٨٧
 ٢٨٢ - ٢٨٢ - ٢٥٦ - ٢٤٢ - ٢٤١
 - ٢٣٥ - ٢٣٤ - ٤٢٢ - ٤٢١ - ٤٠٦
 ٤٦٧ - ٤٥٩ - ٤٤١ - ٤٣٩ - ٤٣٦
 ٥٥٨ - ٥٥٣ - ٥٥٠ - ٥٤٥ - ٥٣٩
 ٥٦١ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٧١ - مـــــــــــــــــن
 - ٦٢٦ - الى ٦٤٤ - ٦٦٦ - ٦٨٢
 - ٧٠٨ - ٧١٩ - ٧٢٦ - ٧٤٤ - ٢٤٥
 - ٧٤٦ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٩٣ - ٨٣٢
 ٨٣٩ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٥١ - ٨٥٢
 - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٢
 - ٨٦٣

١٩٣ :

٦٩٥ :

- ١٧١ :

- ١٧١ :

- ١٧١ - ١٧٠ :

٢٣٩ - ٢٤٠ :

- ١٨٨ :

- ٢٧٦ - ٢٨٣ - ٤١٧ :

- ٢٤٦ :

- ١٠ - ١١ - ٢٣ - ٣٥ - ٣٩ - ٤٣ :

- ٤٤ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٠ - ٦٦ - ٨٨ :

- ٩٧ - ١١٢ - ١١٣ - ١٢٣ - ١٣٦ :

- ١٤٨ - ١٤٩ - ١٦٠ - ١٧٠ - ١٧٧ :

- ١٧٨ - ١٧٩ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦ :

- ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٤٤ - ٢٠٢ - ٢٠٦ :

- ٢٢٧ - ٢٣٨ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ٢٤٥ :

- ٢٦٦ - ٢٩٧ - ٤٣٢ - ٥٣٥ - ٥٧٨ :

- ٦١٩ - ٦٢٢ - ٦٥٩ - ٧٤٣ - ٧٦٠ :

٧٧٠ - ٧٧٥ - ٨٤٦ :

- ٢٦٣ - ٢٦٥ :

- ٢٢٩ - ٦٩٨ - ٧٦٩ :

- ١٣٧ - ١٤٠ - ٢٨٢ :

- ١٥٥ :

- ١٤٩ :

- ١٣٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ٦١٩ :

- ١٣٠ - ١٨٨ :

- ٩٠٤ -

مصامة بنى عامر
 المضيق (عين الليمون)
 مطوى
 مطوى دلعة
 معدن البرم
 المعيزيلة
 المنغيشة
 المغرب
 المقراة
 مكة المكرمة

مكينة
 الملقى
 متفوحه
 متيخين
 منية
 منى
 منعج

- ٢٠ :	مثيل الروضة
- ١٩ :	المقصورة
١٤٢ :	الموصل
- ١٣٩ :	مؤنة
١٣٣ :	المهاجر
- ٧٥ - ٦٢ :	المهجر

(ن)

- ١٥٩ :	النبقية
- ٣٨ - ٣٧ - ٢٨ - ١٩ - ١٤ - ١٠ :	نجد
- ٦٤ - ٦٣ - ٥٩ - ٥٤ - ٥٣ - ٣٩	
- ٩٢ - ٩١ - ٩٠ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٩	
١٠٦ - ١٠٤ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٧	
- ١٣٨ - ١٣٦ - ١١٩ - ١١٤ - ١١٢	
- ١٥١ - ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٤ - ١٤٣	
- ١٦٦ - ١٦٤ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٤	
٢١٩ - ١٨٨ - ١٨٤ - ١٨٢ - ١٧٩ - ١٧٨	
- ٢٥٤ - ٢٤٧ - ٢٤٥ - ٢٤٣ - ٢٢١	
- ٣١٠ - ٢٨٠ - ٢٧٦ - ٢٧١ - ٢٥٧	
- ٣٨٢ - ٣٤٢ - ٣٣٥ - ٣٣٢ - ٣١٦	
- ٤٩١ - - - ٤٧١ - ٤٦٧ - ٣٨٦ - ٣٨٤	
٥٥٠ - ٥٣٥ - ٥٣٠ - ٥٢٢ - ٥١٣ - ٥٠٦ - ٤٩٧	
٦٠٩ - ٦٠٦ - ٦٠٢ - ٦٠١ - ٥٩٤ - ٥٥٣	
- ٦٨٠ - ٦٣٤ - ٦٢٤ - ٦٢٠ - ٦١٦	
٧٧٣ - ٧٥٦ - ٧٥٤ - ٧٤٧ - ٧٠٠ - ٦٩١	
- ٨١٣ - ٨٠٧ - ٨٠٦ - ٨٠٥ - ٧٩٩	
- ٨٤٣ - ٨٣٢ - ٨٣١ - ٨٢٦ - ٨٢١	
- ٨٦٧ - ٨٦٢ - ٨٥٩ - ٨٥٨	
- ٦٨٦ - ٦٨٥ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٠ :	نجران
- ٦١٠ - ٦٠٧ - ١٨٨ :	النخلة
٣٢٠ :	النشاش
١٨٨ - ١٤٩ :	نقى
٢٢٦ :	نقب
١٠٠ :	النقا
- ٢٤٢ - ٢٤١ :	النواصف
- ٥٤ :	النهرين
- ٦٦٢ - ٦١١ - ٦٠٧ :	نهر الفرات

٦٤٠ - ٦٣٣ - ٥٥٠ - ٤٧٨ - ٤٦٨ - ٥٤ :	النيل
٨٥٧ - ٨٥١ - ٨٣٢	
٣٠٦ :	النير

(٩)

٣٢٦ :	واره
٧٩٦ :	واردات
- ١٧٨ - ١٥٢ :	واسط
- ١٣٠ :	وادی البدی
١٥٨ - ١٥٧ :	وادی برك
١٥٧ :	وادی بريك
١٧٦ - ١٥٠ :	وادی الوتر
- ١٥٥ :	الوتر
- ١٤٨ :	وادی الجریب
- ٢٢٦ :	وادی الحائر
- ٢٤٦ :	وادی الدواسر
- ١٥٨ :	وادی الرکاء
٢٠١ :	وادی شرب
- ١٧٢ :	وادی الشهداء
- ١٧٨ :	الوسطا
١٠٧ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٤٤ - ٣٣ :	الوشم
- ٧٦٩ - ٧٦٧ - ٢٣٩ - ١٥٦ - ١٥٥	
- ١٩٤ :	وادی الدواسر
- ١٧٩ :	وادی الکلب
- ٢٤٦ :	وادی رنية
١٥٥ :	وادی الفقهي
- ١٥٢ - ٤٩ :	وادی فاطمة
- ٦٠٧ - ١٨٨ :	وادی العقیق
- ١٧٣ - ١٧٢ :	وادی فنج
- ١٥٨ :	وادی القرى
١١٣ :	وادی قرن
٢٠١ :	وادی قران
- ١٣٠ :	وادی القنان
- ١٦٨ :	وادی قصیر
٣٠٢ - ١١٩ :	وادی لیه
- ٢٣٩ :	وادی المسمى
١١٩ :	وادی مسرة

١٢١ - ٤٣٣ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٦٢٨ -	وادی النيل
٦٢٩ - ٦٣٢ - ٧٢٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨	
٢٢٦ - ٢٢٧ -	وادی نساح
٣٤ :	الوقيد
١٥٤ - :	الوركاء
١٧١ - ٢٠٧ :	وضاخ
٩٩ - :	الوقف
١٥٩ - :	وهط

(هـ)

٢٤١ - :	هجر
١٧٧ - :	الهدى
١٨٨ - :	هضبة ذى أقدام
٨٥٠ - :	الهفوف
٧٤ - ١٢٢ - ٦٢٢ - :	الهند

(ى)

١٩٣ - :	يبرين
١٨٨ - :	يلملم
٤٢ - ٤٣ - ١٦٩ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٧٧٦ -	اليمن
٧٩٠ -	
١٢٦ - ١٣٦ - ١٤٦ - ١٥٠ - ١٥٢ - :	اليمامة
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٩٣ - ٢١٩ - ٢٢٢ -	
٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٤٦ - ٦٩٩ - ٨٤٤ -	
٣٦ - ١٩٧ - :	ينبع

فهرس المراجع والمصادر

- ١ - ابتسامات الأيام فى انتصارات الامام : محمد بن بليهد - مطبعة
السنة المحمدية (سنة ١٣٧٠ هـ - سنة ١٩٥٠ م) .
- ٢ - ابن الرومى - حياته وشعره : عباس محمود العقاد - مطبعة
حجازى بالقاهرة (سنة ١٣٥٧ هـ - سنة ١٩١٨ م) . طبعة اثنىة
- ٣ - ابن زيدون - عصره ، حياته ، أدبه : الدكتور حسن جاد حسن -
المطبعة المنيرية بالازهر (سنة ١٣٧٤ هـ - سنة ١٩٥٥ م) .
- ٤ - ابن عثيمين رائد الشعر الحديث فى نجد : رسالة دكتوراة أعدها
الدكتور عبد العزيز ابراهيم الفريح (سنة ١٣٩٧ هـ - سنة
١٩٧٧ م) .
- ٥ - أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع : الشيخ حمد الجاسر
طبعة دار اليمامة بالرياض .
- ٦ - الاتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى : الدكتور محمد
السعدى فرهود - مطبعة زهران (سنة ١٣٨٨ هـ - سنة ١٩٦٩ م)
- ٧ - اتجاهات النقد الادبى العربى : الدكتور محمد السعدى فرهود -
دار الطباعة المحمدية (سنة ١٣٩٠ هـ - سنة ١٩٧٠ م) .
- ٨ - أثر الدعوة الوهابية فى الاصلاح : محمد حامد الفقى - مطبعة
النهضة بالقاهرة (سنة ١٣٥٤ هـ - سنة ١٩٣٥ م) .
- ٩ - الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة : ابراهيم أحمد أبو بكر
مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٤٨ م .
- ١٠ - الأدب المقارن : الدكتور محمد غنيمى هلال - مطبعة مخيمر
شارع الجيش بالقاهرة .
- ١١ - أدب الحجاز : الشيخ محمد سرور الصبان - طبع بمصر سنة
١٩٤٦ م .

- ١٢ - الأدب الحديث في نجد : محمد بن سعد بن حسين - مطبعة الفجالة بمصر (سنة ١٣٩١ هـ سنة ١٩٧١ م) .
- ١٣ - الأدب الشعبي فى جزيرة العرب : الشيخ عبدالله بن خميس - مطابع الرياض سنة ١٣٧٨ هـ .
- ١٤ - الأسس الجمالية فى النقد : عز الدين اسماعيل - طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٥٥ م .
- ١٥ - الأسلوب : احمد الشايب - مطبعة النهضة المصرية .
- ١٦ - أسس النقد الادبى : الدكتور أحمد أحمد بدوى - مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٨ م .
- ١٧ - أسود آل سعود : ابراهيم بن خميس - دار النجاح بيروت (سنة ١٣٩٢ هـ - سنة ١٩٧٢ م) .
- ١٨ - الأسنة الحداد : الشيخ سليمان بن سحمان - طبعة الرياض الثانية
- ١٩ - أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام : سعيد الافغانى - دار الفكر بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ .
- ٢٠ - أصول النقد الأدبى : أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية .
- ٢١ - الأعلام : خير الدين الزركلى - طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ - طبعة ثانية .
- ٢٢ - أقرب الموارد فى فصيح العربية الشوارد : سعيد الخورى اللبناني مطبعة مرسيلي اليسوعية - بيروت سنة ١٨٨٩ م .
- ٢٣ - انسان الجزيرة : الدكتور ابراهيم عبده - المطبعة النموذجية
- ٢٤ - الوان : الدكتور طه حسين - طبعة دار المعارف المصرية - الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٠ م .
- ٢٥ - أوراق مخطوطة ورسائل شخصية .
- ٢٦ - البراهين الموضحات فى نظم كتاب كشف الشبهات : محمد الطيب الانصارى - طبعة المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ هـ .
- ٢٧ - بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين السيوطى - مطبعة عيسى الحلبي - طبعة أولى .
- ٢٨ - البلاد العربية السعودية : فؤاد حمزة - مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٥ هـ .

- ٢٩ - بلاد العرب : الحسن بن عبدالله الأصفهاني - تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، والدكتور صالح العلي - منشورات دار اليمامة - الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .
- ٣٠ - البناء الفني للقصيدة العربية : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة القاهرة .
- ٣١ - البيان والتبيين : عمرو بن بحر الجاحظ - مطبعة لجنة التأليف والنشر ، طبعة السندوبى .
- ٣٢ - تأليف العبارة : الدكتور محمد السعدى فرهود - المكتبة السعيدية بالقاهرة (سنة ١٣٩٦ هـ - سنة ١٩٧٦ م) .
- ٣٣ - تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد : الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى دار اليمامة بالرياض سنة ١٩٦٦ م .
- ٣٤ - تاريخ نجد فى مخطوط الفاخرى : عبدالله يوسف الشبل - رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية (سنة ١٣٩٧ هـ - سنة ١٩٧٧ م) .
- ٣٥ - تاريخ نجد : محمود شكرى الالوسى بتمه الشيخ سليمان بن سحمان - المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٣٦ - تاريخ القصة والنقد فى الأدب العربى : السباعى بيومى - مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٦ م .
- ٣٧ - تاريخ النقائص فى الشعر العربى : احمد الشايب - طبعة مكتبة النهضة سنة ١٩٦٦ م .
- ٣٨ - التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جده : الشيخ عبد القدوس الانصارى مطابع الاصفهاني بجدة .
- ٣٩ - الترغيب والترهيب : المنذرى - طبعة أولى .
- ٤٠ - التوفيقات الالهامية : مختار باشا رئيس المجلس العالى العسكرى دار الطباعة ببولاك سنة ١٣١١ هـ .
- ٤١ - التيارات الأدبية فى قلب جزيرة العرب : عبدالله عبد الجبار - معهد الدراسات العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- ٤٢ - التيارات المعاصرة : الدكتور بدوى طبانة - طبعة الانجلو المصرية
- ٤٣ - ثمرات الأوراق : ابن حجة الحموى - المطبعة الخيرية .

- ٤٤ - ثورة الجزيرة أو آل سعود والعصر الذهبي : عبد السلام هاشم حافظ - القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ٤٥ - الجامع الصغير : للحافظ جلال الدين السيوطي
- ٤٦ - جزيرة العرب في القرن العشرين : حافظ وهبة - مصر سنة ١٩٣٥ م .
- ٤٧ - جزيرة العرب في العصر الحديث : الدكتور صلاح العقاد - معهد البحوث والدراسات الاسلامية (سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م) .
- ٤٨ - جمهرة الاسلام : أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ أدب مخطوط .
- ٤٩ - حاضر العالم الاسلامي : لوتروب استودارد - ترجمة عجاج - المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .
- ٥٠ - حافظ ابراهيم ، ماله وما عليه : الدكتور محمد كامل جمعه - مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٥٩ م .
- ٥١ - حديث الاربعاء : الدكتور طه حسين - مطبعة عيسى البابي الحلبي
- ٥٢ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : الدكتور بكرى شيخ أمين - دار صادر بيروت (سنة ١٣٩٢ هـ - سنة ١٩٧٢ م) .
- ٥٣ - الحكاية والخرافة : فريد ريش فون - ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم - دار الهنا للطباعة .
- ٥٤ - الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ - طبعة ساسي .
- ٥٥ - خمسون عاما في جزيرة العرب : حافظ وهبة - طبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٥٦ - الخيال الشعري عند العرب : أبو القاسم الشابي - الـدار التونسية للنشر .
- ٥٧ - دراسات في النقد والأدب : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة - طبعة أولى .
- ٥٨ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية : جمع الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم - مطابع بيروت .
- ٥٩ - دفاع سقراط «محاورات افلاطون» .
- ٦٠ - دلائل الاعجاز : عبد القادر الجرجاني - مطبعة المنار .

- ٦١ - دواعى الاغراء (كلمة وفاء لزوجته عليه صادق لبيب) على امام عطية - مطبعة الحرية بمصر (سنة ١٣٨٢ هـ سنة ١٩٦٢ م)
الطبعة الأولى .
- ٦٢ - ديوان حافظ ابراهيم : مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٧ م .
- ٦٣ - ديوان النبط : المقدمة . خالد الفرج .
- ٦٤ - الديوان : عباس العقاد ، عبد القادر المازنى - طبعة دار الشعب
- ٦٥ - ديوان على بن الجهم : تحقيق خليل مردم بك - طبعة لجنة التراث العربى - بيروت - الطبعة الثانية .
- ٦٦ - ديوان الفرزدق : دار صادر بيروت (سنة ١٣٨٠ هـ - سنة ١٩٦٠ م) .
- ٦٧ - ديوان النابغة الذبياني : تحقيق فوزى عطوى المحامى - الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر - بيروت .
- ٦٨ - ديوان الأعشى « ميمون بن قيس » : شرح وتعليق الدكتور محمد حسين المطبعة النموذجية بالقاهرة .
- ٦٩ - الرثاء : الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف سنة ١٩٥٥ م .
- ٧٠ - الرحلة الحجازية : محمد لبيب البتانونى - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ - طبعة ثانية .
- ٧١ - الرحلة النجدية الحجازية : محمد بهجة البيطار - المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م .
- ٧٢ - رحلة الى بلاد نجد : آن بلنت - ترجمة محمد أنعم غالب - دار اليمامة بالرياض سنة ١٩٦٧ م .
- ٧٣ - رحلات فى ميادين العمل والجهاد : فؤاد شاكر - مطابع دار الكتاب العربى (سنة ١٣٧٣ هـ سنة ١٩٥٤ م) .
- ٧٤ - رحلة الربيع : فؤاد شاكر - دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٤٦ م
- ٧٥ - روضة الأفكار والافهام : الشيخ حسين بن غنام - الطبعة الثانية
- ٧٦ - زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : الدكتور احمد أمين - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م .
- ٧٧ - زهر الأداب : أبى اسحق الحصرى - مطبعة حجازى بالقاهرة .
- ٧٨ - السرقات الأدبية : الدكتور بدوى طبانة - مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٦ م .

- ٧٩ - شاعر العروبة والاسلام احمد محرم : ابراهيم الجيوشى - مطبعة السعادة بالقاهرة - طبعة أولى .
- ٨٠ - الشاعر عبد الحميد الديب . حياته وفنه : الدكتور عبد الرحمن عثمان - دار المعارف بمصر .
- ٨١ - شرح المقدمة الأدبية لشرح الامام المرزوقى على ديوان الحماسة محمد الطاهر عاشور - مطابع دار الكشف - بيروت سنة ١٩٥٨م توزيع دار الكتب بتونس .
- ٨٢ - شرح تحفة الخليل : عبد الحميد الراضى - مؤسسة الرسالة بغداد سنة ١٩٥٤ م .
- ٨٣ - شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى : عباس محمود العقاد - كتاب الهلال - دار الهلال يناير سنة ١٩٧٢ م .
- ٨٤ - شعراء بغداد : على خاقانى - طبعة أسعد بغداد (سنة ١٣٨٢ هـ سنة ١٩٦٢ م) .
- ٨٥ - الشعر النبطى امتداد للشعر الفصيح : الشيخ عبدالله بن خميس بحث مقدم للمؤتمر الاول للادباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز بتاريخ ١٣٩٤ ر ٣ هـ .
- ٨٦ - شعراء هجر : الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو - مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- ٨٧ - شعراء نجد المعاصرون : عبدالله بن أدريس - اسطنبول سنة ١٩٣١ م طبعة رابعة .
- ٨٨ - الشعر والشعراء : ابن قتيبة - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م .
- ٨٩ - الشعر المعاصر : مصطفى السحرى - مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م .
- ٩٠ - شوقى أو صداقة «أربعين عاما» : الامير شكيب أرسلان مطبعة عيسى الحلبي بمصر (سنة ١٣٥٥ هـ - سنة ١٩٣٦ م) .
- ٩١ - الشيخ محمد بن بليهد : عبد العزيز سليمان الفاضل - بحث مخطوط .
- ٩٢ - صحيح البخارى : الامام البخارى .

- ٩٣ - صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الآثار : محمد بن بليهد
الطبعة الثانية (سنة ١٣٩٢ هـ - سنة ١٩٧٢ م) .
- ٩٤ - صفة جزيرة العرب : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني -
تحقيق محمد بن الاكوع تقديم الشيخ حمد الجاسر - دار اليمامة
 بالرياض ، تحقيق محمد بن بليهد - مطبعة السعادة بمصر سنة
١٩٥٣ م
- ٩٥ - الصناعتين : أبو هلال العسكري - تحقيق محمد البجاوى وأبى
الفضل دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٢ م ، تصحيح محمد
الخانجي - طبعة الاستانة سنة ١٣١٩ هـ .
- ٩٦ - الصواعق المرسله : الشيخ سليمان بن سحمان - طبعة الرياض
سنة ١٣٧٩ هـ .
- ٩٧ - عثمان بن بشر منهجه ومصادره : الدكتور عبد العزيز الخويطر
- مؤسسة الجزيرة بالرياض سنة ١٩٧٠ م .
- ٩٨ - عصر الاساطير : توماس بلفيتش - ترجمة رشدى السيسى -
مطابع البلاغ بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .
- ٩٩ - العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين : دار المعارف بمصر
الطبعة الاولى .
- ١٠٠ - عقود الجواهر المنضدة الحسان : الشيخ سليمان بن سحمان -
مطبعة المصطفوية بالهند .
- ١٠١ - علماء نجد خلال ستة قرون : تأليف الشيخ عبدالله بن عبد
الرحمن بن صالح البسام - مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة
سنة ١٣٩٨ هـ .
- ١٠٢ - العمدة : ابن رشيقي القيرواني - مطبعة السعادة بمصر سنة
١٩٠٧ م .
- ١٠٣ - عنوان المجد فى تاريخ نجد : عثمان بن بشر - دار صادر
بيروت سنة ١٣٨٧ هـ .
- ١٠٤ - عيار الشعر : ابن طباطبا - مطبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٥٦ م
- ١٠٥ - الغزل فنون الأدب العربى : سامى الدهان - دار المعارف بمصر
- ١٠٦ - فى الادب الحديث : عمر الدسوقي - مطبعة الرسالة - الطبعة
السابعة .

- ١٠٧ - قاموس المحيط : الفيروز أبادى - المطبعة التجارية .
- ١٠٨ - قدر ورجل : محمد حسن الفقى - طبعة الدار السعودية للنشر سنة ١٣٨٦ هـ .
- ١٠٩ - قصائد مختارة من شعر ابن بليهد وابن عثيمين : مطبعة أم القرى - مكة المكرمة .
- ١١٠ - قضايا النقد الأدبى الحديث : الدكتور محمد السعدى فرهود مطبعة زهران بالقاهرة (سنة ١٣٨٨ هـ - سنة ١٩٦٨ م) .
- ١١١ - قواعد الشعر : أبى العباس ثعلب - مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٤٨ م .
- ١١٢ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : مصطفى عبد الله حاجى خليفه المطبعة البهية - اسطنبول سنة ١٩٤٣ م .
- ١١٣ - لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ابن منظور) : -
- طبعة مصورة عن طبعة بولاق - الدار المصرية للتأليف والنشر .
- ١١٤ - لمحات عن التطور الفكرى فى جزيرة العرب فى القرن العشرين فهد المارك مطابع ابن زيدون دمشق سنة ١٣٨٢ هـ .
- ١١٥ - ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه : محمد بن بليهد مخطوط
- ١١٦ - ما يحوز للشاعر فى الضرورة : القزاز القيروانى - الدار التونسية للنشر .
- ١١٧ - المتوسط الكافى فى علمى العروض والقوافى : الدكتور موسى ابن المليانى الاحمدى - طبعة الدار الجزائرية الاسلامية .
- ١١٨ - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر : ابن الاثير « ضياء الدين نصرالله » تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٩ م .
- ١١٩ - مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما : الدكتور محمد مهدي علام - المطابع الاميرية (سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٦٦ م) .
- ١٢٠ - محمد بن عبد الوهاب : عبد الغفار عطار - طبعة بيروت .
- ١٢١ - المديح : سامى الدهان - دار المعارف المصرية - طبعة ثانية .

- ١٢٢ - المدائح النبوية : الدكتور زكى مبارك - طبعة دار الشعب .
- ١٢٣ - مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ : الشيخ حمد الجاسر - دار اليمامة بالرياض .
- ١٢٤ - مذاهب النقد وقضاياها : الدكتور عبد الرحمن عثمان - طبعة شركة الاعلانات الشرقية .
- ١٢٥ - المرصاد : ابراهيم هاشم الفلامى - المطبعة المنيرية بالازهر (سنة ١٣٧٥ هـ سنة ١٩٥٦ م) طبعة ثانية .
- ١٢٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر : ابي الحسن على بن الحسين المسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٦٦ م . شركة الاعلانات الشرقية - مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر .
- ١٢٧ - مشاهير علماء نجد : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ - دار اليمامة بالرياض طبعة أولى (سنة ١٣٩٢ هـ - سنة ١٩٧٢ م)
- ١٢٨ - معجم الأدباء : ياقوت الحموى - طبعة دار المأمون .
- ١٢٩ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحاله - طبعة بيروت - دار احياء التراث الأدبى .
- ١٣٠ - معجم البلدان : ياقوت الحموى - طبعة أولى .
- ١٣١ - معجم ما أستعجم : عبد الله البكرى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (سنة ١٣٦٨ هـ - سنة ١٩٤٩ م) .
- ١٣٢ - المعلقات العشر : الامام التبريزى - طبعة أولى .
- ١٣٣ - المعرض : الشيخ محمد سرور الصبان - مطبعة العصرية - سنة ١٣٤٥ هـ .
- ١٣٤ - مع عاهل الجزيرة العربية : عباس العقاد - مطبعة العصرية - بيروت .
- ١٣٥ - مغنى اللبيب : جمال الدين بن هشام - طبعة عيسى الحلبي .
- ١٣٦ - مقدمة القصيدة العربية فى العصر الاموى ، ومقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول : دار المعارف بمصر (حسين عطوان) .

- ١٣٧ - مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية : وزارة المعارف
السعودية (سنة ١٣٩٥ هـ سنة ١٩٧٥ م) .
- ١٣٨ - الملك عبد العزيز في مرآة الشعر : الشيخ عبد القدوس
الانصارى - مؤسسة مكة للطباعة (سنة ١٣٩٤ هـ - سنة ١٩٧٤ م
- ١٣٩ - ملوك العرب : أمين الريحاني - دار الريحاني - بيروت سنة
١٩٦٠ م .
- ١٤٠ - من وحى الصحراء : جمع الاديبين محمد سعيد عبدالمقصود ،
عبدالله بالخير - مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٥٥ هـ .
- ١٤١ - الموازنة بين الشعراء : الدكتور زكى مبارك - القاهرة ١٩٢٦ م
- ١٤٢ - الموازنة بين الطائيين «أبى تمام والبحترى» : ابو القاسم بن
بشر الأمدى - تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - المكتبة
التجارية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- ١٤٣ - موسيقى الشعر : الدكتور ابراهيم أنيس - طبعة اه نجلو
المصرية سنة ١٩٥٢ م .
- ١٤٤ - الموشح : أبى عبدالله المرزبانى - المطبعة السلفية .
- ١٤٥ - موقع عكاظ : الدكتور عبد الوهاب عزام - دار المعارف المصرية
- ١٤٦ - ميزان الشاعر فى العروض والقوافى : الدكتور حسن جاد
حسن ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى - طبعة دار التأليف
الطبعة الاولى (سنة ١٣٧١ هـ - سنة ١٩٥٢ م) .
- ١٤٧ - النديم الأديب : الدكتور محمد السعدى فرهود - دار الطباعة
المحمدية بالأزهر سنة ١٩٧٦ م .
- ١٤٨ - نصوص نقدية : الدكتور محمد السعدى فرهود - دار الطباعة
المحمدية بالأزهر (سنة ١٣٩٥ هـ - سنة ١٩٧٥ م) .
- ١٤٩ - نضال العرب ضد الاستعمار : محمد عبدالله الميمان - طبعة
أولى سنة ١٩٦٢ م .
- ١٥٠ - النقائض (نقائض الفرزدق وجريز) : طبع فى مدينة ليدن
المعروسة بمطبعة بريل سنة ١٩٠٧ م .
- ١٥١ - النقد الأدبى الحديث : الدكتور محمد غنيمى هلال - مطبعة
الشعب سنة ١٩٦٤ م .

- ١٥٢ - النقد الأدبي : الدكتور أحمد أمين - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١٥٣ - النقد الأدبي . تاريخه ونظرياته : الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب دار التأليف والنشر سنة ١٩٦٨ م - طبعة أولى .
- ١٥٤ - النقد الأدبي : الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف المصرية - طبعة ثانية .
- ١٥٥ - النقد والنقاد المعاصرون : الدكتور محمد مندور - طبعة نهضة مصر بالفضالة .
- ١٥٦ - النقد الأدبي عند اليونان : الدكتور بدوى طبانة - طبعة الانجلو المصرية .
- ١٥٧ - نوادر المخطوطات (رسالة عرام بن الأصبغ) : تحقيق الدكتور عبد السلام هارون - طبعة مصطفى الحلبي بمصر (سنة ١٣٩٣ هـ - سنة ١٩٧٣ م) الطبعة الثانية .
- ١٥٨ - النهاية في غريب الحديث : ابن الاثير «مجد الدين المبارك» .
- ١٥٩ - النهضة الأدبية بنجد : حسن محمد محمود الشنقيطى - طبعة مصطفى الحلبي بمصر (سنة ١٣٧٠ هـ - سنة ١٩٥١ م) .
- ١٦٠ - الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضى على عبد العزيز الجرجاني - طبعة عيسى الحلبي .
- ١٦١ - الوسيلة الأدبية : حسين المرصفى - مطبعة المدارس الملكية .
الصحف والمجلات :
- ١٦٢ - صحيفة أم القرى .
- ١٦٣ - صحيفة بريد الحجاز
- ١٦٤ - صحيفة البلاد السعودية .
- ١٦٥ - صحيفة القبلة .
- ١٦٦ - مجلة الأديب اللبنانية .
- ١٦٧ - مجلة الحج .
- ١٦٨ - مجلة العرب .
- ١٦٩ - مجلة المنهل .
- ١٧٠ - مجلة الهلال .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

والان وقد فرغنا من موضوعات هذا الكتاب الذى انست فيه صحبة عالم جليل وجدت لديه المثالية التى افتقدناها فى كثير من علماء هذا العصر ، هذا العالم هو استاذى الجليل الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود الذى كان له الاشراف على هذه الاطروحة اقدم له بعد الله الشكر والثناء . .

ثم اقدم الشكر والثناء الجميل الى الشيخ عبد الله بن محمد بن بليهد ، فلقد صحبتنى جهوده منذ بدأت البحث فى تراث ابيه وحياته وما تزال ، فهو مصدرى الاول بعد مؤلفات ابيه ، ومخطوط آثار ابيه كان هو مصدرها الا القليل ، ثم ان اهتمامه بى وبحثى كان عامل تشجيع لا انساه له ابدا . .

ولا انسى اولئك الذين امدونى بالمعلومات عن الشيخ بن بليهد وآثاره سواء منهم من فى بلادنا او بمصر ، حتى تمكنت بتوفيق الله الى لم شتات تراث هذا الرائد ودراسته ، فلهؤلاء ، بعد الله الشكر .

وماتوفيقى الا بالله

المؤلف

الدكتور محمد سعد حسين

فهرس القسم الثاني

الصفحة	الموضوع
٤٤٩	الباب الرابع : موازنات وتحليل
٤٥١	الفصل الأول : موازنات
	مقدمة عن الموازنات وموقف
٤٥١	الناقد الموازن بين النصوص
٤٥٩	— الموازنة الاولى : بين ابن بليهد وعلى بن الجهم
٤٨٠	— الموازنة الثانية : بين ابن بليهد والفرزدق
٤٩٠	— الموازنة الثالثة : بين ابن بليهد وابن عثيمين
٥١١	— الموازنة الرابعة : بين ابن بليهد والغزاوي
٥٢٥	— الموازنة الخامسة : بين ابن بليهد وسليمان البطاح
٥٣٧	— الموازنة السادسة : بين قصيدتين لابن بليهد
٥٤٥	— الموازنة السابعة : بين ابن بليهد وسليمان الشبل
	— الموازنة الثامنة : بين ابن بليهد وصديقه على
٥٦١	عطيه
٥٧٢	الفصل الثاني : تحليل بعض النصوص الشعرية
٥٧٣	— القصيدة الاولى : رثاء الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف
٥٨٦	— القصيدة الثانية : وهو في سجن المدينة المنورة
	— القصيدة الثالثة : في الترحيب بنائب الملك على
٦٠١	الحجاز ومدحه
	— القصيدة الرابعة : في التحسر على فراق الامير فيصل
٦٠٧	(الملك السابق)

- ٦١٦ القصيدة الخامسة : فى مدح ولى العهد سعود
بن عبد العزيز (الملك الاسبق)
٦٢٦ القصيدة السادسة : شكر وثناء
٦٣٢ القصيدة السابعة : فى مطلع الشمس
٦٤٥ الباب الخامس : شعر ابن بليهد بين الاصاله والتقليد
الفصل الأول : تأثر ابن بليهد بالآخرين :
التأثر والتأثير والسرقات الأدبية
٦٤٧ وأمثلة من تأثر ابن بليهد بغيره
٦٧٢ الفصل الثانى : وقفة مع ابن بليهد فى شعره
٦٧٣ — مقابلة بين قصائده المنشورة فى الديوان وغيره
٦٩٦ — ملاحظات عروضية ولغوية
الفصل الثالث : الشكل والمضمون والصور الادبية
٧٠٣ والطبع والصنعة
٧٠٣ ١ — الشكل والمضمون فى شعر ابن بليهد
٧١٨ ٢ — الصورة الادبية
٧٣٠ ٣ — الطبع والصنعة
٧٥٠ الفصل الرابع : خصائص شعره
٧٥٠ أولا : لمحة عن بيئته
٧٥٤ ثانيا : آراء بعض الباحثين فى شعر ابن بليهد
٧٦٣ ثالثا : خصائص شعره
٧٦٣ ١ — تدرج شعره
٧٧١ ٢ — مطالع قصائده

٣ - بناء القصيدة على النمط القديم أو

٧٧٦

الوحدة العضوية

٧٨٨

٤ - طول القصائد

٧٨٩

٥ - ظهور ثقافته في شعره

٧٩٣

٦ - التصنع

٧٩٥

٧ - كثرة الوصف

٨٠١

٨ - كثرة المدح

٨٠٣

٩ - أساليبه

٨١١

١٠ - الألفاظ

٨٢٠

الخاتمة

٨٢٢

ملحق بالقصائد التي لم يحوها الديوان :

٨٢٣

١ - بيتان في رثاء الملك عبد العزيز

٨٢٣

٢ - أنا والذئب

٨٢٥

٣ - وفضلكم خالد

٨٢٧

٤ - توديع سمو الأمير فيصل

٨٣٢

٥ - عيون المها

٨٣٦

٦ - والناس في جنة من عدل سيرتهم

٨٣٩

٧ - على طلل

٨٣٩

٨ - مناقضة

٨٤١

٩ - حنين

٨٤٤

١٠ - وفي أبنائه المجد الاثيل

٨٤٦

١١ - أنت الامام

٨٤٩

١٢ - عين نجم

٨٥١

١٣ - الوداع

٨٥٦

١٤ - في مطلع الشمس

٨٦٠

١٥ - الاليت شعري

الصفحة	الموضوع
٨٦١	١٦ - الى حلوان
٨٦٤	١٧ - رثاء الملك عبد العزيز (رحمه الله)
٨٦٧	١٨ - يالائح البرق
-	الفهارس العامة
-	فهرس الأعلام
-	فهرس الأماكن
-	فهرس المراجع والمصادر
-	فهرس الموضوعات

جدول الخطأ والصواب

صواب الخطأ

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥٠	١٧	خذ	أخذ
٦٥٨	٥	فارسا على	فارسا
٦٦١	٢٢	١٦١	٦٦١
٦٦٤	١٩	المنايا	المناديا
٦٩٢	١	مشتعل	مشتعل
٧٠٣	١٩	السعودي	السعدي
٧١١	١٧	التقليد	التقليد
٧١٢	١٣	راد	أراد
٧١٩	٥	قليل	قليل
٧٣٤	١٢	البطقة	الطبقة
٧٥١	١١	عصريين	عصرين
٧٥٢	٣	الطمانينية	الطمانينة
٧٧٥	٢٣	(٣)	(٤)
٧٩٩	١	السبوح	السبوح
٨٠٠	١٤	تشبيها	تشبيها
٨٣٣	١١	صات	صلت
٨٤٩	١٩	بعقد	يعقد
٨٥٠	١٨	عيلهم	عليهم
٨٦١	١٠	ترهق	وترهق
٨٦٧	٣	ستسلوا	ستسلو
٨٧٢	٣١	بنى بن بن	بنى بكر بن
٨٩٤	١٢	جلدان : ٢٠١	جلدان : ٢٠١
٩٠١	٥	الفطقط	الفطقط
٩٠٩	٥	اثنية	ثانية
٩٠٩	١	القاموس	القاموس
٩١٦	١٦	المارك	المبارك
٩٢١	١٥	على	على امام

صواب الخطأ

الصفحة	رقم	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥٠	١٧	خذ	اخذ	
٦٥٨	٥	فارسا على	فارسا	
٦٦١	٢٢	١٦١	٦٦١	
٦٦٤	١٩	المنايا	المناديا	
٦٩٢	١	مشتعل	مشتعل	
٧٠٣	١٩	السعودى	السعدى	
٧١١	١٧	القليد	التقليد	
٧١٢	١٣	راد	أراد	
٧١٩	٥	قليل	قليل	
٧٣٤	١٢	البطقة	البطقة	
٧٥١	١١	عصريين	عصرين	
٧٥٢	٣	الطمأنينية	الطمأنينة	
٧٧٥	٢٣	(٣)	(٤)	
٧٩٩	١	السبوح	السبوح	
٨٠٠	١٤	تشبيها	تشبيها	
٨٣٣	١١	صات	صلت	
٨٤٩	١٩	بعقد	يعقد	
٨٥٠	١٨	عيلهم	عليهم	
٨٦١	١٠	ترهق	وترهق	
٨٦٧	٣	ستسلوا	ستسلو	
٨٧٢	٣١	بنى بن بن	بنى بكر بن	
٨٩٤	١٢	جلدان : ٢٠١	جلدان : ٢٠١	
٩٠١	٥	القطفط	القطفط	
٩٠٩	٥	اثنية	ثانية	
٩٠٩	١	القاموس	القاموس	
٩١٦	١٦	المارك	المبارك	
٩٢١	١٥	على	على امام	

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com